UNIVERSAL
LIBRARY
OU_234914
UNIVERSAL
LIBRARY

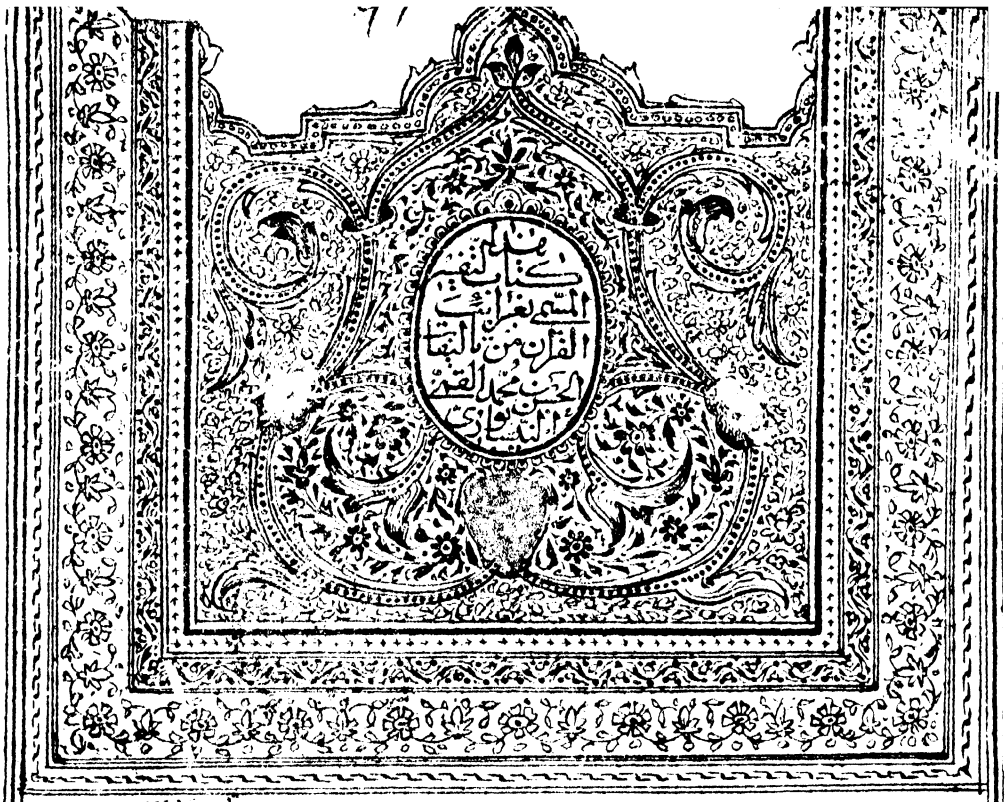

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم رغبتي في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم ناهيك بابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامال والسؤال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي
جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجعلني ذا نفس زينة وهمم عليّة لانكاد نستأنس الا بذكر حبه اعاف سفساف الامور
واخاف الموبقات الموجبات للثبور اميل عن خرف الدنيا وزبرجها واكبح النفس ان تحوم حول مخرجها وموجبها اني لنفسي اتهمها تحمل ان ارسلت
اسرسلت وان قدعت تقدعت فالاولى الله السلف الشر العيون الى الامان الفارغة الفانية والاضاليل الملهية عن البعاد الباقية نافت
قلوبهم الى الكرامات الدائمة واشتاقت رواحهم الى اللذات الحقيقيات وناهت همائمهم في بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في
دماء دموعة الغرة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى الاهوت فتوالشهوده ويقوا بوجوده ورضوا كلهم بقضا معبوده فتجلت
لهم الذات وانحلت عندهم المختلفات فطاب لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقربهم الى الله زلفى فما جرت السنتهم
الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى اسئلك اللهم بآلائك التوفيق لشكر ما اسبغت علي من نعمائك وتممت من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل
فيما من لا يوجد في جوده مشوب غرض ولا علة شرفني في الاخرة بالغرة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان لا مكاني ولا تعاقبني
بالتسيان لا انسا فحتى يكون لك الفضل في الاخرة والاولى والثنا في المبداء والمحدة في المعقبى وعوذ دعاء البائس الفقير المستعين المفتقر اليك
الجاء يضرع الذليل المهين المستكين المائل بين يديك ولا ملاذ الا بابك ولا ملجأ الا بكلمة عن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة
والسلام على عبدك المخصوصين بنا بيدك المنزهين عن الاناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية القائمين بامرك فمراتب الاولين والآخرين
الى على مدارج الانس الصائرين في ذراى معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط ارسال الصدر واسبد الفضيلة
وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعترف جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت
الافلاك مفتاح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري
نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن الذات يوجد
التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات لا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي بظهر النبي فهنالك من المنبي وهذا شان القرآن العظيم
والفرقان الكريم الذي خرست شقاشق المناطق فهم بقصيهم واوقرت مسامع الصاقع فيما بين اوجه وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيف
على المعارضة بالحرف والمعاناة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالله لله هاذم على الهاذر وقاطع الاقران على الاذبان وما قصر سورة من
القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله قال امم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات قال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة
فاضطرهم التعجيز الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل دليل على حقية التنزيل فصدق

المقدمات

المنزل عليه كيف كان وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخافقين جمعين قال تعالى في وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين الراسخين والفضلاء المحققين والائمة المتقنين في كل عصر جهين للخوض في تبيان آياته والكشف عن اسراره والتفحص عن غرائبه والاطلاع على غوائبه نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فنبا بنت مطامح افهامهم وتعاثيت سوابغ بنانهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتت مقاطر اقلامهم فمن بين وجيز واوجز ومطنب ومسهب ومقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والانباء فعم الحاظ شكر الله تعالى مساعيهم وضاعف عن ازراء القادح معاليهم منهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي كون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف هار بالجهل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مزج البحرين وجمع بين الامرين فاطراب الطالب باخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط السمين والزجاج واذ وفقني الله تعالى لتحرير القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من اول امري الى ان الصبى عنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخوان باخذ ما كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم ونجاح مطلوبهم ان جمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات منبيا على ما وقع لينا من نقل الاثبات واقوال الثقاة من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن ملأ بباعه وشعره مفتون كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الاشمل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الغني بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطايف والبحوث ما لا يحصى ومن الفوايد والفنون ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين وحاذ سياقه رامه واوردت حاصل كلامه وقربت مسالك اقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشئ من الفوايد واهمال لما يعد من اللطايف والعوايد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر النفاسير من اللطائف المهمات ورزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءات المعتبرة والوقوف المعللات للتفسير المشتمل على المباحث اللفظية والمعنوية مع اصلاح ما يجب صلاحه واتمام ما ينبغي تمامه من المسائل اودعت في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فاردت بذلك ان يصير هذا الكتاب جامعا لمهمات القرآن وغرائب الفرقان انما يكون بالامثال والمستشهد كلاهما ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض الجمانات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات وذكر طرفا من الاشارات المتعلقات والتاويلات المكافات والحكايات المليكات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والترغيب ايراد لفظ القرآن الكريم اولا مع ترجمة على وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ايراز المعقدات واظهار المضمرات وتاويل المشتبهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما يشكل فيه الغرات وتزل فيه المتوجون هنالك الى العثرات وقلما يعتني له الناشي اواقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل الرجيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يؤدي الى عرو مسالك اسالك ومبيد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والنكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسئول منه مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القرآن والقارئ واداب القراءة وجواز اختلاف القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابيطالب امير المؤمنين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظهره واحل حلاله ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه ان النبي ﷺ قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل يا رسول الله ﷺ اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله ﷺ قال من قرأ القرآن وعمل به البس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال انما مثل صاحب القرآن

مثل الابل المعلقة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن وعن عبد الله عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأ به الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن الحكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حضور رسول الله فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ثم قال اقرأنيها رسول الله فقلت كذبت فان رسول الله اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله هكذا انزلت ثم قال لي اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل همنا اسامیهم واسماء رواتهم ليتعين ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة ونبذة نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو بن العلاء البصري روى عنه مجاهد وسعيد بن جبير وعبيد بن ابي نجيح عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله ﷺ وتوفي سنة اربع وخمسين ومائة وروى عنه ثلثة ابو محمد عبد الله بن المبارك اليزيدي وروى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريقي الزعراء عبد الرحمن ابن عبدوس وابو الفتح فارس بن احمد بن صالح المعروف بابن بنت خلف وطريقي ابي نشيط هارون بن موسى بن شريك الاصبهاني حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريقي ابي الحرث محمد بن احمد الزيني وابو اسحق ابراهيم بن حماد طريقي ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي وروى ابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني وروى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريقي ابي علي الحسين بن الصواف وروى عباس بن فضل الانصاري وروى عنه ابو عمر ومحمد بن عمر بن روزبه طريقي ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شيبان بن خليفة وهو الاصح وايوب بن فرج طريقي اسحق ابن بشر عن ابي بشر وهو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي وروى عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة ازيد ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن العشم بن ناضح بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجلان لا غير روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابي كثير وروى عن البزي ابو ربيعة محمد بن اسحق بن ابي ربيعة طريقي الزينبي وهو الهاشمي وطريقي ابي بكر احمد بن محمد الطرسوسي وطريقي ابو القاسم الزيدي وطريقي ابي الحسن علي بن الزاغوني الفارسي وطريقي ابي بكر محمد بن عتبة بن عتبة الحصاد وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريقي الهاشمي عن البزي ومحمد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سعيون وداود بن شبل عن اسمعيل عبد الله عن ابي كثير وروى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريقي الهاشمي وطريقي النقاش وطريقي الخزاعي وطريقي ابن شنبوذ وابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير اربعة رجال لا غير روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابي كثير وروى عن القواس قنبل طريقي الزينبي طريقي ابي ربيعة طريقي ابي الفتح طريقي ابي عون الفاضي طريقي ابن شنبوذ وطريقي ابي العشم الزينبي نافع ابن نعيم المدني قراءة على ابي جعفر القارئ وعلى سبعين من التابعين علي بن عباد وابو هريرة علي بن كعب عن النبي ﷺ وتوفي سنة تسع وستين ومائة وروى عنه ثلثة ورش عثمان بن سعيد المصري وروى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسن علي بن بشار النحوي وابو جعفر احمد بن فرح الضرير ودرش اسمه عثمان بن سعيد المصري وروى عنه محمد بن الرحيم الاصفهاني طريقي ابي الحسن محمد بن احمد المروزي وابو قالون واسمه عيسى بن هيثاء النحوي وروى عنه ابو علي الحسن بن عباد الرازي طريقي ابي بكر احمد بن حماد المقرء وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم الزنبري طريقي ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هارون المروزي وطريقي ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجبزي وطريقي ابي القسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق النجاري طريقي ابي اسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريقي ابي بكر محمد بن محمد بن مرثد الهاشمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريقي الحسن بن العباس الرازي وطريقي ابي عون القاضي عبد الله عامر الحصيبي الشامي قراءة على القبرين شهاب المخزومي على عثمان بن غفار وعلى رسول الله ﷺ وتوفي سنة ثمان وعشرة ومائة وله اوتان وروى عنه رجاله وروى ابو محمد عبد الله بن احمد بن ذكوان الدمشقي ورجاله ابو بشر بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابي عامر وروى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريقي الحسن عبد الله المقرء وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريقي الحسن عبد الله ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مرين الحراز البغدادي المعروف بابن الاخضر عن ابي الاخضر عن ابي ذكوان هشام بن عمار وعن رجاله عن ابن عامر ورجاله ابو بشر بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث وروى عنه ابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريقي ابي الحسن احمد بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريقي ابي الحسن علي بن حماد الاردني وابو اسحق بن ابراهيم بن بولس الرازي عاصم بهدلة بن ابي النجود الاسدي قراءة على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله وقرأ ايضا على عبد الرحمن السلمي ومعلم الحسن على علي على رسول الله ﷺ وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة وروى عنه ابو عمر وحفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان شريك ابي بكر شعبة عياش وروى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريقي الحسنون بن الهيثم وطريقي احمد بن علي الخزاز وابو حفص عمر بن الصباح طريقي عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة عياش وروى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريقي جعفر بن غالب الشكري

الطوابيقي ع

احمد بن ح

الشيخ ابو الحسن علي بن خليفة بن سعد الاشعثي قال روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشيحي حدثنا ابن ابي زياد طريق يحيى بن محمد العليمي الانصاري عن الفضل النسبي روى عنه حيلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى القطيعي ومحمد بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي توفي سنة ست وخمسين ومائة وروى اربعتهم ابو اسحق ابراهيم بن ابي طريق ابي المستنير جابر بن عيسى بن سماعة الجوهري عبد الرحمن قلوفاء طريق ابي المستنير ايضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابراهيم بن نصير بن عبد الله المقرئ المعروف بالغير المقرئ وروى نصير بن عبد الله المقرئ وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي وروى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن هشام البزار طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو النصري وعلي بن نصير الطسوي قرأ على حمزة بن حبيب الزيات وقرأ على حمزة الكسائي وقرأ على حمزة بن حبيب الزيات وقرأ على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ست وثمانون سنة رواه ابو عبد الرحمن مقسم بن سهران الازادي روى عنه ابو الفرج محمد بن ابراهيم المقرئ طريق ابي العباس بن الوليد بن مزاحم وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق حماد بن ابي حماد الاعرج الاعرابي الاعرج ابو المنذر نصر بن يوسف النحوي وروى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالبندنيجي طريق ابي الحسين بن علي بن حماد الاعرج الاعرابي الاعرج ابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري طريق بكار بن احمد المقرئ ابو جعفر علي بن ابي نصير النحوي طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي ومحمد بن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب الطيب بن اسمعيل طريق ابي الحسن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهم وابو الزعراء طريق ابي بكر محمد وابو الحسن علي بن سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين والتيمة رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ المدني وفاز موضع من المدينة ورواته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن ميناء النحوي ابو سليم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قنبل بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي سنة خمس ومائتين وقرأ على المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر وهو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم النحوي ومحمد بن يزيد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سليم على حمزة وابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن زياد وطريق يسيع بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل فهذا هو المعول عليه من القرآن واما الشواذ فلا نعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير في خلال القرآن والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قرأها ابو عمر وابن كثير غير هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قرأها ابو جعفر وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وقد روى عن حمزة استعيذ بالله او نستعيذ بالله سحيرا او وصلها اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وسنشير الى هذا الاختلاف انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرأت القرآن الاية وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن مطعم ان النبي حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبريل على محمد قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرأت اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن ابن عيينة وقد روى عن حمزة وابن سيرين انهما كانا يستعيذان بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب ان يستعيذ عند ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي كرر بعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وذلك ان المخبر عنه مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها لان النبي واظب عليها وقال ثم فاتبعوه وكان الامر فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة وكان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب لانه الواجب لامره فهو واجب وعن ابن سيرين يجوز ايضا في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان حج المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية لحاقها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الاستفتاح وكان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما استحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكدت في الاولى لاعلام الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعاذ

بهو المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فهنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري الطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم الى البحث الى رحمة الله والتصق بفضله والتجأ في بالله للالتصاق كما ان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء البرء من الشيطان والتصق برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا يتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه تعالى ينتج عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويعينه على الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول العوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة هو ان يعلم العبد ان الله تعالى هو المطلع على كل المعلومات والاجازات يعلم حاله فيقع الاستعاذة عنها وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والاجازات يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مراده والام يكن صادقا في رغبته في الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عز الربوبية وذل العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلك الانسان وعجزه ان بعض الاكياس ربما بقي في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولو اعانه الله تعالى وارشده لم يتخلص بسببه فكره من اوحال الضلالات وايقظه كل واحد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر الكم من فضل مبذول في الدنيا فلا خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخزائن وايقاظ الله تعالى يشبه النوم عليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس المتعلقة بالملذات والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب فما من محال تعرف كل منها غير محب الشخص للعدد ويحصل من كل منها آلة في القلب يجره مراوح غالبة الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فالاخلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وايقاظه كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا قطعن امل كل من يؤمل غيري باياسي ولا لبسنه ثوب المذلة عند الناس ولا جنبنه من قربي ولا بعدنه من صلتي ولا جعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا واسطة لحصول الكمالات العاجلة للعبد ذلك انه تعالى فعال لما يريد يخالق لما يشاء كما لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه به واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فالامر بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب لا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى ان كان بقدر الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية المعتزلة لانها تحوم حولها اشرنا اليه ولا يذهبك على سر الاستعاذة مثل قوله تعالى اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك

البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة به لهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم فاعطى السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى اني عذت وربكم من كل متكبر لا يؤمن يوم الحساب فاعترف الله تعالى عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اجيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا وقال تعالى فاعوذ برب الناس فوقى شر الناسفاثا في العقد وكفى شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به انما هو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم الله فسيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ والتستعين بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى واما اذا تعلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله من الله كما قال اعوذ بك منك واذا فنى عن نفسه وفنى ايضا عن فنائه نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك

البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول اما اشتقاقه فمن شرط ان ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان البعيد عن الخير والرشاد وقد سمي كل متمرد من الانس والدابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فطفق يجر ذيله يضر ولا ينفع ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملك على هذا فقال ما حملني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه على هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه نونه في موضع اخر النون زائدة وجعل فعلان من شاط يشيط اذا بطل فما كان كل متمرد كالباطل في نفسه بمبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا والرجيم بمعناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تقام الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاتيان بما ورد في القرآن ان العبد اذا تعوذ بالله يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلعله تعالى يسمع وسوسة الشيطان ويعلم غرضه فيها وان الفاء ورد على فيها اعوذ فادفعها عني بفضلك والتكلم في الجن والشياطين منقول من الناس مرارا كثيرة لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا فالوجدان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه فان كان جسما لطيفا فالتركيب يقتضي كونه عند هبوب الريح العاصفة وانارة القمر ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينبئ بها المنجمون والمجربون وايضا لو جاز ان يكون جو

مجردا ويقدر ان يكون جسما كثيفا فلا يجوز ان يصرف الله تعالى عنا بصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالانسان فلا يكون الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهد منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل الشرع اذا ابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الجن اليه ويجاب عن هذا الوجه لا يخفى ان شيوع الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الى الكثيرين قال عز من قائل وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن ادم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز وزعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويكلهم مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة الكواكب السبعة ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الارض ثم ملائكة كرة الهواء ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة وهذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد يكون مشرفة وخيرة وهم من قبيل الملائكة وقد يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن مأخوذ من الاستتار عن العيون ومنه الجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كالبين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والشهوات ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الادمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فخلاف في ذلك قال ص في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني واما كيفية الوسوسة فروي ان عيسى ع دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني ادم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه قال ص لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات وقال ايضا ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية فمن الخواطر ما هو الاصل لسعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب شتات حظ الخواطر يضوابطها احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين وقلة العلم بصفات النفس خلاتها ومتابعة الهوى بحزم قواعد النفوس محب الدنيا وجاهها وما لها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك لمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا يتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى ذر ما اراده الا غواه كيف مكر وحقيقة الوسوسة راجعة الى ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل وترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكير والية الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعدة قبائح وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى والمقصود الاستعاذة لا يخصه دفع وسوسة الشيطان الا ان ذلك معظم المقاصد لهذا خص بالذكر في القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير لانه في الاستعاذة الاولى عوذ بالله عز وجل من الخلق الاحمق ومن الممكن الى الحاجة الشامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الافات ومن عرف نفسه بالقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف به بالجلال والكمال ومن عرف نقسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سراله الالتجاء الى قادر يدفع عنك الافات في قراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته فضل ما اعطي السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفراء من العدو العذ ربقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تظهر اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية فمن ذكر الله فيقول بسم الله الحامل العبد ما مور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مدد الملك بذكره بخمسة الاف من الملائكة مسومين فاذا حاربت العدو الباطن كان مدد الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر غلبته في الدين واليقين كما ما جوهين وان غلب العدو الباطن فكما مقتولين ومن قتل العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتل العدو الباطن كان طريدا وكل خلاص من شره الا بان يقول عوذ بالله من الشيطان الرجيم

الشاذ سئل الله تعالى يا عبد قلبك بيتي وجنوبستاني فلما لم تحل على بستانك بل انزلت معرفتي فيه لم اجعل عليك بستاني وانزلت فيها
فمنها الطيفة وحي ان الله نعم كانه يقول للعبد ان الذي انزلت ساكنا المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد انزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من بلوث او سوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم في حق ربوبيتك انه لمن الناصحين فلبيهما بعزتي
واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فاظنك بعافيته معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انما امرنا ان نختم بسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان مستدعيا حبيبه عند ذكر الاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخرج شيء من المكنات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم الرجيم صفته ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان يبقى في الحضرة الوفا من السنين ولم يقدر على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة اخلد
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله نعم عبدي انه نزاله وانت لا تزاله فينبغي ان يكون فيك فقط
بمن هو الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس فيعيد الاستعاذة من هذا الجنس
مهما لمحنس من عينا او غيره مرة ولو جعل للعهد لجاز ويدخل قرينه فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكيف
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعم ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعم بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم ان الله رحمن رحيم فاخذ من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو غائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعم رحيم غالب على امره فاذا صار العدو الغائب فارغ الجيد الغالب المقدمة الثالثة في مسائل منها المسئلة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفوق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ من ذلك الا من حيث المباشرة لقراءة اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القراءات غير متواتر كما لك وقالت نحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما انه
متواتر دون الاخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة والتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عند نا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل اية منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعم وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا تجاور البيت وكان احياء العرب يأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها وصفاها كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم وبما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن عيينة ان ابن
مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف هو كقول احدكم هلم وتعالوا واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب في ثوب وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعنى لقوله انه قد سمع ان اقرأ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعم مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا ما روي انه قال اقرؤا
القرآن على سبعة احرف ولم يجمعوا مغفرة بغذا وعذابا بمغفرة او جنة بنارا وبالعكس وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لا ان اوجه
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان تقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوجيه في مثل وتمت كلمة ربك كلمات
وكالذكير والتانيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل تعلمون لكن الشياطين بالتشديد نصبا بعدها وبالتخفيف ترفع وكاختلاف اللفظ في الجزم ونحوه تعلمون بالتاء والياء ونشرها بالزاي
والراء وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمز وتركه والادغام ونحوها فجائز ان حملها على المعاني والاحكام التي بنظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعد المحققون من قبل الاخبار الواردة في
مخالفة الفتحة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اذا تدبرت الوجوه التي تختلف فيها لغات العرب فجدها
على سبعة انحاء لا يزيد لا ينقص بجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالجوز بالسمك بالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوة الثالث التقديم والتاخير كقوله تعم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
في الحرف ونحوه ولو تبايس الذين امنوا لقلم تايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو الا من سلطانيه فلان في مريته الخامس اختلاف الحركات البناء نحو يحسبون
بفتح السين وكسرها الدماس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحا العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب فلذلك انزل الله باختلافها القرآن
منزلا فيه يعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعتد عليه تلك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما تقولون في القراءات التي يختلف فيها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف ليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاده ثم انها تتبعة على وجوه منها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحد القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابسين الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا القسم هو الذي لا يجوز القراءة به اذا تواتر نقله وثبت ان الشارع بيانه ليس بعذر ومن ذلك مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفرغ من الاستقصاء وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة وهو الطاء من الطهر وان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا الا بالنقل الظاهر وهو الذي في مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرأ بهما بلزم فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صح احد قراءتي الزنا بالزاي والباء من الزبا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما النقصان والتناقض فغير موجود في كتاب الله سواء النسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التناقض وعند ورود الناسخ يتبين ان المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل اية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم مفقول في ذلك كما ورد ونكل علمه الى الله تعالى وقيل ان هو الا بوم من بطنا كما يؤمن بظاهره وقوله ولكل حد ومطلع اي لكل طرف من حدود الله التي وقف عندها لك ولا تتعداه وزعم من ذهب الى ان منتهى ومبلغ سعد وما يؤتى منه يفهم كما هو او مفهوما من الثواب والعقاب عيانا في الاخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روى عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عمر عنده فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم القراء يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري لما رأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله فقال هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت الذي رأى عمر فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم

ـ ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت بها الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف وقال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف امر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق او يخرق قال زيد بن ثابت فرأيتنا نصحح امحد يقولون احسن الله عثمانا قال علي لو وليت لفعلت في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله وتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابو بكر فما فرغ احد ان يضع منه شيئا غيره لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤن بقرآت مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله واضحى الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت اية الا وقد امر رسول الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سور دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غيرهم لم يكونوا قد جمعوا لها بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورا نزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج في سرية ثم نزلت في وقت معين سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابة ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيتبع فيما يكتبه تقديم ما تاخر من هذا الوجه وقد كان من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير كتابة ومنهم من كان يكتبها في مواضع مختلفة من قراطيس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من حرص المسلمين في حفظ القرآن ولا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وجد المهاجرون والانصار اجادا فقرؤا في اطراف الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما ترى فخيف حينئذ ان يطرأ ما يضيع فامروا بجمعه في المصحف المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والاية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من الصحف يجمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وضمها وقد سمى ابا بكر الصديق الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب بمعناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى منوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل

في المقدمة

على عيسى والزبور للنزل على داود والقرآن بهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قرآن والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء الطهر للحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قرأت الماء في الحوض فالقرآن نزل شيئا بعد شئ فلما جمع بعضه الى بعض سمي قرآنا وقيل سمي قرآنا لانه جمع السور وضمها فان آية آن علينا جمعه وقرآنه اي تاليفه وضم بعضه الى بعض وقوله قراءة معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض وصلها لهمز القرآن وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمي بذلك لانه يقرن السور وما فيها بعضها الى بعض وقيل ان القرآن اسم موضوع على قال من غير اشتقاق كالتوراة والانجيل وسمي القرآن قرآنا لانه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز وهذا اكثر عليه القراءة والسورة اسم لآي جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت الطول المقدار الذي اذا قرأه القارئ قيل هذه سورة تامة ثم تفصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون السورة الا معروف المبتداء معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى يبلغ الى الارتفاع الذي يراد فالقرآن ايضا وضع اية الى جنب اية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لشرفها وعلوها والرفعة كان سور المدينة سمي سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اي شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الابانات كاحاطة سور المدينة بمساكنها وابنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو مثل جملة وجمل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من سأرت في الماء سؤرا اي فضلت ومنه بقية سؤر الدواب كلها اقطع من القرآن على حدة واما الاية فقد قال جمع من العلماء انها في القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف كل اية على التوقيف وغيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الاية المتقدمة عليها والمتاخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم باياتهم اي بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لابانتها كالخلوقين من قولهم فلان اية من الابانات واختلفت في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها اية فاستثقلوا التشديد فاسكنوا الفتحة التي قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل ايية قلبت اللام التي هي الفاء فتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائي اصلها ايية فعلة كرمكة وكان يلزمه الياءين الادغام على نحو دابة وخاصة ويكون مستثقلا فحذفوا احدى الياءين واما الكلمة فان تركيبها لم تفد القوة والشدة وتقاليبها هذه الحروف الثلثة بحسب اشتقاق الكبير سنة واحد مهمل والباقي معتبرة منها لم فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها لكم لان الكامل قوي من الناقص ومنها كم ومعنى الشدة في اللام واضح ومنها لمك منه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان وردها مكروها فيحصل نوع شدة عند وردها وايضا فانها تدل على شدة منابتها ومنها لم لك ملكت العجين اذا اعنفت عجنه ومنه ملاك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان الجاني خير من الاشر الساكت فاطلق الكلمة على الكلام المركب مجازا اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وافعال الله تعالى كلمات اما لانه حدث بقوله كن او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك عند النحويين الكلم لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسي يتعقبوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشارة يثبتون الكلام النفسي ويقولون ان الكلام في الفؤاد وانما جعل اللسان عليه دليلا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها فالقيم فليأتوا بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالنبقة واللبن والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكوران والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات الى الكلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلامة بمعنى التسليم قال تعالى ليسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس بتكليم الله موسى في وقت المناجاة واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمي حرفا لقلته ولذلك قيل حرف الشئ لطرفه لانه اخره والقليل منه والحرف ايضا لقراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك ان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر ينصر انصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل ومنه ظن معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منها هيئة تخصه لغرض لانشأ ولا لفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا احد الازمنة تحديد لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض لانشأ ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا احد الازمنة تحديد له وفي درجات الاقران ولو سلم احد الامرين فقط فذلك في اصل الوضع لا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان اخر مجازا المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول الثاني والمائين والطواسم والحواميم والمفصل والمئين وغيرها فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام

والاعراف

والاعراف والانفال مع التوبة لانها نزلت جميعا في مغازي رسول الله وكانت تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينها بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لان الانفال مع التوبة وهما المثاني فسبع سور تسلوا السبع الطول وهي سورة يونس واخرها سورة النحل لانها ثنت الطول اي قدنها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقيل الثاني في هذه الآية بالفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المأون فمن سبع اولها سورة بني اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المأون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد المئين يسمى المأون والمئون ما ولي الطول من المأون الى الحواميم بعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت عسق وان شئت قلت الطواسين قال الراجز دعوت بالطواسين التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الحم قال ابن عباس لكل شئ لبابا ولباب القرآن الحم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الحم وهو من اسماء الله تعالى بدليل قوله ان كنتم الليلة فعلوا تم لا يغفرن ويسمى الحواميم عروس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأ علي بن ابي طالب القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغ عرائس القرآن فلما بلغ راس العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنان لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال عز راسا من على عالي ثم قال اللهم اني اسئلك باخيات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقايق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار واجارتي من العذاب فاذا انا بقنبر قد خرج من بين يدي وقال يا امير المؤمنين ان هؤلاء الاعراب قد اجتمعوا بباب المسجد يريدون الدخول عليك فقال امرهم ان ادعوا لمن ختم القرآن واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السورة الى آخر القرآن لكثرة الفصل بينها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان في اولهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيهن اية كالف اية وافضل المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرأن هذه السورة في الجمعة والجمعة يقرأون بركبها الغاشية واما المشقشقتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبرآن من النفاق والشرك يقال قشقشه وشقشقه اذا برأه وشقشقني المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس قد ذهب الينا الاخلاص فيما المعوذات المقدمة السابقة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف هي في الاصل واحد وهو ان يكتب بالالف انما حذفت من باسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا فكثر استعمال الناس اياها في صدر الكتب فتاتي السهو عند كل مريد ان يكتبها فاضيفوا ان يجعل القاري معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيما اعلن في انفسهن من معروف وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم فيما اتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي النور في ما افضتم وفي الشعراء فيما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب بما موصولا لكل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب بما موصولا كل القرآن الا في الحج وانما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب بما موصولا لكل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القرآن الا ثلثة مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع البقرة بئسما يامركم به ايمانكم وفيها وبئسما وشروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب ايما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة ايما تولوا فثم وجه الله وفي الكهف ايما الاجلين وفي القصص ايما الاجلين وفي الاحزاب ايما ثقفوا وكتب ان موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول على الله الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجاء من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها اليوم ولختلف في يوسف لا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الامد غاية يرون وكتب كلما بسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوه والا تغفر لي وكتب لا موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربي وفي البلد ان لم يره احد وكتب في هود فان لم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب من موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة امن اسس بنيانه وفي الصافات انا ام من خلقنا وفي النجم ام من يأتي امنا وكتب ما واما موصولا الا في الرعد وانا نريك وكتب عما موصولا الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب لئن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف لئن لم نجعل لكم موعدا وفي المزمل ان لن نحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه وكتب كلما موصولا الا حيثما مواضع في النساء كلما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كلما دخلت امة وفي سبحا كلما خبت زدناهم سعيرا وفي الملك كلما القي فيها وفي نوح كلما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمن في موضع الذاريات بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله في الاعراف ان رحمت الله قريب في هود رحمة الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى اثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها رحمت ربك فانها بالتاء وكتب الغية بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان تعدوا نعمت الله وفي النحل ببعمت الله هم يكفرون وفيها ويعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمان في البحر ببعمت الله وفي الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور ببعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الاسبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأة عمران وفي يوسف امرأت العزيز تراود فتاها وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص قالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون وكتب سنة بالهاء كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنة الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصيت بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء كل القرآن الا في آل عمران فيجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنة نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على ما ينبئ منه بالتاء وكتب كلما في القرآن من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب فطرت وعصرت وفرعون للاب الاقرب والاخ للام وكتب حيث ما ثقفوا وذات المجد وهيهات وعسيتم ومريم ابنت عمران ورمضان كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف الا اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملوء الذين كفروا وفي النمل يا ايها الملوء افتوني يا ايها الملوء ايكم يا تيني فانها كتب بالواو وكتب في البقرة بسطة بالصاد وما سواه بالسين وكتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب آل عمران منهم تقية بالتاء وحيوتها نه بالالف وكتب في اول يوسف الزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القرآن قرانا بالف وكتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعراء سحار عليم بالالف بعد الحاء وكتب في الذاريات ساحر ومجنون بالالف وسواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعلون بنون واحدة واختلف في قوله انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي الحرف يوسف ننجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك ننجي المؤمنين بالنون واحدة وكتب جميع ما في القرآن من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بياءين وهو الاصل كتب محمد بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القرآن الا في النحل فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة وسماوات بالالف وما سوى ذلك كتب بهمزة بغير الف وكتب في اول سبا علم الغيب بغير الف وكتب في البقرة حظيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفي الاعراف خطيئتكم بحرفين بينهما وكتب ياء بغير ياء كل القرآن الا في النجم لقد راى من ايات ربه الكبرى ما كذب الفؤاد ما راى وكتب في يونس وما تغني الايات بالياء على الاصل وفي الرعد فانما نفس الندر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤتي الحكمة بالياء وفي النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب يمح الله الباطل بغير واو ويحق الله بالتاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كانا الا قوله الجبوا داعي الله وكتب ثمود بالالف في احد عشر موضعا في الفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل ما انت بهاد بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا بالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يا بنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وقد صحاب الايكة بالالف وفي الشعراء وصحاب ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الحجر تذو العظم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذو بالالف وكتب لربوا بواو بعدها الف كل القرآن الا قوله وما اتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدى الباب الذي الحنا جر بالياء وكتب لدا او ضعوا خلالكم ولا ايحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا امة مومنة بزيادة الف انقم وكتب به المؤمنون وابه الساحر وابه الثقلان بغير الف وما سواها فبا ايتها بالالف وكتب في الاحزاب لظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان امر هم ضلوا السبيل في الاحزاب وهو هذا السبيل وهما راسيت وكتب في الانسان قواريرا بالالف قواريرا من فضة بغير الف وكتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال في العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالتاء وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف اءن لنا لاجرا بالتاء وكتب في النمل اءنا لمخرجون بالتاء وكذلك في الصافات اءنا لتاركوا وما سواها فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة اءذا متنا بالتاء وفي سائر القرآن اء ذا بغير ياء وكتب في هود في موالنا ما نشا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام يا بنؤم لا بنؤم وفيها لهم شركؤا وفي حم عسق لهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابراهيم وقال الضعفؤا وفي الشعراء فما لنا من شفعاء وفيها ان يعلمه علموء وفي فاطر من عباده العلموء وفي الصافات فلهو البلوء وفي حم الاولى وما دعوء الكافرين وفي الدخان ما فيه يفرق كل امر حكيم المحنة الناس برؤا بالواو والالف وكتب جزاؤ بالواو والالف في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك ليس له ولد وليبوؤا ظلما لنبوئنهم وليتبوؤا اعلاها وتفتؤا تذكر وبدؤا خلقها ونبؤا الذين ونبؤا الخصم يلتؤا في الحليه ولا تضمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليسوءوا بها الهمزة المضمومة تترا على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف وحدها جاز وكتب الانعام من نبا المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس تلقاء نفسي في النحل وبناها في ذي القرى وفي طه ومن آناء الليل وفي عسق ومن وراء حجاب وكتب ما في القرآن من كل واو بالالف مثل دعاوهما وتلاها وطيها وطيها تسجى مما ذكر من ذوات الياء يكتب بالياء مثل هداك وفي قضى الحرفان هي مضامثل الاولين وجنات تجري

وان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس كل ما بين اجتمعنا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفاكرهة الجمع بين الياءين الا في قوله
تعالى يحيى وامات واحيى في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة وهشكوة وبالغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على
صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي والذين هم على صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم وفيها على
صلاتهم يحافظون وفي آرايت عن صلاتهم ساهون وكتب فالاياتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين وليسفعا بالناصية بالالف والوقف
عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني وكاتم بالياء وفي المائدة واخشون اليوم واخشون لابغيرياء وكتب في يوسف ومن يتقي وسبحان الله
بالياء وفي آل عمران ومن اتبعن وقل بغيرياء وكتب في سبحان الذي ان اخرتن بغيرياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما ينبغي
بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغيرياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغيرياء وفي النحل يوم نات كل نفس بالياء وفي الدخان يوم نامي الناء بالياء وفي الاعلى
وقد هدان بغيرياء وانني هدان بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغيرياء وفي هود فكيدني جميعا بالياء وفي هود فلا تسئلن بغيرياء وفي الكهف
فلا تسالني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغيرياء وفي القصص عسى ان يهدين سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف
واتبعون هذا بغيرياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان الذي وسورة الكهف فهو المهتد بغيرياء وفي ابرهيم
قل لعبادي الذين امنوا بالياء وفي الزمر ويبشر عباد الذين بغيرياء وكتب لاذي الذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء
بغيرواو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مسقوم ويخرج الخبأ وملاء الارض وذف باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجاء ونوادره ما كتب
في الفرقان وعتوا كبيرا بغيرالف في سبا والذين سعوا بغيرالف في الحشر والذين تبوؤا الدار بواو بين تخيرالف في المعصرات كنت ترابا بغير
الف في القلم بايكم المفتون بياءين وفي آل عمران افائن مات بالياء وفي الانبياء افان مت بغيرياء وكتب ثاقلتم ونحوه بالالف وكتب فلا ادراكم
ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه حسابيه مالية سلطانيه وزنى الفارعة ماهيه
باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه فجهد بهم اعتقاده ان الهاء فيها لبيان الحركة كما في اقتده وابقه ثم كتب في سورة النساء فما لهؤلاء القوم وفي الكهف
مال هذا الكتاب في الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا
منها ما هو انفع للقارئ واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد اعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب كما بلغنا عن تقدمنا
من السلف الصالحين والعلماء المتقنين ورووا انهم وجدوها في الامام كذلك وسترها في مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف
بعضها على خلاف بعض في الاصل واحدة لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين
على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزمه غيره وانتباه
المصحف في هجائه واجب من طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقارئ في معرفتها ان يكون على يقين ان الذي تتلوه
هو القرآن الذي انزل الله على نبيه محمد ﷺ لا اختلاف فيه من جهته من اتجهات وقد اجمعت من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا
الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه علم هذا العلم بدعوة النبي ﷺ ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك
الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها راينا الا نرى انا لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو فما دار ذلك الا على
وجه واحد وقراءة واحدة وكيف ذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغيرالف قبل الفاء وكما بعدها لا يدل على القراءتين والله تعالى اعلم المقدمة
الثامنة في اقسام الوقف وقطع الكلمة اسما وفعلا وحرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه مرخص
ضرورة فاللازم من الوقف ما الوصل طرفاه غير المراد وشنع الكلام كقوله تعالى ومآ هُم بِمُؤْمِنِينَ انا لو وصل بقوله يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ صار وا بجملة صفة
للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي
نظائره لك كثرة ويوصل المرء بها الى العثور على المطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وكالفعل المستانف
مع السين نحو سيقول السفهاء سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا نحو يَعْبُدُ مِمَّا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ لا يكون في شيء من ذلك الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاز فيه طرفا الوصل
والوقف مثل ما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه
مثل وَلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ بِٱلْءَاخِرَةِ لان الفاء في قوله فَلَا يُخَفَّفُ تعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم
الفعل على الاستيناف يرى للفصل مجمعا والمرخص ضرورة ما لا يستغنى عما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام
ولا يلزم الوصل والمعول ان ما بعد جملة مفهوم كقوله والسماء بناء لان قوله وَأَنزَلَ لا يستغنى عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى البعيد المذكور
قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الا في النطق وانما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواجبه مواقع كثيرة وسيتلى عليك وقع
الفصل والوصل في جميع القرآن مع علل ذلك مفصلة انشاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى تام وكاف وحسن لا مشاحة في الاصطلاح
بعد تحاية المعنى ويكفي علامة اللازم المطلق ط والجائز ج والمجوز قد ما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة لا يتدائرة صغيرة هكذا ٥ وانما الرمز
ايراد هذه الوقوف لقلة مسلكها وبلوغها في الغوص الى حيث قصر الدليل الغائص على معرفة الفصل والوصل لان ذلك بحسب الصناعة وكما بينا لا يرقبا

المعنى بالجزء وانفصالا عنه بالكل وبالبعض سنتلو عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيم ما يعرض منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر لا لذاته على تمام مسماه او على جزء مسماه وعلى الاول ان لزم الذهن من سماعه الاول لا للتطابق فدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف والحائط والثالث لالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه لانه على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا مثل في علما وما كان لجزء ولكن لا يدل جزءه على معنى اصلا نحو زيد ما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص انساني وما لجزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر للفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعددها اربعة اقسام الاول اللفظ واحد المدلول والثاني مقابله اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي ويقال للاسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود ومعدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالانسان او غير ممكن كالاول والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى واولى واشد كالوجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق اولى واولى واشد كالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك الناظر بالنسبة الى السامع انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى ومشترك نظرا الى اختلافها في ذلك ان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم تشترك في مفهوم كثيرون فهو الجزئي علم ان استغنى في الدلالة بحيث لا يحتاج الى منضم اليه من ضم قرينة الخطاب والتكلم وتقدم الذكر وكلام العهد او الاشارة مضمرا ان احتاج الى احد القرائن الثلاث الاول فمبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى او لقبا ان يكون لقبا اشتهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية وتختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب ام القرى ابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما لجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجة اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الخارجة واذا اطلق على فرد من افراد الخارجة نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالطابقة كلي طبيعي تجزيئاته هذه تمام الاقسام الاربعة وهو اللفظ واحد المعنى واحد الثاني من الاربعة مشابهته كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة للمعنى من مدلوله تدريجا بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ثم نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفا ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحا ان العرف الخاص شرعي والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان العكس ان نقله لعلاقة فرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلثتها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدا حتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانتج يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد المعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر وما دل لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائها المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلوة كما يحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى المحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص بمعنى عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير الظاهر يحتمل احتمالا مرجوحا والمجمل بتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتأويل مشتق من آل يؤول اي رجع في الاصطلاح كما يقدر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التأويل الفاسد التأويل الصحيح فان زيدا التأويل الصحيح فقد في الرسم بالمثل يصير راجحا اي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان رجع اصل رجع اليه كالوجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخرى وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه لعلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء على بيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك في هذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير وكاسنا عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل حرف الميزاب الجاري والحقيقة هو الماء لا الميزاب الجاري له ومنها الاطلاق اسم الحال على المحل مثل فاما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفيض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله ما كان لهم ان يلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالبدن واستعارته البدل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في اذانهم اي انامل

المقدمة

ومنها المعكس نحو وكل شيء هالك الا وجهه اى ذاته ومنها اسم المخلوق على المقيد كقوله فيا ليت كل ثنين بينها هو من الناس قبل الثنوة تلتقيان
اى قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت وصف الخلق على غضبان يريد المحكوم عليهم ظانهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اى وفقاء لرتقه ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كلهم
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اى ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم الآلة التي عليه مثل واجعل لي لسان صدق اى ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اى يقتات
بأكل كل ليلة اكافا اى ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اى كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الاخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتلك الله ما احسن ما قال يريد من الدعاء ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اى بابا من ابوابها وسيجئ ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا
او كراهة ان تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة نوع من نوعي التشبيه بذلك فان قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد فان
قلت زيد كالاسد في الجرأة فقد سميت مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد وعقليين كالعلم
اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والاخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس او الحيا للبيان كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشدة ملزوزة في قرن الخ والوهميان في قولك نطقت الحال بكذا هو ما شبه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجد بالنار
كالذلة والالم والشبع الجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وحينما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس في حسن الطلعة وبناهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط الزند بين الدراج
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقولهم شعر كان مثار النقع
فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه هيئة الحاصلة من
النقع لا سود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانبه وبهذا
تشبيه المركب بالمركب متى كان وجه التشبيه صفة غير حقيقية وكان منتزعا من عدة امور خصت باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الآية وسيجئ بقسميها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا استعمل على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا كقولك لمن يردد في امر يقدم
رجلا ويؤخر اخرى ذلك الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه تريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به لا على ذلك
باثبات للمشبه ما يخص المشبه به كما في قول الخمام سلمان تريد بها الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت الشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه اضيف
الاسد مع سد طريق المشبه بافراده في الذكر لان التشبيه بد له من طرفين مشبه به فاذا اقررت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد بزر في عرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما جاز هم على الدعوى ما دل بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم يقصد بصفات الاسد
كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعي التجريد والترشيح وانما يلحقها التجريد او الترشيح سميت مرشحة نحو شاور دت اسدا وافترس محصورا وقد
يجيء من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشترك فيه مطلقا من غير ان يقصد
ليشمل العموم باللفظ او المعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني بالحقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكان المعنى الكلي كالانسان شمولي بمعنى
انه يتحقق وقولنا على مسميات يخرج المثنى والجمع اذ لو قلنا على اشياء مخرجا بناء على انها ليست بشيء وقولنا باعتبار امر
اشترك فيه المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد المتكررات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر مشترك هو فيها بل
باعتبار وضع سم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد ضربت لتحدد
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا ملت فهذا محدد
العام والخاص بخلافه وهو ما دل على مسميات لا على ما فوقه من صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما الموصولان نحو الذي والتي والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدي وراسم الجنس المضاف وتعريف المعرف الجنس مثل غلامي والعلام والنكرة في سياق النفي او ما في
معناه نحو ما في الدار احد للتخصيص تعم العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص ايضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه بقيد انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين للمعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص لا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما لا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص احد اربعة اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاء الرجم لا وجوب الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ولا تقربوهن حتى يطهرن والمتصل هذا هو التخصيص بالمتصل قد يخص بالمنفصل وذلك اما العقل
كقولك الله خالق كل شيء واما الحس نحو وتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء خصص

الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويوصيكم الله في اولادكم خصصه قوله تعالى القائل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي وبلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد ما يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رايت جلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق هو لفظ دال على معنى شايع في جنسه فيخرج بهذا الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه ما بان يذكر الدال على الماهية بوصف زايد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه ومقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل لشتى كان او وصفا او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة وتقسيم اخر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت وكذبت حيث ذلك التركيب لامر خارج عن ان التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال العقل تواطوهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد والثاني ما لا يحتمل ذلك فيقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي مطلوبا بمكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي مطلوبا بذلك ثم ان كان طلب فعل فامرا ان كان طلب ترك فنهيا وان كان طلب فهم فاستفهاما وان كان طلب قبال فتأثيرا فيه امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالالتماس والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك بتقسيم اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما التخيير فمرادنا به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فمرادنا به ما جعله الشارع بوضعه ليلا على شئ كدلوك الشمس على وجوب الصلوة او سببا كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلي لان حكم شرعي كان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا لاقتضاء الامر او موافقة امر شرعي كالمتكلم بكلمتي الشهادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل التفسيرين سواء حكم الشارع بها او لا والصحة في المعاملات يرجع حكم عقلي الى ترتب اثر الشئ عليه بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مثلا على الاسباب والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وفسد البطلان والفساد على ما قلنا وكل حكم ثابت على خلاف الدليل العقلي فهو خصصه بحال الضرورة والقصر لفظ الفساد واجبا ومندوبا ومباحا والافضل يرد واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من ايرادها لان معلم كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه منها مجمل ومبين ومنسوخ فيها المنسوخ والناسخ باعتبار كان النسخ بيان انتهاء امد الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر وما ول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه تمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها والارباب تصوه هذه الاصطلاحات تذكرها في علم التفسير مهما والله اعلم

المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنظمة المسموعة اما كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم ايضا كل حادث متغير والتغير على الله تعالى وصفاته محال فزعم قوم ان الكلام المؤلف من الحروف الاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا والحاصلون تحدث عن قارئها شيئا بعد شئ فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزم القول بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في قلب هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا الشئ وجود في الاعيان ووجود في الاذهان وجود في العبارة ووجود في الكتابة فالقرآن وجوده عيني هو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يطرق اليه شئ من سمات النقص ووجوده ذهني كالحفاظ للقرآن ووجوده في العبارة وهو على لسان القارئ ووجوده كتابي وهو المثبت في المصاحف لا ريب ان القرآن من حيث هذه الوجوه الاخيرة حادث بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على ان كل صوت فانه يقوم بجسم لان كل حرف فانما يقدر عليه وجارحة بل العلم الضروري حاصل بان الشاهد فقط فالكلام للقديم كمال قديم نطق وسمع وبصر وآلة ولا جارحة كما انا ندرك وعلم من غيرنا قوى وعضو من غير ادراك كما ينبغي فالملوم من الانفس كلامه كتابه كتابه صوت في قوله فصل وحكمه عدل وصوره مفهوم ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية عشرة في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فمنها مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكاعوذ واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير قلنا ان التركيب المستلزم لمكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب

آل شرطان اوشرط وجزاء وان كانا مستعملة فاصل المختص في كل من المستعملا كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر الاشتقاق
الصغير فهل للفعل معنى اخر غير الايجاد وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شيء هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم
واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله الاه كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة
الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت في الثانية وقالوا بالله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من
المحذوفة فكانك قلت يا اله الا الله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشدوا الحلفة مرى رناح يمعها لاهم الاكبر ولو عدة هذه المسئلة
من اللغة جاز لانها غير قياسية والشيطان فعلان وفيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما اللغوي فاعوذ فعل فاعله
ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم محوسرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف
مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس يعلم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اخترت الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا لموافقة الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذ ابتدأ القاري بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القران ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى ليكون تخييلا
خطيا وترهيبا واما المعاني فان نقول انما اخترت المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى اني اعوذ كقولك يشرب الخطيب انما اريد
انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد اني على تجدد وهذا القول مني لحظة فلحظة ثابت مستمر واني
انما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اهم مقتضا لانها مرولانه لا يقوى الا بالانقطاع عن الغير والتبري عن سوى
المحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص لانه موافق لما ورد في القران فاستعذ بالله انما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضار له فذهن السامع
بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر وتشمل كل فرد منها فضرورة
وجود الحقيقة في اي فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكرت بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لاخلت
والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان نعوذ معناه التصوق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصوق رحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي
نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان
الجن فقط كان استعاذة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاسناد الخبري فاما من جهة التصور
واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم اعوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم
وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل
واللوازم نفسها فمن الامور العامة واما الثاني فان قولنا اعوذ لفظ خبر معناه اما دعاء اى اللهم عذني واما انشاء نحو بعت واشتريت
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسائل علم المعاني ايضا واما
ما يتعلق باصول الدين فان بسم الله تقتضي صفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار
والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه كيفية محسوسة بحيث ما سبق في المقدمة الثانية واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب او السنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا وانها
يقتضي الفور او يحتمل التراخي واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب في الصلوة ام لا وان استحب فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففي كل ركعة ام في
الاولى وحدها وسيرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاخوان فكالنكت التي ذكرناها في المقدمة الثانية وانها لا تكاد تحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفهيمه من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول في كل قراءة الاستعاذة والقران المشهور سبع كذا وكذا ورد
كل قارئ من هم وما مشاكل قراءته وفي اللغات واضعها من هو وكيف نشاءت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف انه معرفة احوال
الكلم التي ليست باعراب من جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحرف الصوت بل مقولة الكيف في اللحون التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبني
وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هو وكل منها يختص باي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ليختص كل صنف
ما يختص واصناف الفعل كم هي واصناف الحرف كم هو لا سيما حروف الجر وما معناها كل منها الى غير ذلك بالجملة فمن كل علم يوجد نكت مخصوصة بهذه
المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد القوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد انه محال شنيع اذ
يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وانه لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب
الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها او فسرها هو مما ثبت عنه كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف لا محالة
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو ورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على
سبيل التصدير من غير اشارة الى ما خذها الاصلية ودلائلها الكلية الاناد راجا زما لم يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب كل شيء بحسبه

الجزء الاول

المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد بينا الامور بها ايرادها في مواضعها اذا اقتضت النوبة اليها فلنشرع الان في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع اياتها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين القراءة مالك بالالف لهل يعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم ومخرج واحد مثل ودت طائفة وقريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبئهم بسبع سنابل بسبع بالادغام الصغير ومتحركا فاسكن للادغام مثل قتلهم وذهب بهم بهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو هل لكم ومن سقر ومنقوصا مثل ما كنت تراب ويغني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او ممنوعا قبله ساكن مثل البحر لنا كلوا والحجر لتركبوها الا في مواضع اربعة كاترتبع وقال بكل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو افأنت فذري فأنت تمتع وعن يعقوب بالجنسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاء هنا وفي جميع القرآن حمزة ويعقوب بالسين من كل القرآن وعن الكسائي باشمال السين من كل القرآن فالباقون بالصاد عليهم والهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كلهم جمع هزيل ابن كثير نافع غير ورش يضم الميم عند الالف لقطع فقط نحو انذرتهم او الوقوف العالمين لا نصال الصفة بالموصوف الرحيم لذلك الذين لعدم العاب الخاطب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا نصال البدل او الصفة الضالين ه التفسير روى عن جندب عن رسول الله ﷺ من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والمراد به ظاهر فاما ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل وطبع فيحمل القرآن على وفق هواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليصح له ما يريد ويتقرر عنده مذهبه فهذا لو لم يكن له ذلك الرأي وهواه لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك لكن يلتبس على خصمه فيريد ان يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل بها الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه فقد يكون له غرض صحيح فيطلب دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به لكن يدعو الى مجاهدة القلب الفاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ولا ينبغي ان يتعدى مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اسناده الى المبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم يكن عمياء وما ظلموا بها وانما ظلموا غيرهم انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق الى الآية ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان منتهى الغاية ان كان اول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل له الاعيان التي فسرها النبي ﷺ والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجوز ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخر هي رموز واطائف يجب كونها كشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا ان الحقيقة في عالم الحق هو الغيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله نموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفاصيل له الكشف والاظهار وكذلك سائر ما ذكرناه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والغريس كل ما يكشف عن وجوه الخوابج ومنه السرس لانه يكشف عن الريح والرفرف لانه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في سفائه واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في المقدمة العاشرة ومنها سبب النزول وقد ذكر القصص الاخبار وغيرها ونحن عند ان نورد بعد القرآن مع الرحمة القراءة ثم الوقوف منه ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير نذكره منه ما هو قريب الى الامكان والله المستعان

بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه والاحسن الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا فالمقدر يجب ان يكون خاصا او عاما فان قدرنا خاصا فاما ان يقدر متأخرا او متقدما فالمتأخر نحو بسم الله ابتدائي او اقرأ او اتلو والمتقدم نحو ابتدائي بسم الله او بسم الله اقرأ او اتلو وانما يجب ان يكون الخاص متأخرا لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدء به كما ان المسافر اذا ارتحل قال بسم الله

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح وناظره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للعرس بالرفاء والبنين اى بالرفاء اعرست وتقدير المحذوف متاخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله ادخل في التعظيم وكان ما هو اسبق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما رأينا شيئا الا ورأينا الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى يختص باسم الله عز وجل في الابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل فالتزم هناك او قع لانها اول سورة نزلت وكان الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ واجدا القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله القراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا بجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره قال ع وكل امرئ يولى الجميلا وبسم الله فهو بتر واما تعلق الدهن بالانبات في قولهم تنبت بالدهن اى متبركا باسم الله تم قرأ كما في قوله بالرفاء والبنين اى اعرست متلبسا بالرفاء وهذا اعرف واحسن لكونه ادخل في التعريض فلانه لا يعرف الا سر لم دربته يفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه احسن فلان جعل اسم الله كالآلة يخرج عن الادب لان الآلة من حيث انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه كيف يعظمونه ولذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره ثم استحسنوا تفخيم الكلام تعليما من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر وكان التفخيم مشعرا بالتعظيم ولان اللام المرققة تذكر طرف اللسان والغليظة تذكر كل اللسان فكان العدل فيه ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التوراة احبب ربك بكل قلبك والثاني فلان الثقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما ليعتدل اللام الغليظة حرفا آخر اكاعدال الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء طرف اللسان واطباق اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة مما يرجع الى كثرة وعدم الطرد الطاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء بسم الله ما اللذلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستخفوا كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصوت فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه لان بقاء لام التعريف في الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل لامها فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة الكتابية ولانه يشبه اللام في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهي ستة احرف وبقي بعد التصرف اربعة في اللفظ الف فلام فالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا في مقامات العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع الطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز في الخط ولو لم يكن كان الحاقه مثله لاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل اسمو بدليل تكبيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على يسمو تسموا فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعاومية فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حرك الساكن للاعراب سكن المتحرك لئلا عند ال فاجتيح الهمزة الوصل اذ كان ذا بهما ان يبتدأ بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال باسم الذي في كل سورة سمه قد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم السمة لان الاسم كالعلامة المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه وساما قال بعض المتكلمين منهم الاشعري ان الاسم غير المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي وقد يكون بالعكس كالخالق الذي لم توضع لها اسماء ولان الاسماء قد يكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله الحسنى والمسمى قد يكون شائعا كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لاستحالة ان يشكل الشخص على نفسه لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم صوت وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته يلزم من اللفظ بالاسم وجود الحلاوة في اللسان ومن اللفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه لانه ينبغي ان يقدر اللفظ الاسم مضافا كقولهم الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال الرجل لزينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى والاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا السابع وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحرف رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

والرقيقة حروفها

الحرف الاول

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وان تضمن الاسم مستقل بالافادة عن الفعل ودون العكس الا ظهر ان الاسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لكن الاولى مفردة والثانية مركبة وبشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا نعرف الذوات لا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب لسبق الذكر التامة فتسلم الاسماء الواقعة على المسميات لسعة دلها الاسم الواقع على بحسب صفات على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشئ بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشئ انه معلوم ومفهوم ومالك مملوك خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات كذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر كالعاجز عن شئ وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غيره تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان الله تعالى او المخلوقات الناسعة الله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم لا ذكر بعضهم ان حقيقة تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع الاسم بخصوص ذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا والله تعالى بكل شئ محيط فلا يدركه شئ مما دونه كما ينبغي الا ان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشئ الذي لا يدرك منه هذه الآثار واللوازم سمي لهذا اللفظ وانما ذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته على ما هو عليه فلا ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك الاسم اعظم الاسماء وذلك لان ذكر الشئ فرع لامكانه والذكر شرف المعلوم والمذكور فلا اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم خال ما يكون قد تجلى معناه لروحه فعاد الى ربه بما يفاد له عوالم الحسيات والروحانيات ثم اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لهذا قال النواب يا ذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية ومنهم من قال هو الحي القيوم لقوله تعالى الا في بركعبين قال لانه اعظم اثرا في كتاب الله فعالم الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال له لهذا العلم يا ابا المنذر ورد بان الحي هو الدال الفعال لهذا لبس بعظمة ولانه صفة واما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها سطية لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان رسول الله قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعن بريدة ان رسول الله سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث دال على الصفات مرتبة عليها هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرءة عن مشابهة التركيب بوجه من الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فقال الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود وهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشئ ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى اي شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شئ هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شئ غيره وكان الشئ عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى خالق كل شئ فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالقا لنفسه ومثله وهو على كل شئ قدير قلنا خصه العقل في الوليس من صفات المدح قلنا نعم هو خبر من كل شئ وان كان سائر الاشياء مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشئ بالحقيقة هو وما بقي الاشياء تشبيها مستعارة كوجود بها ومنها الموجود واطلق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قولنا لا اله الا الله اي لا الهة في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه تعالى لصدق على كل حقيقة انها ذات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب رضاته ومنها النفس قال الله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك قال كأنك اثنيت على نفسك اي على ذاتك حقيقتك ومنها الشخص غير من الله تعالى ومن اهل عبرته حرم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص اجب الحمد من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين لا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال الله نور السموات والارض قيل المراد انه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واذا ظهر واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ويخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار ونقدس وسبحانه تعالى ونتبرك بتمام التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو بحقها بقي الامور وهي ما ظهر بنفسها واظهر غيرها ومنها الصوت وقد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على

والكيفيات الوجود منع

الماهية ماذا الكيفية المغيرة وامامع والاظهار محمول فاظهار ومع

صورته

سورة الحمد

كونه خليفة

صورته فطبل معنا مخلوق ادم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفته ودمه وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعم رجلا كاملا دفعة واحدة وقيل في حديث اخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعم خلق ادم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعم نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظل لا تصور عن النور تاما بعكس كما ان رتبة ما دون الرسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع اي انا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ليستغني المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى اخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شئ في شئ اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك فالحجب الكل متناع عنه ومنها الجسم ولا يطلق عليه لا لجسمه فان اراد والجوهر المقابل للاعراض الثلثة فيحال للزوم التركيب الخ وان اراد ما معنى يطلق به ذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وشيئية الدال عليه لفظ اما وكلا باسر باطلاقها عليه اذ ربما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى حق لا شيء بهذا الاعتبار اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال باز اء الباطل والباطل يقال للعدم قال لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل اما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر حق اي صدق اما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبا صوب لاعتقاد المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة بمعنى طول المدة وفي الشرع يراد به اما ما لا اول له في الطرف الماضي كالابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمد واشتقاقه من السرد الموالي التعاقب بين اللام للسبب اللغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كل طرف في الامتداد الوهمي المنتهي بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني بها ما لا يحتمل الاجزاء والتعاقب لا بعاض وكل من هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانتم احوا شيء بهذا الاسم منها الدائم وهو الباقي ومنها واجب الوجود لذاته عما انه اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي معناه خود اي لذاته جاء بنفسه منها الكائن قال تعم وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي ص يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قد يمان منه يفيد حصول الشئ في نفسه منه ما يفيد حصول موصوف بشئ والاول تام باستناد الى ذلك الشئ وهي الناقصة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفا بزيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه على الله تعم القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود والكيفيات الوجود المفلا سفة والمعتزلة انكروا قيام هذه الصفات بذات الله تعم اشد انكارا لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته وكان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك الباري معان الجمع بين الوجوب لذاتي وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها على موجده ومحال ان يكون هو الله تعم لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها وكان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة في العلية وهو المطلوب ان يكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا تم انا ندل الفرق بين قولنا ذات الله تعم وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا ثبت ان الصفات الحقيقية فقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقا بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تتعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية عبارة عن النسب والاضافات في حقه تعم ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الادراك والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشئ بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان واجب الوجود تعم احوا شيء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو الافضل ولهذا مدح الله تعم نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس الكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الاثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين اخر ويتسلسل الاخرون قالوا كونه خالقا وارزقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر اعلى الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعم معلوما مذكورا مسبحا محمدا فيقال انها المسبح بكل لسان وبانها الممدوح عند كل انسان وبانها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد معناه المؤثر في الوجود الحدث ومنها خرلا نه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد المنشئ معناه بالشئ على التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منها الايجاد الدفعي وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف ما الخالق هو المقدر وانه في حق الله تعم يرجع

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة بمثال برأ العلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين منها الفاظ تدل على ايجاد شئ بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم سمى ضارا واذا خلق الحبوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا خصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا افل العطا سمى قابضا باسطا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحيما وانا المنع والاعطاء فى المال سمى قابضا باسطا واذا حصل فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما تعود الى الذات كقولنا انه ليس بجوهر ولا جسم ولا مكان ولا زمان ولا حال ولا محل ولا مفتقر الى شئ غيره تعالى فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى ضد العلم كنفى النوم لانا خذه سنة ولا نوم وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض لا يشغله شأن عن شأن واما راجع الى ضد القدرة ككونه منزها فى افعاله عن التعب لقضية ما سلف من انه لا يحتاج فى فعله الى الآلات وتقديم المادة والمدة انما امره اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امرنا الا كلمح البصر او هو اقرب وانه لا ينتهى قدرته ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الاضداد والاصداد ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله والى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سبق جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين لا تضر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسمائه السلوب القدوس السلام لانه منزه وسالم من نقائص الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير ولا يغلبه شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب المسئ مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافة منها القادر والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوى وذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وهو بكل شئ عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلام الاسماء ولم يرد علام ان كان يفيد المبالغة لان لك بناء ويلتمه وجماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة كان من صفة الكلام والحكيم تدارك العلم من حيث تدارك حقايق الاشياء كما هى وتباينه بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ما يبدل القول لدى وما من صدق من الله قيلا انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وعد الله حقا فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا مما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى صادر بها افعالهم يحبهم ويحبونه والله يحب المطهرين يريد ليصال الخير لهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المغتر له صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع لبصر انني معكما اسمع واراى انه هو السميع البصير لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذى يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحيث لا يدانى ظاهر بحسب الجلية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على غير الله واما الله فسيأتى انه اسم علم وقد بقى منها اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا وهو الى فى المتحيز استبعادا منه ان يكون موجودا خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استحالة المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى اخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولاربابه الاطلاق العظم فى الكبر على الله تعالى بحسب الجنس والمقدار كالاجسام محال للزوم البعض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما ان يراد به مثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى فنكل معانيها الى مراد الله تعالى واما ان نستمد دراكها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل انبئنى انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب فناء

ارادته فى ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا يصح هذا الامر العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلى ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى فوق ذلك الدرجة وربما غائب حاضر كما قيل يا غائبا حاضرا فى فؤادى سلام على الغائب الحاضر وفى لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو فكانه يقول للتراب فى رب الارباب فما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادى نداء الغائبين ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعم نفى محض لانه لو حصل فى الوجود شىء ان لكان قوله هو صادقا انما جميعا فلا يتعين المنادى ومنها اذا قال يا هو من فكانه يتذكر رحمته ويطلب حضرته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو فكانه استغرق فى بحر العرفان وفنى عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول جل حضرتك ان امدحك فاثنى عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك وهو صفات الجلال لا جسم لا جوهر لا عرض لا فى المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهى صفات الاكرام لكونه مرتبا للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثنى عليك الا بهويتك من حيث هى ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى كسيط محض لا طريق له تصور الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كالمدهوش ذاهل عن كل ما يوصف به ما لكلا لاعن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالى لا اله الا الله توحيد للعوام ولا هو لا توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شىء هالك وقوله لا هو الا وجهه ومن جملة الاذكار الشريفة يا هو ومنا من لا هو ويا ازل يا ابد يا دهر يا ديهو ويا من هو الحى الذى لا يموت ولقد لقنى بعض المشايخ من الذكر يا هو ويا من هو لا اله الا هو من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله الثانى فناء فى الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا فى بقية مباحث الاسماء اختلفوا فى ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستفتيا فلولا ان اسماءه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل الجواز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد فى القرآن ولا فى الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان التوقيف فى غير اللغة العربية لا يوجب عدمه فى العربية وبان الله تعالى قال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك وانما فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات ومنع الاول وجوز الثانى واعلم انه قد ورد فى القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة فى حق الله تعالى منها الاستهزاء لله بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قال لا تتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون ويمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب يعرض عند الجهل بسبب الشىء ومنها التكبر الجبار والمتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب الوجه عند فعل شىء قبيح والقانون فى تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال امور يوجد معها فى البداية وآثار يصدر منها فى النهاية مثال الغضب حالة تحصل فى القلب عند غليان دم سخونة مزاجية لاجل الانتقام الحاصل بها الى المغضوب عليه فالغضب فى حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل فى النهاية لا على الامر الكائن فى البداية وقس على هذا قبل ان لله تعالى بعة الا فى اسم منها فى القرآن ولا اخبار ولا الف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور وقد يقال الف فى اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب اسلوب الاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى فى تدبير العالم العلوى والعالم السفلى اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة منه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد الاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى فى كتب العزائم اذكارا غير معلومة ولا مفهومة وقد يكون كتابها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار وردت قلت لك نشان ان تلك الكلمات ان لم تدل على شىء اصلا لم تفد وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الاذكار المعلومة ادخل فى التاثير من قراءة تلك المجهولات الا ان اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذب بهم الى عالم القدس بلوح عليهم آثار الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق انوار ولهذا فقد ورد فى القرآن والقرآن يلعن نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأ تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهم منها شيئا وحصلت عنده اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتاثر نفوسهم ويؤثر هذا وجه مناسب فى قراءة الروحى المجهول واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكى ان الشيخ ابا النجيب السهروردى كان ظاهر الرد بالاربعين مرة بعد ظاهرى صلحة ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رأه عديم التاثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تاثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان ابواب المكاشفات ينفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تغلب النفوس على حوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث لا تستولى على الانسان ولهذا قال ان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهذا تمام البحث

عن مطلق الاسماء الثاني عشر في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل وسيبويه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ ليس بمشتق
البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه فح لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا
للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما لو قال اشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الملك لا يدخل بذلك في
الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انا نقول الله الرحمن الرحيم العالم القادر
ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم قراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله ليس
لاجل انه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة
والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين بالاشتقاق قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي
الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له
في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا ايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعيين الذات
المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان
الاله مشتق من أله بالفتح إلاهة اى عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من لفظ الله تعالى معبودا لكونه مستحقا ومستاهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد فان اللائق
بحال المعبود ان لا يقدر عليه احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا وابدا وان كل من سواه
عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل
من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض غيره في الثواب رهبة من العقاب حتى لو فرض
حصول المرغوب وفقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان يقطع النظر عن عبادة تعالى ليه وقيل اشتقاقه من أله الى فلان اى سكنت اليه
فالنفوس لا تسكن الا اليه تعالى والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وقيل من الوله وهو ذهاب
العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى ارتفع عن مشابهة الممكنات
ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير لان العقل وقف بين اقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتعاليه
عن ضبط وهم وحس فلم يبق الا ان يقر بالوجود الكامل مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال وههنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من
لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا
وافولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل الطمأنينة بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات
التابعة له فربما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لها حجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محجب والخلق محجوب
وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد يتضرعون اليه في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شأن الناقصين
اما الكاملون فهو جليسهم وانيسهم ابدا شكا بعض المريدين كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا
فقيل فكيف ما رأينا منك قال القلب كالحديد الينه بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب
القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم ازل حتى يخرج منه حب غير الله ويدخل فيه حب الله فلما خلت عرصة القلب عن غيره وقويت فيه
محبته سقطت عن بحر عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب فبقي في تلك القطرة وفني عن الكل فلم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله
وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من امر نزل به فالهه اى اجاره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف اسم الله
انك اذا لم تلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له ما في السموات وما
في الارض وان تركت اللام الباقية بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب
اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله تعالى
اعلم الثالث عشر فيما يتعلق بالرحمن الرحيم الرحمن فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها او ارادة
الخير لاهله واصلها الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا
على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان
للتعارض فللصرف جهة وهو ان الاصل في الاسماء الصرف وللمنع الصرف جهة وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم
قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتأكيد الاتباع كقولهم جاد مجد قال طرفة متى ادن منه ينأ عني ويبعد فال تعالى الرحمن
اشد مبالغة استدلالا بالزيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء الرحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وربما يقال رحمن

تحرير التوجيه

الدنيا

الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفي الآخرة اختصت بالمؤمنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى
والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن من حيث لا يسمى بها الا الله تعالى لانه من الصفات الغالبة كالديان والعبوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع
الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية المخلوق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق
الضحاك الرحمن بأهل السماء حيث سكنهم السموات وعلمهم الطاعات وانطق ألسنتهم بأنواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطامع
واللذات والرحيم بالاهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال ان الله
تعالى مائة رحمة وانما انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها
عباده يوم القيمة قال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسئل غضب قال ثم من لم يسئل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء
وهي العطايا وجوابا والرحيم بالآلاء وهي ما عرف وروي الرحمن بالانقاذ من النار وكتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم
الجنان ادخلوها بسلام امنين الرحمن الرحيم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر وتسميته مسيلمة الكذاب الرحمن يعني
منه وانقطاع مرتبهما عن الله تعالى ولذلك قرنهما الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لا يسمى به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم
العادة التدريج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم واصولها واوائلها والرحيم يتناول ما دق منها ولطف واعلم ان الاشياء
التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون نافعا وضروريا معا وذلك في الدنيا كالنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الآخرة
معرفة الله فانها اذا زالت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكسائر العلوم
والمعارف في الآخرة الثالث ان يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والاعدام والناظر لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر
في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شائبة
غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عقابه ويدل على ان الرحمن
يندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله و
ذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذه الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو غاية الطلب وقضى الامر قبل انما
وقع ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون الالف لان الالف تطاول وترفع والباء انكسرت قط ومن تواضع لله رفعه الله ولما نشر موسى عليه السلام واشتد وجع
بطنه فشكا الى الله فذله على عنب في المفازة فاكله فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك العنب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته
اولا فاشتفيت به واكلت ثانيا فضرني فقال لانك في المرة الاولى انما تعبدني الى الكلأ فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلأ فازداد
المرض فما علمت ان الدنيا كلها سقم يا موسى الثالثة رابعة رابعة لله في الليلة الصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق وهاون عند
شيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب في فعل ذلك ثلث مرات فتوضأ من زاوية البيت فوضع القماش وخرج فان نام الحب
فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما لحضرة عيسى عليه السلام فمر عليه جبل فاراد منه مصطلح الغنم والذئب
قال الراعي من حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصدا وامر ان يكتب بسم الله على باب الخارج فلما ادعى
وارسل الله اليه موسى ودعى فلم ير اثر الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال اقتحم يا موسى لعلك تريد اهلاكه كانت تنظر الى كفره وانا انظر
الى كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على باب الخارج صار امانا من الهلاك وان كان كافرا فاذا رأى تلك الكلمة على سوداء قلبه من اول
عمره الى آخره كيف يكون حاله السادسة سمى نفسه حمانا ورحيما فكيف لا يرحم روي ان سائلا وقف على باب فنع فسئل شيئا فاعطى قليلا فجاء
بقماش واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل قال انا ان يجعل الباب لا يعطيا بالعطية والعطية لا تفد بالباب انتهى كما اثبت في اول كتابك صفة رحمتك
فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة اذا اشترى العبد شيئا من الدواب امتناع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول
عبدك عدو لك الشيطان فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا تبعد عن
اخوانك روي ان النبي ﷺ دفع خاتمه الى ابي بكر وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش قال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ فكتب النقاش
ذلك فاتى ابو بكر بذلك الخاتم الى النبي ﷺ فرأى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزيادة فقال يا رسول الله ﷺ
ما رضيت ان وفق سمك من اسم الله فما رضي الله ان يفرق بيني وبين اسمك التاسعة ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها فجعل يا
هذه الكلمة فاطنك بمن واظب على الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة العاشرة الناس ثلثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال
للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطاء الرحمن المجاوز عن الذنوب الاولياء الرحيم الساتر للعيوب الاغنياء اعلم منك ما لو
ابوك الغار فاك ولو علمت المرأة بحقك ولو علمت الامة كاد منك على الفراء ولو علم الجار لسعى في تحلية الدار الله يوجب كي يتاله ولي الذين امنوا
الرحمن يستدعي انا الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقبض رحمته وكان بالمؤمنين رحيما هو رحيم بهم في نسئة مواضع في
القبر حسرته والقيمة ظلمانه ومخافته والصراط ومخافة النار ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشرة من على بقيرواني ملتكة العذاب

الجزء الاول

يعذبون منها فلما انصرف من حاجته ومر بالقبر فراى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتجعب من ذلك ودعى الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه كان هذا العبد عاصيا وكان قد امرأة حبلى فولدت ودرج ولده حتى كبر فسلمه الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحيت من عبدى ان اعذب بنارى فى بطن الارض ولده يذكر اسمى على ظهر الارض الثانية عشرة كتب غارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل فى كفنه فقيل له فى ذلك فقال اقول يوم القيمة انى بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملنى بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم لسبعة عشر حرفا والزبانية لسبعة عشر فالله تعالى يدفع بايتهم هذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات فى خمس ساعات فبقى تسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشرة حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة فى تلك التسع عشرة الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب فى اولها بسم الله الرحمن الرحيم وانما كتبت السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر ولا يقال بسم الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة فى الصلوة المفروضة دل ذلك على انه قد حاف للقتال والعذاب فى اخلاقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال تعالى من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين عن على رضى الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلعم اول ما انزلت هذه الاية على ادم قال امن ذريتى من العذاب ما داموا على قرائتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فقال اللهم هو كلمة الخنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الآن ثم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى على نبينا محمد صلعم ثم على امتى يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم فى الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابى هريرة انه صلعم قال لنا يا هريرة اذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فاحفظك حتى تفرغ واذا اغتسلت هلك فقل بسم الله فاحفظك الرحمن الرحيم

يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتبت له الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعضائه ان كان له عقب حتى لا يبقى عنهم احد يا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله الحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل حظوة واذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال استرها بين اعين الجن وعورات بنى ادم اذا ستر عن اعينهم ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن فى الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين النار فى العقبى شعر كانت لى بمصر اهيوا ... مفترقا ان استجمعت دانت لى النفس فما يعصينى من كنت احبه ... وصرت مولى الورى طرا بما ولهت مولاى تركت الناس دونهم ... شغلا بذكراه ما بى عنهم شغلا : هذا تمام الكلام فى تفسير البسملة واما تفسيرها تحقيقا فهو فى مسائل الاولى فى اسماء هذه السورة وهى كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها فى المصاحف وفى التعليم وفى القراءة فى الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كلهى فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثانى سورة الحمد لان فيها الحمد الثالث ام الكتاب ام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الاصول والمعاد واثبات القضا والقدر والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السما وتيسر وذلك هو الثنا على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب الحكما شفا والشاهد اثبات اولان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ولانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهى ام القرى اشرف البلدان او اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والدم الضرب الرابع السبع الثانى لانها سبع ايات ولانها تثنى فى كل صلوة اولان نصفها ثنا العبد للرب ونصفها الاخر عطا الرب للعبد ولانها مستثناة لهذه الامة قال ص والذى نفسى بيده ما انزلت فى التوراة ولا الانجيل ولا فى الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثانى والقرآن العظيم ولانها الثنية ومدح الله تعالى الخامس الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزى بعضها فى الصلوة السادس الكافية قال تمام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء والشافية لقوله ص فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن نزولا كالاساس للبناء ولانها تشتمل على اساس العبادات والمطالب قال الشعبى سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا عملت واشكلت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبى ص حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين يعنى الفاتحة وهو من باب تسمية الشئ بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة فى الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها ادب السؤال كما قال فابدا بالثنا ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادى عشر سورة الكنز لما روى عن على بن ابيطالب انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش لهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأ واحما فى قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن ابن عباس فى حديث ابى بن كعب انها من اول ما نزل بالقرآن وانها السبع المثانى وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى ولا يسعنا القول بان رسول الله صلعم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب تدجع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها الم تثبت فى المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد فيها التاء وهو الثبور ولا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم هو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزى يوم

الرحمن الرحيم

الا ان الذين كفروا سيصيبهم

كلا يخزى الله

سورة الحمد

لا يجري الله النبي والذين معه والزاء وهو الزفير والزفوم والشين وهو الشهيق فلهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو الظمأ كلا إنها لظى نزاعة وهو الفراق ويوم يقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات النار وعدلها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت ابرهيم تحسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وما يدل على ان اصله النصب ان قولنا اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للعهد ايضا لجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لان لو سلم كون اللام للاستغراق لم يدخل فيه ما ليس بمستحق نحو الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه هو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام الرب المالك يقال ربه يربه فهو رب ومصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مما يختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار رجع الى ربه وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير اعني والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين ليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى غروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به الابد لوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء والجزاء والشكر تدان ندان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء الظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضي نحو فادى اصحابك كالغراب وسيبويه الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وح لا تعمل فيكون الاضافة حقيقة وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخففة ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم وملك ومالك وجرا ياضمير منفصل لا محل الكاف الخطاب نحو اياك وهو مذهب الاخفش والمحققين والمحققين حكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياها الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهيا ك بقلب الهمزة هاء قال الطفيل فهيا لك والامر الذي ان تراجعنه وارد مضاف عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا ايما هو لمن التفت في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد يستنظم لك سلك التقرير فائدة في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبدا اي مذلل ثوب معبد اي غاية الصفاقة وقوة النسج هذا يتعدى باللام وبالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه الاصل فيه اما الزوم او منه نا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدى للذي يسافي الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم وسلط مسطر ومصبطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم فائدته التوكيد كقولك هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت نوع بجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة واما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف ولقد مر تحقيق اللئيم يستبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا غث للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول ما لم يسم فاعله وأصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دقيق ناعم اي بالغ في قدره وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون النعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب طلاقة على الخالق وعلى الخالق واصل الضلال العنبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق قال ائذا ضللنا في الارض وغيرهما بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر نقول انا زيدا غير ضارب وكما تقول انا زيدا ضارب بعضه ما قرئ وغير الضالين وقرأ ابو السمال غير بالجر صفة لقوله الذين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد لا جان ولمين مدا وقصرا معناه استجرت كما ان رويدا معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله معناه فعل الثالث في المباحث اللفظية البحث الاول جمع الاكثرون ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه ثبت بالتواتر طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه وايضا قام الصلوة معناه الصلوة التي لا بد منها الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ الفاتحة

بنيها فيجب الايهم روى في ذلك اخبارا كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان رجلا دخل المسجد فصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله ص اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب ثم اقرأ ما شاء الله ان يقرأ فظاهر الامر يقتضي الوجوب ولا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا المواظبة على قراءة الفاتحة يوجب الهجران سائر السور ولذلك غير جائز لانه لو كان واجبا ثبت لها واجبة مجهة ايجابا فاقرؤا ما تيسر من القرآن فلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرأ اية واحدة كهف مثل الم او حم والطور هل هما سان او يوسف ومحمد هل هو قراءة ثلث اباث او اية واحدة طويلة مثل اية الدين البحث الثاني قرأ المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب حسن نا بعد ذلك لا يجهرها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤها على انها اية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روى عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله ص فاتحة الكتاب فقال بسم الله الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله ص قال فاتحة الكتاب سبع اباث ولا هن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله ص الا اخبرك باية لم تنزل على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال ابى شئ تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي ص قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله قال اقل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي بن ابيطالب ع انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص صلوته وباسناده عن ابن عباس قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاي السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابي هريرة ان النبي ص قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل الى غير ذلك من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين وايضا قال ابي بن كعب اعظم اية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي ص ومعلوم انها ليست اية تامة في قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فيكون اية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت الكتاب قرأت التسمية فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حقنا بما ايضا اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال اذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نزيد مكررا بخط القرآن فوجب ان تعتقد كونه من القرآن سئل فبأي الاء ربكما تكذبان ويل يومئذ للمكذبين بحجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الحديث قال لم يذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فالترجيح للمثبت لانا في قولا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلث اباث ونصف للعبد ثلث ونصف من اباث نستعين الى اخر السورة اما اذا قلنا التسمية اية صار القسم الاول اربع اباث ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية اية ولا نعد انعمت عليهم هذا اولى رعاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ويخيل الكلام بجعله منقطعا عما قبله كان ظاهرا في هذا ولا بد بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام فالوارد غالبا ان النبي ص كان يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرأ فلان الحمد لله الذي خلق السموات والارض فانا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتأكيد غير عزيز في القرآن فان قيل اذا عد التسمية اية من كل سورة على ظاهر روى عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله صفا وجه ما روى عن ابي هريرة ان النبي ص قال في سورة الملك هي ثلاثون اية وفي الكوثر هي ثلاث اباث مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان بعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين اية تامة وفي قوله آخر دعوتهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد ما هو خاصة الكوثر ثلث اباث فان التسمية كالشئ المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية اية من الفاتحة ويسرها في كل ركعة ابو حنيفة ليست باية ويسرها مالك لا ينبغي ان يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي اية ويجهرها لانها بعد ما ثبت كونها من

الفاتحة والقرآن لا يفصل فرق بينهما وبين باقي الفاتحة حتى يسن بعدها ويجهر بذلك أيضا نعم ثناء على الله وذكره فوجب أن يكون الإعلان به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأيضا الإخفاء والسر إنما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم من مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن أبي طالب يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت هذا منه تواترا ومن اقتدى بمن يصل فقد اهتدى اللهم ارحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي في السنن الكبير عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى عن الشافعي بإسناده أن معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معوية سرقت من الصلوة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود ثم أنه أعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلو كان الجهر بالتسمية كان مقررا عند كل الصحابة لم يجسر على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن أنس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولا يجهر أحد منهم بسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله بن المغفل أنه قال سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني إياك والحدث في الإسلام فقد صليت خلف أبي بكر فما سمعته قط يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصليت خلف عثمان فما سمعته يقول بسم الله الرحمن الرحيم فإذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب أن حديث أنس معارض بما يروى عنه أيضا أن معوية لما ترك التسمية في الصلوة أنكر عليه المهاجرون والأنصار وروى أيضا أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروى أيضا أنه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وروى الإسرار به فقال لا أدري هذه المسئلة وإذا اضطربت الرواية عنه وجب الرجوع إلى سائر الدلائل وأيضا فيها أخبار أخر وهي أن عليا كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان نهى أمته بالغوا في المنع من الجهر سعيا في إبطال آثار علي بن أبي طالب فلعل الناس خافوا منهم فلهذا أضيفت هذه الرواية إليهم والمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مقدم أولي الأحلام والنهى والأكابر والعلماء على غيرهم ولا شك أن عليا وابن عباس وابن عمر كانوا أحالا بين وابن المغفل وأقرب موقعا وأتم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فهذا الدليل سمعا ورواية المثبت أولى من النافي وأيضا الدلائل العقلية معاضدة ويؤيدها عمل علي بن أبي طالب كما مر البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض أهل الظاهر حتى قالوا لو تركها عمدا أو سهوا لم يصح صلوته لنا قوله تعالى فتوضأ كما أمر الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا أن الجنب والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الصيد عند إرسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا أو ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن يكره تركها عامدا مكروه عند أبي حنيفة أن ترك التسمية عامدا يحل وان نسي حل والعلماء أجمعوا على أنه يستحب لا يشرع في عمل من الأعمال الآتية بقول بسم الله فإذا نام قال بسم الله وإذا قام من المقام قال بسم الله وإذا أكل أو شرب قال بسم الله وإذا أعطى وأخذ قال بسم الله ويستحب للغائط إذا أخذ ثوبه أن يقول بسم الله وهذا أول حوائج الدنيا وإذا أمات وأدخل القبر قيل بسم الله وهذا آخر حوائج الدنيا وإذا قام من القبر قال بسم الله وإذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لا يكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة إنها كافية في حق القادر والعاجز وقال أبو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر لنا أنه ورد النقل عن الخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلوة إلا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز قيام الترجمة بأي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا روى عن عبد الله مسعود أنه كان يعلم رجلا أن شجرة الزقوم طعام الأثيم والرجل لا يحسنه فقال طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن أن يقرأ مكان العليم الحكيم بأن يضع إحدى الرحمة مكان آية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا أنه لعنى ذرا لأولين إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ولا ريب أن القرآن بهذا اللفظ ما كان في الزبر الأولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا إن القصص والمواعظ موجودة لا بالنظم بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك أن يكون الموجود فيها قرآنا فإن النظم المخرج من مجاهيد القرآن والكلام دون الجزء مستحيل البحث السادس الشافعي في القول الجديد قال يجب قراءة الفاتحة على المقتدي سواء سر الإمام بالقراءة أو جهر بها وفي القديم يجب إن جهر وهو قول مالك وأحمد وأبو حنيفة يكره القراءة خلف الإمام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلوة إلا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وأيضا روى الترمذي في جامعه عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال إني أراكم تقرؤن خلف إمامكم قلنا أي والله قال لا تفعلوا على الإمام القرآن فإنه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن أيضا وقراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوز أن تركها عند القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وبأحاديث بين ضعفها البيهقي في كتابه نحن نقول إما القرآن مخصوص بغير الفاتحة لما مر أو الأخبار وهي خاصة صحيحة لا أن الترجيح معنا لأن الاشتغال بقراءة القرآن من أعظم الطاعات ولأنه لا حوط البحث السابع مذهب الشافعي أن الفاتحة واجبة في كل ركعة فإن تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وجميع الصحابة لأنه كان يقرأها في كل ركعة ولأنه قال للأعرابي الذي علمه الصلوة وكذا فافعل في كل ركعة وعن أبي سعيد الخدري أنه قال أمرنا

وصليت خلف رجال فمنهم من قال الحمد لله رب العالمين

ان تقرأ فاتحة الكتاب في كل فريضة كانت ونافلة وانها القراءة في كل ركعة احوط فيجب لمصيرها وقبل غير واجبة اصلا وقيل يجب في كل صلوة
ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت
الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل يجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان
القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد ما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب
فترك القراءة فقيل له تركت القراءة فقال كيف كان الركوع والسجود فالوا فلا بأس مما رض بما روى الشعبي عن انه اعاد الصلوة وانه
لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب عاية الترتيب في قراءة الفاتحة وما وقع غير مرتب غير محسوب البحث العاشر انه
يحفظ شيأ من الفاتحة قرأ بعدها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم عاد وقفه بعد ها فان لم يعلم قراءة ما لم يفرغ منه البحث الحادي
عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لانه مجمع المتواتر كيف
يليق بحاله الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح اللفظي غير الحمد الذي للمولوة والنعوت
الثمينة والحمد اللفظي قد يكون فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعد الحمد انما يكون مقطوعا بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال
احتوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مكلف قال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على ان المخصص نوع
من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على ان المخصص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك او الى غيرك ولابد
ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب
والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله الحمد لله اليس الشكر
ما شكر الله عبد الم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على مولينها اسبغ لها وادل على مكانها من الاعتقاد والجوارح
لخفاء عمل القلب فانه في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد يقتضي الذم ولهذا قيل الشعر
يؤكل بالذم والمدح يقتضي الهجاء والشكر يقتضي الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه فاعلا مختارا لجاز
ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم
تعطني فانا مادح لك اصلي لكل العالمين وانت مستحق الحمد العظيم ولا ان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على
ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف بعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير
متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي نهايته اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديم ما جرى الثانية اولى قال
احمد الله فاد كون ذلك القائل على جهده واذا قال الحمد لله فاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء
لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق الله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي في اللام الجارة وذلك بسبب كثرة ابلائه وانواع الائه على عبيده
وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط وهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن
حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل انعم على كل الخلائق كان قبل اللسان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ
والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق ذلك الداعية في ذلك
المنعم بعد ان خلق وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق سوى الله على عجزه
فانه يطلب بذل الكمال غرضا اما نوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد
في الحقيقة واما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا محمود
الا الله تم الثالث انما يقال الحمد لله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه ذلك ان
نعم الله على العباد غير محصورة وان نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكن
القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد الشكر وخلق في قلبه داعية ذلك فالكل راجع الى الطوائف والصوارف وكل ذلك انعام من الله فو
يتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد الشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره ليسا وفي نعمة الله فقد
اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه ملك سواه قد الخلق على الاتيان به ولم يقدروا
ونقل ان داود قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال الان يا داود لما علمت عجزك عن شكري
فقد شكرتني حين علمت ذلك وطافت الرابعة عن النبي اذا انعم الله على عبد فقال الحمد لله يقول الله تعالى نظرا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له
فاعطاه ما لا يتناهى له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه الحامد الى اتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين
الله تم وكذا المحامد التي سيذكرونها الى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

والى الابد الآبدين

والى ابد الآبدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد المؤبد غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق من كل محدث حادث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من انك لا زال الى الابد الآباد وانا اشهد الهنا بارسالها لك انك لا شريك لاحد فيها معك الشادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فالسبب في وقوع البداية بالتحميد دون التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد وكلا الامرين محسنا اليهم لا ان كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات لا ان كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا ان كان غنيا في ذاته والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والآفات السابعة الحمد لله تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو قضاء حق النعم لقوله ان شكرتم لازيدنكم ولهذا قيل الاول يتلقى عنك ابواب النيران والثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجاب بذكره في موضعها ليحصل المقصود قال السرمدي منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحرق كاريز الناس فاخبر واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه الثامنة اول ما يلمع الروح الى سرة ادم عطس فقال الحمد لله رب العالمين واخر عطسة اهل الجنة الحمد لله رب العالمين فمفتاح العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهدان يكون اول اعمالك واخرها مقرونا بكلمة واحدة العاشرة لا يحسن عندنا ان يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيب بطيعة وان كان عاقا كان اثم اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل مما لو قدر قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تقبحون للعبد فعلا واختيارا وتستحقون الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار انما مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فذلك يدل على ان استحقاق الحمد انما يكون ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاق هذا الحمد عرفنا من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات انها انما يؤتى بها لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى يتجازى بها ولكنها التحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى جميع الحضرة في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه وليس الكلام هاهنا وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي كالسموات وما يندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض وما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه من القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة الثلج والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باحباسها وانواعها القسم الثالث الارواح حيوانية وهي اما سفلية حيزة او تشبه كالشياطين واما علوية منعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو والآن كل ما هو موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو الله العالمين من حيث انه يربيها حال استقرارها فالكل من كان اكثر خاطرا باحوال الموجودات وتقلباتها كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية الربي قسمان احدهما ان يربي لمربح عليه والثاني ان يربي ليربح عليه والاول شان المخلوقين الذين غرضهم من التربية ما ثواب او ثناء او تقصد الخير وذلك في الثاني داب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا على الله كلا لا ربح عليكم وكيف لا يربحون عليه انه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في حوله تربية لسبب التربية والا فاضة احتمال يحب المحبين في الدعاء ويريد في الخلوكيف يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كونه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما ويرى كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو العالمين اذ معنا
ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده ولمعنى آخر فالاول يدل على المبدأ والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيهم
كانه لبيك عبدك سؤالك وهو الله الواحد الاحد الصمد الذي لم تحدد كان لك ربا باعبده فما اضعف ايها الانسان قل لهم يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
خلقت لعبادة الملك الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الا ترى بنيان الرب يلعنون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاول
الرحمن لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية تذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لهم يسير فقال اطلب لهم اليسير من الرجل اليسير فكان
الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني لعظمته عليك سؤالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني
شيء تعلق به ملح فذلك الثالثة الوالد اذا اهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة هو في الحقيقة عذاب من لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان
وعكسه حال من يقطع يده تأديبها لاكله بها او يضرب لتعليم حرفة او التأديب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من عقوبة وبلية فهو في الحقيقة رحمة
ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقايق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها رحمة ويجعله اية للناس ورحمة
منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا يخوف بسببه من عذاب النار الخامسة
وصف النبي بالرحمة فكان من حقه ان لا يكون رسولا فان اللهم هدى قومي فانهم لا يعلمون وانا يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فدعني وعبيدي فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية
والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فيستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال كنت
ضيفا لبعض القوم وقدم المائدة فنزل غراب في سلب غيفا فاتبعته بتعجب فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب
ذلك الرغيف على وجهه فرحمني وقال اني لبثت في البيت ذو قعدة فعلمت ان اخرج من البيت فاشتهيت الى شط النيل فرايت عقربا تجوبا
بعد فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليها فحمل الضفدع بسيخ فركب السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع
الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعند افعى تهدده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل
العقرب الى الافعى فلدغها والافعى لدغته وماتا معا وفي رواية العرباض بن سارية في غيبته وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض
يكون كانه قطعة لحم فيبعث امه تنفر حتى اذا خرج الى ليشة عاد اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي بها وروي ان فتى قرب فاتته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال اما كان يصلي
اما يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتوا بامه في عجوزة عوراء فقال النبي هل اعفوت عنه فقالت لا اعفو
لانه قتل عيني فقال هاتوا بالحطب لنار فقالت وما تصنع بالنار فقال احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت
عفوت الله ثم لك لشعة اشعر النار اصغر منه سنتين فاين رحمة الام من ذلك نطق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله لكنه انها كانت
رحيمة فقط ولم تجز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبده واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال الله ان الله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة بها عباده يوم القيمة
ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكم من بلاغات ورحمته بلا نهاية السابعة في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى في قضية العدالة
الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف وكل يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل
يوم القيمة وينظر في احوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة البتة فيا تيه النداء فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله
الست علما كنت نائما تقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فغفلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلانا خذ لي سنة من
نومك فانسيت ذلك فيجاء برجل ويوزن حسناته فيا تيه نداء ثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره وعلم
ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي على الاحراز عنها وروي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله
اتدرون ما المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

ما له هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثانى فى القيمة يكون ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد اذا دون حالا من الرعية فيكون القهر فى المالكية اكثر منه فى الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه غاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل فى الامر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة تحقيق من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا علام شانا ايضا قل اعوذ برب الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك قصر والمالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الامام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب صومه بخلاف لو نوى فى النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فظاهر المالك اذا رجى من قراءة الملك العدل والانصاف وان يعجل الانسان منه راحة سائر الناس والمالك يطلب لعبد منه الكسوة والطعام التربية والانعام يا عبادى كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت قطمع فيه الملك لا يخاف من العسكر الا اذا كان قوى سوى وبتركه من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبد غالجه وان ضعف اغاثه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه فى الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفى الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا فلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فان اعطاك عشر اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يوم يدع الداع الى شىء نكر قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله فى الارض الكفر سبب لخراب العالم كما ان السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة يتضمن صلاح المعاش والمعاد ومن عمل صالحا من ذكر او انثى فهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ونجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفى الظلم ثارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقعا من ان يكون عادلا ومن هنا يظهر البركة فى العالم وترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى انوشيروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واشتد عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال الصبى فيه اعطنى رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه وعجب لذلك فعزم على ان يأخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبى اعطنى رمانة اخرى فاعطاه فوجد ما اخرج منها ماء قليلا فشربه فوجده حامضا فقال ايها الصبى لم صار الرمان هكذا فقال الصبى فاعلم ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشيروان فى قلبه تاب فقال الصبى اعطنى رمانة اخرى فعصرها فوجد ما اطيب من الاولى فقال للصبى لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما سمع انوشيروان مقالة الصبى مطابقة لاحواله فى قلبه تاب بالكلية فكان من ميامن عدله ان ورثه حفيده قول نبينا ما ولدت فى امتى من الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على جمع اجزاء بدنه بعد تفرقها وقادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص باحد غيره فاذا كان الحشر والنشور لا بد منه لا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ فى كل الممكنات فلا مالك يوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغى ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قائل غدا كان اقرارا ولو قال انا قائل غدا كان تهديدا ظنا لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به فى الحكمة جعل وجوده كالشىء القائم فى الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيمته زال السؤال الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا يوم الدين قلنا خلق الجنة وخلق اهلها لها وخلق النار وخلق اهلها لها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغى لكل صفة مظهرا وكيف يسئل عما يفعل لان كل سؤال يقلب فهو باطل الخامسة فى هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله رب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرتك فانا الرحيم ثم جازيتك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة فى التسمية ومرة فى السورة اخرى دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتر بها ويظن ان الذنب غير قابل للتوبة بشديد العقاب السادسة الحمد المدح والتعظيم فما بين الناس انما يكون لكونه كاملا فى ذاته وان لم يكن له احسان اليك انما يكون بحسنا اليك انما رجاء وطمعا فى المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون الكامل الذاتى فاحمدونى فانى انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المتوقع فانا الرحمن الرحيم وان

عشرة اولاد زاد واحد ملكه

الرقة ٢

ملك الناس ٣

اظلم من الاول فصير ما

لعل

ملك فخلق الكل

كنز تعظمون وصبر عن العفاف فانما مالك يوم الدين الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا سواك والحاكم منه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقك من قبل ولم تك شيئا وكان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه خرجكم مربطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم سمعه وابصره وعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو الله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من اول عمره الى آخره مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب حسن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فامور هو متعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا تثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى مفادا واجوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكاملة واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نحرم بانها لا تليق بها نوجب طرح المشكوك والاخذ بالمتيقن فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف في علو كانت العبودية بها اشرف واما ولما كان الله تعالى اشرف الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني بمكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من اصاغر هذين الاستادين صارع بعض مزهو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاد فانصرع في الحال فما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى اولا مما يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه رواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الآلام عند حضوره ومعشوقه وايضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بداءة العبادة تقبل بليس قلبه ان المعبود من هو يلقى في نفسه ساوس اما اذا عرف هذا الترتيب قال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته مقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عند اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه (لفظا) يثني عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال انا اظهرت عبوديتي لجعلناك امة ان ابرهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك عبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني احد من عبيدك ولارباب الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال صلوة الفذ تزيد على صلوة الجماعة خمسا وعشرين درجة من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل الثوم والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر من ذلك بلاء للمسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد عبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمن اخوه فكان الله تعالى اثنى على نفسه بقوله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفع من ذلك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك بالسعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل ومنها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد الكل وليس له ان يقبل البعض ويرد البعض وفي تلك الصفقة الرابحة من عرف فوائد العبادة طال له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال المحبوب لذاته والكمال الحقيقي للانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله وبهذا اندفع ورد من كثرة صلوته بالليل حتى جعل الليل نهارا وايضا التكليف اما انه عرض الامانة على الارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لوقوعها من الجانب الآخر قال بعض الصحابة تبا لي اعرابي باب المسجد فترك عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الرجل ديناك فاين امانتك فاين فقال الراوي فرددنا عجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع بلده وسلم الناقة اليه فقال لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وكون من الخلوق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن بعضهم انه سقط من السقف فتقوس النار وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله ﷺ انه حين يشرع في الصلوة كانوا يعدون من صدره انين كانين الرجل ومن اشتغل بالعبادة فليقطع تعلقاته فان اكبر تعلقاته وقطعهن ايديهن فاذا كان بحال البشر مثل هذا التاثير فكيف بجلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الموحد العابد وقد يحدث الحرة والدهش عنده وقد يظن بعض السالكين فكيف فاكان الوقوف بين يدي رب العالمين وعلم ان العبادة لها ثلث درجات

لا تمزا

لانه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه او مختصا باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشريفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه معبودا له والالهية يوجب العزة والهيبة والعبودية يقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودية وايها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته لحكم
ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا
تجاهد فاجاب العابد بان الذي على هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال
الله بم اجاب العابد فقال انت اعلم فاوحى الله تعالى اليه قل له قبلنا طاعتك بسبب اثبات نقيك والتحقيق ان اثبات
نسبة الامكان هو تضاري محض والعابدين ولهذا مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين ولهذا عاقبة حال المتقربين
قال الغزالي ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين والمراد
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عليسى بذلك وما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني عبدك لها كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فان العبودية اشرف من الرسالة فان العبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق والعبودية ينفرد عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال شرف التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله لم يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل محدث
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد الطالب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويلح عليه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالمقام تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فانهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فلم تستعين بي ان الاستعانة على العمل انما تجوز
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فاقول
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن ويتصور قبل الاستعانة مطلقة يتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل حيث قيد نمرود بيده ورجليه ورماه الى المنجنيق
جبريل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فان قيل سئل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقبل بجملته
عن الشغل وبداء على الجلوس لسانه عن القراءة والذكر فكما ان الله قال اذا ذكرني بزاوية سلاما على ابراهيم فكذلك يقول له نار جهنم جزء يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك
نعبد تورث التعجب بالعبادة فاردف بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكلها مذكورة في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فان قال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونها احاطة وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه
ربا رحمانا وربيا والحوالة معاده يدل على انه مالك يوم الدين ولما معرفة العبودية قبلها اياك نعبد كلها اياك نستعين في جميع المطالب اذا
تم الوفاء بالعهد من ترتب عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الفاظ الاوراد السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلما جرى اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول احمدني واقربت
باني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت فاعبدني فصار المجاب بالبعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقال اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحمد والمجد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكا للامر كله في العاقبة يتعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب بذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك نا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب دال على ان العبادة لذلك المتميز الذي لا تحق العبادة الا له وان منها
ان الدعاء بالخصوص اولى كما ان الشاكي في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء حيث ناظموا الفظ رب هب لي حكما رب نجني علما رب اني
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اصله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل
تلك القربة ونقله الى مقام الخصوص من مقام الغيبة الثانية اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ آلهته من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح عزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

ادرج

ذلك

باء

والجواب كانه يقول شرعت في العبادة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس فاذا عرفت ذلك فنقول قد ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب ثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله والله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة على هذا على الذكر الشهود سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل الحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في محل يغشى عليه وكان محل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط فهما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذمومان والوسط وهو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله ومذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسيط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والشجاعة والحلم والتواضع والحمية والرئاسة ومن توسط استعمال القوة النطقية الزكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن والتعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والانقياد والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقيادا وامرهم ونواهيهم والتقوى بكمال هذه المعاني وتتمتها وكان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكما التوسط في النظفة ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخيرين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك بل يفضي الى تحصيل سعادة الدارين ايضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى توصل او فاتره وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود في اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته ووجوده ورحمته وحكمته وسائر صفاته فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفيته دلالة على تلك صفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكليته قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده كما ذبح الخليل ولو امر ان يلقى نفسه في البحر امتثل كموسى ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى منصب ائتم كموسى مع الخضر وعن جابر قال شكونا الى الرسول صلعم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال الله قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد من عظم لحمه وعصبه فما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول لاصحاب يدعونه الى طريق الاعداء الى طريق ثمان والشيطان الثالث وكذا القول في شهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف القصور قصير الخطى عسير فاهدنا هذا الطريق السوي الذي لا زيغ به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقته فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا ترها قال وما هي قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا اسديت الى نعمة ركبت مركب الشكر واذا ألمّ بي القضاء ركبت مركب الرضاء واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب فانا الراجل وقيل الصراط المستقيم هو الاسلام وليس المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه ليس لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم زل ومهتد ضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير الصراط الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره ووروده انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء للتلميذ اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وان تنساني في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوقع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه ارجى لانه لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومرة ثالثة ورد في السنة ان يصلي على النبي صلعم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي صلعم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة وايضا قال ادعوا الله باسنة ما عصيتموه بها قال يا رسول الله ومن اين لنا ذلك

الاثنين

البصر قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين وايانا نعبد لعبادة
الجميع اياك نستعين لاستعانة الكل فالجرم ضم لما طلب الحمد به طلبها للكل كما طلب الكل فنداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت
عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الاخرة
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد ما سواه معوج
بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا مهما الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط
المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر بقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما
بكم من نعمة فمن الله والواصل من جهة غير الله بتوسط الله يضاف اليه لانه الخالق لذلك النعم ولذلك المنعم ولداعيته ذلك الانعام فيه والنعم
المواصلة البسابطا عاشا فهي من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب واذاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عد ذلك بقوله هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان له على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون
الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة
لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا يتمتع حالا قال من كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلوا
على ما ظن وانما هو كمن اول شخصا حلوا لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه ولاستعمال الحلوا لا كما ينبغي فسد مزاج الحلوا
ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه لهذا قال تعالى نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم
امواتا فاحياكم فكل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال قليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعم دينية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دينوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والاخرة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وكما ان اصل النعم الدينوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله
فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك يتناول القبول يتناول الثواب للمؤمن لا يبقى مخلدا
في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم النعام لم يبعد ان يشمله الانعام الا بالانتقام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن
ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصل الى غيره وكل ما يليق بحكمته وكرمه خلاف ذلك ثم ما شمله
قسم الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى ان المغضوب عليهم من الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في
كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان
الغضب لزم البعد الطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فقد
عن المقصود ومتى فاتت الجهات كان الذي يشتهونه الشياطين في الارض حيرانا له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذ دعوني فالوا بعد ان
بجاهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
الذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا واليهود والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ثالث ثلثة روى عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال غير
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤ بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن
سواء السبيل فهذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من الطرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم كذلك جعلناكم
امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس خير الامور اوسطها الثانية لا تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او عقد
يخالف الخوف الا كان ضالا لقوله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال ولو صح للاقتداء به الاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من
يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء و
الخوف كما قال تعالى لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الاية يدل على الخوف فيكمل

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة بمجموعه وفيه مناهج المنهج الاول لنسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة لنسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والا كان كسراب بقيعة وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عن من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما مقالات ومحادثات وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله ثم وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا والحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب وليلة المعراج تتفرع على هذه المراتب جميع مراتب الدعاء والتضرع والمهارة ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا تضمن النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وتاليها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ورفع الاصر الثقل يوجب الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا انا الجاء بالكلية الى توكلنا في جميع امورنا عليك يا مالك نعبدك ياك نستعين وسادسها وارحمنا لا ناطلبنا الهداية صراطك المستقيم وسابعها اشتمولنا فانصرنا على الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد في عالم الارواح عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر الصمد على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى الصمد كما نزلت في عهد الرسول من الصمد الى المظهر فلهذا السبب قال الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي تأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية لزوم ولهذا قال الشهوة انما تكون الغضب اعظم منها والغضب انما تكون الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه بالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه وينتج الشهوة الحرص والبخل وينتج الغضب الكبر والبدعة ومحصل من اجتماع هذه الست في بني ادم خصلة سابعة هي الحسد وهو غاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشتمال على الذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وان ابليس لعنه الله باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس فلو كنت لها ما جهلت فلما دخل فقال فرعون انا ربكم في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد بالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلثة في المنهيات دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والاثنان السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة فبازاء ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى ازرايته من اتخذ الهه هواه ويا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا ازعى في ملكي لا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية ولو لا يته للرحمن الملك يوم الدين من عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يطغيها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لا يجد ويجله فيما وجد ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه من قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وتعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلاجرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة يتعلق بالرب الملك والاله وبسببها ختم القرآن عليها كما قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى الاثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد الثناء والتعظيم رب العالمين بدل على ان ذلك لا له واحد ان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم الا سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بخلق الارض كثيرا قال ابرهيم وفي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب اٰبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها

دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم ذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان
فالاحق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فهي كان احدها الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني عدم اتيانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا
الصراط المستقيم الى اخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار اولياء الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بين
القوم لا يشفي لهم جليهم قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التعجب
عن مرافقة اصحاب البدع واهواء واجب عن المرء لا سيما عن تشبه وتسلى عن ترتيبه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فهذا المنهج
الرابع قال حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لاجل عبادة هذا المعبود فما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء
بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم وانا جليس من ذكرني فان
ذكري اياه في نفسه كرتين ذكري اياه في نفسه ان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام اشرف يدعوه الله تعالى في القرآن كثيرا يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكرا واذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الاسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك فاخر كلام في الجنة واخر دعوتهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فلهذا قال الله تعالى فيما رواه عنه عبدي شهادة من الله تعالى
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في تربية العالم وتربيتها العالمين انه اقر بقلبه لسانه بكرمه واحسانه وقوله اذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدل على ان الاله الكامل المنزه عن اشراك النظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا
شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم ومن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف اعجز الظالم في ظلمه لعلمه القادر اما لعلمه بل لهم موعد لن يخلفوا امن وفيه موعدا وقوله اذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال
الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل يعم سره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر ليس الا بهداية الله تعالى واشار
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس باب الفاتحة تسبيح والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه و
السجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى انك اذا قلت في بسم الله انما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وابتدأ التسمية لبداية
الامور كل امر دنيوي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوسل
الى المحمود والى الخلوق المنعم والنعمة لانه الثناء على الله بسبب انعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كالحال في
الركوع متوسطة بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فيحتاج في قوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد اذا خضع الى
ما دون الركوع فالله الرحمن يرده الى الانتصاب لهذا قال اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

السجدة الاولى لانه على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين متناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة الاولى واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى آخرها للقعود لان العبد لما ان بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والتقريب بين يديه روح يقرأ التحيات كما ان محمدا صلعم قرأها في معراجه فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس ثابت الفاتحة سبع اعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور اياك الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج التابع ان كان لرسول الله صلعم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهذا تمام ثلث قوسين مثلا صقين فخطاهما محمد صلعم فكان قاب قوسين وقوله اوادنى اشارة الى فناء في نفسه المراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بالجسم الجسماني وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة ببناء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فكذا يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا صلعم لما عرج واراد ان يرجع قال رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم فاراد ان يحفظ صحابته ان يحفظ مثل الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وليجتنب عنده وملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى خير وشر وصدق وكذب حق وباطل وعلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فليتنظر فيها مختارا فاذا استحكم الرفيق تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلعم فلم يفارقه في الدنيا والقبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كالب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا والاخرة قال لهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تظهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه ووجهه سره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل في الابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان صفات الجلال وسمات الكمال لا تتم لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا ينكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك قل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو اينما معراج محمد صلعم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب محمد صلعم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك في هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وقولك صراط الذين انعمت الى آخره يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فجنات المعارف الربانية تفتح لك ابوابها الثمانية بهذه المفاتيح الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاذا في المرتبة الاولى يقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد في ان تنظر من الله الى عباده نظرة حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عباد الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قولك اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الان جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلا تنس جعلها معتنية بالركوع حتى تتركها المستقيم مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى الاستقامة فاخذها الى الارض بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فان في الركوع تجوز عقبة الهوى الداعي الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات والاركان والطيبات

بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد عليه السلام فيتلاقى الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد عليه السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك الى هذا اى شئ هديتك له فقل اللهم صل على
محمد وال محمد فقيل لك ان ابرهيم عليه السلام هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين
فيقال لك هذه الخيرات من محمد او ابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح
ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا اسمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان
الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدا بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن اعظم
المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل
فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال
هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه
كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان
اشبه بجري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه لعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم
والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من
الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال تعالى الله ذو الجلال
الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والارجاس واولى المراتب التطهر من الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا
والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى اعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحبين ثم من الالتفات
الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات
فقل الله اكبر اي من الكل كما انه اكبر من ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب عليه السلام التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته
فاذا قلت الله اكبر فاجاطرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف
واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تبصر فيها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة
والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل منها الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النعم واذا قلت مالك يوم الدين
ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هناك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير
المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا تظن انك قد بلغت
الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب ثانيا
وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سعيت في الغير وجدتها لنفسك فالله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان
ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى من فوائد السجدتين فالاولى للازل والثانية للابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالازلية انه الاول فتسجد له وبالابدية انه
الاخر فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقاؤها بابقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار
ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فثنوا
السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

ومن الفرد بتا الى الزوجية وايثما لانضما صفة الانسان والاخفاء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس مرتبة واحدة
وفي السجود مرتبتين ولعلما فاتنا من الفوائد اكثرها اذ كنا المنهج التابع في الطايف عن النبي ان ابراهيم سئل به فقال ما جزاء من حمد
فقال ان قال الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه خاتمة كلام اجنائه واخر دعوانهم ان الحمد لله رب
العالمين وعن علي ع ان اول ما خلق الله العقل من نور المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب عزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك
ونقل عن ادم ع لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة الحمدات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فالجرم جعلها الله تقم فاتحة كتابه وانبقاء
كلام الله الحمد لله واخر نبيائه محمد رسول الله ص وبين الاول والاخر ضاستة فجعل الحمد لله اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع
لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسم محمد احمد عند هذا قال ع انا في السماء احمد في محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسوله احمد هم والله ثم
في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمد اخرى الحمد لا يحصل الحمد الفوز محمدهم بالرحمة والنعمة فلما كان
الحمد اول الكلمات وجب ان يكون النعم الرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي ٥ اخرى ان رسول الله ص اسم احمد اي اكثر الحامدين
حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين ٥ اخرى ان من اسماء رسول الله سوى اسمه محمد واحمد الحمد والحامد
والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تم نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فقوله نبئ عبادي
الى محمد هو مذكور قبل العباد في الياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في انبي وانا والغفور والرحيم صفتا الله فالعبد يمشي يوم القيمة
وقدامه الرسول ص مع حسنة اسمائه تدل على الرحمة وخلفه حسنة الفاظ من اسماء الله تعالى تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعم غير متناهية ورحمتي وسعت كل شئ فكيف يضع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة ٥ اخرى ان الله تعالى
في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك خمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية
طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا
الاستقامة يا رحيم افض علينا بسبحانك فضلك يا مالك ٥ اخرى ان الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية
ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمان البه لا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان
وانقاد لطاعة الديان رب اعوذ بك من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يوم الدين
الحي الرحمن فنزل الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فنزل العصيان وتجلى للابدان القهر والمالكية
لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لان الملك اليوم لله الواحد القهار فان فلكان هذه التجليات انغلقت ابواب النار
وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمة قال اياك نستعين على ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة
فقال اهدنا الصراط المستقيم ولجوهر العقلي الملكي طلب معرفة الارواح المقدسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ٥ اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلى نور اسم الله ومن تجلى نور اسم الله ان الرب ان الربوبية العبد بربوبية ما ضاعف عدد الصلوة
وايتاء الزكوة من تجلى اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلى الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع
الفقراء فيعطيهم بحكم ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايقظ الصائم برحم نفسه لانه اذا جاع
حصل له نظام عن الالتذاذ بالمحسوسات فاضعف الموت ليسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلى اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والولد ذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو شبه احوال القيمة ٥ اخرى ان الحواس خمس
ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فاستعينوا بانوار الاسماء الحسنة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس ٥ اخرى الشطر الاول من الفاتحة
مشتمل على الاسماء الحسنة لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسراره الى
تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قرائه وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما الدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة
فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله
لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت
نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة
اعاذنا الله منها ٥ اخرى التجلي ثلث مراتب تجلى الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه

نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في واسط الاحوال يكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا والحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنهج العاشر للخلق خمس احوال وهي الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية في معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينفع ويحجم عما لا ينفع وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك نعبد لانا نتنقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا في السفر طويل والزاد قليل ثم ازا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيقا هدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد للسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء اولاؤ والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان العجب قسمان نادية وهي الدنيا بما فيها ونورتيه وهي ما سواها اللهم قنا عذاب النار وادخلنا دار القرار كل ما يحجب بيننا وبينك انك رب العالمين وما لك

سورة البقرة مدنية مائتان وست او سبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله لا خير ولا خوف ولا جرم ها كناية في جميع القرآن هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف وبزيد ورش من طريق البغدادي والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الواو حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو وبزيد ورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا واخر فيه تذكر في مواضعها الباقون بالهمزة باب المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع الفات واوسطهم مدا علي وابن كوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة قبلها فتحة فان وليها همزة وقفا ما وبالاخرة بنزك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة عن روى عن حمزة وحماد الشموني انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة بحو الارض والانهار وقالوا منا واشباه ذلك والسبب في التمكين والمبالغة في تحقيقها ان الهمزة بعد السكتة كالابتداء بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الواحدة للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب حذف خبره تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدأ محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب بإعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشارة الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لان الذين صفتهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القرآن لهم هدى ليدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولوا تبدأ والذين

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هذا القرآن واسم المتقين بالذين يؤمنون بالغيب من قبل لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية وقف بها الا اما اعلم بعلامة لا المعلمون التفسير وفيما يحتاج الجزء
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف باتا ثا اسماء مسميا تها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الصاد مثل لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو باتا وبالتفخيم نحو باتا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير الوصف والاسناد اليه والاضافة
وقولهم باتا ثا متهجيا ومقصودة نحو لا وقولهم كتبت تاء بالمد نحو كتبت لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي ﷺ قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المنقدمين انها حروف التهجي خلط وبان يصرف الى التسامح والتجوز
لانه اسم للحرف وهما مثلا زمان او لان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سئل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب للكاف التي في ذلك فقالوا بقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال الفول ب ك ثم انهم راعوا في هذا التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا وما بعدها في ابدا
اللفظ دلالة على المعنى المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا وما بعدها في ابدا
اللفظ دلالة على المعنى المسمى والجملة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز مالم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة دار ثوب جاءت فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذا الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف ليس بناء انها لو بنيت لحذي بناؤها حذف وكيف وابن وهؤلاء ولم يقل ضاد فاق نون مجموعا فيها
بين الساكنين والتقاؤهما في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به النخالجب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن الحباب هو سر الحبيب تحبب لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس تفشيه قول ولا قلم تلحق بتكبيه
عن ابي بكر في كل كتاب سره وسره في القرآن اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كبحر اجرى منه وادا ثم اجرى من الوادي نهرا ثم اجرى من النهر جدولا ثم اجرى من الجدول سانية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اوتية
ثم اعطى الرسل من اوتيتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم جرى العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر للانبياء سر للملائكة سر من بعد الكل سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لانكروهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاقضوهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا تائهين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفاش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال تحيرت العلماء عن درايتها وقيل هو من المتشابه ونحن
هذا القول بحوقوله تعالى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله تعالى تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقولنا وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا غالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على ما لا يخفى بقوله صحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد وبخ اكابر الصحابة مارويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما
يظهر فيه الحكمة لكثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الحروف ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال المتبحر بكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين الخليل وسيبويه كما سموا بلام والدحارتنز
لام الطائي وكقولهم للمحاس صاد وللسحاب عين وللجمل قاف فالحروف نون وسيعود تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله
روي عن علي انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويعرب منه ما ورد عن سعيد جبير انها بعض اسماء الله تعالى فان الرحمن مجموعا
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث اسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول الخلق والباء الى انه بديء واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي بعض الكاف كافي عباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق والكاف محول على الكبير
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل وروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل

وفي الر

وفى الرابعة الله اسم الجامع لها صفات الافعال الالف اوله واللام لطفه واليم مجده قاله محمد بن كعب القرظى السادس الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد السابع الالف اناه واللام الى اللام والميم منى قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اى ان هذا الملفوظ عليهم وقد عجزوا عن اخرهم كلام منظوم منهم ما ينظمون من كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وهم عفير التاسع كانه يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قال عبد العزيز بن يحيى لعاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه نزل الله تعالى هذه الاحرف غنية فى اصغائهم ليعجبهم القرآن من حيث لا يشعرون قاله ابو روق قطرب الحادى عشر قول ابى العالية احتساب على ما روى ابن عباس انه مر بها ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلعم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيى بن اخطب كعب بن الاشرف فسألوا عن الم وقالوا نشدك الله الذى لا اله الا هو حق انها اتتك من السماء فقال صلعم نعم كذلك نزلت فقال حيى ان كنت صادقا فانى اعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل فى دين رجل ان هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى مدته احد وسبعون سنة فضحك رسول الله صلعم فقال حيى هل غير ذلك فقال نعم المص فقال احى ما ئة واحد وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال احى اشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحد وثلثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر فقال احى لا ندرى بايها نأخذ فقال ابو ياسر انا اشهد ان ابناءنا قد اخبرنا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها اكم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقوله انى لاراه يستجمع هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثانى عشر قال على انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجم لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يقارنون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرأت الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المنزل فى اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الامتون واهل الحظ فى الكتاب بخلاف النطق باسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ فلما اخبر الرسول عنها من غير تعلم خط ولا قراءة كان ذلك دليلا انه استفاد ذلك من قبل الوحى الخامس عشر قال الفاضى الماوردى معناه الر بكم ذلك الكتاب الى غير ذلك من هذا الاسباني فى كل فاتحة السادس عشر الف اشارة الى الابد منه من الاستقامة على الشريعة فى اول الامر الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا اشارة الى صيرورة العبد فى مقام المحبة كالذابة التى يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء فى الكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر من الف اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر المخارج اى ولكم العبد وسطه واخره لا بد منه لا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول لهذه الفواتح اذا حذف منها المكررات يبقى ما يمكن ان يتركب منه على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اورد ته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر قد اورد الله الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على اصناف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين الخاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والواو والعين والطاء والقاف والباء والنون ومن الشديدة نصفها الكطبق ومن الرخوة نصفها المرصهمين من المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الركهوس ج ق ى د ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها الم ر ك هى ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر فى الوجه الثامن وبؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعها جاءت فى معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف اللام من اولاد والميم من اخره اى اخذت منكم كتاب العهد فى يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت فى التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثانى لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يجاوزوا بها سماوا به مجموع اسمين نحو معدكرب وبعلبك فالميم احد منهم مجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن قولهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة فى السور وجزؤه جزء الشئ متقدم على الشئ بالرتبة والاسم الشئ متاخر عن الشئ فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال ولبعض هذا كتسميتهم صاد للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تاخر المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم الحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من ان لها ليست بوضع واحد مع انه يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثانى بان تسمية السورة بلفظة بلفظة معينة ليست من الامور التى يتوقف الداعى على نقلها وعن الثالث بان التسمية بتلك الاسماء خرج عن كلام العرب

ولكن جعلت اسما واحدا تاما مشتوة نثر اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حفظ من نحو برق نحره وكما لو سمي بيت معر
وطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان ما ذهبوا اليه هو مستقدم وما عنيناه اخر
غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المومن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص المرقوفا نبها ما يتاتى فيه الاعراب لكونه اسما
فرد اكصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعا على نمط مفرد كحم وطس يس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتح نونها ساكنا
كذا ابجد فالنوع الاول محكي للبس الاول والثاني فيه من الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتانيث قال الشمر هذا ذكرني حاتم الطي
شاجرة فهلا لا حاميم قبل التقدم والحكاية ان يجي بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدات بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا ففلت لصيدح انتجعي بلالا واما من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات فيفعل مضمر نحو اذكر او حرك لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكره ايضا الجمع بين قسمين على مقسم واحد وهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
واو العطف لا القسم نحو تجوعون ثم تجوعون لا فعلن ولو كان لنقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما اخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم ان يقدر مجروره باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجرورا واعربها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واما من قرا صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف نفسها لا على صور اسمائها لان المالوف اذا قابل المكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتبها
صورة اشبهها وامرها بان المراد بها الاسامي لا المسميات امر وقوع اللبس فيها وانه خطان لا يفاسان خط المصحف لانه سنة وحظ العرض
لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كالا محل للجمل المبتداة والمفردات المعدودة ومن جعلها
اسماء للسور فسنخبرك عن قائلها مع ما بعدها الله حسبي لبحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى الم البعيد لانه روعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق لتكلم نزل المنقضي في حكم المتباعد لهذا يحسن الخبر سيتم بقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك قد اعطيتك شيئا احفظ بذلك لانه وان كان حاضرا
نظر الى الفاظه لكنه غائب نظر الى سره وحقيقة لانه على مقتضى الوضع اللغوي للعرض او لانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرانا او لانه اشارة على ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء
ان سينزل على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني بلغت نعما على الحجر ان غائبة سقيا ورعيا لذاك الغائب الذري وان جعلت الكتاب جنسا فنظر الى ان ذلك في معناه ومسماه
فجاز ان يحكم عليه بالتذكير كما يروى عليه الثالثة في قولهم من كانت امه التالية للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها الذكر والذكرى
والذكر انه لذكر للمتقين وذكرى فان الذكرى تنفع المومنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكرهم به كما ليفخروا
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فاراد به تعظيم خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة
نبرة القرآن الحكيم كتاب فصلت اياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ومنها الهدى
والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله المتين واعتصموا
بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء ذلك من ايات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم
ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان فقد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر باسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز
ومنها الكريم انه لقران كريم ومنها العظيم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

جملة الاسماء وسيجئ تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الوان جعلت الم اسما للسورة فعلى التاليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اى هو الكتاب الكامل الذى ينبغى ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اى الكامل فى الرجولية وكقوله شعر هم العوم كل القوم خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الخبر مبتدأ محذوف اى هذا الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذا الم وذلك الكتاب جملة اخرى فقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قد مبتدأ محذوف اى هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب فى قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث فى قوله لا ريب فيه مصدر ابى فى حقيقة قلق النفس وفى الحسن على من الريب وهو ما ريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اى كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفى الحديث ان النبى مر بظبى حاقف اى معوج مضطجع وهم يحرمون فقال لا يريبه احد اى لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من شاك مرتاب فيه قلت نفى احد الامرين مبنيا لنفى كونه متعلقا للريب مطلقا لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لو قيل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم فى الواقع دلالة على ان الشك فيما لا ينبغى ان يوجد على سبيل الفرض والتقدير لو فرض فوجد ان التحدى بحالهم وبرز وا قواهم فى البلاغة هل تتم المعارضة ام تنتقض لا وجها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الفعول فى قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها ليس الا نفى الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس مرادا ولا هو بصادق فى نفس الامر وهو التعريض بان ريبا فى غيره من الكتب كما ان فى قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة توجب الاستغراق وهذه بحوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفى الماهية والثانى لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع فى قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى فى حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل شرطه كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه فى مقابل الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولا يقال مهدت فى معرض المدح فلو احتمل ان يقال اهتديت فلم يحسن مدحا وكان مطاوعا اهتدى فيلزم ان يحيا بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدت انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى كذم هدى لزوما كليا اذ يصح فى العرفان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل وامّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مكحولا فوقوعه صفة للقرآن وان زعم حيا فصحيح لوقوعه فى مقابلة الضلالة الثانية المتقى اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقى من رجاها اذا اصابها طلع من غلظ الارض ودقر الحافر فيبقى حافره ان يصيبه ادنى شئ وهو فى الشرع المؤتمر لما موا من الجنوح عن المحظورات واختلفوا فى الصغائر انها اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم وروى عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزهد كلمة التقوى اى التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اى تابوا وقد يراد الطاعة ان اتقى الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اى من خالصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس ان النبى قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليكن بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده وقال على التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق فى لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون فى اقوالك عيبا ولا ملك العرش فى سرك عيبا الواجدى ان تزين سرك للحق كما تزينه ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك والله در القائل حل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى ... كن مثل ماش فى طريق الشوك يحذر ما يرى ... لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفى قوله هدى للمتقين فى موضع اخر شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصور فى المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم خص كون القرآن هدى للمتقين وايضا المتقى مهتد فكيف يهتدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية حصروا كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر لكل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه وبوجه اخر سماهم عند شارفهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشئ بما هو آئل اليه اللطف فيه انه لو قال الهدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان لطفا فى غير موضعه فان قصد السورة

هدى لهم الزهراوين وسنام القرآن واول المتشابه ذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاخص الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحجج عليهم بالقرآن فانه حمال ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحرفة منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما بين المراد معه على اليقين عقلا كان او سمعا صار كأنه هدى فان قيل كل ما يتوقف صحته كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس هدى فيه فكيف جعل فيه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرايع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى فيما في العقول ايقن فيتم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف وخبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو اوفق عربية في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لتجيئها منتظمة اخذ بعضها بحجز بعض لاتنبئ ولا على نمط الكلام المتحدي ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر بذلك كونه يقينا لا يجوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة اذا جزالة في الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه واوشقه كما مر في الوجه الثامن وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة اى الكتاب الذي يسمونه هو الذي يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه بما ولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا او كاشفا وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية قال ﷺ الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال ﷺ الزكوة قنطرة الاسلام فاقتصر الكلام اختصارا بذكرهما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لها في الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لان من عزم على ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مردودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب باداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل المدح والثناء وذلك الفائز عند المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تقدس مجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امن اذا صدق وحقيقته امنه التكذيب في الخائفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في المغرب اختلف اهل القبلة في معنى الايمان على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى اخر وهو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمل فما دخل بالاعتقاد وان شهد بعمل نحو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال او الافعال او الاعتقادات وبعضهم كابي علي وهاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر هو الذي يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عنده انما من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله بكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او تفليما من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال الرذيلة صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان ومن اخل بشيء من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة ونعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فرضها ونافلها الا انه اذا ترك فريضة انتقض ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقض ومنهم من قال الايمان اسم للفرض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

من قال

من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان لعتقاد التقليد بها او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم
من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بما ذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلاجرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف والاقرب
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد ﷺ فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته ومرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب الحسن الاشعري
قال الرسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب الهول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى
من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة
الكتب والرسل واليوم الآخر داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنهم ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه
من دين محمد ﷺ ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم
من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من لم يقل بهذا الشرط بل قال المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة لحكم الله
في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة
كونه من دين محمد ﷺ مع الاعتقاد فههنا قولان الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان اكثر الالفاظ دورانا على ألسنة
المسلمين فلو صار منقولا الى غيرهما هو الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا الناقل ولبقي ذلك الناقل ايضا الايمان المعدى بالباء على اصله
اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب قلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم
الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان
بالمعاصي الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وارتكاب عصيان من المؤمنين اقتتلوا والذين امنوا ولم يهاجروا ومع عظم الوعيد في
ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد مع ذلك بدأ بذكرهم
في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
فثبت بهذا القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان مطلق التصديق والطاعة لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق
بجميع صفات الله تعالى لقوله اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها لها اين الله قال في السماء وبهم ما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكان من العرفاء ما ان وجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا
مجرى المعاصي التي بقي في جامع الايمان وبهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت بالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان وجودا
في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب
بسبب انقشاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف
والاشتداد والنقصان كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوى الايمان ويتكامل الى
ان يتبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له
صدق الانبياء عموما ولا سيما محمد ﷺ خاتم النبيين في جميع ما اخبر واعنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره و
ينبعث من قلبه اعتياد العمل بكل ما مر والاجتناب عن كل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فهو لحظ المؤمن لهذا النور ومطالعته
له ومواقعته واما الوجود اللفظي فحاصله ما اصطلح عليه الشارع بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﷺ ولا يخفى ان مجرد
التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ من غير النور المذكور لا يفيد للعبد شيئا والتلفظ بالشيء الزال الا ان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بالايمان
والكفر ونصب جعل ذلك مما يخرط في سلك من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليها وتفويض امر الباطن الى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال ﷺ امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به على هذا يكون الغيب بمعنى الغائب كالشهيد
بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فعل والمراد
به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابداء الاعلم اللطيف الخبير وانما نعلم منه بحسب ما اعلمناه او نصب دليل عليه لهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان
يعلم الغيب في ذلك بخلاف الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد فانه يجوز ان يقال بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم انى
لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث انهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم بنا بين حضورهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدى المنتظر الذى وعد الله فى القران وورد فى الخبر وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض ولو لم يبق من الدنيا الا يوما واحد الطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل
من امتى يواطى اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما
تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع فى فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم
دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها فى الاسك شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا ۔ غزالة اسم امراة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا
اى كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون فى مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام فى الامر خلاف تقاعد عنه تعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعانى تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة فى عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التى مفتتحها التحريم ومختتمها
التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها فى الاية الفرض لان الفلاح قد نيط بها فى قوله عم للاعرابى افلح والله ان صدق
بعد قول الاعرابى والله لا ازيد على هذا ولا انقص اى على الصلوات المفروضة واشتقاقها العقرا اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم اى وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها
قال شعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلى يسعى فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذى يعرض على النار
واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اى ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلى ملازم لفعله من
حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال فى الكشاف الصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من
التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشتمل الحلال والحرام الماكول وغيره والمملوك وغيره والمعتزلة ومن يجرى مجراهم زادوا وقيدا
اخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به فعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال فى الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال الطلق الذى يليق باهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه
وقدم مفعول الفعل لاالة على كونهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند
الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه التاسعة
انفق الشئ وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب ما قرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب
من الزكوة التى هى اخت الصلوة وشقيقها ومن الانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق فى سبيل الخير للاطلاق قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق و
اكن من الصالحين البحث السادس فى قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالفا ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا
بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وايقنوا بالاخرة ايقانا ازال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه ما مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتداء بمحمد صلعم من غير ايمان قبل ذلك بموسى
وعيسى عم واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد صلعم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عم او لم يكن
ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم فى الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالائب الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى ان جبرئيل سمع فى السماء كلام
الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى
فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدى بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله و
كلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فتلقفه جبرئيل فحفظه علما ضروريا بانه هو العبارة المودية تلك الكلام واقول لك اذا تاملت ما اشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية اعني التصديق بها واجبا كان الفلاح موقوفا عليه وجب تحصيل العلم بما انزل على محمد ﷺ على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية اقول تقع وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية واما النزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الان بمرحى الزمان معرفته مفصلة لكنا اعرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغائبة ثانيا ثالث الاخر يقيض الاول وكذلك الدنيا ثانيا ثالث الادنى لانها اقرب الى اليقين هو العلم بالشئ ضرورة او استدلالا لا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه متيقن ولا يقال بتيقن ان السماء فوقنا وانى موجود وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل بما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة والكافرين النار عن النبي ﷺ يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الاخرة وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعم ثم يسعى لدار الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم الاية وفيه مسائل الاولى كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين محض المتقون بان الكتاب لهم هدى بحيث لا يسئل ان يسئل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف يجئ تارة باعادة اسم من استوفت عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد جدير بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الاية احسن ابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتقين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك الموصوفون غير مستبعدين ان يفوزوا ولا يرون الناس بالهدى عاجلا بالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ورفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله ﷺ وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعالى والفضل من هذه الوجوه لاولها لان الكلام المبني على السؤال والجواب اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت وايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل تمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق وانتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اى مخصوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل واما الارشاد الى الدليل الموجب للشبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اى هدى لا يبلغ كنهه قال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم اى لحم واى لحم واوب بالمكان اذا قام به والاوب مصدر والاوب مصدر للاستعظام اذا لكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير انما يكون لاستعظامهن لوقوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصر الابصير ولا يعلم الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدي بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما نالوا هم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد لا بعد هم فصل فائدة بعد الدلالة على ان الوارد بعد خبر لا صفة التوكيد والجواب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلح بالجيم مثله كانه الذي تفتحت له وجوه الظفر وكذلك خوانه في الفاء والعين يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمي الزارع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهدي المتقون هم الناس الذين بلغت انهم للمفلحون في الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فيهم هم لا بعيد ان تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد ما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل للتنبيه على اختصاص المتقين بنيلها الا بنا لا احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه كالمذكور من قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عدت

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين توسيط الفصل للايذان بانهم بما بلبس المتقوى واحرزوا في نمرة من صدقت بذكرهم اولى الزهراوين تقدم في الخبر بحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم لطالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم انى وقفت نسبا وبينكم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان وفلان بن فلان وفعتم انسابكم ووضعتم نسبى فاليوم ارفع نسبى واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم ابن المتقون فليأخذ هذا العاقل بحكمة الله تعم وهو نوط الثواب بتعليق بالعمل الصالح والسبب الاتم هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين وورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والرى على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالندرة من اشباع شخص او اثنين من غير تناول طعام او شراب ما بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ القراءة انذرتهم بهمزتين عاصم حمزة وعلى وخلف وابن ذكوان وروى حلوانى عن

هشام آانذرتهم بينهما مدة الباقون يخبرون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اى بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم عمالة ابو عمرو وعلى عن ابن كثير وابن جعدبة وحمد وبيه وحمزة فى رواية ابن سعدان والجعفى كذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعنى اذا كان قبل الالف حرف ساكن وبعدها راء مكسورة فى موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقراءة حمزة فى رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو عيسى ابرهيم بن احمد عن ابى الحرث عن على وورش من طريق الجارى مد غنة النون والتنوين فى الواو وفى جميع القرآن عظيم بالاشمام فى الوقف كذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلى وخلف وهو الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ذكر ان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق ان اما عمله من نصب كسم ورفع الخبر فعلوم من علم النحو واما فائدة ما ذكره المبرد فى جواب الكندى من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه قد يضاف اليه القسم نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس

دع عنك لومى فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

يا ايها الرجل المغرى بلومته ... إن كنت لست بلوام فلا تلم

إن غنى نفسك عن الياس حسن موقع ان كان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجئ اذا خلف المتكلم فى الذى وجد امارة يوجد كقولك انه كان منى اليه احسان وفعا بلغنى بالسوء وكانك تردد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت

كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومى كذبون الثانية لما قدم ذكر اولياءه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لاصطفاءهم اردف ذكر ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم لا انذار وعدمه انما فقد العاطف بين القصتين خلافا فى نحو قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباين الجملتين ههنا فى الغرض والاسلوب الاولى مسوقة بذكر الكتاب انذر صدقا للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبنى على تقدير سؤال وذلك ادراج له حكم المتقين وتصيير له تبعا له فى المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثانى مبتدأ واولئك خبره لان الجملة ابرهما من مستتبعات هذه للمتقين لارتباط بينها وحيث المعنى الثالثة التعريف فى الذين اما ان يراد بهم ناس معهودون باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد المغيرة واضرابهم واما ان يراد بهم الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميمهم لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر بقبض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق بجحده والزارع كافر لانه يستر الحب بالتراب والليل لانه يستر كل شئ والكافر الذى كفر درعه بثوبه اى غطى لبسه فوقها قال فى التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضى فيقتضى كون الخبر عنه متقدما على ذلك لاخبار فلا بد ان يحملوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق فى هذا وامثاله ان كلامه ازلى الا ان حكمته فى باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب صوله الى اسماعنا على ضرورة كونهم متزمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضى وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب الا اخذ نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقى ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين انما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تقول الكلمة سواء بيننا وبينكم فى ان تعبد اياهم سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وانذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الفاعل اى مستو عليهم انذارك وعدمه نحو زيد منطلق

واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبران وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابلغ خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا ناكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يمكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان النفي للفظ على ما يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا فان سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لا نه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معينان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا الترتيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عليهم مما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله تعالى بل في علمنا فنزلهم الآية بحسب ما يليق بحالنا في باب التقرير والتصوير ويقول فائدة ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف قوله اخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فاتم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام البالغة وتاثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها اعتراض لسادته الحتم والكتم احوان لانهما في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كانا لم تعظيما لما يتوصل اليه لغشاوة العظمى فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب اراد به تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين واراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لمنازل الاوامر والنواهي والقيام بواجب التكاليف ان في ذلك لذكرى لمن كان قلب وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده انما امره اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكما ان البدن اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو نقيض ذلك لانه الخلق الاول وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفخ من روحه ما سويتها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربي ونفخت فيه من روحي السمع قوة مرتبة في العصب المفترق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاومة انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويوجب تكيفه بمثل ما من امواج ذلك الهواء المتكيف تلك العصبة فتسمع قال ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما يطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية من الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر فيأخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصارا وفي الاكثر يتموج ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نورا مانورا العين تطلع بها الانسان من عالم الخلق وهو نور جزئي مدرك جزئي واما نور القلب فتعارف الانسان من عالم الامر وهو نور كلي مدرك كلي وادراك كل منهما غنيا عن وقوع مدرك في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه فيتدرج في الضعف بحسب مناعد المرئي حتى لا يدرك او يدرك اصغر منها هو عليه لا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يستند لنور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب والسرج فان ذلك لانضمام من خواص الانوار المحسوسة والمراد ما ثبت للمختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع البصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع بما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعرا كلوا في بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص اذ لا لبس ان لكل واحد بطنا ولهذا لم يقل من بعض نسوتهم ثوبهم والمراد الجمع بقضوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا يجمع فلم يجمع لهذا الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي اذانها وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف اي على حواس سمعهم منها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابقة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقدمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فانها بعثت رسولا صم بخلاف البصر فان الانبياء منهم من كان مثليا بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف الى العقول الى العلم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر لان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر لان فاقد السمع اصلا فاقد النطق بخلاف فاقد البصر منهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يدرك من بعيد دون السمع لان عجائب الله في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع قد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال وتوقف في الرؤية وفي المثل ليس الخبر كالعيان بيان و

العين جمال الوجه ولن تسمع الحول ان من فقد حسا فقد فقد علما وهو الموقوف على ذلك الحس لا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وبتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دبر في كل مصنوع حكمة واحسن كل شئ خلقه الثامنة الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدم عليهم بسببه والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر ختم على قلوبهم وسمعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يشاء فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به يلبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد قدرته قالوا والاية على الظاهر جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الشئ على نهاية تمثيل الحال قلوبهم فيما كانت عليه من الجفاء عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى يخلوا في ترك الانعام لا يغني شيئا ولا تفقه كقولهم سال الوادي اذا هطل وطارت به العنقاء اذا طال الغيث وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هذا كله ولا في طول عنقه وانما مثلت حال في هذا كله بحال من سال به الوادي وفي طول عنقه بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في الحقيقة والكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي قدره وكنى باسناد الختم كاسناد الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة وانما امر البناء بامرهم في التعميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقهر والالجاء ثم لم يقهرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القهر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كان يقوله بعضهم من قولهم قلوبنا في كنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وحكي ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح لا نلبق بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة ولا تاثير ولا ايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الارادة يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعل لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ولا نجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية تدل على ما يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك يثبت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة واسطع اذا لوحظت المبادي وثبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شئ من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدإية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والاية الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث علموا فكل ميسر لما خلق له كل شئ بقدر حتى العجز والكيس حجاج آدم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبايح فقولكم رب تعالى منزه عن جميع القبايح ولكن لا بالوجه الذي ذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئية الكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك والسيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منها بوجود الاخر فلولا القهر لم تتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يدرك الشبع والري لله در القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى الجنة خلقا يعلمون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعلمون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر كان لا اعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد كما ورد ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الريب والتهمة من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا لكل منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا الفائدة بهذا بناء بحكمته تعالى وبيده ان يحفظه فاسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما

بيانا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشيء الفلاني كما انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الثمر سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا واسطة لاهتدائهم انما انتفع من حيث انها كان فائدة نور الشمس يعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ما تفيد ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة انعم عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى مما لا يظهر لهم انهم لغاية نقصانهم كالاكمه بما لا يبصر البصراء ولا يعرف النقصان المفتقر الى الكمال منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرائي وظهور الغير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب الابصار واما حديث الغرة الضرورية من الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فقول لا ريب فيه للانسان ارادات وقوى بها تم له حصول الملائم واجتناب المنافي كما ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكذا الاختيار والنفرة المذكورة سببها في الرعشة تقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المساة بالاختيارية زادت واسطة فانهم هذه الحركات والاشارات واستعانوا بها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستغن بمصباح لم يستضئ

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه وسمي العذاب عذابا لانه يقمع المعاقب ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه حتى سمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول جمل عظيم وكبير كما تقول جثة وخطر ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس فلهم من هذا الامر العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة تفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفصل قوم وكلهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن ذكر ما يوجب العفو وذكروا انهم دلائل عقلية مبنية على الحسن القبيح كقولهم التعذيب حضر وخال عن النفع فوجب ان يقبح وكان الله تعالى منزها عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر خال عن المنافع فيقبح بالبديهة كقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف او جد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو اطاب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله عنه ترى هذا الكرم العظيم باقيا في الاخرة وسلبت عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولم كان في الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي الاخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون وان اجيب بان تعذيبهم نفل ابتدائي بالتواتر عن النبي فلا مصير الى انكاره والشبه التي يتمسكم بها تنهدم بالهدام قاعدة الحسن القبح واقول قد بينت بالبرهان الساطع المسئلة الثامنة ان وقوع فرق في الطريق القهر ضروري في حكمة الله وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والعقليين من ظن انه قبيح كان لخلل في عقله او تصوره فيظهر فلا قبيح في النظر الا وهو خبر من جهات اخر كما لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك ابتداء بعضها للمحتوش جدا ذا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس بعضه نعلا يطأها الافراس حيث يرى كلا منها في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب في هو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم واما سبب دوام انتفاء الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك ان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فلما لم يحدثوا في الاخرة الا ما رأى انه لو قال لطبيب حاذق داوني شرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال الى الان لو ينفعني ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت اخر لم يعد ممتثلا ولم ينفعه الا بما ذكرنا لان غرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده خسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم

ع ٣

بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن
فساد کنندگان ولیکن نمیدانند وچون گفته شود ایشانرا که بگروید چنانکه گروید مردمان گفتند که ما بگرویم چنانکه گروند بیخردان آگاه باش که ایشان بیخردانند ولیکن
لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ
نمیدانند وچون برسند بانها که گرویدند گویند که گرویدیم وچون تنها شوند بیاوستادان خود گویند که ما با شماییم جز این نیست که ما استهزا میکنیم خدا استهزا میکند
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
با ایشان وبگذاشتن وا میدارد ایشانرا در سرکشی ایشان که میروند کورواران انکروه اند که خریدند گمراهی را بدرستی چون سود نکرد تجارت ایشان ونبودند راه یافتگان

القراءة ومن الناس بمالة فرات فيه ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف ورويس
من طريق النجاد بخلف عنهم مضمومتين غير مهموزتين ابو عمرو غير شجاع ويزيد الاعشى ودرش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو
وابن كثير ونافع فزادهم الله ونابه بمالة ما كان ماضيا بالامالة لحمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد النقاش ابن الاخرم ههنا بالامالة فقط
يكذبون خفيفا عاصم حمزة وعلي وخلف قتيل وعبيض وحبي بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف
ابن عامر السفها ولا يقلب الثانية واو ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ
عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها اما اختلفت الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء اخائنة واشباه ذلك مستهزءون بترك
الهمزة في الحالين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان
قنبل ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال ورش وان الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقراء اهل المدينة بين الفتح والكسر
والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمومنين لما مر في المقدمة الثامنة امنوا العطف الجملتين المتفقتين
مع ابتداء النفي لتشعرون للابتداء وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تاكيدا في قلوبهم مرض العطف
الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لان قالوا جواب اذا وعامله مصلحون لا يشعرون كما امن السفهاء للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل
فليجعل بدا السقم عليهم لا يعلمون امنا تبدل همزة الكلام معنى مع ان الوصل والى لبيان خاليهم المنافقين وهو المقصود شياطينهم
لان قالوا جواب اذا معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانا مستهزءون تابعهم لا نقطاع النفس ولا
يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين التفسير فيه مباحث المبحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية
وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع اثبات مر اول هذه السورة نزلت في المومنين واثنان بعدها نزلت في الكافرين وثلث عشرة بعدها
نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد الجازم
والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار وبالاضطرار
فيحصل من التراكيب اثنا عشر وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه
الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار
وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا
فمسلم خفية لانه خائف كما عرف من مجاهد فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الائمة فيخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المشهور من ان المقلدين
امم الا والاكثرون على ايمانهم واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فالاشهر كفره واضطرارا
فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار
القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا فمنافق واختيارا انه اظهر خلافا فاضمر وهو مع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع
الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه من اهل النظر فهو يلزم الكفر لكنه فعل ما لا يجوز
لاجل خبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في محل النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لكن توقف اذا
كان في محل النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب
الخالي مع اللسان الخالي ان كان في محل النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن محل النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم
ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في الباطن ايضا ظاهره او كان في الباطن خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النفاق
احد جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي
اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الاخرون المنافق انهم كاذب
باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وانهم انه قصد التلبيس والكافر

الاصلى لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلى على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخنثى وايضا الكافر ما رضى لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضى بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلى لفظ كفر المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار فى ايتين وحال المنافقين فى ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأهم وهتك بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعائهم بما لم يعرض لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن اجزها معطوفة على قصة الذين كفروا كما عطفت الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس فاسى حذفت الهمزة تخفيفا وهذا مع لام التعريف كالالام وقوله شعر ان المنايا يطلعن على الاناس الا منيا قليلا ويونس من المصغر الاتى على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يونسون اى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الوزنة على الاصول كما يقال رجل ورجال وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضان وامالته مفرده رخل بكسر الخاء بكسر الراء ومن من يقول موصوفة ان جعلت اللام فى الناس للجنس لقوله من المؤمنين رجال ليكون بعض الكلام من بعض والا فهى موصولة لا غير ويقدر اسما وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبى ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا المذكورين ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يجاوز بنظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المخبرين على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وهم مؤمنون ومن البين ان مدلول قوله ومما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك فجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران فى الاية فى يقولوا امنا وانما اختص الذكر بالايمان بالله والايمان باليوم الاخر لانهما قطبا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفى تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كانوا من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدون على خلاف صفته وقولهم هذا لوصفهم عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم فى الايمان الحقيقى كان خبثا وكفرا الى كفرهم المرد باليوم الاخر اما طرف لا بد الذى لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التى لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق لقوله ومما هم بمؤمنين قولهم امنا والاول فى ذكر شان الفعل لا لفاعل والثانى بالعكس قلت اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول فى الايمان لتوجه دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفى ما انخلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا داخلة من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الاية قوله تعز يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله ومما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وتركيد لانه التنفيس امنا ويحتمل الاطلاق اى انهم ليسوا من الايمان فى شىء قطعا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثانى فى قوله يخادعون الله الى ههنا كذبون اعلم ان الله ذكر من تبايع افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخربة المخدع والاخدعان عرقان فى العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى فى حجره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة وابطان ما يقتضى الاضرار بالغير والتخلص منه فهى بمنزلة النفاق فى الكفر والرياء فى الافعال الحسنة فان قيل خادعته الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذى لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال فالذى فى البر شعر تلك التقانى لهى علقتها عرضا ان الحليم قد الاسلام يحلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث اجرى احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امرهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن غرارا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفى او تجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم عجبنى زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كما انه قبل علمت فضل زيد لكن ذكره لتوطئة وتمهيد ووجه الاختصار يخادعون على ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج فى زنة فاعلت لان الوزنة فى صلها للمغالبة والمبارأة والفعل متى عولج فيه فاعل جاء ابلغ واحكم منه اذا قوله

وحده من غير مغالبة ولا مبارزة لزيادة قوة الداعي الى يخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل فما بالهم يخادعون الايمان كاذبة فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من الغنائم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه لم بقي المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء البدع ورديته وتحمل العقدة في الجميع بما سلف لنا من الحفاظ ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة الا انفسهم لان المخادعة عن الانفس لان مكرها يحيق بهم وذائرها تعود عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل والفاسد ايضا بتمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب ان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والتفنن ذان الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقولهم تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان تحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لهم لما دى غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض عجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد لميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول غلا وحقدا واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقوله سمعنا وعصينا عبادة لرسول الله اعف عنا يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه كشر قبذلك اوبراد ما بداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك لطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم رجسا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازداد واكفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البذاء الفحش كلما غذ ترذ ترشل وكلما زاد رسوخا ضرة وتبسطا ازداد واحسادا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع يحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضي مزاج القلب الى يؤدي الى التلف صاحبه كقوله شعر اخبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله فاقضى صاحبها الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للوجع كان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر في ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وفي ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كذب ثلث كذبات احداها قولهم انا مؤمنون وثانيتها قولهم لسادتهم حين ارادوا ان يصيبوا ظالمهم انا معكم ومنه قوله تعالى بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكنها كانت صورتها صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون الخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد بدل ما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما يبلغ في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قولهم قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متردد في امره مذبذب بين ذلك قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مجيء الفعل على لفظ الماضي لدلالة على ان ذلك كان عادة لهم مستمرة فيما مضى والدوام اي بسبب ان هذا شانهم وهجيراهم في البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي لهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا لا وكذا اما على بقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو والالف استينافي واسناد قيل الى لا تفسدوا واسناد الليس من اسناد الفعل الى المفعول فانه لا يصح لكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب فالقائل لهم اما النبي اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك فصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه النفاق كان لا يقبل منهم ويعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين الفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة المنتفع عن ابن عباس والحسن قتادة والسدي المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شانه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج وكان ذلك صلاح الارض واهلها واما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما هوى وما اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويشوشون اسر المؤمنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فيفهمنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الثواب وكان

سقيم بن

سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بما ذكرنا فلعلهم
هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها
ان يكون المراد انكارا ذاعة اسرار المسلمين
ولنسبة انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر لانه على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتحصنت اى خالصا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه
الى غيره والامر كيت من همزة الاستفهام وحرف النفي وفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى الست بربكم وقد افادتها التحقيق بكاد
تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يلقى بالقسم واحتها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك فالذي
امات واحيا والذي اذا شاء الامر رد الله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعائهم ذلك مع
توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكم فرد الله عليهم وكان ورود بدون الواو هو المطابق ومن جهة ما في الاولى من
الناكيد من قبيل تعريف الجزء توسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم امنوا الآية هذا هو النوع الثالث
من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين انوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا مصرين عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني وهو
الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي وهم لان كل حال لا تنافي
في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفههم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر اذا انت مدحتني ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولهم
يكتب بدمع وارد صديق كما عمر واخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رجحت واللام في الناس للعهد اى كما امن الرسول الله
ومن معه هم ناس معهودون اى لكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت او لتحصيل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او منوا كما امن عبد الله
بن سلام واتباعه لانهم من اجلاء قومهم اى كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اى كما امن الكاملون في الانسانية من الاتراد الباذلين انفسهم
عن الاعتقاد القلبي او جعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنساء في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في الوجهين في معنى
الانكار واللام في السفهاء مشارها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه او للجنس ويطوى تحته
الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال استفهت الريح الشجرة اذا مالت به قال
ذو الرمة حرجوجة كالهقف رياح تسفهت عاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم جهلهم
واضلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في ثاسته وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موالي صهيب بلال
جناب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واراد واعبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من
اسلامهم وقف في بعض اداريهم عن ابن اسحاق سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في ارض مخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني بهن جبريل انفا اما اول اشراط
الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد
واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ﷺ يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان يعلموا باسلامي قبل
ان تسالهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فينا قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي
كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى غير عنهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بينها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض
عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه كذا من باع اخرته بدنياه قال ابو الكيس من دان نفسه على ما بعد الموت وايقن من السفر
معاداة المحمديون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم كالطوى يحفر للخسف او عال مما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان
الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤل اليه من الفساد في الارض فامر مدرك مبني على العادة
وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان فاشيا بينهم من التجارب والتجارب بهم كالمحسوس المشاهد لانه تذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه احسن طباقا للبحث الخامس في قوله واذا لقوا الآية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن
من الناس من يقول امنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء
بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر اصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله
الى نظرائه كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله ﷺ
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم
اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فقالوا فانا
رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي واخبروه بذلك فنزلت وبين لهم اذا استقبلوا فريقا منه وخلوت

شد اد و
شعر
علينا
جلدتهم
شعر
نزع
شعر
التجارب والتجارب بمعنى
يخفون

بفلان واذا انفردت معدّ يجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلا لك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان بعثه ومعناه اذا لهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك اى انهى اليك حمد فلان وذمه وعن ابن عباس احمد اليكم غسل الاحليل اى اعلمكم انا مر محمد وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين مالئوا الشياطين فى تمردهم وهم احاكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون يجوز ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا بالرؤساء لانهم القادرون على الافساد فى الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهى الفعلية وشياطينهم بابوا لها اعنى الاسمية المحققة بان لانهم فى ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن ضميم القلب منهم لا فى ادعاء انهم احدثوا فى الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه هكذا كل قول لم يصدق رغبة وباعث داخلى واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار القائلين ربنا انا آمنا واما خاطبة اخوانهم فعن فتور نشاط ورغبة وفى خبر القبول الرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد انما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزئون لان الاول معناه الثبات على الكفر والثانى رد الاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع بعض الشئ اثبات وتاكيد للشئ وكان الثانى بلد منكر لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر ولانه قيل انا الكرام صح انكم معنا تو افقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف فى غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما صيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفى الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى استهزاؤهم بالنسبة اليه ذلك العدم وفى تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يجوز المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد لا نفس المستهزئ وسمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله معاملة المستهزئ فى الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين فى اخفائها وفى الاخرة على ما روى عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا الى الجحيم الموضع الذى هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فضاك الباب فى وجوههم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات فى شانهم او لانهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين بنحو ذلك المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم فى طغيانهم هو من مد الجيش وامده اذا زاده والجيش ما يقوى به كذلك الدواة واسرج زادها ما يصلحها وانما قلنا انه من المد لا من المد فى العمر لامتناع القراءة نافع فى موضع اخر واخوانهم يمدونهم فى الغى على ان الذى بمعنى امهله انما هو مده مع الام كما مر فى قوله تعالى الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهرى مده فى غيه اى امهله والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم فى الطغيان يعرف فى تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطافه التى يمنحها المؤمنين بعتب قلوبهم بتراكب الرين والظلمة فيها تراكبا لا انشراح والنور فى صدور المؤمنين فسمى ذلك التراكب مدا او بانه لم ينورهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه يتمكنه وافاده ولا يخفى ما فى هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب من هذا القبيل لما قيل ان النكتة فى اضافة الطغيان اليهم هى ان يعلم ان الممادى فى الضلالة مما افترفته انفسهم وان الله برئ منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا فكيف يرى من ذلك فى بعهون فى موضع الحال والعامل لعلا الا ترى فى البصر فى الرأى العين الرأى خاصة وهو التبصر والتردد لا يبدو لى ان يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اختاروها واستبدلوها بها وهذه استعارة لان الاشراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال ابو النجم شعر اخذت باجمة رأسا اعزرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا * وبالطويل العنق العنجردا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بنى اسرائيل يفقهون لغير الدين ويعلمون لغير العمل ويتباعون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر فبى حلفت لاتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيها حيران فبهذا وعزتى تعرضت لهم وبحسب الفطرة الانسانية الشخصية كانه فى ايديهم فتركوه واستبدلوا بها الضلالة وهى الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفى المثل ضل دريص نفقه اى جحره والدريص ولد الفارة ونحوها يضرب لمن يغبى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدرا نما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسناد المجاز الملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا اذا دلت الحال على ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعها اياها كلها وبواحيه من الربح والتجارة ليكون الاستعارة مرشحة كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وعن ابن دأب نشر عن ابن ذكوان وعشر بتشديد الشين وكسر الباء مشددا على المبالغة الشعر الفاحم بالعرب

شعر فيه الى العراب

اتبعذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر فمتصرفانه شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة الا الضلالة امر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكابت بعبد ما بقي عليه رهم واذا اقبل الليل مر بهم هنا ادبر النهار مر بهم هنا نعوذ بالله من الغواية ونسئل ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم

مانند ايشان چون كسى كه برافروزد آتشى پس چون روشن كرد آتش را گرد او را ببرد خدا روشنى ايشان را و واگذارد ايشان

في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات و

در تاريكيها كه نتوانند ديد كران وگنگان وكوران پس ايشان باز نگردند يا چون ابرى از آسمان كه در آن تاريكيهاست و

رعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

رعد وبرق بگمارند انگشتهاى خود را در گوشهاى خود از صاعقها از ترس مردن وخدا احاطه كننده است بكافران

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب

نزديك است كه برق ببرد چشمهاى ايشان را هر چند كه روشنى دهد ايشان را ببرند ودر آن وچون تاريكى شود بر ايشان بايستند واگر خدا خواهد هر آينه ببرد

بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير القراءة اذانهم وتابه بالامالة نصير وابو عمر بالكافرين وما اشبهها مما كان في

گوش ايشان را وچشم ايشان را بدرستيكه خدا بر هر چيز تواناست الخفض بالامالة ابو عمر وقتيبة ونصير وابو عمر ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة

حمزة وخلف وابن ذكوان والوقوف نافع الا ان جواز الوقف عليها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون لا يرجعون على العطف

بأو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل أو بمعنى الواو جاز وقف لعطف الجملتين مع انهما اسرع وقد اعترضت بينهما

آية على التقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اى هم يجعلون او حالا عامله معنى التشبيه والكاف

وذو الحال المحذوف اى كاصحاب صيب الوقف بالكافرين ابصارهم لان كلما استيناف قبله لان تمام المقصود بيان الحال الماضي للحال الاول

قاموا وابصارهم فذكر التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقايق حتى يبرز التخيل في معرض اليقين والغائب كانه شاهد فيه تبكيت للخصم الالد ولهذا اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وذلك لان الامثال تضرب للناس وفشت في كلام رسول الله ﷺ مثل الدنيا مثل ظل ان طلبته تباعد ان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الدارئ وامثاله اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ على التغيير اما ههنا فاستعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة وفيها شان شبهت حالهم العجيبة الشان من حيث انهم اوتوا ضربا من الهدى بحسب الفطرة ولما لطفت بهم السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يستولوا بذلك الى نعيم الابد بما استبطانهم الكفر فبقوا لحالهم الى انواع الخسارات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى منفعة مطلوب بسبب مباشرة اسبابه الغير المتعقب مع تعقب الحرمان الخيبة لانقلاب الاسباب المراد بالذي استوقدا ما جمع كقوله فخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالة الصلة وقصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولو لا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على ان يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ويحتمل ان النار سطوعها وارتفاع لهبها او قدتها انا واستوقدتها انا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندا الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اما كن واشياء او ليستغرق الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف والفاعل للاستقرار والاطافة والعائد حوله لا تزيد وجواب اذا ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كما ان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقبل الاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما اذهبوا بها نبذ من الوجازة مع الاحتراز عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خائبين بعد الكد في اجياء النار ثم ان سائلا ان يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل ذهب الله بنورهم اى بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اى مثلهم كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب مما وكى ريح او مطر فقد اطفا الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا برهانها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وذلك النار مما

مدة اشتعالها واضائتها فنافيها الدنيوية قليلة البقاء والباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تحتفت ونار الحرب مثل لغرق كلما حاج كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نار احقيقة اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المقاصد ويقتدوا بها في طرق الغي فاطفأها الله وخيبهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق ما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه صلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب ذهاب الزيادة عليه ودون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به ومعنى ذهب السلطان بمال الخدم امسكه وما يمسكه الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد اذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى فعل القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشبه ومنه قوله تعالى وتركهم في الظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير وقيل عرض بناء في النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك ويبعد لانها تدل على الرؤية وتمنع في جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شيحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الظلمة الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك الذي لا يلتفت الى الحظ والبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصلا ومحلا لا يبصرون اما جر صفة الظلمات اى لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا ثانيا او حالا منهم مثل فذرهم في طغيانهم يعمهون اى حال كونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير زلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم ان كان من المعلوم من حالهم انهم لم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن انيفت مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمى حيث سدوا عن الاصاغة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطق بها السنتهم وان ينظروا ويستبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوى ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به الا بقى الخبر بالمبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها التجيل عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون اهم يتقدمون ام يتاخرون والى حيث يبدأ وامنه كيف يرجعون ؛ وقفا لهوى في حيث انت فليس لي ؛ متاخر عنه ولا متقدم ؛ ومثله حال مريد طريقة الذي لم يدر اية ولا زم خلوته وصحبته حتى يشرقنه من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس في زعجته الوساوس فيرجع قهقرى الى ما كان من خضيض عالم الطبيعة فغابت شمس اظلمت نفسه فضل يومه اسفا ثم ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ايضاحا على ايضاح لان مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين وكمثل ذوى صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بها تين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام الطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بصد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال كما لا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه دال على مزيد الحيرة وشدة الامر فظاعته ولذلك اخر وبجامع من الاهوين الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوى صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب بل حرف التشبيه مقدر دنيا في التشبيه به الاتى في قوله انما مثل الحيوة كماء انزلناه فيكون الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال التشبيه بين الاسلام بالصيب الذي هو الغيث الذي يحيى به الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا يصح لشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر التشبيهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اى ينزل بقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب للدلالة على انه نوع من المطر شديد هائل كانكرت النار في التمثيل الاول لهذه السماء هذه الظلمة والصاعقة في ذكره والصيب يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنعني ان يتصوب من سماء اى من افق واحد من بين سائر الافاق لكنه غمام مطبق اخذ باقاق السماء وكما جاء بصيب وبمن ابتداء من جهة التركيب مرضه صوب البناء على فعل والتنكير هذه ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على هذه العناصر باذن الله تعالى فحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك بامحاء الحرارة تبخر من الاجسام المائية دخن من الاجسام الارضية واثار شبيها بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهوى الى النار فيشتعل وربما سمى هذا الاشتعال فترا ان كان كوكبا يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثقب فيه الاحراق فرايت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيزاكمه ويكثفه في قصى الهوى عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي عن السحاب فنزل ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي عن مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد يفارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن حاره فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما البخار والدخانية المركبة من مادة الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا صعدت فتثير البخار من الدخان انعقد البخار سحابا فيرد فتفاعل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تفاعله فيه ضرب من الرعد هو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما امتد ذلك التفاعل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك الريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فتدفع الى اسفل فتلتهب شعلة المحاكة والحركة نارا البرق فتشق السحاب شعلة كجمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد مندفعا فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد استثنى هذا القيد من الحقايق في هذا المقام لاضبر في معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعم ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من يستبق والاحفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته تنسج بتطبيقه ومضمومة اليها ظلمة الليل ان كان مطر فظلماته تكاثفه وانضاجه تتابع القطر وظلمة الظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونها متلبسين به في الجملة سوغ ذلك واما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري ؛ يا غادرا ضاحك القفا بروده ؛ يختال بين بروقه ورعوده ؛ وكما قيل ظلمات لانها في الاصل مصدر ان فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بها الحدث كانه قيل ذو رعد وابراق وذكر هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف او جاز رجوع الضمير ليجعلوا الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان ؛ يسقون من ورد البريص عليهم ؛ بردى يصفق بالرحيق السلسل ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي وادية بدمشق والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر والاصل الفوله يجعلون لكونه مستانفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل انامله مع انها هي التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من اجل الصواعق نحو سقيته من الغيث وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة عن نار تقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامها او هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه لانها مع حدتها سريعة الخمود كأنها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت وقيل صعقة الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات ما تبدئة الصوت بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة كالقصفة الرعد والرعدة الناء للمبالغة كما في الرواية او مصدرا كالعافية والكاذبة وحذار الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فاد بلغة الحيوان وقيل عرض معاقب الحيوان لا يصح معه احساس والحاظ الله بالكافرين مجاز اي قادر يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها كما مر في فعال للمقاربة كاد يفعل كذا بكاد كودة ومكاده وضعت لمقاربة الشيء فعل اولم يفعل لجزمه بنفي عن نفي الفعل ومقرونة بالجحد بنفي عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا يخطف والبرق اسم لخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خوف البرق وخطوه واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي حل بالحركة المحسوسة وهو فيها اسرع فوقه العدو والظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد فمفعول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد انما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما هم به معقود من امكان المشي وتاتيه وكلما صادفوا من فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحير ولو شاء الله لزاد في تصييف الرعد فاصمهم في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ؛ عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ؛ فان عرض قائل لو اراد ان يتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الاول وقد يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف اولى والشيء اعم الاشياء كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال هذا العام مخصوص بدليل العقل فان الاشياء متعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني اي من الاوان ولحظ من اللحظات عن تاثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته

ع

ونفيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه ثم يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي
ای مردمان . بپرستید پروردگار شما را آنکه آفرید شما را و آنها را که پیش از شما بودند شاید شما بپرهیزید
جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون
گردانید از جهت شما زمین را مانند بساط گسترده و آسمان را چون خانه فرو داشته و فرود آورد از سوی آسمان آبرا پس برآورد بآن از میوها بجهت روزی شما پس قرار ندهید از برای خدا همتایان
القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو كذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم وبورقكم وميثاقكم
واشباه ذلك قال ابن مجاهد بدغمها باظهار صوت القاف قال غيره وهو بين مهران لا يظهر ذلك وكل صواب لوقوف تتقون لان الذي
صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى حكم فرق المكلفين من
المؤمنين والكفار والمنافقين ذكر صفاتهم ومجاريهم مورها عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب ومن جملة الالتفات الذي يورث الكلام
رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك ولا والا ازيد
في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل للسامع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل
بالعبودية ازداد قربا وحضورا وايضا الآيات المتقدمة حكايات احوالهم وهذه امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي ان يرفع طلك
الوسائط من البين يخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف ويستلذ هذا وقد صح الاسناد عن علي ان كل شيء نزل فيه يا أيها
الناس فهي مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني وقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة عجب هذا القول وان كان من الجائز
ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها وما جوز وضع لاجل التخفيف مقام النادي لانه
لا اخبار به وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم اضعفها الحرف ظن قوم انه لا يائتلف الا اسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو
الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب رب الارباب يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يائتلف
الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب
فاذكروني اذكركم وما وضع في اصل النداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة
المنادى هضما واستقصارا لكمال الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة بمقتضى قولنا انا عند المنكسرة
قلوبهم وقد ينادي القريب لمفاوضة في غير هذه الصورة نبأ ويكون المراد بان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا نحو يا أيها الذين
آمنوا يا عبادي يا أيها النبي ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان تنبهوا لها ويبلوا
بقلوبهم وبدنهم بشاشة وقوم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف اللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب
من التاكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح في حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا
مما يستحقه اي من الاضافة فان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تاكيده بكل
واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالاقرب انه لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل
ما عرف بالتواتر من دين محمد ان حكم الموجود في عصره حكم من يوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل
سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا صحيحوا نسبة العبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه
بالوجوب ويعرف نفسه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمفطورية ليعرف ربه بالقاهرية والفاطرية ويعرف نفسه بالمأمورية
والذلة ليعرف ربه بالآمرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه نصيبا بوجه من الوجوه ولا قدرة
بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا ما ثلا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد
ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء صلاة قال ربه اسلم
قال أسلمت لرب العالمين والاسلم اصح نسبة عبودية عن الاصنع انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال اي شيء
تاكل قال ما تطعمني قال ما تشتري قال ما تشتهي قال تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون الا ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل
الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب فيندرج فيه المنادى في النهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم
الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه
وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس التنبيه لستة عبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعها كل منها في الجواهر وفي الاعراض
اما الاسناد لا لامكان الذوات فالية الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاسناد لا لامكان
الصفات خلق الله السموات والارض جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام انى لا احب الآفلين وبحدوث
الاعراض لانها لو لم تكن حادثة لكانت الاجسام كذلك فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك الموجد بعد العدم له موجد

الوجود

للبرهو

ليس هو نفسه ولا الابوان ولا ساير الناس لعجز الكل وكل طبائع الفصول والافلاك الا افلاك الافق الامكان فهو شئ غير ملتم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعم السابغة وتعديد عطيته السابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي والاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعواقب وهو على الله محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد كما الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على جائكما وطمعكما في ايمانهم عالما بما يئول اليه امرهم وفي من دون الملوك ان يقتضوا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها على ان يقولوا عسى ولعل وكاد يبقى لطائفة عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا الترجي امرهم وهم متأرجحون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل ما خلقت الجن الا ليعبدون لا بأعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وبعضهم بالطاع والكريم الرحيم اذا اطمع فعل مجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتأكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد ظننت لزيد منطلق وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل فعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فانك فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهومهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صحوا لسنة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بالاوامر اما ان يكون دفعا على المدح ايضا وهو الذي كلمة الذي موضوعة لاشارة الى المفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة وقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي يتنبهوا للجاعل ويعيروا بالحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم جنسا من دلائل انفسهم وقضى منها خلقهم وخلق اصولهم وثلث من الافاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه سبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشاه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون وينقلبون كما ينقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا الفراش ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المظلة والمظلة من انزال الماء عليها واخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم وايضا خلق المكلفين واحياءه فادرين اصل لجميع النعم وانما خلق الارض والسماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل فلما كانت وجوه الدلالة في انفسهم اكثر كان تقديمها في الذكر اهم وبترتب منها مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما ينفرش كالمهاد لما يمهد للانبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفرش على ظاهر فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق فالفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما بيننا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها فيما بلد لان ذلك الهبوط صعود اليهم الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها كالحبل المدلى من السماء او الرمح المنصوب من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما امر الله تعالى به على عباده في خلق الارض انه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكان الزراعة واتخاذ الابنية منها وبالحري حفر الابار واجراء الانهار ومنها ان لم تخلق في نهاية الملاسة والتنعيف ليستقر الانوار عليها ويتمكن منها فيمكن جوازها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء ليتمكن طبيعة الغوص فيصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وبسبب نكشاف ما برز منها وهو قرب من ربعها ان لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت في الماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شئ منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب عند طلوعها على المشرقين على طلوعها وغروبها للمغربين وفيما بين الشمال والجنوب تفاوت ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الخلافين ان يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاغراض الحاصلة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البحر وراكب البحر ونتوء الجبال ان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة الفادحة في ملاسة الكرة في استدارتها ومنها الاشياء المولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتخمر الرطب فيحصل الماء سلك في ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات في الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انضداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وانزل لنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار والعظام التي فيها والارض مدة ناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة فاخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ومنها حيولها وموليها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للبناء فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرتها وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمينة وهذه الفائدة لا تحصل الا عند الغرة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب مما اشتد اليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعلها تركنا من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تامل العاقل في هذه الغرايب العجائب عرف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان من يسمع ويعي ويبصر ويعتبر الثانية في صنايع السماء البناء مصدر سمي به المبنى بنى كان او قبة او خباء وابنية العرب بحسبهم ومنه بنى على امراته اهلهم كانوا اذا ترحلوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالنجم جعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وبالوح في لوح محفوظ وبالقلم نون والقلم وبما يسطرون وبالسقف السماء سقفا محفوظا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها ابقع الالوان وهو المستدير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقبض الشمس طلوعا فنهل معدل التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وعزوبا يصلح معه الهدو والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ولولا الطلوع لانجمد الماء وغلبت البرودة والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكساد سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم ترفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فاضاء والنور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وهم انما كنا كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناء على كوة الفقير الجار فلا يصل النور الى الفقير لكنه دبر الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ما ارتفاع الشمس بخطاطها فقد جعل الله سبب الاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تقوى الحرارة في الشجرة والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستنظف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوان بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطباع ويظهر المواد المتولدة في الشتاء ويثور الشجر ويهيج الحيوان للسفار وفي الصيف يخدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجعف جلد الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد والبس فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس خليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وبضبط المواقيت الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا فقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا اسئلك لك ان هديت الي بعيري فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول شعرها ذا قول قولي فيك وتقيري وقد كفيتني الحمد والجمل ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت انك بي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يجلب الهارب ويهلك العاسق ويبلي الكتان ويهرم الشاب ينشئ ذكر الاحباب ويقرب البين ويبدي الحنين كيف اراد نشاط القمر سير الكواكب بالشمس وكيفية حركتها وبيان اختلافاتها وضاعها وعلل كل منها فمن براعته لا يحتمل ايراده ههنا قال الخاطف اذا تامل في هذا العالم وجده كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه السماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في مصالحه كالمصابيح والانسان كالمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيات لمنافعه صنوف الحيوان مسخرة في مصالحه

الدنيا

فهذه جملة واضحة الدلالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما الى ادم عليه السلام اهبط من الجنة وقال الله تعالى لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسمويات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال اخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومراعاها ومساكن الناس الذين احتاجوا اليها ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال تعالى وفي الارض ايات للموقنين تشربها لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وفيها ودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى بجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عليه السلام واولاده ثم علم الله اصنافا حاجاتهم قال يا ادم لا حوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزلنا من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي ان اعز الاشياء عندك الذهب الفضة ولو انى خلقت الارض منها هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء في الدنيا مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض ملك بل اشفق من الام لان الام لتسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك انواعا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه يرد كم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه ذلك لان مقامك من الام التي ولدتك ضيق ومقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تشعر شهرا فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى لكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى فما كانت لك فيه فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله حيث ما عالك مرة ما بخروج الى الدنيا خرجت اليها بالرسطاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما اخرجت بقدرته ومشيته بان جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب في موادكما انشاء نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدبيج والتسبيح ما يبصرها من يشبصر ويتفطن بها من يتعبر ومن في من الثمرات للتبعيض كما انه قصد بتنكيرها ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا لكم وانما قيل للثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة اولان القلة وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر اي عبدوا ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد او ان لا يجعل لله ندا ولا شريكا وبلعل فنصب تجعلوا بعده مثل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم وبالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف لمناده من ناددت الرجل خالفته ونافرته وندندد اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وانتم تعلمون يترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكانه لا يشوق غيارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه امر يا بين لكم مرجعه الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا مماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر فما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين اليه كفرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب هي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان نعبد الكواكب لكي تعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح عليه السلام والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا خبرهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا

المحرك المحرك في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك
والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته
ويعتقدون انه جسم وصورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا
تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى و
ملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه ثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم
مربوطة بتغيرات احوال الكواكب اعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد
انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله
والبشر فلاجرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طال المدة ذكروا ذكر الكواكب بمجرد العبادة تلك التماثيل
فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يرتقبون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون
ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات وكانوا اذا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما طال العهد في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم لما ابتدأ الامر بالطول والمدة واشتغلوا بعبادتها
في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته
وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم
اتخذوها قبلة لصلوتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها الا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمر هذه الحالة طرق جهال القوم انهم يحبون عبادها
وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل هذه هي الوجوه التي يمكن حمل هذه الاخبار عليها
حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل ارجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا اما
تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل
التهكم وكما لهكم بهم بلفظ الذي شنع عليهم واستقبح شانهم بان جعلوا الهة اكثيرة لم لا يصح ان يكون له ند فقط ولا يفيد في طريق عبادته
الا الحنفية والاخلاص ورفع الوسايط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة بانها
العلوي الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم للامر الالهي وهيكل العقل الصرف
وهيكل النفس المطلقة وهيكل النفوس الصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا
وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب
التاريخ ان عمر بن يحيى الساسادوقية تراس على طبقاتهم وولى الحرم البيت الحرام انتقت له الى البلقاء فراى قوما يعبدون الاصنام فسئلهم
عنها فقالوا هذه اوثان تستنصر بها فتنصر وتستسقى بها فتسقى فالتمس منهم ان يابوا بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار
به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي
بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعا وخرب عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه سلطنت منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان
لقبائل العرب اثنان معروفة مثل ود وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات
بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جدد سول الله صلعم بهم عن
عبادتها وندبهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك ندبهم عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعرا ربا واحدا ام
الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم ان كنتم صادقين فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين القراءة ما يتعلق
مثله صادقين والحجارة على تقدير اعدت للكافرين والوصل اجود كان قوله اعدت بدل الجملة الاولى كوها صلة للتي للكافرين
التفصيل انبه بالايتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلعم وحقيقة ما انزل
عليه وقد ذكرنا في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا الكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا يقف العادة
او بما ينقضها والاول باطل لانهم وهم رغماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا منها

البقرة

في ابطال امره حتى يبذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن كانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فعلى القسم الثاني الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز وعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل ما الدليل انه لن يعارض في مستأنف الزمان وان لم يعارض الى الان قلنا لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي ولانه لو لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجئ واعلم ان شأن الاعجاز عجيب بديع ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدركه ولا يمكن وصفها وكالملاحة فيما تدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز ما يعرف بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام وبانه هو كونه مبراء عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وبما يخطر في سالف الاذهاء فقد كذب ابن اخت خالته فانه لا تقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه نظمه المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كالوقال الحد معجز فان اضع الساعة يأتي على راسي بعد ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعدد لا من نفس الفعل وايضا تسميته كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسميته كل كلام مبراء عن التناقض ومشتمل على الغيب كلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق فاخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفة يجب ان يكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حد الاختصاص بتوفية خواص التركيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهي فنيا كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيدان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشكل طريقك الى المعنى وهو عرضه بحوه حتى يقهم فكرك ويتعب لحنك فلا تدري من اين توصل وباي طريق معناه يحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم او ربما استعملها اكثرهم وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عديمة على العذوبة سلسة على الاسلان والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلنا ينبغي هنالك الاذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها في وصف المشاهدات كبعير فرس او حمار او ضيعة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها انه تعالى راعى طريق الصدق وبرأ عن الكذب وقد قيل لحسن الشعر اكذبه لهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت في الاسلام وتركا سلوك سبيل الكذب والتخيل ترك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح الشعر الفصيح انما يتفوق في بيت وبيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح ككل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاما لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة شعر عذر كرنعمان لنا ان ذكره ؛ هو المسك ما كررته يتضوع ؛ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس احسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا في كل فن من فنون الكلام فانظر والى الزعيبي الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الزهبي حاب كل جبار عنيد من وراءه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ اقرأ ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الاهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانكر كان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر شعر فدع عنك تجرضا فيه السوائح ؛ وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرف في تفسير ريب فيه وانما خص تنزيلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجاز فلكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو انزل الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا فشيئا فحينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات الداعية فقيل لهم ان تنجيمه في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهو انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا بنجم من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر معنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلعم واعلاما بانه ممن صح لسنة العبودية المامور بها

في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير تنويه وتنبيه كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة
في نسبة العبدية التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العندية في كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان احسن
كلام صاحبه حسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخرى كان
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا وطوى فرسخا ومن ثم جزءوا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة
اذا اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا
والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم
يقرا الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج قد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والا
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد لم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه عليه المحققون
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
في المنزل عليه لا المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول لاقتضى الترتيب
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا صلعم منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله والحق لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومنفردين اميين او قارئين لو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص النبي وايهام ان الاتيان بالقران عمن يكون قارئا ممكن وانه الاولى
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج الى ان يستظهر بالشهداء وهو جمع
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
في منازعة محمد في امر شديدة فتجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
ما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او يحكموا لكم وعليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان تمنى على الجبار ان ادون هذا ودون ما في نفسك ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
وادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق وادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه : اي تريك القذى قدام الزجاجة
والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم وادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اولياءه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تابى عليهم الطباع ويحجرهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
على الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد انما نقوله حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس وكان قبل ادعوا غير الله
من الجن والانس من دونه كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثل ودون كل شاهد وعلم
ان التحقيق في التحدي هو ان النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي قد دعيته ناطقا رسالة الله تعالى اياه على يدي فانتم لا تقدرون عليه لعدم
اقتداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل من عنده واني صادق فيما اقول فان اضعفوا من انفسهم بمشيئة الله تعالى ونوقنوا هذا تبعوا
واهتدوا والا بقوا في الضلالة تائهين كل هذا من قبل الاسباب التي يظن تعلقها بالوقائع والحوادث حسب ما لا بد كلا يلزم من هذا ان يكون للعبد
قدرة مستقلة يقع الوقوع بها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا ولقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في انكم

هذا الوجه

بعينكم اوفى ان القران غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان الشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء فى قولك ان تكرم ان جئتنى وانما تقدم ما يدل عليه وشتان القران كثيرا عتبره فى كل موضع واما قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد ﷺ من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادون محمدا ﷺ اشد المعاداة ويتهالكون فى ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج ممن هو اقوى ما يدل على ذلك فاذا اضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه ﷺ ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فعند كان معلوم الحال فى وفور العقل فلو خاف ﷺ عاقبة امره لتهمة فيه ﷺ حاشاه عن ذلك لم يبالغ فى التحدى الى هذه الغاية وثالثها انه ﷺ لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه ويتقدر وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع فى الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ فى نفى المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب فقد وقع كما قال ﷺ لان احدا لو عارضه ﷺ لم يمنع ان يتواضع الناس ويتناقلوه عادة لاسيما والطاعنون فيه ﷺ اكثف عدد من الذابين عنه ﷺ واذا لم يقع المعارضة الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جئ بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد عجزا بين بالعجز عن المعارضة لا تكالهم على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق على ولهذا اختير قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا على قوله فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ولن ائتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول الى هو جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت اتيت فلانا واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله وَلَنْ تَفْعَلُوا جملة معترضة لا محالها وليس الواو وللحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجئ بالواو وبدون الواو وقد اجتمعا فى قوله وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان انتفاء النار لصقة وضعت لها العناد فوضع موضعه من حيث انه من بنا تجده لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لجيشه ان اردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى بريد فانتبعونى وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القران وهو بيان شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا شنع بتقطيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح فان قلت صلة الذى التى يجب ان يكون قصته معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نارا لاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله ﷺ ويكون اشارة الى ما نزل بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك فى سورة التحريم قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ وهذا عرف ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبانها توقد بنفسها واحراقها واحماؤه او بانها لا فرط حرها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت فارتفع لهبها ولعل الكفار الجن وشياطينهم وقود نار جهنم كما قال الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب والحجارة قيل هى حجارة الكبريت وقيل هى ما نحتوها اصناما أَنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا فى ايلامهم وتورية التغيظ مطلوبهم ونحوه ما يفعل بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله اى يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والبناء فى الحجارة لتاكيد النابئ الجماعة نحو صفورة وقد يرد فى الخلد من هذه الاية ومن قوله ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ومن قوله نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ان المراد بالحجارة هى الافئدة اى وقودها الناس فلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا فى درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا

(بكسر راء زشت ونيز بشتابى كه روشت از زير شان جوى) (ومژده ده انهارا كه كرويدند وكردند شايسته

قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(روزى را) (كويند كه اين آنست كه روزى داده شديم از پيش واورده شوند بدان

مانند يكديگر را ومر ايشانرا زنان پاكيزه وايشان در ان هميشه الوقوف الانهار رزقا الان قالوا جواب كلما متشابها خالدون التفسير سبحانه لما ذكر تهم دلائل التوحيد والنبوة واتبع الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سنته المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والاعمال الحسنة والسيئة وهل هنا الان بمعنى الواو ام لا ظاهر الاية من نحو قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله ﷺ فى حديث صلوة الخسوف فانى رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا سكنى ادم وحوا الجنة وقد جمع الله فى الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنان ومن المطعم

هو القرآن ومن المنكح وهو الازواج المطهرة ان زال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به وهذا قال العلماء اذا قال العبد لابيه ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره فرادى عتقوا ولهم كان هو
الذي اظهر سروره بخبره ولو قال ان كان بشرني الخبر فعتقوا جميعا الخبر وهو البشرة لظاهر الجلد بما يشاهد الصبح ما ظهر من وابل ضوءه فاما
قوله فبشرهم بعذاب اليم من باب التهكم والاستهزاء فان قبل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب مشاكل من امر ولهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب المسيء ويثيب المحسن فتعطف الاثابة على العقوبة لا لطلب ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تعلم واحذر واعقوبة ما جنيتم وبشر اولا
بني سعد بالحسنى الهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قيل يا ايها النبي فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز
كقوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا اي يقولان ربنا ثم المأمور به في قوله وبشر هما الرسول او ما كان من امر استيهال
ان يبشر الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الخطيئة شعر كهاجية ومما تنفك صالحة من آل لاحم يطرقن العشب ثاقبة والذ
واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال
ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من
الاغراض كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ثم منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا
استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه شكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطها المكلف
بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجد من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا
الشرط في الاية للعلم به فانه قد ذكر في العفو للقرآن الاحسان ثم يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب بحسنه وهذا
قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط الا ان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق
العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة و
يعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف الظلال بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على
معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب ما تحفها فان العالي من كل طبقة منهم جنان من تلك
الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال البردى نهر دمشق والنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء وعلى التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها واثمارها البناتين واكرمها منظر
اما كانت اشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كامثلة لا روح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار ولان المراد بها الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى جنس الجنة في علم المخاطب غير انها نهارها فعوض التعريف باللام من
تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن الاية وكلما رزقوا اما صفة
ثانية للجنات او خبر مبتدا محذوف اي هي كلما رزقوا او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع في ثمار تلك الجنات
اشياء ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشياء ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الغاية
لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان
فالرزق قد ابتداء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار وجاء خبره ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا ترهبه انت اسد على هذا اصح ان يريد
بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف
ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح لا بالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء
فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي رزقنا اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذاك الذي رزقوه
في الجنة لا يكون هو ذاك الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قولهم واتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمار الدنيا وثمار الاخرة ان الانسان بلذاذ الوقت الذي هو اوائل لذات الجنة
ازاء طرف شيء من جنس ما سلف له به عهد اي فيه مزية ظاهرة فرط ابتهاج به طال استبهاجه به وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصروا الرمانة والتفاحة
في الدنيا وجمعها جمعها ثم ابصروا رمانة الجنة تشبع البصر والنفس كفلق الصخر كابرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين
للفضل واريد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسها وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مشرق تحل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
الفلال كلما رعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق

كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة وابتهم متجانسا في نفسه ما لتشابه ثوابهم في كل الاوقات في العقد والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشئ واعجب به لا يتعلق نفسه لا بمثله فاذا جاؤه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك اتم في اللذة وعن الحسن ان الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتيتنا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هو بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصرها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة الاتي في معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم الاموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل فيها كمال الالتذاذ والابتهاج لكمال العلائق بعد الموت وشاهد تلك المعارف فالهذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور قال اهل التحقيق الجنة جنة الوصول والشاهد هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون احوالا شتى في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدته قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى لما شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة تلك النار صفة غضبية كما كان لموسى لما اشتد غضبه شتمت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة يقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فانهم وايضا كل شئ له صورة في الدنيا فله في الاخرة معنى اخر عنبي كقولك في دعاء الشهداء اللهم لون لونا الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله وأتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الي فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهيرهن الازواج تطهيرهن من الاقذار والاناس لا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما العنان فيصحان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى لهم جماعة ازواج مطهرة وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما يقابل طاهرة وهي الاشعار بان طهرهن ليس كذلك الا الله عز وجل لمزيد اعتبارهن بخولهم كل مرتبة فيما اعدلهم وههنا نكتة وهي ان المرأة اذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها فان اعتزلوا النساء في المحيض مع انها معذورة في تحسها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنع عنهن اذا كن بحيث بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب ازلة الخاتم عنه وايضا من كان على ثوبه نجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه حبال من نجاسات الذنوب المعاصي والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفي الخلد عن البشر مع تقرير بعضهم وضمهم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام اولم يدم ولو كان الثابت الخلد في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال للعدو جلسه جلسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والخوان خوف الانقطاع ينقص النعيم وذلك لا يليق بالكرم الاكرمين

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

بدرستيكه خدا شرم نميدارد كه بزند مثل را به پشه وپس از آن برتر پس انها كه گرويده اند پس ميدانند كه ان حق واز جانب پروردگار ايشان است واما

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

كه كافرشده اند پس ميگويند كه چه خواسته است خدا باين مثل كه گمراه ميكند باين بسياري وراه مينمايد باين بسياري وگمراه نميكند بان مگر فاسقان

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ

آنانكه ميشكنند پيمان خداوندي پس از محكم كردن وميبرند انچه را كه فرمان داده است خدا كه پيوندكنند وفساد ميكنند در زمين گروه زيانكاران

الوقوف فما قوقها من ربهم لان الجملتين وان اتفقتا فكلتا اما للتفصيل بين الجمل مثلا لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا الفاسقين لان الذين صفتهم ميثاقهم عن لعطف المنقضين في الارض الخاسرين التفصيل بين كون القرآن معجزا وردها شبهة وردها الكفار فدعا في ذلك فاجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن قتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود بذلك وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور والحشرات والناس الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجراء من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتني بحمل بعوضة ولقد ضربت لك الامثال في الاجبل الاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكجنة جرذ والنحل والحصاة والاوتار والدود والذباب قال مثل ملكوت السماء كمثل زرع في قريته حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

البر حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال بلى فالوان ابن هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة زعق
الفلاح بثيران جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة ان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
العدو الذي يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي الحدا التي يزرعها ابليس واصحاب الحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم
فيحصدهن اهل الجبر الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك سل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع ثم ضرب لكم مثلا اخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخر اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها
في قريته فلما انبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير تعشش في فروعها فكذلك ايها المتقشف مرعاك اليقظة تضاعف الله اجره وعظمه
ورفع ذكره ومنابر من اهتدى به قال لا تكونوا كالمخل يخرج منه الطيب ويسلم النجاة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتيقون العمل في
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يليها الماء ولا يقصفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم عند الله تحفر فتجد دائما
عليها لباسها وهناك رزقها وهن لا يعرين ولا يتشعثن ومنهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من يأتيهن يلبسهن
رزقهن الا قليلا تعقلون وقال لا تغيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخالطوا السفهاء فيشتموني هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف ذلك ان مرطبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادرك العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادرك العقل مع معاونة الخيال والاشارات الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب في كره
في الكتاب الذي انزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرء عامة بالغة وليس الصغير اجنبا ليه
من الكبير ولا الكبير صعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب او العنكبوت لحسن ضرب المثل وهنا فكيف
يضرب بالفيل وشيء مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من يدارس مسكة ولكن يدين المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم
وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويلحق واشتقاقه من الحيوة يقال
جبي الرجل كافال الشيء وحشي اذا اشتكى الشاكي والحشأ وكان الحي صار منقوص القوة متكسر الجوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي في حديث سلمان قال رسول الله ان الله
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخيب العبد بترك رد المحتاج اليه
حياء ومعنى قوله ان الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام
الكفرة فقالوا ما يستحيي محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو في بديع قال ابو تمام شعر من
مبلغ افناء يعرب كلها : اني بليت الجار قبل النزل : فلو لا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعرا ما استحيز
الماء يعرض نفسه كرعن لسبب في اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه ابتاع ذهب راعي الماء وكانه يعرض نفسه على الورد
فيستحيي فيكرع فيه مشافرها السب هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وجوانبه الازهار باناء من الورد وفيه لعنان استحييت
منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب الشيء اعتماده وصنعه من ضرب اللبن ضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب سول الله خاتما من ذهب فما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان وصلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي
مثلا احقا وامر البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك انما يضرب به المثل قد يجيء مثلا كما يقال لحاتم مثل في الجود ومفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل والبعوضة في اصله صفة على فعولة من البعض القطع فغلبت
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب من غرائب خلقته مع صغره اعطى كل ما اعطى الفيل مع كبره فيه اشارة الى ان
خلق احدهما اليسر صعب من خلق الاخر واشارة الى كمال الانسان وكمال استعداده كما قال ان الله خلق ادم على صورته تراى على صفته فاعطاه
على صغره من كل صفة من صفات جماله وجلاله نموذجا اليشاهد في مراءة نفسه جمال صفات ربه من العجائب ان خرطومه مع غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع رطب صغره وكونه مجوفا يفوص في جلد الجاموس الفيل على تخانته كما يضرب الرجل الصعب فيجد الجهد في ذلك المركب الله تعالى في راس خرطوم من
السمر قولة فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان العوام انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء اراد
فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضرب به مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمنع من التمثيل بالشيء
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا يفيد الترتيب الذكري نبه بذكره في هذا المقام الاخير فالاخير كقوله تاذا رميته فما اصبته
فالسنة ان يذكر في تعريف الاكمة الاخص الاعم فكان الحلبا موضع سبع يشتمل على مواضع منها السند ما عرف فيه مغيث الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدة التوكيد تقوى بذاهبا فاذا قصدت التوكيد كان الذهاب منه غريبة قلت ما ذيد قائما بل ذاهبا وقال سيبويه في نقيضه مهما

يكن من شئ فزيد ذهب ليس مراده من هذا التفسير ان ما يبغي مهما كيف هذه حروف مهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اى لم يكن في الدنيا شئ لا يوجد فهاب بيد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول شئ في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شئ فيها فقوله الجملتين مصدرتين بمهما لو قال فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون لجاء عظم لامر المؤمنين واعتداد علمهم انه الحق وبغي على الكافرين بهتهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يوجب الامر بذبه وجب الضمير في انه الحق المثل ولان يضرب في زاية وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتداء وخبره مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما واحده ولو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجئ على العكس كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا لمرئ خيرا في جواب ما الذي رايت خيرا لمرئ الا ارادة بنقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه بعد العلم بالمنفعة وبين علمه وقدرته والمولد نة فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجائز على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع انفاق المسلمين على الحاق هذا اللفظ على الله تعالى زعم النجار انه مجاز سلبي معناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويلزمهم هذا العلم بالداعي والصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم وابناءهما انه صفة زائدة على العلم تم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم اخر ولم يقل احد بوجوده الا في محال وهو قول ابي علي وابي هاشم وابناءهما وفي قولهم ما اراد الله بهذا مثلا استزادة واستحقارا كما قالت عائشة في عبد الله عمرو بن العاص حين افتى بنقض وائب النساء في الاغتسال اما اعجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثله نصب التمر كقولك لمن جاء يجوابث ما اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا ردا كيف تنفع بهذا سلاحا وعلى الحال نحو هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بما واهل الهدى كثير في انفسهم في المضمر وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة اذ الكرام كثير في البلاد وان قلوا كاعيرهم قلة وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل زاد به الموصوف نورا الى نورهم فنسب لهديهم وازداد الكفرة رجسا الى رجسهم فنسب اضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد فالرقوبة قد تقاسقا عن قصدها حتى ابدا فبين ندهب في تجد وغورا غائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة منزلة بين المنزلتين لان حكم المؤمن في انه ينا كح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك ابن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلف المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز والتنابز بان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ قال الزجاج يقال نقضت الحبل اذا فسخت فتله بعد استحكامه والمستعمل في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من بيان الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك غالا يغرف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العلم بانه بحر استكف عن المستعار له ذلك من ربه اليه بذكر شئ من لوازمه والعهد الموثق عهدا لنبي كذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين اما كل من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله بما رأته في الافاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى حقيقة شرائع بعد ازاحة العلل وازالة الشبهات واما قوم من اهل الكتاب قد اخذ عليهم العهد الميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقبل عهد الله الى خلقه ثلثة عهد العهد الذي اخذه على جميع ذرية ادم واذ اخذ ربك لا يتوعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى الموثق كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسما وتقوا به عهد الله من قولك الزموا بيتكم لا يطعن توجيهه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اى من بعد توثقه عليهم ومن بعد ما وثق الله تعالى به عهده من اياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل ما قطعهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين وقطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك في رتبته عليه به سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يبدو اليه من يتولاه شبه بالمر يامره به فقيل لما مر تسمية للمفعول به تسمية للمفعول به بالمصدر كانه ما موبه للام حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل وصه وقد يتسعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدرا تقديره بان يوصل اى يوصله والا

فساد في الارض اما اظهار المعاصي واما التنازع والقتال ولذلك هم الخاسرون في وقته لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع
بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور ينبغي ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في
(بكسر كاف تكفرون بخطاب و بو يا مر كان پس زنده كرد شما پس ميراند شما پس زنده ميكند شما پس بسوي او ميگردانيده شويد او است كه آفريد مر شما را آنچه در
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم القراءة فاحياكم وبابي ترجعون
زمين همه را پس همت گماشت بجانب آسمان پس راست كرد آنها را هفت آسمان واو بهر چيزي داناست بفتح التاء وكسر الجيم كل القراء بعقوب
وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلي وابو عمرو الوقوف فاحياكم للعدلي ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط
سموات ط علم التفسير هذه الآية موقوفة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيؤول
بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرناه ووجهه هو ان الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احد الحالين اما غالمين بالله واما
جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله من المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال والكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال
الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصوره كافرا بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله او جاهلا به بخلاف سائر احوال المقابلة
كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفر مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم
بالصانع او الجهل به الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي لمزيد اختصاص فافاد الاستفهام في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل
لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الامانة ثم الاحياء
ثم الرجع اليه فحق ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عمن لصورة اختيار في الترك مع الصارف لقوي
مظنة تعجب وتعجيب ونكار وتوبيخ وكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم
ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا شك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور وحين تسئلون في القبور ثم اليه اي الى
حكمه ترجعون اي بعد الحشر للثواب والعقاب من قبورکم وهذه القضايا ايضا مما لا شك فيها لنصب الادلة وانحة العلة والاموات
جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعها في ان لا روح ولا احساس و
يحتمل ان يقال المراد به حمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو بحيلة السعدي واحتبئت لي
ذكري وما كنت حاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض ولا يخفى الآية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماتهم
الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وانبيا
اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الآية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه
ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا الله فبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر
مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على
وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اي يعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه
لا يترك على هذا الموت بل لابد من حيوة ثانية للسؤال والحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة
فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المصالح والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور و
القصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بانه يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى صنه في الدنيا اثر ولا عين ويبقى مدة مديدة في اللحد
ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون يناديه فلا يجيب ليستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الا اقربون بل ينساه الاهل والبنون ثم قال رب
بجاء خبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اقنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار
ظهورنا نادبة لاهل القيمة سوءاتنا فلا تضعف مصابنا واعراضك عنا واوسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة واذكر الله تقم
في الآية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر بعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض لما
فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر في تضاعيف ما بينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم
ومن التذكير لاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الالتذاذ من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية
وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغمو والخاوف فظاهر الآية لا تدل الا على خلق ما في
الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بها الارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم
الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما اي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد
ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع الموالد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنايع والحرف وبعضهم يستدل

(بقية ع)

(ما في قوسين عن هامش ع وهو الآية الكريمة وما بعدها ان ظهر وان لم يظهر فهو مراد)

البقرة

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان يتناولها ويستفع بها ويمكن ان يقال بل بهذه الاية والا كان تصرفا في ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من انه تعم خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه كما يلزم من استتباع الفعل الغاية ان يكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا انما اذا كانت فاعليته ناقصة لتستكمل بتلك الغاية اما اذا كان فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك فرق دقيق يتنبه له من له بصيرة عليه قيل انه تعم خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص لشيء اصلا قلنا في قابل الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك فهو ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا ازلا ولم يكن متاخرا عن خلق ما في الارض فيجب التاويل وقد تقرر انه يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادة تروه شيئه بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق او هذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وتم ههنا ما للتراخي في الوقت والمراد انه حين قصد الى السماء اراد بحديث فيما بين ذلك خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات عن خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وكقوله ثم كان من الذين امنوا وتفسير هذه الاية في قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل ما معنى قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا الجواب من الكتاب لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم صعد الدخان وخلق منه السموات ومسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق ويذهب بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن الدحية وايضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض خلق ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض ويذهب بان قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على دحية الارض على خلقها لانها مثلا رمان وح يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثالان تقول لغيرك الست قد اعطيتك الف ما عظيما ثم دفعت عمك الحصور ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوجود قلت هذا صحيح معقول من حيث بناء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ساعده النقل والا فلا حاجة الى انه تعم خلق الارض اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسوهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم والضمير في سوهن عائد الى سموات تفسيرا بمجرد تعديد جلالة وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان الحصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب قيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماء الوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمها خلاوه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو كل شيء علم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ومع خلق ما في الارض على حسب الحاجات لكفاءة المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قط وبه يهدم بناء من علم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى علم ما يعرف تفاصيلها لم يكن مخلوقات عرى الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير بعالم الذر في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في النحر وعلى هذا يدور نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج بنود م ثم ان العقل قد يدل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فانه ثبت بعمل الارصاد لسنة فلك على ما استقر عليه رايهم او لها من الجانب الاعلى للحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها حاويا بالكل وثانيها للثوابت جسمها تحديدا لادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على افلاك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر بعدها وعلى ترتيب بعضها بعضا او لها مما يلينا للقمر فوق المعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم لحمل وثاريها ثم لزحل والتاسع فلك الكواكب الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل بفس مجموع السبعة فيحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحرك حركة خاصة به ويكون التعويل على تحد تمثل تحمل مثلا او بالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كيفية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من

صدق الله العلي العظيم وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را كه من قرار دهنده ام در زمين جانشيني گفتند كه ايا قرار دهي در زمين كسي

ع

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ القراءة خليفة وشبا
كسى را كه فساد وكند دران وبريزد خونها را ومحال كه تسبيح عالم ستايش تو وتقديس نسبت زيرا كه تو گفت كه من ميدانم آنچه را كه نمى دانيد اما الامالة عند الوقف
ابو عمرو وحمزة وعلى والاعشى والبرجمى الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهى الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصته ومرنبهة وحطه وغلظة وضيغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة
حمزة وعلى فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمى فانهم يميلون بين الفتح والكسر الى الفتح اقرب الى علم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو
والوقوف خليفة بناء على ان عامل اذ محذوف اى اذكروا ومن جعل العامل اذ وصل الدماء لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء
يقتضى الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال فى قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضى الوصل ونقدس لك ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن
كيفية خلق آدم عليه السلام وعن كيفية تعظيم انباه فينبغى ان تسلك ما تقدم من النعم فان النعم على الآباء نعم على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف
اى اذكروا وقت قولنا لك كقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل وقد اذا راى وقد اذا اردنا على ان نبدل من اخاها عاد لان الذكر فى ذلك الوقت يمتنع والخطاب
للنبى صلعم او لكل احد من بنى آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مالك بتقديم الهمزة من الالوكة
وهى الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاءك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم ترك همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها
على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد تلحق واعلم ان الملك قبل النبى بالشرف العلية وان كان بعده فى عقولنا وادهانا
وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله فى تبليغ الوحى والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء فى ان شرف العالم العلوى بالملائكة كما ان شرف العالم السفلى بوجود الانبيا
فيه وللناس فى حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول
اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هى هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والاخماس وانها احياء ناطقة فالمسعدات
ملائكة الرحمة والمخسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران
قادران متضادان النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير تقى طيب الريح كريم النفس لا يضر وينفع ولا يمنع ويحيى ولا
يبلى وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة الاعلون على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضئ
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم
طوائف من النصارى انها هى الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين
وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس
الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهى الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلى
خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة
المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهدايات الى المعالجات النادرة الغريبة والتراكيب المعجونات و
استخراج صنعة الرياضات كما يحكى انه كان لجالينوس ديك فرانى فى المنام كان مرائا مره ان يضع الشرياق الذى على ظهر كف اليمنى
بين السبابة والابهام ففعل فعوفى وبما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عم فى اثبات الملائكة وذلك كالامر
المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال صلعم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروى ان بنى
آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطير وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض تتبع
الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل فى
ملائكة الكرسى نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التى عدها سبعمائة الف طول كل سرادق وعرضه
سمكة اذا قوبلت بالسموات والارض وما فيهن فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد
وراكع وقائم لهم رجل بالتسبيح التقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر ولا يعرف عددهم
الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عم والملائكة الذين هم جنود جبرئيل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسامون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب
الوحى والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون
يدخلون من كل باب منهم ملائكة النار عليها تسعة عشر منهم الموكلون بجهنم عن اليمين عن الشمال وبعدد منهم الموكلون باحوال اهل هذا
العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين على منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون و
مسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضا

الطف الابل ای صوت من ثقل حملها

علیهم

ولم میم

البقرة

وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم مثلفعون تحته ما جحتهم مضروبة بينه وبين من دونهم حجب العزة واستار القدسة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يجدون عندما لا اماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم اندرج الضحاك عن ابن عباس رض سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا يحاربون مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض افسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال اكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم التخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان معناه مصيره الارض خليفة وانما لم يقل الى خالق الكافا الى خالق بشر امن طين لانه بيان الخلافة من عالم الامر من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي ص ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع المذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد بادم ع اما الانبياء خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه وبهذا قال ابن عباس رض واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن المراد بالخليفة ابناء ادم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وحد بناء على من يخلف وخلفا يخلف والحقيقة ان الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماوات والارضيات ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه ولله المثل الاعلى فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر وزجاجة القلب والزجاجة مشكوة الجسد في زجاجة القلب بيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل ولو لم تمسسه نار نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرافة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات كلها على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو يحكمه البالغة غنيا عن ذلك واما ليسئلوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا ويدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا قوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الايات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا الى بني ادم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذروا العذر قبل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالانسان وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان عرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه لله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان فاعلا بحكمة غيره ثم راه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على الوجه الذي نعلمه نحن ونحن نسبح بحمدك ونقدس على الوجه الذي نعلمه نحن ومنها ان ابداء الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل لهم انا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا على ان الملائكة لم يجوز صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب نفاة القدر ومنها ان يقال انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه الله عن صفة الاجسام وتقديس والتقديس تنزيه فعالا عن صفة الذم ونعت الصفة ومنها ان الخير في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يترك الحكيم لاجل الشرور القليلة وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فاراد العبد المخلص اشد منه حسبما وكاه بكره ان لا يعبد بعبادة منها ان قولهم اتجعل مسئلة منهم ان يجعل الارض وبعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى ربنا اطمس على اموالهم فعل استفهاء اي لا تهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلك فقال تعالى اني اعلم ما تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء وبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض لرضى كل فريق بما اختاره الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير شعر الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك ولا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي يقتضي

ايجادهم وفيهم من استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين والجواب عن الثاني ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن الثالث ان مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا وانما ينهى عنه اذا كان على سبيل الفخر والخيلاء وعن الرابع ان قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك انما ذكروا ذلك على سبيل الطلب لوجه الحكمة وعن الخامس ان ترك الاولى لا يكون ذنبا بل لان ترك السؤال كان اولى وروى عن الحسن قتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة فيما بينهم ما شاء ربنا ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا خلقا اعظم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم بعلمه الاسماء كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا منهم انا لا نهم فاسوهم على حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي ومنها لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء واما انه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك واما معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند النازع والظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر طريق الالزام وقبل انما خلق النار خاف الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار فقال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية منهم نظرا لما قضته الحكمة وجرت به المقادير وروي في بعض الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالاقل الاكثر من اهل الحق قالوا انهم غير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعاصي لانه تعالى قدرة على الامر من كان قولهم اتجعل فيها من يفسد ترك الاولى وعلى التقديرين فالمفسوح حاصل وايضا قالوا انهم لو قدروا على المعصية لكان ذلك يخرجهم وهذا يقتضي كونهم معصومين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى فيمتنع عليه تركه مع ان استحقاق المدح على الثواب محال والوفي قوله نحن نسبح للحال كقولك احسن الي فلان وانا احوج الاحسان والتسبيح بمعنى التنزيه من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والبعد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم لنفي الجسمية والعرضية والضدية والندية واما في الصفات بان يكون منزها عن العجز والجهل والنقائص محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري وسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي خلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام الفوية للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بعلم المعلمين كما بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ان اردت رضوان الله فسبح ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد اظهر على تسبيحي وسجودي بكراة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والحيتان والشجر والدواب والليل والنهار والظلمان والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده ايها العبد الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقت السموات والارض وما بينهما باطلا لكي اوصل ثواب هذه الاشياء اليك فاعرفوني من اجتهد في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية لتنفع بها انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الخلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ان رضيت وان كنت انا الغني عني ورد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن اذا نصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم احدهن يا ايها الناس عبيدي انتم لا اني احتاج الى احد منك فاني انا الملك ولي ملك السموات والارض ولكن امرتك لخدمتي عن فقير السائل ملكا كبيرا وجزاكثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله يجعل في موضع الحال اي

نسبح بمثلث بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل عن رسول الله ﷺ اى الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا يسبحون الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم القيمة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود تسبيح اى تصلى والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وحظايانا بابتغاء مرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى نصير مستغرقة فى انوار معرفتك انى اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تعتمدوا بان فيهم من يعبدنى فيسفك فيه الدماء واعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس فى قلبه من الحسد الكبر والنفاق ما فيه وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدايح فانتم تسبحون انفسكم لانى لم اسبح صبورا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدنى ثم يجحدوننى ثم لا يشكرون حق العبادات ثم لا يشكرون على تلك الطاعات

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشيته مشفقون والذى طمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وادخلنى برحمته فى عبادك الصالحين واعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذه الاجمال ما يتبين عن التفصيل فان افعالى كلها محكمة ومصالحها وان خفى عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك فى قوله

وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون

القراءة انبئونى وكذلك خاطبون وحاشير وفالون ومحن المنشئون وليطفوا وليواطوا ومتكئين وقل سنهزؤ ومتكاء وليتبئونك وبابه برنا وبربون وبابه كهيئة واشباه ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء بغير الهمز والباقون بالهمز وقنبل وقيل ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلمتان لا يبدأ بهما وبعد هؤلاء ابن عامر بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر قرأ ابو عمرو والنبرى من طريق الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المضمومتين واما فى المفتوحتين فكابى عمرو وانبئهم عن ابن عامر وابيان مضمومة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة مضمومة الوقف صادقين علمنا الحكيم انبئهم باسمائهم لما كان قاء التعقيب باسمائهم لان قال جواب فلما تكلمون التفسير هذا اجماع الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعانى وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على ان الملائكة وادم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب الهاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية ووضعها البشر واحدا واحدا عند وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد انهم يعرفون اصحابه على الوضع مثل علمناه صنعة لبوس اى لهذا والمراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم هكذا قبل ادم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقولة فاذن المراد اسماء المسميات وعوض لا لف واللام عن الضمير كما فى قوله واشتعل الرأس اى علم اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد ادم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد طبقة واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون لتواسى اثار اللغات ثم لا بعد بل ينبغى ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشئ كالمرتفع على ذلك الشئ فان العلم بالدليل انما قلنا ينبغى ذلك لان الفضيلة فى معرفة حقايق الاشياء اكثر من الفضيلة فى معرفة اسمائها ثم من الحقايق ما يوقف ادراكها على الالفاظ كالمضمرات والمشتقات وغيرها فاذا كان لادم تلك الآلات وقد عرفها فلم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربى لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتى لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقايق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدى به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ الذكور لان فى جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من يمسك بقوله انبئونى باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم بتكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اى فى انى لا اخلق خلقا الا اكمل علما منهم وقيل اى فى قولكم انه لا شئ مما يتعبد به الخلق الا وانتم تعلمون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلمونى باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

في ذلك الاعلام وقبل الخبر وفي لا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوبيخ لهم على القصور لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يجترءوا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل فالوا انهم لما عرفوا خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا فالواذ ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا علم الا ما علمتنا ذلك فكيف نعلم وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم يفسدون في الارض فعلمتنا ذلك اتجعل ما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تنزيها لك وهو مصدر غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجيء في الاعيان تجري في المعاني قال المعتزلة انه ههنا المراد به لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالآية ايضا على ان لا سبيل الى معرفة الغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجمان يقول لما عرف ادم بوضع الدليل فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك تعليم ادم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكم انه هو الذي حكم بجعل ادم خليفة في الارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضا لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون والا انه تعالى جاء به على وجه البسط واشرح فيما مر فيه علم ما جوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها بقوله وما كنتم تكتمون ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد قبل الخلق ادم وان الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا سروه منهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دال على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء والى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابرهيم الى لوط ع واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات والا فان علموا فقد بطل المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف خضعوا وان ادم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق ادم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات او من باب الارهاص فيها عندنا واجاز ان القاطعون بانه ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدقت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه فرد الرسالة الى الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف وان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس فلا انسان الا حواء وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقرب هذه الشجرة واما الى الجن فما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم لو كان في الامكان شيء اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشيء وما دل على فضيلة الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك ما يروى عن مقاتل ان الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا واتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد اتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها الفرق يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ولا يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء وما يعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الاية بين الله في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون امنا به وبشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم بالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى

عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبا
انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي ﷺ من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين
فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له بنى بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض
الارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي ﷺ قال من طلب العلم لغير
الله او يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه
الرجل خير له من ان يكون له وقيد بهذا فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه رحمه الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يجيون سنتي ويعلمونها
عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا
لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال ﷺ معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر
وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد كفضل
درجة بين كل درجة خطو الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيغيرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت وعن سعيد
مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس بتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يوتى بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي ﷺ بينما هو جالس والناس معه اذ قبل ثلثة نفر
فاما احدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفرغ فلما فرغ ﷺ من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه ﷺ يشفع يوم
القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له والخبر وعن النبي ﷺ اذا سألتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله
ومن الناس قال ﷺ اهل القرآن قيل ثم من قال ﷺ صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل القرآن من يحفظ معانيه وقال كن عالما متعلما او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وساير الناس
همج لا خير فيهم فان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولد له كن مستمعا خائفا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكون بينهما
انسانا ناقصا وعن النبي ﷺ انه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه ان لا يسبق من غير هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل فقال يا رسول الله دلني على ما اعمل في هذه الساعة قال ﷺ اشتغل بالعلم فاشتغل بالعلم فقبض قبل
المغرب قال الراوي ولو كان شيء افضل لعلم الامر النبي ﷺ به في ذلك الوقت واما الآثار فمصعب الزبير قال لابنه تعلم العلم فان يكن لك مالا كان
لك جمالا وان لم يكن لك مالا كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيده لا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو نوارة مع الله بالحب له
ونارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالجلال والجمال دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء
غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف وذلك اني فسرت القرآن فاقول عن الله عن الرسول فمن لا يصدق فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يكون مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك
في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقبل العالم الراف بالمتعلم اشد من الاب بالام لان الاب والام يحفظونهم من نار الدنيا وانا نهاهم
من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود ﷺ وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول قال بعضهم سل مسئلة الحمق واحفظ
حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فمن تحلى
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب ﷺ العلم افضل من المال لسبعة وجه العلم ميراث الانبياء
والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بالنفقة والمال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس يحتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل

عند الورود على الصراط والمال ليغبطه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات
بينال افضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم
فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب ما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في فرقة عند المنكسرة
قلوبهم لاجلي واذا رأى علماء المسلمين للعالم واذا كلامهم للفساق ينفر عن الفسق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منهن ان
كان اميرا قياما من مجلسه لابيه خدمة للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو علم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة اشياء علم
ادم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الغرابة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدروع
وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى التوراة والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
وعلم محمدا علم الشرع والتوحيد علمك ما لم تكن تعلم فعلم ادم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذه مثل موسى
ويوشع ولد وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بالقيس الغلبة وعلم داود للرئاسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن
امه وعلم محمدا لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد ادم تحيته الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الغرابة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من جب الدنيا فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا يغوص من جب الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وايضا فان يوسف تذكر منة الله على نفسه حيث قال علمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك
مفسر الكلامه سيما النفسه وارثا للنبيه داعيا الخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وفائد الخلوق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن نار
وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروى عن نافع
بن الازرق قال لابن عباس كيف خفا سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض كالزجاجة يرى ظاهرها من باطنها فقال نافع الضحيح
لما سمع من الذباب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس ان اجل القضاء لعمى البصر قال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدقة في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخمول وكمال للشريف وجلال للملك
وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيما حد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك لا يقدر احد على ان يميتك
وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغض عينيه وقيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن
بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك لكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد كلا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع
شكايتك الا الى من ترى نفعه عند الحق تكون حكيما فاضلا وبعضهم اقر لرغما ضعف لسانه وانه العلماء حب الرياسة واما السكت فالمعصية
عند الجهال لا يرجى دواؤها انظر الى زلة فانه بعلة استغفر الشيطان عصى بقي في الغار بذلك كان بسبب الجهال وان يوسف تملك صار ملكا
الى زليخا فسئل جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه في اسوا الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العلم مع سوء حاله
فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من
عرف يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خلة
ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه قال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمتك وذلك لاني كنت اظن ان الباب باب
الجهل والان علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحيوته بالعلم والعلم ميت وحيوته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا
بالمدارسة فهو محجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم وتناسله بالعمل والدنيا سل ملكا ابديا لا اخوله وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرئ من غير جرم
فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقايق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وارباب الكلام العلم يكون صيده ظاهرا بيركة العلم مع انه بحر في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا لوثت باوزار المعصية كيف لا تظهر بركة
العلم بالله بصفائه واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال ديعة لي كذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد واما الحكاية ان الحكم بن عتيبة كان بحضرة هشام بن عبد الملك الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتى برجل فادعى عليه خياط انه اخذ من بيته ثوبا
بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد
من الاعتراف بالسرقة قصدا لكل ذلك ثم قالوا للاخذ سرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع عليه
لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره به بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بجيش بعث فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

البقرة

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لنا ائتني بآية واضحة من كتاب الله او لا قطعنك عضوا عضوا فقال انيك بآية بينة واضحة من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج قال ولا تاتي بهذه الآية ﴿ندع ابناءنا وابناءكم﴾ فقال انيك بها واضحة من كتاب الله قال فاتني ﴿ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى﴾ فمن ابو عيسى فقد الحق نفسه عيسى بذرية نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرا هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل المدينة جاؤا الى ابي حنيفة لينا ظروه في القراءة خلف الامام ويكتبوه ويسمعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع فوضوا امر المناظرة الى علمكم لا ناظره فاشاروا الى واحد فقال اهذا اعلمكم قالوا نعم قال ما المناظرة معه كالمناظرة معكم قال فلا الزام عليه كالزام عليكم قالوا نعم قال فان ناظرته والزمته الحجة فلنا الزمنكم الحجة قالوا نعم وكيف قالوا لا نارضى بناما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن بايعنا اختر نا الامام في الصلوة فقرأ ثم قرائة لنا وهو يثوب عنا فاقره الربا العلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع وهو بغاديه يا امير هذا يخالفك جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في عنق الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اباك يا ربيع واباحنيفة فلما خرج الربيع قال سمعت في دمي قال كنت لبادي ويحكى انه دخل للمنصور على جمل واخذ واما عنه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى للصوص يبيعون متاعه ليس يقدرون يتكلم مر جل يمينه فجاء الرجل لشاور اباحنيفة فقال احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص وردالله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يعشق محل لبي حنيفة فقال يوما لو اني اريد التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى كيهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه ابو حنيفة ذلك المقدم ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك لتسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على اهل المراة وجاؤا الى ابي حنيفة ليشكونه وليستفتونه فقال لهم ان ذلك الطريق ان ترضوه بان ترده واعليه ما اخذتموه فاجابوا اليه فقال الزوج اني اريد شيئا اخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا افرق لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها فقال الرجل لله الله لا يسمعوا بهذا فترضى بذلك فحصل بركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين سئل ابو حنيفة ارضي بهذا والا افرق عن رجل حلف ليقربن امراته في ظهار رمضان فلم يعرفا حد حبر الجواب فقال بتا فوا بامراته فيطاها نهارا في رمضان وقال لشبرا لربيبي الشافعي كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شيء واحد كان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على خلاف هذا المجلس فاقر بجوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سئل الحسنين على حاجة وقال ان سمعت جدك يقول اذا سئلتم حاجة فاسئلوا من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القران وصاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فذاكم وسيرتكم واما القران ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فالى سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا اردتم ان تنظروا الى فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسنين ما حاجتك فكبها على الارض فقال الحسين ثم سمعت ابي علياﷺ يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعروف فاسئلك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلثة فكل ما عندي فدخل الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطاه ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطاء ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطاه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين وقال ما بصرة اليك واما الوجوه العقلية فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل هو العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار ومن يرضى بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد حاز في جنة حاضرة وكما يعيش يموت ويبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب كلما كان المدرك اكمل والمدرك اشرف وكان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والموالید جمیع حکامه وامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل ﴿اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾ كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في اخر حالك في غاية الشرف وانما رتب الحكم على الوصف مشعرا بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة وضمها الى نعمة قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر كما جعل لام الجنس في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل يجب

حكاية

حكاية

حكاية

فضل العلم والعلماء

معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالفقه لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على فعله وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقه فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على صنعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بها لا لبغض فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف بناء قدر العلم ومن ههنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكلف نبي الله موسى بما علم بل قال المخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولو لا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار وزانا فاذ القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصل الى الله والعبادة يوصل الى ثواب الله وايضا التفكر على القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التوراة فقد اوتي موسى عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم عمل بها ثم بذلك كرامته في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقوى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقوى على العلم لان التقي لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا يحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد وبهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما الاجهل فقد قال عمر من قال في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار الطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعمل ولكن قولوا نرجو ان نعمل فنعمل اذا العلم شفيع لصاحبه حق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل ناداني بذلك فان كان يعلم انه كاذب لو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك فان كان يعلم انه ليس كذلك في العلم اينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا رأى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا وقورا وسناء بالطبع على مزيد وهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون سوء الله ويهدون قتلا كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن في اثبات هذه الكلمة الا هذه الاية يعني بذلك عن جزئي ما فضل الانسان على سائر الحيوان الا اختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه بطير في فضاء الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدومات والواجب والممكن والمحال ثم يعرف اقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منهما الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي لا يتجزأ غيره والجزء الذي يمتاز عن غيره ويعرف اقسام كل شئ وعوارضه ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه كليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا واسطة بين الله وعباده ولا مرام لجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر الوجوب العدم والاستغناء عن المكان والجهة والحيز جوابا للملائكة وموجب السكوتهم وانما جعل تعلم صفة العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل في اول امره بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحياة اذ كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور هذا الله نوره من شاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كالماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب العلم لغير الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كالقناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كالمطر ينزل صافيا وينكدر بغبار الهوى وكذلك علم الزاهد صاف وينكدر بالطمع وعلم البدع كالسيل يهلك الاحياء ويعيب الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد قال الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها وجدوا رائحتها ونظروا

البقرة

الى قصورها والحمأ اعدالله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فرجعوا عنها بحيرة ما رجع احد منهما وبقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان نرى بيتا مما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاولبائك كان اهون علينا فنود وا ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي لم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم ثم قيل اطلب ايها العبد من الموضع السلامة ومن المصاحب لزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من المصاحب لزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة والكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالموت خير منه واذا لم تجد الموت خير منه وقيل لا يتم الدين الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم التقوى الا بالفعل ولا يتم الفعل الا بالعلم ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى كالجسد على الخطر والقول بلا فعل كالهدى والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر قال علي بن ابيطالب لجابر بن عبدالله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه ضاع الفقير اخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزء من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا

البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به ربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال انما المعلوم على ما هو به الكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى ما في جميع علم الله تعالى فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب تمييز الا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى المدرك كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدرك فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدل حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادراكات جميع الانوار حتى نورا لانوار وكلما ازداد النفس نورية وشرفا ازداد انبساط فيقع فيه المعلومات اكثر وهكذا يكون الحال في كل مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كما لا تة الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزاد نوريته ولا يتجاوز من قلته في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ان لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار لا يجوز التعبير عنها لعزتها بتفطن بعضها من وفقها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول النقش في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانما بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الله تعالى اني لست اذكره وكيف اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من ادرك شيئا ولم يحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرفان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان قد ادركه اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معرفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلائق البدنية فلما تخلصت من قيد العلائق عرفت بها وعرفتها عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب فالافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى مهم التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون على المقصود الاصلي من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير ما نعا من الفعل مرة ومن الترك اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن ههنا قيل هو العلم بجر المضرة وشر الشر والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك ان يجتهد ان يتنزه عليه عن الجهل وعلله عن الجور وجوده عن البخل صار الى سبعة الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا لا تنفصال عن لوث الصلصال بورود ائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

في الفهم
في النفس

النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى الفرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدي سريعا الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كبت النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية لحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قيل مدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبرة وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر نقلة السابع والعشرون الرأي وهو حالة الخاطر المقدمات التي يرجى منها النجاح المطلوب وقد يقال للقضية المستنبطة من رأي والرأي للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل آلة الرأي العظيم الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام وانما عنى النبي ﷺ بقوله ان في امتي محدثين وان عمر منهم وقد يسمى الفعث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل آمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول وتتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي ﷺ ان الله خلق آدم فتجلى فيه فما تجلى علم الخلق اجلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المرآة تكون خليفة المتجلي فيها فلهذا قال يا بني آدم دون اسماء الله صفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمدي وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله نعم وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انبائهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة الى انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم بلائم حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفق فضله عن غيرها سماء غيره وذلك لانه كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معبوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا نفس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا

وچون گفتيم مر فرشتگانرا كه سجده كنيد آدم را پس سجده كردند مگر ابليس كه سر برتافت وتكبر كرد واز كافران

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

كه اى آدم جاى گير تو وجفت تو بهشت را وبخوريد ازان فراوان هر زمان كه خواسته ونزديك مشويد باين درخت كه باشيد

مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

از ستمكاران پس بيرون كرد ايشانرا شيطان ازان پس بيرون كرد ايشانرا ازانچه كه بودند دران وگفتيم كه فرود آييد كه بعضى از شما مر بعضى را

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

دشمن وشما را در زمين جاى قرار ومنفعت برخوردارى تا وقتى معين پس بياموخت آدم از پروردگار خود كلماتى چند پس توبه كرد بران توبه

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

پذيرنده مهربان گفتيم كه فرود آييد از زمين همه پس اگر بيايد شما را از من رستگارى پس هر كه پيروى كند راستى مرا پس نه ترسى

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بر ايشان ونه ايشان اندوهناك شوند وآنان كه كافر شدند وتكذيب كردند بآيات ما آنگروه ياران آتشند كه ايشان دران جاويدانند

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما انهما يشمان الكاف الكسر بغير اشمام الهاء وروى

الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانهما بالهمز شئنا وبابه بغير همز ابو عمرو وورش وعن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فاما حمزة ادم بنصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداى ومحياى ومثواى بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القرآن وكذلك كل كلمة في اخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه والبخاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فوري ابو هيثم بن حماد عن الزيدي الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن الزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورها واختلفوا في قفا بني عمرو في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد الحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق ترقيقا كما يصلا وروى سلمة عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بليس لانه معرف وجملة بعده يكون صفة له الا بواسطة اذ لا عامل فيجعل جملة حالا الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين كانوا فيه من الجملتين المتفقتين عدو لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولئك لان تمام المقصود بعيد هو الخلود مثل لهم ماء حلوا حامض خالدون التفسير لخصص الله تعالى ادم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعل سجودهم وهذا مقتضى السجود ههنا ظاهرا لان قوله تعالى في وضع اخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسويته خلقه وانه كان صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء و مناظرتهم مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجودهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يأمر بالكفر والعبادة لغير الله كفر فزعم بعض ان السجود كان لله تعالى وادم كالقبلة فقوله اسجدوا لادم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعرها كنت اعرف ان الامر منصرف : عن هاشم ثم منها عن ابي حسن : اليس اول من صلى لقبلتكم : واعرف الناس بالقرآن والسنن وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله محل القبلة لا يفيد كونه حالا من الساجدين فزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل التعظيم والتسجد لان ورد بابه تعرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان اصل عدم التغير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف الملبون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال من الفقهاء انه كان منهم جمعا الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحمل ان يكون بمعنى صار والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلق شئتما من نار وانهم من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه ازهر عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل بموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته الاخرين انه استثناء من الملائكة وحمله على المتصل ولا يكون تخصيص العموم في كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جنى واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه هذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن رتبة الاعتبار اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب ايضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب بالسجود اوجب ان يستثنى بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه تناولهم الخطاب تغليبا لان الامر لما بين في وصول الفعل خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ اخر حكاه في القرآن بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال الكرامية اهل السنة بالاول وقالت المعتزلة والشيعة بالثاني فاختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عنده المكان والجهة بل عنده القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه انه عند المنكسرة قلوبهم كما جاء في بعض هذا البلغ لان كون الله تعالى عند العبد داخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على جرام السموات والارض وامنهم من

الهرم والمرض والافات لا يتركون العبوديّة لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجب ما بينه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضليّة بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله تعالى اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اى اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون اليها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكانه لا يفقد احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وتأكد قضاء آدم فانه اطول في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه الثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شان الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم راكوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله موالطبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم بطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية لا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا مع كمال في نهاية الاخلاص الثاني بان العادة طبيعة حامسة ولهذا قال افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم دوم التسبيح ليلا ونهارا لا يفترون وخبر الاعمال دومها مع ان اعادهم اكثر وعلى الابتر سؤال روى عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت للعبادلة قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن ما يغنيان عن التسبيح فاجاب بان النفس لا يمنعها من الاشتغال بشئ اخر فكذلك التسبيح لم وزيف بان آلة النفس فيما غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تم بعضها ويلعنون اعدائه ببعض اخر وبان شاء الله يستلزم تبعيد من اعتقد في الله ما لا ينبغي فلم اره يفترون عن العزم على ادائه في وقاحة اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها او فانها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد يقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الله الى الانبياء عليهم السلام بذلك القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد وضعف بان هذا ان كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى امهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى عمال خراساته انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الرفع والرياسة فيهم لهذا قالوا اجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم وورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا سابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعاد الصحيح للعبوديّة من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعها مع شدة بطشهم قوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل المسيح فقط دون غيره لحمدة الثامنة ما هنا كما ذكرنا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين بهذا وان كان حكاية قول ابليس لا ان آدم وحوا لو لم يعتقدا افضلية الملكين بعد ان ذلك واعتقادهما جهة وورد بان آدم لعله اخطا في ذلك الاعتقاد اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وفسق مفضوليته نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وفسقه فلم نسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن الجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغر يغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تغلبا ملكين فيصح استدلالكم وان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما هيئت لك عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس انهاهم انهاهم بنهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضوليته جميع الانبياء لحمدة التاسعة ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم استواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر ورفع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن الجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ورد بان المخلوقات اما غير المكلفين فالانسان افضل منهم واما المكلفون هم الملائكة والانس والجن الشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين خلوا كانوا افضل من الملائكة لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال فضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير لا يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب هو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة

افضل من جنس

البقرة

افضل من جنس بني آدم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في الاية ولقد كرمنا بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر الانبياء ما استغفروا الا بدلا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وايضا ثم قال واغفر لابي وقال محمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين واغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وردبان هذا الابدال لا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها منهم وهذا لا يوجب فضلتهم في الاجر والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طبعوا عليه بقولهم اجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين وبديهي ان الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل وردبان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله وردبان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان الجالس وقت حول سريره ملوك الاطراف لا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده الخامسة عشر والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر

شر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ... قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك لما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع التأخير في تقديم الاسم كذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو يفيد الترتيب عوض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالشريف للنبي وعوض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وكالشريف بل الشريف الامر بذلك السابعة عشر ان جبريل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين وردبانه وان وصفه ههنا بهذا الفضائل المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر مما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الثامنة عشر ان جبريل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لانا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار والطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل فلعل نبينا لا الذين يعلمون والذين لا يعلمون وضعف من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم ضعف كثرة ثوابهم التاسعة عشر من يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية وردبان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملاء ذكرته في ملائه وهذا يدل على ان الملأ الاعلى اشرف وردبعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملأ الاعلى خير من ملاء عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية السماوية بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مجردة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لاسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستعمل للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما لا طرف له روحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجود الملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر وردبان الحكمة مع كثرة العلائق اولى على الاخلاص وايضا من الين ان درجتهم غير قابلة الاعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال تعالى حاكيا عن ربنا بين الذنبين احبلى من حبل السجين الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها حسب انواعها الخمسة في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك لها قال وانى لا استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولاخفاء ان ملأ الفعل التام اشرف مما بالقوة وردبان بعض الامور فيها لها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج المتعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين السماء عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود بمعزل عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك وردبانه لا قديم في الوجود الا الله ولئن سلم لها ولكن كانت ممكنة الوجود لذاتها وهي واجبة الوجود بمبادئها وعورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ابقاء لذاتها وكانت كالظلال تحت العرش يسجدون بحمد ربهم لان المبدأ الاول سرها بالنزول الى عالم الاجساد والتشكلات المواد فلما تعلقت بهذه الاجساد عشقتها واستحكم الفتها فبعثت من تلك الظلال اشرفها واكملها التخليص تلك الارواح عن تلك التشكلات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فان احدهما من الاخر وردبان الشرف

فضل العالم على العابد

خالفوا امر الله للملائكة

ملاء خير من ملاء

رفع

من المحققين

عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السموية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السموية بالمغيبات وكان علومهم فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على شيء والا غذية اللطيفة لا يلتذ بها كالملتذ المبتلي بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل كلذة البشر يعرض الفتور لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغيب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغيرهم لانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها قوة على تقلب الاجسام وتصريفها الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال او لغوب فانك ترى الخامة اللطيفة تشق الصخرة الصماء وماذاك الا لقوة بنيانية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي لا فيما هو شرهم واعترض بانه لا مانع من ان يتفوق نفس واحدة شريرة كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير اعانة الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي لحصول اختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل يكون علل ومبادي لها هذه هي الاخبار وهناك المنابع المعادن فكيف يليق بالعقل دعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعادها منها نزلت فتوسخت بادصار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدد الشيء ومصعده اشرف منه المبداء والمنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خوطر الفتاد الحادي عشر الشيطان الانبياء لا يظفرون الا عن الوحي ليس ان الملائكة يعينونهم في الضمائر ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكبوم بدر وحنين وكما قصة نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر آخر العمل فلا يلزم من كون الشيء واسطة افضلية الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهم الشياطين واخيرة من جهة اخرى وهم البشر تحكم بافضلية الملك كذا التقسيم بالناطق المائت وهو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود واجيب بما مر مرارا من ان النزاع في كثرة الثواب لجهة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاولى ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية كامر وخلق الدنيا منبعة لبقائه والاخرة مملكة ولغرائه ولعن ابليس التكبر عليه جعل الملائكة حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول قد نيا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم بأسمائهم والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان ذلك الآية يدخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد وههنا ادلة توجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبأ البشر اشق لان الادمي لرشهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتراها اولى الابصار ولا يخفى ما فيه من بعض المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات لكون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث البوية فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مأمونون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب هواه عقله صار دون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبار الاحد الثامن الاخوان من الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبريل اخذ بركاب محمد حتى اركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد امرا الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله امان لاهل السماء ونور لاهل الارض اما الذي في السماء فجبريل وميكائيل واما الذي في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا كالملك وجبريل وميكائيل وزيران فهذان تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز ان يظن ان به عذابا بين امر غيري عنه بقوله اني لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد الغاطف نحو قولك البشر بما يسرك عيني

تخلج لا تقول فعينى لانها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فطف شيء على شيء واستكبر يعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللمعتزلة ههنا تولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان مسلما فلما كفر عند من منع الاجماع فلان حتى لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستانى فى اول الملل وعن اشايخ الاوائل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله انى تسلمت ان البارى تعالى هو الخالق العالم القادر حكيم الا ان لى على مسائل حكمة اسئولة الاول انه قد علم قبل خلقى اى شيء يصدر عنى فلم خلقنى وما الحكمة فى خلقه اياى الثانى انه خلقنى على مقتضى ارادته ومشيته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف مع انه لا ينفع بطاعة ولا يضر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقنى وكلفنى فالزمنى تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفنى بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد بذلك فى معرفتى وطاعتى والرابع انه خلقنى وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذا سجدت لغيرى اخرجنى من الجنة واوجب عقابى فانه لا فائدة له فى ذلك وفى هذا عظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكننى من الدخول فى الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعنى من دخول الجنة استراح منى ادم وبقى خالدا فى الجنة والسادس انه خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ولعنى ثم طردنى الى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين ادم فلم سلطنى على ولده حتى اراهم من حيث لا يرونى وبنى يوثر فيهم وسوستى ولا يؤثر فى جولهم وقوتهم وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان اخرى بالحكمة وانا بيع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلتنى الى يوم القيامة لم امهلنى وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو اهلكنى فى الحال استراح الخلق منى وما بقى شر فى العالم على نظام الخير جبرائيل امن امتراجه بالشر فقال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الملائكة قولوا له اما بشلمك الاول انى انا الله لا اله الا انا الخالق لكل شيء غيرى صادق ولا مخلص ان لو صدقت انى انا العالمين ما احكمت على علم وانا الله الذى لا اله الا انا افعل ما اشاء وما اريد والخلق مسئولون عما افعل والخلق هذا مذكور فى التوراة ومسطور فى الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالقذى والرمد ليس بعد عقائد فرق الزنج والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فمرجع جملها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى فى مقابلة النص والجواب عنها بالتحقيق الا الذى ذكره الله تعالى للعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لو امكن ان يجرى حكم الخالق فى الخلق او حكم الخلق فى الاول غلوا كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثانى تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال فى قولهم لا حكم الا لله كقوله اءَسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ لا اسجد لانك فالشبهات كلها ناشئة من العين وتلك فى الاول مصدرها وهذه فى الاخر مظهرها ولهذا قال ثم ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبى كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال لتقدمن سجوس هذه الامة والشبهة بهود هذه الامة والرافضة يعنى الغلاة نصارى هذه الامة وقال جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثانى ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فى تأويل معناه وكان من الكافرين فى علم الله اى كان الله عالما فى الازل بانه سيكفر فضيعه كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل الكفر فى وقت معين بعد ان كان مؤمنا بعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثانى لاستكباره واعتقاده كونه محقا فى ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل فى الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل موجود ومما يؤكد ذلك ما روى عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم انى خالق بشرا من طين فاذا لا تفعلن ذلك الكفر فبعثت الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الاخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه فى الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الاية اولان الافراد الذهنية يكفى فى صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اى من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثنا الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل فى ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يجعلون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامور بالسجود القوى الجسمانية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا فى الاكل من جميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهى عنه كان حاضرا وروى عن قتادة انه قال ان ابليس ابى ان يسكن الجنة كما ابى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلف ان يكون فى الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فزال البلاء حتى وقع فيما نهى عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناول من شدة التكاليف وانما لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان

البصرة

كالمقدمة لذلك فلو قال الجعل لغيره اسكنك فترى لا يصير الدار ملكا له اجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في
السورة ففي سائر القرآن ما يدل على ذلك فانها مخلوقة من خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال وجعل منها زوجها وقال ان المرأة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم
فاخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند راسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا للعلم ما اسمها فقال حواء قال ولم قالت لانها خلقت من شيء حي فقيل لما ان
ادم مد يده اليها منعه الملائكة وقالوا ادم مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد اله قال فمن محمد قالوا من ولدك خاتم النبيين
ولولاه ما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل ادخاله الجنة والخبر الاول يدل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء
وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا فان الا ان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد ملك لا يبلى ولكان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولكان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد لان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر
انقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجهور هي دار الثواب والدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعهود لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد فهو معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من البيت والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا دانيا وحيث للمكان المبهم اي في مكان من الجنة اي
مكان شئتما فان حيث قد يعبر بها عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان بالفاء
او بثم السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل كانه قال فان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجاز قد يأكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخلوا ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في الاقتراب للتنزيه والنحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لما
حاصل معصيته الترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقبل النهي تحريما يأسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في لا تقربوا هو من دليل منفصل والظاهر اريد به ترك الاولى والاحق
لم يتبين بهذا السبب الماسبأتي انشاء الله تعالى النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب منها من اسباب الاكل منها وانما
يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد قتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من كل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال ابو مسلم واحسب
انها العنقاء وعبدان فالعرب تسمي شجرا وقد لا يختص بالساق قال الله وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجرا خذ بنبته
كالشجرة والشاجر لا خلاف في اعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة اليها الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره
يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احد ان يقسم عنده في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلماني لان اساتهم الادب كان هذا العذر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظن احد ان ههنا تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن
امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكارم مما
كانا فيه اي من النعيم والكرامة ومن المكان الذي هو الجنان كان هو الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء ثم النزاع اما
في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عندنا كثر الامة وقالت
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب الذنب عندهم كفر مشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية و

البقرة

ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك عمدا وكا سهوا ولا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لا ان الا
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطا فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم واباه اخرون واما المتعلق بامانعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا نفيرا كالكذب والتطفيف والجمانى لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقبل لا يقع الكذب لا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون بان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطا وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم اكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقا لقوله عز من
قائل يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبيرة ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة يكون الرسول عليكم شهيدا الثالث بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه تعالى بمعصيته لو جب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لائق من بني وضع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس انا مرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حمزة في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابعين انهم كانوا يارعون في الجزاف واللفظ للعموم فيشمل فعلا بنبغي وترك ما لا ينبغي الثامن قولهم عندنا لان المصطفين الاخيار والله
من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف الاصطفاء بنا في الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس انه قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء
من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المومنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم ولا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الحق سبحانه حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر في جاعل الظالمين اماما والامام من يؤتم به والذنب لا يجوز
الاقتداء به في تنبيه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روى ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله ﷺ على وفق دعواه ﷺ كيف شهدت لي فقال يا رسول الله ﷺ اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع
سموات فالا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله ﷺ وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة المخالف ممسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيء في الاعراف انشاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجته عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابويهم لم يكن عالما بالله وكانا يعبدان
الاصنام لقوله هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين والجواب هذا ربي استفهام منكر بقي الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج انشاء الله تعالى قالوا اعالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخليط في الوحي لم يشترط الرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخليط قالوا لو
سلمنا ان ازيحكما في الخبر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
تصدر كل في موضعها على انا نقول شعرها بسا ابلى عمر رسول الله ﷺ كيف سها : والسهو من كل غافل لاهي : فغاب عن كل شيء سره
فسها عما سوى الله في المعظم لله قالوا في الافعال القبيحة عصى ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد فمن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة تدل على الذنب انه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دلائل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض
انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول هم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قبل على ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انهما نسيا وروى عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج ادم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما سخنك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وبعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجته لانها الوصدقاه لكانت المعصية في تصديقه اعظم من اكل الشجرة لانه الفي اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والوحي غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الاحاد ولا يلزم من رفع النسيا عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي (اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل) انا اولى كما يؤول الرجلان منكم وقبل ان حواء سقته الحمر فنكر ثم اقدم على ذلك (الافعل وقد نص) لفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير البر مثلا حتى يكون ماذونا في تناول غيرها الا ان يرد عليه ان حمل الجنة لا شكر لانها عوقل الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي لهما نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عاما لهما ولكل ادم وكان كبيرة مع ان ادم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرف فساده ومنهم من قال فعله عامدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب او فعل المنهي عمدا لا يعد بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطأ فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي انه تعالى اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به فاراد بالنوع الحرير والذهب نوع الوضوء فاراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان ادم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل ادم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا هب ان لفظ هذا مترددبين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد تصرف في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحي فلا اقدام على الاجتهاد عن المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا كما مر وبان ادم لعله تصور في معرفة الفرد بنية ادعوها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية الشديد بدليل على الخطاء فيها الا ان النبي قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل وقد يحمل الخطأ في الاجتهاد من جهة ان ادم ظن ان النهي في قوله لا تقربا بنا وهما معا فيجوز لكل احد على الانفراد اكلا فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم مع ان ابليس كان خارج الجنة وادم فيها قلت اما الا ان دخل فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي وان كان بعيدا عن ابي هريرة انه قال ما سالناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خشية فليس منا يعني الحيا واما الا ان دخل في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما الا ان كان يدانو من السماء فيكلمها وقيل وسوسة لهما على لسان بعض اتباعه لانهما كانا يعرفان عداوته من الحسد البغضا فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسنادا الازلال والاخراج الى الشيطان لانه حصل بسببه وعن بعض العرفاء ان زلة ادم هبتها كانت بوسوسة ابليس فعصمة ابليس بوسوسة من لا يدين الا بنبها الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلما لم يفد عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شيا لهن الانسان اراهم بوسوسون اليك على هذا الترتيب عاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل ان لم يصدقاه بعد الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها وتسيا النهي نوقفا فيما وقعا والله اعلم بحقايق الامور اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس اما في وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لادم وحواء في وقتين آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح الخطاب لهما وذريتهما لانهما كانا اصل الانس جعلا كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في تفسير اهبطا منها وقوله فاما يأتينكم وما هو الاحكم بعموم الناس كلهم اهبطوا امرا واباحة الا شعبه الاولى لانها مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهموان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان يقال النفي لا هباط عقوبة ولا ثواب عليها الثواب على حسب العمل بعد ذلك وقيل بعضكم لبعض عدو ما على العداوة الدينية والتباغي وقيل بعضهم لبعض وليست هذه العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لان عالم الفساد والنسا في ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تنافس مستقرا استقرارا وموضع استقرارها التي الحيوة والموت وما تتمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة وحين تقضاء اجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة ولهذا قال انت طالق الى حين فضيت لحظة طلقت وفي قصة ادم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة لبنة كافية لجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در القائل شعرا ناظرا لهذه الواقعة

وما هذا الامر بواحد وما هذا للامر عين شاهد ... تصل الذنوب بالذنوب وتجتني ثمرة الحيان وذلك فوز العابد

انبيت ان الله اخرج ادما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كان قوما من الجنة فساقه ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرج منها شعر تطلب الراحة في دار الفناء خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الا يتاصل التلقي التعرض لفعل ثم وضع الاستقبال للشيء المجاني ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمل فيها بقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خبره واصبته وتلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى ادم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعرف حقيقة التوبة لان المكلف لا يدان يعرف ماهية التوبة ويمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه تعرف على المعصية على وجه آل امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكر بعض العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كان حالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية ابن عباس ان ادم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال الضحاك اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحواء امر الحج فجاءا حتى اذا فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما انى قبلت توبتكما وعن ابن مسعود اجب الكلام الى الله ما قاله ابوناحين اعترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتباركت اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا ثابتا ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم قد غفرت لك ذنبك فلن يا تيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة تتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة تتعلق بالماضي وهو تالي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله ﷺ الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيها الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه بان اقلع عما هرب عن ربه وقد يقال الرجل اناب سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه احسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى لبابة الغفران في الثواب واحد من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لان الامر يرجع الى رقة طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تنقص الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله ﷺ انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء ادم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذه الخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء وانا نبينا ﷺ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا ربنا وذلك ان الغين شيء يغين يغشى ويغطيه الغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق وكان اذا ذكر ذلك جد عيشه وقلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو هذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة وسلطتني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك نفاد ربي دني فقال لا بولد لولد ادم الا ولد لك عشرة قال رب دني قال مجرى منه مجرى الدم قال رب دني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا

لا الهيقلا بك فقال الله تعالى لابولدك قابيل لا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب دلني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب دلني قال لا اجعل عرضا من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة اولها الندم على ما مضى ثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس ان تبذ كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة المعاصي وكان احمد بن حرب يقول يا صاحب الذنوب لم تاب لك ان تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الدنيا مكتوب يا صاحب الذنوب انت بها في القبر معذب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكثر بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك على انها قد ذكرت في موضع اخر فالاربعة الظالمنا انفسنا الاية قوله قلنا اهبطوا الاية قبل فائدة تكرير الامر بالهبوط انها هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني اولى وايضا قوله منها يدل على ان الهبوط الثاني من الجنة والاصح ان ادم وحواء لما ايسا بالزلزلة تابا بعد الامر بالهبوط وقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما ان حكمه باق تحقيقا للوعد المقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو ان يكون التكرير للتاكيد لما عهد من زيادة قوله فاما يأتينكم روي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء جدة من ارض الحجاز وابليس بالابلة من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى المغفرة والتوبة بمنى فحصلت اسماء هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما من زيادة لتاكيد الشرط وتوكيده محول النون المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى واحد جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله منها يتبعون الداعي وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه كل الادلة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة فكانه قال واذ قلنا اهبطكم من الجنة الى الارض وقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما اهبط ادم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيه كل الامر لك ولولدك واحدة لي واحدة لولدك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس واما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت اجزتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فان تحصنهم بما تحب ان يحصنوك به قيل هو رسول كان يدلهم على الخير والذين كفروا كذبوا بايانا في مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فلا سبيل لاحد الا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما يأتينكم متى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقول ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة بحثها والنظر فيها واستفتاح المعارف منها والعمل بها وجمع قوله ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف لم يحصل للنفس من توقع مكروه او انتظار محذور وزوال ما يتضمن السلامة من جميع الافات والحزن لم يعرض للنفس لفقد محبوب او فوات مطلوب ففيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي في هذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وكيف تقول ان كفرتم فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلم تسئلن المرسلين وفي الحديث تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون على كعبيه ومنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي الا نبينا فانه يقول امتي امتي وقلت لا ريب ان وعد الله حق فمن وعده الله ان يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستبعد ان الكل ما لم يصل الى الجنة لا يطمئن قلبه فالمراد بتيقن لما في علم اليقين عين اليقين وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان بر كان وفاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا لله تعالى لقوله تعالى من عمل لقلب قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء الحث الخلوص على حظ عظيم وكان ذاب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعونا رغبا ورهبا وقيل لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدد الذي يموت بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلامهم فقال لهم ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا يخلو من مواجب الخوف والحزن وقال خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وحكمه لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما

مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك
الارادة يصح نسبة العبود بتر وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وبكشف الهموم والاحزان وبيناوي الفقر والوجدان وتثبت حقيقة
الايمان والذين كفروا بجحدهم مولاهم وكذبوا بآياتنا الاشباههم حكاهم بحسب مشتهاهم وهواهم ولذلك اصحاب النار ملازمو هاد ائما مدة
سواء كانوا من الانس والجن اعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله الناويل لكم لتجدوا لله بالطبيعة لها الملائكة الروحانية اسجدوا
لادم بخلاف الطبيعة تعبدا ورفا وانقيادا للامر واستلاما للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به فسجدله
فقد سجد لله تم كما ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لادم لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في
ربحانكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله ليستجوبن بحمدربهم ويستغفرونه في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويباذ
بادابهم في مثال الامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس فانهم خلقوا من نور
النور من شانه الانقياد والانقاد وانه خلق من نار والنار من شانها ان تشتعل طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على ادم كما ستر ابليس لانه
ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي بحث لك بغم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطى هذه الشجرة
الواحدة منها وهي كلها لك انا خلقتها فان طمعت فيها اتم فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم هل من مزيد
ولا يمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه اي بقدر همته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه يجح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وقيل لهما اشتغلا بها ولا توقدا نار الفتنة على نفسكما ولا تصبا من قربة الجنة ماء المحنة على راسكما ولا تقربا شجرة المحبة وقد عرف
لاجله في الحقيقة بحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات
النفسانية وكانت الجنة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وايضا انه تقدم وسع اسباب الى نباتها ولا
تضيق عليه الا ما خر اشعر ادنيتني حتى اذا قضيتني تقول هل عسى ان لا باطح : تجافيت عني حين لا لي حيلة : وعادرت ماء ادرت بين الجوانح
خلق بيده ونفخ فيه من روحه اسجد له ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مراه وجهه فانبت شجرة المحبة بين
يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض انه كما رشم غائبة بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى بادراك الكلام واذاقه لذة
شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى الجمال وطمع في وصاله وقال رب ارني انظر اليك غائبة بسطوة لن ترانى وذلك ان البلاء والولاء توامان والمحبة ضيعا
لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع والجمال لا بد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المحال فلما ذاقا شجرة الغرام
خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارغ السالي المحب لغاني شعر فينا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب السلسل
شبيه بالخمر : فلما اضاء الصبح فرقت بيننا : واي غيم لا يكدره الدهر : وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يعد كان سجود الملك
فحوى السماك الى السمك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدله باستيناسه لاستيحاش يدفعونه الملائكة
بعنف ان اخرج من غير مكث ولا بحث فاذلها بالتقدير بحسن التدبير كان الشيطان المسكين كذئب يوسف لطخ خرطومه بدم نصح فلما
وقعا من الفريقة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شئ واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو
وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا يقبل الشركة في التعبد كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استفرجته المحبة في
قلبه اتم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربيته بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقال ما ان داود فال بارب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابلى بالهبوط
بشره بان وحيه لا يقطع وهدايته لا ترتفع وان من بذر المحبة بماء الطاعة والطباعة فلا خوف عليه في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى
من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بحذافات العناية والهداية الى ربح حظائر القدس وبالله التوفيق يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وايا ي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما
نعمت مرا ان كه انعام كردم برشما وفا كنيد بعهد من تا وفا كنم بعهد شما وازمن ترسان باشيد وبگرويد بآنچه فرستادم كه تصديق كننده آنست
معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وايا ي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل
كه باشيد سخت كافران بان ونخريد بآيات من بهاء اندك را واز من بپرهيز كنيد وبپوشانيد حق را بباطل
وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس
ومخفي ميداريد حق را وحال انكه ميدانيد وبرپاي داريد نماز را وبدهيد زكوة را ورركوع كنيد با ركوع كنندگان آيا فرمان ميدهيد مردمرا
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
بنيكوئي وفراموش ميكنيد خودتان را وشما ميخوانيد كتاب را آيا پس درنمي يابيد وياري بجوئيد بروزه ونماز وبدرستيكه نماز
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا
مر آينه دشوار است مگر برفروتنان آنان كه اعتقاد دارند باينكه ايشان ملاقات كنندگانند پروردگار خود را وبسوي او باز گردند اي فرزندان اسرائيل

حيث كان بريد وحمزة في الوقف يعني وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبون فاتقون بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند رأس الاية وروى مسيح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل اول كافرم الة فتنبه واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافرم بالتقاء الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون الراكعين الكتاب تعقلون الصلوة خاشعين لان الذين صفتهم راجعون النفس بانه تعالى انام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعام العامة للبشر ومن جملتها خلق ادم الى تمام قصته ردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه لتشكيهم واستمالة قلوبهم وتنبيها على نبوة محمد ﷺ من حيث كونه اخبارا بالغيب مجملا وفي ضمن ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق اسرائيل هو يعقوب بن اسحق ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقبه ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسرا بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد ﷺ وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف اي انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم في آل الامر الى امة محمد ﷺ ذكرهم النعم فقال اذكروا نعمتي الى اذ كرم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من ال فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور اضاء لهم بالليل وكان رؤسهم لا تشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد ﷺ وهو التوراة والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد ﷺ والقرآن ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنه كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في انعامه الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة الخاصة والنعمة على الاباء نعمة على الابناء اذ لولاها لما لحق بهم وكان الانتساب الى الاباء خصهم الله ثم بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولكنهم اذا علموا ان اباءهم انما خصوا بهذه النعم لكمال طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب من اشبه اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال وفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه وفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي اغفر عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد ﷺ وانه سيبعثه والبه تشير في قوله ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف والذين يمسكون بالكتاب الاية وفي ال عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرائيل في التوراة اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به اغفر له ذنبه وادخله الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى واجرا باتباع ما جاء به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد ﷺ النبي الامي الذي من ولد اسمعيل ويصدق بهذا القرآن يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعة ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد ﷺ فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده ﷺ قلنا اما الان هذا العلم تكاد تكون خاصا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما الان فذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيخاف في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت عليها سارة ورأى ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر ابن تريدين فقالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخضعي لها سيدتك فقال لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك ستحبلين تلدين ابنا تسمينه بسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون بريا بين الناس ويكون يده فوق الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل لهذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في اقليم الحجاز لا يجاسرون على الدخول في وايل العراق وايل الشام الا على اتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على اكثر تلك البلاد بالاسلام وما زحوا الامم ووطئوا بلادهم وما زالت الامم وجلة منهم ودخلوا بلادهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبتك اي زيدا رهبتي رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي رهبوا فارهبون وهو كذلك في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بلازم ما قبلها وما بعدها اي اياي كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التذكير لاجل الاضمار والمقصود بالرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظلم واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب الاول يزول والثاني لا يزول من كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا

خوفه يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تقريران احدهما ان في القران موسى وعيسى حق والتوراة والانجيل حق والتوراة انزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقران مؤكدا للايمان بالتوراة والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد ﷺ وبالقران في التوراة والانجيل فكان الايمان بمحمد والقران تصديقا للتوراة والانجيل والتكذيب بمحمد والقران تكذيبا لهما وفي هذا التقرير دلالة على نبوة محمد ﷺ من جهتين شهادة كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهته ﷺ اخبر عن كتبهم ولم يكن له ﷺ معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به ﷺ اي اول من كفر به ﷺ او اول فريق او فوج كافر به ﷺ او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالان الاول كيف جعلوا اول اول من كفر به ﷺ وقد سبقهم الى الكفر ﷺ كثير العرف في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به ﷺ لمعرفتهم ﷺ بصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد ﷺ والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون ابناءهم على الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به ﷺ من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه ﷺ موصوفا في التوراة مثل من لم يعرفه ﷺ لانه لا كتاب له الثالث اول كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقران من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم محمدا ﷺ يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ من سن سنة سيئة فعليه وزرها ومن عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ من كفر وكان دليل له على الايمان فاشتركا من هذا الوجه فصح اطلاق احدهما على الاخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وهاجر بعض والبعض كفروا ثم تابع سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول كافر به عندكم بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال الثاني كان يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اول والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقبلهم لا تكفروا بمحمد ﷺ فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشتري به والثمن القليل هو الرياسة كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشى التي يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه لتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وايانا فاتقون مثل فايا فارهبون وقيل الالتفات انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه كان امرهم بالرهبة على جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم قوله ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا بترك الكفر والضلال لاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلا له بشبهة عليه ان لم يسمعها فاضلا له بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اشارة الى القسم الثاني والباء التي في الباطل ما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تلبسوا في التوراة ما البسوها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا تميز بينهما واما للاستعانة كقولك كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بالباطل وهو الشبهات التي تورد ونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التوراة والانجيل في امر محمد ﷺ كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقولهم وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الاخر جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد اطع احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون ما في ضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكر ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا اخس من الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما تزهم من وصول الشرايع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على انه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التأخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المأمور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا يبعد ان تفعله ويكون الغرض ان يعزم العبد بالحال على اداء ما امر في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فنوع اللغة الزيادة والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في مزكيها وتنميه ويمكن ان يقال مأخوذة من التطهير من قولك تزكية اذا مدحها وطهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهرها بقي من المال قال تعالى عليك بالصدقة فان بها

ستحضار ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما الذي في الدنيا فزيد في الرزق وتكثير المال وتعمير الديار واما الذي في الاخرة فنشر النور وتصير ظل النور فوق الراس وتكون ستراً من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر بافرادها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل الممدوح ثم انه سبحانه لما امرهم بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في تلك بناء على ما اخذ اخر هو ان الغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول فالهمزة في اتامرون للتقرير مع التفريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع للاعمال الخيرة ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا فقال السكاكي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال ابن جريج تامرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب بان رسولا سيظهر منكم ويدعوا الى التوحيد ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمداً حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويتحون بها وقيل يامرون من يضحك في السر من اربابهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التوراة وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو السهو الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عنها فانها من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التوراة تدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومرغبة محمد ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير أتعلمون ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى الصلاح وتحذيره عن الفساد ارشاد النفس اليها وتحذيرها منها فاهم بشواهد العقل لا تقبل من وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لو ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتفيد مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان ياتي بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين بترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحدهما لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مترتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم قال وان في النار رجلا يتادى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيئ للناس ويحرق نفسه وعن الشيخ بطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بالفعل نفذ سهامه وقيل عمل رجل في الف جمل البغ من قول الف رجل وروي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا فراى في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سالني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت ما استحيا من ربك كذا وكذا سنة فتقولان لمن ربك قيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعرا بذا انت ساكنه غير محتاج الى التوج : ولما امر الله تعالى بما امر الله به من الايمان وترك الاضلال بالتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه من حبس المفطرات ومنه ريقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زال عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار بالقلب انوار معرفة الله ولما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرايل فالامر تفكك النظم الكون الغني على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها امرا عيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب ويستحضر العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع

البلاء او انكشاف الغموم والوزر اذا كان رسول الله ﷺ اذا حزنه امر فزع الى الصلوة وانها ای الصلوة والاستعانة وجميع المامورات والمنهيات
فهذه الاباء الكثيرة لشاقة ثقيلة كبيرة على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم والضمير الى
حكمه راجعون فيصد عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس لا يذكرون الله الا قليلا فالحداد لم يعتقد في فعلها منفعة لا بوازيه طبعه الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فتثقل عليه الموجبة
اعتقاده في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم هون عليه تزجية الاوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله
يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال ارحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما النظام والنواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم رجت والظن ههنا تفسران احدهما انه بمعنى العلم يجوز الان الظن
هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز يغيض لقاء الرب اي البعث والنشور كيف يمدح به سبب هذا التجويز انها ليشركان
في جنان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه ذلك مظنون لا محالة واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة وقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع املا ولانه يحب لقاء ربه ان زعم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قلبا يحق ظنه بنفسه
باعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالاية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق
لا يرى ربه لقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال ﷺ من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الحز اصطال الناس في هذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق اسم المسبب على السبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك انه مانع اضعف يجب ذلك فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الاية لا ضرورة فحمله على الادراك اولى
البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق ظاهرا
ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى فالمجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل السنة
الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الاية على كون الارواح قديمة لا يخفى جوابهما والله اعلم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل اى بنى اسرائيل ياد آريد نعمتى
انكه عطا كردم برشما وانكه زيادتى دادم شمارا بر عالميان وبپرهيزيد روزى كه باز نشود وده نفسى بجاى نفسى چيزرا وقبول كرده نشود
منها عدل ولا هم ينصرون قرأ ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف ازان شفاعت وكرفته نشود وعوض
ازان دكرى ونه ايشان يار كرده شوند العالمين بنصرون التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى تاكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد
كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمتي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ويقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس فيمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم
لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
في الفضل والمطلق لا يفيد الا صدقه في صدقة صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل
العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لامة موسى من بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع
ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب بان الفضيلة بالنبي قد تحققت وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لعلهم كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب روى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما يسمعون غيرهم وان
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من اشتداد الاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى الجزاء الاية الجملة منصوبة المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه وهم من يقول النبع فيه فاجري مجرى المفعول فيحذف
الجار وهو في فيبقى لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قولهم مال اصابوا قال شعرا فاذا جزى الله عنهم تباء وطول للهدام مال اصابوا
اى اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا فيثبى في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا يقضى عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث في الجدعة التي ضحاها ابن بناء قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في
تقديره مصدرا اى قليلا من الجزاء مثل لا تظلم شيئا ومعنى تنكير النفس اى نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الافاظ الكلي القاطع للطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة للمفدى في الحديث لا يعدل

مصروفة الى تعالى توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة والانداد والاضداد ولا يقبل منها ما يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى الاعداد او الاناسي مثل ثلثة انفس في وصف اليوم بهذه الصفات لتهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد كانه اذا وقع احد في كربة وحاول ان يدفع ذلك عنه بداث بما في نفوسها الا بيه من مقتضى الحمية فيحمل عنه فايلزمه ويذب كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فاذا راى من كل طاقة له بما بغته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال المحاول بالملاينة فاقصر عنه بالخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما لو كان ممكنا من نصر الاخوان ومد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي فائت بالتوبة لانا ذا تصوانه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من يميله الحب الشديد الى علو النفس فيمتنع اولا بالشفيع ثم يروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فلهذه الفدية على الشفاعة فغير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم ان الشفاعة هي ان يسئل احد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والاية والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا فلم يخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاوبسوا من ذلك والحجة باب العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب سوف يجيء سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة ان شاء الله وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والمقتضاء من القابل ضابطة ان لا يكون الشيء مستعد القبول الفيض من واجب الوجود الا اذا يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تفيض الا القابل المقابل للسقف المظلم بكن مستعد القبول النور منها لكن لو وضع طست مملوء من الماء الصافي المكشوف تحت السقف المقابل لم يكن كذلك فارواح الانبياء كالوسايط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على ان لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد حيث انه لا شفاعة الا له واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وچون رهانيديم شمارا از ال فرعون كه ميچشانيدند شمارا بيدترين عذابها كه ميكشتند فرزندان شمارا وزنده ميگذاشتند زنهاى شمارا ودر اين حالها آزمودن بود از جانب پروردگار شما بزرگ وچون شكافتيم بجهة شما دريارا پس رهانيديم شمارا وغرق كرديم ال فرعون را وشما مينگريستيد واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون وچون وعده كرديم موسى را توريت را وجدا كننده ميان حق وباطل شايد كه شما راه يابيد پس از اين شايد كه شما سپاس كنيد وچون وعده كرديم موسى را توريت را وجدا كننده ميان حق وباطل شايد كه راه يابيد قراءة سوا العذاب بغير هز حيث وقعا مفتوح الاصفاني من درش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب بريد موسى بالامالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعلي بن عمرو وبهمان ان جعلته ضلى فبالامالة بين الفتح والكسر ان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وتابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس كذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها وتكون لكما والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمؤمن وما اشبه ذلك الوقوف تشاءكم عظيم تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون القصة نبه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ انجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وفي جميع هذه الفصول معنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع تخلص المخطط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء على خلاف القياس ثم الى الوجوب فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الا الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال اهله وهكذا لا يقال ال البلد ال العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤولون الى اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

نهال خطر فالف اي تخبر

لمن ملك العمالقة الا ولاد عمليق بن لاوذ بن ارم بن نوح كفيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن اختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب ربنان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب لم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه فابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اشياعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وَيُسُومُونَكُمْ من ساءه حسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك ساام الناس حسفا : ابينا ان نقر الخسف فينا : واصله من ساء السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر الذي يقال عوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب العذاب كله شتى اشده وافظعه كانه قبح بالاضافة الى نظائره والمراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها السكاكان يجعلهم في الاعمال القذرة كالكنس للكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذ بهم رافة واشفاق مراشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم اي شئ اصعب من الموت فقال الذي يتمنى فيه الموت فبين تعظيم نعمة عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ومعناه هم يقتلون الذكور من اولاد كم ويستحيون الاناث للذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وانقطاع النسل بالاخرة و منها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من التكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب حمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احبة عند النساء ولهذا قيل لهن مرة ان ما لهن اثالة جيوة النبين موت البان يقول النبي كمن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال لقبا بنو للنساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا وان كان ماء يقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يقتل جميع الرجال على كثرتهم ولا نهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى انما لم يقتل البنات ومقابلة الابناء لا تنهن لم يقتلن لكن يصدان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فحاولوا ذلك فاتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كيدهم يتوتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر فارعبت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسئلهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يديه وقيل ان المنجمين خبروا فرعون بذلك وعينوا السنة فلهذا قال يقتل بنائهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير كالمظنون فلا يصلح ان يكون امرا مفصلا والاقدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في البديهيات وهو انه يمكن الوجود ضده من العقل لا يكون من العقل ثم قال لئن قال قائل لم قال فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق قائليهم وانما قدم على ذلك القول احتياطا قلت اذا اخبر تعمد بانه قال أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى وَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانها من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابراهيم من كلام موسى فعد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اي فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف البلاء المحنة ان اشير بذلك الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى النجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى وكان موضع المنة على اليهود انعام الله تعالى عليهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذكال من بالغ في ازالتهم ههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل لخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة لانهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق مغلوبا فكانه تعالى لما نصره وابقى محمدا وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب الامر الى جانبه ويذل اعداءه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينجو من الاخرة قال اهل الاشارة النفس امارة وهي صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة تشوق الروح الشريف الى ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة

الجزء الثاني

الحيوانية ولا يخفى من ذلك الا الله تعالى قوله وإذ فرقنا نعمة اخرى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثني عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه وتتفرق الماء كالفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او براد فرقناه بسبب نجاتكم او يكون حالا اى ملتبسا بكم روى انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الخال ومعلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بني اسرائيل ان يستعيروا حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال فاما البقي اموالهم في ايديهم ثم نزل جبريل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا وكانوا ستمائة الف وكل سبط حشون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوي فوالله ما صاح في تلك الليلة ديك فلما اصبحوا غاروا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تبابل كبدها حتى يجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه الف الف وستمائة الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى الى البحر قال له يوشع بن نون يا موسى الى اما مك واشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه البحر وكان يمشي في الماء حتى بلغ الغمر فصيح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال له ما موسى ابن امر بك ففال البحر والله ما كذبت وما كذب ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه دواهب لصبا نحو البحر حتى صار طريقا يابسا فاقتحم كل سبط منهم طريقا وقالوا فيه نقالوا لبعضهم ابن اصحابنا لا نرهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله الى البحر فقال بعصاك هكذا فقال لها على حيطان المياه فصارت فيها كوى فنظروا وتسامعوا كلامهم ثم ان فرعون لما رأى البحر راى بليق قد افتهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على مُهْرَة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم بأولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء صام موسى عند ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ انكم ترون النظام امواج البحر لفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى سئلوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسئل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فانا عنوك تقول لذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفاته والعصا عصى الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق كالله وينشق ماء شهواتها بمياه شمالا وبرحمة الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية تعبر بحر الدنيا فيصيرا يبسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله الى ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه الله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب سماوي اليه عدا الله موسى وانشد موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة انما قبل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقال المحققون لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن يذكرها اهل الذوق ولهذا جاء في الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين ينقلب في الاطوار في الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا في الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير مضاف اى لتمام اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه ان الله تعالى وعده الوحي وعده هو المجيء الميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجملا وتفصيله في الاعراف كقوله ثَلَاثَ لَيَالٍ في الحج وسبعة إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل ولا تم اجمل معنى ثم في قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهارا لدرجة موسى وسائر بني اسرائيل وانواع عقيب ذلك ما شنع انواع الجهل والكفر كان ذلك في محل التعجب كأنه تعالى قال بئسما احسنت اليك وفعلت كذا وكذا ثم انك تقصد بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعمال لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا اتخذ يتخذ وقد اجرى اتخذ مجرى الافعال القلبية في الدخول على المبتدأ والخبر نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثاني للعلم به لذكره في مواضع اخر منها في طه فقالوا هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير انه ذهب موسى الى الطور وكان قد جمع مع بني اسرائيل الثياب والحلي التي استعاروها من القبط فقال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامري ممن سار مع موسى من مصر في البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين تقدم في البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامري اخذها كان معه من الذهب في صوره منه عجلا والقى في ذلك التراب فخرج منه صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لا نفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ كما قال إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وذلك ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والشرك وضع الاخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو في وانتم اما للحال او للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان الكل قوم عجلا يعبدونه قال تعالى كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ بعد

عبد الحميد قال ما عبد الله بغض الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله ﷺ وعاندوه كانه قال اهؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبي ﷺ بما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد مما قطع شأن الجهلة والمقلدة رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تحمل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي ﷺ ان السامري القى الى القوم ان موسى انما فقد علما الى ربه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انما اتخذ لكم طلسما مثل الطلسم روج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب فاطمعهم في صيرورتهم مثله في ايتان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية مجوزة لحلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد ﷺ فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وامة محمد ﷺ مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق يخالفونهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يرغبون عن سواء السبيل ولا يميلون الى المعتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اي حين بتتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم او تكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا ومنزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية بخواص الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل موسى وفي هذه الاية بيان ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل اتينا موسى التورية ومحمدا الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب فيه تعسف واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم شما بحكم ديدار بقدرت شما گوساله را پس بازكرديد بسوى آفريننده خود پس بكشيد نفسهاى خود كه اين بهتر است از براى شما نزد خداى شما فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون پس قبول كرد توبه شما را بدستيكه او توبه پذير مهربان است وچون گفتيد اى موسى نمى گرويم از براى تو تا كه ببينيم خدا را آشكارا پس برياوخت شما را صاعقه وشما نظر ميكرديد ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم پس زنده كرديم شما را از پس مردن شما شايد كه سپاس بداريد وسايبان كرديم بر شما ابر را وفرستاديم بر شما من وسلوى را كه بخوريد از پاكيزهاى آنچه روزى كرديم شما را وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون

القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابي الزعراء وعبد الرحمن بن عبيد وستم كردند ما را ولكن بودند كه خود را ستم ميكردند قرأ ابو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما وغير عباس وكذلك كل ما كان بلفظ ما او واو وملفوظة مثل من دونه هو انه هو اشباه ذلك حيث كان بالامالة نصير والعجلي بارئي الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو هو شعيب عن الزمدي وكذلك كل ياء بعدها ياء استقبلها الف ولام مثل لو يرى الذين الضاري المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديد حمزة وعلي وخلف وقراء ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم عند بارئكم لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم الرحيم منظرون تشكرون السلوى ما رزقناكم يظلمون التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ودفع ذلك الامر عنهم قبل فناهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم الى زمن محمد ﷺ وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد ﷺ لهم نعمة ورحمة لانه لا مابرهم بشيء من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد ﷺ في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدي ضرر غير من ههنا ان الضرر انما يعود الى النفس فبذلك استحقوا الايذاء والفرق بين الفاء ات الثلث في الاية ان الاولى للتسبب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تمام توبتكم كما ان القائل عمل الا تتم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول ويقتلونه ومعنى الى بارئكم النهي عن الربا في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم جملة معترضة بعيد للتنبيه على ان ضرر الدنيا هون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولعون لا بد واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

عليكم وانما اختصر هذا الموضع بذكر البارئ لارتفاعه كما مر في الاسماء الدخول الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقرير لما كان منهم في ترك العبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برأ امن التنافر الحكم والمفاسد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والعباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقتهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك فعطوها باتخاذ من لا يقدر على شئ منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال وفي المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كفئ واحدة ثم اختلفوا فقيل انه امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لمحضر الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون باثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين للسيوف فاحشوا بافنيته بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه مدبرا فرمى اليهم اوائلهم بيد ورجل ويقولون امين روى ان الرجل كان يبصر والده وولده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر ون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء فقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل فلو كانت القتلى سبعين الفا وقبل كانوا اثنتين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حية النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه السامري ما قال واحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خياريهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسئل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى من ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام التي انا الله لا اله الا انا وبكلا اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهرت بالقراءة والدعاء كان الذي يرى بالعين يجاهر الرؤية والذي يرى بالقلب يخافت بها وانتصابها على مخرج انتصاب قعدت القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى في وقت جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما انه مصدر جمع جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم والتخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم فقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقه موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق وظاهر انها اصابتهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون ثم رفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي خزي من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فاوحى اليهم وليس معي احد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت ونعمة الله بعد ما كفروها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم احترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون صحبي احد منهم فاذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل فقال موسى اني هجي لا فتلك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الاخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسئل الله شيئا الا اعطاك فادع يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قاله المفسرون وليس في الاية ما يدل على ترجيح احد القولين على الاخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين وفي هذه الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه لو تناولهم لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا يستعمل في الموت ثم في الاية فوائد منها التعذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل بأولئك ومنها التشجيع لهم على مجيء الانبياء بعد تلك الايات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبي مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولوجحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي وتثبيت فؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول لو صحت نبوة محمد لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تقرر بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الايات كانوا يرتدون من كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب

من مخالفتهم محمدا وان وجدوا فى كتبهم اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد عن هذه القصة مع كونها ايسا تبين ان ذلك من الوحى
بقى ههنا بحث وهو ان المغفرة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امرا جائزا الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كالم تنزل
بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت فى قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته فى الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته
فى الاخرة الذى هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضى زوال التكليف عن العبد فى الدنيا مقام التكليف وانيه افتراح دليل زائد على صدق
المدعى بعد ثبوته نعت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم فى انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جازت الاستكبار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات
غفلة وفيه من سوء الادب ترك المحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اى جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه كما سيجئ
فى المائدة سخر الله لهم السحاب فيسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ضوء ثان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وشياههم لا تلتحم
ولا تبلى ثيابهم ولا تدرن ولدان ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وعليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا يزيد ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا يزيد فجاهد المن صمغ حلو وهب
هو الخبز السميد الرخاص هو مما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكمأة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر
احمر كلوا على ارادة القول اى قلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا بعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم
فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذف ذلك لدلالة وما ظلمونا عليه لكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى
غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفى الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله فى ال
عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

القراءة نغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح
الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القراء ابو عمرو خطاياكم وبابه بالامالة على قولا غير
بالاخفاء يزيد وابو بشط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او وصلها الوقوف خطاياكم وقف
المحسنين يفسقون التفسير القرية مجتمع الناس من قريت الماء فى الحوض اى جمعت وهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع
القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فقال الخور كوة ودكاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس
حيث قال ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس حيث قال
ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبى على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا
من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم بدخولها بيت المقدس وحيطوا
موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويطامنوا داخلين ليكون دخولهم فى خشوع
وخضوع وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم ويدخلوا متحنين على ادبارهم من الركوع وهو المشى على الاوراك وحطة فعلة من الحط
كالجلسة خبر مبتدإ محذوف اى مسئلتنا حطة وامرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت
كقوله شعر شكا الى جملى طول السرى : صبر جميل فكلانا مبتلى الاصل صبرا اى اصبر صبرا لكان الامر القوم امروا
ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم الملتمس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك لان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكى توبته
لمن شاهد منه الذنب لان التوبة لا يتم الا بهذا الامر الاخرس صحيح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى
التوبة وازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه
لزوال التهمة عنه فى الثبات على الباطل ليعودوا الى الموالاة بعد معاداته ويحسنوا الظن به عن ابى مسلم الاصفهانى ان معناه امرنا
حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى الغفران نغفر لكم واحد الخطيئة اذا غفرها الله
فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث فحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب
قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا يقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطاءة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائو
بناء ثم همز ابدلت الهمزة الفا فانفتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثانى محذوف للعلم به ولكان الفاصلة اى سنزيدهم احسانا

اوثوابا اوسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة وهذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دينية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دنيئة اى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب غفرانا ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل حولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان ائتم بعد ذلك بطاعات اخرى نذكركم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن محض بصيرته الكلية سببا لغفرانه من محسن بصيره سبب الزيادة ثوابه بقوله ثم قبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي يغيرها هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى غير فاذا كان تبديل القول يكون بقولهم المعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به لم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم يزرعون بالبطائح بين العراقين حطة معناها اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدلوا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في كل شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به الرجز العذاب عن ابن عباس مات بالطاعون منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من العداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الاسر الهي نازل من عند الله تقطيعا لشأن العذاب والفسوق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد اما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون قبل ذلك التبديل مستمرا لهم او ان هذا الظلم وهذا الظهر لزوال التكرير وكان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تقبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تخير المتصل بلفظ التعجب للتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فالجرم استوجبوا الذم فاما غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يدينا ولكل من بدل قولا بقول اخر سواء اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا استدلالهم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صريح بالقائل في اول القرآن ازالة للابهام وكان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وههنا لك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي وكلوا بالواو واما بينا في قوله كلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه وكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وههنا لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ومثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا لدلالته على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب اللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس ولائق المذنب العكس لذلك ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران والاخر الزيادة فنزل الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا لاتصال اللفظ حال في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في التفسير ازدحام الواو وليكون استينافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص في من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف نعمائه واياه عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكرا مقارنا وههنا لم يذكر اما جائزة فضمار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اول الاثبات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك ثم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فرعى التناسب قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فسقا الكفي بذلك البيان في الأعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم

ع وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن بعصای خود بر السنگ پس روان گردید از ان دوازده چشمه که دانست هر کسی محل آب خود را پس بخورید

مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا و مبنیش کنید در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیبا نیاوریم یک خوردنی پس بخوان از جهة ما پروردگار خود را که براورد

تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت آیا بدل میکنید ازانکه آن پست است با نکه آن بهتر است فرود آیید در شهری

فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

پس مر شما را انچه سوال کردید و زده شد بر ایشان خواری و بینوائی و برگشتند باغضب ازین بجهت که بودند کافران بایات خدا و میکشتند

النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

پیغمبران را بدون حق این بجهة انست که نافرمانی کردند و بودند که از حد میگذشتند

الهاء والميم حمزة على خلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط وقرأ ابو عمر وبكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم والنبيين وبابه بالهمزة نافع الا ثمو صعين في الاحزاب وهب نفسها للنبي وبيوت النبي الا ذري ابي عمير فانهما قالون عنه بغير همزة الوقوف الحرمي يحذف الحذف في الوصل فانفجرت عيناط مشربهم ط مفسدين ط وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله بغير الحق ط يعتدون التفسير جمهور المفسرين سوى الحسن على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فالالام اما للعهد لاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع كل وجه ثلثة اعين لكل سبط عين لئلا يحتدل الى السبط الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسبعين للعسكر ما ثني عشر ميلا وقيل اهبطا دم من الجنة فوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرتي وذلك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما اللحسن واي اضرب الشيء الذي تنفجر منه الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصنف والشكل فقيل كان مثل رأس الانسان وقيل كالبيضة وجه كالمرو هذا اذا ربعنا الفوقاني ومقابله واما الضرب فقيل كان بيده بعصا فينفجر ويضربها فانبجست فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في قتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه مر ابتغاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به الانبجار والانفجار واحد معناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بمخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق الضيق فلا يناقض كما لا يناقض المطلق والمقيد والعام والخاص او لعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا انما من تمام النعمة عليهم انما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي قلنا اي قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقناكم بلا تعب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاكل ينبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم المأكول والمشروب والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقدرة جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما قطعا او مقيدا بالمدة ان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تأتوا الفواني التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التقييد يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح يقال ان المنصوب في محو قوله عز من قائل ولا تعثوا في الأرض مفسدين ثم ولتم مدبرين وفي نحو قولهم تعلم ياثابت وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا وقد سار الركب بمعنى في الآية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر وان اردت بحثا فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سبب او واسطة واما عند طالبي الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عند جمهورهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى البعض فجاز استمداد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه ابن ابي الدنيا باسناده عن ابي هريرة

نوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل مجزة نبينا اقوى كان بنوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما بنوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم الفناء بمثابة موسى وقومه انه يستسقي ربه لاروائها من ماء الحكمة المعرفة فيضرب بعصاء كالا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تنفجر منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف كالا اله الا الله فقد علم كل سبط من اسباط الانسان وهي حس حواسه ظاهرة وحسن باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيسقون في خطر بحسب مشربه بقوله سبحانه وإذ قلتم يا موسى لا نصبر على طعام واحد الآية زعم بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا ولا سيما اذا كان السؤال دون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم قال اتستبدلون وقال اهبطوا مصرا من غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الوفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وانما المواظبة على الطعام الواحد بمثابة لشهوة وتضعف الهمم فيصعب ان يكون التبديل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل ومن كان مريضا يحرم الدنيا توتمنها ومالذ الاخرة من ضب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهما ارادا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يدوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قبل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدا بها حاضرا واحدا لانهما معا من طعام اهل التذذ والترفه ويخرج لنا ما نزرعه ما نريد لاما الفناء ومعنى يخرج لنا يوجد ينظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالبقاع والكرفس والكراث وغير ذلك من طيبات البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله ثومها وهو العدس والبصل او نوع قال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اخبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو دنى اي اقرب غير لذ وادون مقدارا كقوله في ضده هو بعيد الحال بعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه فانها هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلادا تيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا اما مصر فرعون والتنوين فيه في القراءة المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار كما قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلدا كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم صقة لازمة كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فالبهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومذلة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لسابق ذنبه ومكافاة اي صار والحقاء بغضبه هو ارادة انتقامه تلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب لسبب كفرهم بايات الله اي القرآن بل بالتوراة لان الكفر بها مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت البهود لعنها الله شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الآتي بالباطل قد يكون اعتقد حقا شبهة عنده وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في التعمد وكرر للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له فمحال ان يكون لمدعي الالهية الثاني برهان والبغي بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من بغا عن الله تعالى سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول نبي مسيلمة بالهمزة غيرهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك فقيل اصله من نبأ اذا ارتفع من الارض اي انه شرف على سائر الخلق وقيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول تجامع على انبياء لان الهمزة ابدال وطبدال والزم الابدال جمع جمع ما اصله حرف لعلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند اخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري هذا بما جرأك علي واغرت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهم كلوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك الكفر والقتل مع عصوا سائر انواع المعاصي عند احمد الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك وانما فعلوه في حق الله وهو جحدهم لنعمه ثم بتجرئهم في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية المراتب قبل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله

فلما

البقرة

فكانت تقتلهم بسبب ذلك فرقا من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قتل لم قتل انبيا ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قتل الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل عاما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان او زنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق والحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم لكن هنا خرج هذا الذي يعرفه المسلمون

ولما عرفت ان ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل

بر سيكه آنان كه كرويدند وآنانكه جهودي كردند ونصارا يان وصابيان هر آينه كسانيكه ايمان آوردند وآنانكه جهود شدند ونصارا يان وصابيان

صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا

شايسته ومر انرا مزدشان نزد پروردگارشان وبيست ترسي برايشان ونه اندوهي وچون گرفتيم پيمان شما را وبلند كرديم بالاي شما كوه را بگيريد

ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم

آنچه كه داديم شما را بنيروئي وياد آريد آنچه كه در آنست شايد كه پرهيزيد پس برگشتيد از پس اين پس اگر نبودي فضل خدا بر شما ومهرباني او هر آينه بوديد

من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين

از زيان كنندگان وتحقيق كه دانستيد خبر آنانرا كه در گذشتند از شما در روز شنبه پس گفتيم بايشان كه باشيد بوزينه دور راندگان پس گردانيديم اين را عبرت مر پيشين

يديها وما خلفها وموعظة للمتقين القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو حمزة وعلي وخلف ودرش من طريق النجاري والحاز عن هبيرة

واز بعد آيندگان وپندي از براي پرهيزكاران وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والواء وكذلك قوله سكارى واسارى

ودوارى واوادى كلها بالامالة قبل الالف الصابئين بغير همز ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء ابن الهمز الوقوف عند تم

لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك لان لولا للابتداء وقد

دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للابتداء والعطف بالفاء المتعين التفسير قد تجر الكلام في الاولى المتقدمة الى عهد اهل الكتاب

من يقفوا اثارهم وقرن بها ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترهيب مع الترغيب فقال ان الذين امنوا واختلف المفسرون فيها

لان قوله في اخر الاية صراحة من بدل على ان المراد من قوله امنوا شيئا اخر كقوله يا ايها الذين امنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين امنوا

قبل مبعث محمد ﷺ بعيسى مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي

وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين امنوا قبل مبعث محمد ﷺ والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى

كل من امن بعد مبعث محمد ﷺ بالله واليوم الاخر ومحمد ﷺ فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين امنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون

والذين هادوا يقال هاد يهود وهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من ارى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين

امنوا هم المؤمنون بمحمد ﷺ في الحقيقة وهو عائد الى الماضي كانه قيل ان الذين امنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من امن منهم

وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واستقام الى الموت وقيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا عن ابن عباس سموا باسم ابيهم الاكبر ولد يعقوب

وقيل لهم يهود ان اي يتوبون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى ﷺ قال ابن عباس وقتادة وابن

جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل كان عيسى ﷺ قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران

مؤنثه نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين ما لهمزة اشتقاقه من صباء الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين اخر

وكانت العرب يسمون النبي ﷺ صابيا لانه اظهر دينا على خلاف دينهم عن مجاهد الحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يأكلون ذبائحهم ولا

ينكحون نساءهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل هم اقرب الى النصارى وقيل قوم بين اظهر

قومهم لان الاول خالق العالم هو الله سبحانه لا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك

والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه ويجب هذا المذهب الى الكلدانيين

الذين جاءهم ابرهيم ﷺ فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا امنوا بالله ويدخل فيه ثم الايمان بكل ما اوجب الايمان برسله وامنوا باليوم

الاخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن بجاري مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من من رفع على انه مبتدا عجزه فلهم اجرهم والجملة خبران او

على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبران فلهم اجرهم والفاء لتضمن من اوالذين معنى الشرط قال البرهان قدم النصارى على

الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان واعتنى في الحج بالعنيين فقدمهم في اللفظ و

اخرهم في التقدير لان تقديرهم والصابئون كذلك وقوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم و تقرير النعم

والمفسرون في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدال على وجود الصانع ووحدته وحكمته وعلى صدق انبيائه

ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب في البدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم ثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن

زيد بن اسلم ان موسى ﷺ لما رجع من عند ربه بالالواح فرأى ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكرت عليهم وابوا قبولها امر جبريل فقلع

وقد نسخت بقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

وقد نسخت بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر

الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان الله ميثاقين الاول
حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثانى انه تعالى لزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد كما قال ميثاقكم ولم
يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اى كل واحد منكم او آخركم والواو فى ورفعنا اما واو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع
الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل
الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقع المناجاة عليه فيجوز ان ينقله الله تعالى
حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل فى الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة
القول اى وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما فى
الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه فانما لم يحمل على نفس الذكر الذى هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون
رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اى فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعيد ذلك اى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد نعلم
جملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل بها وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا
امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب
ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم
وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور فى تراجم التورية التى يقرون بها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا
بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بامهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اى من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله
تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر
قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على
ردكم للكتاب لكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضى
بدون قد لانها لتأكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضى من الحال فيصير الماضى
كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام فى التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم قيل عن ابن عباس هؤلاء القوم كانوا فى زمن داود
بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض فى شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفى
غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك
الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استسن الابناء بسنة الآباء
واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان
فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما نزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئين فمكثوا ثلاثة ايام ثم ماتوا
قال بعضهم وفى الكلام حذف اى ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت
اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه ما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما
الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امره اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وقردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم
لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذى لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان
الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا
وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نأمن فى كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك فى المشاهدات
واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع البدن او جزء فى جانب من البدن
كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشئ مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا
التأويل يجوز فى الملك الذى يكون جثته فى غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانهم لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق
فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتألمون بذلك
ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التى فى زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية
عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلاثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اى المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة

في بيان معنى نقض سبت

في بيان تعريف حقيقة الانسان

البقرة

زاده عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس من التشفي واطفاء ثائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما حضرها من القرون والامم وجعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال البعضهم والاولى عندي ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخ ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الوهوم لانه امر اعتباري والعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزد لاجل الذنب المتاخر شيئا فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المرتب مائة اخرى ولكنه ان قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وهو موعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او يعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

وچون گفت موسی ازبرای قوم خود که خدا میفرماید شما را که بکشید گاوی را

قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ

گفتند که آیا گرفته میدارد ما را بمسخره گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از جمله نادانان گفتند که بخوان ازبرای ما پروردگار خود را که ظاهر کند برای ما که چیست آن گفت که

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا

خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده و نه جوان متوسط درمیان اینها پس بکنید آنچه فرمانداده شده گفتند که بخوان ازبرای ما پروردگار خود را که ظاهر کند برای ما

مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد خوشنده که شاد میکند فرح دهد نگرنده گانرا گفتند که بخوان ازبرای ما پروردگار خود را که بیان کند که چیست آن

إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا

که گاوها مشتبه شد بر ما و اگر خدا خواهد هر آینه ازراه یافتگانیم گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام که شخم کند زمین را و نه

تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ع وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

آب میکشد تمام شده که نباشد رنگی در آن گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند از او نزدیک بود که نکنند وچون کشتید نفسی را

فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

پس میکدیگر ستیزه کردید و خدا برآورنده بود آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره از آن همچنین زنده کرداند خدا مردگانرا و بنماید نشانهای خود

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

شاید که شما بیندیشید پس سخت شد دلهای شما پس از این پس ایشان مانند سنگ است بلکه سختی و بدیکه بعضی از سنگها هر آینه روان شود از آن نهرها

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ القراءة بامر كم بالاشمام

وبعضی از آن هر آینه بشکافد پس برون آید از آن آب و بعضی از آن فرود آید از ترس خدا و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید ابو عمرو کذلك كل فعل مستقبل مضموم من ذوات الراء همزة واسكنه الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرا حفص غير الحزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا اجتث بائتر بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فاداراتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف تعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ج نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير قدتبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء تسر الى الحزن لانه لجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لان التقدير فان البقر ولان البقر بلاء لعد تكرار السؤال عليناط المهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ط فادارأتم فيها ط يكتمون ج للابتداء والفاء بعدها بعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى يعقلون قسوة ط الانهار ط لما يشقق الماء ط لما يهبط خشية الله ط لتفصيل كل واحد تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى فاخذ موسى في تعرف القاتل فلم يظهر فقالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسئل فاوحى الله ان امرهم ان يذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم فشدد عليهم حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيظة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالدته فشبت وكانت من احسن البقر وانعمه فساوموها اليتيم واحمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثمائة دينار وكانوا طلبوا البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار القتيل حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدا بالشكاية فقتلوه وقد اعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

فيه حكاية نسخ البقرة من بني اسرائيل

بالاية فالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم الجواب بدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المأمور به في الاولى بالاتفاق وبدليل
المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر فان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزاءهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم بدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف
السؤال الجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر واحد التعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاولى بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلولا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع
اخيرا يجب ان يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة سبع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف فان كان الاول اشبه بالرواية وبطريقة التشديد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتاخر وانه تكليف بعد تكليف لان الاسهل قد يسخ بالاشق فان المرئي لولده قد يامره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يري المصلحة ان يامره بالصعب وبدليل جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه
الى البداء وبدليل على وقوع النسخ في شرع موسى وبدليل على ان الزيادة في الخطاب نسخ اتتخذنا هزوا استفهام انكار معناه لا يجعلنا مكان
هزوا واهل هزوا ومهزوا بنا والهزء نفس لفظ الاستهزاء كان القوم ظنوا انه بداء لهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فالجرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب كفرهم لان الدلائل دلت على ان الانبياء معصومون عن الكبائر فلعلهم ظنوا انه بداء لهم
الجواب كانك تستهزئ بنا لانهم حققوا على الاستهزاء من الجاهلين اما لان السبب على الاطلاق الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل وبسبب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المامور به ذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن وقوع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائل انها للعموم فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كما ان موسى لما خصوه من بين سائر العصا
بتلك الخواص لان القوم كانوا محظيين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
اراد وا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة البين قال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب فان افاد العموم الا ان القوم اردوا الاحتياط فسالوا مرة بعد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف
الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالفرع منه عندهم
وانما وقع السؤال عن الشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية والخواص وسبب العدول اما افادة
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقر وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كانت طالبا
للعوارض وههنا الجزئي غير معقول فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فارض كطالوت كانها فرضت سنها
قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال الشعر نوار عم بين ابكار وعون فان اولئك
قالوا انها نصف فان الحب يضيفها الذي ذهبا وقد عونته وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام فانور
مثل امر بذلك الخرق فافعل ما ايرتك بمعنى ما تؤمر به وامركم بمعنى ما مور كم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير لها بين لهم كما لها في الحسن سمو
في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع كما يقال احمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل يسر
لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول كان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه يجنون وهو هنا نظر الى ما خيل اليه ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند

اعتقادا

البقرة

اعتقاد او علم او ظن بحصول شئ لان هذا نافع وعن علي ع من لبس نعلا اصفر فلا همه لقوله تشرئبا ظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار لصفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين و الصفرة كثيرا وانا ان شاء الله لمهتدون عن النبي ص والذي نفس محمد بيده لولم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله فيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وارادته السرمدية تماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي لها تمتاز عما عداها او انا على هدى في استقضاء السؤال اي نرجو ان السامع علي ضلالته فيما نفعله من هذا البحث وانا بمشيئة الله نتعرفها ايانا بالزيادة لنا في البيان لها وانا ان شاء الله لهتدي للقائل لا ذلول صفة للبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول اي تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها تسقي الحرث الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان النفي لا ذلول تثير الارض ولا تسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة ولا ساقية وذل بالكسر ضد الصعوبة وبالفتح الانقياد يقال بينة الذل بفتح فاعل وبهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صعب وامرأة صعب ومسلمة الله تعالى من العيوب مطلقا ومعافاة من العمل وحشيه مرسلة عن الحراثة ومخلصة اللون لم يشب صفرها شئ من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي كالون فيها يخالف سائر لونها فمن صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا يخالف اصلها وشيه حذف فاؤها كما في عدة وزنة الان استعمل للوقت الذي تنتفي فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس لا لف واللام فيه للتعريف لانه ليس لها شريك وهو بالي جئت بالجواب اي بحقيقة وصفه وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحق في الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة اسفل العنق وهو مستحق في الابل والمرعى في الحالتين قطع المطعوم والمرئ لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه شئ طا الرهوق ولا يكاد الذبح في الابل والنحر في الغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كادوا يقطعون حيط اشباههم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه بحجة وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاجتلبت الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فيها الى القتلة المعلومة من تقتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت الدارأ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الحق زاهقا وليس سببا وانما يسيء العبد من خبره شره دوام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله تعالى ان عبدوا طاغوت الله من وراء سبعين حجابا لا ظهرن الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة تقتلتم وما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي العنصر وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل الصفة بين الكتفين الظاهرهن كانوا مخيرين من اي بعض ضربوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام بإذن الله واوداجه تشخب ما وقال قتلني فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وفيه دليل لمن قال ليس للقاتل من الميراث شئ والسر فيه انه استعجل الميراث فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي رحمه الله الا ان يكون القتيل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي وغير مستحق عمدا كان او خطاء وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام امامع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير قلنا بعد قلنا اضربوه يحيكم ويريكم ايات تدل على انه قادر على كل شئ فذلك لا هذه القصة على وجود الصانع القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام ايرد دلالتها على صدق موسى ايرد دلالتها على براءته ساحته من سوء القالة ايرد دلالتها على حشر الاموات ايرد فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالاحياء غيره وهذا اي مثل هذا الاراءة يريكم سائر الاراءة كما ان مثل هذا الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للشان اليه بتبعيد كما قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعلمون على تضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ الاثر لا يختص في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه ان تكون المحنة اكد وعن الحيلة ابعد فقد كان المحدثان يتوهمان موسى انما احياه بضرب من السحر ويعلم بما امر من مس الميت بالميت حصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب

الجزء الاول

ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج ولما في التشديد عليهم لاجل تشددهم
من اللطف لهم والايجاز من غير ترك التشديد والمسارعة الى امتثال امر الله على الفور ونفع البيت بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين
والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرحمان يكون من احسن ما يتقرب به فحثت
انتن حسن اللون برأس من العيوب ثمنا نفيسا اسمنوا نحاتا كرفانها على الصراط مطايا كرفان مثل هذا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة
كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون قضية واحدة ويذهب الغرض في تنبيه القريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال ولا وقتل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قسمت قلوبكم
الآية خطاب لاسلاف اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم فيرض محمد ﷺ من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عدد نا من جميع
الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل
لبوها عن الاعتبار والانعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة
وهو ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا واما قيل
اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من القسوة لكونه دالا على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الافضلية ولكن وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوتها كالحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كرم وعمرو اكرم وكلمة او
ههنا ليست للشك فعلام المخبر لا شك في شيء وانما هي للتخيير اي بهما شئت شبهت فكنت صدوقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان
فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما ينفجر منه الآية اي ان منها اللذي ينفجر وفوق واسفر يتدفق منها الماء الغزير
وان منها اللذي يتشقق تشققا طوليا او عرضيا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن الارض ثم ان كان
ظاهر الارض رخوا انفشت وان كان صلبا اجتمعت وصارت مياها وربما تبوأ مددها الى ان يتشقق الارض
من مزاحمتها ولتسهيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا ينتفع للخير ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الآيات
لتشقق اصلا يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم بذكره في يتذكر لما يهبط اللذي ينزوي من اعلى الجبل وذلك من خشية الله اما لانه تقع
خلوفيه الخشوع والعقل والادراك كما هو في تسبيح الحصى في كف النبي ﷺ واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع مما يريد الله
من الاهباط والانقصاع عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأتمر قيل اي تتزلزل من اجل ان يحصل خشية في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء الفاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا
والآخرة ولا تجعل عليهم انما نعلم عدا وصفه تعالى بانه ليس بغافل ليوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت
ضدها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم النساء وبذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر وقيل
قبل ان تنوء شعرا قلوني يا ثقافي آرنة قتلي حبوني وحياني تماني وما اني في حبوني متعا الارادة تحيا بالطيعة وقال بعضهم متى بالطبيعة
تحيى بالحقيقة ما هي انه بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فرحة عن وضائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية
كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب يشهوبر سكر معوان بين ذلك لفوله حتى اذا بلغ اشده بلغ اربعين سنة
بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة ذين لا صفرة سين فانها لون الصالحين لا ذلول تثير
الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تشير بآلة الحرص ارض الدنيا لطالب خارتها ومشتهيها ولا تسقي حرث الدنيا ماء وجهه عند الخلق وما
تجاهته عند الخالق فيذهبه ماؤه عند الخلق وعند الخلق مسلمة من آفاتها ليس فيها علامة طاعة الله وما كادوا يفعلون بمقتضى
الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس
الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لك البقرة النفس المذبوحة لتسكين الضد على قتيل القلب بيدا وتمر الذكر فحيا باذن الله تعالى وقوله
ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما ينفجر منه الآية دل على تفاوت القلوب في القسوة مختلفة فالتي تنفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغلبات
انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء الشهية لحرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء قلوب
يظهر عليها في بعض الاوقات عند اختراق الحجب البشرية من انوار الروح فيرى بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط
من خشية الله ما يكون لبعض اهل الله تبيان والملائكة من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة
بين المسلمين وغيرهم وانفرد انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في فرحهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم
وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من محل انوار الحق وروئية برهانه فاراءة الآيات للخواص
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون ولكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قد في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه لسئل الخبير

والله

نصف الجزء

البقرة

والله اعلم افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
ایا پس امید دارید که بگروند شما وحال انکه بود گروهی از ایشان که میشنیدند کلام خدا را پس تغییر میدادند آنرا پس از انکه بدانستند آنرا
يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله
میدانستند وچون ملاقات کردند آنهارا که گرویدند گفتند که گرویدیم وچون خلوت کردند بارهٔ از ایشان با بعضی گفتند که ایا حکایت میکنید بایشان بآنچه گشوده
عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم
برشما تا محاجه کنند بآن در نزد پروردگار شما ایا درنمیابید ایا ندانند که خدا میداند انچه را که پنهان میدارند وانچه را که آشکارا میکنند واز ایشان
اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا
بی سوادانند که ندانند کتاب مگر انچه بایشان گفته اند وشما نیستید مگر گمان میبرید پس وای بران که مینویسند کتاب را بدست خود پس گویند که این
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار
از نزد خداست تا بخرند بآن بهای اندکی پس وای بر ایشان از انچه نوشت دستهای شان ووای بر ایشان از انچه بکسب میکنند وگفتند که نرسد بما آتش
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون
مگر چند روز معین بگو که ایا گرفته اید نزد خدا عهدی پس خلف نکند خدا عهد خود را یا میگوئید بر خدا انچه را که نمیدانید
ع ۱۰ بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا
اری هر که کسب کرد بدی را واحاطه کرد باو گناهش پس انگروه یاران آتشند که ایشان در آن جاوید باشند وآنان که گرویدند وکردند
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون القراءة الا اماني حيث كان خفيفا بزيد الا قوله تلك اماني بهم ولبنا منكم
شایستها انگروه یاران بهشتند که ایشان در آن جاوید باشند ولا اماني في عزيمكم الا اماني فان ربعهن بالاسكان عنده بابديهم بضم الهاء
يعقوب وكذلك كلها في كتابه قبلها بابهم ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون امناج والوصل الجوز لبيان خالدها المناقشين
وهو المقصود عندكم ط افلا تعقلون يعلمون يظنون قليلا ط يكسبون معدودة ط ما لا تعلمون الثاني الجملة مبتدأ وخبرها جر
خالدون الجنج خالدون التفسير اذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء مقالتهم مع نبيهم اردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله
فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجلكم ويستجيبوا لكم كقوله
فامن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية
الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان
استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون
انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفرهم وكلا موحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واسناده فلان يأخذ عنه
لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلمهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا
اي اليهود قال منافقوهم امنا بانكم على الحق وشهدان صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا
الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته ما خوذ من قولهم قد فتح على
فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفشوا عليهم شيئا
في كتابهم فينافقون المؤمنين دينا فقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا انحاجتهم به قولهم هو في
كتابكم هكذا انحاجته عند الله لانه اذا قال هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد عن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما
الزم الله من اتباع الرسول محاجة فيه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون
ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الاخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الدنيا نة النصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه
ارجح علتك عند الله واقمت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت حسنا الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر بها الخائب في قبل المصيرا
محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا
تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم او لا تعلمون ان الله يعلم جميع ما تسرون وما
يعلنون ومن ذلك سرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعجب ذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم امیون لا
يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة
لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني
يقدر في نفسه ما يتمناه وامانيهم ما يتمنونه ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما

في قبائح اليهود

منع الخائض والخائن

في تحريف الكتب

بهيهم الاحبار من النار لا يمسهم الا اياما معدودة وقبل الامانى الاكاذيب المختلقة التى سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد يقال هذا شئ دوينه وتمينه اى اختلقه وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفى الصحاح انه مقلوب لمين وهو الكذب وقيل الامانى يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قراءته قال الشاعر يرثى عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة : واخرها لاقى حمام المقادر والفاء مقدرة الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ويقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح و ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم فى الضلال سواء لان للعالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد الظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما فى اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثورى صديد اهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة فى دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيدا لقولهم هذا من عند الله وفائدة ذكر اليد التنبيه على ان الكتابة عملهم وكسبهم حكى عنهم انهم لما كتبوا الكتاب فى بيوتهم جعلوا يختلفون الى علمائهم ويرشونهم فامروا بكتبه واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثانى ابلغ ولهذا جئ بثم وقوله اشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الاجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اى مما اسلفت من كتبه ما لم يكن بحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف فى اعادة الويل فى الكسب ليدل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضى وقالوا لن تمسنا النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هى ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا لهذه المدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما الان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلها فصيح مثل الايام مفصلات ومضيق المهيع ههنا يجرى مجرى الوعد والخبر الان جزمه سبحانه كالمعهود المؤكد منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعى فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقيصة فان قيل هب ان الخلف فى الوعد لوم ونقيصة لكنه فى الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا اخر سوى هذا فتامل وام اما معادلة بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو انا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستانف سؤالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفى والاستفهام الثانى لتقرير الاثبات وفى الاية تنبيه على ان القول بلا دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفى الا بدليل سمعى ولا حجة لمنكرى القياس فى خبر الواحد فيه لانا دللنا على وجوب العمل عند حصول الظن بالدليل السمعى الذى دل على ان خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فان القول به قولا بالمعلوم بلى ثبات لنا بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجدنا اهل الكتاب ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين فقالوا لا نعذب فى النار الا ما وجدنا فى التوراة واذا كان يوم القيمة تحولوا فى النار فسارروا فى العذاب حتى ينتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى الخريوم من ايام المعدودة قال لهم خزنة اهل النار ما اعداد الله وعدكم انكم لن تعذبوا فى النار الا اياما معدودة فقد انقضى العدد وبقى الابد قلت وفى مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح افعال الاشباح الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تطهر الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر نظام الارواح عن لبان التمشغات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالم العلوى وكل هذا خيال فاسد متباع كاسد انه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتلذذ وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية السبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فقد بصدأ آمرة القلب بحيث لا يبقى فيه شئ من الصفا الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الا مر ولا الدهور وكرور الاعصار وقد تنضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا فى النار وفى بل طويل وزفر وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة اصلها سيوئة من ساءه يسوؤه وساءته فقلب الواو ياء وادغمت وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة بتنوين وجمع صغرت او كبرت فضم اليها شرط اخر وهو كون السيئة محيطة به يختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى الجسمانيات حاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يسد المحاط به الكبيرة يشمل الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحيط الطاعات وتستولى عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية واردة فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب بمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة
التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم ويذهب اليه مقاتل بن سليمان والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة
والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وفي الحديث
من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم وعن ابن سعيد الخدري قال قال والذي نفسي بيده لا يعفو الله عن اهل البيت جل الا دخل النار واذا استحقوا النار بعضهم فلان
يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض او
من دخل لا يلزم منه تكرير ولا تناقض وان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفي العفو عن اهل الكبائر يحملون
نحو قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى بالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعمل صالحا وبعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو فعلى حق البعض والوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو
قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد الوعيد لما تعارضا فلا بد من الترجيح
لجانب الوعد بصرف النار بل ليكون العفو عن الوعيد مستحسنا في العرف واهمال الوعد بالضد بخلاف القران مملوء من قوله غفورا رحيما كريما
وكذا الاخبار وفي هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو فضل الخير وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح و
هو الكفر فكيف يهدم ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي لئن كان توحيد ساعة يهدم كفر ثمانين سنة فوحيد ثمانين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شئ من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شئ من المعاصي
واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب او الى دار العقاب هو باطل بالاجماع او يصل اليه
العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابدا الاباد وهو المطلوب وعلم ان مذهب اصحابنا الى الادب الاقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث
انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرا عن التعليل بلواحق الغايات وسوابق البواعث
ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير من امنك حتى تبلغ الخوف واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين و گرفتيم پيمان از پسران اسرائيل
گه پرستيد مگر خدارا وبيدر ومادر بنكوئي كردن وصاحب خويشي و يتيمان وبيچارگان قولوا للناس حسنا واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذ اخذنا گوئيد از براى مردمان خوبرا وبر پا كنيد
نمازرا وبدهيد زكوة را پس برگشتيد مگر اندكى از شما وشما روى گردانندگانيد وچون گرفتيم ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء پيمان شما كه نريزيد خونهاى خودرا
وبيرون نكنيد خودرا از خانهاتان پس اقرار كرديد وحال انكه شما گواهيد پس شما ايد كه تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
من دياركم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وميكشيد خودرا وبيرون ميكنيد گروهى
از خانهاشان پشت ميشويد برايشان بگناه وبستمگرى واگر آيند نزد شما اسيران فديه ميدهيد وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة وحال انكه حرام است برشما بيرون كردن ايشانرا پس كافر ميشويد
ببارهٔ از كتاب وكافر ميشويد ببارهٔ پس نيست پاداش انكه بكند اينرا از شما بجز زبان ورسوائى در زندگانى الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة ودر روز قيامت برگردانند بسوى سخت
عذابى ونباشد خدا بيخبر از انچه ميكنيد انكسانند كه خريدند زندگانى دنيارا بسراى فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلى الفضل الفرج بالامالة الفرط حمزة وعلى وبرسبك نشود از انها عذاب وياري كرده نشوند
على وخلف وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب حمزة وعلى وخلف والفضل تظاهرون بتخفيف
الظاء حمزة وعلى وخلف وحذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد وجاء ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف
اسارى فمخالفة وهم ابن كثير وابن عامر وهي بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم على والبجاري عن هبيرة والباقون

اساري منهما نفادهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعلمون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الخطاب
الكلام على اولا الباقون بالتاء تغليبا للخاطبين على الغيب لوقوعه بعد الركوعة ط لان ثم لترتيب الاخبار اي مع ذلك توليتم معرضون تشهدون
من دياركم زلان تظاهرون يشبه ستينا فاركونه حالا اوحده العدان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة زلان الفعل مسانف فينفاء التعقيب للجزاء يضرون النفسية زسبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب في قراءة من قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به في اعرابها قولان احدهما
انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر فيكتفع من صريح الامر والنهي كما يسوغ الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه ثانيهما التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفعت كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق وكان قبل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثانيها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لابد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا ايتاء يحسنون بالوالدين احسانا اليا ساكي يعبدون او احسنوا اليا ساب وقولوا
ويمكن ان يعد وصبهم عطفا على اخذنا وهذا اتب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ما قبله لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين ناليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فالانعام بعد انعام الله نعما عظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما شبيه بانعام الله تع من حيث انهما لا يطلبان بذلك شاء ولا شكورا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تع لا يمل من انعامه على العبد وان اتى بأعظم الجرائم فكذا الوالد ان لا يقطع عنه ما
كرمها وان كان غيره بادرها ومنها ان الوالد الشفوق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها
ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عم جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وفيها اسرار فلسفية
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تع لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه لهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرايع ومركوز في كل العقول فقد ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه قال لحنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل بيده كان مشركا ولهذا الطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد لطفنا بر هيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت بالاحسان اليهما ان يجهما من جميع القلب براعي فاتق الادب الخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تع الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القرابة
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله ص الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم
مشتقة من الرحمن يعني لها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العرق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة لاتحاد الاقارب
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل بأقربائه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقاربه
زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لان الابوين والولد على
الاطهر لا يعرفان في العرف بالقرابة ههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية لير تفع نسبهم نحن لو ترقينا الى الجد العاشر
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي ترقى الى اقرب جد لنسب هو اليه يعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانه ينصرف الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه يدخل فيها ولا يدخل علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد الشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا ينصرف الا الى اولاد الشافعي ولا يرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه به في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون وما اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخلن في الوصية
سواء كان في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله ص سعد خالي فليبر خالي امره وخاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم مما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس برفق بهم ويدبهم ويصلح راسهم واليتم في غير الانسان
من قبل الام واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما جمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابناء حمل على الوجع والحيط فكما قالوا في جمع

البقرة

للشخ البطن وجاء وجبطه قيل في يتيم شيبا وفي الكشاف اجري يتيم مجرى الاسماء بخصوصا حيث دار بين فضل يتيم ثم شيبا على العكس وكذا في الشيبا التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكين الدائم السكر وهو اسوء حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان نقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك شيئا يعتد به تم تعالى السفينة فكانت لمساكين وبظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف الثاني قولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدرية قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او الحسن قولا حسنا والظاهر المخاطبين بذلك هم الذين اخذ منهم الميثاق لانقطاع القصة قبل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل آية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وقال المحدث ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالنهي عن المنكر وجب ان يكون بالخشونة كما قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال واغلظ عليهم وان كان بالدعوة الى الطاعة كالنصح فحسن القول فيه معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض بالعطف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن النبي صلعم قولوا للناس ما تحبون ان يقولوا لكم التكليف الثالث والرابع من قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتولهم وهذه التكاليف ايضا واجبة في شرعنا وعن ابي جعفر ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اعانة المضطر واجبة وان لم يجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما ان يكون مالا او ما لا وكل منهما اما ان يكون عاما او خاصا فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤثرا لامر الله تعالى لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار بعد المائلين بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فالصلوة اذا تمت بحضور اركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغيرها والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما نسب او لا والنسب اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالد والمقارن الاقارب والاحق البنو الانهم اولاد وذلك اذا كان الولد حيا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان فقيرا وغيره وغير المستعلم الاجنبي والفقير هو المساكين والاشارة في النوع لا يمكن الا بالقول الحسن وما يخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن بتمام اقسامه المتقدمة ايتاء يهدي الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر الله هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو البا وبضم اصناف اخر وهم الجار وغير الجنب فكانه تفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله ثم توليتم قيل الخطاب للقدماء من بني اسرائيل على طريقة الالتفات وجعلهم ان الكل معهم فكذا اخوه الابد ليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلعم من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كالزمام اليهم فانكم بها فكذلك هي حجة لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد صلعم وصحة نبوته فتلزمكم من الحجة مثل الذين لزمتهم وانتم مع ذلك تولتم الا قليلا وهم الذين امنوا وانتم معرضون اللواو للاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض اعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم تولتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلعم وقيل الخطاب المراد اخذ ميثاق الباءكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف في قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجاء الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما كثير من اهل الهند انهم يقدمون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد والتحرز عالم النور وكثير من يصعب عليه الزمان او المراد لا تفعلوا ذلك بعضكم بعضا فجعل غير الرجل بعضه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل غيره لانه يقتص منه او لانه شرع في قتل نفسه لمقاتلته من يقتله فكانوا قد قتلوا انفسهم لا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون به ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من دياره كان ذلك مما يعظم به النعم حتى يقرن من الطلاق واعراقا لتسفكون ولا تخرجون على فاسوا ما تقرر ان لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك او كان شاهدا بعضهم بعضا وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم تشهدون مع ذلك على انفسكم بالكفر بما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدا وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون بعينه انكم قوم اخرون غيرا ولئك القرن غيرهم الصفة منزلة تغير الذات كما تقول جرحت غير الوجه الذي دخلت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء قيل هؤلاء موصولة بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والظاهر البصريون والكاف الاخراج من الباء

وقيل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتج فيه الى اقتدار وغلبة بين تقاتهم فعلوه على وجه الاستفاتة من تظاهرهم على الظلم والعدوان فيه دليلا على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واساري جمع اسير كسكارى وسكارى وقيل اساري من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كمجالى ومجلان وقوله تفادوهم جهلوا المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص الاسير بمال او غيره والى الكفر بهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ بها ومحرم خبره واخراجهم تفسيره انتؤمنون ببعض الكتاب اى بالفداء وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه اذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا الحتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان يذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا فقد يكون المناقضة داخلا في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوته موسى مع التكذيب بمحمد والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض الكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي يخزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزي يخزى خزاية اى استحيى فهو خزيان فاذا قبل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقبل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة بدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لانقطاع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا شرع وبين لذات الاخرة ممتنع يستتبع وجود احديهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق واذ اخذنا ميثاقكم في عهد السبت بريكم لا تسفكون دماءكم بامتثال امر الشيطان واتباع خطواته كما قبل شعر حنفي صفي قدمي اري قدمي ان قتل حبيل وقيل هي ولا تخرجون انفسكم من ديارهم بارتكاب ما يوجب اخراجكم من ديارهم كالارتداد والحرابة وقطع الطريق والزنا بعد الاحصان ثم اقررتم بالميثاق وانتم تشهدون على انفسكم بذلك ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم تقتل بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان يأتوكم اساري تفادوهم فمن اسرى قيد الهوى فانقاده بالالة على الهدى ومن اسرى قيد حب الدنيا فخلاصه كثرة ذكر المولى ومن اسرى اهلاك السلوك والشبهات فخلاصه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسرى حبس جوده فنجاته فيما يجل عسر وثاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسرى قبضة الحق فليس لاسرهم فداء ولا لقتلاتهم فوت ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغير سبيل ولا لاديهم ذليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو سمعتم في ادلة الخطاب انتم ربكم فتعلمون بلى تكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما

تعقب كرديم او بموسى توريت را ودر پى او فرستاديم رسولان را وداديم عيسى پسر مريم بحجها را وقوة داديم او را بروح القدس آيا پس هر

جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله

كه بيارد پيغامبرى كه ميل نداشته باشيد سر بجنبانيد پس گروهى را دروغگو ايند وگروهى را بكشيد ومى گفتند دلهاى ما در پرده اند بلكه لعنت كرده است

بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على

بجهت كفرشان پس اندك ايمان مى آرند وچون آمد بجهانيان كتابى از نزد خدا وآنچنان كتابى كه گفت ما آنكه با ايشان است ودحال آنكه بودند پيش از آمدن آن طلب فتح ميكردند بر

الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما

آنان كه كافر شدند پس چون آمد ايشان را آنچه شناختند از آمدن او فرستنده او بر ايشان لعنت خدا بر كافران بد چيزى است بجهت معامله كه كردند بخودشان كه فرستند باكچه

انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤ بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين

فرستاده است از روى ظلم كه چرا فرستد خدا از فضل خود بر كسى كه بخواهد از بندگان خود پس بازگشتند بخشم بر بالاى خشم وبراى كافران عذاب خوار كننده

واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم

وچون گفته شود ايشان را كه بگرويد بآنچه فرستاده است خدا گفتند كه بگرويم بآنچه فرستاده شده است بر ما وكافر شوند بدانچه غير از آنست وآن حق تصديق كننده است مر آنچه با ايشان است بگو

تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفراءة العدم لسكون الذال حيث كان ابن كثير بشما وما بعده بغير همز ابو عمرو بهمزة مكسورة بعد الشين خدا را بخشم از آن آنكه مى فرستاد گروه شان

وورش وحمزة فى الوقف ينزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب فى الوقف فقد ط استكبرتم ج لتناهى الاستفهام مع تعقب الفاء العقب بعده كذبتم للعطف المستقبل على الماضى مع تقديم المفعولين فريقا تقتلون غلط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثانى ومنون لما معهم ط كان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابها متحد قوله وكانوا من قبل معترض كفروا ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء يقتضى تعجيل ذكر جوابهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه فى الاى المتقدمة صنع اليهود فى مخالفتهم امر ربهم ومناقضة حالهم اكد ذلك فى هذه بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران وبقبيح المقصود بالمادة فى تبكيتهم اما الكتاب فهو التوراة اتاه الله تعالى جملة واحدة عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اثنى عشر منهم ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اى اتبعنا على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم روى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال علماء امتنا كانبياء بنى اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وهو الذى يجب مخادنة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة مزاورته لهن به فسر قول ورقة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كاثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل صدق اى يحبر بتل سمى بذلك لانه سبب حيوة البدن كما ان الروح سبب حيوة البدن لانه الغالب عليه الروحانية ولانه تتم به اصالة الفعول ولا ارحام الامهات قبل الا بحبل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله ناقة الله عن الربيع كون الروح ههنا جبرئيل الظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذى بشر مريم بولادتها وقد تولدت من نفخة جبرئيل فى امه وهو الذى ناداه فى جميع الاحوال كان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى أفكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف هواهم كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق ويهون عوامهم انهم على الحق والنبى على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبارا ابليسيا على آدم ففريقا كذبتم على التمام وما بقى منهم مكذب وفريقا تقتلون اى ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم حاول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحروه وسمموا له الشاة قال عمدا فاته ما ذاك اكله خيبر تعادى فهذا اوان لو قطعت ابهرى العداء هاج وجع الذبح بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر قطع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله فاثيرت به نقعا فوسطن جمعا وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد غاية الفاصلة فى يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مخصص بالتكذيب لاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذى اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنوع به دون شانه الناس باجدا لامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاصناف بغاية الاستخفاف وغلف جمع غلف وهو كل ما غلف ومنه الاغلف للذى لم يختن اى قلوبنا مغشاة باغطية فلا تشاهد ما يرد عليها لمكان الحائل بينها وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى حدثوه بعد نصب الادلة وازاحة العلة وهذا لطف للمكلفين ان لا يتلفتوا الى العاصى بابلاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن يشمروا عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب اى بقليل مما كان فى ايديهم يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى شيئا قليلا من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى لا يؤمنون اصلا فقليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل البتة وذلك عند الايمان بمعرض لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا به ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على ان المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرايع لان جميع كتب الله كذلك المراد ما يختص بنبوة

محمدية من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ويجاز الان الكتاب
مستلزم للرسول لا يحالة ويدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القرآن يسئلون بالفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا بعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استجاب واستنجح ويسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به لما انهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل اكثر تجني الرسل منهم فرغبوا
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولدوا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظ
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما حقتهم بكفرهم واللام للعهد والجنس يدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعذر قولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن ايضا ولذلك سمي الناس شبه منهم بالناس اذ شبه منهم فرغبون
عن بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود هي فيفسر بنكرة منصوبة ترد
بعدها المخصوص بالذم فالنكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق توبيخهم
بابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان الملك انما كان يحاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاذا باعها نظن بها انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى بنفسه تلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما انزل الله انه يخلصهم من العقاب توصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي فلما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد على هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسده على ان ينزل فباؤا
بغضب على غضب بدل من اثبات سبب غضبين احدهما تكذيب عيسى ما انزل عليه الثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصادف
ذلك سببا سخط بعد سخط وهو قول الحسن الشعبي عكرمة ابي العالية قتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكفرانهم نعمة محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مرادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب تكثيرا له لاجل
ان هذا الكفران كان واحدا لانه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقهم قد عرفت مرارا انه عبارة عن ارادة الانتقام
والمقابلة بالزيادة وتكثره فيصح فيه ذلك لصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة ولكافرين عذاب مهين من وضع الظ
مقام المضمر اي لهم عذاب فائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من وصفه لانها سبب منه ولا يلزم من اقتران العذاب بالاهانة تكراره فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالواقع بالدواب ولذا مؤلم بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فيستدل به على عموما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتوراة وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن و
هو الحق الضمير يعود الى وراءه او الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها الا
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقيقة القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف فهو بدل او يثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وحينئذ اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله يكفرون على ان كلا منهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انها حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم رد لما زعموا من وجوب الايمان
بمحمد لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان كان ذلك ايجابا لاعمالها وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتى بالقصص اخبارا مطابقة لما في التوراة
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى انه مصدق التوراة وجب اشتمال التوراة على الاخبار

البقرة

عن نبوته فدعى الايمان بالتوراة يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذبهم فقال قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم فان التوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانهم سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم الالد جائز وان الكلام وان كان على وجه الخطاب لكن المراد اسلافهم بدليل من قبل ويقتلون حكاية حال ماضية واصل لم لما ادخل الام التعليل في ما الاستفهامية الالف للتخفيف وباقي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وتدرج في صحة دعوتهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدم وفيه تنبيه على ان الهوى المعاصر من خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتوراة كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم الثاني هذا حال اكثر الطالبين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قبلوه وما استغربته بذلوه وانكروه فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالجحد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلي في اثناء الطلب بالدهشة والفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فهو حي وعسى ان يعود باذن الله ويمده الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجع فلما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند وقوع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا احدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من ولاية الاولياء على غضب من الله لاولياء الله كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانما اغضب لاوليائي كما اغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

وچون گرفتيم پيمان شما را و بلند كرديم ور بالاى شما كوه را كه بگيريد آنچه را كه داديم شما را بتوانائى و بشنويد گفتند شنيديم و نافرمانى كرديم و بياشاميده شدند در دلهاى

الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ

كوساله را بسبب كفرشان بگو كه بد چيزى ميفرمايد شما را بدان ايمانتان اگر بوده باشيد گرويدگان بگو اگر بود سراى آخرت نزد خداى شما خانه خاصه از براى شما از غير

النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

مردمان پس آرزو كنيد مرگ را اگر بوده باشيد راستگويان و هرآينه نخواهند آرزو كرد مرگ را هرگز بسبب آنچه پيش فرستاده‌اند دستهاى ايشان و خداى داناست بستمكاران و هرآينه خواهى يافت ايشان را حريصتر

عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

بر زندگانى و از آنان كه انباز آورده‌اند دوست دارد هر يكى از ايشان كه زندگانى كند هزار سال و نيست او را باز داشتن او از عذاب كه زندگانى كند و خداى بيناست بآنچه ميكنند

القراءة ولقد جاء كره بضم الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاء كره وبابه الا ما لحمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما قبل الميم حرف ساكن وقبلها كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ط الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ط صادقين ايديهم ط بالظالمين على حياة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا انتقد يره احرص الناس على حياة ولحرص من الذين اشركوا ويود مستأنف للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك لياقوت افضل الحجارة وافضل من من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا ان يعمر ط بما يعملون التفسير استئناف تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله ﷺ وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر ثبت على الدعاء الى ربه التمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتأكيد لما يتطرق به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية تجاهرهم ذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة ففالوا اسمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية تدل على انهم قالوا هذا القول اعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالت اتينا طائعين واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا وفي هذا الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة لحيوة ما يخرجه الارض فكذا تلك الحبة كانت مادة للقبايح الصادرة عنهم وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعل غيرهم فعل ذلك بهم كالساحر والملبس شياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله وكل ذلك بجميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما امركم به المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا امركم به ايمانكم بالتوراة عبادة العجل فليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم لهكم كما قال قوم شعيب صلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان كانت لكم الدار الآخرة الدار اسم كان في احد اوجه ثلثة الوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة والاستقرار الذي تم لكم ويجوز ان يكون عندها لا من الدار والعامل فيها كان والاستقرار وما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند

ظرف خالصة حال والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد قوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الاخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عند بقية المكان يمكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول الجزء منه منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز ذلك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله تلك امانيهم وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء ليشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبوة المنتظرة في التوراة منهم لا من العرب كانوا يصيرون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالاية وبان الملازمة بين متاع الدنيا قليل في جنب نعم الاخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعقاب ومحمدة ومنازعة معهم بالجدال والقتال فالموت اخرهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص لا بثوت الا القليل النكد الوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى انها كالبة لا بد منها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد المنهي عن تمني الموت في قوله لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي خبر محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعرا الموت بياع فاشتر به فهذا العيش ما لا خير فيه الا رجل مهين روح عبد يتصدق بالوفاة على اخيه فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ودليل على الحرج وضيق العطن وتياني قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن حالين الادب نوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا رضي الله عنه رأى يهوديا بين صفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب تحت الدرع اتيقظ فقال لابنه الحسن ما هذا ترى الخارجين فقال اراهم يبكون على الموت سقط عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم يعني على التمني وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه كان كل احد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحب اليه لحرمهم بلقاء الله بل نوقن بذلك لكان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله اما عند طمع دنيوي او عن الضجر لو تمنى الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وليس لهم ان يقلبوا السؤال على محمد فيقولوا انك تدعي ان الدار الاخرة خالصة لك لا لمن دونك من بني اسحاق في الامر فرضوا بان نقتلك ونقتل اصحابك فانا نزال وايانك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يهتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله ان يقول لا بل هذا الاخير خالص بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الابق يكره المولى مولاه ولهذا جاهدوا بانفسهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عن عبادة قلوبهم بنور الصمدانية قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة رضي الله عنها انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم نزه نبيه عن انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار كالكفر بمحمد وبالقرآن وكتحريف كتاب الله سائر قبائح افعالهم ذكر الايدي مجازا لان اكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد قوله ولن يتمنوه ابدا من المخبرات لانه اخبار بالغيب كان كما اخبر به بقوله ولكن لتفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه حقا ما هو قول الانسان بلسانه تمنيت او ليت كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر القلوب فلو جاز انهم تمنوا النقل ذلك كما ينقل سائر الخوارق لفعلوا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي الظاهر اكثر من الذين اتيحت لهم لو كان التمني بالقلوب تمنوا لها لوا قد تمنيا الموت لماتوا ولم يبق لهم فالوا ذلك ولقالوا انه تمنى لانه تمنى لهم لم يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو ان لا يكون الاخرة لهم خالصة واما انها ليست لهم لاشتراك ايضا فينتفي من الاية الثانية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر هو هم اشارة اخرى الى سوء منقلبهم سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد اما للجنس فيشملهم ولا غيرهم من الطلبة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى هناك كون الدار الاخرة خالصة لهم وهنا كونهم اولياء الله من دون الناس فالمطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب نفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي دون الاول وان الدعوى

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الاخرة وليا بمعنى انه يلزم التبري والكمال والاكمال ونفي العام بعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص في قولك فلان بن فلان موجود بعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى بعد احتج الى اداة هي في باب النفي ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لا منها قسما ثالثا وهو ان لا يقتنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون واللام لتقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة نكر لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ لان المشركين لا يؤمنون بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار ولا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون للملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس وهو قول الاعاجم وفي رسالة يحسن ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله ومامنا الا له مقام معلوم اي ما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكرها اشتمل عليه قبله فكانه مذكور وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من حيث اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الاية تقديم وتاخير والتقدير ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر والو في معنى التمني ولو يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر بناء على العرف لانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني ادم او بيده والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل يزحزح اي وما احد من يزحزح من العذاب بتعميره ويجوز ان يكون الضمير المدلول عليه بيعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب ان يعمر ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضح والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه هدد بذلك اهل النفي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصير قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد به انه على ما هو حد المبصرات لا بصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه ما لم يزل له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى يعين حمل البصير فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

بگوای محمد که هر که دشمن جبرئیل پس بدرستیکه فرستاده او را بر دل تو بفرمان خدا تصدیق کننده مر انهارا که پیش از او هست و رستگی و مژدگانی است مر گروندگان را هر که دشمن

لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا

مر خدا و فرشتگان و پیغمبران و جبرئیل و میکائیل را پس بدرستیکه خدا دشمن است کافران را و بحقیقت که فرستادیم بسوی تو نشانهای واضح و کافر نمیشود بآن

إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ

بجز فاسقان و دیگر اکه هر چه بستند عهدی را و عقب کنند شتند آنعهد را بلکه بیشتر ایشان نگروند و چون که آمد بایشان پیغمبری از نزد خدا تصدیق کننده

لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم

مر انرا که با ایشان است دور عقب خود انداختند گروهی از کسانیکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گویا ایشان نمیدانند مکسورة قراء غير مهموزا ابن كثير

وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموزة وميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا الوقف للمؤمنين للكافرين بيان تام لان هذه الواو للابتداء والحال والحال وجوه لا تحاد الفصد الفاسقون فريق منهم لان بل للاعراض عن الاول لا بؤمنون او نبذوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون قد يجوز الايتداء والوصل للعطف على نبذ لانهم سوء اختيارهم في النبذ والاتباع انفسهم هذا نوع اخر من قبايح افعال اليهود والسبب في نزول الاية ما قدم المدينة اتاه عبد الله بن صوريا مع اخبار فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في اخر الزمان فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون ومن المرأة فقال اما العظام والعصب والعصب فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه عامة ردون اخواله ويشبه دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه في التورية فان النبي الامي يخبر عنه فقال انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل فان ذاك عدو انا نزل بالغلظة والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك امنا بك فقال عمر ما سمعت هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر وصفر لنا فطلبناه فلما وجدنا بعثنا لقتله رجلا فدفع عنه جبرئيل وقال ان سلطكم الله على قتله فهل لربه هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو جبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدو جبرئيل فهو عدو ميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك

على عمر فانزل الله تعالى هذه الآيات قبل كان لعمر ارض بالمدينة فعلا لها كان عمر على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد اجتنبناك وانا نطمع فيك فقال والله لا احبكم لحبكم ولا اسئلكم لاني شاك في ديني فما ادخل عليكم لاوذاد بصيرتي في امر محمد وارى اثاره في كتابكم ثم سئلوه فقال من صاحب صاحبكم فقال عمر جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر ان كان كما تقولون فانهما بعد ولا ينتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال لقد وافقك ربك يا عمر قال الحمد لله الذي لم يخرج من دين الله بعد ذلك صلب من الحجر ومن قال ان عمر عدو الله فهو ان جبرئيل عدونا امر بان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا والاقرب في سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد كما يشعر بذلك قوله فانه نزله اي ان غاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا لدينهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته لكتبهم ان غاداك فلان فقد اذنبه واساء اليه وان غادى جبرئيل احدا من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنعه في النزول بما ينفعهم وسمح لمنزل عليهم بمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى اخره اي ان غاداه احدا فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن من تلقاء نفسه واجتباره وانما جاء باذن الله وامره الذي لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مامور وجب ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوته من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكائيل بذلك لكان فسادا لامره ايضا لا محالة ولوجه الاشكال عليه فما الوجه في تخصيص جبرئيل بالعداوة وجبرئيل ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة لشرطها وعن ابن عباس في معناه عبد الله والصحيح في نزله للقرآن وان لم يجر لهذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشان صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه اكثر الا ترى ان القرآن انما نزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان به تتمكنه من الاداء شبانه في قلبه فيعيه على قلبك حفظه بالله وفهمكه وقيل اي جعل قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتادبا باداب كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبي الا انه جاء على حكاية كلام الله كانه تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدو الجبرئيل فانه نزله على قلبك بمعنى فصد قانيا بين يديه موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادي والغايات دون الاوساط التي يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وهدى وبشرى ان القرآن يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الاتي بتلك الاعمال كيف يكون نواله فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثاني في الوجود فقدم في الذكر ثم ذكر ان رب البشرى يختص بالمؤمنين اما الهدى فهم المنتفعون به كما مر في هدى للمتقين ولما بين في الاية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرئيل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى بين في الاية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامة فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا بين الضدين هو الذي يزال بالمضاربة وهذا النصوص ليحصل في حقه من العاقل المقابلة لان العاقل المتغابي فعني قوله من كان عدوا لله اي ولي الله كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي الذين يؤذون الله ورسوله او يراد بذلك كراهتهم الفيا بطاعته وبعد هم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته ينتج عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل بالقهر هو كونه في النار وكما ان محبة المؤمن لله تنتج محبة الله اياهم بحيث هو ذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة للثانية وافراد الملكان بالذكر لا لذ على فضلهما كانهما من جنس اخر فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير الذات وكان الاية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبرئيل في الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبرئيل ينزل بالوحي والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو في جبرئيل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احدهما هو كفر موجب عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على اصلها ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر لان عداوتهم كفر الايات البينات هي اي القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الاية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيلها الدليل الدال عليه كثيرة مقدمات فيكون الوصول اليه صعبا الى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذه هو الاية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بحقيتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن تاملها والبحث عن تفاصيلها فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حده الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه ما خوذ من فجور السد الذي يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان نجا وزعن اسر الله تعالى كمن فتح ضن النهر فبقيا صغيرا لا يقال انه فجر النهر في قوله الا الفاسقون وجهان احدهما ان كلا كافر فاسق ولا ينعكس وكان ذكر الفاسق والى الباقي على الكافر وغيره الثاني ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المجاوز عن كل حد في كفره وهذه الايات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذي بلغ في الكفر انتهاء

البقرة

القصوى وهذا نوع آخر من فضايح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل بعثته فلما بعثه من العرب كفروا به وجحدوا بما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكركم فنزلت واللام في لقد للقسم وتشترى بمعنى تستبدل والضمير في به للكتاب او للحق او للاشارة الى العلم المدلول عليه بالكتاب وكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا اليهود موسى بالعمل بالتوراة ونقض العهود كما اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله ﷺ فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وفيه تسلية لرسول الله ﷺ لان من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته كصعوبة من لم يجر عادته بذلك والنبذ الرمي بالذمام ورفضه لما قيل فريق منهم من للتبعيض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يبعدون نقض ما اثبتوه نبأ ولما جاءهم رسول اى كتاب لتلازمهما بدليل وهو القرآن نبذ بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انكتاب الله يعني علمهم بذلك حاصل من قبل التوراة ولكن الكابرة هجراهم وبذه ورأظهروهم مثل الاعراض عنه وتركهم العمل به قيل كتاب الله التوراة لانهم لكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحريرة وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه الهاهم ارزقنا العلم بكتاب الله العلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان

واتباع كردند آنچه بخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان

ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد

ولكن ديوان كافر شدند ميآموختند مردمان سحر را وآنچه فرو فرستاده بود بر آن دو ملك در بابل كه هاروت وماروت وبهيچ كس نياموختندي

حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله

تا كه ميگفتند كه ما بدستيكه ما آزمايشيم پس كافر مشو پس ميآموختند از ايشان چيزيرا كه جدائي اندازند بدان ميان مرد وزن وايشان نه زيانكنندگان بدان هيچ كس مگر بفرمان خداي

ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا

وميآموختند آنچه زيان كند ايشان را ونفع نبخشد ايشان ومحققند كه هر كه خريد آنرا نيست مر او را در آخرت ببهره وهر آينه بد است بچيزي كه بفروختند بدان نفسهاي ايشان اگر

يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون القراءة ولكن خففا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلى

بدانند واگر چنانچه ايشان گرويدندي وپرهيزگار شدندي هر آينه بهره از نزد خدا بهتر است اگر بدانند

بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف قيد بنزوله على الملكين ببابل الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا اى نزاهة سليمان وردما افتروا عليه السحر قدم على جعل ما نافية لانتقاضه لما اقتضته في سياق الاثبة من اثبات السحر بل ما اخبرته معطوفة على قوله السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل في الآية عشرها آن احديها كافرة نما فرقة منصوبة في تبعا والباقية خبرية ثم خبرية على التعاقب ماروت ط فلا تكفر وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط جوز الوقف لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون ط خبر ط يعلمون التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود الذين كانوا في زمن محمد ﷺ وقيل انهم الذين نقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان ثم من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه زنا وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ يتناول الكل فان الكل لما جاءهم محمد ﷺ عارضوا التوراة بالسحر فخاصموه بها فانقلت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلوا تقرأ وعلى ملك سليمان اى على عهده وفي زمانه وقيل تلا على كذب الشياطين على سليمان اما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على سليمان واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن والانس كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا الكاذب تلفقونه ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها بقراطيسها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سريره ملكه حوفا على انه هلك الظاهر منها بقي في ذلك فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب قالوا ان الناس انما تمكنوا من عمل سليمان وانما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرايعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس كل ارتفع الوثوق عن جميع الشرايع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه فاختلف في سبب كفرهم السحر الى سليمان فقيل لتزوج ذلك منهم فانهم قبل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب ظنهم انه استفاد ذلك من الجن وتولد وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين ان الذي يراه منه صوت بغير فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لاجل السحر فقال يعلمون الناس السحر وما انزل اى ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما مشتقان من الصرف للعلمية

العجم

والعجم ولو كانا من الحرث والمرث وهو الكسل كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بكلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصته هاروت وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه اسم الساحر العالم وسحره هذا عن السحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر مخفي سببه يتخيل من غير حقيقة ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد فانه ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح وبحمد هو السحر الحلال قال تعالى ان من البيان لسحرا اي ان بعض البيان سحر لان صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقلد على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليسخط تارة فيقول اسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها نضد الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الحوادث بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورد عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر هناك الا الان تخيل السقوط متى قوي وجبر وقد اجمعت الاطباء على نفع المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر المصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وهناك الا الان النفوس خلقت مطبعة للاوهام وحكي في الشفاء عن بسطوان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديك في الصوت وفي الجراب مع الديك نبت على ساقها مثل الشيء الذي نبت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وتقرض من مرتبه وتقرض اضطرابه وذلك بدل على ان العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كالهادي من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية بحيث لا يكون لها التفرد البتة الا في هذا البدن فاذا اراد ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر تخدمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فتقوى التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب هيئتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان الحس البصر اذا اشتغل بالامور المناسبة للغرض تخيل السمع ايضا يشتغل لها فان الحواس متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه قويا وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهش وتحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في التعاويذ فانها اثبتت ان هذا المقدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا لا سيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالغرائم وتسخير الجن ومنه التخييلات الاخذة بالعيون ويسمى الشعوذة وذلك ان غلاظ البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والغيث ترى في العظيم من البعد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيخلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحا اذا خرجت من مركزها الى محيطها خطوطا كثيرة بالوان مختلفة ثم ادبرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند تحوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المرآة بما قصد ان يرى سطح المرآة هل هو مستو او لا فلا يرى شيئا مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء وبالتحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا لطيفا فيبقى ذلك العمل خفيا للتعاون التشبيهي اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة التي يظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية والضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فينقل احدهما الاخر ومنه الصولجي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر فان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاغذية ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن يفادون له اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب فحينئذ يضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس لن يتعلق قلبه ثم اعطى في تنفيذ الاعمال اخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضرر من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس هذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمنع وقوع هذه

البقرة

الخوارق باجراء العادة عند السحر واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتناب اقرب الى السلامة كعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر لا فلا نزاع بين الامة في ان من اعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقتدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد ان ساحرا قد يبلغ في التصفية وقراءة الاوفاق والرقى والتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب فعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصولة الباطل كما ان العرج واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد اذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل فقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر وصفوه بصفة تعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان قال انا كنت ساحرا في وقت كذا وقد تركت ذلك منذ سنين قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد يروى عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكان عليهم جميعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يرجون باعمالهم الحميدة فعجبت الملائكة منهم ومن يتقبل الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر وزاد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهم الى الارض فاختارهم فاختارا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس لنزولهما وهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب الذي يسمى بالزهرة والملك الموكل به بهبوطه الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امراة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها وتنسب الملك نفسه فجعل ينزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر ففعلا الا ان يشربا الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست ممكنكما من نفسي حتى تفعلاها فابيا وهما قالا لتجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما ففعلا ثم لتستغفرن فيجد الصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهرهذا السائل للناس ما رأى منا فسد امرنا فان اردتما الوصول الى ما فقد لهذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعها من السماء فعند ذلك اصابهما ما اصابهما بسبب تغير بني آدم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانها واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلما هما الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان الى السماء فتكلمت المراة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما بابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه لاظهارهما احد الامرين هذا لوضع لعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله كوكبا مضيئا ولانه تعالى في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتلي به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا ربنا لعصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحر كثر في ذلك الزمان واستنبط بوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد ايضا تعرف حقيقة السحر لتميز بينه وبين المعجزة حتى لا يقع السحر لا يقاع التفريق بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل للجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك او ارشاده ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم يمنع من استعماله كان ذلك في نهاية الشفقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وبمثل هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانها اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر هذا العزيز ولا بد من رسول في كونهما ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس لا يكون الا منهم لقوله تعالى وما يعلمان اي ما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا له انه حق وتتوصل الى شيء من المعاصي الا لغرض عاجل ينتفعان الضمير لما دل عليه لفظ احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امراته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاخيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرقة والشقاء ابتلاء منه لان السحر لا اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله باراده وقدرته لانه اذا شاء احدث عند ذلك شيئا من فعاله وان شاء

الجزء الاول

لم يحدث وكان الذى يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن يكون المرء وزوجه الذى وصلا اكان اشد خصوصا بالذكر ليدل بذلك على ان سائر الصور بتأثير السحر فيها اولى وقرأ عمر وما هم بضارين به من احد بحذف الجار رجوعا من المجرور وهو احد اضافى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعلمونه فى وجوه المفاسد وقد علم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا فى لمن اشتراه استبدلوا ما تلوا الشياطين واختياره على كتاب الله ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ من نصيب كما تقدم لهذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص فهل معنى الاية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع الاخرة منافع الدنيا وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ اى باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اى لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا به ويجوز ان يكون لو للتمنى مجازا كما تقدم من الترجى لعلكم تتقون وحمل لا يحتاج الى الجواب بقى ههنا سؤالان احدهما كيف اثبت لهم العلم اولا فى قوله وَلَقَدْ عَلِمُوا على سبيل التوكيد بالقسم حتما لا تم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يَعْلَمُونَ فان لو لامتناع الثانى والثانى كذا لو كان للتمنى فان التمنى لا يستدعى امرا هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ورموا الناس الى وَنَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ هم الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا اخر علموا انه لا خلاق لهم فى الاخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الاخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد والمعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمى حيث لم ينتفعوا بالحواس لما اوعدهم بقوله ولقد علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الرهب والرغب ليكون داعيا الى الطاعة وصادا عن المعصية فقال لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بعين ما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن او التوراة التى يصدقها القرآن وكلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المأمورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لشئ من ثواب خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا اى لو ثبت انهم امنوا وجواب لو محذوف وانما يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اى لاثيبوا وانما تركت المفعلة الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة فى الشرط غير واجب فى القسم المقدر وان كان هو الاكثر على دخول اللام الموطئة فى لو مستقبلا فليس بان يكون لا كثير بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمنى مجازا عن ارادة ايمانهم كما تقدم ولما منهم امنوا ثم ابتدئ لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ان ثواب الله خير مما هم فيه لو امنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمنى كما تقرر والله تعالى اعلم التأويل وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ التفوس على ملك سليمان الروح الذى هو خليفة الله فى ارضه وما كفر سليمان الروح وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ النفس والهوى كَفَرُوا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما انزل على الملكين وحدانا من العلوم الصادرة عنا فانها كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكى الروح والقلب بابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب لتهما من العالم العلوى الروحانى اهبطا الى الارض العالم الجسمانى للخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فانتشأ بزهرة زهرة الحيوة الدنيا واتباعا خداعها فوقعا فى شبكة الشهوة التى تركت فيها ابدا وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التى حجبا بها عن العقل وذهبا بنور الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى معذبا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات محرما استماع خطاب الحق كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملكة الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يلهمانها اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَزَوْجِهِ وَبَيْنَهُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

اى اى آنچنان كسانى كه گرويده ايد مگوييد و هنگام كه مى شنويد مگوييد كه سخن ما را نگاه كن بشنويد ما را و بكوشيد كه بشنويد ما را و نشنيد براى ما فرياد عذاب دردناك دوست ميدارند ناسپاسان از صاحبان

أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

واهل كتاب و نه مشركان كه فرو آيد بشما هيچ نيكى از جانب پروردگارتان و خدا اختصاص كرداند بمهربانى خود آنرا كه خواهد و خدا صاحب فضل بزرگست

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

برطرف نكنيم هيچ آيتى را يا فراموش گردانيم آنرا بياوريم بهتر از آن يا مانند آن آيا نميدانى كه خدا بر هر چيز تواناست آيا ميدانى كه خدا راست پادشاهى آسمانها

وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ

و زمين و نباشد براى شما غير از خدا از دوستى و نه يارى آيا بخواهيد كه خواهش كنيد از پيغمبر خود چنانكه خواهش كردند قوم موسى از او در زمان پيش

وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها مهموزا

و هر كه بدل كند كفر را از عوض ايمان پس تحقيق كه گمراه شد از وسط راه ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة وخلف ننسها من الانساء اى نؤخره

بخير منها ابو عمرو وغيره ابراهيم بن حماد وبزيد الاعشى وورش وحمزة فى الوقف لنأتون وابراهيم بن حماد بالهمز لا بد من جواب الشرط ومن شرطه ان

يجزم كل ما كان دنفا اى عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا وما تؤكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار مجازا غير رشد وعاصم غير العاشي وكذلك يظهر ون الدال عند الذال بالاظهار حيث وقعا نحو قد ذكرنا ونحو ذلك ولقد ذرانا واشباه ذلك لوقوف واسمعوا انهم من بكم طمن بشاء ط العظيم ومشاط قدير والارض ط ولا نصير ربع الجزء ومن قبل السبيل التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله ﷺ وجادلهم واجتهادهم في العناد وفيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب في التوراة بيا ايها المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب اخرا وبشر المؤمنين بانّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا فلا سيما فان المؤمن اسم من اسمائه العظام ففيه دليل على انه تعالى يعزهم منه في دار السلام وقيل منوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل منتم نظرا الى الضمير جاز من حيث العربية ثم انه لا بعد في الكلمتين المراد فيهما ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا بعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله ﷺ و اليهود كان لهم كلمة عبرانية يتشاتمون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا اسمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع راعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا انزعوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون المسبة ففي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله قُولُوا انظُرْنَا وقيل ان كانت صحيحة المعنى لان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلاجرم نهى الله عنها وقبل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقبل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعك اسمعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل انما خاطب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم اراد وا بها المصدر كقولهم عاذ لبك اي عوذ عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة يحتمل انهم اراد وا صيرنا اعناء اي ذوي رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة فهي الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا توجب راعنا اي الرعن كذا رعى ولابن عمر ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امر الله تعالى ان يسئلوه الامهال ليتفلوا عنه فلا يحتاجوا الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شئ من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل فانه تعالى انهم عن التشبه والثاني في الاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل نظرنا معناه انظرنا اليها مثل وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ اي من قومه الغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظه واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب الاعادة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا الى ما هتم عنه من قول راعنا ولليهود الذين هادوا وقيل يا ايها الذين هادوا وهم سبعة عذاب اليم قوله ما يَوَدُّ الا يجر من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحتهم نوعان اهل الكتاب المشركون كقوله لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين والثانية مزيدة لاستغراق النحرفان ينزل في سياق النفي فعنى ما يودان ينزل يودان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخبر الوحي وكذلك الرحمة اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ والمعنى انهم حرصان انفسهم حرصان يوحى اليهم فيحسدكم وما يحبون ان ينزل عليكم شئ من الوحي ولا اثره الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الفضل والفضيلة خلاف النقص والمفضية والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان والمعارضة من غاية الخذلان كما انّ فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ نوع ثان من تقريره طاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد ﷺ يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت في الاية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشئ في صفة وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث النقل الذكر من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا لانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالموت والغفلة لان ذلك الرفع ليس بخطاب الدليل الشرعي وهو رفع عن ذوي الخطاء والنسيان ونحوه بل بمقتضى العقل ايضا بخلاف الرفع بخروج وقت الصلوة اتم قرائن فلم لا يجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى اخر الشهر فان الى اذا وجب بمخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متاخرا ويمكن ان يقال ان قيدا متاخرا انما ينبغي بذكره لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ونحو صم الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لما اراده الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شئ بعد وجوبه انتفى الوجوب لثابت ولا وهو المعنى بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانسلخ القيام عن بكر جلد وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع لا لجواز التمسك بالجواز ضرورة فان لله تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعترف المصلح بالقطع ان المصلحة قد تختلف باختلاف الاوقات وهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التوراة انه امر ادم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد ﷺ وصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود والنصارى مضر صريح يعلم منه ادعاء شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع ديننا انتهاء غاية لا نسخا محضا لليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى لتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم لها ما دامت السموات والارض فايقان كان الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء والا فبحث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والبحث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع من ان قول موسى مؤبد كما انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا ﷺ ونحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فذلك على انه اقوال افراد المتاخرون منهم عن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كنقيض شرب دواء او حال ضرره في احر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد فقد يزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا بعد شيء بحسب وقت لا لمصلحة يعود اليه ثم بل انما هو اصلح بالنسبة الى المتزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرت الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في استقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما بين امده ونصله على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود وقته الذي قدر له فلا ظهور متقدما احدهما ومتاخرا لاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود وسبب الحوادث المتغايرة بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والمعية وجد وجودها المترتبة اشبه شئ بكتاب يقرأ القاري سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذ الفضي مجموع من ذلك تلاوة مجموع اخر حسب ترتيب الحكيم العليم بمبادئه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والباقي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لا تقضاء شئ وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب في هذا السر قوله عز من قائل ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾ ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره البدء بجا بالبداء وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الاية اعني ما ننسخ من ءاية او ننسها وأجاب ابو مسلم بان المراد بالاية المنسوخة الشرائع التي في الكتب القديمة من التوراة والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا نؤمن الا لمن تبع ديننا فابطل الله ذلك عليهم بهذه الاية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنا الى سائر الكتب وايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الاية لا يدل على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان يأتي بما هو خير منه وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا وقد حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب بانه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يميز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي انه لم يتصدق عليّ وبلال فاذن لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر الثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وشاء

البقرة

الجهات في ذلك سواء وساد سها وإذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع الثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فوضع ونسخ فهذه الدلائل واما مثالها بدل على وقوع النسخ في الجملة عند ابي مسلم الأصفهاني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب الضمير يعود وايضا نسخ بالنسبة الى المكلف لا بينا في حقيقته في نفسه وكونه قرآنا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة او التلاوة فقط كما روي عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب والحكم والتلاوة معا كما روي عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فلم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن وروي ان سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او اكثر ثم وقع النقصان والرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم والتلاوة دون التلاوة وحدها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا واما ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به فاذا زال الحكم التعبدي وطال العهد نسي وان ذكر على طريق ما يذكر خبر الواحد فنصب هذا الوجه منبئا عن الصدور ويكون ذلك معجزة لنبيه كما روي انهم كانوا يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية لا يستلزم نسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسوها انا خبرها وادفعها الا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما بان نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او بدلهما ونسخها نتركها كما كانت ولا نبدلها ان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما نوفها بعد انزالها او ننسها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا نترك بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين اية القرآن وعند ابي مسلم التوراة والانجيل كما مر وقد يؤتى بمن لكل جمع من الموجود في كل زمان من الازمنة اية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على نسخ من حكما على المكلف ان الثاني اخف واصلح بالنسبة الى وقتها كان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول نفسا وله فكل منهما قد يقتضيه الحكمة دون ما هو افل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيتغير الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك من حال الى حال اعلى منه وان غضمن استكمالهم ابدانا فاخرى ونجم وصالهم دائما لا اهر فلا ينسخ من آثار عباداتهم شيئا الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيئا من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من انوار الربوبية وايضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المحتجبة بحجب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام آخر لا يشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك الغر انه حجب عن ذلك المقام والحال وقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان باية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى بنسخ وجوب الامساك بعد الظهر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون النسخ بغير بدل وجودي جبرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ لا يجوز بما ثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه لاشاقة ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرا على قد نصب وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالجلد ما النسخ الى الاخف فالنسخ العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الا التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك بدل على ان المأتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب اتيك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت بدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا المأتي به خير فالسنة لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف بحسب مشيته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه بيان ذلك الخير يجب ان يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك لان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت يمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث ما نعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو علم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات اظهر واثار قد تر

فليتحقق من اهل الاثر

ووضوح اثبات ملکه وسلطانه وقیل شارة الی ما شاهد لیلة المعجزات بعین الیقین ثم علمها حق الیقین فترقی من رؤیة الاثبات الی کشف الصفات
ومن کشف الصفات الی عیان الذات ثم نسخت عن الخیال واثبتت فی العیان والولی ضد العدو وکل من والی امرا واحدهم وولیه فعیل بمعنی فاعل
وکذا النصیر والواو فی مالکم یحتمل ان یکون للاعتراض فلا محل للجملة ویحتمل ان یکون للعطف علی له ملک السموات مندخل تحت الاستفهام
ویکون قوله من ولی الله من وضع الظاهر موضع الضمیر ولا یوقف علی والارض ام تریدون قیل الخطاب للمسلمین لقوله ومن یتبدل الکفر
بالایمان وهذا لا یصح الا فی حق المؤمنین ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدیر قولوا انظرنا واسمعوا ام هل تفعلون هذا کما
امرتم ام تریدون ان تسئلوا رسولکم ولا نسئل قوم من المسلمین ان یجعل لهم ذات انواط کما کان للمشرکین ذات انواط وهی شجرة کانوا
یعبدونها ویعلقون علیها الماکول والمشروب کما سئلوا موسی ان یجعل لهم الها کما لهم الهة وهذا قول الاصم والجبائی وابی مسلم وقیل انه خطاب
لاهل مکة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امیة المخزومی لنبی رسول الله صلعم فی هبط من قریش فقالا یا محمد ما اوسع بلدنا
فتحل لنا من الارض ینبوعا او تکون لک جنة من نخیل وعنب وتکون لک بیت من زخرف او ترقی فی السماء ولن نؤمن لرقیک حتی
تنزل علینا کتابا من الله الی عبد الله بن امیة ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال له بقیة الوهط فان لم تستطع ذلک فاتنا بکتاب من
عند الله جملة واحدة فیه الحلال والحرام والحدود والفرائض کما جاء موسی الی قومه بالالواح من عند الله کما سال السبعون وعن مجاهد
ان قریشا سالت محمدا ان یجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لکم کالمائدة لبنی اسرائیل فابوا ورجعوا وقیل المراد بالهکم ههنا السؤال
من اول قوله یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی حکایة عنهم ومحاجة معهم ولان الایة مدنیة ولانه جری ذکر الیهود وما جری ذکرهم ولان المؤمن
بالرسول لا یکاد یسئل ما یتبدل کفرا بایمان ولیس فی ظاهر الایة انهم اتوا بالسؤال فضلا عن کیفیة السؤال بل الموجع فیها الروایات المذکورة
وههنا بحث وهو ان السؤال المذکور ان کان طلب المعجزات فمن ابن انه کفر ومعلوم ان طلب الدلیل علی الشیء لا یکون کفرا وان کان ذلک
طلبا لوجه الحکمة التفصیلیة فی نسخ الاحکام فهذا ایضا لا یکون کفرا فان الملائکة طلبوا الحکمة التفصیلیة فی خلق البشر ولم یکن ذلک کفرا
فالتکفیر اما لانهم طلبوا منه ان یجعل لهم الها کما لهم الهة واما لانهم طلبوا المعجزات علی وجه التعنت واللجاج قلت والاصح فی الایة ان یکون
ام تریدون معطوفا علی الم تعلم علی انه خطاب لکل مکلف فیکون فی معنی الجمع ثم ام اما ان تکون منفصلة علی معنی ای الامرین کائن فان العلم
واقع بکون احدهما لا انه اما ان لا یعلم بفوز علمه وقد تروان الکلام تحت تقریر وتسخیره واما ان یعلم فیسئل وجه الحکمة فی النسخ وغیره علی سبیل العناد
وکلا الامرین یوجب التکفیر اما الاول فظاهر واما الثانی فلان المعترف بحکمته الباهرة وعنایته الشاملة وقدرته الظاهرة من حقه
ان یقنع علی علمه الاجمالی ولا یتخطی مقام الادب فی البحث والتفتیش عن تفاصیل حکمته التی تکاد تنحصر یوهم ان السائل فی شک مما امر به وهی عنده
علی هذا لا یوقف علی بصیرا ما منقطعة علی الاضراب عن الاستفهام الاول واستانف استفهاما ثانیا ویحتمل ان لا یکون قوله ومن یتبدل
الکفر بالایمان حکایة بتکفیرهم بسبب السؤال بل یکون تنبیها للمکلفین علی ان السؤال عما لا یهم لهم مما قد یجر الی العواقب الکثیرة عروض الشکوک والشبهات
حتی یقعوا علی الاعتقاد الحق والتقلید الصرف فیها لا سبیل الی درک تفاصیلها ولا یهم معرفتها وسواء السبیل وسطه وهو الصراط المستقیم الذی مر تفسیره
ودت کثیر من اهل الکتاب لو یردونکم من بعد ایمانکم کفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبین لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتی یاتی الله بامره ان
دوست بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدتان کافران از حسدی که ظاهر شده مر ایشان را از حقیقت پس درگذرید وبخشید تا که صاحب فرماید خدا فرمان خود
الله علی کل شیء قدیر واقیموا الصلوة واتوا الزکوة وما تقدموا لانفسکم من خیر تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصیر
بیشک خدا بر هر چیزی تواناست وبرپای دارید نماز را ودهید زکوة را وهرچه پیش دارید برای خود زان از خوبی بیابید از برای خود نزد خدا بیشک خدا بآنچه میکنید بیناست
وقالوا لن یدخل الجنة الا من کان هودا او نصاری تلک امانیهم قل هاتوا برهانکم ان کنتم صادقین بلی من اسلم
وگفتند که داخل نشود بهشت مگر آنکه بود جهود یا ترسا این آرزوهای ایشان بگو که بیارید حجت خودتان را اگر راست گویید آری هر که تسلیم کرد
وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون وقالت الیهود لیست النصاری علی شیء وقالت
روی خویش از برای خدا واو نیکوکار است پس مر اوراست مزد وی نزد پروردگار وی نه ترسی بر ایشان ونه اندوهناک وگویند جهود که نیستند ترسایان بر چیزی وگویند
النصاری لیست الیهود علی شیء وهم یتلون الکتاب کذلک قال الذین لا یعلمون مثل قولهم فالله یحکم بینهم یوم القیمة
ترسایان که نیستند جهود بر چیزی واحال آنکه ایشان میخوانند کتاب را اینچنین میگویند آنان که بی دانشند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان در قیامت
فیما کانوا فیه یختلفون القراءة قد سلف الوقوف کفار ج لان ما بعده یصلح نعتا لمحذوف ای یجحدون حسدا او حال ومفعوله وهو وجه او صل
در بچه کرده اند کافران حسدا جود الحق ج لعطف الجملتین المختلفتین بامر ط قدیره الزکوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصیر
او نصاری ط امانیهم ط صادقین عنده ص لعطف الجملتین المتفقتین یحزنون النصاری علی شیء ص لعطف الجملتین المتفقتین علی شیء مع ان
الواو والحال الکتاب مثل قولهم ج لان فالله مبتداء مع فاء التعقیب یختلفون التفسیر هذا نوع آخر من مکاید الیهود روی ان فحاص بن عازوراء
وزید بن قیس نفر من الیهود قالوا لحذیفة بن الیمان وعمار بن یاسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابکم ولو کنتم علی الحق ما هزمتم فارجعوا الی دیننا

فیما کانوا فیه یختلفون

ع ۱۳

فهو خير لكم افضل ونحن اهدكم منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض لهم عهدهم قال بقولهم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد سلم وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن امام وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فاقرأ لهما وكفارا نصب على الحال ومفعول ثان ليردونكم على انه يقتضي صيرورة الحسد من قبح الخصال الذميمة قال الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ابن المعتز عجبت من الناس كيف يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال سنة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وقال ان موسى لما ذهب الى ربه رأى في ظل العرش رجلا يغبطه بمكانه فقال ان هذا لكرم على ربه فسئل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه فقال احدثك من عمله شيئا كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه لا يمشي بالنميمة وحكي ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك شيئا اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج ادم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت ولها فاحسد هو الحسد المحرم الذي ذمه الله تعالى صاحبه في هذه الاية وغيرها ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف واخوته احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال ﷺ لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا وانفقه في سبيل الله ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبا اذا كانت النعمة دينية واجبا كالايمان والصلوة والزكوة وقد يكون مندوبا في نحو الانفاق في سبيل الله وتشهي العلم والتعليم وقد يكون مباحا وللحسد مراتب ربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان لم يحصل له وهذه احبث الثلاثة ان يحب زوالها عنه ليكون غبته في داره الحسنة او امرانا او ولايته فالمطلوب بالذات حصول ذلك فاما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض الثانية ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه هذا اخبر هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف الاولى احبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم واسباب الحسد ستة وهي العداوة والبغضاء فان من اذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه تولد منه الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل ثانيها التعزز فان واحدا من اقرانه اذا نال منصبا غاليا يترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك اذا زال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه ربما ضوهما والتروع الثالثة ان يكون في طمعه ان يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليتقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على منزلة عند الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وساداسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك لحب موته فان الكمال المحبوب لذاته وضد المحبوب مكروه وجملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمنع حصوله الا لله تعالى ومن طمع في المحال الخائب خذ ما سابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصفا ضطراب مواليه من الناس واد بارهم فرح به فهو لا يحب اكتساب دينار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا البخل بسبب باطن هو سوء خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويقوى بحسبه قلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكون بلقاء اخوانهم مستانسين وببقاء اقرانهم فرحين بما وهبهم من فضله وانعامه في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يريده كراهية كاره ولا يجري ارادة مريد بتفصيله وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وتسخط في عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم وموروث للوسواس ومكدر للحواس لا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيغبطه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا يزال يزيد عمومك واحزانك الى ان يقتضي ذلك الى التلف شعر صبرا على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله وقد يسدل

بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لا مات اعداؤك بل خلدا ... حتى يروا منك ما لا يحمد الكمدا لا زلت تحسد على نعمة فانما الكامل من يحسد ؛ والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق ومشكور في ابليس واصدقائه مدحور عند الخلق واوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيبه بمقتله فلم يصبه بل يرجع على حدقة العين فيفقأها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد غاد عليه الوبال واعداؤه محوا له يفرحون ويضحكون هذا في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان يأتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على الكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا بحاله فاذا الذي يثبك ويبغيه عداوة كانه ولي حميد وذلك التكلف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه انما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهاره اثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ان هم كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من الشبه لعلمهم ان الحق لا يعدل عن الحق الا بالشبه احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمنا ما نزل بكم من اخراجكم من ديارهم واموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي سبقكم الى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المخبرات وتحريف التوراة وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بوحي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل الدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسدهم ابتداء منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل حتى يأتي الله بامره عن الحسن انه المجازات يوم الفتح وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه لا نسخ بالقتال عنده ويتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والاية منسوخة لان الاية التي على ما غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم ولوا الصيام الى الليل بل كقوله فاعفوا واصفحوا الى ان نسخه عنكم عن ابن قتيبة ان لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبريل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال قتال اصحاب عبد الله بن جحش بطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان يتلقى الاذى فيقدر على بعض الشفي والاستعانة على بعض اصحابه فامروا ان لا يهجموا قتالا وفتنة وايقاع القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر الواحد قويا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذا لم يضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وآتوا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ انفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فرضية او تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص الواجبات بل لها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اي نجد ثوابه لان وجدان عين ذلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب المحسن وترهيب المسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع اخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في قالوا لهم والمعنى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه مثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائدة الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه وواحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك اماניהם على حذف المضاف اي مثل تلك الامنية اماניהם جميعا في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة واشير بتلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية ودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم ان يدخل الجنة امنية اي تلك الاماني الباطلة اماניהם وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك اماניהם اعترض على هذا وهات التي اسم فعل معناه اعط وتتصرف فيجب لما مر هات هاتيان هاتوا هاتي هاتين وقيل العجب انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله ائت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعي نفيا او اثباتا لا بد له من برهان والا فدعواه باطلة مرفوعة عن شبا بلا شاهد لان بطلان دعواه اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى اخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان هؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم في الاسلام وبيان لمقارفتهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بل ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ينبوع الفكر والتعقل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى وكان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كقوله كل شيء هالك الا وجهه اي انقياء وجهه تعالى على وكان اعظم العبادات السجدة وهي انما تحصل بالوجه هذا

البقرة

الاسلام اخص من الاسلام المذكور في الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا لكن هذا عبارة عن الاذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذي امر به ابرهيم
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لداي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه
بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يصدر الا عن رقة النية وصفاء الطوية فان مشوش العبد بين يدي مولاه يشغله عن الالتفات
الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو به الا لوجه الله فلا يصدر عنه شئ من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضيه لتزايد الحسنات
ورفع الدرجات في الخبر من تطيب للمسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المالح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق
وان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات والتودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروايح
المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المالح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق
كل ما عملت لغير الله فلها حساب وحرامها عذاب وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في نجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل
طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وليس لعبد
ان يقول في نفسه وبلسانه عند تدريسه وتجارته نويت ان ادرس لله واتجر لله فهان لهذا الحديث نفوس لسان وما ذاك الا لكمون الفارغ توبة
ان اعشق واما النية فهي اتباعات النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصيير ذلك ملكة النفس شعر للناس فيما يعشقون مذاهب
فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم اكثر اهل الجنة لقصورهم عن طموح ما فوقها من الكمالات
والملذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البلة ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اكابر بين
الآية المتقدمة فصل بينها وبين قول كل فريق في حق الاخر والظاهر لفظي اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل
واحد من كل من الطائفتين في حق الاخر وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله انا هم احبار اليهود فناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شئ يصح يعتد به وفيه مبالغة
عظيمة كقول العرب اقل من لا شئ عن ابن عباس والله صدقوا لانك ذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزله وهم يتلون
الكتاب الواحد والجاري الكتاب الجنس فالواو لذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن
بالباقي ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اي قولا مثل الذي
سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شئ وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم نفيا للهوى
والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكبكبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكافرين
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين الحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر من اظلم المكذب بالمظلوم المكذب بهم من يدخل الجنة عيانا
ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها ومن ظلم ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان
(واين سخت تهديد است نسبت بآن كسى كه واداره مسجدهاى خدا را از آنكه ذكر شود دران نام خدا وجد كند وخرابى آن
لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما
كه شايان واهل شان ايشان جز اين نيست كه ترسان كنان مرايشان را بتهديد ورسوا نمودن در آخرت عذاب بزرگ ومر خداوند راست مشرق ومغرب پس هر جا
تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
كه روآريد پس سمت وجه خدا محيط است وداناست وگويند كه قرار داده است خدا از براى خود فرزند منزهست او بلكه مر اوراست هر چه در آسمانها وزمين است همه مر او را مطيع
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا
آفريننده آسمانها وزمين است وچون اراده كرد فرمانى را پس همين ميگويد او را كه باش پس ميباشد وگويند نادانان كه چرا سخن نميگويد با ما خدا ويا بيايد ما را
اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق
نشانى وهمچنين گويند آنان كه پيش از ايشانند مانند بطريق گفتار ايشان همانند دلهاى ايشان متحقق گرداندهايم نشانها را براى مردمان
لصاحف اهل الشام بالنصب كل القرآن بنا مرا لانه قوله كن فيكون الحق في الاخبار وكن فيكون قوله الحق في الانعام وانفقه الكسائي في النحل
ويس والوقوف خزاياها ط للفصل بين الاستفهام والخبر انا ط لان ما بعده اخبار وعيد مبتدا منتظم عظيم وجد الله ط عليم ولدا لا تعجيلا
للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدا قانتون ط والارض ط لان اذا اجيب بالفاء وكانت للشرط فيكون اية ط قلوبهم ط لان قد للتوكيد
الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وخاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق

التوبة ولم تزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر فنزلت لانه فهم عن الحسن قتاده والسكن زلت في بخصوص حيث حرب بيت المقدس عام
على ذلك بعض النصارى وردبان بخصوص كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله ﷺ عن الدعاء الى الله
بمكة والجاؤه الى الهجرة فضاروا ما نعين له والصحابة ان يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله ﷺ ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر
مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بساير قبايحهم ومن استفهامية للتقرير المعنى ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثاني
مفعوليه لانك تقول منعتك كذا وبدل من مساجدا وحذف حرف الجر مع ان للتقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله ان مانعا منع ذكر الله تعالى مفرط في الظلم ولا يلزم ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا من اظلم ممن اذى
الصالحين مثله وبل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغي ان يراد بمن منع العموم ليدخل الذين منعوا من ذلك النصارى والمشركين
باعيانهم والساعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر او تخريب لبنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذي هو في قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك
اشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس وما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه
وان كان يدعي الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة
فتخريب المعبد ينفي عن فاعله الاقرار بالعبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وانما هو منخرط في سلك اهل النفاق و
المنافق كافر سوءا لا من الكافر الاصلي لان النفاق انما يكون ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها في حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب والوجل
الفرض من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب ذلك لو لا ظلم الكفرة
وعنوهم وقبل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد فانه بذلك المشركين لم يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين
من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحج بعد العام مشرك
وامر النبي ﷺ باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس بايدي المسلمين وقبل يحرم عليهم دخول المسجد الا في مربة تضمن الخوف بخوان يدخلوا
للحاكمة والخاصمة والحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره وتزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي انه ﷺ قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد حيث طابت نفسه في
اول الاسلام ثم نسخ بالاية خزي فعل بمنعهم من المساجد بالخربة في اهل الذمة وبالسبي والقتل في حق اهل الحرب فيدرج لهم عن شاهم على الكفر وقبل
الخزي فتح مدائنهم وقصورهم وعنوه ورومية والعذاب العظيم بما سلب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاولى في بيان فضل المساجد من ذلك
اضافتها الى الله في الاية وذلك ليدل على شرفها وكذا في قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال ﷺ احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك لان المسجد
يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه والاية نكتة وهي ان تخريب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر لزم ان يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان
الثانية في فضل المشي الى المساجد عن ابي هريرة انه ﷺ قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرايض الله كانت خطوتاه احداهما
تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال ﷺ لبني سلمة حين اراد وان ينتقلوا الى قرب المسجد بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا الى قرب المسجد قالوا نعم قد اردنا ذلك
قال بني سلمة دياركم تكتب اثاركم الثالثة في فضل المساجد عن ابن عباس
ان النبي ﷺ قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين و
التمويه وامر بعمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن ابي قتادة انه ﷺ قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس فاذن التحية بالفرض والنفل نواها او لا هذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي احمد واسحق و
قال يجلس لا يصلي والذهب ابن سيرين وعطاء بن ابي رباح النخعي وقتاده ومالك والثوري واصحاب الراي الخامسة في الدعاء عند الدخول في
المسجد الخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن ابيها قال كان رسول الله ﷺ اذا دخل المسجد صلى على محمد وقال رب اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة
عن ابي هريرة انه ﷺ قال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقول اللهم اغفر له ارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع
والشري فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي ﷺ نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشري فيها وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلوة يعني لذكر العلم ونحوه بل تشغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب
الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فكرهوه انتهى عن ابي هريرة انه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد
فليقل لا ادراها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض اصحاب الشافعي المسئلة في المسجد كان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض

في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيه الحدود ويقبض فيه الخراج وينطق فيها بالاشعار وينشد فيها الضالة وتجمع سوقا ولم يرخص بعضهم بالقضاء في المسجد باسناد ان النبي ﷺ لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولا عن عمر عند منبر النبي ﷺ وقضى شريح والشعبي وبعض المسجدي وكان الحسن بن زيارة بن ابي في بقصبان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة بني المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد واضعا احد رجليه على الاخرى فيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة جوازها في البيت الا بنطاح فانه نهى عنه وقال انها مضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي ﷺ قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه ﷺ اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر انه ﷺ قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه ﷺ من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه الانس الحادية عشرة في بناء المساجد والدور عن عائشة قالت امر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وعنه ﷺ دليل عجز لتسمية الموضع بالمسجد لا بخرجه مما يسلبه قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت في امر مخصوص بالصلوة ومنهم من اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها اراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب في جميع الامر مملوكة لله سبحانه ويحلو قبله فاينما امركم باستقباله فهو القبلة ثبت قبلة لذاتها بل يجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت رداً عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى لما رفع منه الى السماء اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا يخلو فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين الخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى جهات بهذه الاية وكان المسلمين ذلك لان النبي ﷺ كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده مجاورة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم حين ذهبوا الى الكعبة لان الفرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وبما عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت راحلته وكان ﷺ اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا وهو مي تراسر نحو المدينة فمعنى الاية انهما تولوا وجوهكم لتوا فلكم في اسفاركم فثم وجه الله اي رضاه فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كلا يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محظوظ بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى باقي الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فحقيل الخطاب في قولوا للمنافقين والساعين بريدانهم ان بهروا فان سلطاني يلجمهم وتدبيري يسيقهم وعلمي يحيط بمكائدهم عن قتاده ان النبي ﷺ قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي تصلي اليها اهل كل ملة الى فمن وجه نحو شيء منا يريد طاعة وجدتها وكان في هذا عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن مجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزلت ممن على بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من اي ضد فيه بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره ثم الجهة اما موقوة المرضية وهذا كقوله جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة وفي غيرها وفيه ان المجتهد اذا رأى بشرائط الاجتهاد رايا فهو مصيب ومعنى قولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال لي اليها رباعي ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمنافقين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد نعت الجهة من الاية ان لله تعالى وجها وانهم سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الاية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهوم اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون هو بعينه محاذيا للمغرب فلا بد من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقها واوجدها فاي حد من وجوه العالم وجهاته اضافه اليه بالخلق والتكوين نصبه عينه وهو قبلة والمراد بالوجه القصد الذي مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فثم تولوا فثم وجه الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المقرب الى ملك احدا شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذهب اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه وجهة ام كيف يكون جسما وجسمانيا وانه خالق الاماكن والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالموالاة على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع اخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كامر والضمير يصلح للقولين فالهيود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها له عن ذلك بديع له ما في السموات والارض ملكا وخلقا ابتداعا وصنعا وجملتهم الملائكة وعزير والمسيح اولا يجب ان يكون من جنس الوالد من ابن المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته الله لا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد تتخذ الولد الحاجة اليه في الكبر وانتفاع بعونه وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل لم فانتون المنون عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة اما حلول القيام او السكون فالمعنيان دوام الممكنات واستمرارها جميعا به وكلا جله وقيل عن مجاهد ابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا للكلفين وقوله بل له ما في السموات الخ يعم المكلف وغيره فعلى الاول تفسير اخر فائلا المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة واما ان الحدوث وكون جميعا في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذا الوجه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل يحكى ان عليا ع قال بعض النصارى لو لا تمرد بعض عبيدي عليّ ما اضفت عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله وقال على ان كان علي الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وهبت بديع خبر مبتدا محذوف اي هو بديع السموات والارض عم او لا ان الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع وابدعه اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل الركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى الفاضي لهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن الحاجز وقضى الامر اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى بينه وداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضا امرا اتمه واحكم بانه يفعله او احكمه قال الشعر وعليهما مردان قضاهما : داود او صنع السوابغ تبع : من قرا فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قراه بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر يجب ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل وفيهما نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب بيد او اذهب ينفعك بيد واما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي تتسبب على الامر قد يكون شيئا مغايرا لفعل الامر وذلك اكثري قد يكون الغرض الامر نفس ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له فقول القائل اذهب يذهب فيذهب معناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء اخر كما ان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة موقعها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تمام المقول فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فاذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة ثم قوله امرا في قوله لمرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكوينه وكان اول الكلام مع المكلفين فروعي ذلك ههنا بخلاف ما هو ابلغ لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى شيئا على صدور لفظ كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لاحالة والكاف لكونه متقدما على الحدث بزمان معتد به يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء حدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب المتاخر عن الحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم على الحدث بزمان يحصل محدثا ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور او التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني ما ان يخاطب المخلوق بكن قبل حلوله في الوجود او بعد حلوله في الوجود ولا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكيم الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته ويرجع الحاصل الى تتميم القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الحامل انما هو في المعنى بالضرورة لانا نثبت لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها فلولا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين عند مجيء الثاني بمقتضى الاول واما احدهما وهو خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا بد من تاويل واصحها ان يقال المراد من ما اقتضاه من الامور اراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا بتوقف ولا بمنع ولا باي وجه تاكيدا لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حالة مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انها احداث امر عن ابي الحذيل قيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة وصير بحرا هم من الامم قبل امر الاحياء بالموتى وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني الجملة من المشركين وقيل من اهل الكتاب بقية ونفى عنهم العلم لانهم لو علموا به فالاية الاولى فيها بيان قدرته في التوحيد وهذه الاية فيها بيان قدرته في النبوة ولو لا حرف تخضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكم اذا اردنا تحصيل شيء احنا اقرب الطرق الوصول به الى المطلوب ثم

الله تعالى كلم الملائكة وكلم موسى فانت تقول بالحمد لله كلمك فاوحى الله الى عبد ما اوحى فلم لا يكلمك مشافهة ولا يبعث على يمينك حتى يتاكد الاعتقاد
وتزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين
من قبلهم في المعنى كقولهم اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت وافتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ربنا الله جهرة اجعل
لنا الها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او لا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك
المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الاباة لقوم يعقلون وقد يقولون انها ايات فلو كان
غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها اياة ظاهرة هي القرآن العظيم الذي خرس شقاشق الفصحاء عن اخرهم ومعجزات باهرة كمجي الشجرة و
خنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق الكثير من الطعام القليل وايقاف لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه
علم بجاجهم وعنادهم فلاجرم لم يفعل ذلك واتى بما لعلمه في تلك الاياة مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كما ضاقت الى حد الالجاء المخل بالتكليف و
كابجائها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب كخبر وجها عن القذف الصالح لالزام الحجة وايقاع كثرة الاياة بعقابها بيانا في كونها خوارق
العادة فلا يبقى بايات وكل ما ادى وجوده الى عدمه مع فرض وجوده محال فيثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة
النبوة والله اعلم التاويل وما يجادل بآيتي يذكر اساميها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر ذكر كل مسجد منها مناسب
لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب للتوحيد والمعرفة
ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود وحذر واياه اصحاب كل الشهوات فان القلوب المعلقة
بالشهوات عقولها عن محبوبها محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر
فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب فالم العقاب لهم في الدنيا خزي من بقي الحجاب
ولهم في الاخرة عذاب عظيم ان من جوار الله وتلك المشرق والمغرب لقلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب معرفة شاهد
وطارق طوارق القلب من نهوض النفس بطوع وظلمات الهوى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار
الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود وبكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بالبطلان بسطوات الوجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء ولا
ليس عند الله صباح ولا مساء تلاشى العبد بتوكيعة العدم ونود وابفناء من عالم البقاء ورفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه علم توسيع القلب بحقيقة لا كيف كيف كما لا يسعه ارض سماء وانما يسعه قلب عبده المؤمن والله اعلم
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان
پیغمبر فرستادیم تورا برحق مژده دهنده وبیم کننده وپرسیده نشوی تو از یاران دوزخ ورضی نشوند هرگز از تو یهودان ونه ترسایان تا پیروی نکنی ملت ایشان
هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين اتيناهم الكتاب
راه خدا است راه راست وهر آینه اگر پیروی کنی خواهش ایشان را پس از انکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی ونه یاوری الذین کسانیکه دادیم ایشان را
يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
کتاب میخوانند اورا خواندن شایستهٔ او ایشانند که میگروند بدان وهر که کافر شود بدان پس ایشانند زیان کاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما
وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
وانکه من فزونی دادم بر جهانیان وبپرهیزید از روزیکه باز ندهد کسی از کسی چیزی را وقبول کرده نشود ازان بدل وسود نبخشد او را شفاعتی ونه ایشان
ينصرون القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا للعطف اي نذيرا وغير مسئول
یاری کرده شوند الامر قرأ ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهب الهدى طريق من العلم للاان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع
اهوائهم فكان في الاطلاق خطر نصيره تلا وتبعه لان ما بعدها مبتدأ اخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني تتلونه
حالا من مفعول اتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به للجملة خبر الذين لان الاخبار من اصحاب الكتاب مطابقة لهم يتلونه حق تلاوته
لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القرآن كما يجئ يؤمنون به للابتداء بالشرط الخاسرون العالمين ينصرون التفسير لها بين غاية اصرارهم على
العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاقتداء والاهتداء من الايات البينات اراد ان يسلي رسوله لئلا يضيق صدره
فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل يجاوز ذلك عن ان يكون بشيرا لمن
اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل
نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى فالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما علينا البلاغ وعلينا

الكتاب اما قراءة النبي فهو وحي منه قال ليت شعري ما فعل بواي فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الواقعة بعد كلام سيأتي الكلام ينبو عن ذلك الآية مع علمه الاجمالي بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن وقع في بليته فيقال لك لا تسئل عنه فكان المسؤول يخرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك اليهود عن سلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكف ولا يرضون راسا برأس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي ينتحلها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحقيقة دون ما وراءه هذا لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهوائهم مشتهياتهم واراءهم الباطل المنسوخة بعد ما جاءك من العلم بما في الدنا من الوضوح البراهين وسطوع مالك من الله من عفا بن سحطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى فيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الدليل على العلم بالمأمور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة على المأمور به كان اولى بطل القول بتكليف ما لا يطاق ومنها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف لم يعرض ذلك الفعل هذا الوعيد وهو احد صوارفه وكان فيه زجر شديد لا من حيث انه اعلموا ما حال النبي او فرض من اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لو يتوهم طمع في الخلاص لو وقع منه ذلك الذين آتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين ناهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم ذكر العالمين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى تلوته حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله او يتبعونه مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمكنين باحكامه من حلال وحرام وغيرها او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون بكتابهم دون من لبس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به هو من المحرفين او من الواضعين عرجته فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بقتم ورودة فرجوا منه بخبث جنين وفازوا بكل حين يا بني اسرائيل الايات رجوع الى اول القصة لتذكير النعم بعد تعداد مواجب النعم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله المستعان واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا

پروردگار او بسخنهائي چند پس تمام كرد انها را گفت كه من ميكردانم تورا از براي مردمان پيشوا گفت از ذريت من ايز گفت كه نرسد عهد مرا ستمكاران وچون بگردوديم

البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين

خانه كعبه را جايگاه از براي مردمان وايمني وفرا گيريد از مقام ابراهيم نمازگاهي وفرموديم ما بابراهيم واسمعيل كه پاكنه داريد خانه مرا از براي طواف

والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم

وايستندگان ورکوع وسجود كنندگان وچون گفت ابراهيم گواي پروردگارا بكن بگردان اين بلد را شهري ايمن وروزي كن اهل او را از ميوها هر كه بگرود از ايشان

بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

بخدا وروز واپسين فرمود خدا كه هر كه كافر شود پس بهره دهم او را كمي پس ناچار كنم او را بسوي عذاب آتش وبد جايي بازگشتي

والنساء الآية انا انبأنا الى ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا قوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن زكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط اعلان ذكر ابرهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فانه كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب الوفي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ولا فقد سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص اذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بخلفي بالفتح ابو جعفر نافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فلمتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد بالوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين واماط لمن قراء واتخذوا بالكسر لاعتراض الامرين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء نسق الافعال الثلثة فلا وقف السجود

اليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس الما لغة في المدح والذم فيبتدأ بها لتبنيها على المدح والذم المضمرين فهما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل المشركين مقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن سبا كي حرمه خدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد والانقياد لشرعه منها انه امر بعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد وبانقياد حكم الله التزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة للذرية فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرفان طالب الحق يجب ان يترك التعصب للاباء ووضع ما وضعه الله ليتال ناية الدارين ومنها ان القبلة حولت الى الكعبة شوقا الى ذلك على ما هو مذهب ابي مسلم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي اعترفوا بتعظيمه الاقتداء به منها انه دعا بامور ثلاثة

البقرة ٩

بنى من ذريته وهو محمد كما يجئ فيجب على من يعترف بابراهيم ان يعترف بمحمد اما قوله واذ ابتلى العامل فيه اذا اما مضمر وهو اذكر او تكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلا كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال موقع قال على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الاتيان ولا يخفى ان الاستيناف اصوب لتناسب سياق الجملتين الاتيتين لورودهما اليه على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى لشبهها لامر صادر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما قد يعرف ما يكون من المامور به والاكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع علمه بجميع المعلومات الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كما تمحنه ما يكون من حتى مجازا تبعا على سبيل التمثيل واعلم ان هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بجميع الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل بها على مذهب بعض المعتزلة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الحوالان ما علم الله وقوعه يستحيل ان لا يقع ويستحيل ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه لما مر في القدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية وكان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اذا نقص من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد لو نقص عن اعداد التي لا نهاية لها وانضم الى المجموع عشرة والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له فغير هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها اما ان يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهو متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب لا نسلم انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه وكل متغير عما عداه خارج عنه وكل ما هو خارج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم تميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار كما لا يتناهى وراؤها لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير بعيد فلا يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ونورية هكذا فاظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسر عليه يسير ايهم بالنصب به بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل واذا لم تذكر عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فضل الخبر هل يجب الله تعالى اجابته ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ الترتيل هل يدل على ان تلك الكلمات ما هي فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامانة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء وابتعاث محمد فكل هذه تكاليف شاقة اما الامانة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى لهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمر وقف على ما مر في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره واما الاشتغال بدعاء نبي آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وفي ذلك غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع وجيب بانه اخر ابتلاءه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولانقطع النظم فالمتأملون بان نظم الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم ان الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر نواهي فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فريضة في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التائبون العابدون الاية وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنون من سئل منا الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هن مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس فخان على الكبر بالنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى قيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه تمرد وقومه الصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما فيه كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان في امر بهن كالسبب لجعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك الامور الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه خلق مختونا كان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو محتمل فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كالصيام والحمام والغسل والتمرن على القراءة المشهورة لابرهيم تمعني فقام

من حق القيام واداهن احسن المناداة من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى فاعطاها الطلبة لم ينقص منه شيئا ويعضد ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سئل ابرهيم ربه في قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا وتقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالاذار لما ياتمون به ويهتدون به والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لان جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم وكان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شئ والذي يكون كذلك لا بد ان يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا الاعلى من هو دون من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلاة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد اقتدا به من بعده من الانبياء في اصولهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصيرها ما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من نحو اني جاعل في الارض خليفة واذ ابتلى ابرهيم ربه واذا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية على انه كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق ذراهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون من ذرى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى دهر ومن زيتي عطف على الكاف كانه قال فجاعل على بعض زيتي كما يقال ساكر فتقول منه بدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد تحقق الله تعالى امله فجعل من اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى الياس ثم محمد صلى الله عليه وسلم افضلهم واشرفهم ولانه لو يطلب الامامة الا للبعض فكان يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن حينئذ في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلم كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة بسميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى الى عباده اذ كل واحد عظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين الصالح للامامة بطريق برهاني فان ذلك ان دعاه مستجاب الدعوة فكل نبي مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب لحبيب سعى فاطلبه بما يليق معنى وهمة كما اذا قيل لمن اشرف وصار لابنك شئ فيقول لا ورث مني اي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف وصل لشئ ولا يرد ان بولس نال عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسوق وقد يستدل على الامامية على ابطال امامة غيرهم فقالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم لان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة فالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده وان لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما وهذا يصح انه ثابت مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايقاع المتكلم والماشي حقيقة في مفهومهما مع ان اجراء التكلم والمشي لا توجد حقيقة فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال لا انه كان كافرا قبل لبسين مثلا وانه لا يحنث فان النائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا النائب عن الكفر فان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة والمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد كتاب الله تعالى قد يسمى بمعنى الامر كقوله ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان اي الم امركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان امره تعالى لا زمة للظالمين كالمطيعين فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على امر الله وغيره مقتدى بهم فيها قال تعالى لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي ولا فتياه اذا افتى ولا تقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى بهم يصير صلوته فالا ابو بكر الرازي من الناس من ظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ بين انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولا يتهم امام ولا سلطان قال فكيف يجوز ان يدعى ذلك الى ابي حنيفة وقد كان ابن هبيرة في ايام بني امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما حيف عليه قال الفقهاء

اقول

اقبل اليه شيأ من عمله اى شيء كان حتى يزول عنك الضرب بقول ابن عباس اعمال البر الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور فى مثل ذلك حتى عمله البر الذي كان يضرب لسوء المدينة وذلك انه كان يقول للمنصور واشياعه لو اراد وابناء مسجد اراد وفى على عماله لما فعلنا حصنه فى ارزبدين على مشهورة وحمله المال اليه فنياه الناس سرا فى وجوب نصرته والقتال معه كذلك امره مع محمد ابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن ذا الابة اذا ربلغ وتحوف شديد عن خامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحيط او لا عن دينه لا ينال عهدى الظالمين وثانيا عن درجة الولاية لا لعنة الله على الظالمين وثالثا عن ثمرة السلطنة بيت الظالم خراب لو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق بوجبات القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا عن حظ نفسه مما ظلموا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعرا نظلم اذا ما كنت مقتدرا : فالظلم اخره يأتيك بالندم : تنام عينك والمظلوم منتبه : يدعو عليك وعين الله لم تنم ولآخر شعرا مر تع ظلم الورى وخم : يا صاحب الجور كم تظلم الناس وخش نارا : وقودها الناس والحجارة : اين الظالم فى ظلمه : اهمله القادر ام امهله : ما امهلوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا : انا لعبد الدعاء وثمرة دعوته : وما يدريك ما صنع الدعاء : سهام الليل لا تخطى ولكن : لها امد ولامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذي اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد الربوبية ومعنى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي لزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظ بنظر الربوبية فيربيك ويربيك بعد نعم الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان ولن تعد نعم الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير شيئا وجهلا وعدوانا وابذاء للملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا القصر فان الى الله المصير ها للظالمين من نضير قوله واذ جعلنا البيت تفرير تكليف خو البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت فى اصل الجنس ثم كثر استعمالها فى واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ولهذا لم يعلم العلم الا نفاقا وانما وقعت اللام فى مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام وفشا كبعض حروفه لانه تعالى لم يرد البيت بنفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح فى الكعبة ولا فى المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سببا لامن من على هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون معنا امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المثابة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل الثاء للمبالغة كعلامة من الحسن اى يثوبون اليه فى كل عام وعن ابن عباس مجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وقيل مثابة اى يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله تعالى يعظمه فى القلوب بحيث يرغب الناس الى اهله الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان ظاهر الخافقين يجتمعون هنالك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس امنا خبر فانه تركيب على ظاهره تقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتال فيه اصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة تصرف عن ظاهره وتقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من العادة فى القتال قال ان الله حرم مكة ولم يحرمها احد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعى الى ان المعنى لهم ان يحلوا احدا نصب الحرب عليها ان ذلك حلال لرسول الله فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحد دفقال الشافعى ان الامام يأمر بالصبر عليه بما يؤدى الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد فان لم يخرج فاخذ قتله فيه وكذلك من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وعند ابى حنيفة لا يستوفى قصاص النفس فى الحرم الا ان ينشئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه لا يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد لا يستوفى من الملتجئ واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام ومسجد آخر يخرج منه ويقتل لانه اخبر بوجوب صيانة المسجد بحمل الثواب الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اى اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاستمامه به او لسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اى وقلنا اتخذوا من موضع صلوة تصلون فيه استحبابا او وجوبا وفى مقام ابراهيم اقوال فعن الحسن قتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قال لامرأته اسمعيل انزل حتى اغسل راسك فلم تنزل لان ساق شرطت عليه ان لا تنزل عنها فجاءت بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم كان يبنى البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فعلت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم قام على هذا الحجر فى هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار كله مقام فى هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم العرب يختص بذلك الموضع بعرفة الكو

وغيره وكان الحجر صاحب قدمين وطوله الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان اشد اختصاصا فاتلا
مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا السلام وعن عمر انه اخذ بيد عمر وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن هذه تجربة على نحو ايت منك اسدا ووهبت لي منك ولدا مشفقا ففيه بيان التخذ والمرئي و
الموهوب تميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا دليل للصلوة به فضلا على غيره من حيث ان التبرك بموطئ قدم ابراهيم ركعنا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر في المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله تعالى اعلم الى حين قال
هل على غيرها الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انه مخالفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
اي امرناهما ذلك وامرناهما امر ايجاب وشفعنا عليهما فيان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل سر لا يليق بالبيت مما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت محل اليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
كل هذا اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد اقراره على ما هو عليه او انها كانت موجودة فامر بازالتها وقيل عرفوا الناس ان يلقى طهرهم متوجهون للطائفين الى خبره العطف يقتضي مغايرة فالطايف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور او يعتكف في الركع السجود جمع راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان ظاهرا
فهو من الطايفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يراد بالعاكفين الواقفين بعني القائمين كما قال
للطائفين القائمين والركع السجود للمصلين كان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول ولم لم يكون الركع السجود
كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالقرباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة وكانه تقدم
بذلك قيل وعن ابن عباس ومجاهد عطا ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي طلاق الاية دليل على جواز الصلوة
في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فالاول يجعل شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزء كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد بان الفرض هين الفرض والنفل لا يقع قوله
ثم واذ قال ابرهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد حول البلد الى الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوايد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى قوله اتمهن ثم فسر في التفسير قدم الاهم فالاهم
وكان يذكر جعل ابرهيما ما اولى بالتقديم لعمود نفعه للخلايق ولتقدمه في الوجود ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس امنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت قد حصل في ضمن غاية الاهم فوايد اخر منها انه كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها اينما كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بنى
منها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين هذا ترتيب بيقتضي حسن صنع ولعلها فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا اذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قال هذا بلدا امنا على التنكير في سورة ابرهيم هذا البلد
امنا الان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا واذا الدعاء صدر قد جعل بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا امن وانما الان الدعوتين هذا البلد امنا ففيه طلب الامن نفسه قيل سئل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة
القحط ثم انه تعالى استجاب عامة دعوته فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل قيل ابتلى الحجاج حارب بن الزبير وحرق الكعبة
وقصدها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من القرائن من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شئ وانما سئل ابرهيم الامن بان يجلي اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا واذا اخصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس وانتيالهم اليه من كل اوب زايرين وطائفين وطالب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم صار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض لقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صار محرما امنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله انى حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة و
قيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله لكن لم تبلغ الى النفوس من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بلدا من اهله يعني ارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منعه هناك بين المؤمن والكافر وقبل الاية تعم الفريقين بيانها فقيل ومن كفر عطفا
على من امن كما مر في ومن ذريتي او هو مبتدأ مضمن معنى الشرط جوابه فامتعه ذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص من يصلح للرعي فنودي على الله
امره وهيئة لا ياخذ في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وابعد الناس عن البيعة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر الصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للرزق واما اللجة على انه متاع قليل وامد بسير فيما بين

والابد

والابد قليلا اى امتاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين في العاجل موصولة بنعيمهم في الآجل ونعمة الكافر منقطعة عنهم بعد الموت وزائلة
لا محالة بطائل أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل بهما يلجئه الى النار
كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد بحال لا ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالمضطر
الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي صار اليه وذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة وتصييف الى فلان مصير
او اما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا
تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن و چون برافراشت ابراهیم بنا را از خانه کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار
قبول کن از ما بدرستیکه توئی شنونده دانا پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك
أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اولاد ما گروهی منقاد از برای تو و بنمای بما جاهای عبادات و سهل کن بر ما بدرستیکه
توئی سهل کننده مهربان پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبر را از خودشان که بخواند بر آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في ایات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را بایشان و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه توئی غالب و مصلحت دان
و کیست که روگرداند از ملت ابراهیم مگر کسی که بیخرد باشد و بتحقیق که برگزیدیم او را الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله در دنیا و او هست در آخرت از جمله شایستگان چون گفت مر او را پروردگار او گردن بنه گفت گردن نهادم
از برای پروردگار عالمیان و وصیت کرد بآن ابراهیم فرزندان خود را و یعقوب که ای فرزندان اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء
إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي برگزید از برای شما دین را پس نمیرید مگر در حالتی که تسلیم کنندگان باشید یا بودید گواهان
چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را که چه میپرستید پس از من قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا
ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما گفتند که میپرستیم معبود ترا و معبود پدران تو ابراهیم و اسمعیل و اسحق را معبود یکتا
و ماییم او را تسلیم کنندگان این گروهی است که از پیش گذشت که مر اوراست آنچه کرده اند كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون القراءة ارنا وما بسكون الراء ابن
كثير وكسر قياسا على كبد في كبد اذ لسكن فيقال فخذ وقرأ ابو عمرو بالاختلاس و پرسیده نشوید از آنچه ایشان میکردند طلبا للخفة وهذا من الاجحاف
ويعلمهم بالاختلاس عباس كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع ودرى عن ابن عباس يكلمنا ونعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس
مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى بالالف بعد الواو ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون ووصى بالتشديد شهداء الا عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر
الباقون شهداء بهمزة كذلك اشباهه كل القرآن الوقوف مسلمين لاضمار القول اى يقولان ومحل نصب على الحال منا ط للابتداء بان ولجواز الوصل
وجه لطيف على تقدير فانك او ولانك العليم مسلمة لك ص لعطف المتفقتين علينا ط وقد ذكر الرحيم ويزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار
في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاخبار يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ويعقوب ط لارادة القول
على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل اذ الاولى او اذ الاولى ظرف
شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول توقف على الموت جعل قالوا عاملا اولم يقف على بعدي فله وجه يتضح لان الانكار متوجه على
قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون خلت
ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استينافا وهو واضح لعطف لكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون
التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب اما لارضك هذه عامر
يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وسابوئك منها بيتا اختاره
لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واصطفي البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت
مكانه يوم خلقت السموات والارض جعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما آمنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم
حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد جفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد
صغر في عيني ولكل ملك حيازة وعمارها وقد رووها اضيافي اجعله اول بيت وضع للناس اعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا وعلى
كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه
بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم في القرون
والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي بعد ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته
وولاته يكون امينى عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره
ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه
واجعله امة وحده قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه

في ولده وذريته من بعده واشفعهم فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت حماته وسقاته وخدمته وعمّاره حتى يبدلوا ويغيروا واجعل بهم اماما لذلك
البيت واهل ذلك المشرعة يأتم به من حضر ذلك الموطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف بعمود عرشي فوجه اليه دم من ارض الهند ما شاء الله وتلقته الملائكة فقالوا لبر حجك لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعين على البيت المعمور بيت في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها لو سقط سقط عليها
السماء لحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمران النبي صلعم قال الركن والمقام ياقوتتان
من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب فلم يستهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل كما رفع ابراهيم رسول الله صلعم قال لم يكذب ابراهيم قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا واحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سألك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل اضمرها بعض اهل الجبار فاتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابراهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يملك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدك ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعادت
فقبضت يده اشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني
بشيطان ولم تأتني بانسان فاخرج هاجر من اجل ما اعطاها فاخرجوها فاتت سارة وهي قائمة فاومأت بيدها مهيم فقالت خير كف الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك لها ملكها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل اباالعرب ما ثمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حيث لم يكن لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد لادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما اتخذت الشيطان
المنظور من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتغطي ثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد ليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع ولدها وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء
عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلعم فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلعم رحم الله
ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء او قال من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا واخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذني ان ننزل عندك فقالت نعم ولا حق لكم في الماء الا
اذا كانوا لها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب الغلام فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسئل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سئلها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد
فقالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسئلني عنك فاخبرته وسئلني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد
فلم يجده فدخل على امرأته فسئل عنه قالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسئلها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فما طعامكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني
عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه صنعا ما يصنع الوالد بالولد ثم قال

البقرة

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بنيانا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي رضي الله عنه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فاذا هم قد بنوا العمالقة ومر عليه الدهر فاذا هم قد بنوه قريش ورسول الله ﷺ يومئذ شاب فلما اراد وا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله ﷺ اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله ﷺ ووضعه هو بيده ثم بنوا عليه وكان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لا سقف له بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله ﷺ بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هو عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت فخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم ﷺ وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يلي فبقي من الاساس شبه الذكاء وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه ﷺ قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان الزبير هدمه لذلك وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده الى الهيئة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول برفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل الذي فوقه وهو صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها انما يبنى عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها ساقات البناء لان كل ساقة قاعدة للتي يبنى عليها ويوضع فوقها فترتفع كل منها بسبب وضع الاخرى عليها ورفع القواعد يرجع فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عرفها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام منبئا على تعيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاولى قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى ويثيب عليه والاول اذ عند المعتزلة من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا بالقبول وقبل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يحق ان يقبل فاختير تقبل ههنا وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه الا اذا كان فيه طلب فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة افعال المقربة بالاخلاص يكون بطلب القبول عن ذلك وتؤكده قولها انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك وان كان بحصيل الحاصل بالنسبة اليهما وقد يراد بالاسلام الخضوع والانقياد الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه الامور انفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا يشعر الا بمجرد تيسر الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه فان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب في قوله واجعلنا اما معطوف على يقبل في قوله انك انت السميع العليم ربنا اعترض للمناكيد واما معطوف على محذوف اي بنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي والا لم تجز الجماعة من الناس قبل اوانها محمد ﷺ مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه بخلاف وقبل اسلم مطلقا يفيد الاتيان والاعتقاد ومتعد باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي لطلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق يسوءه الظن موقع ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بيانا لما اجمل هناك فيكون واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلايق لانهم احق بالنصح واقدم قوا انفسكم واهليكم نارا ولانهم ائمة يصلح بصلاحهم غيرهم وفي سدادهم سداد من ورائهم فاستجاب الله دعاءه فلم يزل من ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وبقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ على بن الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن رؤية العلم بمعناه علمنا ان شرائع حجنا كيف هي او امرنا بنا بناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبريل اري ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابرهيم اعرفت ما اري ابنك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم التروية اراد ان يزور البيت عرض له ابليس عند الطريق فامره جبريل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له الثانية في الثالث والرابع كل ذلك يامره جبريل ويرميه بسبع حصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا باموره بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلوله الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء عن النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يجعل المناسك على المذابح فقط لما في الذبح للمتقرب لنسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه ثان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فيحمل المناسك على جميع اعمال الحج ولهذا قال ﷺ خذوا عني مناسككم لا لقاكم بعد عامي هذا بل لا بعد ان يحمل على جميع ما شرعه الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى وابن نعبدك وبماذا نتقرب

البك حتى تخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنها محمولة على ما علمت ان يكون فرط منها من الصغاير عند من يجوزها على الانبياء على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منها تصويرا لانفسها بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا ينبغي بها قال ص يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة ايضا لعلها استثنا بالذي بينها العلم بان فيهم ظالمين لقوله تع لا ينال عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتها عليهم وبانى مباحث التوبة قدمنا في قصة ادم فليذكر النوع الثالث تبنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم ويهيج الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم كان الرسول والمرسل اليهم كانوا جميعا من زينة كان رتبته اجل واعلا اذا كان منهم عرفوه ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه واما انه وكلما كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد ص باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تع في موضع اخر لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ولقوله ص انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى رؤيا امي ما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تع في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الرؤيا فانا ان امنة وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا الحبيب بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تع حق الحبيب الخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلواتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم لهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة محمد ص فاجابه الله تع وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابراهيم ابو الملة فعلة اسلم ابراهيم محمد ص ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرأفة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الحجة ومنها ان ابراهيم منادي الشريعة واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين بمعالمه منادي الايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرا عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم ص ذكر لذلك الرسول صفات ولها يتلوا عليهم اياتك فهو القرآن المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد غيره او تبيان القرآن ومثله معه ثانيها ويعلمهم الكتاب اي معانيه وحقايقه وذلك ان التلاوة وان كان مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فبقي مصونا من التحريف لان لفظه ونظمه معجز في تلاوة نوع عبادة وكاسيا في الصلوات الاان الحكمة العظمى والفصول الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا وقد جمع فيه الامران فيضع كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية وبناسبه قوله ص تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة والله ذهب الشافعي هي سنة رسول الله ص لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيئا غايرها عنها وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد النبوة وما يتلوهما مستفيدة بالفهم فحمل اللفظ على الاستفادة اولى من الشرع اولى وقيل الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات وقيل هي ما في احكام الكتاب من المصالح وبرابعها ويزكيهم اي يطهرهم بالبراهين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتخلى عنها وذلك بحيث يفعله النبي ص سوى الثلاثة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ والتذكير والترغيب بامور الدنيا ليتقوى بها داعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اولى مكارم الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم عن الشرك صانا لارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص لله انك انت العزيز الغالب الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب فمن رغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر اذا كره ورغب فيه اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من ضمير يرغب في ذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد سفه اما متعد بمعنى سفه نفسه منها واستحقها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس لانه اذا رغب عنه عافاه فقد بالغ في ازالة نفسه وتحقيرها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جعل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من اثار الصنع على وحدانية الله تع وتقدير تقلى الصحة نبوة محمد ص وعن عبيدة اهلك نفسها واوبقها وقيل اضل نفسه ما لازم فعناه سفه في نفسه فحذف الجار ونصب بنزع الخافض اي في نفسه وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه ولم ازامته هذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضايلهم الانتماء الى ابراهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول هو دعوته ومطلوبه بالتضرع الى الله ان يقيل ملة ابراهيم عين ملة محمد ص في الاصول والفروع اما متحدان في الاصول كالتوحيد النبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنها مختلفتان في فروع الاعمال والسبيل الى الاول ظاهر لم يكن شرع محمد ص ناسخا لسائر الشرايع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ص راغبا عن ملة ابراهيم لان الاعتراف بالاصول يقتضي الاعتراف بنبوة محمد ص فلما اتحدا اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد ص من جملة الاصول

الى مهدها ابرهيم والمراد عليه ابرهيم الاصول التي لا يختلف بها الانبياء وكرارها وهو فلا يلزم ان يكون محمد داعيا عنها لانه مرتبا عنها ثم ليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية انى باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى اسفه من يرغب
عن ملة ابرهيم بيان السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اى اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد العدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذى
لب الرغبة عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا اراى لمن لا الله الا الله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفينا فيه فقال اذ قال له ربه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة
مثله واذ فال له ربه من باب الالتفات ولولاه لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والا كثرون على انه تعالى قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ و
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه و
يحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى اتينا طائعين فهو يتكلم بما كانوا به يشعرون فيجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح فى تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع يدل
بالفاظه على ان طريق معرفته النظر فى المربوبات فالجوم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فالجوم بدأ من الله
فاعلم انه لا الا الله والاول طريق احسن سيرهم اما يتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثانى احسن واتم بكف بربك انه على
كل شئ شهيد ومن هنا يعرف ان كلمة محمد شعرى وان كنت لا اخبر ذمانة لان بما لم يستطعه الاولين فالف ابرهيم دلالة على استقامة سيرته
وهم محمد دليلا على انه مكمل الاوصاف وبه ابتداء الامر حيث انتهى فمنه ثمرة النبوة وحصل الخاتمة وكان الف ابرهيم دليلا على وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الف بلا بين ليل عدم الاستقامة الا ابليس لعنه الله واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خلط
الخير مع لام الابتداء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فالجوم كان ابرهيم واسطة فى الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والحنيف ماخوذة من الحنف وهو خالص كل شئ وداخله ومنه حنيفة القلب فالجوم كان محمد خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى نورى ول من يشق عنه
قبرا ومن يده بحت لوائى انا سيد المرسلين ولا فخر محمد ابو الحقيقة وان كان ابرهيم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اقوى من الطريقة لاجرم وقع الصلوة على ابرهيم فى الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى الوصية من جملة الامور المستحسنة التى حكاها الله تعالى عن ابرهيم
اوصيته بكذا ووصيته بمعنى وصلته ووصيت الشئ بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليك وترض واصيته متصلة النبات فالموصى يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القرابات الحاصلة له فى الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير فى بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهى اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا فى قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم وكان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلى وفى الاية دقايق عبرة فى قول الدين منها انه لم يقل وامر بها لان الوصية عند اما موت الموصى وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها خص بها بذلك اخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شئ عنده اهم
من ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشئ اخر ثم لها هم ان هو تواخير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشمولة بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب
فعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ويا فلان يعقوب قائلا لكل منهما يا بنى اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو وياء اجتمعا
والنصب فيه على اضمار الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه فمنعكم من غيره ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام بحيث تصل الاوانت خاشع لانها عن نفس الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع فى صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التى لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد فانه فى قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد فكانه موتهم لا على حال الا سلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لحضوره عنده فانه الخطاب للمومنين اى ما كنتم حاضرين حين

احضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او لاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل فلم تشهدوا وقتا الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لنبههم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرعتم في دين محدثة ويحتمل كون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف معناه ادعوتم على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل وانتم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين لذا اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فانكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة احد الامرين كاين فيها فقط فان كان الحصول ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحصول غير ثابت لنا وان كان فاذن دعواهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه نقض على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الخ وهو على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استأنف استفهاما ثانيا بالتقرير لنفي اي ما كنتم شهداء ولتقرير الاثبات على ان اوائلهم قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء من لها يعقل ومن خصص ما بغير ذوي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد فقيرا ام طبيبا وقد ينزل غير ذوي العقل منزلتهم لما دخل صنم رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعده وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لانهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهود من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لاباءك قدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عم من جملة اباء يعقوب لان العرب لما لاحظتها في سلك واحد هو الاخوة قال عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا طلق اسم الاب على ابراهيم هو جده فعل الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب لا يسقطون بالجد الا في مذهب ابي يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وقال ابو حنيفة انه حقيقة لا يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا الاطريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وانما اولك بعبده ونعرفه على ان طريق المعرفة هو التعليم وهو يمنع دلالة الآية على ذلك بل العلم المعرفة حصل لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فذكروا اشرف صفات الله وبيان ذلك انهم انما عرفوا سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا السائح في الارض على مثل طريقتك من المتقين بالله الاخلاص له في عبادته نعبد الهك لعلمنا بهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود اباءك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واحدا بدل من الهك مثل بانا ناصية كاذبة وانتصب على الاختصاص للمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحل النصب الحال من فاعل نعبد او من مفعوله لوجوع الضمير اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قابل لها ما كسبت اي ثوابه يريد انه اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا اما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان لم تفعلوا خسرتم انتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفرانهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال ﷺ يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد اعملا لما عندي فاني لا اغني عنكما من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في نفسه فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك وما وقع لاما اراده العبد ليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فلا يستحال من العبد ان لا يتصف به اذ الم يخلق فيه استحال ان لا يتصف فاي معنى لكون العبد قادرا عليه والذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بعد الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا لذا وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فتعين ان يكون بقدرة العبد وعن الباقين ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وبان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فنهي المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق لكل شيء بمعنى انه سبحانه هو الذي وضع الاسباب المتادية الى حول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به الى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جهم والمعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب قول الاشعري اقرب الى الادب في قول امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى البعد الى ان ينتهي المسبب الا

وفاعل الكل

البقرة

وفاعل الكل ومبدأ المبادي والباعث الاختيار بعقلك ودون هوى التأويل من قوله وإذ ابتلى ابراهيم ربه بالكلمات فأتمهن الابتلاء كالمهب للذهب فان صدقه ولاء اشد هم بلاء وأتبلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المأمول وهو حيات الخلة النبرى عما سوى الخليل التي يرى بها المشركون وعداوة الخليل فأتمهن عبد قوله الاذب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبريل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به عند مجيء الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به وإذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف ناوب فقال افرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة يرجعون اليه بالطاعة وزواري كما يرجعون الى الكعبة في الصورة وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكايده حين بلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان اصل الشيطان في مياديين الصدر كما قوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام ابراهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الاعزى كما قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الاية لما اهبط ادم الروح الى الارض الجسد فقد ما كان يجده من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ابوتية القلب من جنة حظيرة القدس له يا ابانا اشرقي الى خطيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وتاب عزى الى عالم الجسد فيه قنادبل العقل وانزل حجر الدرة لمخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان افات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفارت تنور الشهوات نبع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجب سنا رخواطر العناصر الاربع واجرى حجر الدرة في الى قبيس صفات النفس فلما ابرهيم الروح بعد الباقي ببناء بيت القلب وعمارته من جبل ابي قبيس اركان الاسلام وقد هدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين بجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء بالجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وبناؤها ابرهيم الروح وهو ينبغي ان يبلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الدرة من اسار صفات النفس الهوى فوضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغ من رفع قواعد بيت القلب سأل ربها الاستدلال باحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا الذريتها المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وان يبعث فيهم رسولا منهم لان من الخارج فمن اين يكون له في القلب سبيل وارد من الحق وهو السر الذي يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابرهيم الروح يوصي لمولدته من القلب صفاته النفس صفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس الاعضاء والجوارح كلها ملة ابيك ابراهيم الاية اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد يخلص متضرع اليه محى ظهر ازاره انوار تجلية على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه ويخصه بكلمهم فيعبدون الها احدا لا منفرقا من الهوى والدنيا والاخرة والله الموفق وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

(والفتنة هاهنا ان كونوا على دين اليهود او النصارى تشوبدا ترسا تا كه هدايت يابيد بلكه متابعت كنيم ملت ابراهيم را كه ستوده است ومنسوب است از منه كان

قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى و

بگويند كه كرويديم بخدا وانچه فرستاده شد بسوى ما وانچه فرستاده شد بسوى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب واسباط وانچه بموسى رسيده وابن چنين

عيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا

عيسى وانچه فرستاده شد پيغمبران از پروردگارشان جدا نكنيم ميان هيچ يكى از ايشان ومامر او را تسليم كننده ايم پس اگر كرويدند بانچه كرويديد شما پس بتحقيق راه يافتند

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون

واگر روگردانيدند پس جز اين نيست كه ايشان در خصومت وستيزه اند پس زود باشد كه كفايت كند ترا خداى از ايشان وهو السميع العليم رنگ خدا و كيست بهتر از خدا در رنگ كردن وما مر او را پرستندگانيم

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل

بگو كه ايا بحضوت در ما ميدهيد ما را در باره خداى كه او پروردگار ماست وپروردگار شماست وما را جزاى كردهاى ماست وشما را جزاى كردهاى شماست ونحن مخلصون يا ميگوييد كه ابراهيم واسمعيل

واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله

واسحق ويعقوب واسباط بودند جهودان يا ترسايان بگو كه ايا شما بهتر ميدانيد يا خداى وكيست ستمكارتر از انكه مخفى دارد گواهى را كه نزد وى است از خداى

بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم

بيخبر از كردهاى شما انگروه كه درگذشتند مر ايشان راست كسبشان ومر شما راست كسبتان ونپرسند از كردهاى ايشان ابن عامر وحمزه وعلى وخلف عام

عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا

از قبله ايشان كه بر آن بودند بگو مر خداى راست مشرق ومغرب راه مينمايد هر كه را خواهد بسوى راهى راست وهمچنين كرديم شما را امتى ميانه تا

الفاتحة

غير بكر والحمد والمفضل البافون بناء الغيبة الوقوف هتد الطاء المشركين من ربهم ثج لطول الكلام والاستيناف والاصل فخالى اى مباعدين منهم

جهتكم

لاحتمال الابتداء والحال وجهه مسلمون هنا وج لابتدا شرط اخر مع العطف شقاق ج للابتدا لسبق الوعيد مع دخول الفا فسيكفيكهم الله ج لاحتمال الواو والابتدا العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قوله امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض من صبغة الله لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو والابتداء او للحال وللعطف على امنا عابدون ورب كم ج لان الواو ويصلح ان يكون عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون ط لمن قرا ام يقولون بياء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكون ام معادلة للهمزة في تحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعلمون ط فدخلت ج ما كسبتم ج يعملون ج الجزء الاول من التلثين التفسير بينهما بين بالابد المقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من البعد بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقدم مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله قل بل ملة ابرهيم اى تكون اهل ملته مثل اسئل القرية اى اهلها او بل ملة تتبع ابرهيم قرئ بالرفع اى ملتنا او امرنا ملة او نحن ملة حنيفا حال من المضاف اليه كقولك ايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او شبهه ج يشتمل على فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقط الالف لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف لما مال عن كل دين باطل الى دين الحق وتحقيق ازالة ما حاصل الجواب ان المعنوي في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى هذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابرهيم نبه على تهتهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا فالواعزير ابن الله والمسيح بن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد خالص الاسلام في شئ قولوا للمؤمنين يجوز ان يكون للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والاقامة على الباطل كذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اى اتبعوا ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما لم يظهر المعجز على يد محمد وجب الاعتراف بنبوته والايمان به بما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد نقيض المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لكافة امته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان معرفة النبي في الكتاب موقوفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب قيل السبط الحافد وكان الحسن الحسين سبطي النبي فهم حفدة يعقوب وادى بنائه الاثنى عشر عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما هل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الدين ما وصى به نوحا واحد معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه نحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فالجزم لا نخصه بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هو ولما بين الطريق الواضح في الدين هو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة بعضهم في مثل هذا الايمان وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك دليل على ان الامر مبني على الفرض والتقدير فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم وما والته في الصحة والسداد فقد اهتدوا والكن لا دين صحيحا سوى هذا سلما منه عن التناقض بخلاف غيره فالاهتداء لا محالة ونظيره قولك للرجل الذي تحثه عليه هذا هو الراى الصواب فان كان عندك راى صوابا منه فاعمل به فقد علمت ان لا صواب من رايك لكنك تريد بتبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راى وراءه وقيل الباء للاستعانة كالالصاق والتمثيل بين القصدين تراى فان دخلوا في الايمان بشهادتكم مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالغرقان من غير تحريف وتحريف فان امنوا بمثل ذلك في التوراة فقد اهتدوا لانهم يتلون بالى معرفة نبوة محمد وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تم وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قبل لهم ولم ينصفوا فانهم الا في شقاق خلاف عداوة وهو ماخوذ من الشق كانه صار في شق وصاحبه في شق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم ومن المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه يؤذيه في صف القتال بذلك ليدل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به الدوائر فسيكفيكهم الله تم والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم وناهيك به من كاف كافاه ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين ذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة قولهم لن يفعل نفي ما فعل ولقد انجز وعده غما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم هذا الخبار بالغيب كم مثله في القران وكان ذلك مما يدل بانجاز النازل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد رسول الله اى يسمع دعاءك ويعلم نياتك اعلا كلمة الحق واعلاها فهو يجيب لك لا محالة ووعيد الاعداء اى هو منهم بمرئى ومسمع يعلم ما يسرون من الحسد والغل فيكافيهم على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه قيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اى عليكم

صبغة الله

صبغة الله مصدر مؤكد منصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اى عليكم صبغة الله وفيها قلب النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التى يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس فصار ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم امنا وصبغنا الله بالايمان لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار غرسنا كما يغرس فلان تريد بذلك ان تصطنع الكرام وتظهر انا نحن مستمرون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا فى الشراء يدخل فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهوه وهيئته عن صاحبه سيماهم فى وجوههم من اثر السجود من كثرة صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذى حس سليم كما يدرك الالوان وقيل صبغة الله فطرته قول ذلك ان اثار النفس لا مكانى لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يدارج منها الى وجود الصانع والايمان به قبل صبغة الله الختان وقيل حجة الله قبل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز كما فى احسن من الايمان بالله الدين الذى شرع لكم لتطهركم به من ارجاس الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا ما المحاجة فى امر ما قولهم نحن حقيق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما للمشركى العرب حيث قالوا لو لا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم هودا او نصارى تهتدوا واما الكل والمعنى اتجادلوننا فى شان الله وفى دينه وهو ربنا وربكم وللرد ان يفعل بربوبه ما يعلم فيه مصلحة ويعرفنا هذا لا عبيده كلام موضح فى ذلك لا يختص به عجم دون عرب ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم كان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس به الاعتبار ولكن نحن مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يوهل اهل اخلاصه بمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قراء بناء الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام انكارى بل اتقولون والهمزة للانكار كما فى اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى الاستفهام الاول اى الامرين تاتون الحاجة فى حكمة الله ادعاء اليهود النصارى على الانبياء انكارا عليهم واستبعادا لان يبعث منهم وعن الزجاج بل تحتجون تعقلون فى امرنا انا الموحدون نحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قراء بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعا لانقطاع الاستفهام الاول بالكلية قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وضرب صدوده لما اخبر ان التوراة والانجيل والقرآن بانا برهيم ما كان يهودا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وكانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر نقيض ما ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد باءوا بالخطاء وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فان قيل ما الكلام اما التنبيه او الاستفهام ومن اظلم من كتم شهادة عنده من الله وقوله من الله ما ان يتعلق بالظلم والمعنى لو كانوا يعلمون ان ابرهيم ونبوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه كان الظلم من الاعدل اشنع واما ان يتعلق بكتم اى لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم امنع بقيها عند الله وكتمها اخفاها ان منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندى شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى لا احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءه من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لو كتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعرضوا بان اهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولا ضرابهم ولو ان احدا كان يغفل عن قبيل ملك بجازى لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذى يعلم اسراره ويبدد عليه انفاسه فكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره تلك امة اشاره الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت لانه يهمنا الغرض اخر وهو نجوهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان ادبانهم لا تنفع الا اربابها لا تدرس اثارها واعظم اثارها والان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان الساطع فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون العاؤه ولا يسئل المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسئ وكل بعمله مجزى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

بجزوان از مردم كه چيره كردانيد ايشانرا از قبله ايشان كه بودند بران بگو كه مر خداير است مشرق ومغرب راه مينمايد الله هر كسى را كه بخواهد براه راست

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى

وهمچنين كردانيديم شما را كه بهترين امتيد تا گواه باشيد گواهان بر مردمان وبود پيغمبر گواه بر شما گواه وقرار نداديم ما ان قبله را كه

كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله

كه بودى تو بران مگر از بهر آنكه متابعت كند پيغمبر را از آنكه برگردد بر پشنه خود وهر چند اين تحويل قبله بر تو گران آمد مگر بر انانكه هدايت كرد ايشانرا او چنانست خدا كه

ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك

بيارجانند كرديدن شما را بدستيكه خدا بمردمان هر آينه صاحب رافت است بدرستى كه مى بينيم گردش روى تو را در سوى آسمان پس هر آينه بگردانيم ترا بسوى قبله كه خوشنود شوى پس بگردان

شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله

طرف مسجد الحرام ودر هر جاى كه بوديد پس بگردانيد روهاى خود را بجهت او بدرستيكه انانكه داده شدند ايشانرا كتاب هر آينه ميدانند كه آن حق است از جانب پروردگار ايشان وخدا

بغافل عما یعملون ولئن اتیت الذین اوتوا الکتاب بکل ایۃ ما تبعوا قبلتک وما انت بتابع قبلتہم وما بعضہم بتابع قبلۃ
بعضی از آنچه میکنید واگر کوری را داده شده اند کتاب را بهر علامتی پیروی نکنند قبلهٔ ترا و نیستی تو پیرو قبلهٔ ایشان را و نیستند بعضی از ایشان پیرو قبلهٔ
بعض ولئن اتبعت اھواءھم من بعد ما جاءک من العلم انک اذا لمن الظالمین الذین اتیناھم الکتاب یعرفونہ کما یعرفون
بعضی هر آینه اگر پیروی کنی خواهشهای ایشان را از پس آنکه آمد ترا از دانش بدرستی که تو آنگاه از ستمکاران باشی آنانکه دادیم ایشان را کتاب میشناسند او را چنانکه
ابناءھم وان فریقا منھم لیکتمون الحق وھم یعلمون الحق من ربک فلا تکونن من الممترین ولکل وجھۃ ھو موللیھا
فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هر آینه میپوشند حق را و حال آنکه میدانند که حق از جانب پروردگار تست پس مباش تو البته از خصه کنندگان و از برای هر یکی طریقتی است که ان مدبر او را
فاستبقوا الخیرات این ما تکونوا یات بکم اللہ جمیعا ان اللہ علی کل شیء قدیر ومن حیث خرجت فول وجھک شطر
پس پیشی گیرید بخوبیها در هر جا که باشید بیاورد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر هر چیزی تواناست واز هر طرف که بیرون شدی پس بگردان روی خود را جانب
المسجد الحرام وانہ للحق من ربک وما اللہ بغافل عما تعملون ومن حیث خرجت فول وجھک شطر المسجد الحرام وحیث
مسجد حرام وبدرستیکه ان هر آینه حق است از پروردگار تو نیست خدا بغافل از آنچه میکنید واز هر طرف که بیرون شدی پس بگردان روی خود را جانب مسجد حرام و هر جا که
ما کنتم فولوا وجوھکم شطرہ لئلا یکون للناس علیکم حجۃ الا الذین ظلموا منھم فلا تخشوھم واخشونی ولاتم
که باشید پس بگردانید روهای خود را جانب آن تا نباشد از برای مردمان برشما بحثی بجز آنانکه ستمکردند از ایشان پس نترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام
نعمتی علیکم ولعلکم تھتدون کما ارسلنا فیکم رسولا منکم یتلوا علیکم اٰیاتنا ویزکیکم ویعلمکم الکتاب والحکمۃ
نعمت خود را بر شما و شاید که شما راه یابید چنانکه فرستادیم در شما پیغمبر را از جنس شما که میخواند بر شما
ویعلمکم ما لم تکونوا تعلمون فاذکرونی اذکرکم واشکروا لی ولا تکفرون
و بیاموزد شما را آنچه نبودید که میدانستید پس یاد آورید مرا تا یاد آورم شما را و سپاس کنید مرا و کافر نشوید بمن

البقرة

والمؤمنين عن القبلة لما كان الشقّ عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي المغرب قبلة النصارى وهي المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه حدا الى غيرهما بين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اى بلادهما والارض كلها والجهات تابعة ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد تمام رواية النسخ انه تقدم فاعل الما يشاء كما يشاء الا اعتراض لاحد عليه كالا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد افعاله تقدم لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب فهامهم لبعضها وجوها مناسبة لما تعين القبلة في الصلوة فالحكمة فيان للانسان قوة عقلية بدل الحيوانات والمعقولات بها وقوة خيالية تتصرف بها في عالم الاجسام وقلما يفك العقلية عن الخيالية وانما تنالها كالمهندس يضع في ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا يصير الحس والخيال معينين على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك في القراءة والثناء يجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة واتيان الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون ونزك الالتفات وكل ذلك الا اذا بقي في جميع صلوته مستقبل الجهة واحدة على التعيين اذ الخصص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى واتيانه تقع بحسب الموافقة والالفة بين المؤمنين فدعى عليهم بذلك واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وتوجه كل واصل الى جهة تقوى مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق واتيانه كانه تقع يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي فلبك عرشي والجنة اكرامي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى بؤبؤ اكرامي واتيانها اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كانت بجانب الغربي اذ تضيفنا الى موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد منه خلق الانوار وكل جلد دار الفلك الدوار واتيانها المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى بينهما قبلة ابراهيم محمد خير الامم واوسطها واتيانها الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبان الطيب واتيانها العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المحبين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سيناء وبنا وجودي ولبنان وحراء فان كان عليك مثل هذه الجبال نورا فالبيت الكعبة حاجا او معتمرا او متوجها مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك واتيانها لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت عنايتهم في توجهها اشد واتيانها لليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة وبتكرير ذلك قلوب المسلمين فازيل تسويلهم واتيانها الكعبة منشأ محمد فتعظيمها يقتضي تعظيمه تعظيما يعين على قبول امره ونواهيه فبمقدار خشوع المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى فهدى اى كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى الوسط قبل فجعلنا امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل يتصرف الى قوله وتلك الشرقي والمغرب اى كما خصصنا بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف بالتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة اكراما منا وامتنانا مع تساوي الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من الشهور المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيره جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لا تظرف جلست وسطا اذا دخلت في تخرقهم كل موضع صلح فيه بين فهو وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اى بين الجيد والردي امة وسطا اى عدلا قال هميم شعرهم وسط يرضى الانام حكمهم اذا تزلت احدى الليالي بموجد وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجادات قال في الكشاف اكرمت بكم جعل العرب افعل اعطى من سطاهن اى من خيارهن ومن الدنانير وبويه قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس فانما الطق الوسط على الخيار لان الاطراف يشارع اليها الخلل والعيب الا ترى ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما وصف بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع المذكر والمؤنث يكونون شهداء على الناس لاكرمون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على امهم الذين يكذبونهم روى ان الامم يجحدون تبليغ الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من این عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيزكيهم يشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تميز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق

ل استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا الذى فليجعلنك تلى بمهاد وسمت بيت المقدس ترضاها تجهها وتقبل اليها لا غراضك الصحيحة التى اقتضت
ووافقت مشيئة الله تعم وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله يجب ان يكون رضى لا يسخطها كما ضل من انقلب على عقبيه قبل ترضى عاقبتها لانك
تمم بها الموافق عن الباقى فى قوله وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص وشطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته قال الجوهرى المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد النصف من جميع الجوانب فاخبر بهذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وتقف بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثانى دون الاول عن ابن عباس بينما الناس بقبا فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد المسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك قال الخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة
قال الخرون القبلة هى المسجد الحرام كلا واعلم ان الواجب عند الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا نظرا لقوله تعم
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعلم الكعبة من النبى بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة بما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغير مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة ويوافقه القول الاخر للشافعى فيجزاه جهة الكعبة كافية لان فى استقبا
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد لان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والكنفى
فى الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها
تحتاج الى الدقة النظر قول بناء لهم ثم لم ينكر النبى عليهم سمى مسجدهم بذلك القبلتين لان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلايل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلايل واجبا ولم يذهب اليه احد لا نضاف ان القول الاول اقرب الى البعد واصابة العين للبعيد
غير بعيد فانه من يقطن فى الارض فى النساء الا ويمكن ان يوصل اليها بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيم ارضية دارة
بقدميه موضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس قل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدايرة الهندية وغيرها وما
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد رهنا على كثير منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار واهوائية وهى الرياح وسمائية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل وشماله او قدامه او خلفه وكذلك
الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السمائية ففى الشمس والقمر اذا كانا على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك
ام على العين اليمنى او على اليسرى تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية فيما نعلمه هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر ويعرف
وقت الغروب بها تغرب عن يمين المستقبل وهو قائلا الى جهة قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس ويحاط مشرقا لصيف والشتاء ومغربها وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاه المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل فى بلده فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال
السفر فحينئذ انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة ذلك لا تدل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كما كان الصلوة وشرايطها قوله تعم وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان الخطاب للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل ان يكون الخطاب مختصا بأهل
المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل فهو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله تعم فاينما تستقبلوا فثم وجه الله والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا فى حالة الخوف واما نافلة يجب فيها الاستقبال الا فى حال الخوف فى السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى
كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن بعض فرق وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مضطرة او لا حراف بها والا فلا لما روى ان النبى كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث

البقرة

وجده كما بيناه ما عدا الاشتراط عند الصغو فلدفع المشقة واختلال الامر المشروع ما عليه ما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان الا الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الامام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب المعاسيف الذي لا مقصد له وخصه تولك الاستقبال في النفل لركن الثاني القبلة المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم تحيز في استقبال الى جدار شاه ويجوز ان يستقبل الباب بوجهه ان كان مردودا وان كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرجل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرجل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده يسامت بعظم بدنه الشاخص في احد مت الكعبة حائطها وبقي هو موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس الى الكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت لو صلى في العرصة فالحكم كما وقف الان على سطح الكعبة فان لم يكن بينه وبين شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرجل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد الحرام وجب عليه محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه الا مام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستدبرين البيت والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في خراب المسجد صح صلوتهم لان البعيد يزداد محاذاته بينه وبين ذلك اذا وجعلت البيت راس مثلث ملتاوى الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى اتجاه محراب النبي بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا تقر على الخطا فهو صواب قطعا فيه سوى سائر المحاريب عليه في مصلى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله ﷺ اذا ضبط المحراب كذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرق التي هي جادتهم تعين التوجه اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي بناؤها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في البناء من تتبع طرق المحراب الرسول ﷺ فلا ولا يجوز الاجتهاد في الجهة في شئ من محاريب المسلمين لان الخطا منهم في الجهة بعيد بخلاف البناء من البناء ويقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من الحج بناء سرداب اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او اماراة اخرى فلا يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره عن علم وكان المخبر من يعتمد بقوله رجع الى قوله ولم يجتهد ايضا كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر يأخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الحوادث اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شئ ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد لا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما في نصب المحاريب في المواضع التي يعتاد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبرين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد من يخبره من علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر له بمعرفة دلالة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل كالجبال والحوائط كالابنية ولو حقت الدلائل على المجتهد بغيم وحبل وتعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصيرة فالواجب عليه التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل والمراة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين فلمن شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضا وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان ظن لاحد الجهات بان له الخطا يقينا او كان دليل الاجتهاد الثاني ارجح ولم يشرع بعد الصلوة عمل يقتضي الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان يقن الخطا قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد في اثناء الصلوة انحرف الى جهة هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرنا ها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود وعلماء النصارى عموا للفظ ولشمول الكتاب التوراة والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن اسلافهم ايضا وهو خاصة الكتاب التوراة والقرائن الحق ما انزل الله على رسوله اي مع شرعه نبوته حق ليشمل امر القبلة وغيرها واما هذا التكليف الخاص هو ان يعلموا بالمقام وذلك ان علماءهم عرفوا في كتبهم بنياتهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل وانهم كانوا يعلمون نبوة محمد ﷺ بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي ﷺ فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمكابرين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب عن عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قبل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم وبحرا عنادا بانهم لا يكفي فيه بل الذين يعلمون يقلبونهم ثم يقولون الحق فهم المتبعون للهوى ونوقش بان كلا منهما يجب هو وقالوا الايتان المكتفتان بهذه الاية تخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع المعظم لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصها تخصيصها قالوا الخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا ذا العناد المتحير وردبان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب من بحمد ﷺ واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجماع لا ينافي اتباع البعض بكل آية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف سادّ مسدّ جواب الشرط واللام في ولئن الموطئة للقسم والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك لان بعضهم قد ترك اتباعك لا لشبهة تزيلها بالبراهين المحكمة بل عنادا ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه ستصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصيته وانما وحد القبلة للعلم بان للهود قبلة وللنصارى قبلة اخرى ولانها بحكم الاتحاد في البطلان واخذ ما بعضهم بتابع قبلة بعض حمل على المحال الخ المعنى ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن رضاهم باتباعها وانهم مع تفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالث ان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احد القبلتين لان اليهود لا يصير نصارى او بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت كلام على سبيل الفرض والتقدير لمرتبة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب القبلة انك اذا اى اذا اتبعت لمن ارتكب الظلم الفاحش لاستصغار الرجل الكبير كبائره فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلى الله عليه وسلم وان مزيد المحبة يقتضي التخصيص لمزيد التحذير لعله كان في بعض الامور يتبع غرضهم كترك المحاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي عن ذلك الفدائية منه والبسه منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحاذم يقبل على اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا محالة يؤاخذ دون غيره بالطريق الاولى وخالفوه الذين اتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اى الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالشخصات من النعت والنسب والقبلة حسبما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد بالعلم بنبي محمد بالعلم بنبوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم بالمظنون عن عمر انه سئل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته قد خانت فقبل عمر رأسه حاذا ضما الوسوان لم يذكر له لالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير علام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يده لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون كونه النبي المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم ذلك فانهم انما حصل الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الاباء اللزوم ويقلوبهم السوء ولسانا وبافا الذكور اولى بالذكر وقبل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وفي الكل تكلف بنوعه عنه قوله ابناءهم وبيانه الحديث عمر عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلى الله عليه وسلم امر به واظهر الحق وهو ما يجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال ثم وان فريقا منهم يريد من سوء الموصين منهم ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق من ربك خبر بعد خبر او حال اى ان يكون مبتدأ خبره من ربك في اللام يكون وجهان لعهد الاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما نبأنا من الله كالذي انت عليه ما سواه كما يدعيه اهل الكتاب باطلا فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى المتخصص عالما انه منزه عنه لشدة التقرير في قوله ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه الوجهة اسم الجهة ولذلك ثبت الواو كما قالوا ولداه في جمع الولد الصبي ولما لا تجمع مع الهاء في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثانى مفعولي موليها محذوف اى هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما باشرعته واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها الصلوة التي تقربهم الى ربه وكل يرجح بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى جماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا ايتم الخيرات الدينوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابرهيم الاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين وايما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في يوم القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب المخطئ انه قادر على ذلك قيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهات مرايا تتم وهو الذي ولى وجوه عباده اليها فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يحكم واياهم يوم القيامة فيحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم ايها امة محمد جعله يصلي اليها جنوبية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المأمور بالكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة لمحاذاة الجميع الكعبة ولقراءة ابن عامر مولاها معينان احدهما ان ما مولية فقد لا والاخر ينبئه ذلك الجهة وحيث انه قبلة ولكل مخلوق قبلة فضلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة بل قبلة جسدك هي وقبلة روحك انا وقبلتك انت فاعدل المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وعند ابي حنيفة التاخير افضل لان الفضيلة الانتظار والجماعة ولما روي انه ﷺ قال اصفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رايت اصحاب رسول
حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لفوله ﷺ ما على ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه انما النزاع فيما اذا تحقق وخول
الوقت ثم تكاسل المكلف وتشاغل وبغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت فمن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت فانه وان هذا الامر للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعيد للمخالفين ووعيد للمتغافلين
واعلم ان امر التولية ذكر الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه لكن يكون في البلدة الثالثة على ان يكون خارج البلدة اقطار الارض فلذلك يمكن ان يتوهم القريب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نبط بكل واحدة ما نبط بالاخرى وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيقة شهادة النورية والانجيل
واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيقة وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فلنولينك
تكريران ومثال ذلك تكرير حيث نبط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهواك بل لهو
والمنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعدها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى تعم
الامكنة والثالثة تعم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة الحق لا قبلة
الهوى الزم هذه القبلة فانها ينقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث وسادسها هذه الواقعة اولى الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد للتقرير وسابعها قلت الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي ﷺ فلنولينك قبلة ترضاها قول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام لمن كان متوجها الى الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات تماما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض مما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يقل الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا قصر ههنا على امر النبي ﷺ دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد بل جناب الحق عن ان يكون شريعته لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد حقيقة قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص العام له ولا منكر لان اباب الاولى بعينها بعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين بين الله تعالى علم بقاء الامر
قوله لئلا يكون اي ولولا حمل هذا الغرض على تحويل اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قبل اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالف في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين توجه حتى هديناه وقبل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابراهيم والاد
لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابراهيم ثم اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد الحجة وسماها حجة تهكما او طبقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء منقطع
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق لزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر كل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا فيكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشون واحذروا عقابي
انما تم عدلتم عما الرضكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى المرء ان ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عن
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابراهيم
وقيل متعلق بمحذوف معناه ولاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال لاخشوني ولاتم نعمتي عليكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله ﷺ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان نعمة الله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذلك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول ولاتم نعمتي ببيان الشرائع
اهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابراهيم حيث قال وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه كذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم قارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فيضم اليها اخرى لا حقة حتى يكون له الفضل اولا واخيرا وبدايته

الاحوال الثانية لتعميم
فانها قبلة ح

للعموم وقيل ح

والغاية وفي رسالته فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف وكان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من اوسطهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتأدى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قدمت في دعاء ابراهيم في قوله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على ان تعداد رسله على فترة من الرسل وجهالة من الامر وتحير الناس في امر الدين انما علمهم ما احتاجوا اليه لصلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف باصرين الذكر والشكر وقدم ذكر الشكر في تفسير الجملة وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله تعالى اقول له ارجل لا تقيمن عندنا : لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المحي ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون للبس للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكر لي غير جاحد بي نعمتي وما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويمجده ويقر اكثر به وبالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه وعده ليفعل مقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكن مستغرقا في الاعمال المأمور بها فارغا عن الاشغال المنهي عنها وبهذا الوجه سمي الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على حالة تتعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالاحتضان اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء في اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتٌ بل

اى بخان كسى كه كروه ايد باري خواهيد بروزه ودمت بدرستيكه خدا بحمل كنندكان است ومكوئيد در بارهٔ آنها كه كشته شوند در راه خدا كه مرده اند بلكه آنها

احياءٌ ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

زنده اند ولكن شما درك نكنيد وهر آينه بيازمائيم شما را بچيزى از ترس وكرسنكى وكاستن از مالها ونفسها ومبوها ومژده ده صابران را

الذين اذا اصابتهم مصيبةٌ قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ واولئك هم المهتدون

آنانكه چون در رسد بآنها رنجى كويند كه مائيم در تحت قدرت خدا ومائيم كه بازكرديم بسوى او آنكروه برآنهاست رحمت بيشتر از پروردكارشان وآنكروه اند يافتكان

القراءة انا لله بالامالة فيها فتية ونصيرا وما جاورت مع ما تمنعها في الحروف لكثرة استعمال الكلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين لا موا ط لا تشعرون والثمرات ط الصابرين لان الذين صفتهم مصيبة لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدأ على الاصح من ابتداء بالذين خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون النفس الزمخشري تم لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المعاصي فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع النعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على ذلك الوصف بالصبر الصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود التذكر لآلائه الوصف الموجب للرغبة والرهبة بجذب ذلك الى ادآء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتأييد مع المتوقعين للتسديد بريد الله الذين اهتدوا هدى وقبل الصبر الصوم وقبل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله بل

احياءٌ اى هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر الصلوة في اقامة دينى وسلوك سبيلى فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوى باموالكم وانفسكم فلا تخافوا فان قتلكم احياء عندى من قتل محبه فديته ورؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن المجازيين يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم ان كانت في جوف الذئب فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحس بحياته والبه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الاثار الدالة على اثبات عذاب القبر انا يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب قال ص القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا لهم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الدين في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكرو البعث انهم لا يبعثون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان ثواب كذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات تام فلا يمتنع ان يتألم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى يضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله ص قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اى تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من ادآء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما يديكم فيه بدل المستعير امرا ولا بالشكر على كمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم خص على البث عند طروق النوائب بروق المصائب ومعنى شيء بعيان من هذه الاشياء وانما

سورة البقرة

لو قال بأشباهها لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره مضرة وباولبس مراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل فهو قوم ما بقل هو بالنسبة اليه فيه ان يتسلى معهم في كل حال كما انزا يلهم واعلم ان كل ما بلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك فهو قد مضى بمجرد ذكرك وتذكرك وان كان في الحال سمي وفاء وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال فغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها سمي القلب لذلك وجلا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك لارتياح جاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع ابن انس المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي ﷺ بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليه وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي ﷺ المدينة لقلة اموالهم حتى انه ﷺ كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه ﷺ خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال الذي اخرجني والذي نفسي بيده ما اخرجني الا الجوع وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقللون فهنالك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك ايهم لا يهبيهم ظماء ولا نصب لا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال تعالى اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد نقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب لبشر لرسول الله ﷺ ولكل من يتأتى منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهوتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبرياء تمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال واما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انضم له مع الشهوة اباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقتضي فصد العقل اياها هو المعنى بالصبر انه ضربان بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالشبات على الالام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة حضر باسم الصبر يضاده حالة هي الجزع وهي الطلاق داعي الهوى في دفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس يضاده حالة البطر وان كان في حال مباشرة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده الصخر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان ويضاده الافشاء وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر لا بجدا لانسان المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو تحمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا يائس يظهر الدمع وتغير اللون فان رسول الله ﷺ بكى على ابنه ابراهيم وقبل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى الا فليس سلوا وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس امر الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى الصابرين في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه فقال فجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر لان الصوم من الصبر قال الله تعالى في الحديث القدسي الصوم لي وانا اضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا وباتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال ما اعطي احد شيئا خيرا له وابقى من الصبر فضل الايمان لانه يترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما ايمانيا تأتي بالصبر فكل الايمان صبر لان الايمان ان كان واحدا منها فقد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة ومن النبي ﷺ من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر قال يوفى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوفى باصبر اهل الارض فيعطيه الله ارضى ان يجزيك كما جزيتهما هذا الشاكر فيقول نعم يا رب تعرض لهذا انعمت عليه فشكرك وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة الصبر ان قال ﷺ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان الشبيه بالشيء يكون اقوى كما قال شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخرجه ابو نعيم في حلية الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصمتة الا باب الصابرين فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كالنائبة والواقعة والملمة وانما كان كل مضرة ينالنا من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك او الدولة رجعت الى فلان لا يراد الانتقال بل العود ته وترك المنازعة انا لله

البرام وان كان فائدة من النوائب هي سوء الصدد وبضاده

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفسنا بالهلاك فالله اشار الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه راجعون ايمان بقدر واعلان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فهو ان يحول قلبه الى شيء والتفت خاطره اليه جعله تعالى ملتفتا للافات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما كان ادم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقي يوم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف قطع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق لما طمع محمد ﷺ من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى للبلاء ولا لرحمة تفرع يرجع العبد الى الله وقد يقع العبد من جانب خير فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذب بالحق الى نفسه صار مغلوبا الا ان لحق غالب فصيره الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كما ان العبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي ﷺ من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله ﷺ فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له مصيبة هي قال نعم كل شيء يؤلم المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله ﷺ قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فاجرني منها وعوضني خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث فقلت هذا القول فعاضني الله محمدا ﷺ وعن ابن عباس اخبر الله تعالى ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبة كتب الله له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قبل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة ورحمة اي رحمة وافية وقيل الرأفة ارق الرحمة وقدمت لان السياق للتعزية والمصاب بالفائت اهم منه بالباقي وقيل الرأفة دفع المضار والرحمة ايصال المسار وقيل الرأفة رحمة تورث رقة وانعطافا ولذلك لا يوصف الله بها وقيل الرأفة اشد الرحمة وقيل هي رحمة في رقة وقيل الرأفة رحمة خاصة والرحمة عامة فالمعنى عليهم رأفة ورحمة اي رحمة وافية وقيل الرأفة رحمة تورث رقة وانعطافا ولذلك لا يوصف الله بها وقيل الرأفة اشد الرحمة وقيل هي رحمة في رقة وقيل الرأفة رحمة خاصة والرحمة عامة فالمعنى عليهم رأفة ورحمة اي رحمة وافية واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزون بالكرامة والصواب انهم المتمسكون بما ادابه المسنون بما الزم وامر في الآية حكما فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضاءه والصبر على اداء فرائضه كما يصرح عنها مصاب الدنيا والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله تعالى والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فلئلا يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون بعد من الجزع واذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب واذا وقع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه تنفير لهم النافق وتحذير له عن الموافقة واما الحكمة في نفس الابتلاء ايضا فذلك دعوى الاخاء كثيرة بل في الشدائد يعرف الاخوان اذا قلت هذه الحمى لحلل الابلى يقولون لولا الهجر لم يطب الحب وان قلت كربي دائم قال انما يبعد يبعد محبا من يدوم له الكرب وان قلت ما اذنبت قط لتجيبك حيونك لا يغاير بذنب ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

قوله ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية قال الشافعي رضي الله عنه دل بهذه الآية على ان السعي بينهما ليس بركن من اركان الحج ولا واجب من واجباته لان الله تعالى قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما ولو كان ركنا او واجبا لقال فليطف بهما ولا يرفع الجناح الا عما كان واجبا في الاصل وقد ثبت بالسنة ان السعي ركن من اركان الحج وواجب من واجباته فالسنة بينت ان المراد من الآية رفع الجناح عما كان واجبا في الاصل وقد ثبت بالسنة ان السعي ركن من اركان الحج وواجب من واجباته فالسنة بينت ان المراد من الآية رفع الجناح عما كان واجبا في الاصل

يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل ربما كالبعث الحالي عن الفائدة والمضرة فيما تعبدنا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها
اذكره في من هذا القسم عقيب القسم الاول بقسيما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علما ان الجبلين المعروفين
بمكة زادهما الله شرفا والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما بندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفي على فعول واذا تفتحوا
الصخرة قالوا اصفاة صفوا واذا ذكروها قالوا اصفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي الصفوان حجارة ببيضاء تقدح منها النار
الواحدة صفوانة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله وهامن متعبدات ورقد شرعه الله تعالى لابنه
محمد صلى الله عليه وسلم قبل ذلك كما مر في قوله واذا منا سكنا ولبس السعي عبادة قائمة في نفسه انما يصير عبادة اذا كان بعضا من بعض الحج فلهذا قرن
بقوله فمن حج البيت واعتمر الحج لغة القصد جعل للحج اي مقصوده وهو بقية كثرة الاختلاف والتردد ويحج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه
ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك الحاج باني البيت او لا يعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم
يعود اليه لطواف الصدر ومنه سمي محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة والمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم يقصر
كالزائر ونحوه ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلب على النسك المعروف والجناح الجرح والاثم من قولهم جنح للكذا اذا مال اليه كان ما
مال الى الباطل ولان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وظاهر الآية لا يدل على احد الثلثة
بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب لا ممتنكين بدليل آخر فرض الشافعي ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله ﷺ ان الله كتب عليكم
السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك الشيء يجب لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله والمائة انه سعى فيجب علينا
اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله ﷺ خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب على ما ذكرنا وعن ابن الزبير
وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تارك شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا الجواب الشافعي بما روي انه كان على
الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طال المدة عبدا من
دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية ان كان
يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة ينصرف اليه وجوه الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة
عند بعضهم ودم البراغيث عندنا فصلى الجناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى كان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا
قال عروة لعائشة رضي الله عنها ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت
لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم كمن قرأ يطوع بالتشديد اصله يتطوع والتطوع ما يتبرع من ذات نفسه من غير
ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب عن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله
شاكر اي يجازيهم على الطاعة سمي جزاء الطاعة شكرا استعارة بجزاء المنعم وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني وان كنت
غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لك من الوقع ما لو قع على ان تنفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليه بالنشر فهو في كل ذي حق حقه وهو على
قرينة الشكر وان كان ايقاعه يحتمل التخلص من الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستانف يتناول كل من كتم شيئا من
الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سئلوا نفرا من اليهود عما في التوراة من صفته ومن الاحكام
فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين
باسباب يستحق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف لا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والجمل من القرآن اذا كان بيانه يحتاج
اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزل على الانبياء كالتوراة والانجيل والهدى
ما يحتاج اليه من الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة لا يفهم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يتضمنه من الفوائد لقوله من بعد
ما بيناه فهذا يدل على ان الكتاب يشمل كون خبر الواحد حجة بالاجماع والقياس معا لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لانه لو لم يظهره البعض صار بحيث يمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم
لا يجوز ان يكون كل واحد منهما عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون فتواتر الخبر واجيب بان التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم حجة
للعلم ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار دليل على وجوب العمل بالذي اظهره لا سيما وقد قال الا الذين تابوا

الجزء الثانی

وأصلحوا وبينوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية على عدم جواز أخذ الأجرة على التعليم لأنها دلت على وجوب التعليم ولا أجرة على أداء الواجب قيل في الكتاب بني في التوراة والإنجيل من نعت الرسول ﷺ من الأحكام والمعنى ما تضمناه بحيث لم يدع فيه موضع إشكال فعدد إلى ذلك المبين المضمن فكتموه وليسوا على الناس وقيل أراد بالمنزل الأول والثاني بالحد القرآن أولئك تبعدهم عن رحمة الاعتبار يلعنهم الله يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون الذي بدأ في منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الأرض وهوامها فإنها تقول منعنا القطر بشوم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لأنه نعتهم وصفهم بصفات العقلاء مثل والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقالوا الجلودهم لم شهدتم وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير لها لو كانت عاقلة كانت يلعنهم أولاها في الآخرة إذا عذبت وجعلت من العقلاء فإنها يلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل أن أهل النار يلعنونهم أيضا لأنهم كتموهم الدين كلما دخلت أمة لعنت أختها وعن ابن مسعود إذا لا عن الملاعنان وقعت اللعنة على المستحق وإن لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله سبحانه وعن ابن عباس أن لهم لعنين لعنة الله ولعنة الخلائق فإن ذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسأل ما دينك ومن ربك فيقول لا أدري فيضرب بمرزبة يسمعها كل شيء إلا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته إلا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت إلا الذين استثناء منهم وفيه من الحث ما فيه وقد مر أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فإن من ترك رد الوديعة ثم ندم لأن الناس لا موه أو كان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم بما يمكنهم وبينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا عند ما كانوا يعرفون به فيقتدى بهم غيرهم من المفسدين فأولئك أتوب عليهم أقبل توبتهم بأبلغ الوجوه أسقط العقاب عنهم بمجملا واضع مكانه الثواب بتفضلا بدلالة قوله وأنا التواب الرحيم إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنهم أحياء ثم لعنهم أمواتا إذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون الطراد الكفر عليهم وهم من أصحاب الكبائر مجازا لتغليظ أو يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس الملائكة والمؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المؤمن الكافر وقيل العن الجاهل والظالم مقر في العقول حتى إن الظالم قد يلعن نفسه أثناء حاله وقيل وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وإن زال التكليف عنه بالموت على أن الكافر إذا لم يكن ذوال التكليف عنه بالجنون مسقطا للعنة البراءة منه وكذلك سببا يوجب المدح والموالاة من الإيمان والصلاح إذا مات صاحبه حين لا يغير حكمه فإن كان عليه قبل حدوث الحال وفي الآية دليل على أن الأمور بخواتيمها إذا كفر ومات كافرا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار وانتصب وإن لم يجر لها ذكر بتضمين الثانية معنى الأولى وقيل لتقدم ذكره لفظا وكان اللعنة تشمل النار وزيادة ولأنها تصح في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فإنها في الاستقبال فمن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لا يخفف عنهم العذاب بل يديمه بإثباته في الأوقات بانيا على المبلغ الذي أتيح لهم حسبما استحقوه ولأنهم ينظرون إذا استنظروا من الإنظار والإمهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر إليهم نظر رحمة أعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله الناوبل للسرادق للروح والسالك بينهما يسعى ففي صفاء السر قطيع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لأمر الله وفي مروءة الروح يوصل الخير إلى أهله وعياله وفي نفسه لمراقبة أحوال الباطن ومزاولة أعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبح مر إن يصل بركات سعيه إلى سبعة أودية في الظاهر والى سبعة أطوار في الباطن وفي السبعة أقاليم العالم لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ومن كمال الفتوة بأهل محبته أن جعل آثار أقدامهم أشرف الأمكنة وساعات أيامهم أعز الأزمنة فالى تلك المعاهد والأطلال أشد الرحال وتلك المشاهد والآثار نعظم وتزار أهو هو ما لها إن قيد كان ساكنها ولبس في الدار لي كم ولا وطر حسبي الله ونعم الوكيل والحكم إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض

وخداى شما خداى يست يكانه نيست هيچ خداى جز او او بخشاينده مهربان بدرستيكه در آفرينش آسمانها وزمين

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها

وگردش شب وروز وكشتى كه مى رود در دريا بآنچه سود ميرساند مردمرا واز آسمان فرو فرستاد خدا از آسمان آبرا پس زنده كرد بآن زمين را پس از مردن

وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون القراءة لا إله إلا هو بالرفع

وپراكند در آن از هر نوع جوانى وگردانيدن باد وابر ميان آسمان وزمين هر آينه نشانهاست مر گروهى را كه درك كنند وكذلك جميع التهليل

روى الهاشمي عن ابن كثير لو ورد الأثر في هذه الكلمة وهو قوله ما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فغفر له ما تقدم من ذنبه فما أخوفني أن لا يكون هذا ذنبا إلا غفر وروى أبو الفرج عن قتيبة لا هو بالإمالة حيث كان الروح مفردا أو مجموعا وعلى خلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف حمزة نظرا إلى ما بعده وصفا خوفا إلى الاختلاف بالنفي والإثبات الرحيم من كل دابة بدل من ضمير فيها بإعادة الجار وما يتصل به معترض والأولى الوصل والرجوع بضميره التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد معناه أنه لا ينقسم من جهة ما قيل إنه واحد فالإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم من حيث هو إنسان لأن الإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم إلى إنسانين بل قد ينقسم إلى الأبعاض والأجزاء وذلك من جهة أخرى ثم زعم قوم أن الواحد صفة زائدة على الذات لأن الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا

حد تفسير الواحد

فط ولا نسلم تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا لما علوم مغايرا لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس بجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب فان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل
الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زايدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد في ذهننا واعتبرنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته فاتمة تلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدل الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زايدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعيناتها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم
وذلك محال ثم ان شيأ من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة بعرضها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضتها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغايرلهما بالانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من
امر ين اليهما الاشارة بقوله والهكم اله واحد الخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدء لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال الفرقان ان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد واحد تربد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والثانية
تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات العبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وبينهما تكذير وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين
بالمطابقة
لعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك التعريف في عالم اللاهوت حيث يبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم رح نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سواه حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين
وكان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلاجرم وقع التكليف بالترتيب الاخير ولما قال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا بجعل اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا بحصره اجزاء معنوية كما في البسايط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسايط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى الغير لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زايد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن كما يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا ينفي كون الوجود زائدا الا هذا واما انه تعالى واحد لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن
وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حال الوحدة عليه عن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا زال الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار وتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتتغرق في بحار عالم الانوار يعوذ الملك الجبار
شروق انوار الواحد القهار وذلك ان تقول انه سبحانه واحد ذاته لا قيام له وواحد صفاته لا شبيه له وواحد افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركيبهما بالاشتراك وما به الامتياز وكل مركب فهو ممكن وكل ممكن فهو مفتقر وكل مفتقر فليس بواجب لذاته واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه لان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان علومات غيره متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احياز ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته و
كون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كما يبدو لذاته بما عن المبدا بها عن الحصول لذاته مستكملة بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد مضى التقرير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء بتاديته ذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه لا جله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدء جميع الممكنات
طبع على قلبه مسحة الجلال ومركت له الخطاصار حيران فلا لحاظة للعظمة بكرة الماء ولا ظهور لضوء الشمس عند حلول الشمس كبد السماء اشتدادا
بلا اطراق من جلاله الا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله فلوت في ادبار هو العيش في اقباله واصعقه ذابدا وارومه لطيف خياله واما انه واحد في
افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد التفاوت بين مفعوليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه لتعرض للموضع بذكر
الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو وصفتها بذكر الصفتين مرجو المطلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه ما
خلق الخلق الا للرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الآية تذكر العلماء المعاني في ان ايجاد هذه الآية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه آيات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن مخصوص بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا

الفرق بين الممكن والواجب

فيهم من يتكبى التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى من طوايف العوام لم يكن مقام ادعى لزلة الاقدام الى الاطناب من هذا عن عطا قال انزل بالمدينة على السبق والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حج حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في خلق السموات والارض الى آخرها وعن سعيد بن مسرق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا له واحد ان كان صادقا فليأتنا بآية فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره كان الخلق التقدير والتقدير غير نفس المخلوقات ولو كان عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالفاسدات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوث نفس ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض فلا تفاوت المعتبرين من النحاة على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن كلامنا من جهة عينية الله تعالى خلق الله اياه وهذه الجملة هي التي صيرها وقد عد الله تعالى هذه الآية ثمان آيات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطو والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثاني ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور مادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يتضمنها الاكبر الكلي الذي مركزه كمركز العالم ومراكزها يخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا ما بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم انفصاله من الفلك الكلي جسمان تقابلهما متساويا الاوضع الغلظ والرقة تسميان المقعر والمحدب فيكون الكوكب مركوزا في الجسم المحدب كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة تختلف في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالشبيهة ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في زمنة متساوية قسيا متساوية ويحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف بخلاف ذلك فللقمر من تلك الافلاك اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج ومدير والعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان ومدير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وكل من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك بسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع افلاكها في سنة شمسية وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس تفعل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين والمشتري باثني عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب ويقرب ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال لما اختص كل مقدار بكل واحد من الافلاك بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خيره فيها وكذا اختصاص كل منها بخيز معين وكذا تعيين نقطتين من سطح الفلك المقعر مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه لصلوح ذلك وكذا حصول الكواكب في التدوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك الكلية الخوارج المراكز وابقاء التفاوت على مقادير معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام محركة بسرعة السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث تتم دورانها في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي وفي خمسة وعشرين الف سنة على ما عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا تعيين جهات الحركات شرقا او غربا وشمالا او جنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا انها حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اوائل من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية بمعنى المسبوقية بالغير فلا ابتداء للحركة بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم خرو بلون اخر كصفرة عطارد وبياض الزهرة وكودة ورخاوة درية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبينه الشمس في ذلك الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف تاثيرها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب المشتمل على تركيب الافلاك وايتلافها وحركاتها وارتباط اجرامها واختلاف اوضاعها المستبعة لاشكالها وانضمامها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير هي واقعة عبثا وجزافا فيها فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب الماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما النبات ثم تولد منهما اللبنات ثم تركب تلك اللبنات وتولد من تركبها القصر ثم تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة تقضي العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل بعد من زمرة الانعام لا من جملة الانام الآية الثانية خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي غيرها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة الشمس صح وقع القمر فيه بالخسوف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الآفاق ومن سائر اعراضها ومنافعها التي تقر طرف منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير عليم خبير واحد ملك ومليك يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع بزيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك لان الشمس اذا غابت وارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخلة الى ان يظهر الضلع المشير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعدا وان الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس

سورة البقرة

مقابلة ظهر الليل والنهار كيف يختلفان اى يتعاقبان مجيئا وذهابا بالكون لهما وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان فى الامكنة فان نهار كل بقعة ليل بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع الخالى من التفاوت الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا وما بعكس فى الليل وقد يرتقى طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار القطب الفلك الاعظم محاذيا السمت الراس فلا عمارة هناك فلا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلة لشدة البرد اللازم من قبل انحناض الشمس وكون الليل والنهار فى نفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدانيته وكذا من جهة ارتباطها بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش فى الايام والنوم والراحة فى الليالى ومن الغرايب تعاون المتنافيين على امر واحد وهو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق فى اول الليل على النوم يشبه الخلائق ولا عند النفخة الاولى يفيقهم عند طلوع الفجر يقضا هى عود الحيوة اليهم فى النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من اعجب الاشياء كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحرين بحيث لا يمتزجان وكل هذا لا مورد له الا على وجود مبدع عظيم الشان غنى عن الزمان والمكان منزه عن سمات الحدوث فى الامكان الرابعة الفلك الذى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس الفلك بالضم السكون السفينة واحد وجمع فضمة الواحد ضمة بزنة غرفة وضمة الجمع سدا نابت صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لغنى الجمعية اى المراكب التى تجرى فى التركيب بدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك الجسم كروى يحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد فلكه المغرب فلك ثدى الجارية استدار وبعد خلاف البرقيل سمى بذلك لاستدارة تقعره وصنعة يجرى فى العلم والمال ويجمع الفرس الواسع الجرى بحار فالمراد فى قوله ان فى خلق السموات والارض الخ جنس الفلك اذ ان الناقة شقشقها ومنه البحيرة هذا وقد سلف فى تفسير قوله عز من قائل الذى جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب القدر المعمور من الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقى ومنقطعا عن الغربى الى وسط العمارة خليجان واحدا ابتدئ من الغرب الخليج البربرى لكونه بحدود بربر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربى بلاد الحبشة الى ارقى النوبة وعلى الشرقى بلاد مسلى الحبشة وثانيهما الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه وسط مصر الذى على شرقى النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربى بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقى سواحل عليها قرية مدينة الرسول ثم القوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثانيهما خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربى بلاد عمان ولهذا يذهب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب واليمن وبعض الطايف وعبرها وبواديهم بين الضلع الغربى من هذا البحر والشرقى من الخليج الاحمر فلهذا سمى العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة زادها الله شرفا على سواحل ضلعه الشرقى بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند رابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه الشرقى من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقى وضلعه الغربى خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات القفا والصين وهذا يسمى بحر الصين ومن زاويته الشرقية الغربية الى ناحيته من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم يمر من خلف الجنوب على اكثر من بلاد المغرب بخلف ارض السودان وينتهى الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة والسقالبة الى بلاد الروم والشام وينشعب منه شعبتة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلى بلغار يسمى بحر روس طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة وثلثون فرسخا وزنلك النواحى مندمج نحو الشرق نماء واراض جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة وينشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طراتون فهذه هى البحار المتصلة بالمحيط اما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب الخزر وابسكون ولكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من الشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقريب من مائتين ومن عجايب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف ومنها الجزاير الواقعة فيها فقد يقال فى بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون منها جزيرة عظيمة فى قعر البحر يقابل ارض الهند فى ناحية الشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب ودورها ثلثة الف ميل فيها جبال عظيمة ومنها تخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة نحو عشرة جزيرة عامرة بنحو مدابن وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كلا التى يجلب منها الرصاص الفلفع وجزيرة سرية التى يجلب منها الكافور وغرايب البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر قال سلامتى فى السفينة فالهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بقدرته على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبها لما صبروا على شدائد كونها ولولا انه تفحص كل طرف بشئ لم يتبعث لاداء الى اقتحام الاخطار فى هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الاقطار فى البرارى والبحار فالجوهر ينتفع الحامل من حيث انه نير يحب ما اصفر وفى الاثر دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء فقد مر تحقيق ذلك فى تفسير قوله تعالى وكصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او المقدير من جانب السماء واما النكير من ماء فلان الغرض الوحدة الشخصية

او الصنعة يعني ماء هو سبب جيوة الارض كالمطر لان الارض التي تعد لان تنبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطروا ولكنها السنة التي تمطرون ولا تنبت ولا ريب ان في انزال ذلك الماء دلالة على الصانع وحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق في انزله بعد قنوط الناس ضرورة احياء جاهم البارد في نزله حيوة الارض اي حسنها ونضارتها وورواها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق الساعين فوقت الربيع في الازمان كسن الصبي في الانسان وموت الارض من يبس الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الحيثية الاصلية بالموت كما يطلب الروح فيه فلا دواء عليه لاستدامته وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيه على تحت حكم الصلة وبعض عوا الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيى عطف على انزل فاتصل به وصار الجميعا كالشيء الواحد فكانه قيل مما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اي فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لان معايش الحيوان بل حيوته بد وعلى الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي اعلم ان الحيوان اما توالدي او توالدي وكل الصنفين يحتاج الى الصانع فرد حكم بحكم ان تخصاف ال بحضرة عمران تعجب من امر الشطرنج وتعتبر صنعته ولو لعب انسان بالف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا ما هو عجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين العينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى شخصين يشتبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم من تأمل كتب التشريح وتراكيب الحيوان وتلتبع عجائب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها على ما يقضي منه العجب ويفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب لسابغة نعمه ربها الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها وفي تلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان بتنفس الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح من قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الامهوية الوبائية الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح تارة الا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا وديورا على كيفيات متخالفة حارة وباردة وغاصفة ورخاء ومن قرأ الريح بالموحدة فليس بها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا بد لا على ان مواضع الرحمة بالجمع دل كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال في عاد انا ارسلنا عليهم الريح العقيم فلم يخص اللفظة في القرآن بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر فما ادريك ما القارعة وما ادريك ما هيه النكتة السحاب المسخر بين السماء والارض يمسي سحابا بالانسحابه الهوا ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه بقاء مسخرا فلو انقلب لعظم ضرره من حيث انه يسد ضوء الشمس بكثرة الانداء والامطار ويتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره لاستلزامه الجدب والاحتياج فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند الحاجة به من عظيم رحمة الله وفي نفس السحاب من عظيم قدرته ما يكاد يتضاءل له بانبساطه وتخلخله وبسطه الافق في لحظ وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد البرق والصعقة والتطبيق الى غير ذلك من العجائب لا يكاد يخفى على كل احد كما هو موجود ومشاهد وما قوله تعالى لآيات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء الثمانية آيات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على دلالات كثيرة كما فصلنا وايضا فكل واحدة منها من حيث انها موجودة تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا واما قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الآيات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيها والاستدلال وفي الآية من الفوائد ان التقليد مذموم فيها الى تحقيقه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست ضرورية والالم يحتج الى النظر في شيء منها وانما خص الآيات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام والاعراض مشتملة في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها قادرة على الممكنين وبين كونها عالمة على المكلفين وبين كونها دالة على كل كائن لكن الحق اشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله ص وبل لمن قرأها هذه الآية فجعلها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها جعلني الله وايكم من الذين يتفكرون ويعتبرون

الوكيل ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين

وبعضى از مردمان ميگيرند كه فرا گرفته بجز از خدا انبازها را دوست ميدارند چنان دوستي كه دوستي خدا دارند كه گردن نهند بفرمانبرداري ايشان از براي خدا واگر بدانند

ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

ستمكاران كه چون بينند عذاب را كه تواناي همه چيز مختص بخدا است و بدرستيكه خدا سخت عقوبت است وقتيكه بيزاري جويند انبانا كه پيروي كرده شدند

ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك

وكرفته شدند عذاب را و بريده شد بانها وسيلها و بگويند انانكه متابع كرده شدند اي كاش ميبود از براي ما بازگشتي كه بيزاري جوئيم از انها همچنانكه بيزاري جستند از ما همچنين

يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون

بنمايد ايشانرا خدا كردارهاي انبانرا بر ايشان دريغها بر ايشان و نيستند انان بيرون آيندگان از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الارباعي ابن عامر ان القوة فان الله بكسر الالف

البقرة

بنهما بريد وسهل ويعقوب في تبرا بادغام الذال في التا وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف بزهم الله بكسر الهاء والميم ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم التاؤن بكسر الهاء وضم الميم نخا رجين بالامالة عباس وقتيبة بخلاف عن قنبل بخلاف عن البزي الوقوف بحب الله ط حبا لله ط العذاب ولكذلك جميعا لامن قرأ ان فان بالكسر فيها شديد العذاب لا بسبب تبرا وامناط عليهم ط من النار لتضمنه سبحانه وتعالى قرر التوحيد الدلائل الباهرة فيعقبها بقبيح ما يضاده فيضدها يتبين الاشياء والند المثل المناوي كما سلف المراد بالانداد ههنا هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى وندا لها الندد وقربوا لاجلها القربين وقيل بعني السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتبعونهم على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولا نرى من يستعبد نفسه بحبة الله تعالى مع علمه بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا واما الاصنام فلا يلتزمون من تعظيمهم الا نفيادهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن ترييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة انها تضرها في سلك المعبود الحق فان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وانهم على بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا بذلك ما اشركوا وانهم البرزخ لا يمنع من الاصنام بالليل تولوا تقم ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شئ شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ند الله تعالى فمن اتخذ الهه هواه يحبونهم كمحبة عبادتهم والتقرب اليهم والفيادلهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله من اضافة المصدر الى المفعول كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول انما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يحب الازم عليه الله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا زكبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من جبن وهو الاقط والسمن والنمرقام الجاعر وبهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التعجم والمجاعة ليس تجدد وامن ربها سوء العواقب انباعة واعلم ان الحلاوة محبة العبد لله تعالى وقد ورد في القرآن والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه وبروى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال ما ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبي فقال يا رسول الله صلعم متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلعم انت مع من احببت ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات يستحيل تعلقها بذات الله صفاته فمعنى قولنا يحب الله بحب طاعة الله وخدمته ارادة يحب ثوابه احسانه واما العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شئ محبوبا لاجل شئ اخر ادى التسلسل اذ كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته وغلبته والرجل الزاهد لبراءته ساحته عن المثالب فالله تعالى حقيق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى الكمال المطلق لا شئ محبوب لنفسه كلما كان الاطلاع على دقايق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم ويحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله عن الالتفات بغيره ويفنيه عن حظوظ نفسه فيديم به ببصره به يمشي وبه يتكلم بلسان الحال الا بس في حبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشغل بحظ نفسه لحظة بصرة كما قيل لا تعصي الله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع يحب الله اولياءه ومقربيه بنا وعلى عداوة ومخالفيه دلة على المؤمنين عزة على الكافرين لغير تعدي الف عين وبقي وبكرم الف الحبيب المكرم ولو بحر قرئ بالياء وان وان بالفتح والكسر فيهما اربعة تقديرات الاول ولو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها لله على كل شئ من العقاب والثواب ودناداهم ان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم ضلالهم حذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب اوهام كل مذهب يقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كهنه كقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى ما بحملا وبين يدي منه الرؤية وهؤلاء من الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب كانها الله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معمولها بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بناء الغيبة كذلك وان معناه كالاول فالجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على حذا القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان تحققها الدخول على الماضي نظم المستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلف في اخباره وقيل ان الساعة كانها قد وقعت كذا الكلام في اذ تبرا وانه بدل من اذ يرون العذاب قبل هو ومعموليه مستدير المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء من شياطين الانس عن قتادة والربيع عطاء وشيا طين الجن الذي ضاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والذي ما بالقول هو افتراء اما بطريق العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم وقد وا العذاب تقطعت عطف على تبرا بهم اي عنهم فان التقطع في معنى زال او وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل الفد نقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد السبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا والايدي على الحبل سببا حتى يزال يصعد به المراد ههنا الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب الاتباع والاتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة نمن ولذلك اجيب بالفاء

ويرى الذين ظلموا العذاب
يرى بالياء
والتاء
قرئ بالوجهين
والواو للحال اي يتبرؤن في حال رؤيتهم العذاب

كانه قيل لهم اكثروا جمع المال في الدنيا والى حال التكليف المسوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتحمل عنكم اثامكم بعد النصرة والاعانة كما تعلمون اليوم كذلك مثل ذلك الاراءة القطيع يريهم الله اعمالهم حسرات هو ثالث مفعولي ارى ومثل ذلك التبرؤ يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبرؤ نوع اراءة والمراد بالاعمال قبائح الطاعات لانهم لم يقوموا بها وضيعوها عن بكرة وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يخسرون لم عملوها عن اوبيع وبين زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي نووها فاحبطوا بالكفر عن الاصم قيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة الندم على فائت حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدور على الكشف ومنه الحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا يرون مكان اعمالهم حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يدع المرء وكيده الدنيا دار تجارة فالويل لمن يرد منها الخسارة ومالهم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم للقوي الحكم وافادة التاكيد كقولك تهم وهم يخلقون فانه يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم

ع ۱۵

حسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

ايكروه مردمان بخورند از انچه در زمين است حلال وپاكيزه ومپيرويد گامهاى شيطانى را بدرستى كه او مر شمارا دشمنى است ظاهر

انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه

جز اين نيست كه فرماند شما را بدى وبد كردن وبگويند بر خداى انچه نمى دانيد وچون گفته شود ايشانرا كه متابعت كنيد فرستاده خدا را گفتند بلكه متابعت كنيم انچه

اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء

پدران ما را اگرچه بودند پدران ايشان بچيزى از شايستگى وهدايت نيافته ومثل ايشان كه كافر شدند چون مثل انجانور است كه فرياد زند باو كه نشنود بجز خواندن

ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزه وخلف الهاشمي وابن عامر واواز كران وگنگان وكورانند پس ايشان درك نمى كنند عن البزي والقواس والحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه بل نتبكم وبل نقذف مدا حيث كان على هشام الوقوف طيبا زاى والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان مبين ما لا تعلمون اباؤنا لا يهتدون ونداء ط لحق المحذوف اى هم صم لا يعقلون التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية مسوقة للتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله انداد او حلالا مفعول كلوا او حال من ما اى الارض هو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه عن الحال الذي كان قبل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل وحل عقد الرحال رحل الدين لا يحل الا بعد مضي المدة والحلة لانها تحل عن الظهر للبس وتحلة القسم لا عقدة اليمين يتحلل بها من الحرام قد يكون حراما في جنسه كالخنزير والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير والمأذون في اكل ماله والحالي عن القيود والطيب ادنى ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف بالخبث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اى الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب المذبوح والمراد بالحلال ما يكون بجنسه حلالا او ما طاب في نفسه او عرفي الخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم السكوة اذا كانت اسما بجمع الصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته وطى على عقبه كما يعترف والفعلة بالضم وطى على عقبه اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لاحفائه قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء مما واجميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء وهي التي جاوزت الحد في القبح فلهذا قد تحظر الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما فيه يجب الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لانه وصف الله تعالى بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغاير والكبائر والكفر والجهل كلها من مامورات الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا ويغرضه ان يجره الى الشر اخر مرة مثل ان يجره من الفضل الى الفاضل فيتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ذلك المشقة سببا للتنفر عن الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم بل بالتقليد وتقليد الحق لا يوجب الا ان كان مقلد المحق لكنه قال ما لا يعلم فضلا ومستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قد يقع ذلك بالظن في التحليل والتحريم ومعنى امر الشيطان وسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر دلالة على انكم فيه بمنزلة المامورين لطاعته او قبوله وسواسه واذا كان الامر للطاع سريعا موما مذموما فكيف حال الامر المطيع وفي معنى البصراء ومزجر العقلاء اعاذنا الله بحوله وايده من مكر الشيطان وكيده واذا قيل لهم اى للمتخذين من دون الله انداد او للناس والتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس رض نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله ﷺ الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اى وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مسوقة لغرض اخص من هذا الموضع بقوله الفينا لان الفي يتعدى الى مفعول بنفسه كان مضافا في ذلك فوت الوضع الاول على الاصل واقتضى المادة وللفرق بين لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد المتعدي الى اثنين اكتفاء بما

البقرة

ورد فی الاول مع تغیر العبادة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقلید فما اعقلهم وانصفهم فلا جرم احالهم الله تعالی بقوله ولو کان لو والعطف
لا لحال علی ما وقع فی الکشاف ولهمزة الرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف کذا جواب الشرط والمعنی ایتبعونهم ولو کان آباؤهم لا یعقلون شیئا من الدین
ولا یهتدون للثواب ایتبعونهم ایضا وتقریر الجواب ان یقال للمقلد اعرفت ان المقلد جهال لا فان لم تعرف فکیف قلدته مع احتمال کونه مبطلا وان لم
عرفت فاما بتقلید آخر ویستلزم التسلسل وبالعقل فذلک کاف فی معرفة الحق والتقلید ضایع وایضا علم المقلد ان حصل بالتقلید تسلسل وان حصل
بالدلیل فما یتبعه المقلد اذا علم ذلک الدلیل ایضا والا کان مخالفا لمدلوله فظهر ان قبول قول الغیر من غیر دلیل ضلال وفی مثل الذین کفروا فیه للعلما
طریقان احدیهما تصحیح المعنی باجتماع ما فی المشبه ای مثل من یدعو الذین کفروا الی الحق کمثل الذی ینعق وهو الزاعی بالضان اذا صاح بها واما نعق
الغراب فبالعین المعجمة شبه الداعی الی الحق بالراعی فی النعق والکفرة بالغنم ووجه التشبیه ان البهیمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الکفار یسمعون صوت
الرسول والفاظه وما کانوا لینتفعون بها فکانهم لا یفهمون معانیها واما باجتماع ما فی المشبه به ای مثل الذین کفروا وکبهائم الذی ینعق والطریق الثانی التصحیح
بغیر اجتماع ای مثلهم وفی دعائهم کمثل الاصنام کمثل الناعق بهما لا یسمع لکن قوله الا دعاء ونداء لا یساعد علیه لان الاصنام لا تسمع شیئا او مثلهم فی دعائهم
الهتهم کمثل الناعق فی دعائه عند الجبل فانه لا یسمع الا صدی صوته فاذا قال الراد انا نجد کثیرا من الصدا یرد فکذلک هؤلاء الکفار اذا دعوا الاوثان
لا یسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم فی قلة عقلهم حیث عبدوا الاوثان کمثل الراعی اذا تکلم مع البهائم فکما ان الکلام مع البهائم
دلیل سخافة العقل فکذلک عبادتهم لها ای مثلهم فی اتباعهم آباءهم وتقلیدهم لهم کمثل الذی یتکلم مع البهائم فکما ان ذلک عبث ضایع فکذا تقلیدهم
واتباعهم صم عن سماع الحق والانتفاع به بکم عن اجابة الداعی الی سبیل الخیر عمی عن النظر فی الدلائل فهم لا یعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلک ان
طریق الاکتساب الکسبی الاستعانة بالحواس ولهذا قیل من فقد حسا فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فکانهم عدموها خلقة قال شابور بن
اردشیر العقل نوعان مطبوع ومسموع فلا یصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العین والاخر بمنزلة الشمس ولا یکمل الابصار الا بهما وقال
النبی ﷺ کان لکل شیء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله یکون عبادته لربه ما سمعتم قول الله عز وجل حکایة عن الکفار لو کنا نسمع
او نعقل ما کنا فی اصحاب السعیر قال ما الکتب المرء مثل عقل الهمک صاحبه الی هدی وبرده عن ردی الناوهل الذین کفروا لم یسمعوا انما خاطبهم الحق بقوله
انتم بترکیبکم الا دعاء ونداء لانهم کانوا فی الصف الاخیر من الارواح المجندة فی اربعة صفوف الاول للانبیاء والثانی للاولیاء والثالث للمؤمنین
والرابع للکافرین فما شاهدوا شیئا من انوار الحق ولکنهم قالوا بالتقلید بل نتبع ما الفینا علیه اباءنا یا ایها
الذین امنوا کلوا من طیبات ما رزقناکم واشکروا لله ان کنتم ایاه تعبدون انما حرم علیکم المیتة والدم

ای انا نکرر میدهیم شما را از پاکیزه‌های آنچه روزی کردیم شما را و سپاس کنید مر خدای را اگر او را پرستید پرستی که حرام کرده است بر شما مردار و خون

ولحم الخنزیر وما اهل به لغیر الله فمن اضطر غیر باغ ولا عاد فلا اثم علیه ان الله غفور رحیم ان الذین یکتمون

وگوشت خوک را و آنچه قربانی شد بنام غیر خدا پس هر که ناچار شود نه از روی رغبت و نه از روی گذشتن پس نیست گناهی بر او بدرستی خدا آمرزنده مهربانست بدرستی که آنان که پنهان دارند

ما انزل الله من الکتاب ویشترون به ثمنا قلیلا اولئک ما یاکلون فی بطونهم الا النار ولا یکلمهم الله یوم

آنچه را که فرستاد خدا از کتاب و میگیرند و میفروشند در ازاء بها کمی آنرا خورده نمیخورند در شکمهای خود بجز آتش و گفتگو نکند با ایشان خدا در روز

القیمة ولا یزکیهم ولهم عذاب الیم اولئک الذین اشتروا الضلالة بالهدی والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم علی

قیامت و پاک نکند ایشانرا و مر ایشانرا عذابی دردناک آنانند که خریدند گمراهی را بدل راه راست و عذاب را بدل آمرزش پس چه قدر صبر دارند بر

النار ذلک بان الله نزل الکتاب بالحق وان الذین اختلفوا فی الکتاب لفی شقاق بعید القراءة المینة بتشدید الیاء یرید

آتش این از آنجهت است که خدا فرستاد کتاب را بحق و بدرستی که آنها که اختلاف کردند در کتاب هر آینه در طرفی دور افتادند الباقون بالسکون فمن اضطر

بکسر النون وکسر الطاء یرید الباقون بضمهما الوقوف تعبدون لغیر الله ج للشرط مع فاء التعقیب علیهم رحیم قلیلا لا الان ما بعده خبر ان یکتمهم ج
للوصل او فی کلا للفصل بعض جزائهم بالبعض لهم بالمغفرة ج للابتداء بالنجی والاستفهام والوجه الوصل للمبالغة فی الانکار علی الناروما بحق ط للابتداء بان
بعید ربع الحزب والتفسیر انه سبحانه تکلم من اول السورة الی ههنا فی دلائل التوحید والنبوة واستقصی شرح اهل النفاق والشقاق من المشرکین واهل الکتاب
وذیل کلا من ذلک بما یناسبه ومن ههنا شرع فی بیان الاحکام الشرعیة لحکم الاولی ما جة الاکل للمؤمنین بعد ما عم للناس کلهم لهذا بالنظر الی الاصل
وقد یصیر واجبا لعارض کما لو اشرف علی الهلاک بسبب المجاعة وقد یکون مندوبا لموافقة الصیف استدل بقوله طیبات ما رزقناکم علی ان الرزق
قد یکون حراما فان الطیب هو الحلال ولو کان الرزق حلالا البتة لم یبق فی ذکر الطیب فائدة اذ یصیر المعنی کلوا من حلالات ما احللنا لکم واجیب بالمنع
من ان معنی الطیب اذکر هل المعنی کلوا من مستلذات ما رزقناکم ولعل اقواما ما ظنوا ان التوسع فی الاکل الحلال الا استکثارا من الملاذ ممنوع فرفع الحرج
واشکروا لله الذی رزقکموها ان کنتم ایاه تعبدون ان صح انکم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولی النعم فان الشکر اس العبادة والترکیب یدور
علی الکشف اظهارا ومنه کشر اذا کشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشکر وبالجنان یستعین بالنعم علی الطاعة دون المعصیة وقال بعضهم
شعر ولیتنی نغما ابوح بشکرها وکفتنی کل الامور بامرها ؛ فلاشکرنک ما حییت فان من ؛ فلیشکرنک عظمی فی قبرها ؛ عن النبی ﷺ یقول الله تعالی ان

الجزء الثاني

والجن والانس في بناء عظيم خلق بعد غيري ثم ذكر غيري في الجمل في الآية يباح كله بل بحصر ما هو محرم فيبقى ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقبل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وبيننا ول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا وكان تحريم ما لا يؤكل محمولا في الغير ضروري على النجاسة والبيع على الاجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كالوقيل فلان يملك عقارا حلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالتملك والجار لقوله حلت لنا ميتان ودمان اما الميتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد قال في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق بين ما يؤكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كالخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه كان الميتة لا يتناولها عرفا وعادة ولهذا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وبشهوته بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث فان علة الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن مسعود وابن عمر لقوله ذكوة الجنين ذكوة امه قال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه رد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للمخرج فائدة لان ذلك معلوم ولما روى عن ابي سعيد انه سئل عن الجنين نجيء منا قال الهرفان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله تعالى في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حياة فيه لان محل الحياة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالظفر والسن كلها نجسة لقوله ما ابين من حي فهو ميت لان الحياة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جواز استعمال الجلود بأسرها قبل الدباغ ثم اورد قال يطهر كلها بالدباغ لقوله ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحياة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهرها كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير لانه رجس ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الآية ولقوله عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله قبل وفاته بشهر لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام الباز والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اطعم الباز من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجواز الشافعي استعمال بخر العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كفجاءة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين وكاجل تحليل الكلب ان لم يكن ضرورة وكذا استعمال بخر العين كرد الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة الفرقة من الضرورة وقد نقل الاثبات عن اصحاب رسول الله وسئل عن العادة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان نجسا الكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والبعوض والخنفسا والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قال واكثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه طوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة اصحابنا على عدم ورود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا يجوز الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب والبعوض ونحوهما فان حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة منده جنة تحت عموم اسم الميتة وفي خواص كل ورد الطعام والفواكه والماء وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يسامح به سئل عبد الله بن المبارك اما حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة كنا مع اصحابنا مائة رجل سائلة فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل فيها فاخرق فقال ابو حنيفة لهذا نقول على شرط ان كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم والمرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط فيها في حال غليانها مات فقد اختلط الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها مات فقد سخنت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل كما لو ذبح المجوسي ماكول اللحم وابن الشاة الميتة وافحمها طاهران عند ابي حنيفة وفي الشافعي ومالك لا لان الابنة لا تبقى ولهما ان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل بالنجاسة بتجاوزها الميتة وبعض ماكول اللحم اذا مات وبعد ذلك في جوفه فان كان منصليا فظاهر يعبد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا كالطحال والابنة او غير مسفوح الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الابنة اياها وعند من لا يقول بذلك تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم تخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في النظم وان اجمعوا على تحريمه تنجسه اختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوزه والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بما روي المسلمين يقرؤون الاساكفة على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل المعتمر اذا رفع صوته

في جواز الانتفاع بالميتة

بالتلبيه

بالتشديد للعلم لان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته مرتد تقدم تمام هذه السورة واخرى في المائدة والانعام والنحل الان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا المعنى في سائر الاي ثم اكتفينا بما ذكرنا في المواضع الاول واستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولان النصراني اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطا ومكحول والحسن الشعبي وسعيد بن المسيب فاما مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما ألوفوا به المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ما يقولون فكلوا ان ظاهر الاية يقتضي ان لا يكون سوء هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما مقررة لاصل العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر فانتصل من الضر وهو الضيق الى الجوع مستثنى من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ما كولا حلالا لا يسد به الرمق وعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكره على تناوله مكره فيحل له تناولها اكره عليه الاضطر اليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه انما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف بغير الجور ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهي بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد للائمة في الاية قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا لا يكره نفسه فعدل الى اكل الحرام للذة ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ على مضطر اخر ولا سباغ عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني وبه قال الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلافين العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر غير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الاية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف لا اضطرارا فيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان تفور طبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى نهيه عن التعدي في الاكل وايضا نهى عن ماهية البغي والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مفصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهب اليه فريق من غير دليل يحمل في حنيفة قوله تعالى في اية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى فلا تقتلوا انفسكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه زاصال عليه جمل وقيل وحيث وايضا الضرورة يبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه ان يتوصل الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان رخصة اغاثة على السفر فاذا كان السفر معصية فالرخصة اغاثة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك برمقه لانه اذا عجز عن السير هلك فيفتات الشبع قال عبد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غنى عنها طرحها والاول اقرب لسبب الرخصة اذا كان الجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا كبيرا وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وورد ساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب كالامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول لحدوث مرض مخوف في جملة الموت وهكذا ان كان يخاف منه لطوله وتمامه لا يشترط في جميع تلك الاغلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا اثم عليه رفع الحرج والضيق كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله ان الله غفور رحيم ان المقتضي للحرمة قائم الا ان ذلك الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني كما جعل الرخصة بحث لكم ذلك ولعل المضطر يريد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر له تناول الزيادة رحيم حيث باح تناول قدر الحاجة وانما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم حيث وفقهم للطاعة ان الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب كلتهم وزوال رياستهم فعدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذه التي بشر بها اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظر السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي فلا يتبعونه ويشترون بها اي بالكتمان لدلالة التعقل عليه بالذكر وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بقرة وكل ما لان في بطنه وكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار وكقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال اكلت دمائهم ان كرعت عن بئره وتعيينه مهموز الفرط طيبة النشر اخر كانوا يستنكفون عن اخذ الدية ويعيد مهموز الفرط كناية عن طول العقوبة ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الاخرة النار كما كلهم في الدنيا الحرام فكذلك

فان الفرط هو الدرة المطلقة على المياه والهواء الجيد وبعيد مهموز مستدرك طاوس الحق

الجزء الثاني

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل يجوز خشوعها ولا يكلمهم صلا لغضبه عليهم كما هو دينا الملوك من الاعراض عند السخط
والاقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالاثناء عليهم ويقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لما ذكرهم الخسارة فان احسن الاشياء في
الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران لان دين لا يستبدلهم في الدنيا اقبح
الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار يتعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار ومن غير مبالات منهم فان الراضي بموجب
الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولا ذم اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لموجب غضب السلطان ما اصبرك على البقاء في السجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف واشتراءهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم ليكونون ويصبرون على النار للبسائر من الحال
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يتفع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام لمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها
حتى ركبوا الحوبة واتبعوا الباطل وهذا اصل في فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حق الله تعالى ذلك الوعيد الشديد لاجل ذلك الكتمان وسوء معاملتهم تماما هو باب الله نزل الكتاب
بغير جنس الكتب السماوية والقرآن بالجنس الصادق وبيان ان قد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم ان الذين اختلفوا في الكتاب لجلبة بعيد فقال الواقدي في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب التي شقاق وخلاف بعيد من
الحق والذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين الذين اختلفوا في التوراة والانجيل فقد كل منهما في
الاخر وذكر كل منهما الايات الدالة على نبوة محمد تارة وابطالها اخرى فاسدا وحرفوا كلا منهما على وجه اخر لاجل عداوتهم فيما بينهم في شقاق بعيد ومضادة
شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم موافقة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي تواردوا وهو مثل قولك اختلف
الليل والنهار اذا تعاقبا واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب فيشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من امر الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين يصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان ابن عباس يتعقب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل
البانها واحلوا بعضها حرم الله كبعض الشحوم فسبقت لا بد تعريضا بصنعهم تصريحا بجرائمهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل المنتهي حيفة الدنيا
والدم محل الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال ابو بكر الاصم سد المجاري للشيطان بالجوع وسلم الخيرها مادة الشرة والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله ويا يسمى لله تعالى عليه لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ
نيست خوبي اكه برگردانيد روهاي خود را بجانب مشرق ومغرب ولكن خوبي ايمان كسي كرده

ع ٢

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ
بخدا وروز واپسين وفرشتگان وكتابها وپيغمبران ودهد مال خود را بردوستي خويشي ويتيمان وفقيران ودر راه ماندگان
وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ
ودرنيازمندان وآزاد كردن بندگان واكنده پاداشت نماز را وداد مال زكوة را وفا كنندگان بپيمان خود را چون پيمان بستند وتحمل كنندگان درتنگدستي وناخوشي
وَحِيْنَ الْبَاْسِ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ القراءة ليس البر بنصب الواء حمزة وحفص الحرازعن عجز الباقون
ودرحال سختكاري بدعالي اكروه مانند كه بسختي مذكر ويند واكروه شب نند برهيزكاران بالرفع ولكن خفيفا البر وهو كذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد بدلا لنصب الوتوفي والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون واعني الصابرين الباسط صدقوا المتقون التفسير
هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سئل النبي ﷺ عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية فان كان الرجل قبل القرآن يقول اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك رجونا له الجنة وقبل كنا نخوض في امر القبلة واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا لشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب به صرف الهمم البر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب كانوا من المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم كثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وذم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلة فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنبئ الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر على ان يكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب على ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف فاشبهت المضمر حمل في الاختصاص من المظهر هو ولكن
بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقديرها فاضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل حل صوم اي صائم وعن البر لو كنت ممن يقرأ الفرآن
لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير تم عشر في محقق وظاهر البر امور الاول الايمان بالله وبما وصفنا وهما الايمان بالله عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بالجائز والواجب والمستحيل على من يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

والعلم بالصور

التقدير هكذا ولكن ذا البر من من وقبيل حم

البقرة

والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوب قدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الجارحة والحلية والحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز عليه قدرته على الخلق والايجاد وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الاخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين بسبب هذا الترتيب الملكة مبدأ وسطا ونهاية ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات عنى الايمان بالله واليوم الاخر وأما معرفة صالح الوسط فلا يتم الا بارسال الرسل وهو منوط بالوحي الذي يأتي به الملك فثبت ان كل ما يلزم المكلف التصديق به يتوقف حصوله في الابتداء على اجراء الله على يد الخارق لعادته مثل قول رسول الله ﷺ الصدقة خير فان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه ﷺ قال مثل الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعدما يشبع السيد عند الصحة يحصل ظن الجائع المال عند ظن الموت يحصل الاستغناء بذلك الشيء عند الموت لشبه الهبة عنده

ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء عند الصحة دل على كونه عتيقا ما لوعد الوعيد من اعطائه حال المرض والموت وايضا الهبة عند الخوف من الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب الاعطاء رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال لمحبة الله وطلب مرضاته ثم ذكر سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق فال ﷺ صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة ولانه استحقاق فان قيل تبدأ الوراثة وتجب بسببه على المال فالوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث فالجواب ان الطلوق ذوي القربى والبتامى والمراد الفقراء منهم بعد الالباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير لا والد له ولا هو كاسب فتقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وجعل بنا للسبيل لملازمته له كما يقال الطير للماء وابن الماء والشجاع اخو الحرب والناس بنو الزمان وقيل هو الضيف نزل السبيل برفعه بحامهم السائلون وهم المستطعون ويدخل فيه المسلم والكافر فقد روي عن قول رسول الله ﷺ للسائل حق وان جاء على فرس وساد سهم المكاتبون واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كما يقال له عنق والثالث الرابع وقوله واقام الصلوة واتى الزكوة وقد سلف مباحثها ثم ان الامر حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم عقفاه بايتاء الزكوة دل على ان المعطوف عليه غلب على المعطوف ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال ﷺ لا يؤمن بالله واليوم الاخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه لا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار ما يدفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي ع ان الزكوة نسخت كل حق كان في المال فالمراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة والنفقة على الاقارب على المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او معطوف على من امن والمراد بالعهد ما اخذه الله من العهود على عباده بعقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث امنوا بالانبياء والكتب يندرج فيه ما يلزم المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذر والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كان كالعقود المعاوضات او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا اوفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس الصابرين في الباساء والضراء وهو منصوب على المدح والاختصاص اظهارا للفصل المختص بالشدائد مواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والابلاغ في القبول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود كملا لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام وضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة المدح والذم ان اصل المدح والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر عنه فقال له قائم زيد فربما اتهمه السامع على بدل فان ذكرت والله الظريف ونكرت العامل فقلت هو والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي لزيد الظريف والعاقل والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لانهما ليسا بفعلين وحين الباس القتال في سبيل الله والجهاد واصل الباس الشدة اولئك الذين صدقوا في ايمانهم جدا وفي الدين واولئك هم المتقون نظيرهما تين الجملتين في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون كانه قيل المستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين بهم قد صدقوا في الاسلام وهم المتسمون بسمة التقوى في كل منها منطوون على جميع الخيرات ومستحقون لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواو في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرطه ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يسم بالبر فلا ينبغي ان يظن الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في الباساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند اجتماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من حروف

الانبياء والحواريين ليس بعدان يوجد لامة موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في النبي ولا سيما بنبينا محمد ثم ان اهل الكتاب كانوا خلوا بجميع رضا البر خلوا بالايمان بالله قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود والمجسمة من النصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبريل عدو لنا كفروا بالكتب لما وبالرسل فآمنون ببعض الكتاب ونكفر ببعض قتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولا يفون بعهدهم ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في الالواء ان يصبروا على طعام واحد لا حين لبأسهم فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث رضوا بالبر والاشتركوا في واحد من اجزاء البر فهم وهذه غاية التحير وغاية العناد والله بصير بالعباد انا وبل لكن البر ليس البر بركم بتوليه وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر الحقيقي هو بر معكم بتوليه وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبة بلمؤمنوا بكلا لانور بر يحبكم بر يحبكم تبغونكم بر يحبكم وبر يحبكم ليس بحديث كبر كم ومن بل هو بر قديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل محبتي وهم النبيون فالجنة عالية لهم والنار على من عداهم حاصل للعبد من بر الحب فاما ان الاسرة من عواطف الحق ينفقه على حب جبلية باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية وهي القربى وهم الروح والقلب والسر وافراد الحق والبساتي المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم والخيالات والمحسوسات والموهومات والسائلين الداعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب فك قبة السر عن اسر تعلقات الكونين فحق اقام صلوة الحاضرة مع الله بالله والى ذكوة موهبة الحق الى اهل استحقاقها من الخلوق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في باساء مرضاة الحق وضراء مخالفات الحظوظ وحين البأس وقت الوجود عند لقاء الشهود وحين بأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا بدل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد

اى كرده مردمان بجهالى كه نوشته شد برشما قصاص در كشتكان وان چنانست كه ازاد بازاد و بنده بنده

والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن

وزن بدل ازرن پس هر كه بخشيده شود قصاص صاحب برادر خود پس دريد متابعة معروف ست و ادا كردن وى باحسان ازين سبكبارئ است از جانب خدا و مهربانيست پس هر

اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون الوقوف في القتل بالانثى

در گذشت پس ازاين پس مر او راست عذابى دردناك و مر شما راست در قصاص زندگى اى صاحبان خرد كه شما پرهيز كنيد كان العفو عطاء الدية صلحا فكان

خارجا عن اصل موجب القتل مستانفا باحسان طوعا من غير شرط لان الاعداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا ايتم متقون التفسير هذا

حكم اخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لانهم

كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل من الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند اولياء المقتول فقالوا اما ان تريدوا قتل احد ثلث قالوا وما هن قال تحيون ولدي وتملأون داري من نجوم السماء او تدفعون الى جملة قومكم حتى اقتلهم لا رضى اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف ضعف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقبل ترك القتل في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على انه تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص من تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك قصصت فلانا اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص تعارك جاندير وقوله في القتلى اى بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة بل اى بسببها ظاهر الاية يدل على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم جمعوا على خبر القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلما مسلما خطاء الا ان العام الذي مثله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك اما على ولي الدم وهو مخير بين القتل والترك بل هو مندوب الى الترك والعافين عمر التاسع اما على الجنى ليس له ان يعفو القصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على تقدير القتل لا بوجب نفس القتل فلما عن الاول المراد بايجاب اقامة القصاص على الامام او من يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فانه يجب على الامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاء القصاص بل الزاني والسارق والحرب من الحدود ولما ايقان يستر الله فلا يعترف فكان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي اكثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية بعيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي يجب عليها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عند ذلك والا جرح وقتل وكذلك ان حرق الاولياء بالنار احرق الثاني

مأذ

مان في ذلك المرة والاجزت قتله روى انه ﷺ قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله ﷺ بان يفعل به مثله
ولانه يجوز ان يقال كتب التوبة في القتل الا في كيفية القتل وحيث لم يتبين دخول اليقين الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالسحر
لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح لوم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص هو منه وايضا لوم يفد الاية
الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة
مماثلة النفس بغير السيف ولقوله ﷺ لا قود الا بالسيف نقول اعلى ان القاتل ذا مرتبة اصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع لكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا فيه
منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث الشفي ومنفعة لسائر
المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك اي لحر مقتول
بدل الحر ثم فيه قولان الاول روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين الانثيين كان
الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا كان ذلك الحر مقتولا بغير حق وهو ينافض الاية وكان هذا القول
خارجا بمخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص والجواب على الحر بقتل العبد اما ان التسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك
وقالا اذا قتل العبد بالعبد فلا يقتل الحر وهو قوله الاول وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان
الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى وبروى عن عمر بن حزم ان
النبي ﷺ كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني وبروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر
بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام كان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص
الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد ما نافيا من ذلك تناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر مختصر
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله ﷺ النفس بالنفس وقوله ﷺ المسلمون تتكافاء دماهم
وقد يقال الجماعة يواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي والحسن البصري ان هذه الصورة هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما
في سائر الصور هي اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فاذا حر قتل عبدا
فهو به فان شاء مولى العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به وقد
فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد اسقطوا قيمة العبد من دية الحر واعطوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد
وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه واعطوا بعد ذلك نصف دية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا دية منها واذا
قتل المرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية
ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله
تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير طائفة من السير لا يصح ان يكون شيء في معنى
المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له والجواب انه يتعدى بعن الى
الجاني وباللام الى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له عن
بعض العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفي عنه بعض الورثة ثم اه فهو سقط القصاص ولم يجب الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل
اخوه لانه لا بد من قبول ولي الدم ومطالبته به كما يقول الرجل قتل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكرها هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم
ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد لا يعد ان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل
العفو انما يليق عن المؤمن يحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا الاعتبار ويجاب بان القاتل قد يتوب
وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى دخل غير الجاني فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا وكا شك ان المؤمنين اخوة
قبل الاقدام على القتل وايضا ظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول خالد وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا في الدين كقوله
والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اي فليكن اتباع اولي الامر ومحكمة اتباع او فعليه اتباع او فعليه اتباع فيقبل على القاتل اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة
بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجد العين المثال فان كان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان كان واجد القيمة

بين العبدين

المال الواجب فالامهال الى ان يستبد وان لا يمنعه بسبب بتباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه اداء اليه باحسان لا بد على الاقدام في حال الامكان ولا يؤخر مع الوجوب ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدي ذلك المال على شر وملامة وقوله جل من غير مطل ولا بخس هذا قول ابن عباس والحسن قتاده ومجاهد وقبلهما على المعفو عنه فانه يتبع عفوا لعافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قبل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم يكن الا القصاص للمتقدمين الا العفو واثبات الخيار فضل من الله ورحمة في حقنا لان لحم الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان بحيث الحال وقد يكون العفو اثر عنده اذا كان راغبا في الشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الاخرة فيعفو عن القصاص عن بذل له جميعا وهو الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتاده العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه الدية كما روي انه قال اعاني احد قتل بعد اخذ الدية وهو مذهب الحسن وسعيد جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية مشتملة على الام العبد الضعيف فانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الشيء مثل ما فعل فالمراد بكم في شرع القصاص حيوة اي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب كادت بغو بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول غيره فالمشروع القتل فيه يحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وفي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قتل منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل فلم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصاص حيوة اي فيما قصص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجمع اكثروا القتل اقل القتل واوجز ذلك قولهم القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم يصح على العموم ان القتل ظلما ليس نفيا للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خصص فقيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال الاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن انفى كلامهم كما في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يحصل ببلاغة التركيب في الاية مع غاية وجازتها فيها السبب الوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال في الاية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الاية لكان يقتضي بين لفظ القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للمقال وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي الشيء فقط دون اثباته بخلاف قتل القصاص العاشر اشتمال الاية على اسم من اداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم ثلثتان وان اعتبر التنوين في الاية تفاضلت الادوات وبقي زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل نفي للقتل من كل شيء فابن الوجازة يا اولي الالباب يا ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب وكلات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعم وأولات الاحمال اعراب لواكاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولو فرقا بينها وبين الى واجرى اولو اعلية اللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب يعرفون ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون بالتلاف انفسهم لانتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اراتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في الامتثال راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب لافضل اخصاص بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الاية بحث وهو انه سئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو يموت لا محالة فما الفائدة في ذلك وكذا اذا علم انسان ان قتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا ورتب مسببه معه وجودا وعدما وشرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا لحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهلاك قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به وفقايدة شرع القصاص هي فايدة سائر الاسباب الوسايط ومنكر فائدتها ومنكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء معلوم والله اعلم والتاء كاكتب القصاص في قلامكتب على نفسه الرحمة في قلاه وقال من جنى قتلته فانا دية الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في توغره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في عوده محبته لم يكن مستحقا الكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف من معارفه فالواجب على العبد ان شكر الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بما التزمه الجفاء والجفاء جلبان الجفاء فله عذاب اليم فان الكفر

سورة البقرة

موقعة خيم فلكم في القصاص حيوة الدين والبقاء يرتب المتقين يا أولي الألباب الذين يدلون افترا الوحي الا انا في عند شهود حلال العمد القلم
شرائع وجود كم كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين
نوشته شد برشما در وقتي كه نزديك شد بكي از شما مرگ اگر بگذارد مالي وصيت كردن از براي پدر و مادر و خويشان بمقدار معين اين ثابت بر پرهيزگاران
فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح
پس هر كه تغيير دهد او را پس از آنكه شنيد او را پس عقوبتش بر آنهاست كه تغيير دهند او را بدرستيكه خدا شنوا و داناست پس هر كه بترسد از وصيت كننده ميلي يا گناهي پس اصلاح
بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم القراءة بالإمالة حيث كان حمزة موصولا بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف غاصم غير حفص وجبلة
در ميان ايشان پس نيست عقوبتي بر او بدرستيكه خدا آمرزنده مهربان
الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف حسن لان قوله الوصية مرفوع لكتب انما لم يوقف لفصل المبتدا
وكلا عن اضطرفه شرط بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى
لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف حق ذلك حقا او كتب لوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لحكم اخر يبدلونه تم كذلك
عليم رحيم التفسير هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت لا سبب معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء
والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال للمسافر قارب البلد اذا وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان
تقولوا اذا حضرنا الموت ففعلوا كذا وزيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير قد يرد في القرآن بمعنى المال وما اشبهه امن خير وانه لحب الخير لشديد من
خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن بعد
مثقال ذرة خيرا يره وانه تعالى اعتبر احكام الوارث فيما يبقى من المال فلو لم كن قليلا لم كن للوصية تاثير لان الوالدان والاقربون مما قل او كثر
نصيبا مفروضا فكذا الوصية وكان كل ما ينتفع به فهو خير ولا كثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال ينصرف
ان ماله قدحا وزحل هل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى
فانه يراد لكثير النعمة وان كان الجاحد لا يفتقر عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور يقولون الاسم على الشيء لنقصه منه قوله ﷺ لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد لو كانت الوصية واجبة في كل ما يترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة من يموت فاذا قل ما يتمول ثم اختلفوا
في ان المبلغ بالخبر في الاية مقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف الرجل المقدار من
المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون الغنى في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا
ينافي اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي
قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا الخير الكثير وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلثمائة الف قالت كم عيالك
قال اربعة قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس لو ان رجلا اوصى بسبعمائة درهم فلا يوصى فاذا بلغ ثمانمائة
درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية
للوالدين على الابتداء والخبر واجب بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على ان رفع
الوصية بكتب هو الواجب قبل المرفوع بكتب المجاور والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربون قيل
هم الاولاد عن ابن زيد قيل من عدا الوالد عن ابن عباس مجاهد قيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقولها بالمعروف امر بان يسلك في الوصية
الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير وصي للغني لم يكن معروفا فلو سوى بين الوالدين مع عظم حقها وبين بني الاعمام لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الاجانب
مع حضور الاخوة لم يكن ما يأتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وصيرة وعلم
الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه انما انكر عدم النسخ وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من
توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضرين بوصي للوالدين والاقربين وقوفهم ما اوصى الله به لهم علم
ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فلا
يجمع لهم بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدر انا حصلنا المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم اية الميراث تخرج القريب الذي
لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال
ومنهم من لا يسقط في كل حال اذ كانوا ذوي رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لانا سخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة
قالوا النسخ باية المواريث وبالاجماع وبقوله ﷺ ان الله اعطى كل ذي حق حقه لا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحدا لا ان الامة تلقته بالقبول
حتى الحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال هي منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس و
البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال
طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم وردالى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل بها في حق القريب الوارث

مط

الجزء الثاني

اما بآية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة بنقيت الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وبه قال جماعة من حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه وفي رواية لشئ يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب هؤلاء القائلون بان الآية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للاقرباء الفقراء من الاقرباء وقال الحسن البصري والاغنياء سواء الثاني عن الحسن جابر بن زيد وعبد الملك بن معلى انهم قالوا ان من اوصى لغير قرابته له قرابة بالجملة ثم جعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس ان الاقارب كانوا يحاجبون انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله فمن غير الاوصياء واما قاتل الميت فاوصى به عن جهة ان كان موافقا للشرع بعد ما سمع محققة فلا مغنى لسماع ولو لم يقع العلم به للبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته بكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقبل المنهي عن التغيير هو الموصي فهي عن تغيير الوصية عن الموضع الذي بين الله تعالى الوصية فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعد على تركها فاما اثمه اثم الاوصياء المغيرة واثم البدل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابويه وان الانسان اذا اسر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب ببناحة غيره وعليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل وفي وعيد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن خاف ليعلم ان التغير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا والمخوف ههنا تقدير احدها الخشية فيشمل انه ربما يصح في امر منظر مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد هنا الصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل وشاهد هنا اما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات ذلك قبل تحقق الوصية باخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية كان قوله من موص بدل على ساير بدل بسائر فكان الموصي يقول قد حضر الوصي الشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان ازيد ذلانا مع انه غير مستحق للزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق للزيادة فعند ذلك يصير السامع خايفا من جنف او اثم لانا طعا بانه ليس من الجايز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته وفمن اين يحصل الثقة بما فعل وقد يعدل عن الحتم في الكلام وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على ذلك لم يبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الموصي وقد يفرح الى التحقيق والاتهام فيحتاج الى الاصلاح بينهم بالجري على قانون الشرع والتقدير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف مبدأ ظن مخصوص بين العلم والظن مشاهدة مرجوحه كثيرا فصح اطلاق احدهما على الآخر استعمالا شايعا من ذلك قولهم خاف ان ترسل السماء برد بدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فعنى الآية ان الميت اذا خاف في وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتاده والربيع وفي الآية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حين لا ينافي الوجوب فيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين القوم يحتاج الى الاكاذيب من القول وذلك قد يفضي الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لما اذن في الصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلي صحيحا ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وانه كانه قيل انا الذي غفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل اعباء الاصلاح اولى واحرى ان اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي وان علم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ بآية المواريث لانهم تفقوا على انها الان جايزة في الثلث روي انه عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي ﷺ اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي فاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبشطره قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كان الورثة فقراء والوصية وسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من كان برهن من فاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كذا في الصدقات المخيرة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من ساير الورثة كالوزاد على الثلث للاجنبي فان الزايد يحتاج الى اجازة الورثة ثم الله حبب الناس على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال والاغنياء يوصون في اغراضهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلبك عند الموت ومات نفسه عن الصفات الحيوانية وفعلها على ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من زوجها والاقربين وهم القلب والسر يتركان كل شئ يظهر لهم من اشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال ﷺ بعثت لارفع العادات وازيل الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب شربا واحدا والمذاهب مذهبا واحدا وكل ذلك من الدين ومذهب فصلكم سولي وديني هواكم وانتم من الدنيا اراد وهي هواي ومناكم ومناي رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفي ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل الباطن كما قال التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر تحتمل النسخ

الموصي

البواطن وهو الحاكم والحقايق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غير من الروح والقلب السر الوصية الصادرة
من نفسه المبتة فانما اثمه عليهم سبب هذا التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة فاذا قبل مشاربها والخروج
عنها صعب جدا فمن خاف تقريس من موضع حبقا في ترك المشارب ما ينبغي في المجاهدات ليسهل المشاهدات وانما جاوز اعز هذا الشرع في رفع
الطلب فاصل بينهم بين الروح والبدن والقلب السر لكن بنظر كامل ومرشد عارف فلاحوج على المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا
روزه چنانكه نوشته برانهائي كه پيش از شما بودند شايد كه شما پرهيزيد در روزهاي ندك پس هركه شما از شما خوش او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم
يا در سفر پس شمار از روزهاي ديگر بر آنان كه توانند قضا پس فديه دهند طعام قضي پس هركه از روي تبرع چيزي دهد بهتر است او ورا و روزه شما بهتر شما را اگر
تعلمون شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
دانيد روزها ماه رمضان است انماهي كه
فرو آمد در آن قران كه مايه راه يابي مردمان و روشنائي از هدايت و امتياز پس هركه حاضر شد از شما در انماه پس روزه كند در آن و هركه
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم
خواهد خدا از براي شما آساني را و نخواهد سختي را و شما را كه بسر رسانيد شمار را و تا كه بزرگ داريد خدا را اگر هستند تا
تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل
نزديكم روا كنم حاجت خواهندگان را چون بخواهند مرا پس طلب اجابت كنند از من و بگروند بمن شايد كه راه يابند حلال
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن
لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفى عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله
از براي شما و بخوريد و بياشاميد تا ظاهر شود بر شما رشته سفيد از رشته سياه مغرب از صبح پس تمام كنيد روزه را تا شب و مباشرت كنيد با زنان خود و
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم
از براي شما و بخوريد و بياشاميد تا كه ظاهر شود بر شما رشته سفيد از رشته سياه مغرب از صبح پس تمام كنيد روزه را تا شب و مباشرت كنيد با زنان خود و شما
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس
معتكفيد در مسجدها اين احكامهاي خداست نزديك مشويد بحدود او همچنين بيان ميكند خدا نشانهاي خود را مردمان را
لعلهم يتقون القراءة فدية طعام مساكين بالجمع الباقون
ظاهر كند شايد كه ايشان پرهيزند مضافا الى مساكين بالجمع الباقون
ابو جعفر و نافع و ابن ذكوان و روح و الحلواني عن هشام و البجار فدية بالتنوين طعام بالرفع كسائي بر خوانند
مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرد فمن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة بجزم العين حمزه وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل
القران غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزه في الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تقرؤه وقرانا القرآن قرآن الفجر
ولا تعجل بالقران علينا جمعه قرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمز البزي العسر حيث كانا مثقلين بدلا الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من
التكميل ابو بكر وحماد وعباس وليس للباقون من الاكمال الداع اذا دعان فالباء في الحالين ابن سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل والوقف لابي جعفر
نافع غير قالون وابو عمرو بالياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين في لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لان
ايا ما ظرف للصيام او الافطار معدودات لان المرض السفر غالبا رمضان فكانا حاجزين عن الوضع اخر لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تقفوا لهما
قبله مسكين لان التطوع خارج عن موجب اصل خير لكم لان التقدير والصوم خير لكم تعلمون والقران ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه
للابتداء بشرط اخر اخر العسر قد يجوز تشكرون قريب لان قوله اجيب مستانفة عان ص للقاء هر شدون لتناكر طهن طعنكم لعطف
الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقين من الفجر لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
في المساجد لان ذلك مبتدا فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين بيانا كبيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام
مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وانما في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة بنية على الوجه المعهود
زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس كما بدئ به في صحيح مسلم من البينة وفي غيره بوحي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر
وبوافقه الحديث بدليل قول الشافعي في غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة وكابد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس
ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم اجمعين
قال علي كرم الله وجهه لم يزل الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون لما فيها
عليها الصدها او الصاقها كما ان في الصوم ظلفا للنفس عن المناهي وموانعة للسوء ولعلكم تتقصون من اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل
معناه صوموا كصومهم في عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد

فشق عليهم فجعلوه بين الثلث والربع وزاد وعشر بن كفارة ومضى معدودات موقتات بعدد معلوم او بدل مثل دراهم معدودة واصله الجاد القليل بعد عدا والكثير يحتى حتيا كانه قال انى رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه بين الفرض بمجرد تعليق الصوم به غير متداولة وان اختلف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا فى هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان نعين عطا ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هى ستة عاشورا ثم اختلفوا انه هل كان تطوعا ثم فرض قيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روى عن النبى ﷺ ان صوم رمضان نسخ كل صوم وندل على ان صوما اخر كان واجبا بذكر حكم المريض والمسافر فى هذه الاية وفى التى تليها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وانما ذكرنا هذا لان الاية تخبر بين الصوم والفدية وصوم رمضان واجب على التعيين فيختلفان والثانى هو الحق والحسن اكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله ايام معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب فى غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس فى الخبر انه نسخ وعلى تقدير كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت فرضه بشرعنا لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصوم وجب بغير هذه الاية وعن الثانى ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفى الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعتبر حكم المريض والمسافر لعلم ان حالهما ثانيا فى حضة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث ان الاختلاف مسلم لكن فى التخيير والتعيين اما فى نفس الصوم فلا وههنا سؤال وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله به المنسوخ والجواب ان الاتصال فى التلاوة لا يوجب الاتصال فى النزول بل المقدم فى التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا نجد القرآن اية مكية متاخرة فى التلاوة عن الاية المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته فى هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة فى هذا التكليف اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة فى ايجاب الصوم وخصوص القوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصص من الاوقات بالشهر الذى نزل فيه القرآن لعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ان له المشقة فى الزمان فاتاح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهى هيئة يكون لها بدن الانسان فى مزاجه تركيبة بحيث يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض والها واختلف الائمة والسفر المجهز بن للافطار على اقوال احدها ان اى مريض كان واى مسافر كان فلهما ان يترخصا تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن ابن سيرين بروى انه دخل على رمضان وهو ياكل فبدا وجع اصبعه عن داود الرخصة حاصلة فى كل سفر ولو كان رفيقا وثانيها انه المرض الذى لو صام لوقع فى مشقة وجهد كذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعى واكثر الفقهاء انه الذى يؤدى الى ضرر فى النفس او زيادة فى العلة اذ لا فرق فى العقل بين ما يخاف منه وبين ما يؤدى الى ما يخاف منه كالحموم اذا خاف انه لو صام اشتد حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه فلو اوكيف يمكن ان يقال كل مرض مرخص مع علمنا بان فى الامراض ما ينفعه الصوم اذا اراد من منه ما يؤثر الصوم فى تقويته تاثيرا يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه ويخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف من احوال الرجال واخلاقهم وعن الزهرى سمى مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه بروزه للارض الفضاء قال الاوزاعى السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعى مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافر الاياب كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله ﷺ وهو الذى قدر اميال البادية كل ميل منا عشر الفدام هى بعدة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يحمل تحملا خلافا لما ذكر فى يومين نحو يناسب الرخصة ولما روى الشافعى عن ابن عباس ان النبى ﷺ قال لاهل مكة لا تقصروا فى اقل من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعى ايضا عطا ان ابن عباس قصر فى مر الظهران فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة عسفان اربعة برد وقال ابو حنيفة والثورى رخصة السفر لا يحصل الا فى ثلث مراحل اربعة وعشرين فرسخا تيسيرا على المسح والاجماع على الرخصة فى هذه المدة والخلاف فيما دون ذلك فبنى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يسمح للقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الا اقامة فى اقل من يوم وليلة لانه لو نوى الاقامة فى موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله ﷺ للمسافر ثلثة ايام لا يوجب انه لا يحصل السفر فى اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح للافطار لقوله ﷺ فى قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قبل وعلى سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة فى منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يصح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت لا لاغلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة هذا وانما قيل فعدة على التنكير ولم يقل فصيامها اى عدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يابى الا مثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب فليصم عدة واخر جمع اخرى قاينث اخر وانه غير مصروف للصفة والعدل من اخر من كذا واعلم ان قوما من علماء الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام فى السفر قضى فى الحضر واختاره داود بن على لاصفهانى وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اى فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه لان قوله يريد الله بكم اليسر يشعر

عن ارادة الافطار ولقوله ﷺ ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف بهم التعريف وقول الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى
ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة ان حمزة الاسلمي سئل النبي ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ هل اصوم في السفر فقال ان شئت فالواو والاو في اصل الفقه فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من راسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فمن
الشافعي والى حنيفة ومالك والثوري والى يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقال طائفة الافضل الفطر والية ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي و
احمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابن عبيدة بن الجراح ان الله امرخص لكم في فطر
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه ابن عمر التخيير وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده
قراءة ابي عدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين الفدية في المعنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشئ وانما ههنا
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي وهو من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف
الفقير المسكين فالوا كان ذلك في بدء الاسلام مرض عليهم الصوم ولم يعتوده فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها من قرأ بها
باضافة الفدية الى طعام واضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ بالتنوين اكتفى على الجمع فان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام
مسكين لكل يوم والاعتبار بعدد سول الله ﷺ وهو ماية وثلثة وستون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان
المريض والمسافر منهما من لا يطيق صلا والى الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة و
هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه فالوا هذا اولى لما يلزم النسخ قلنا فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق قل من نسخ التخيير عنه وهو
الصحيح المفهم الثالث انه نسخ المشيخ الهم عن السك وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه بتفعل من الطوق ما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه اكثر كهب يستعملان فيمن يقدر على شئ مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع
اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية لخوف
الوقت وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم ابن البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم اكثر من حد الفدية الواجب صام مع
الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون والمطيقون وتحملتم مشاق الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير يجوز ان
يتناول في الخطاب المريض المسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم شق عليكم وان امره على قدر نصبكم او تعلمون
بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان
النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به والصائم فرحتان حين يفطر حين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك وعنه ﷺ ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه عن ابن رسول الله ﷺ
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن انس رضي الله عنه قال معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء تفضيلة الصوم ومضاعفة اكثر من ان يحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والا
من خصيص خطوط النفس البهيمة الى ذروة التشبه بالروحانيات لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك
عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واحل وصوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن حدث عن غيره فلما تجلى كان
في شاغل عن الافطار فلشوقه مدة ثم لما ادنى حل عن مدة الافطار وقوله عز من قائل شهر رمضان الشهر اخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان
اسم الله تعالى وروي عن النبي ﷺ لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى
هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف اشتقاقه
فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف فيطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن الاوضار
وقيل لان رمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس على الارض رمضاء والكشاف لرمضان مصدر رمض اذا احرق من الرمضاء سمي بذلك كما الا يرمضهم
من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان يلتهم اي يبتلع الفصل جعلته بين حجرين املس ثم دقته لبرقه وعن الازهري انهم كانوا يرمضون
اسلحتهم فيلقونها فيها او طارهم في شوال قبل نحو ذي القعدة لانه شهر الحرم وقبل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات ورمضاء ولضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يلفظ

وافطر ان شئت،

بالشهر جاز كقوله من صام رمضان ايما انا الحديث لان الشهرية وتعيين رمضان فقط انما تفاد على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن وعلى انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما او على انه مفعول فان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف الشهر بانزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما خص بافضل الايام الربوبية ناسب ان يخص بافضل الشهور العبودية فيقدر هضم النفس بتقرير في العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس ويخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويدلك له العلم بالعبادة وكان حق من الحجاب بذلك كان في انزال القرآن في رمضان اقوال الحسن بن عيسى بن عبد الله نزل في فضل القرآن ما تمول انزل في كذا وكذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام الايات واحتجوا بان الله تعالى انما انزل القرآن في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقايع فاولى الاية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول التي يورخ بها الشرف بها وانضباطها هذا قول محمد بن اسحق وانه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس ببعيد ان يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي عن اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبريل المامور بالانزال والتادية ولا سيما على راي الفلاسفة الذين جبريل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي بيده عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد صلى الله عليه وسلم منجما منجما الى اخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى السماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعيا لا شخصيا هدى للناس وبينات منصوبان على الحالية اي انزل هو هدى للناس في حالي الخلو وهو ايات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل او الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي مشتبه فوصفه اولا بجنس ما يقع به الهدى ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك فقد تقم بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التوراة والانجيل او يقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار بقلل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل انا علمنا اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل ان مفعوله محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه لا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهد الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد والمقام فليصمه والشهر صاحب هذا القول ركب الاخفاء حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر لانه يلزمه ما فرضه ايام اخر سلك الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان واد ركت فلا يلزم منه لا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار والتخصيص اذا تعارضا رجح التخصيص على الاضمار فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص في جانب التخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي متعرضا به على صاحب الكشاف وغيره قلت لا نضاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الاية مجموع وذلك ان شهد ههنا متروك المفعول كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من مكان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل التي نوى الاقامة بها والتخصيص المذكور على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعد ذلك ولتكملوا العدة تكرارا قلنا انما اعيد ليترتب عليه حكم القضاء كالمريض والمسافر لا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه لان الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فيما لم فهو اولا وبالمنطوق ثانيا فاين التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشانه واعتلاما لمكانه وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس كقولهم ان لي مالا وان الحق يعطى الحق سائلة وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وهي لم يوجد الشرط بها لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة عن وقته الى اخره فظاهر الاية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي واجيب بان المراد من الشهر جزؤه من اوله وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزاء من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان هذا موافق لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام يدخل فيه الحاضر المسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه ان كان في اثناء الشهر فلو قال بعضهم ان الجنون اذا افاق في اثناء الشهر لزمه قضاء ما مضى قلنا لا حاجة الى ارتكاب المجاز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه كما يلزم منه المحال المذكور واذا المراد من شهد الشهر اجمع فلم يجب فاسد منذ الصوم في جميع اجزائه والمراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه بعلم انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكمان جميعا للحاضر في بعضه

والمسافر في البعض الاخر كل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه الصوم فيه عبادة مستقله وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه من الزامي غاية لحرمة التسحر كما لو ادرك الحايض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وفي قول تكبيرة لزمها قضاؤها فالطهر واما ان شهر رمضان بهذا الشهود حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما وبها شهد عند القاضي عدلان واحدا منه راى الهلال يثبت لما روي عن عمر انه راى الهلال احد فشهد عند النبي ﷺ فامر الناس بالصوم وبما روي ان علياء شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان وصام وقال صوم من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان ولان الاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد في الصحو يعتبر الاستفاضة واذا راى في موضع شمل الحكم لمن هو على ما دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يسهل به الامور يستعمل المقاصد اليه كما يضاف اليها على اليسر وكان الامور يسهل بمعانيها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن من العرب من يثقله ومنهم من يخففه وجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر فهما يحققان صدق قوله ﷺ بعثت بالحنيفة السهلة السمحاء ومن كمال الفقه نعلم انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالاية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تم فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهد نفسه فعل ما لم يرد الله منه اذ كان يريد اليسر والجيب بانا نحمل اللفظ على انه تم لا ما مره بالعسر ان كان قد يريده الكفر فان الامر عندنا قد يتعلق بما لا يريد فكما انه يجوز ان يامر ولا يريد جاز ان يريد ولا يامر قوله ولتكملوا جمعوا على ان الفعل المعلل محذوف من القراءة لتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكره من الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله لتكملوا علة الامر باتمام العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص والتيسير عن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا والفراء حذف النون في الاول للنصب وفي هذا الجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون بقي في هذا الوجه غير مرتبط بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه بعد ويحتمل ان يقال لتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر لا يريد بكم لتكملوا لقوله يريدون ليطفوا وانما قيل لتكملوا العدة ولم يقل لتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدى فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي لتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهها عما لا يليق به من ذي صاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يعتد به الا مع الاعتقاد القلبي والعمل بالتعبد بالاوامر والنواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيد بن لما روي انه ﷺ كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى ياتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد عند احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله تم ولتكملوا الله على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقران يقول في لتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند اكمالها واكمالها بغروب الشمس اخر يوم رمضان واما اخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مسوق الى تلك الغاية والتكبير الذي يقع به الاشتغال المسنون في صيغة ان يكبر ثلاثا سنفا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الروايتان عن جابر وابن عباس وبه فانه تكبير موضوع شعار للعيد فكان وتره التكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله محض مستحسن الا ان لا يكون زيادة تنقل عن رسول الله ﷺ انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا باس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد ويرفع الناس اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرهم كانوا او حاضرين وفي يومين في طريق المصلى في المصلى الى الغاية المذكورة سواء صلى المكبر مع الامام او كان يصلي او يستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة النحر في اي العيدين او كذا في القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه وتعالى واذا سئلك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر بالتكبر بنهم على انه مطلع على ان كرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم او انه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله ﷺ اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فقال كان قريبا فدفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال ﷺ لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سالوا اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذانا واحرم عليهم ما يحرم على الصائم فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسئلوا النبي ﷺ عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك

الجزء الثاني

التشديد بسبب دعائهم ونصرهم وبعد الوجه نصب الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي ﷺ عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل من يجوز التشبيه فيسئل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعوه كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع يدل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على ما يجوز اراده فالم يتجاوز قانون الادب عرفا لقوله ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾ قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه يبرهان تناهي الابعاد ومن جانب واحد فكذلك مع كونه بحيث يقتضي جانب صفة عدم التناهي وجانب صفة التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبايع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان اقرب الى الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب فالو اثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحالة في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سئله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحو ﴿ونحن اليه من حبل الوريد﴾ وقوله ﴿هو بينكم وبين عناق راحلكم﴾ وقد اشار بعض المحققين الى ان اضاف ماهيات الممكنات بوجودها الى المكان بالجاعل فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجود ذلك الماهية اليها بل ماهية كل شئ انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها فلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة زيفناها في مواضعها فلا زوايا من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من وجودها اليها لا يحجبه العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكتنف المقال عنه غير انا لا بد مع ان نشير عن بعض ذلك يوجب شفعة الجهال شعر وزمن الية حذار الرقيب ... وكتمان سر الحبيب حبيب : اذا ما تلاشيت في نوره : يقول لك ادع فاني قريب : وان سئلوا ابن ربنا صح الجواب باني قريب . وان سئلوه هل يسمع ربنا دعاءنا صح الجواب باني قريب وان سئلوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب انى قريب وان سئلوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب باني قريب وان سئلوا اذا دعونا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب انى قريب اى بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب بيان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا لما كان لانه ترجيح احد الجائزين على الآخر بلا مرجح وهو محال والا لكان قضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص لان المقضي كان من مصالح العبد فالمعبود المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه لان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء بناء في ذلك على ان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب لهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين وذاب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالاذعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب لعقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول لحكمة الاهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف للذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صح قول العلماء بالتكاليف مع الاعتراف بالحاطة علم الله جل جلاله وقضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل يعمل منه على ما قلنا فانه تقع علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للاخر فقال كل ميسر لما خلق له بريد انه ميسر في ايام حيوته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب الحاصل ان الاسباب والوسايط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا يدان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شئ من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح لسنة العبودية والانعاس في عمران النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسئل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس لا محالة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف

مسألة

المسائل واما اجابات لان يكون استجابته صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يتوبه كذا عليه ل ٣ ما من رجل يدعو بدعاء ٣ الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ويستعجل قالوا يا رسول الله ٣ وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله ٣ قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل وعن ابن عباس ان رسول الله ٣ قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسئلوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه بالغذاء الحلال وذكر النبي ٣ الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح بابه السماء واسنانه نغمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي ٣ قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله ٣ اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن ابن ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قال فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله ٣ قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء وعن ابن عمر ان رسول الله ٣ قال ثلثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب عز وجل لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي ٣ سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي ٣ فقال النبي ٣ عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدء بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ٣ ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله ٣ قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى يصلى على النبي ٣ فلا تجعلوني كغمز الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه واخره ومر الطائف الاية انه تعالى قريب ومر ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر الاسئلة في الاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي ويسئلونك عن الشهر قل انما علمها عند الله وهذه الاسئلة اصولية ويسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويسئلونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويسئلونك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه يقول عبدان انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وانتم مقام السؤال فان عبادي هذا يدل على ان العبد لا في مقام الاجابة فقال اني قريب هذا يدل على انه للعبد ما يقل العبد مني قرب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للرب رب الا رأفة وانما يصل من يضيق الامكان الذاتي في ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب فيضه فليستجيبوا لي واستجاب اي فليمتثلوا امري في دعوتهم الى الايمان والطاعة وليثبتوا وليستقيموا وليعزموا على الاستجابة وليثبوا على ان اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تتم المستتبعة للخيرات عاجلا واجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى حاصل الكلام انا اجيب دعاكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم محبين تسعى مع افتقاركم الى من جميع الوجوه وفكيف وهو انه تعالم يقل اجيب دعاء حتى يجيب دعائه لئلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب دعائه على جميع احواله فكان ايقاعه مجيبا الدعائي وهذا يدل على ان رحمته شاملة ورحمته كاملة لهم المطيعين والمذنبين الكاملين الناقصين قبل الدعاء في الاية هو العبادة لما روى عن النعمان بن بشير ان رسول الله ٣ قال الدعاء هو العبادة وتلا ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ليستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون وعن البراء قال كان اصحاب محمد ٣ اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس صرمة بن انس الانصاري اتى امرأته بعد ما صلى العشاء فقال لها اعندك طعام فقالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ٣ فنزلت احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فرحوا فرحا شديدا وقال ابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انهم يقع في القرآن نسخ البتة ورجح الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه اباحة الصوم على هذه الامة بايجاب على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعهم كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة بهذه الاية زائلة بها فانا نحكم بها وضع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب بعد

في كيفية الدعاء

ثالثة

والوفاء باعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا اجزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قبل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي ﷺ وقال يا رسول الله ﷺ اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال ﷺ ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب
وتكسب اي علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات كالاكل من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال ﷺ عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال ولا وقت في صدقات الخيل عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت وقال اني اخذت هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم بابا حة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الرواية فاخبار احاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الوقت الجماع والرفث اسم
الفحش من القول كلام النساء في الجماع وقيل كنى عن الجماع بما دون التصريح انشد ابن عباس رضي الله عنهما شعرا وهن يكنين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا ابرفث وانت
محرم فقال انما الرفث ما وجه به النساء هميسا اي مشيا لينا وليس سم امراة اي ان تصدق الفال تنكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل
اونا ك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس ونحوها كما في موضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تعنيها بما باشرهن من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء في قوله دخلتم بهن فانوا حرثكم
انى شئتم بيمنهن ولا تقربوهن استعجالا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كاسماء اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما ينعتفان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما ساتر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال البعدادي اما الفجر فسمي بذلك لتفجر ضوئه فكانت عليه اثوابا
او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه والمراد ستر هما عن جميع المفاسد التي تقع في الليل لو لم تكن
المراة حاضرة كما يستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المفاسد وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر فيذلك المحظور الذي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس لانه مصدر في الاصل وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استيناف لانه كالبيان لسبب حلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلوما وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الان لتقدم ذكر الجماع الذي تاخر هو مثله وقيل فلان باشروهن فعنهن ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو لم هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من القاء الفضيحة اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب
من البيان لان احلال الوقت في ليلة الصيام لا يوجب حلة جميع اجزائها حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم للاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي عنه ﷺ قال لا يباشر الرجل الرجل والمراة المراة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
وكان الرفث ايضا بذلك لان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه نص عليه ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى اكتبوا اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال
ناكحوا تكثروا وقيل هو النهي عن العزل وقد ورد الاخبار في كراهية ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل الخيط الابيض الخيط الذي حلل لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن ﷺ ابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو
كقوله في القرآن من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء الطلبوا ليلة القدر وما كتب الله من الثواب
لكم ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر لسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يفرغ للطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان وقال سبحانه فالان باشروهن فلما توجهوا الطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل ولا
يستبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله ﷺ فاخبرته فضحك فقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد

النهار وسواد الليل وكنى رسول الله ﷺ بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار والعلم ان ما جاز البيان عن وقت الحاجة ممنوع لان الاعتماد مع جواز تكليف ما لا يطاق واما ما اخر عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من عبس الليل قال ابو مسلم وانما قال من الفجر فلما اضاءت لما سدفة ولاح من الصبح خيط اناره والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة واولا تم لما استبان الامر على بعض من يراعيه باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة الى التشبيه البليغ كانك اذا قلت رايت سدا فجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه دخل في الفصاحة من حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى في الفصاحة وفي هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب اظهر البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المخاطبين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان نظم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى العارفين بقوانين العرب واستعمالاتهم لا بالاضافة الى الاعيان ونعم التفهيم نعم البليد الوكز والله المستعان ولا يسبق الى الوهم ان المشبه بالخيط الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو الضوء المنتشر بعد دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما نفهم الضياء اي المتفرق بين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتصلا عرضا فالله اعلم انتهى ايراد الضياء خيط الابيض الذي بدا من الظلام خيط الاسود وقد سبق تقرير الصبح تفسير قوله تعالى واختلاف الليل والنهار فليتذكر قبل وبجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر او لابتداء الغاية فدلت الاية على ان حل المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال وبهذه ما روى انه ﷺ قال اذا اقبل الليل من ههنا فقد غربت الشمس فقد افطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيفما ويدل صح عن النبي ﷺ انه نهى عن الوصال قيل يا رسول الله انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله سبحانه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا او لو قطرة من الماء فبعلك ذلك كان بالخيار في الاستبقاء الا ان يخاف التفطر فالصوم المستانف في سائر العبادات فيلزم حتى ان يتناول بمقدار الحاجة وقد ثبت الحتم والالزام على جواز النية نهارا في رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الغرض بنية بعد الزوال الا انا نقول الاصل الملحوظ بالاغلب في بطلنا الصوم بنية بعد الزوال صححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من بيت والمعنى جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه ﷺ كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل عندك من غداء فان قالوا لا قال اني اذا صائم واني اذا الصائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الوقت والاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية واستفيدت من السنة منها الاستمناء لان الانزال من غير انزال مبطل فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال بالمس والقبلة دون الفكر والنظر لشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله ﷺ من ذرعه قيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح سواء كان بنية قوة محيلة تحيل الواصل الى جزء غذاء او دواء او لا فالحلق وهو فكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روى عن ابن عباس ان الفطر مما دخل لا ما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ وكذا ما بس لا كتحال وليست التخمة من الاجواف فانه ﷺ اكتحل في رمضان وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد الحلق طعما افطر والقطرة في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل ان لم يصل الى المثانة ولا باس بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة الضعيف مخافة ﷺ وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه بدهن فوصل الى جوفه يفطر الصائم ولم يضر كالاغتسال والانغماس عندنا شافعي لا بدان يكون الواصل مرقصيده منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا ما في الحفظ من العسر ولو ضبط المراة ووطئها وهي بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه فطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كما لو اكل وشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر واستلاع الريق لصر الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه وابتلعها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق الحلقوم فان قدر على تحية لم يجز عن جزء بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى ما عند الدماغ يفطر على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد عند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال ﷺ لقيط بن صبرة في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة اذا كان يسيرا وربما قدره بالحمصة وان جرى الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح كما بدا في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فان قل لم يفطر لقوله ﷺ من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف الله

وان كثر اظنه ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غائما لم يجز ثم رصوم على الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه والمقيد مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء ولا كفارة في اخر انها ان لا ياكل الا بعد تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد فغلب على ظنه دخول الليل بمرد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف السحاب وظهرت الشمس اما في اول النهار فيجتنب الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قبل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس متى يعرف المرصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي مقدما عليه فيجاب بان المسئلة موضوعة على التقدير كذا لفقهاء في امثالها واما بانا نعبد بما يطلع عليه لا بما يطلع الصبح لا يظهر للصوم والناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص غارقا بالاوقات في منازل القرى وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وبه يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب الى وقاع الى طلوع الشمس قياسا على اول النهار على اخره وجعل الخيط الابيض والخيط الاسود مما اتصل به من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش لك ان تقبل على قلبي وانت في بيتك فكيف اذا دريتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في عمره على انه كان ياكل بعد الفجر الثاني قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الاكسال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ودقة انيقا وذلك انه لما كان من شيع الامور التي يحتاج اليها مسائل عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه فدقت الحيانة كما مر في الاخبار فقدم اباحة الاكل والشرب على اباحة الرفث ثم نبه بالخائنون في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحة الرفث عليه عرض لا صلى من الرفث وهو طلب النسل ليعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع ذلك الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما يباح فيها مدة الصوم الذي هو المقصود الاصلي ذلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان الاعتكاف مستثنى من ذلك الكل فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا باتمام السنة وليها عقب اباحة الرفث فيما سوى نهار رمضان بخطره في حال الاعتكاف فقيل ﴿ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد﴾ قال الشافعي الاعتكاف حبس النفس على شيء جائز كان او اثما قال تعالى ﴿يعكفون على اصنام لهم﴾ والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تقربا اليه وهو من الشرايع القديمة قال تعالى ﴿وطهر بيتي للطائفين والعاكفين﴾ واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه ممنوع عن سائر البقاع من حيث انه يحل فيها اقامة الطاعات ثم اختلفوا فيمن نذر صلوة في مسجد هذا فهو كمن نذر صلوة في مسجد الحرام لقوله ﴿وطهر بيتي للطائفين والعاكفين﴾ وعن عطاء في مسجد المدينة لقوله صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت المقدس لقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام وراتب مؤذن وراتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم غالف لم تقم منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان ممنوعا ايضا ولو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو تلا زما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليل فابو حنيفة لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم تجب بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متفاوتان فكل منهما كف واما الصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا لزمهما ولا يجمع بينهما ويتفرع على المذهبين ما يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز الا من يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واجب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف ﴿تلك حدود الله﴾ اشارة الى جميع ما تقدم من اول البقرة الى هنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد واحد فلم يرد ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه منتهاه وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعد ان فصلها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال فلا تقربوها وفي موضع اخر فلا تعتدوها لان المامور اذا امر بشرايع الله او امر ونواهي منصرف فيحيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول
الله يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل
الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي
اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به ونهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرائعه لارادة ان يتصف الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى
من المتقين بفضله ورحمته لنا وبل صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم
فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر الى الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على سائر
اجزائكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب
المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات تخبين نائل كوكب ستدعها الحظوظ الفانية لتطلع شمس حقوق الملاقات لربها
الباقية كما قال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس
وكل الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف
فيتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين اي لطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق
والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب
الحق وشراب مشاهدته هو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما تطهر من مشرب سقي من مستقر آخر فذلك
ذلك المشرب بقاء تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فينزل فيه حقائق القرآن وهذا معنى
قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه يأكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة تأكله حتى تفنيه تحت وجوده
وتبقيه بشهوده فيكون خلقه القرآن وح يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال تعالى وبينات من الهدى والفرقان فيقال له اصبت فالزم وهو معنى
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد نادانى ربي وقال يا ابا يزيد اللازم فالزم بدلك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم
رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من
الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وانه كل علة لها خلوله لو لم يرد بنا اليسر لما جعلنا طالبين لليسر
ولو لم يرد نيله ما ارجو الطلب من فيض جودك ما علمتني الطلب ولتكملوا العدة انواع الغايات بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما
هداكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله تعالى
واحل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون بغلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم عن
الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فضل الله تعالى بها
كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال ستار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارأيتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي تتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم
اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحميكم عن حرارة شموس الجلال لكيلا يحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال
الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة
ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم آثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب
وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل ذاتي كان شيئا لم يكن اذا مضى في المساجد اي مقامات
القربة ولا تنس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف والدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ع وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ
و مخورید مالهای خود را درمیان خود بطور باطل و کشید نزاع را سوی حکام تا بخورید بواسطه کویا پاره از مالهای مردم را بظلم و حال آنکه شما میدانید بپرسند ترا
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ
از ماهها بگو آن زمانهاست از برای مردمان و حج و نیست نیکی آنکه داخل شوید خانها را از پشت آنها ولکن نیکی آنست که بپرهیزید و داخل شوید خانها را
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل
از درهای آن و بپرستید خدا را باشد که شما رستگار گردید والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ○ عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

والجواب الجمع لا ابتداء حكم فرع النفي من تفي ج لعطف جملتين المختلفتين ابو البقاء لعطف المتفقين تفلحون النفيا كان الصوم منها الى الافطار و
الافطار يتضمن الاكل ناسب ان يرد نحكم الصيام بحكمها يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال الحرام اما المغير في عينه وتحلل في جهة كالشاة الاولى اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحو وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل منها اذا ذبح اذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني وهو ما يحرم لتحلل في جهة نبات لبد عليه نقول ينبغي ان ياخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره اما ان لا
يكون ماخوذا من مال كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مال اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون مأخوذا
من مال لمالك معين او لا يؤخذ قهرا او بالتراضي وما يؤخذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و
لنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع الصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يؤخذ من مال كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
المأخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني المأخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس وفي بعضه بين المستحقين بالعلم باخذه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا لاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ من
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوض
وشرط العاقدين وشرط لفظ الايجاب والقبول مع ما تعتد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضاء من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه شرط العاقدين وشرط العقد ما يؤدي الى ضرر يوازيه او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث كذلك نعم يتأكد التحريم من بعض الجهات الخمس على وجه حلالا كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
وافراز الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصالح
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والمبذر السرف المحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي باي وجه كان مما
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غيره الاكل من التصرف كالاكل في هذا
الباب الا ان خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد يقال لما انفق ما له اكله ولا ذكر اصله من ادلى دلوي ارسلها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجها فلان لوها ثم جعل كل القاء قول وفعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده فلان يدلي الى البيت بقرابة ورحم اذا كان
متسببا اليه فيطلب الميراث بتلك القرابة لنسبة طلب الاستقاء الماء الى الدلو وقوله وتدلوا اي تلقوا امرها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها اليهم لتأكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي دناءة الحاجة فيها بصير الفصول البعيد قريبا واذا اخذها حاكم السوء قضى في الحكم
من غير ثبت لكن في الاول على الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن قد يشتبه عليه الحق كما روي عن النبي انه قال للمختصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي تقصدا الحق فيها فتضعانه
من القسمة واقترعا وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم تحالا اي تحلل كل واحد منهما صاحبه قوله ايها الناس اتقوا الله وصاحبه
بالتوبيخ اخوف ي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بما ذكر كذلك لانه
ليس فيه دليل ولا من الشبه ان ما ظهر في ذاته ويفصل ابدا بين الماضي والمظلم منه باعتبار الاستدارة المنيرة والمستنير بعضه بين المنير وغير المنير من القمر الذي
دائره والدبران متطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير بكون القطعة المظلمة مما يلي البصر هذه الحالة التي هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر القمر في هذه الحالة التي بدا وفي سائر الاوضاع يقاطعان اما في التربيعين فعلى زاويا قوائم تقريبا وفي غيرهما
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر بها الاربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس اما تينك المظلمتان فيقع
في محوط البصر احداهما الاولين واحدا كانا حين لا كسوف بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريبا وفي غيرهما مختلف المتجاورتان
ويتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في محوط البصر في الربعين الاولين الاخير من الشهر صغرهما لان زاويته تلك القطعة
اصغر الزاويتين ولهذا يرى لها حافة ونسمي القطعة المرئية الصغرى ما يبدو الى الليلتين هلالا ويجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي الربعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني الهما منفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان
المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت وهي المعالم التي يوقف بها الناس

في النهاية عن ابن السبيل

مزدعم

منازعهم ومتاجرهم ومحالهم ومواسمهم ومعاشهم ومعادهم وعدتهم واما مواقيت الحج فهي معالم للحج يعرف بها وقته والميقات من الوقت كالميزان من الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ضبط هذه الامور كما يتسهل ولا يتسنى الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث تعمى عوده من كل شكل الى مثله ولا سيما من الهلال الى مثلها شهرا بشهر وبذلك قد السنون وضبطت اوقات الفصول فلن يمكنه جحود فائدته على تقدير وجوده لو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان والزوال والنقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مضض الحر والجود وامتناع الخرق والالتيام كان ذلك طائفة من اللمام يكفي به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى انقياد الفلكيات الى فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي اقران الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة اشارة الى ان الحج مقصود على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء ويمكن ان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بالحول فالاصل في تقدير السنين لعود الشمس من نقطة كما حول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق من الاركان المتعلقة بالشهور سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعز من قائل وليس البر بان تأتوا البيوت عن البراء قال نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا جوا فجاء وا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احدهم حائطا ولا دارا ولا بسط طا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتخرجكم من حوائط الباب تشددا بالامر الاحرام ولكن البر من اتقى مخالفة الله وقيل الخطاب لهم فرد شيء كانوا عليه وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا احمسا لتشددهم في دينهم والحمامة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة ولم يجلسوا تحت سقف لبيت لم يتظلوا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن الحسن لا صم كان الرجل في الجاهلية اذا اهل بشيء فعرض عليه مطلوبه لم يدخل بيته من باب دل (بابه) من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما متعلق وجه نظم هذا الكلام بما قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قبل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنهى لكم هو على شاكلة الصواب نظرا الى واحدة بل فعلوا بها انتم ما تحسبونها برا وليس البر في شيء وانه تعالى انما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا اتفق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذلك عكس الواجب وانما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البريء عن العبث والسفه فاذا رأينا اختلاف احوال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعد علمنا بما فيه من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا حكمة في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق واقفين الشك فقد اتيتم الامر من وجه ليس من البر في شيء من كمال العقل بما البر ان تأتوا الامور من وجوهها التي يجب ان تؤتى منها وهذا مما يضرب به المثل في الكراهة قال الاعشى شعرا وكاس شربت على غنة ... واخرى تداويت منها بها ... اي كم يعلم الناس الى امرئ تنتهي المعيشة من بابها ... وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما كانوا يفعلونه من الذنوب والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق انتهى وبالباطل المحرم النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني الرشوة لان الحاكم اذا قبل الرشوة حكم بالباطل لاجلها والسؤ من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على الصبوبة الاهلة للزاهدين مواقيت لورادهم وللصديقين مواقيت لمراقباتهم والحج اشارة الى ما ورد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال خافوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

وجهاد كنيد در راه هذا اما ان قتال كنند با شما و زيادتي كنيد كه خداوند تعالى دوست نميدارد تجاوز كنندگان

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى

وبكشيد ايشانرا هر جا كه يابيد ايشانرا وبيرون كنيد ايشانرا از انجا كه بيرون كردند شما را و فتنه سخت تر است از كشتن وقتال كنيد با ايشان در نزد مسجد الحرام تا انكه

يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون

قتال كنند با شما پس اگر قتال كنند با شما پس بكشيد ايشان را همچنين سزاي پاداش كافران پس باز ايستادند پس بدرستي كه خدا آمرزنده مهربان است وبكشيد ايشان تا انكه نباشد

فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص

فتنه در دين و طاعت شيطان و دين از براي خدا پس اگر باز ايستادند كه نيست عقوبتي مگر بر ستمكاران ماه حرام بماه حرام و حرمتها بدل كردند

الجزء الثاني

فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ ۝ وَاَنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

پس هر که تعدی کرد بر شما پس تعدی کنید بر او بمانند طریق که تعدی کرد بر شما و بپرهیزید از خدا و بدانید که او با پرهیزگارانست و انفاق کنید در راه خدا

وَلَا تُلْقُوْا بِاَيْدِيْكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَاَحْسِنُوْا ۛ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ الْقِرَاءَةُ وَلَا تَقْتُلُوْهُمْ حَتّٰى يَقْتُلُوْكُمْ فَاِنْ قَتَلُوْكُمْ فَاقْتُلُوْهُمْ كَذٰلِكَ جَزَآءُ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَعَلَى خَلْفِ الْبَاقُوْنَ

و مینداز ید خود را بدست خود در میان مهلکه و خوبی کنید که خدا دوست میدارد نیکوکاران را من باب المفاعلة و قیل انه من جملة ما یکتب بالصحف بغیر الالف کالرحمن الوقوف

وَلَا تَعْتَدُوْا ۛ اَلْمُعْتَدِيْنَ ۝ مِنَ الْفَتْحِ لِلْعَارِضِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ الْمُفْتَقِرَتَيْنِ فَتْحُ لِلِابْتِدَاءِ بِالشَّرْطِ مَعَ الْفَاءِ فَاقْتُلُوْهُمْ ط الْكٰفِرِيْنَ ۝ رَجْمُ الدِّيْنِ اللّٰهِ ط لِتَبَدُّلِ

الحکم الظالمین ۝ تقاصر ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب و قوعهما اعتدی علیکم صح لعطف الجملتین المفتقرتین المتفقتین التهلکة ج لاختلاف المعنی

ای لا تقحموا فی الحرب فتوقعوا انفسکم فی التهلکة و احسنوا ج لاحتمال تقدیر اللام و اللام المحسنین التفسیر لما مر فی الایة المتقدمة بالتقوی امر فی هذه الایة باشق انواع

علی النفس و هو القتال فی سبیل الله عن ابی موسی ان النبی ﷺ سئل عن یقاتل فی سبیل الله فقال من قاتل لتکون کلمة الله هی العلیا و لا یقاتل ریاء و لا سمعة

الذین یقاتلونکم الذین بناجزونکم القتال و الذین بناصبونکم القتال و من لیس من اهل المناصبة من الشیوخ و الصبیان و الرهبان و النساء ای المستعدین للقتال

سوی من حتم للمسلم او الکفرة کلهم لانهم جمیعا مضادون للمسلمین قاصدون لقتالهم مستحقون لما فهم فی حکم المقاتلة قاتلوا او لم یقاتلوا و قیل فی سبب

نزول الایة انه ﷺ خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزلوا بالحدیبیة و هو موضع کثیر الشجر و الماء صدهم المشرکون عن دخول البیت فاقام شهرا لا یقدر علی ذلک

فصالحوه علی ان یرجع ذلک العام و یعود الیهم فی العام القابل و ینزلوا مکة ثلثة ایام حتی یطوف و یخرج الهدی و یفعل ما یشاء فوضع ذلک و ساءهم علیه و عاد

الی المدینة و تجهز فی السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قتال اهل مکة ان یصدوهم عن المسجد الحرام و ان یقاتلوهم و کانوا کارهین لقتالهم فی الشهر

الحرام فانزل الله هذه الایات و بین لهم کیفیة المقاتلة ان احتاجوا الیها فقال قاتلوا فی سبیل الله لا تعتدوا ابتداء القتال و انما کان ذلک فی اول الامر لقلة

المسلمین و لکون الصلاح فی استمالة الرؤوف اللین فلما قوی الاسلام و کثر الجمع اقام من اقام منهم علی الشرک بعد ظهور المعجزات و تکررها علیهم حصل الیاس

من اسلامهم فامروا بالقتال علی الاطلاق و لا تعتدوا بقتال من نهینکم عن قتاله من غیر المستعدین کالنساء و الشیوخ و الصبیان و الذین بینکم و بینهم

عهد او بالمثلة و المفاجاة من غیر دعوة الی الاسلام و هذه المعانی الثلثة اجزاء التفاسیر الثلثة فی الذین یقاتلونکم ان الله لا یحب المعتدین ۝ النجاة و رد

عاشر الله لهم فی الصحاح ثقفته ای صادفته و فی الکشاف الثقف الحذق بالشیء علما و عملا و منه رجل ثقف سریع الاخذ لاقرانه قال الشعر فاما تثقفونی

فاقتلونی ۝ ثقف ثقف ط لیس لی حلود ۝ امر فی الایة الاولی بالجهاد بشرط اقدام الکفار علی القتال و فی هذه الایة زاد فی التکلیف فامر بالجهاد معهم سواء

قاتلوا او لم یقاتلوا و استثنی عنه القاتلة عند المسجد الحرام و هی جرما لا یسوغ ان یفعل عینه ما منع من فعله و اصل الحرمة المنع من حیث اخرجوکم ای

ای من الموضع الذی اخرجوکم و هو مکة و قد فعل رسول الله ﷺ بهم لم یسلم منهم یوم الفتح و اخرجوهم من منازلهم کما اخرجوکم من منازلکم و قیل اجلی رسول الله

المشرکین من المدینة بل قال لا یجتمع دینان فی جزیرة العرب المراد بالاخراج تکلیفهم الخروج قهرا او تخویفهم و تشدید الامر علیهم حتی اضطروا الی الخروج

و الفتنة عن ابن عباس انها الکفر بالله لانه فساد فی الارض یؤدی الی الظلم و الهرج و فی الفتنة و ایقاع الکفر ترتیب یستحق العقاب الدائم بالاتفاق و القتل

لیس کذلک و الکفر یخرج به صاحبه عن الامتداد القتال روی ان صحابیا قتل رجلا من الکفار فی الشهر الحرام فعابه المؤمنون علی ذلک فنزلت ای کما تستعظمون

الاقدام علی القتل فی الشهر الحرام فان اقدام الکفار علی الکفر فی الشهر الحرام اعظم من ذلک و قیل الفتنة اصلها عرض الذهب علی النار للخلاص من الغش ثم صارت

اسما لکل محنة و المعنی ان اقدام الکفار علی تخویف المؤمنین و علی تشدید الامر علیهم حتی صاروا ملجئین الی ترک الاهل و الاوطان هربا من ضلالهم

فی الدین و ابقاء علی مجهم و حومهم اشد من القتل الذی اوجبته علیکم جزاء عن تلک الفتنة لانه یقتضی التخلص من غموم الدنیا و افانها شعر لَيَقْتُلُنَّكُمْ

يَجِدُ السَّيْفُ اَكُوْنُ مَوْضِعًا ۝ عَلَى النَّفْسِ مِنْ قَتْلٍ يَجِدُ فِرَارِيْ ۝ و قیل الفتنة العذاب الدائم الذی یلزمهم بسبب کفرهم کانه قیل قتلوهم من حیث ثقفتموهم

و اعلموا ان وراء ذلک من عذاب الله ما هو اشد منه فلا عبرة من قاتل یوتهم علی النار یفتنون و قیل فتنتهم ایاکم بصدکم عن المسجد الحرام لانه سعی فی المنع عن

الطاعة التی تاه خلق الجن و الانس لاجلها اشد من قتلکم ایاهم فی الحرم و قیل ارتداد المؤمن اشد من ان یقتل محقا فالمعنی و اخرجوهم من حیث اخرجوکم و

لو ادی ذلک علی انفسکم فانکم ان قتلتم و انتم علی الحق کان ذلک اولی بکم من ان ترتدوا علی ادباركم او تتکاسلوا عن طاعة معبودکم روی ان الاعشی قال

قال الحمزة ارایت قرانک اذا صادا الرجل مقنوا لا بعد ذلک کیف یصیر قالا لغزوه فقال الحمزة ان العرب تقتل منهم رجل فقالوا قتلنا و اذا ضرب منهم واحد

قالوا ضربنا و ذلک ان وقوع القتل فی بعضهم کوقوعه فیهم فَاِنِ انْتَهَوْا قیل ای عن القتال لان المقصود من الاذن فی القتال منع المقاتلة عن ابن عباس

و قیل ای عن الشرک بدلیل قوله فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ الدال علی انه یغفر لهم و یرحمهم الکافر لا ینال غفران الله و رحمته بترک القتال بل بترک الکفر عن الحسن

قلت لذا بدل القتال استحل الحرم قتل المسلمین فلازم القولان و الانتهاء عن الکفر ظاهرا بالتلفظ بکلمة الاسلام و انه مؤثر فی حقن الدم عصمة المال و

بالمحنة التشبث بارکان جمیعا و یؤثر فی استحقاق الرحمة و الغفران و قد یشدد بقوله وَالْفِتْنَةُ اَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ علی ان التوبة عن قتل العمد من کل ذنب

مقبولة لان الشرک اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالی توبة الکافر فقبول توبة القاتل و لو ایقاظ الکافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غیر

الکافر

الكافر ولا يمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المسامحة فظهر الفرق ولانه لا يمكن ان يجب قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان لا يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه نسخ لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب لم يكن فلا يضر بالجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تاخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اى شرك وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر اساسا وانما الغالب الازالة الان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد بما تقدم من قوله ويكون الدين لله اى ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد او محمولة على تصدر الة الكفر بترتيب هذا العزم على القتال كي لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبي ﷺ ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اى قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي دابدابه كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين كله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الاشد وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا تعتدوا على المنتهين فيكون مجموع قوله الا على الظالمين قائما مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل حضاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمي جزاء الظالم ظلما للمشاكلة كما يجيء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او يريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعتدي عليكم فاقتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فيقتل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال ذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر هتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والانعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اى كل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت فتضمنه بان يهتك لهم حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات في سنة فقدوكم حتى قتلتموها على غفلة منهم في سنة سبع وان قدروا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تتجاوزوا الحد بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر لتاييد التقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم وبالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى امر بالقتال فانه ينقطع الى العدد والعدد قد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال وروي انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامرهم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو لبشق تمرة ولو بمشقص تحملوا في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول ﷺ والانفاق هو في المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال مبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات وعلى القتال وفي الزكوات والكفارات وفي عمارة بقاع الخير وغير ذلك والاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه تعبر عنه بقوله في سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز نفسه لنشط وهان عليه ما دعي اليه الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للسفاد والمعنى ولا تقبضوا انفسكم اى لا تحملوها على اخذ ما بايديكم هالكة لكم وقيل لا يدعوا الانفاق في سبيل الله لفقر كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اى لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل ما ههنا حذف اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد لم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوهما في الاعيان التضيفة لشجر والمنتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصل التهلكة بالكسر التجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشددا للعين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجواد في الجواد وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا تتحرم فصاحته فانه احرى من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فتنبه للمعربين وفي هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية في النفقة وذلك ان لا تنفقوا في صدقات الجهاد اموالكم فيستولي العدو عليكم فيهلكم او ينفقوا كل مالهم فيجتاجوا ويحتاجوا فيكون ضياعا عن التقتير والاسراف وعنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا ننفقها فلان لا وفر الله عليه ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق الى التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اى لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار ولا تشحوا في الحرب حيث لا ترجون النفع

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون السادس الترول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحل النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الى الله كثيرا السابع ان قصد عدوا وسبع بالليل وبالنهار فليقرأ آية الكرسي شهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول بحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن منها على نشز من الارض او في الطريق يستحب ان يكبر ثلثا التاسع ان لا يكون هذا السفر هشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن اللغو والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله فنداء بابراهيم حين ابتلى بكلمات فأتمهن وقيل المراد من قوله واتموا افرادهما واكمال احدهما لبعده هذا تأويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وآدابهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للبساط لانه كالمحبوس في الجانب والحصير معروف سمي بذلك لانضمام القش بعضه الى بعض فكان كل منها محبوس مع غيره والحصير المحبس ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه عن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما روي عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف في الآية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حابس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال ابو حنيفة يثبت قال الشافعي ومالك لا يثبت بل يصير محرما بنفس الاحرام لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه ﷺ مر بضباعة بنت الزبير فقال لها تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان تحلي حيث حبستني فحكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق وفساد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي ﷺ من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصر ليست للتعدية لساواته حصر اقتضى المفعول فيكون للوجود او لصيرورته كذا قيل والمعنى الحق انكم ان وجدتم وصرتم محصورين فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في الحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعلم عند هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فضار تقدير الآية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان نادى بكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو اذ يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قبل ان خصوص اخر الآية لا يقدح في عموم اولها فلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقبل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الآية ان الكفار حصروا النبي ﷺ بالحديبية والائمة وان اختلفوا ان الآية هل تناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الآية اضمار ان والتقدير فحللتم اوردتم التحلل فعليكم ما استيسر وأما قاهدا ما استيسر ما تيسر مثل استعظم واستكبر وتكبرا الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل وفيه التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر امر مرفوع على الابتداء وخبره محذوف او منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جمع البرج وهي شيء يحشى تحت ذنب البرج جدي قرى من الهدي جمع هدية كطيبة ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الكل ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم اعلاها بدنة او سطها بقرة ادناها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس فان لم يجد شيئا من الهدي صام عشرة ايام لقوله فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي كاملة في الاجر كما لو قال رأيت اليوم اسدا هي كاملة في الشجاعة وقال الشافعي رضي الله عنه يجوز ان يصوم ايام التشريق لما روي انه ﷺ رخص في صيامها لمن لم يجد الهدي وقال ابو حنيفة لا يجوز لما روي انه ﷺ نهى عن صيامها ولان يوم النحر يوم الاكل والشرب فلا يصح فيه الصوم والنهي يدل على الفساد وقال الشافعي يجوز صيامها لقوله ﷺ ايام التشريق ايام اكل وشرب وبعال وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم بدليل قوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام والمراد من الاهل الاقارب وقال الشافعي يجوز ذلك في الحرم وفي غيره لان الاهل هو الساكن يقال اهل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي ﷺ تمتع هو بالحديبية فنحن هناك واجيب بان محصرا طرف الحديبية الذي هو اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي ﷺ تمتع هو في الحرم وقال الواقدي

وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على انه مطلق والمعنى فعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه
فليتمه كاذا كبر بالصلوة لزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد
به فعل الشيء تاما كاملا كقوله وَاِذِ ابْتَلٰى اِبْرٰهِيْمَ رَبُّهٗ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ اى اداهن على التمام والكمال وقوله ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيَامَ اِلَى الَّيْلِ اى فعلوا الصيام تاما الى الليل
وهذا اولى من تقدير انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه الاية نزلت في الحج فحملها على
الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرئ واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح
للقطع كخبر الواحد لان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتاويلنا اكثر فائدة فيكون اولى ولانه
احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر
وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي
سئل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق
وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث فلم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة واجبة
هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار احاد فلا تعارض القران وايضا لعل العمرة ما كانت
واجبة حين ما ذكر النبي صلعم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى
النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سئل النبي صلعم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال صلعم حج عن ابيك
واعتمر امرهما والامر للوجوب وروي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن عمر ان رجلا قال له اني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وحمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف
قالوا قرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها
ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها
ثلثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج و
العمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من
ميقات بلده في اشهر الحج وياتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة قبل الاحرام
بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج
لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه وانما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران
قال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة
القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد
قوله وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وذلك لان العطف يقتضي المغايرة وانما يحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال
عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل وما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي
فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر فرجح الشافعي رواية عائشة
وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم ولجابر تقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائلين
بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة
بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فالمجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في تفسير
الاتمام في قوله تعالى وَاَتِمُّوا فعن علي وابن عباس وابن مسعود ان تمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه
الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية
بان لا يرجع حتى يتم الغرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر
في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده
من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل او يكريها الثاني في الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل
يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون السادس في النزول أن السنة
يكون أكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار وإذا نزل صلى ركعتين ودعا الله كثيرا السابع أن تصدع عدو أو سبع بالليل أو بالنهار فليقرأ
آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن مهما علا نشزا من الأرض في الطريق
يستحب أن يكبر ثلاثا التاسع أن لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الأغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر أن يصون لسانه عن الرفث والفسوق
والجدال ثم بعد الإتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع أركان الحج على الوجه الأصح الأقرب إلى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الأمور
ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله اقتداء بإبراهيم عليه السلام حين ابتلي بكلمات فأتمهن وقيل المراد من قوله
أتموا أفردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا تأويل من قال الإفراد أفضل والأقرب من هذه الأقوال ما يرجع حاصله إلى معنى ائتوا بالحج والعمرة
تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما وآدابهما لوجه الله بدليل قوله فإن أحصرتم قال أحمد بن يحيى أصل الحصر والإحصار الحبس ومنه الحصير للملك
لأنه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام أجزائه بعضها إلى بعض فكأن كلا منها محبوس مع غيره والحصير المحبس أيضا والأكثرون على أن لفظ
الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو إذا منعه عن مراده وضيق عليه عن أبي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم أن لفظ الإحصار مختص بالمرض
ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقيل الإحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر إلا حصر العدو
وفائدة الخلاف في الآية تظهر في مسألة فقهية وهي أنهم اتفقوا على أن حكم الإحصار عند حصول العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال
أبو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك وأحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط أنه إذا مرض تحلل صح الشرط لما روي أنه صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال أما
تريدين الحج فقالت إني شاكية فقال حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني وفي حكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة أبي حنيفة ظاهر كلام أكثر أهل
اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وفي طائفة من أهل اللغة وأيضا الهمزة في أحصره للتعدية ليس
للسلب وإنه كحصره في اقتضاء المفعول فيكون للوجدان أو للصيرورة وتقرير ذلك فيؤول المعنى إلى أنكم إن وجدتم أو صرتم محصورين فلا يبقى النزاع وأيضا المانع إنما يتحقق عند
وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة إليه فثبت أن لفظ الإحصار حقيقة في العدو دون المرض وأيضا لفظ المانع على المرض
غير معقول لأنه عرض لا يبقى زمانين وأيضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه وأجيب
عن هذا بأن المريض إنما خص بالذكر لأن له حكما خاصا وهو حلق الرأس فصار تقدير الآية إن منعتم بمرض تحللتم بدم وإن تأذى رأسكم بمرض حلقتم
وكفرتم وأيضا فإذا أمنتم يناسب الخوف من العدو إذ يقال في المرض شفي وعوفي لا أمن ولو قيل إن خصوص آخر الآية لا يقدح في عموم أولها قلنا لا
يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل إنه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي أن المفسرين أجمعوا على أن سبب نزول
الآية أن الكفار حصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية والأئمة وإن اختلفوا أن الآية هل تتناول غير سبب النزول أم لا إلا أنهم اتفقوا على أن خروج ذلك السبب
غير جائز ثم في الآية إضماران والتقدير فتحللتم أو أردتم التحلل فعليكم ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر أي ما تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر أما
الإضمار الأول فلأن نفس الإحصار لا يوجب هديا وإنما الموجب هو التحلل ونية التحلل وأما الإضمار الثاني فلأن قوله ما استيسر مرفوع على
الابتداء وخبره محذوف أو منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى إلى بيت الله تقربا إليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم
أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الأجناس والمحصر المحرم إذا أراد التحلل وذبح وجب أن ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل
الذبح وأكثر الفقهاء على أن حكم العمرة في الإحصار حكم الحج وعن ابن سيرين أنه لا إحصار فيها لأنها غير موقتة ورد بأن قوله تعالى فإن أحصرتم مذكور
عقيب الحج والعمرة فكان عائدا إليهما وبأنه صلى الله عليه وسلم تحلل بالإحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما محل الإحصار قالت العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من
المسير إلا ببذل مال فلهم أن يتحللوا ولا يبذلوا المال وإن قل إذ لا يجب احتمال الظلم في أداء الحج بل يكره البذل إن كان الطالبون كفارا والأكثرون على أنه
لا يجب القتال على الحج وإن كان العدو كفارا وكان في مقابلة كل مسلم أقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا
المخيط لدفع حر أو برد ولا فرق على الأصح في جواز التحلل بين أن يمنعوا من المضي دون الرجوع أو يمنعوا من جميع الجوانب لأنهم يستفيدون بالتحلل الأمن
من العدو والمواجهة لو صد عن طريق وهناك طريق آخر ووجد شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال وإذا سلكوه ففاتهم
الحج لحزونته أو لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الأظهر من قولي الشافعي لأنهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدود مطلقا نعم لو استوى الطريقان
من كل وجه وجب القضاء لأن الموجود فوات محض وفي قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لأن الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله
بل لا يحصل التحلل إلا بالنحر والتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وإنما جاز تذكير الهدي لأن كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتأنيثه
قال تعالى أعجاز نخل منقعر وفي موضع آخر أعجاز نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه أو اسم للمكان
قال الشافعي يجوز إراقة دم الإحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال أبو حنيفة لا يجوز ذلك إلا في الحرم يبعثه ويجعل للمبعوث على يده يوم أمارة حجة الشافعي
أنه صلى الله عليه وسلم أحصر بالحديبية فنحر هناك وأجيب بأن محصره طرف الحديبية الذي هو أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي

الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وورد بقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية صريحة في انهم نحروا الهدى في غير الحرم وايضا قوله فان احصرتم يدل على ان كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا ينافض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان الموصل الى الحرم هو الحصر فكيف يتوهم هذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد كان يجد ذلك الغير فما ذا يفعل بحجة ابي حنيفة ان الحل عبارة عن مكان الحل قوله حتى يبلغ الهدى محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يدل احتمال الزمان والبيت نفسه يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في حالة من فدية وجزاء وهدى ولا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدى فيذبح في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس والدليل المذكور قالوا الهدية لا يكون هدية الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدى كذلك ورد بان هذا ممنوع بل الاسم هو محمول على الافضل عند القدرة والحصر اذا كان غاديا للهدى فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدى في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تقرب وجب للهدى وما ابيح له بدلا وعلى هذا فما ذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يحلل في الحال كالوصام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه مال ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح به قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذا بدله الاصح الطعام لان قيمة الهدى اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدى فالرجوع الى الاقرب الى ثم الصيام عن كل مد بوما وفي قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة فالاية تدل على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدى كما انه امرهم ان لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدى محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم وحتى تعلموا ان هدى الذي يبعثه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف ان كان مصدودا عن البيت دون الاطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل صح الوجهين عند الشافعي لان ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان بسكنة تطوعا فلا قضاء عليه وقال مالك واحمد لان المصدود بن مع النبي كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن لسكنة تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو ثابت في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها يبقى في ذمته مهما حصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالاية فحكم الهدى ما مر في الاحصار بالعدو ان صححنا بان كان قد شرط التحلل بالمرض فهل يلزمه الهدى للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدى فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدى فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لكن الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر ذلك انه قبل بلوغ الهدى محله يرخص بالحلقة مرض واذى في راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في الحلق واذا اذن له في الحلق اذن له في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاضطر الى الحلق فالنسك العبادة وقرئ بالتخفيف قيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكة قيل المتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على انها قد شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل على كميتها وكيفيتها وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت اري ان الجهد بلغ بك هذا ما تجد شاة فقلت لا فقال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في الفدية قال العلماء المرض قد يحوج الى اللباس والى الطيب والدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا فدية بنحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الرفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدا لامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا ضمان اي تخلوا فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامر بعد الخوف قبل الحل فجواب الشرط وهو فاصنوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة نفوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول والاول وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول يجيء لها تاتي لمعنى طويل وكل من طالت صحبته شيئا فهو متمتع به قد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر خطب وقال تمتعان على عهد رسول الله انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروى ان النبي امرهم ان لا يحتابوا ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان نسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بحظوظ

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقبل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع تبقره بالحج والوجوب للدم على المتمتع شرط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجيء تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريدا للنسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل شهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في شهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل شهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه اشبه الافراد ولو احرم بها قبل شهر الحج واتى بجميع افعالها في شهر فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج يقدم احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل شهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه متى حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر في سنة ثم حج في السنة المقابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى الحج او رجع وعاد لان الدم انما يجب باحرام بالعمرة مجزئ في وقتها وترك الاحرام بحج من الميقات مع حصوله في وقته لا يمكن ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله ﷺ يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهد ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى الميقات الذي انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز لذوي الاسباب ان ياكل منه دم نسك حتى يجوز ان ياكل منه ذهب ابو حنيفة الى الثاني وقال الشافعي الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال علي ما اعد الى رخصة اتيتها ورسول الله ﷺ للغريب الحاجة فابطلتها فهو المتعة رخصة هذا دليل النقص وايضا التمتع تلذذ وانه بناني العبادة لانها مشقة تكليف وايضا انه تقرر وجب الهدى على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل دم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدى كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة يجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثنى المعز وهو الذي دخل في السنة الثانية او هي جذع الضان وهو ما تم له ستة اشهر وهو ايضا في السنة الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان المنع قد تحقق فترتب عليه الهدى جبرانه وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدى وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او وجد بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي في بعد الاحرام بالحج لانه تعجل الحج ظرفا للصوم وله يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدى الذي هو اصل فكذا البدل وقال ابو حنيفة في وقت الحج وهو اشهره فيجوز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد وروي قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الا ايام الثلثة قبل يوم عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم جائزة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه يستحب ان يحرم بالحج قبل عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها ولما الواجد للهدى فالمستحب ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن جابر ان النبي ﷺ قال الذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوت وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد عند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوت ويستقر الهدى في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه ﷺ قال للمتمتعين من كان معه هدى فليهد فمن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها كما في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة كما عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد انه لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق بين الصلوات الفوائت والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما قدر مما يقع به التفريق صح الاقوال اربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على الاصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس لصوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض المحدثين ان هذا مما يصلح الواضحات من المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة ليس فاصلا قطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قول جالس الحسن وابن سيرين لوجالستهما جميعا واحد منهما كان ممتثلا فقد لكت نفيا للتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب وكفى بها فائدة وايضا المعنى ان الدماء ان الدماء ضعفا لامن البدل كما اتيم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء

وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على ثلثة جاز ان يعود الى الثلثة الاولى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذى يتطرق الى كثير من العمومات فى الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الاحاد والعشرات والمآت فهذه مراتبها فكانه قال انما وجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقته مسلوكة فى كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتد به المتكلم زيادة توصية بصيانتها وان لا يهانوا بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب فلم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا كما روى انه ﷺ قال فى الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيديه ثلث مرات اخرى وامسك بهامه فى الثالثة يعنى بها الاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذى يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة فى الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة فى الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزى فى كفارات الظهار والوقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا فى معنى الامر اى فليكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المامور به تاما كاملا كما قال وأتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى فى قول النبى ﷺ حكاية عن الله تعالى الصوم لى وانا اجزى به والحج ايضا مضاف اليه تعالى فى الآية وأتموا الحج والعمرة لله وكاد الدليل على هذا الاختصاص فالعقل ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل البشرى على وجوه الحكم فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضى المباعدة من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يوتى به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع فى زمان الحج فيكون جمعا بين مشقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فالاحرام وصفه الله تعالى بالكمال فى باب العبادة والتنكير فى اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واختلف العلماء فى ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع وما ترتب عليه كما ليس البعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام وقال الشافعى بل عوده الى الاقرب اولى وهو الحكم بوجوب الهدى على المتمتع وايضا قوله من تمتع عام يشمل الحرمى والميقاتى والآفاقى وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة اباحة لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية فى تحريمهم العمرة فى اشهر الحج والنسخ يثبت فى حق الناس كافة وتفرع على مذهب ابى حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضرى المسجد الحرام كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه وعلى مذهب الشافعى يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شئ فان لزوم الهدى على الآفاقى بسبب انه حرم فى الميقات عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبرا لخلل بدم والمكى لا يجب عليه لان بحرم عن الميقات فلو خلل فى حجه بتمتع او قران او افراد فلا يلزمه الهدى ولا بدله ثم اختلفوا فى حاضرى المسجد الحرام فعن مالك اهل مكة واهل ذى طوى وعن طاوس وسرهم اهل الحرم وعن الشافعى هم الذين يكونون على اقل من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن بعضهم انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت ذو الحليفة على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر المغرب على ستين فرسخا من مكة وبلملم من توابع اليمن وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من مهوى العراق والحرسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هى المذاهب فى تفسيرها للاية مذهب مالك ان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعى قال قد يطلق المسجد الحرام ويراد به جميع الحرم قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ورسول الله ﷺ اسرى به من الحرم لا من المسجد قد يقال حضر فلان فلانا اذا دخل منزله ومر بمكان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب فانه فى منزلة المقيم فى نفس مكة وفى مذهب ابى حنيفة بعد فانه يؤدى الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثانى لما قلنا ان مسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض الذى هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله ﷺ اشترطى لهم الولاء اى عليهم وذكر حضور الحرم لان الغالب على الرجل انه يكون حيث اهله ساكنون فاتقوا الله فى محافظة حدوده وما امركم به ولها كم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقها من العاقبة كانه يراد عاقبه فعل الشئ كقول القائل لتذوقن فعلك الناوبل جج الحواصج رب ليبك وشوده وهذه سيرة ابرهيم ﷺ كما قال انى ذاهب الى ربى ولكنه احضر فى السماء السابعة فالاحرام اهدى بالنسبة الى السرى بالنبى ﷺ كان نهاه بالله ما احصر شئ فقال الا وأتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا فى تمام صورة الحج بقدر استطاعتكم وفى الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم فما بعد النفى فى الهوى اولا لال الفلك فى الكلال الروح باستحلاء الاحوال وتبغى الامال فما استيسر من الهدى اعلاها الروح واوسطها القلب ادناها النفس لهذا كان الاحصار به ولا تحلقوا الا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد فان عرض مرض او الاذاة او يعلوه اذى من المراحات من غير فزة من نفسه فلم يجد بدا من الاناخة بفناء الرخص فليجتهد ان يتداركه بالفدية فقد قبل من قبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك ذبح النفس فى مقاساة الشدائد فاذا انعم الاحصار واقبل الجد الصاعد الرحمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح فى الطلب فما استيسر من الهدى من نزل مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد فليستطع بترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب القوى الثلث المدركة المعانى المتصرفة فيها وهى الوهم والحافظة والمخيلة هذا اذا كان فى عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع مشاهدها

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور الثانية معينها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب الانس لا يحتاج كما يعانيه وانما يلزم التعب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد
استراح فاتقوا ان تتكلوا في فترة او وقفة وتركوا الى المشارق من هذا المشارق علموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب الغافلين بذا الحجاب
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا

ع ٩

فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
پس بدرستى كه بهترين توشها پرهيزكارى است وبپرهيزيد مرا اى صاحبان خرد عيب برشما حرجى اگرچه بجوئيد وطلب كنيد زيادتى را از پروردگارتان برگشتيد از عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس
پس ياد كنيد خدا را نزد مشعر الحرام ويادآوريد او را بجهة انكه هدايت كرد شما را اگرچه بوديد پيش از ان هر آينه از گمراهان پس مرا جعت كنيد از انطرف كه مراجعت كردند مردم
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من
وطلب امرزش كنيد از خدا خدا امرزنده ومهربانست پس چون ادا كرديد مناسك خود را پس ياد آوريد خدا را چون ياد كردن شما پدران خود را يا بسيار تر پس ازمردمان كسى است كه
يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة

ع ١٠

ميگويد پروردگارا بده ما را در دنيا وبيست مر اورا در آخرت هيچ بهره واز انها كسى است كه ميگويد پروردگار ما را در دنيا خوبى ودر آخرت هم
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات
خوبى ونگاهدار ما را از عذاب آتش انكسانند كه بهره از انچه كرده اند وخدا زود محاسبه است ويادآوريد خدا را در روزهاى شمرده شده
فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون القراءة فلا رفث

پس هر كه شتاب در دو روز پس نيست گناهى براو وهر كه پس انداز پس عقوبتى نيست براو مر انرا كه پرهيزد وبپرهيزيد خدا را وبدانيد كه شما بسوى او گرد آئيد ولا فسوق بالرفع فيهما
ابو عمرو ويعقوب وابن كثير وابن ذكوان بالاعادة الرفع والباقون بفتح الثلثة وكذلك يرد الضطع من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين
سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل واتفق ابو عمرو وابن كثير على اسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر روى بهته الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش والشموني
وحمزه في الوقف بالتليين الوقوف معلومات في الحج ط بعلم الله ط التقوى للمعارضين الجملتين المنفصلتين الا الباب من ربكم ط لان اذا اجيبت
بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الخواص لعطف المتفقتين هديكم ج لان الواو وهو تصلح حالا واستينافا الضالين ٥ واستغفروا الله ج رحيم
ذكر اط من خلاق النار ٥ مما كسبوا ط الحساب نصف الجزو معلومات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا واج لابتداء شرط اخر مع العطف عليه
الثانية لا تعلق اللام انقطع لاختلاف النظم تحشرون النصير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقت اشهر معلومات كقولك
البلد شهران والحج اشهر معلومات اى الحج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسئ وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في
قولهم ليلك قائم ونهارك صائم واتفق المفسرون على ان مشوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل
الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر ومن
هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابن عمر انه عشر في ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن فالوا لفظ
الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال اتيتك سنة كذا وانما اتاه في ساعة منها وعن الجماد
يفعله الانسان وقد حمل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحايض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من
اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي الاسبعة الاولى من ذي الحجة
مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس
والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهرا معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت
فلو كان الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين لجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات
الحج من حيث انها تؤدن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات قبل الحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة
في اشهر معينة من شهور ها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى
هذا فهذا الشرع له يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا والمرادبها معلومات ببيان الرسول والمرادبها موقتة باوقات
معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسئ ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز احد ان يحرم بالحج قبل اشهر الحج وبه قال
احمد واسحق والحق وقيل الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وقيل الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها قامت
مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وقيل الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

سورة البقرة

لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت ولكن الاحناء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور لا بعقد مبتداء واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من كبار الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم الرجل من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان الضرر لا يعارض الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بنحو من لا يكون داره صحيحا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يخرج عليه شياه كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام مجردا النية من غير حاجة الى التلبية نظرا لها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض فيهن فرض وفرض الحج على النية دل منه على التلبية وسوق الهدى وفرض الحج موجب لا نفعا الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال عليه السلام كل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة لا بد في اخرها ولا في اثنائها نطوع واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط لانعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدى وتقليده والتوجيه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس ان قلد الهدى وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد احرم ورواه ابو منصور الماتريدي في تفسيره عن عائشة قالت لا يحرم الا من اهل وروى ايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي عليه السلام انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا يكره الزيادة على هذا وروي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغبى اليك والعمل فان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلعم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلعم اهل حتى انبعثت به راحلته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ويلبي ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ويلبي والقول الثاني به قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ماخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلعم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا عجاز فيه فاشبه التسبيح قال عليه السلام لعائشة حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في قرأ برفع الثلثة او بنصبها فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل ان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة يحجون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ردا للوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وبما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلعم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قوي كذلك ما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا يفيد الحق كثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش ويدعى الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوز ان يكون الفتح ادل على عموم النفي واما الرفث فعن ابن عباس هو الجماع ولذا في العمرة وفي الحج نتائج منها فساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة وانعقد الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا ازالة الفساد على الصحيح عن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل وقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك اذا اتى بالثلثين من الرمي والنحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق والرمي والطواف يحصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب واللبس والصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بتمام الاعمال الثلاث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج بطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فانه يجبر بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال عليه السلام اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الاصح وكالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيها ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير المحصر بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لو لا عرض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج الفساد الكفارة ليستوي فيها الحج والعمرة وخصالها احسن على الترتيب بدنة ان وجدها لان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا فتومت البدنة

ان يحج من قابل ويهدي

الحلق والطواف

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينة على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لئن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب لا ينبغي له ان يخالف ولا يفات في انما يلزم التعب في الطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد
استراح فلا تقولوا ان نستكنوا في فترة او وقفة او ترك والى مشرب من هذه المشارب فاعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب الفائتين بذلة الحجاب
الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا
جمع كردن ودر ماهها معلوم چند شناخته پس هر كه واجب كرد بر خود در حج را پس جماع نكند وكناه نكند ودشنى ندهد در حج وهر چه را كه بكنيد از خوبى ميداند او را فردا وتوشه برداريد ع ٩
فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات
پس بدستى كه بهتر توشها پرهيزكارى است وبپرهيزيد مرا اى صاحبان خرد نيست برشما حرجى اگر طلب كنيد روزى از پروردگارتان پس مراجعت كنيد از عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
پس ياد كنيد خدا را نزد مشعر الحرام ويا ياد آوريد او را بسبب آنكه هدايت كرد شما را اگرچه بوديد پيش از آن هر آينه از گمراهان پس مراجعت كنيد از آنطرف كه مراجعت كردند مردم
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من
وطلب آمرزش كنيد از خدا كه خدا آمرزنده ومهربانست پس چون ادا كرديد مناسك خود را پس ياد آوريد خدا را چون ياد كردن شما پدران خود را يا سخت تر پس بعضى از مردم
يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
ميگويد پروردگارا بده ما را در دنيا وبنيست مر او را در آخرت هيچ بهره واز ايشان كسى هست كه ميگويد پروردگارا بده ما را در دنيا خوبى ودر آخرت هم
حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في أيام معدودات
خوبى ونگاه دار ما را از عذاب آتش آنگروه مر ايشانراست بهره از آنچه كسب كردند وخدا زود محاسبه است ويادآوريد خدا را در روزهاى شمرده شده
فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون القراءة فلا رفث
پس هر كه شتاب در دو روز پس نيست گناهى بر او ودر كه پس انداز پس عقوبتى نيست بر او مر آنرا كه پرهيزد وبپرهيزيد خدا را وبدانيد كه شما بسوى او گرد آيند ولا فسوق بالرفع فيهما
ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد ولا جدال بالرفع الباقون بفتح الثلثة وكذلك يروى الضغط من طريق الحسن الهاشمي ويقرون بالياء في الحالين
سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل واقف ابو عمرو ويزيد اسمعيل في الوصل بالياء ومن تأخر روى بهته الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني
وحمزه في الوقف بالثلثين الوقوف معلومات في الحج ط بعلمه الله ط التقوى للعارضين بين الجملتين المتفقتين لا لباب من ربكم ط لان اذا الجيبت
بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرص لعطف المتفقتين هديكم ج لان الواو مع تصلح حالا واستينافا الضالين ج واستغفروا الله ج رحيم
ذكر اط من خلاق النار مما كسبوا ط الحساب نصف الجزء ومعدودات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا واج لابتداء شرط اخر مع العطف عليه
الثانية لا تعلق اللام اتقوا ط لاختلاف النظم تحشرون التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقت اشهر معلومات كقولك
البلد شهران او الحج اشهر معلومات اى الحج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسئ وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في
قولهم ليلك قائم ونهارك صائم واتفق المفسرون على ان مشوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل
الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر ومن
هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر وعن ابن عمر بعشر في ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن فالواو
الجمع لتشارك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال اتيتك سنة كذا وانما اتاه في ساعة منها وقرئ الحاد
يفعله الانسان وقد حمل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحايض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من
اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة
مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس
والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج أشهرا معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت
فلولا الاهلة لم يعلم دخول كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات
الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة
في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى
هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا والمراد انها معلومات بديان الرسول والمراد انها موقتة باوقات
معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسئ ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز احلال قبل الحج قبل اشهر الحج وبه قال
احمد واسحق وقالا يصح الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وابو حنيفة في الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها قامت
مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وابو حنيفة الاحرام لا يبقى صحيحا الاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت ولكن البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك الثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما قالوا الاحرام التزام الحج فجاز انعقاده قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور لا بعقد مبتدإ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا واشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان الضرر لا يعارض الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بمن لا يكون داره صحيحا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذا الشهر ان يحج وبهذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يجرح عليه اشياء كان حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام مجردا النية من غير حاجة الى التلبية نعم لها سنة عند النية وبه قال احمد مالك لقوله تعالى فمن فرض فيهن فرض الحج على النية دل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب للاحرام الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال عليه السلام لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة لها تحليل واحرام فلا بد لها من نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط لانعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجيه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم عن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة والحج فقد احرم وروى ابو منصور الماتريدي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل وروى ابو يوسف ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي عليه السلام انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغبى اليك والعمل فان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلعم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان ينوي في تلبيته بعد ابتدائه ان كان راكبا وحين توجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلعم لما هل حتى انبعثت به راحلته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة توالها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسرها لي وتقبله مني ولو ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة وفي القول الثاني به قال احمد مالك وابو حنيفة ان الافضل ان يثني ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ماخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلعم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب فائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا يجاز فيه فاشبه التسبيح قال رضي الله عنها يشبه حين حاضت فعلها ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ برفع الثلثة او بهن فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة يحجون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ردا للوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج وربما يستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلعم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه انه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك ما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان الجادل يشتهي ما يشتهيه وقوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا يفيد الحق في كثير مما يقدم على الايذاء والاجتراء ويدعى الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوز ان يكون الفتح دالا على عموم النفي اما الرفث فعن ابن عباس هو الجماع ولذة العمرة والحج نتائج منها فساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا ازالة الفساد على الصحيح عن مالك احمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا وذلك اذا طاف وسعى وحلق والحج تحللان وذلك اذا اتى بالثلثين من الرمي والنحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق والرمي والطواف يحصل التحلل الاول وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب واللبس والصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بتمام الاعمال الثلثة فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج بطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فانه يجبر بعض محظوراته برفعه وبعضها اخرى قال رضي الله عنه اذا رأيتم حلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الاحرام كالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيها ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير المتخصر بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسد يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لو لا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج الفساد الكفارة ليستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خير على الترتيب بدنة ان وجدها لان العجز عنها يصير عجزا عن الاعلى لا ببدنة ولا بقرة ولا بقومت البدنة

الحلق والطواف

دراهم الدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما وعن ابن عباس وجماعة من التابعين القضاء اتفاقا لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان القضاء واجبا او تطوعا فان القضاء واجب اصح الوجهين في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم ويضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم او الصلوة بعذر ان على الاشبه من جواز التاخير نوع تردد وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الوقت كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عامدا فالمذهب روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو ظاهر الروايتين عن احمد وقبل الوقت باللسان ذكر الجامعة وما يتعلق بها والوقت باليد اللمس والفرج الوقت بالفرج الجماع وقبل الوقت هو قول الخنى والفحش لقوله ﷺ اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الوقت الاخاش وعنه الوقت اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحده الشريعة فيشمل كل المعاصي قال الله تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال تسباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقبل الايذاء والايحاش ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الوقت هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه مفاعلة من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عن رايه يختلف المفسرون فيه فمن الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا مع الرفقاء وفي الحج اسيء كلبس الحرير في الصلوة وقال محمد بن كعب الفرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم مجنانا تم وقال اخرون بل مجنانا تم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقال الله في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وان جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهور على العدد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد يقول اخرون بل هذا وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال المقاتل يدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله ﷺ حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال ﷺ لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال وقال عبد الرحمن بن زيد جادلهم في ان ابراهيم المصيب مقام ابراهيم قبل انه النسيء فهو اعز ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في وقت ابراهيم ﷺ قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك في الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان نريد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث هي عن طاعة القوة الشهوة التي يتولد الفحش والفجور والفسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء والجدال من اجل تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فنهى بهذا الاداء المتخالفة والاهواء المتضادة والعقايد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشاه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الاداء الزائفة وتحصيل الاغراض الزايلة والاغراض الفاسدة واما الذي يدعو الى الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد والخائم المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وآراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد بحمد فامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطعة البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لما قبل الخير وان كان عالما به ايهاما لنكتة هي اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم ان مولاه على سرائره وخفايا اياه اجتهد في اداء ما امره واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حتمه على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعلموا ان كان الرفث النفث عند الفسوق وغاية الحمق وسمقام الجدال الشقاق والوفاق مع الرفاق تقيما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفوس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبايح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلص عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك الى السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس: اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * اذا انت يوم الحشر زاد من بقى: ولا فيت بعد الموت من قد تزودا: ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصده وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا مما يبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال

وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحبه عصى الله في ذلك فيفسد بطال بمكة الله تعالى ووضع الوسائط والروابط التي عليها مايدور والمناهج وبها ينتظم المصالح روى ان بعض العارفين نهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى يأتيني رزقي فاخذ بساحل فاقام في سفح جبل سبعة ايام لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب انك امرتني ان آتي بريتي الذي تعلمني ولا فاقضي اجلي فالهمه الله تعالى في قلبه عز وجل الا ارزقك حتى تدخل الامصار ويفهم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجز في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمة ربك في الدنيا اما علمت انه يرزق العباد وهم عباد كما يرزق العباد وانت عبد من ان يرزقهم بعد الغدوة وقيل في الآية حذف اي تزودوا لعاجل سفركم ولاجل فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري بالواو لان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في الحقيقة ولما منع عمر الخرق الجدال المختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في اكثر الحال الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهرا لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاجتماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم اعطاء منه تفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله عن ابي مسلم انه حمل الآية على ما بعد الحج قال والتقدير انتم لا تعلقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الآية على موضع الشبهة وهو من حملها لا على موضع الشبهة وحمل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها الاشتغال بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الآية كانوا ايام الموسم ثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالعوالي الكف عن البيع والشري فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الدجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد قيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام فاتموا فرفع عنهم الحرج من التعلق امرا مباحا مالم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سئل رجل رسول الله ﷺ عما سئلت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعاه فقال انتم حجاج وعن عمر انه قبل اهل اليمن تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع ورواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال الحلال واللباس هو المراد ههنا بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه فاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هل امنعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث نقل انه لم يبق علما بما جمع ثم جعل علما للمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجود لها كما رأيته لبعض المتاخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة لمجموع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث اذ قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا محضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه لانا وان جعلناه كما في قوله لا ارض بقل بقلها فانها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بناء وبل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو مسلمات وعرفات لانه لو سقط لشبهة الكسرة الساقطة وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسرة فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف لا ضرورة لم يحذف المانع مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرء القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها : بيثرب ادنى دارها نظر عال : وبعضهم بفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع يسمى يوم عرفة وعرفة في اللغة هي الموضع المخصوص قيل التروية التفكر سمي بذلك لان ادم تامل امر ابناء البيت فبناه تفكر فقال الاربي ان الكل عامل الجزا انما الجزي على هذا العمل

فيما الفضل

لك ذنوبك يا ولد شرط من طوافك قال يا رب دنى قال اغفر الكبائر كلها اذا طافوا به قال ربى فقال اغفر لكل من استغفرنى الطائفون من موحدا ولا ذلك قال ربى حسبى وقيل ان ابرهيم رأى فى منامه ليلة الروية انه يذبح ابنه فاصبح متفكرا هل هذا من الله او من الشيطان فلما راه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفة يا رب نه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم الروية الى منى فيرددون فى الاذعية التى يذكرونها فى الغد بعرفات فقيل الروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحج الذين يقصدونهم من الافاق فيشتغلون فى الماء بعدما تعبوا فى الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش يردون بحار الرحمة فتشرب منها حتى روى واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان ادم وحواء التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس ولان جبريل علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت فقال نعم ولان ابرهيم عرفها حين رآها بما تقدم من الوصف عن علىؓ وابن عباس عن عطاء واسكا ولان جبريل عرفها ابرهيم المناسك وقد مر فى قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يزل اقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات وقد سبقت القصة فى بناء البيت فى قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انفا من منام ابرهيم او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل شفاؤها من الاعراف لان الناس يعترفون هناك بالمحو بالربوبية والجلال لانفسهم بالفقر واختلال الحال يقال ان ادمؑ وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الان عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها فان خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى فى المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة النبىؐ واقف بعرفة فى موقف ابرهيمؑ فى حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبىؐ لو يعلم الناس ما لهم فى هذه الآية لقرت اعينهم فقال اليهود لعمر لو ان هذه الآية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر انا لنعلم اى يوم هى ومكانها نزلت على محمد بن وكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلاة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى يوم قطيعة الفاطعين ان الله برئ من المشركين ورسوله يوم افالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين فى الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر اذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال صوم الروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين قال من صام يوم الروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اتم الله به فى قوله عز من قائل والشفع الوتر عن ابن عباس الشفع يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن ابى شيبان رسول الله ﷺ قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو يتجلى ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا ملائكتى انى قد غفرت لهم وكاضبان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة بحجة او قبلة فان كان معتمرا فى ذى الحجة او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات فاذا كان يوم التروية يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذى الحجة بعد ما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالغدو غدا بعد ما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى يحيون يوافون الظهر بمنى فيصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة لهم ان يدعوها بل يضربوا قبة الامام بنمرة وهى ان لبنى معد حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبته من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يعلمهم مناسك الحج ويحرضهم على الكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام واقتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يؤذنون فاذا فرغ المؤذنون من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلى بهم الظهر ثم يقيمون فى الحال فيصلى بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبىؐ وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف كله لا بد لك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله الحج عرفة من فاته عرفة فقد فاته الحج وقد يستدل بالاية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تقاصر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لاصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يبتدئ من زوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هناك فى هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد فات الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قبل حط الرحال لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف القرب قيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اى يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع فيها بين صلوتى المغرب والعشاء عرفاده وقيل لان ادم تم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اى دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء بالمامتين ثم يبيتون بها فان لم يبيتوا بها فعليهم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه فى غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

منها الحصى للرمي ياخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرتقي فوقه ان امكنه او وقف بالقرب منه ان امكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منها الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكبا يحرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم
بعدما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لانه ربما لا يكون معه هدي ثم بعدما ذبح الهدي يحلق راسه او يقصر
ثم بعد الحلق اتى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين ومزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر اربعة ان يعود الى منى بعد رمي جمرة العقبة والذبح
والحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم ياتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على النسق المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمنى للناس يسئلونه فجاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه اخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا
حرج واتاه اخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابراهيم عليه السلام وذلك
ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين امره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة ايضا من قبيل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مازمي الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لعبادته ووصف
بالحرام لحرمته واما الذكر المامور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هديكم ما مصدرية او كافة الحقت الامر بالذكر او لا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة كي تكونوا شاكرين لنعمة الهداية اما كل انواع الهدايات والهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الراي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية والذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب والمعنى ذكروه بتوحيده كما ذكركم
بهدايته والمراد بتثنيته الامر تكثيره وتكثيره يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هديكم متعلقا بالامرين جميعا او
الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اشارة للوظيفة الشرعية والثاني اشارة
الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام والمراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدي او من قبل الرسول ومن قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انها الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف
به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس
الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام ابائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر
الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المامور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم فاتى بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه صيرورة المعنى
فاذا افضتم من عرفات ثم افيضوا من عرفات ولا يفيد تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر للناس جميعا
وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابرهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما

لانه معلم

وفي ذكر اللسان وفي ذكر القلب

بالوقوف

فافيضوا من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابراهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول ص والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابراهيم واسمعيل واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القرآن اولى ما يحتج به عن الزهري ان الناس في هذه الاية اراد ص واحتج بقراءة سعيد جبير من حيث افاض الناس بكسر السين اكتفاء من الباء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في الموقف ومحو ذلك من جاهليتكم ولكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب هو ان يندم عن كل تقصير هو في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما بعده ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله حظيظة فان التقصير لازم الامكان والقصور من خصائص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا من عباد الله حين عبادتك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس ان النبي ص قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فلو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك فانت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب وتبته وعصيته ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي علم ومن الذنب الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان اللام للغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الاخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عبادتكم التي امرتم بها في الحج ومن اعمال مناسككم اذا المناسك جمع المنسك والمنسك يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل فيذكر كل واحد منهم فضايل اباءه في السماحة والحماسة وصولة الرجم ويثنا شدون فيها الاشعار وعرضهم الشعر والرفع بمآثر اسلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لاباءهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوات في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم آثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية واطمتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بموجب استعدادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثنا على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استلزم العجب والتباهي وان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات اباءهم محبطة بسبب شركهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق به ابتا امه مرارا كي يتواطئين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه فلا تنفي ذكر الاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثل الادام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر افتخارها في المجاهلية بالاباء فقال تعظمكم اباءكم وقد نهى رسول الله ص عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت قبل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين فاذى منه واستنكف قيل كما ان الطفل يرجع الى امه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك للوالد اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بالكسر كالفعل متعد لاعتبار ان اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وحذف ذلك الفعل واجد لاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من حيثية وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن رد عليه ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك يعجبني احسن وجه اي احسن الوجوه فانتصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك يعجبني زيد افره عبد فالفره للعبد لا لزيد المذكور قبل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قاسه سيبويه على ما يقال الذكر اشد ذكرا وجره اضافة وجره نصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر كما يجوز نسبة الذكر الى الذاكر فيذكر فكان الذكر يذكر لحدته بسببه على جميع الوجوه فمعنى ومعناه ليس هو التشكيك انما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو قريب منه ولي كقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه انما امره بالله تعالى بان يكون ذكره اشد لان مفاخر اباءهم متناهية وصفات الكمال غير متناهية وذلك مشكوك وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان وكل ازم الثاني نور وبرهان ثم انه تعالى بعد ما امر بالعباده تصفية للنفس وتخليها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة

سورة البقرة

الاشتغال بذكر الكبير المتعال فيه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك الطلب نعيم الاخرة واهل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الاجرة فنبه على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بالآم الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من فوات الدنيا والاخرة عن الزبير انه دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والاضافة انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه فكيف يقضي ذلك به الى الجزع ويوقعه في انواع الكفر ويحمله على انهماك ظائف المعاصي وذلك يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا منهم من هم عن ابن عباس لهم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا البلا وقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد ومنهم من كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على علاتنا الظفر ويحكى عن بعضهم انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلبا للمأكول والمشروب في النار طلبا للمأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افصحوا في الدنيا والاخرة وقال الاخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا الله اعظم المواقف واشرف المشاهد الخمس البضائع ودون المطالب لمشبه نارة بكيف واخرى باجرم من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقولهم ربنا اتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطى اي موجد الاعطاء معناه اجعل عطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامع النفوس في الدنيا احد ثلث خصال وهي اما تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال ومحاربتها هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتذليل الاعوان المنزلية والمدينة فلما قال فما له في الاخرة من خلاق اي طلب نصيب خذ وصفعولا انتا لان كل من ليس له في الاخرة طلب ولا همة الى القناعة السعادة الباقيات نزاع وطموح فطلوبه عبث سفه وقال ضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر الى اي شيء ينظر الا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لما ذكر في هذه الاية ان هذا الفريق بخاتمة دعوتهم اولا فقال طائفة من العلماء انهم لبسوا بأهل للاجابة لان كون الانسان بحال الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمقربين من عبيده وقال اخرون قد يكون الانسان مجابا لا كرامة واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال ان الاية انما ورد ای يقول ربنا اتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب السعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الاخرة فالفوز بالثواب الخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والاخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لا نسأل عنا فقال اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فقالوا زدنا فاعادها فقالوا زدنا فقال ما تريدون سئلت لكم خير الدنيا والاخرة وعن علي رضي الله عنه في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة والاخرة النعيم بذكر الله والانس به ورؤيته قلت لا تلذذ في الدنيا والاخرة الا بهذا الجنس في المحلين مجال ذي حبب فليح الفؤاد اينبئ عن قناده الحسنات طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي الدنيا فهم كتاب الله وفي الاخرة الجنة ومنشأ البحث مجيء الحسنة منكرة في خبر الاثبات لكل من المفسرين حمل اللفظ على اي اوجه الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعو فيه من حسن الطلب وعناية الطالب الادب الجنس في التصريح به فانه لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام تقليل منك يكفيني قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة من للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب بناء المرة يعلم ومنه يقال للانماج اما كسب فلان ولهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب صالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطوء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو ماخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا لخلقه قيل انه يعلمهم مالهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقاديرها لهم من الثواب والعقاب وجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقضون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم وشمائلهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال لهذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل انما

بيان لكم

في بيان حسنة الدنيا وحسنة الاخرة

المجازاة وكأين من فريق تحت أمر ربهما ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب للاحد والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم العباد في احوالهم وكيفيتها لهم من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحرف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف ما بان يخلق ذلك الكلام في اذن كل واحد منهم وفي جسم تقرب من ان يكون بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب ان قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شئ الى فكر ورؤية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة وانه سريع القبول لدعاء عباده الاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في المأثور ثم لا يشغله سمع عن سمع واوان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير اعقاب الصلوات عند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير على حضوره وانما اختير هذا الذكر لانهم ما كانوا منكرين للرمي وانما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن معاذ البدلي ان رسول الله ﷺ امر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة من تعجل في يومين فلا اثم عليه فاعلم ان التكبير المشروع في غير الصلوة وخطبة العيد نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى وامام التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لما بينا ذلك عن قول رسول الله ﷺ ولا اصحابه وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر قوليه وحجتهم ان الناس في تبع للحاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى مضى خمس عشرة صلوة فيكون آخرها صلوة الصبح من آخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك للسنة والقول الثاني للشافعي انه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب القول الثالث انه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبير بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والاسود والنخعي ويحتج عليه بان هذه التكبيرات تتلى في ايام التشريق فوجب ان يؤتى بها فيها وان انضم اليها ما قبلها من ان يكون هي اغلب والقول الرابع يبتدأ بها من صلوة الفجر يوم عرفة يقطع بعد صلوة العصر من آخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري واحمد بن يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي ﷺ صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا وقال الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا هو لا يحوط فتكبيرة التكبير خير من قليل وعلى هذا القول تمام التكبيرات مضافة ايام التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا يذبح حتى تشرق الشمس فاما رمي ايام التشريق فانه يجب رمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث البتة مبتدأ من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي ﷺ كذلك رماها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحدة وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث الى كل واحدة سبع تواتر الفعل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا ليلتي الاولين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد ذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فمن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت ليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال احمد ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزمه الثاني تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا وفق لقوله ومن تاخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الايام وقد سئل ههنا ان المتاخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد حقه فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق المصر الذي يظن انه قد سقط عنه اثم ما قدم عليه واجيب بان الرخصة قد تكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلكان هذا الاحتمال دفع الحرج في الاستعجال والتاخر كالة على ان الحاج مخيرون الامرين وبان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يعجل المتعجل اثما ومنهم من يعجل المتاخر اثما فنفى الله تعالى لسنة الحج فيمن تعجل او تاخر ان لا اثم على واحد منهما وقيل النفي في ذاته الاثم عن المتاخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلثة فمن نفر فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا اثم عليه وقبل الآية سيقت لبيان ان الحج معكر للذنوب والاثام كالبيان ان النحل وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطيب يقوله لان اذا تناول السم فلا باس وان لم يتناول فلا باس بهذا الترياق وراءه كامل في دفع المضار كذا ان تناول السم عدم تناول بجريان بجري واحد وقيل ان جواز البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك ربما يفضي الى نقض حشمة

البيت وقعر في قلبه عينه فامكن ان يخلي في قلب الحال التعجيل افضل بناء على هذا المعنى لما في التعجيل من المبادرة الى طواف الزيارة فيمن تقاربه لاحرج في واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب غاية المقابلة والمساكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المندوب يقصد عليه بنه لا اثم على صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى اي ذلك التخيير يبقى لا اثم عن التعجيل والمتاخر كاجل الحاج المتقي كلا يحتاج في قلبه ثم منهما فان ذا التقوى مخبر من كلا مابر به وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين اولمن كان متقيا عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيحث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاعتداء بالحج السابق كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وحث على التاهب لما بعد الموت لان كان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء الموقف يوجب تصوره لزوم سبرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجا الا اليه ولا استقلال الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويومئذ لله الناس وقيل الحج اشهر معلومات هي مدة الحج الفاضلة وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصحيح بعد الاربعين بارد نعم لو صح طلبه قبل الاربعين ما امكنه الوصول فقربا ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في صفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فجري منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اجرها الجنة فلا ارفث لا يميل الى الدنيا وزينتها وليجتنبها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الاناء تهزه باز اذا التواضع والانكسار ويتردى برداء الذلل والانقطاع ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الوقت ولا يدخل فيما يورث المقت كالاجدال في الحج لانزاع للسالك الصادق في طلب الوصول الا بالفروع ولا بالاصول فلا في فلاها مع احد بخاصم ولا في جاهها احد بزاحم فمن نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا للكل سالك زاد فزادوا التقوى لفشو كفك سوق هم الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزادوا الى الالباب المتقوى فهم من مقصدهم ومقصودهم رب لبيب وتقوى اهل القشور مجانبة الزلات ومواظبة الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا مقام ابتغاء الفضل بعني الرحمة بل المطلوب وهو في سيرهم الى عرفات مقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيرهم الى عرفات وقال جمع من المحققين انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه الاطمئنان بغير ذكر الله واذكروه كما هداكم اي كما هداكم بهدايته نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبله الوقوف بعرفات المعرفة من الضالين وحظوظ النفوس حيث فاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي لكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق والتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل الزلات الناشئة من المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اي اذا وجدت هذا لا يخلو عن خطإ فاستغفره فاذا قضيتم مناسك الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فاذكروا الله كذكركم آباءكم في صغركم بل اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اكثر اعتراضات العصبة تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تاخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف لله ولي التوفيق هو حسبي ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور القراءة مرضاة بالامالة والوقف بالهاء على وكذلك يقف على هيهات هيهاها وعلى حاشا لله حاشا وقف على فرانيم اللاة واللاه وعلى مريم ابنة ابنه وافق ابو عمرو في الاحوال حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلى الباقون بالكسر والملائكة بالجر بمكي عطفا على ظلل او على الغمام او للجوار وان كان فاعل ياتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزه وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح الجيم الوقوف قليلا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد جهنم ط المهاد مرضات الله ط بالعباد كافة حرم لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع احتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامور لتقسيمها السبيل الحج الصيد فرقا الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسكم يعطف على ذلك تقسيم اخر يعرف منه ط لحاجة انتظار الناس على الاطلاق ليعرف ذا بالنفاق من صاحب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة قبل

سورة البقرة

ميدان القشور وقلب الالباب

الى النبي ﷺ بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه فقال والله يعلم اني لصادق فلما خرج من عند النبي ﷺ مر على بذرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع والحمر فقيل انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ﷺ ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خلس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ فيفي بهذا السبب خلس وكان اسمه أبي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فالجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي ﷺ انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم ففيهم نزلت وحوله بعد ذلك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ اشارة الى هؤلاء الشهداء والجمهور من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الآية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في امثاله فهذه الآية عامة في المنافقين فان السنتهم محلولة في قلوبهم امر من الصبر اضمر في يعجبك وحوله يعود الى من يحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا اما ان يتعلق بقوله ان يعجبك ما يقوله في باب الدنيا طلبا للصالح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من الغنائم واما ان يتعلق بمحذوف كان قوله وحلوا كلاما مما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الآخرة لما يرهقه الموقف من الهيبة والخجل ولانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب اما للنبي ﷺ او لكل سامع ﴿يُشْهِدُ اللَّهَ﴾ على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك لاستشهاد بالحالف ان يكون بقوله شهد الله على ما في قلبي من محبتك ومن الادوية لاسلام وهو ألد الخصام الالد الشديد الخصومة واللدد بدال جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب منه اللدد وهو ما يصب من الادوية في الحلق لشدة الفم واضافة الالد بمعنى في لقولهم ثبت الغد وقيل الطف وجعل الخصام الدعلى المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب في صعب المعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفتق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ عنك وذهب بعد الانزال او حال عطائه المنطق صفر في الارض ليفسد فيها كما فعل بأولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار لايقاع الفتنة والتخريب بين الناس قيل لما انصرف من بدر بعثه بنو زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم وعلى هذا فيقع قوله ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ تعليلا لما اجمل قوله ليفسد وقيل افساده هو القاء الشبه في عقائد المسلمين على هذا فيكون اهلاك الحرث والنسل بمعنى اخر وهذا تفسير مناسب لكمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك عبارة عن فعل المنكرات فيه نقصان قوته العلمية وقيل ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ اذكان والينا فعلنا ما يفعله ولاة السوء من افساد في الارض واهلاك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة تولد كثيرا والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل الرجال ونساؤكم حرثكم واهلاك النسل افناء الصبيان ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ قالت المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يرد ها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة وضعف من ان المحبة نفس الارادة بل المحبة عبارة عن ترجيح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن على الاحر الا الله والا استدل باثبات الصانع بدليل ان الكل بارادته ومشيته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها الحاجة في ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل وقبح قوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ جعله معرضا لان ذكر خصلة سادسة شنيعة لكل عاقل على جعله المركب خروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في ارتكاب شيء من هذه المنهيات والقائل اما الرسول ﷺ قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه اما كل واعظ وناصح ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ من قولهم اخذته فلانا بان يفعل كذا اي الزمته ذلك وحملته عليه اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الوعظ وعدم الاصغاء اليه ومن قولهم اخذته الحمى اذا لزمته واخذه الكبرياء عن ذلك والمعنى لزمته عزة الاثم الحاصلة بسبب ثم لذي في قلبه وذلك الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ كافيه هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر وضعه على الخبرية او على الابتداء اذا كان ما بعده معرفة او على الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبر الوقوع المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اي محسب كافيه قال بولس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة وهي اعجمية وفيها العلمية والتأنيث وقال الخرون انه اسم عربي سميت فارة الاخرة بها لبعد قعرها حكى عن رؤبة انه قال لكية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظه سميت بذلك لغلظ امرها في العذاب او لعقاب ليس لها اي مهمل لاجله فان العذاب في النار يلقى على النار كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد والتوطين ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ قوله ثم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ الآية قال سعيد المسيب قبل صهيب هاجر نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش فرمى عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي واحد حتى يكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ان شئتم والله لكم على ما في مكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت فقال رسول الله ﷺ ربح البيع ابا يحيى فتلا الآية وقيل اخذ المشركون صهيبا فعذبوه فقالوا له صهيب اني شيخ كبير لا يضركم ان كنت معكم فكنت ام معهم فكيف لكم ان تأخذوا مالي وتدعوني فقالوا نعم فان كان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال ابو بكر ربح بيعك يا يحيى قال صهيب وبيعك فلا تخبرهما ذاك فقال نزلت في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب لسانا يقرأ هذه الآية فقال عمر انا لله فام رجلا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

سورة البقرة

فى على بات على فراش رسول الله ليلة خروجه الى الغار وروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن ابيطالب يباهى الله بك الملائكة ونزلت الاية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البائع ومعنى يشرى يبيع وشروه بثمن بخس والله هو المشترى ان اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف هو بذل نفسه فى طاعة الله من الصلوة والصيام وانفاق والجهاد وهو الثمن والجنة هى الثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشراء وذلك ان من اقدم على الكفر لعاصف فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت كالعبد حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار وصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل الدراهم معدودة ويشترى لها نفسه والمؤمن يبذل انفاسا معدودة ويشترى لها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقى عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن بقية العبودية مادام يقى نفس واحد من الدنيا وهذا قول عيسى واوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد حتى ياتيك اليقين وابتغاء مرضات الله اى لطلب رضوانه على العلة الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يحتملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عملا لاجل الحمد وبالله رؤف بالعباد فمن رافته جعل الغنيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر اتقاء على النفس لامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رافته انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رافته ان المصر على الكفر مهانه سنة اذا تاب ولو فى لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رافته ان النفس والمال الذى اشترى ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث واختلف فى المخاطبين فقيل امر المسلمين بما يضاد حال المنافقين اى الذين امنوا بالسنتهم وقلوبهم وهو على الاسلام فيما تستانفونه من اموركم ولا تخرجوا منه ولا من شئ من شرايعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلقوا الى الشبهات التى يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن فى الدار اذا علم ان له فى المستقبل خروجا منها لا يمنع ان يؤمر بدخولها فى المستقبل حالا بعد حال معلوم وان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالبوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعدان يامرهم الله بالدخول فى الاسلام فيما يستانف من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين فى نصرة الدين محتملين البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور فى امر الدين مثل ولا تنازعوا فتفشلوا ويكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقى بجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد فى الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين اى ادخلوا جميعكم فى السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا او ان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اى ادخلوا فى شرايع الاسلام كلها واصل الكف المنع فسمى الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرق والتبدد ورجل مكفوف اى كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين التقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم فى الاسلام ولا تتبعوا اثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت فى مسلمى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين اراد وان يقيموا على بعض شرايع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستاذنوا رسول الله صلعم فى ذلك فامروا ان يدخلوا فى شرايع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشئ من احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها تتبع لخطوات الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب فى المعنى يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التى يتمسكون بها فى بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابى مسلم ان المبين من صفات البانع الذى يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لادم وذريته قبل ان عصيتنى فانت عار وبجد وبشدة سطوتى كان ابلغ فى الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسئ وان لا يسوى بينهما فى الثواب والعقاب وعن ابن عباس انه قال انزل القران على اربعة اوجه حلال لا يسع احد جهالته وحرام لا يسع احد جهالته وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتاويل لا يعلمه الا الله الثانى وهو تاويل المتكلمين انه لا بد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجى الايات بعينها لتفخيمها كما يقال لجاء الملك انجاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد اتيان امره وبابسه فحذف المضاف بدليل قوله فى موضع اخر وجاء ربك جاء امر ربك واتى اللام فى قوله وقضى الامر بدل على معهود سابق وما ذاك الا الذى اضمراه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فلا اتيان عليها محال عند المعتزلة او ان هناك اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل كما امر فرعون برشيد وما امر فرعون برشيد فالمراد ما يثبت

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الايات المهيبة وان حملنا الامر على ضد ذلك نحو قوله تعالى فلا يبعدان مناديا ينادي يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كونه
في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في ان واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل
على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق بقوشا منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسمو تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف في الوعد والوعيد فيكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقبل الباقي به محذوف والمعنى لا
ان ياتيهم الله ببأسه وبنقمته لدلالة ما عليه بقوله عز وجل فائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرتهم في كل وجه قبل ان يعين الباء
اي ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب اذا حملوا وذللم
عليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله
تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلعم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال
الاية لانه لا ذنب الا على قوم ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم يحقون في ذلك الانتظار ام مبطلون وانظل جمع ظلة وهي ما اظل الغمام لا يكون
كذلك الا اذا كان مجتمعا ومتراكما فالظل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام
ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفخيم شان العذاب فهو يلزم لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان
اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اعظم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير وانزال الغمام علامة
لظهور الاهوال في القيمة قال قوم تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا واستعير لفظ الاتيان الى
العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة لقبوله وايابه من يعذب يحزب لحاجة الى المثاوبة لان اتيانهم يمكن وقضي الامر فرغ من اهلاكهم وتعبيرهم
اوعاكانوا به يعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع منازلهم حيلة والتقدير الا ان ياتيهم الله ويقضي الامر فوضع الماضي
موضع المستقبل اما للتنبيه على تحتم وقوعه بالعذاب الساعة كما هو اوجب ما لا نخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به قيل الامر المذكور ههنا فصل القضاء
بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل قضا الامر مصدر مرفوع عطفا على لفظ الله
والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيرا من امور خلقه ما اذا صار والى الاخرة فلا ملك الحكم بين العباد سواه وهذا لقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل الامر كان هو مختصا بالنظر فيه على المكلفين بدخل في السلم كافرا ومجتمعا على اتباع آثار الشيطان كما هي ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى
يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وانث قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه
يقول الرجل لغيره الى اين يذهب الله والمراد ان العباد يردون امورهم الى حاكم القهر ويعترفون برجوعها اليه ما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة ذهب بلبه ان لم يكن احد
الحال قد تسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال التاويل التفصيل الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة
وترى لها اولا وانتهاء ولكنها الحجة الاعداء وليسعى في مخرج من الطلب بطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك النسل ما يتولد من الاخلاق الجيدة
وتشجع مانعها عن قبول الحق مخبر جهنم المعاد ومن الناس من يشري هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصا لوجه الله لاجل الجنة ادخلوا في السلم
كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول الغلبة في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق
الله وتسليم الاحكام والاقضية لله ودخول السر الاسلام بفنائه في الله بقائه بالله هذا معنا مما يضيق عن علانية نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ضرب
الحروف شعر وان قيصا حيط في نسج بسبعة وعشرين حرفا من مبانيه فاصر الله والوفوا بعهدي اوف بعهدكم وايا فارهبون وقفى سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين ع ١٠
وهو كتعبير وهو نعت خدا پس از انكه بيايد والف پس خاست عقوبت ارشته از براي انها
امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
كويند دانها كه پرهيز كردند در مرتبه بالاي انها نيند در روز قيامت وخدا روزي ميدهد انرا كه خواهد بدون محاسبه
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
بودند مردمان طائفه يكانه پس برانگيخت خدا پيغمبران را مژده دهندگان
البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ترسانندگان وفرستاد با ايشان كتاب براستي تا حكم كند ميان مردم در انچه اختلاف كردند در انكتاب جز انانكه داده شده بودند كتاب را پس از انكه امدشان
كواهان بحجتها كفري كه در ميانشان انها بودند پس هدايت كرد خدا انهارا كه كرويدند بحجة انچه اختلاف كردند در ان كتاب از حق باذن خود والله هدايت ميكند هر كرا خواهد بسوي راه راست
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
يا چنان پنداريد كه در ايند در بهشت وهنوز نرسيده بشما مانند انها كه گذشتند از پيش بودند بدو سيده
والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب
ونا خوشي و بيماري بودند تا انكه گفت پيغمبر كه

القراءة بكسر الباء وفتح الكاف بربك كذلك في العمران والنور موضعين الباقون بفتح الباء وضم الكاف بقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب ابن
بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اى فبدلوا ومن يبدل لعقاب من الذين اموا ان الذين مبتدأ ونوقهم خبره ولو وصل صار قوله
ظرفا للسخرون وحالا للفاعل يسخرون وقيجر ظاهر يوم القيمة ط حساب ومتدين عطف على لا خلق فوا فيرط بينهم ج لعطف المختلفين
باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار كان قوله فلما بانكم عطف على ما حسبتم تقديره احسبتم ولما بانكم موتكم ط قريب النصير
انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جائتكم البينات اى فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم
بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ذكر ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بنى اسرائيل لخطاب
للرسول ثم او لكل احد هذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة ولا فائدة الاثبات الذى هو معلومة ما علام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين
انا لما اتيناهم اسلافهم ايات بينات فانكروها لاجرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك ينبه هؤلاء الحاضرين على انهم لو نزلوا عن ايات الله لوقعوا
في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم تحتمل الاستفهامية والخبرية ومن آية بيان لها وقد فصل بين المميز وبينها ما بالعمل فان كانت
استفهامية فالتقدير بسلهم عن عدد ايتنا الايات اياهم حتى يخرج لك عن كونها ان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثرة من الايات اتيناهم والايات
الواضحات اما معجزات موسى كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهى تسع كما قد اتينا موسى تسع آيات بينات واما
الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من امن ومنهم من جحد بدل من بنى اسرائيل نعمة الله قبل انها الايات الدلائل وهى اجل اقسام النعم لانها
اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الايات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى ظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الاية البينة هى ما فى التوراة والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتبديلها تحريفها او ادخال الشبه
فيها وقيل المراد بنعمة الله ما انامهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يحملوها واسطة للطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف
بل استعملوها فى غير ما اوتيت هى لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فهو ان المراد من النعمة الايات فنفى عنها
التمكن من معرفتها او عن بعضها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها اولم يعرفها فكانها غائبة فان الله شديد العقاب
قال الواحدى الرابطة محذوفة اى له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانا اذا علمنا كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك ان يعاقب المبدلين
شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك صفة ذاتية ثم قال الواحدى والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب
الذى لاجله كان التبديل يسرهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار فى ترجيح الفانى من زينة الدنيا على
الباقى من نعيم الاخرة والتذكير فى زين اما لان الحيوة والاحياء واحد او للفصل مع ان الثانيث ليس بحقيقى عن ابن عباس ان الاية نزلت فى ابى جهل
واصحابه من كبار قريش وقيل فى رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت فى المنافقين وكما انه من نزلها فى جميعهم لان كلهم وهم فى النعم والراحة
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم عوام اليهود والا لزم فيهود الاخرة فى اعين الكفار وهو ان لا صحة لها
فلا تنقصوا عيشكم فى الدنيا كقول من قال لذة الصهباء نقدا بما نقد لك من كبن وخير فالوا واما الذى يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل
لان المزين الشئ هو المخبر عن حسنه واذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا فى ذلك الاخبار فيكون فاعل المحسن المصيب وان كان كافرا
واصابة الكافر كفر هذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خاطبا جاهم وقولهم المزين الشئ هو المخبر عن حسنه مردود بانا
المزين من يجعل الشئ موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه خبر عما فيها من اللذات الزائلة
وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر قال ابو مسلم الكفار وزينوا لانفسهم والعرب يقولون اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهبا ذهب به
ومنه قوله تعالى انى يؤفكون وان كان الشيطان لا يمكنه ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذى زين لنفسه بالتحقيق
ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك فى قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه ظهر فى الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب الحلاوة ودكنة الطبايع حب الشهوات والميل الى الطيبات لاعلى سبيل الاحتجاج الذى لا يمكن تركه بل مع امكان رده
النفس عنها لمجاهدة المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء ونقول المراد من التزيين انه تعالى مهلهم فى الدنيا ولم
يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد فى طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله
تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا تختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكفار انهم يؤثرونه دائما السرور به وان قلت ذلك قد يكون موقتا
الهم به لا عيش عند الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه يتمتع من طيبات الدنيا ويجتهد وان كثر همه وجاهد مكدا بالخوف والوجل من الحساب الاخرة
قلنا تزيين المباح فى نظر الكافر بحيث يفضى به الى الاشتغال عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام فى تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله
ولا تخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا فى حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانهم زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم
بعد ذلك بفعل يدل على انهم فعال ليسخرون من الذين امنوا كابن مسعود واصحابه وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا و
تحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة

عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدى والنعيم المقيم بسبب اذات حقيرة فى انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان فلانهم فى علليين وهم فى سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم فى معارج الانس وهم فى هاوية الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبجر داستبعاد امر المعاد وحج المتقين يوم القيمة يستند الى العيان وبعد الرحمن وتنادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم قالوا نعم واما ان يخبر بها المؤمنين بالكافرين يوم القيمة لكونها حقة باقية فوق مخبرة الكافرين بالمؤمنين فى الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفى قوله والذين اتقوا دون ان يقول منوا كما قال من الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحسن الرفاهية والدنيوية لهم على انهم على الحق والله تعالى عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هى الاستدراج فى حق الكافر والابتلاء فى حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه لا مطالبة ولا سؤال سائر فالامر امره والحكم حكمه ولا يسئل عما يفعل ومن حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قدره ما كان هذا فى حسابى فالمعنى ان الكفار وان كانوا يبحرون من فقراء المؤمنين فلعل الله تعالى يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود يسلم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر والمراد ان ما يرزق العبد فى الدنيا فلحرمانه عذاب الحساب وما يرزق العبد فى الاخرة من النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق فى الاية بالمؤمنين وفى الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اى رزقا واسعا غير منقطع ولا انقطاع ولا حصر كقولهم يرزقون فيها بغير حساب ويقال ان المنافع الواصلة اليهم فى الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب والحساب انما يحتاج اليه اذا كان المعطى يتضرر بما يعطى كالمخلوق فانه يعد ما يعطى فاما الخالق الذى لا يتضرر بعطائه فانه يعطى بغير حساب لان خزائن ملكه وقدرته فلا تنتهى الى غاية تنتهى اليها مقادير عطاياه ومعنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطى بمحض الفضل والاحسان فمعناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية وانه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى الحساب فلا يخرج من قوله بحساب كان الناس امة واحدة الاية فيه اشارة الى ان التباغى والتحاسد التنازع فى طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك امر قديم فى الانسان ثم الامة الواحدة كانوا على الحق وعلى الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين بعثوا حين اختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء لجمع اولى ومنها النقل المتواتر ان آدم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس ان كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظر والنظريات مستندة الى الاخرى المقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط ولم يعرض له سبب من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات قدم مما بالعرض بحسب الامكان والاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغى والحسد يؤيده قوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثانى وهو مروى عن ابن عباس والحسن عطا انهم كانوا على الباطل لانه بعثة الانبياء مترتبة على ذلك لو كانوا على الحق لم يحج الى بعثهم ولو قبل ان تقديم الاية واختلفوا فبعث الله كما قرا ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومن كان الناس متفقين على الكفر فالايام التى كانت فى زمان نوح عليه السلام كانوا كفارا وحكم الاغلب ان كان فيهم بعض المسلمين كما بيل وشيث وادريس كما يقال الدار للكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن ابى مسلم والقاضى ان بدء امرهم كانوا امة واحدة فى التمسك بالشرايع العقلية وهى الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بحمده وشكر نعمته والاجتناب عن القبايح العقلية كالظلم والكذب لعلمهم بحسنها وقبح اضدادها لان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والقاء يوجب التعقيب فيعلم ذلك ان ذلك الواحد متقدمة على جميع الشرايع فلا يكون الاستفادة من العقل ثم سئل القاضى نفسه فقال الدليل على ان الناس امم كانوا نبذا مبعوثا والجواب بانه يحتمل ان يكون اولاده مستمسكين بالشرايع العقلية ولا شك ان الله تعالى بعث الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت منسية ثم رجع الناس الى الشرايع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة فى الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس المراد من الناس اهل الكتاب الذين امنوا بموسى ثم اختلفوا بسبب البغى والحسد فبعث الله النبيين معهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل ومحمد ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة فى تلك الاشياء التى اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب يا ايها الذين امنوا لليهود والنصارى لان الكتب نزلت على اسلافهم والناس الذين بعث فيهم محمد ووصف النبيين بصفات ثلاثة الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم منذرين قدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجرى مجرى حفظ الصحة والانذار يجرى مجرى ازالة المرض والاول يشاكل الدواء والاول لكونه مقصودا بالغذاء والثانى كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثانى لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب بالحق وفى قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبى الا ومعه كتاب ينزل فيه بيان الحق والباطل فان ذلك الكتاب اما قصر

على الحق وبحرمانها الفقراء المؤمنين منها

دون ذلك الكتاب ام لم يكن دون معجز كان او غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي اليهم قبل البشير والانذار فلم قدم البشير والانذار على انزال الكتاب واجيب بان الوعد الوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله ترك الظلم وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب والخوف انما يقوى عند البشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالثة وبين الاولين او بين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب لا محذور في نسبة الحكم اليه بخلاف الكتاب لا محذور في كونه هدى وشفاء واللام للجنس او الوحد مع كل واحد كتابه ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي عطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي لا الذين اوتوا الكتاب لمزيد الازالة الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله ليختلفوا فرادى في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد مجيء الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول الاول وقال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم ما تكفير بعضهم بعضا واما تحريفهم او تبديلهم من بعد ما جائتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه من اختلف الامم بعد مجيء الانبياء الذي هي الكتب كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جائهم العلم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب بعجز بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى لثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية ايكن في العدل عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان سببه بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الانصاف وكثرة الاعتساف ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف اللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم يعودون لما قالوا باذن قال الزجاج بعلمه وقيل بامره فيما لا يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الآية اضمار اي فهداهم فاهتدوا باذنه لا جائز ان باذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين او هو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق او الطلب لا ينال الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الاشاق والتعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ لتشجيع الرسول والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المولى قبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى وام في الكتاب منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده قال القفال رحمه الله تقدير الآية فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم افتظنون ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما ما بكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الآتي متوقع منتظر عن ابن عباس لما دخل النبي المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين اظهرت اليهود العداوة له فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي الى متى تقتلون انفسكم وتتصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليكم الا شر الفئتين والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به ابتلاكم بالصبر عليه تبيانا لكم من ذوي الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما ابتلى ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف فكان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن عرى تصيب جهات الجسم والمنفعة عليه الضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والآفة اليه زلزلوا حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بما نزل بهم حتى قال الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس بعيد لان الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف العظيم المفعم ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس في المحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله ان الرسول لا يعاد ويقد ثباتهم واصطبارهم فانهم بقوا مع صرخوا ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمع وراءها من قرأ يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال والنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك لصحابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لا بد ان وكل ما هو آت قريب الحاصل ان اصحاب رسول الله كان بينهم من المشركين والمنافقين اذى كثيرا واذن لهم في القتال لما بهم من الجراح وذهاب الاموال مستأنف ذكر بعد ولا نفس ما لا يخفى فزاهم تعالى في ذلك وبين ان حال من قبلهم طلب الدين كان ذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تعالى من قصة ابراهيم وايوب وما ابتلاه به من مساءة الابناء في مصابرتهم على انواع المكاره ما يسارع ذلك سلوة للمؤمنين روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب انه كونه رسولا لا يمنع من ان يبادي من كبد الاعداء فاذا ضاق قلبه قال حيلتي وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انهما عين له ذلك الوقت فلا جرم عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا السبب بان نصر الله قريب فكان نصر الله كائنا وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلا من احدهما متى نصر الله الثاني كالان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الآية دليل على ان كل من لحقته شدة يجب ان يعلم انه سيخلص عنها لان اما ان تخلص عنه والا فان يموت فاذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه ذلك من اعظم المضرة اللهم نضرا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير انا وبك انعتاذ

ثم انه تعالى لما بين ان الملكوت على قلب عبده من خواصه بربانيته وكبريائه تغرا جواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويميل نعمة الله عما وفقها ورضاها فان الله شديد العقاب بان يغير حاله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق فانزل معهم الكتاب الذي وصفه بالقلم السعادة والشقاوة كقوله تعالى ما من منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد اوتوا السعادة والشقاوة في حكم الله قضائه ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا مرتبا لبنا وهي معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقي والعكس الله اعلم بالصواب اليه المرجع والمآب

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا
سوال کنند تورا که چیست آنچه انفاق میکنند بگو که آنچه که انفاق میکنید از مال پس از برای والدین است و خویشان و یتیمان و مسکینان و درماندگان راه و هرچیز
تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟
میکنید از خوبی پس بدرستی که خدا بان دانا است نوشته شد بر شما جهاد و حال انکه مکروه شماست و شاید که مکروه دارید چیزی و حال انکه ان بهتر شما است و شاید که دوست دارید

ع ١١ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن
چیزرا و حال انکه ان بهتر شما است و خدا میداند و شما نمیدانید بپرسند تورا از ماه حرام از جهاد در آن بگو که قتال در آن بزرگ است گردانیدن مردم از شرع و بخشیدن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
از راه خدا و کفر بودن باو و بمسجد الحرام و بیرون کردن اهل او را از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه کافران بزرگتر است از کشتن از قتل و همیشه در مقاتله باشند
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
تا که برگردانند شما را از دین شما اگر قدرت داشته باشند و هر که برگردد از شما از دین خویش پس بمیرد و حال انکه او کافر است پس انگروه باطل شده گردانیده شود
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
و آخرت و انگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاوید ان شدگان بدرستی که انانکه گرویدند و انانکه هجرت کردند و جهاد کردند در راه خدا انگروه
يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ۖ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ
امید دارند رحمت خدارا و خدا آمرزنده مهربان است بپرسند تورا از شراب و قمار بگو که در آن دو گناه بزرگ است و منافعی

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ
و بپرسند تورا که چه چیز انفاق کنند بگو عفو کردن و آسان گرفتن بر مردم همچنین بیان میکند خدا برای شما آیات را تا شاید که شما تفکر کنید در دنیا و آخرت و بپرسند تورا از یتیمان بگو اصلاح کردن مال ایشان بهتر است و اگر مخالطت کنید با ایشان پس برادران شما اند

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ
و خدا میداند مفسد را از مصلح و اگر خواهد خدا هر آینه رنج دهد شما را بدرستی که خدا غالب و صاحب حکمت است و نکاح نکنید زنان مشرکه را تا ایمان آورند و هر آینه کنیز مؤمنه بهتر است از زن مشرکه اگرچه خوش آید شما را

وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
و نکاح مکنید مشرکان را تا ایمان آورند و هر آینه بنده مؤمن بهتر است از مشرک اگرچه خوش آید شما را آنانکه میخوانند بسوی آتش و خدا میخواند بسوی بهشت

وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ۖ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
و بیان میکند آیات خود را برای مردم تا شاید که ایشان پند گیرند و بپرسند تورا از حیض بگو که آن رنجی است پس کناره کنید از زنان در حیض

وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ
و نزدیک مروید بایشان تا پاک شوند پس چون پاک شوند بیائید بایشان از جائیکه امر کرده است شما را خدا بدرستی که خدا دوست میدارد توبه کنندگان را و دوست میدارد پاکیزگان را زنان شما کشتزار شمایند

وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ
بیائید بایشان از جائیکه امر کرده است شما را خدا و پیش فرستید برای نفسهای خود و بترسید از خدا و بدانید که شما ملاقات کنندگان او هستید و بشارت ده مؤمنان را و مگردانید خدا را نشانه سوگندهای خود که نیکی کنید و پرهیزگاری کنید و اصلاح کنید میان

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ
و خدا شنوا و داناست نمیگیرد شما را خدا بسوگندهای لغو شما و لیکن میگیرد شما را بآنچه کسب کرده است دلهای شما

بقرة

بقرة لا ذلول سئوا عن البقرة ما هي حيث كان المبعوث البقر هيبة شافها كذا وكذا فوجب الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سئلوا هذا السؤ
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اى شئ كان ولكن بشرطه كونه مالا حلالا ومصروفا الى مصبه كما لو سئل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اى طعام
اكل فالطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اى طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اى كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى انفق اى شئ اراد
لكن بشرط وهو ان راعى المرتبة في الانفاق فقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد بناه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايتاء لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايتاء قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم عيال اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الى التراب في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم
وما لهم ما يبلغون به الى وطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شئ من مال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا لجزيل
الثواب هربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من اجب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي صلعم غير مأذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية يقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ
الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب وما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب عن ابن عمر وعطاء قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الكتاب بالموجودين وفي ذلك الوقت والعموني عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على ان من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد حينئذ على الكل وهو كره
لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفوس كذا شان سائر التكاليف وكيف
لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها اليس هين والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
تذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المشقة
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته نفسك وان لم تكره عليه واذا كان الاكراه بالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشئ شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد لهذا حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب لطلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى العلم اوله مر مذاقته لكن اخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق لكن فيه انواع من المفاسد اذ فاها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستناخوا بحريمهم واستاصلوهم عن اخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفوز العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات على الثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما ان يأتي بالفتح وقد وجد
عسى الله ان يأتي بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو حاله معلوما لله تعالى كما بينا في قوله تعالى وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى بعلم الاسباب ما يترتب عليها والحوادث وما لا تشاهد منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يغرب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس المصالح مفاسد وبالضد فيرغب
في اداء وظائف التكاليف بتخويف شديد عن متابعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه في كمال علم الله تعالى علم انه لا بأس العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه مشاقه وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد على كل من عملك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك وهو
ان هذه الاية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني في قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام الاكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث خلفوا في صدهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسئلوا النبي صلعم هل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادى الاخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي واباحذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله بن خالد بن بكير وكتب له كتابا
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امضلما امرتك ولا

لئلا تنكره أحد من أصحابك على السير فعل فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
أصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمع وطاعة ثم قال لأصحابه ذلك وقال إنه قد نهاني
أن أستكره واحدا منكم حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع قد أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما
فأذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلعم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فإذا رأوه محلوقا أمنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا رأس
عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون
العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعايشهم
يسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائب وعير بذلك أهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلعم لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقطوا في أيديهم وقالوا يا رسول الله
إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك نزلت يسئلونك عن الشهر الحرام
فأخذ رسول الله صلعم العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الإسلام وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء
أسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلعم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمن بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل إن
هذا السؤال كان من الكفار سألوا رسول الله صلعم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو أخبرهم بأنه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه بخفض على أنه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير أي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وإنما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فإن قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة إذا تكررت أن يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به إلى الأول وإلا كان الثاني مغايرا للأول قلنا لأن المراد بالقتال الأول الذي
سألوا عنه القتال الذي أقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم أن يكون ذلك من الكبائر مع أن الغرض منه كان نصرة الإسلام
وإعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على أن القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سألوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على أن حكم هذه الآية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم أو نسخ عن ابن جريج أنه قال حلف لي بالله عطاء أنه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام إلا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلعم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
أن يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال أبو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الأشهر الحرم كلها ولم أر
أحدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك أحسب قول أهل الحجاز والحجة في إباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن أن يقال
إن قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الإثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الأفراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه إلى تقدير
النسخ والله أعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الأشهر الحرم فإذا لم تمتنعوا عنها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع أنه ظن أنه في جمادى واعلم أن قوله وصد قد مر وجوه إعرابه في الوقوف أما قوله والمسجد الحرام فقيل
إنه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والأرحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلاة فيه والطواف به وقيل إنه معطوف على سبيل الله أي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بأنه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالأجنبي الذي هو قوله وكفر به وأجيب بأن الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكأنه لا فصل وبأن التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا أحد وكان حق الكلام ولم يكن أحد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام أي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وأبي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم الصد عن سبيل الله هو
المنع عن الإيمان بالله وبمحمد أو عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بأن الآية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر وأجيب بأن معلوم الله كالواقع والمراد بإخراج أهله إخراج المسلمين من مكة وإنما جعلهم أهله إذ كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا أحق بها وأهلها وإنما كانت هذه الأمور أكبر لأن كل واحد منها كفر والكفر أعظم من القتال وقيل
إنها أكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بأنه وقع في الشهر الحرام وأما الكفار فيعلمون بأن هذه الأمور يصدر عنهم

في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك او القاء الشبهات في قلوب المؤمنين والتعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اكبر من القتل لان الفتنة تفضي الى القتل في الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم في الاخرة فيصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى انما نزلت الاية كتب عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول منه من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حتى يردوكم عن دينكم ان يردوكم عنه كقولك لا اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كيف ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقولك لن ترضى عني اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم كقولك لرجل بعيد وهو واثق بانه لا يظفر ان ظفرت بي فلا تبقوا علي ومن يرتدد ومن يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر بان علق على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة لا نصرا ولا تناسا حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الاخرة فيكفي في تقريره قوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر حكما ولهذا فانه يحصل بالقول الذي هو كفر كجحد مجمع عليه كسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوبا ليس بواجب بشرط في صحة الردة التكليف فلا يصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث صوفي وهو ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فلما ان بقي الاستحقاق ان الطاري يزيل السابق وهو باطل لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتاثير من الاخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع وايضا شرط طروان الطاري زوال السابق فلو علل زوال السابق بطروان الطاري لزم الدور وهو محال وههنا مسلم اصلي ثم ارتد ثم اسلم في الوقت فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فيمت وهو كافر وعندنا يجب قضاء ما ادى كالحج لما جاء في موضع اخر منه ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون والحبط في اللغة ان يأكل الابل شيئا يضرها فينفخ بطونها فيهلك وفي الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم سمي بطلان الاعمال بهذا لانه كفساد الشيء بسبب وجد عنده كما شاء ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس العمل لان العمل شيء كما وجد فمن المحال عدمه بعد وجوده والمعدوم لا يعود الى الوجود بل المراد ابطال ثواب العمل وهو ايضا محال لان الثواب ليس شيئا موجودا حتى يمكن ابطاله بل هو عبارة عن ايصال النفع المقارن للتعظيم الى الغير وهذا امر عدمي لا يمكن ابطاله بعد وجوده فثبت ان المراد من الاحباط والتكفير المحو ان عقاب الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق اما بشرط الموازنة كما هو مذهب جمهور المعتزلة او لا بشرط كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله تعظيم امر الردة لانها تزيل الثواب الذي يستحق بالاعمال الصالحة السابقة كما ان الكفر يزيل استحقاق العقاب الذي يستحق بالمعاصي السابقة والمراد بالموازنة ان الردة عمل محبط لانه يمكن ان يأتي ببدلها بعمل يستحق ثوابا يفي حبط عمله الذي بعمل البر فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او المراد انه تبين ان اعمال السابقة لم تكن معتدا بها شرعا وروي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم اجر فنزلت ان الذين امنوا الاية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب القتال مجاهدا وقيل انه تعالى اوجب الجهاد بقوله كتب عليكم القتال وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك ذكر من يقوم به فقال ان الذين امنوا الاية ولا يكاد يوجد عبد لا يعيقه عن بعض ما امر به فاروا فاروا وطاعاتهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب الدين وهو ايضا هجرهم بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة ومن الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في القتال العدو عند فعل العدو ومثل ذلك يجوز ان يكون معناها ضم جهدها الى جهدها في نصرة دين الله كما ان معاونة ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة اولئك يرجون رحمة الله يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين ولكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كيفيته وفي وقته ويحتمل ان يراد المنافع التي يتوقعونها فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمل بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب لم يصح كما نبهنا على ان لا يكفر بعد ذلك وههنا شرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مستقصرين في نصرة دين الله فيقدمون عليهم راجين رحمته خائفين عقابه الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون والله غفور رحيم يحفظهم رجاءهم ان شاء بعين فضله وجسيم طوله عن قتاده هؤلاء خيار هذه الامة جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من جاهد جاهد من خاف هرب قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب روي عن ابن عمر انه قال لابنه خف الله تعالى حتى لو اتاك من هو مكره وارجه حتى لو منعك من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما ارجو الله قال ما علمت ان المؤمن لد فلسين يخاف باحدهما ويرجو بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمؤمن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطائر ثم في ظهاره ومن ههنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ

سوال کنند تو را از شراب و قمار بگو در انها گناهی بزرگ است و منفعتهاست از برای مردمان و گناه ان بزرگتر است از نفع انها و سوال کنند تو را که چه انفاق کنند در راه خدا

قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ

بگو زیادہ را یعنی انچه از حاجت شما زیادت است کذلک همچنین بیان میکند خدا شما را آیات را تا شاید اندیشه کنید در دنیا و آخرت و سوال کنند تو را از یتیمان بگو کار کردن

لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا
(اگر ایشان را بپذیرید و اگر بایشان نزدیکی کنید و ایشان را بخانه خود آرید ایشان برادران شما اند در دین و خدا میداند مفسد را از مصلح و اگر بخواهد خدا آنچه شما را بدان رنج دهد بر شما واجب گرداند و غالب است بر کارها و حکیم است)
المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
کافر را تا وقتی که ایمان آورند و هر آینه کنیز کرونده بهتر است از زن مشرکه اگرچه شگفت آورد شما را و نکاح کنید مردان مشرک را تا وقتی که ایمان آورند و هر آینه بنده کرونده
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم
بهتر است از مرد مشرک و هرچند شگفت آورد شما را آنکه وی میخوانند بسوی آتش و خدا میخواند بسوی بهشت و آمرزش بفرمان خود و ظاهر میکند آیات خود را برای مردمان تا ایشان
يتذكرون القراءة ائم كثير بالتاء المثلثة حمزة وعلي بالياء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب عنكم بغير هم روى ابو بعيد عن
متنبه شوند اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب بالهمزة ليدل على اصل الكلمة الوقوف هـ لبيان ان ما بعده للمبتدا ط للناس قد يجوز مع اتفاق
الجملتين بينهما على ان بيان الثانية اهم من الاولى من بعضها ط يسئلونك ط العفو ط يتفكرون ط لعلكم في الدارين ط خير ط فاخوانكم ط
المصلح ط لاعنتكم ط حكيم ۝ يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ج الى النار ج والوصل
اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل قد يج لان جملة والله يدعو قليلة بالجملة الاولى فلم يكن قوله بين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيسأل
حرمة الخمر والميسر فلما نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي
لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحاب النبي ﷺ افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فاقام بعضهم فقرأ ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله ﷺ فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله
فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب الحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو امنعوا
دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلاجرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر
فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود وغيره
عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب التمر والعسل والحنطة والشعير هذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر
العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ ان من العنب خمرا وان من
التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما ذكر هذه الاشياء مخصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان
وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عكارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة فيخبر الربوا لا يمنع من ثبوت حكم الربوا في
غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام فما دام الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون تحقيقة لغوية او شرعية
كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر في الحرمة وهو المراد وعن عائشة قالت سئلت رسول الله ﷺ عن النبيذ وهو شراب يتخذ من العسل
فقال ﷺ كل شراب مسكر حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء
وايضا الآيات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرها بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر
كذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى فانه ان يكون حراما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا
قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال
معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر حرام او ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا فاتخاذ السكر والرزق الحسن النبيذ سكر ورزق حسن فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون
الا بالمباح وايضا مارى في الصحيحين عن جابر ان رسول الله ﷺ استسقى فقال رجل يا رسول الله ﷺ الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح
فيه نبيذ فشربه فاعلم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله ﷺ ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ
يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فمل الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه بين البيان ان الحرمة شاملة لجزاء الشراب وعن ابن عباس ان رجلا جاء رجل فسئله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني اطبخه وفي بقيه منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه
قال له فان النار لا تحل شيئا وقد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب اذا ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لاحد على شاربه الا اذا سكر
ان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فيحرم ويتعلق بشربه الحد روى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاحبس اشربتكم حتى يذهب منه
نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحدا وتقيع التمر والزبيب اشد فهو حرام لكن لاحد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي

يكفر فان ذلك حرام ويحد ولا يعزر في تقيع ذهاب الثلثين وتبيد الخطة والشعر والعسل وغيرها حلال نيا كان او مطبوخا ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكر ان عبارات فعر الشافعي الذي اختلط كلامه المنظوم والمنثور وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يهتك في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شئ سئلوا فيحتمل انهم سئلوا عن حقيقة هما هيته ويحتمل انهم سئلوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سئلوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما ما يفيد دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثما والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وما يؤكد هذا السؤال كان واقعا عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازما لماهية الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغيره ذلك من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح انه بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها فاجملوا وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلبا لما هو اكد في التحريم تقدموا لحسبانا كما التمس ابراهيم عليه السلام مشاهدة احياء الموتى طلبا لمزيد الايقان وقد كونا الى ان يكون النظر بالعيان فان قيل اذا كان الاثم لازما لماهية الخمر حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرايع قلنا كم من نقض في الاديان السالفة ثم شرع خاتم النبيين انه هذا الزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرايع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان والميسر القمار مصدر يسر كالموعد المرجع من قعلها يقال يسر اي قمر مشتق من اليسار كالنسيلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فاذا قمر اخذ مال الرجل يدفعه لقوم من غرمائه كذا نقب قال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام يقال يسرت الشئ اذا اقتسمته فالجزور نفسه يسمى يسرا لانه يجزء اجزاء والياسر جازر ثم يقال للقمار ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزء لحم الجزور وقال الواحدي يسر الشئ اي وجب لليسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كان لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام اسامي لها الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد للكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرون لا ثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد وللفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهو خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجيلها ويدخل يده فيخرج باسم كل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم بذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لعب بالنرد شير فكانما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه وعن ابن سيرين ومجاهد عطا كل شئ فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وكان على عهد عمر رضي الله عنه قوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان وحفظ الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك يحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف وما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله لا سبق الا في نصل وخف وحافر وذلك لما بينها من التفاضل والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرأ بالثاء فمعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة واما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عماد الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكى بعض الاطباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال اذا اخذ جعلي بيده فادخله في جوفه ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم من خواصها ان الانسان كلما كان اشتغالها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله اثما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذمها وتقرير الاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر معان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا نزل المكسة في الثمن بعد ذلك فضيلة ومكرمة وكيلا تزدادهم بذلك السبب قال ابو محجن ولقد شهدت وقيعهم اذ يتقون بلكم يسار انهاتجرها وكسوفها قال ابن قرقول في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وترند في الماء والنفسانية انها تسر النفس وتقوي الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وترتيل النجل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجة لانهم كانوا يفرقونه على المساكين غير مكسوبين به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمها لكونه متيقن الحتمي الدائم العذاب الاجل لا يختار النفع القليل الزائل العقاب الدائم لا نهاية له الحكم الرابع ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكيفية وذلك لان الناس لما رأوا الله ورسوله يحضان على الانفاق وبينهما على عظم ثوابه سئلوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو تيسر وسهل مما يكون فاضلا عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب سمي عفوا لتسهيل امره ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو ان اراد ان ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى الوسط في الانفاق والنهي عن التبذير

والتغرير عن النبي ﷺ انه كان يحبك لاهل قوت سنة وقال ﷺ خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها ههنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من اموالهم ما يكفيهم عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق مصارفه فهكذا يبين لكم في سائر ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره وتتفكرون في الدارين فتؤثرون بقاءها واكثرها منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا لاختيار الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق ببين اي يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس يسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت عنه عن ابن عباس قال لما نزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون اطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه وجعل يحبس ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لصلاح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا ياكله النفقة عليه والزكوة منه واما الولي فلان احراز الثواب خير من التحرز عن مال اليتيم حتى يخل بمصالحه ويفسد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني صلاح اموالهم بغير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل غايدا الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير له في الدنيا والاخرة لنفسه لليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشرب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فارهقتموهم ادخل عليهم العنت والمشقة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي حمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط اليتيم بنفسه الشركة خلط المال وايضا الشركة داخلة في قوله اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى بعد هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم اخوان لكم في الاسلام لينا كد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها ويعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتجروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لو لم يذن قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت والمشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى ربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او بزوجها من لا يكفيها كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه على انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول لو شاء لاعنت لهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهم دون مخالطة المشركين عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله ﷺ فاستاذنه فنزلت هذه الاية ثم اختلف العلماء في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله ﷺ لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولان الموقوف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطي ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى قال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطي لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي به الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطي بدليل قوله لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك فالمراد ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح الغاس عيبته والضم حاصل في العقد في الوطي فصح استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سئلت ابا علي عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا انكح فلان فلانا اراد وا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا امراته تزوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق واجمعت النصارى قاطبة على التثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين انه يثبت لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات في هذا

شرك محض وكان النبي ﷺ امراميرا فقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من قبل الجزية وعقد الذمة بالشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهود حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد ﷺ من جنس ما يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقرارهم ولا بانكارهم انما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان و النبات الى الافلاك والكواكب حجة المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ولم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفرا ونحيا غلظ وهذا القدر يكفي في العطف لعلة خصوص ولا ثم عمم هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان الاله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب ان يدرج كل كافر تحت الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي ﷺ بانه ليس كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شئ منها قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من امن بعدان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فبقي قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج بيهودية ونصرانية فكتب اليه عمر خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف ان تعاطوا المومسات منهن وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ انه قال لا تتزوج نساء اهل الكتاب فيتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي ﷺ قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات يتخصص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وهذا عن الحسن ذيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين لا ان يقال ان تحريم نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا بد هنا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي لانه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفيات فان وافق السر العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جدا ولامة مؤمنة هذا اللام في افادة التوكيد كلام الفصحاء المراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن من امة الله وعبد الان الناس كلهم عبيد الله اما هو اي لامرأة مؤمنة حرة كانت ومملوكة خير من مشرك ولو اعجبكم للمبالغة والجواب محذوف اي لو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ولبنيها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا وغاية الدين اولى من غاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا اليضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يرجح اضدادها توقع منها ولهذا قال رسول الله ﷺ تنكح المرأة لاربع لجمالها ولحسبها ولمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال النقاش لامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخر الى ان في الاية دليلا على ان الفادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لان بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفار من اولئك المشركات والمشركين يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة المحتمة فيظن ويحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فمنعهم ان لا يتواصلوا ويصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث بينهما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو الى الجنة حيث امر بالتزويج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فمن الذين يجب صوانهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم ما دامت يوفق لله وتيسره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرا الحسن المغفرة بالرفع على الابتداء واي المغفرة كائنة بتيسيره وبيننا اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرف فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على امور مركوزة في العقول من حقيقة دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل اخر الظن كما يتخذ من اجناس مختلفة

وقيل معناه ما يعود ان

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذا سكر النفوس العقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الوارد بان في اثناء المشاهدات من سبحات تجلي الصفات اذا دارت كؤس المحبة شهوات النفوس فسكر القلوب بالمواجيد عن المواجد والارواح بالشهود على الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال وهذا شراب جلالة الذي فوق عالم التكليف لانه ممزوج باللطيف بالتلطيف فيه مناقض للنواميس وملازكة اهل القرب والاستيناس فصحو من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك السكر بها فاملأ ساقيها وما املأ شارب عقار لحاظ كاسه ليسكر الملأ فقوم اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس كان سكره من المدير الكاس لا الساقي والمسقي ههنا واحد كما قيل قد درت الزجاج ودق الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح ولا عدم واتم الاعراض عن كؤس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطالب المبتدئة في البداية اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانية نفس الكبير واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص الخواص في بعبارة اخرى الاثم في الخمر الظهور والميسر الباطن واهل الظاهر اكثر واهل الباطن قليل والله اعلم

ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا

وسئوال كنند تورا از حيض بكو آن رنجى ست پس دورى كنيد از زنان در حال حيض ونزديكى مكنيد با ايشان تا پاك شوند پس چون

تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم

پاك شوند پس بيائيد ايشان را از جهتى كه فرموده ست شما را خداوند. وقوله كنند كانان شما كشت زار شمايند پس بيائيد كشت زار خود

انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم

هر گونه كه خواهيد وفرا پيش داريد براى خود زنان وبپرهيزيد خدا را وبدانيد كه شما رسنده ايد بدو را ومژده ده مؤمنان را

ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم

كه نيكوئى كنيد وبپرهيزيد وصلاح كنيد ميان مردمان وخدا شنواى داناست فرو نگيرد شما را خدا بسوگندهاى لغو ولكن فرو گيرد شما را

بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءو فان الله غفور رحيم

بآنچه كرده ست دلهاى شما وخدا آمرزنده بردبار است مر آنرا كه سوگند خورد از زنان خود انتظار بردن چهار ماه ست پس اگر بازآيند پس بدرستى كه خدا آمرزنده مهربان است

وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم القراءة حتى يطهرن بالتشديد الاصل يطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف

واگر قصد كنند طلاق را پس بدرستى كه خدا شنوده داناست وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة ابي بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القرآن الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم بابدل كل همزة تحرك وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده اشباعا ذلك بغير همز يزيد ورش والسوسي وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض اذى ظاهر لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض للعطف حتى يطهرن لج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها اضمر الله المطهرين حرثكم مر لان الفاء لجزاء اى اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلف الجملتان شئتم زفد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط اشهر ج عليم الف لحكم الناسخ

ويسئلونك عن المحيض قيل لم تجمع في هذا الموضع بين ستة اسئولة فذكر الثلثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان السئوالهم عن تلك الحوادث وقع في احوال متفرقة فاتوا بحرف العطف لان كل واحد من تلك السئولات مبتدا وسئلوا عن الوقايع الاخر في وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السئوال عن الخمر والميسر السئوال عن كذا وعن كذا وعن اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرئة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض كان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله ما البر شديد النياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الاية فقال صنعوا كل شئ الا النكاح يعني ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم ينهوا عن مؤاكلتهن ومشاربتهن ومجالستهن وغير ذلك من تولية فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن واتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف فالواجب اعتزال ما شمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجئ والمسير والمقدر فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالاية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن يزيد بن اسلم ان رجلا سئل النبي ﷺ ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض فالمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض لا يصلح عبارة عن الموضع لقوله قل هو اذى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والمقدر هو ذو اذى انما قدم قوله اهو اذى لترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه ذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها الطبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول الغائط فكان اذى قذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لان دم صاحب السيل من عرق بنفجر في عمق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول

في كرة

ان امراة استحاضت فلما اطهرت ادعت الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها تصدع العرق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري منه قيل للحوض ان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء مزجر واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبانه يعلوه حمرة مركبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحرق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق لا يسيل سيلا ومنها ان له انتحارا بهيمة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدرة تشبهها الدماء البحرانية من الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكليف وزوالها انما كان يعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فيجانب الناظر في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قد وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رات الصبية دما قبل استكمال التسع نهودم فاد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء يحيض بناتها تمام تسع سنين وقبل ان اول وقت الامكان يدخل الطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر وتحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر فهو استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المراة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما علمت بين الحيضتين فيما يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه ص قال تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعرت ان اقل الطهر واكثر الحيض في عادات النساء الحيض ست او سبع في الطهر ثلثا وعشرين ليلة يحيض في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادات النساء ومن غالب عادات النساء وتحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد الطواف ومس المصحف وقراءة القران والسجود والغشيان بنص القران والطلاق في حق بعضهم ثم ان اكثر فقهائنا الا مصاعلى ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رات عشرة ايام جاز ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قراءة يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة عند انقطاع الدم ومن قراءة يطهرن بالتشديد فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية حصول الشيئين معنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الاذى بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق الاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل في كل بدنها الا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغتسل الموضع وتتوضاء وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عدم الماء حيث امركم الله اي من المالي الذي امركم به حلالكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة قال الاصم الزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صياما ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر منهم من تعاطي ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحايض الطاهر قبل الغسل اتيان الدبر يجب المتطهرين المتنزهين عن ذلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه كان الذنب كانه نجاسة روحانية حكمية انما المشركون يحبون ان يتوبوا الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة من كل ذنب ويحب المطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يتوخى المالي الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كان اليهود يقولون اذا جاء معها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله ص فقال يا رسول الله ص هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله ص هذه الاية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعند كانت الانصار تنكر ان ياتي الرجل المراة مجخية اي في قبلها من ورائها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يضع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله ص فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اتى شئتم اي مقبلات ومدبرات مستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد هذا على سبيل التشبيه فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر قام مقام المضاف اي هن مواضع حرث فاتوهن كما شئتم اي كيف شئتم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تخطئ عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث عن القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل فل هو اذى فاعتزلوا فجعل ثبوت الاذى علة للاعتزال لا معنى للاذى الا ما يأذى الانسان منه بنتن وقذارة

الجزء الثاني

وتنفر طبع الاذى والدبر حاصل بدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى آتى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائما او باركا او مضجعة وقيل انى بمعنى متى اى فاتوا حرثكم اى متى شئتم من اوقات الحل يعنى اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى انشاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل معنى شئتم من اى حال من قيام وقعود واضطجاع وهذا والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء فى ادبارهن وحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث اسم المرأة لانها موضع للحرث وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اى من اين ولان كلمة اين تفيد العموم فيلزم ان يكون المأتى متعددا وبقوله الا على ازواجهم وما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه فى حق المذكور للدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به فى حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه الحجج ولو سلم مساواتها دلائل الحرمة فى القوة فالاجتناب الجموط وكيف لا وقد روى عن رسول الله ﷺ ملعون من اتى امرأة فى دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات غرض التوالد والتناسل الذى هو النوع الانسانى الذى هو اشرف انواع الكائنات لكفى مفسدة ومانعا واذا كان الزنى لكونه سببا للنسب محرما وكذا الخمر لكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء لهذا اعقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك لان الاية اشتملت على الاذن فى احد الموضعين والمنع عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا فى قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا فى بقعة الاخلاص وتقديم الطاعة ثم اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلثة المتوالية لا يحسن الا اذا كان مسبوقا بالنهى عن مشتهى فقوله وقدموا لانفسكم تحريص على فعل الطاعات وبتدارج فيه بانتهاء الولد والشهية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة وقوله واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذى لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلوا الوعيد من الوعد فلم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان يعطى الحكم الناسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهى عن الجراءة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شئ فى معنى من المعانى فقد جعله عرضة اى معرضا له فان فلانا تجعلونى عرضة للوائم وقدم ذكر الله تعظيما من اكثر الحلف بقوله ولا تطيع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف فى كل قليل وكثير بالله اطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل فى العبودية ومن كمال المعظم ان يكون ذكر الله تعالى واقعا عنده من ان يبتذله ويستشهد به فى غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا واعلم انه نهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه العظيم فى حطام الدنيا اعتقد الناس فى صدقه بعده من الاغراض الفاسدة بعده وبرا متحذرا من الاخلال بواجب حق الله فيحلونه فى وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشئ الذى يوضع فى عرض الطريق فى تصيرها مانع الناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث فى يمينى فيترك ارادة البر فى يمينه فقيل لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لها حلفتم عليه سمى المحلوف عليه يمينا للبسه باليمين كما قال النبى لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك اى على شئ مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامر المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا فاللام فى لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم حجابا وحاجزا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوا اشيا يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم بانيانكم ان تركتم الحلف جدلا لاذكره واليمين فى الاصل عبارة عن القوة فسمى الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل للناقة التى لا يعتد بها من الابل لغوة وهو فى الاصل مصدر لغا يلغو قال من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء فى اللغو من اليمين فذهب الشافعى وهو قول عايشة والشيبانى عكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعناك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك وعده قال الا والله مرة ومذهب ابى حنيفة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة والسدى ومحمول ان اللغو هو ان يحلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة الخلاف ان الشافعى اوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى والله بوجهيها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة حكم بالضد من ذلك حجة الشافعى ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذى يقصد الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يجرى الناس فى الكلام لا والله بلى والله فاما اذا حلف على شئ انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة ايضا نه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهى عن كثرة الحلف فذكر عقيب ذلك ان هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد فى الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف بين انه لا مؤاخذة عليهم لا كفارة لان ايجاب الكفارة والمؤاخذة عليهم يفضى الى ان يمتنعوا عن الكلام ويلزمهم فى كل لحظة كفارة وكلاهما خارج عن الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرناه هو المناسب يؤيده ما روت

عايشة

عايشة عن النبي ﷺ انه قال اللغو اليمين قول الرجل بيت كلا والله وبلى والله وروى انه ﷺ مر بقوم يتصلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي ﷺ حنث الرجل يا رسول الله فقال ﷺ كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عايشة رضها قالت ايمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة التي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وايضا انه ﷺ قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل بين المجد والهازل قبل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ به لان هذا لا ايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي فاسمكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هو اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باسم حلفتم اذا كفرتم وقيل هو ما يقع سهوا والمراد بما كسب قلوبكم هو العمل الذي اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما تعمدت قلوبكم وقصدت اليه الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يجلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وقال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم ان فيه اثما كاذب لم يرض به احدا ويعتد للخلوق ويقطع به مالا فهذا اعلم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون او تتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم يقال في اللغة الى يولي ايلاء وايلى ايلاء قال الليث والاسم الايمان والحلف كلها واحد الحديث العدوى ليست من افعال خلاف المعدين والايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب كان الرجل لا يريد المراة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها هكذا لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المراة ثم ان اهل الايلاء كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك امهل الزوج مدة حتى يروي ويتامل فان راى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان راى المصلحة في الفارقة عن المراة فارقها ثم المتعارف ان يقال ليت على كذا وانما عدى ههنا بمن لانه اراد انهم من نسائهم تربصوا بعد اشهر كما يقال للمنكر كذا وضمن في هذا القسم الخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم ويعتزلون مولين ومقسمين الزبير الثلث الانتظار واضافة الى اربعة اشهر اضافة المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فان فاؤا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب فان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الفشل او لغير ذلك من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على حل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم ان الايلاء اذا كان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدته هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان يتصور معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق والفرق عندنا بين الحر والرقيق في الحد وعند ابي حنيفة ينتصف برق المراة وعند مالك برق الرجل كما قلنا في الطلاق ثم ان التخصيص خلاف الظاهر لان تقدير هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع هو قلة الصبر على مفارقة الزوج فينبغي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة وبه يصح الايلاء في حالتي الرضاء والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب ايضا يصح الايلاء عن المراة سواء كانت في صلب النكاح او مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا والايلاء المجهي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا يترك ومن حيث جميع ذكره لم يصح ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه كذا الامثل عن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان اولج ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض فهو قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المراة رتقاء او قرناء فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اما الله تعالى او صفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد قولا بعينه فله نعم يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب الكفارة عند الحنث باليمين عامة وراى فرق بين ان يقول والله لا اقربها ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها واما ذكر الكفارة في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القران وعلى لسان الرسول فقوله فان الله غفور رحيم بدل على عدم العقاب فلم لا يدل في الكفارة وكما التائب عن الزنا والقتل لا عقاب عليه مع ذلك يجب عليه الحد القصاص اما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطيتك فلله علي عتق رقبة او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد هو قول بعينه ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان النذر والطلاق والمعلق بالوطي تحصل ان لو وطي فيكون ما يلزمه بالوطي انما لزمه من الوطي ويكون هو تعليقه بالوطي مضارا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى بقي ان الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر فيفي او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به الزام قربة في المدة ضيق ما في هذا الحاج فيه قولان اصحهما ان عليه

عليه كفارة اليمين الثاني عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين بين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه هو الجماع وهذا من صريح الفاظه وكذا اللمس والوطي والاصابة ومن كنايا تها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون مولبا حتى يحلف ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول ان حلف يوما وهذان المذهبان في غاية البعد عن ابي حنيفة والثوري انه لا يكون مولبا حتى يحلف على ان لا يطأها اربعة اشهر اجلا لاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المراة الزوج بالفئة او الطلاق فان امتنع الزوج منها طلقها الحاكم عليه وعند ابي حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعي ان الفاء في قوله فان فاؤا يقتضي كون ما بعده من حكم الفئة والطلاق شروعا مرتبا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح في ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج في ان الزوج لا بد ان يصدر عنه شيء يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل لحكم المتقدم كما تقول انما نترك بكم هذا الشهر فان احدثتم اقمت عندكم الى اخره والام تقم الا رايتما تحولوا ايضا الايلاء طلاق في نفسه الطلاق اشارة اليه ايضا لغالب العازم للطلاق والضرار وترك الفئة لا يخلو من مقاولة ومدمتة وحديث نفس فذلك الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه بان الفئة لا بد ان تقع في الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الى الحق والى الله حسبي انا وبل كا ان للنسا محيضا في الظهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض في الباطن وهو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة وهي المناجات وعن حقيقة الصوم وهي الامساك عن شهوات النفوس كما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعي الصفات البشرية والحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى انكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى يكدر بحر امن الصفا فكذلك نودي من سرادقات الجلال ايها الرجال اعتزلوا النساء النفوس في محيض غلبات الهوى حتى يطهرن بانقراض الحوائج الضرورية للانسان من المأكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة في طلب القربة فاتوهن من حيث امركم الله يعني طهروهن شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال الهوا هاان الله يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين عن اخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء اوجودهم ويحب المتطهرين ببقاء الشهود نساؤكم حرث لكم الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلاف الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون بالله الداعون الى الله باذنه فكان الدنيا مزرعة الاخرة للقوم فالدنيا والاخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها الى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا ان يشاء الله فقد ثبت مشيتهم في مشيته تعم ويبقى قدرة تصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالات الحراثة والاعمال والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع في الارض المرتبة للزراعة لا ينبت وان كان في الات الحراثة اما ان كان لما يجري على الظواهر من الجوارح فلا اثر في القلب ولو كان مثقال ذرة فان الله يتم من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه وان كان مما يجري على الظاهر ان لم يكن له اثر في القلب كان لغوا ولا يؤاخذه وان كان له اثر في القلب فهو بصدد المؤاخذة وانشاء الله غفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل الفتنة وقفة وفترة في اثناء السلوك من ملامة النفس ونفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يعاقبوه في الحقيقة ويعاونوه بالهم العلية وتبصيروا ربعة اشهر للرجوع لا زهذه مدة تعلق الزوج بالجبر كما جاء في الحديث ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الى اخره فان فاؤا الفئة الى صدق الصلة ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا حظوه بعين القبول فان هذا ربيع لا بد منه الا يرى ان الاهزولون ربيع لا يسكنه الا المغرولون بل شر الربيع لا يدوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق المواصلة فان الله سميع لما فيه من علم بالجمع وهو حسبه والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن

وزنان طلاق داده شده انتظار كشند بخودهاى خود سه پاكى و روا نباشد مر ايشانرا كه پوشيده دارند آنچه آفريده است خدا در رحمهاى ايشان اگر ميخواهند

يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف

گروهى كه ميخواهند بخدا و روز واپسين وشوهرانشان سزاوارترند بباز گردانيدن ايشان در عدت اگر خواسته باشند اصلاح كردن را و مر ايشانرا است مانند حقهاى مردان بر زنان بشيوه

وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان

و مر مردانرا بر زنان فرونى بمرتبه و خداى غالب و بسيار كار است طلاق شمردن بار است پس نگاه داشتن بشايستگى و باز كردن بنيكوئى و روا نيست مر شمارا كه

تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما

گرفتن چيزى از انچه داديد بانها چيزى انكه بترسند انكه بر پاى ندارند احكام خداى پس اگر بترسيد كه بر پاى ندارند احكام خداى را پس نيست باكى بر ايشان

فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له

در چيزى كه زن بدهد عوض آنرا پس اين احكامهاى خداست پس مگذريد از آن و هر كه از گذرد از احكام خدا پس انكه دوشمنند ستمكاران پس اگر طلاق داد زن را پس نيست مر او را

من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله

از پس طلاق سيوم تا انكه نكاح كند مرد ديگرى غير از آن پس اگر سيوم طلاق داد او را پس نيست باكى بر ايشان كه باز گردند آن زن و مرد اگر گمان دارند كه بر پاى دارند احكام خداى را و اين احكام خداست

يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن

بيان ميكند آنرا مر گروهى را كه ميدانند و چون طلاق كنيد زنانرا پس برسند بمدت عدت ايشان نگاه داريد ايشانرا بشايستگى و رها كنيد ايشانرا بشايستگى و نگاه مداريد

ضرارا

سورة البقرة

ضرارًا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوًا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل

مضرت رسانند تا بر وے تعدی کنید و هر که چنین کند ستم کرده است بر نفس خود و احکام الهی را ریشخند مگیرید یاد کنید نعمت خدای را که بر شما ارزانی داشت و آنچه فرستاد

من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا ع ١٤

از کتاب و حکمت پند میدهد شما را بدان پرهیزید خدای را و بدانید که خدا بهمه چیزی داناست و چون طلاق دادید زنان را پس برسیدند بآخر مدت خود پس

تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى

منع مکنید ایشان را که نکاح کنند شوهران خود را اگر رضی شوند در میان خود بآن بآنچه شناخته است شرع که کرده شود و بروز و این پند داده میشود بآن هر که باشد از شما که گرود بخدا و روز

لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون القراءة أن يخافا بضم الياء هو بالحمزة ويعقوب لنافون بفتح الياء بنيها بالنون المفصل الباقون بياء

مرشما را و پاکیزه تر است و خدا میداند و شما نمیدانید

الغيبة يفعل ذلك مدغما حث كان أبو الحرث عن علي وقف ظلم مظهرا ان يكثر وابو جعفر نافع غيرهم وش عام

غير لا عشى الوقوف قرء ط الآخر ط لاحتمال الصلاح بالمعروف عن لعطف المتفقين ولاتمام المقصود في تفضيل الرجال رجة ط حكيم ترال عن لطف الخفية

فاحسان ط حدود الله الاولى ط تعتدوها ج الظالمون ز بعد الجزء غير ط لان الطلاق الرجعي الثاني على خطر اوجبوا منتظرهم هو فكان خارج

من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون ولا سر جوهن بمعروف من طول الكلام المتعددة ج نفسه هزوا ط الطول ما بعد بما يعظكم به ط بالمعروف ط

الآخر وأطهر ط لا تعلمون التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي اوقع الطلاق عليها اما ان يكون

اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة وح ما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها بقوله تعالى إذا نكحتم المؤمنات

ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وح ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل قال تعالى وأولات

الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وان كانت حائلا فان منع الحيض في حقها اما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء كقوله سبحانه و

اللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم ثلثة أشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت حقيقة فعدتها قرءان وان كانت قيد الثمن

حرة فعدتها ثلثة اقراء لهذه الآية تظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخولا بها من ذوات الحيض بقال العام انما يحسن تخصيصه

اذا كان الباقي اكثر حيث انجرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب كالمغلوب فيقال للثوب سود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا ليس كذلك في

قسم الواحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه فانقول اما الاجنبية فخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها

فالفرية تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآية لا ان يجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها

واما الرقيقة فتخرج بها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على ما وضع له الا غلب انما لم يقل ولم يتربصن المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما

يجب ان يبادر الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عن موجود او بناء الكلام على الابتداء مما زاده ايضا فضل تاكيد وتقوى لو قيل ولتربص المطلقات

لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلثة قروء فيتحتم لهن على التربص لان فيه ما يستنكف منه فان انفس النساء طواعية الى الرجال

نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن القروء جمع قرء او قرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف

ان اسم القرء يقع على الطهر الخيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما

اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي لاحتقن والقراء والكسائي

واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيد اما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان

لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء لتمام اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلثة

يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار وبرهن ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال

عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي قصر حتى لو طلقها

في حال الطهر بقيت الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعندهم لم تطهر من الحيضة

الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر ومن الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تقضي عدتها

قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة عجزه الشافعي في قوله تعالى فطلقوهن

لعدتهن اي في زمان عدتهن واجيب بان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا لثلث قبل هذا يقوى استدلال

الشافعي لان قول القائل الثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث تحصل الشروع في العدة عقيبه فلما

كان الامر حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب ذلك التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء

الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي للنساء بهذا علم وانما الترتيب يدل على الجمع اكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لولم تمتلئ لقلت القلة

لما سالت الى الخارج فمن اول الطهر اخذ في الاجتماع والانزياد الى آخره والآخر هو حال الكمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وانما الاعتداد

بالاطهار اقل ما قالوا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى

هذا الاصل وقوله تعالى بانفسهن ثلاثة قروء انها اذا اعتدت بثلثة اشياء لتمام قراء خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي مدتها اقل من الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله رحمه الله على الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وكان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرء به الارحام وكان الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط وكان اطلاق طهرا كاملا على بعض الطهر خلاف الظاهر واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم المحتكر يتربص ثلثة قروء او على الظرفية اى مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للايذاع فانهم يستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة وايثر فلعل القروء اكثر استعمالا في القليل فيكون مثل قولهم ثلثة اسبوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي ثمانية وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رات الدم فقد انقضت عدتها بحصول ثلثة اطهار وفيما ادعت هذا القدر منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانها اما كتمان الحمل فاذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول او قد تحب تقصير عدتها ليبطل رجعته فاذا حاضت ولم تكتمه ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك ولد حيضها فقد طولت العدة هكذا ان كتمت الحيضة الثالثة واذا كتمت ان حيضها ما وقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض وكان حمل المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به يجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن ان من امن بالله بعقابه يجتنب على مثله من العظائم وفيه ان من جعل مبنى شيء تحان فيه فاسره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعي وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتاكيد التانيث في الجماعة كصعوبة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة انها بعل بعله كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من بعل هذه الناقة اى من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد كل بالبعولة المصدر من قولك بعل بعلا وعلى هذا فالمضاف محذوف اى اهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع اخر والتي ترجعت اى بي في موضع اخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى الحل في ذلك اى في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم وبينهن احسانا اليهن في الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب عقاب الله لعصيانه وان صحت رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حق فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة ندبها المراة وجب بناء قوله على قولها فهذا هو المعنى لا احقية او نقول انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان الزوج الاول برد حقهن وان ثبت للزوج الثاني حق فهو من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهن ليس لهن ولا يكلفوهن مما ليس لهم والمراد بالمماثلة المماثلة الواجب للواجب في كونها من الجنسية لا في جنس الفعل فاذا عشت شيئا بره وحرمت لا يجب عليك ان تفعل نحو ذلك لكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله اى النساء خير قال التي تسر اذا نظر وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يادن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن عن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامراتي كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب اصلها من درج الرجل اذا نصب يدرج درجا اى مشى ودرج اى مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل الكذب منجاة من درج اى كذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء في امور في العقل وفي الديانة وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان للزوج عليها ولا يشركه في ذلك فيها ان للزوج ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاء ت المراة ام ابت ولا تملك المراة على الطلاق ولا على الرجعة فاذن المراة كالاسير العاجز في يد الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمراة وذلك ان من كانت نعمة الله

عليه اكثر كان صدّ والدنب عنه اقبح واستحقاقه للرجوع اشد قيل بل العرض من الآية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج الالفة والمودة واشباك الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد غاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي ﷺ لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت المرأة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم غالب يمنع مصيبا فعاله واحكامه لا يتطرق اليها العبث والسفه الغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق هو الطلاق الذي يثبت به الرجوع وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت العدة على المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عايشة ذلك لرسول الله ﷺ فنزل الطلاق مرتان فعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان والرجعة بعد الثالث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو مذهب الشافعي وهو الذي ينظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج لم يذكر ذلك الحق ثابت دائما او في عامة معينة فكان ذلك كالمجمل والعام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيب الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتداء والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع لا ارسال فقرة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة وقوله لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان وعلي ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري الى الدرداء وحذيفة رضي الله عنهم وبؤكده العدول عن لفظ الامر طلقوا امرتين اي مفترقين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث ابن عجلان الذي كان عن امرأته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه ومما يؤكد مذهب بعينه حديث ابن عمران رسول الله ﷺ قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد المعرفة بكيفية التطليق احدهذين فالتسريح الارسال والطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق مرتان قيل له ﷺ فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة وبه قال الضحاك والسدي وهو اقرب لوجود الخبر الذي هو بناء لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما ظهرت الحسرة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح له امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا الترديج والترتيب يدل على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا مما اعطاهن من المهر الثابت وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض وبدخل فيه النهي من ان يضيق عليها ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والاعطاء عند التراضي اليهم فكانهم الاخذون والمعطون وروي ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس شماس وكانت بغضته شديد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله ﷺ وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا الى رفعت جانب الخباء فرايته قد اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة وافبحهم وجها فقال اتاسمر علي فزعم على الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين فقالت نعم وازيده فقال ﷺ لا حديقة فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا ان يعلما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من موجب الزوجية واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن يعطاها وما ولدت لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اى فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت وفيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى الزوج لا محالة وقوله تعالى لا حديقة فقط حين قالت جميلة نعم وازيده لان ذلك اجحاف بجانب المراة و ضرار بالمراة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب ياخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقدر بمقدار معين فكما ان للمراة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة الا بالبدل الكثير لا سيما وقد ظهرت الاستخفاف بالزوج حيث ظهرت بغضه وكراهته وبينا كد هذا بما روى ان امراة اتت علي زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لعمر لزوجها اخلعها ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بما لها كله وقبل هو من قولهم خذه ولو بقرط ما وتبرو ذلك انه كان فيها دينار ان قيمتهما اربعون الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا مما زاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تحصل بسببه لها كل النفع اولى وذهب الزهري والنخعي وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق وكانت تكره صحبته لسوء خلقه ودينه كما في الآية فان وقع وبحرجت عن الاخلال ببعض حقوقها لما بها من الكراهة فافتدت لتخلص منه وان كان الزوج بكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان فاقدا والزوج ما تؤثم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المراة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف لها اذا لم تطعه عند اداء ما عليها ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الضمير بدل الاشتمال مثل جنف يدل تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع فلث افعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل وبه روى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع اذا خالعها ولم يذكر المهر وجب لها مهر مثلها كالاقالة في البيع والقديم انه فسخ لا ينقص به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر بثلث وبهذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح اى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح بني فلان اى تزوج منهم هذا عند من يفسر قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف بالذكر في قوله الطلاق مرتان واستوفى بضابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى الوطء لان قوله زوجا يدل على العقد قد بينا هذا فيما سلف في تفسير قوله لا تنكحوا المشركات ويؤيد هذا ما روي عن عايشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبي ﷺ فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله ﷺ اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث ويذكر فلما اثبت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله ﷺ فاتت ابا بكر فقالت ارجعي الى زوجك الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المفهوم من توقيت حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستكثر ان يشفر زوجته رجل اخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على بناء البينونة ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من المضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة فلا يصلح جعله ما نعا وزجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة او ثنتين ثم تركها حتى تزوجت ابا بها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة فمتى حبث

الها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة لا يملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج غير بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها الاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة واجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها اذا احلها للاول ففولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح صحيح ويكره ذلك وبه قال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن ابن عمر انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر كذا وفي تحليل لا محلل الا ارجئتها فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح عليهما اي على المراة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد اذا كانا علما ان النكاح فهذا راجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان محل الزوج الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدليل قوله فلا جناح عليهما وبهذا ذهب سعيد المسيب الى ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى والمطلقات يتربصن ان ظننا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي غيرهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما ولا يجوز ان يفسر الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها او اضرار منه فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ بينهما بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها ههنا الحال فلا اشكال لجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها غائبة يدخل فيها الخصيص وتعرف ذلك بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى بين الاحكام المهمة للطلاق استانف لحكمي الامساك والتسريح ببيانين اخرين وايتين سعاقبتين لان جملة الامرين في الطلاق يؤول الى احد هذين الاول قوله سبحانه وتعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ ايضا فيقال للبلد اذا شارفوه وداناه ويقولوا لرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولا نزاع علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له الا ما بعد تقضيه غير وجه له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف اجعوها من غير تو خير ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تقضي عدتها وتبين مما امر بعد الطلاق باحد الامرين استانف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لان الامر لان المامور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه ان يضارها في الاستقبال والنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل على انواع النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المراة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر واكثر قبل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال جاء ان تختلع المرة منه بما لها ومعنى قوله لتعتدوا اي لا تضاروهن لتكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون معتدين بذلك المعصية وقيل التجموهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبفوته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا فلانه اذا اشتهر بذلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه لا في مهر ولا في مهر واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا اياتي الله هزوا امر قرباته بجميع طاعاته لله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لاداها كان كالمستهزئ بها والمراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء واللعب وعن ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فقرأت فقراءها رسول الله ﷺ وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه على مثله كان كالمستهزئ بآيات الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في اداتها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بتذكرها على الاجمال فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمه الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد ﷺ ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم في محل النصب حالا مما انزل او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتداء وقوله يعظكم به خبر واتقوا الله في امره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه وعيد وعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المراة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل هنا على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلام على افتراق البالغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج عضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في عضد والخطاب للاولياء الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقهرا وحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن اذا تراضوا اي الرجال النساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل ان يمهر المثل فرعوا عليه مسئلة فقهية توافق مذهب ابي حنيفة في انها اذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للمولى ان يعترض عليها بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء لان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعيرهم به هن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد انه كان لجابر بن عبد الله بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا يبقى بين الشرط والجزاء تناسب قالوا لو بعد انقضاء العدة فدته للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يعتد على الظلم وقد يجد الطلاق واميد على انه كان احبها في العدة او بدا له من بخطبها ما لو عبأ الهدايا وبينها الى الهوى بغير الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا يمنعونهن من العود الى الذين كانوا ازواجا لهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه المراد من يريد ان يتزوجهم فيكونوا ازواجا لهن قبل الوجه ان يكون خطابا للناس كلا بوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح هذا مبني على ان الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه وتسلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا في الزوج وايضا فثبوت العضل في حق الولي يمنع لانه منها عضل انفرادا فاذا انفرد لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليهن اضافة الفعل الى فاعلة والتصرف الى من باشره وهي اولى عن صنعها من ذلك ولو كان ذلك التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه دينا كهذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى المسبب يقال بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر يخصص بهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع بكذا بالتكاليف العامة كقوله ولله على الناس حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص الوعظ بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اي ادناس الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علم تم فعلكم كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او تشتبه المصلحة بالمفسدة فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب يحتوسعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاستغناء اذا صد عن العبد ما التمنوه والانقطاع امهل الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يهوى الى الامة شرائط الوفاء ويحرك لداعية في صميم قلبه من نتايج محبة ربه اذ لم يكن له ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والاوبة فيقال له من غاية الفضل والنوال فارع الباب ع نفسك تعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا ويعولن هن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للنساء حقوق في ذمة كرم الربوبية كما ان الله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق برعاية الحق فيقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بد درجة بل بدرجات غير متناهية والله عزيز اغير ان يراعي العباد مع عجزهم كمال حقوق حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما لا في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يفيد اهل الصحيحة لا يفارقون بجريمة وجريمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله فان ندم بعد ذلك عن فعاله وساء ذلك الصديق وامثاله ورجع الى الصحبة اشكاله فلا جناح في المراجعة ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان ان يعضله من صحبة الاقران فيه ان الله تعالى يجاوز عن لات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد بتلاه بالاخذ كان وجعله قرين الشيطان كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان تفرقت لمفارقة ان يسترد واخواطرهم عن الرفقاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه الا ان يؤدي الى ابداء هنة واهما الا ان يخاف من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن

واوران شيره سپيد هنه زنان خودرا در مدت دو سال تمام از براى كسى كه بخواهد كه تمام كند شيره دادن را و بر پدر كه فرزند مراورست روزى آنها و پوشش آنها

بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

بطور معروف تكليف نيشود هيچ نفسى مگر بقدر وسعت ان ضرر نميرسد بوالده بسبب فرزندش ونه بفرزند پدر ونه بفرزندش وبر وارث ست مانند همين

فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح

پس اگر خواستند جدائى انطماء از شير بخوردن پسر بخوشدلى وبمشورت يكديگر پس نيست گناهى بر ايشان واگر خواهيد كه بدايه دهيد شير دهند فرزندان خود را پس نيست باكى

سورة البقرة

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

برشما چون تسلیم کردید برآنچه آنچه را که قرار داده اید بنوع متعارف و پسندیده خلاط و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید شما عمرات و آنان که بمیرند از مردان شما

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

و واگذارند زنان را فرمان خیانت که نگاهدارند خودشان را در مدت چهار ماه و ده روز پس چون که برسند مدتهای ایشان پاکی نیست بر شما در آنچه کرده اند

ع ۱۹ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ

در نفسهای خود شناخته شده و خدا بآنچه میکنید باخبر است و باکیست بر شما در آنچه که متعرض شوید بآن از خواستگاری زنان یا اگر پنهان کردید

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

در نفسهای خود میداند خدا که شما زود است که ظاهر سازید آنها را ولیکن وعده مکنید آنها را در خفیه بجز آنکه بگویید گفتاری شناخته شده و آهنگ نشوید

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

بستن نکاح را تا آنکه برسد مدت عده باخبر و بدانید که بدرستی که خدا میداند آنچه در ضمیرهای شما است پس بترسید از او و بدانید که خدا آمرزنده

حَلِيمٌ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ

بردبار نیست باکی بر شما اگر طلاق کردید زنان را مادامیکه مباشرت نکرده اید با ایشان که قرار دهید برای آنها حصه و بدهید آنها را بر توانگر اندازه خویش و

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

بر فقیر اندازه او بدهد متعارف و این ثابت است بر خوبان و اگر طلاق دادید زنان را پیش از آنکه مباشرت کنید با آنها و حال آنکه قرار داده اید برای آنها

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ

پس نصف آنچه قرار داده اید ثابت مگر آنکه درگذرند یا درگذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و درگذشتن از آن نزدیکتر است پرهیزگاری و فراموش نسازید فضل

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ القراءة لانصارهم بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقنبل الباقون بفتح الراء ولا خلاف في ضم الهاء

و رسیان خود زنان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست في قوله ولا ضرار كاتب ما لفتح ما التيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون

بضم الياء النساء وبهمزتين هاشم على وحمزه وخلف وابن عامر الباقون النساء وورش في الخراعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النائي ثمامسوهن حيث

وقعت على وحمزه وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن نكوان وروح وبخ وحمزه وعلي وخلف وعاصم غير الجعفي بكر وحماد الباقون بالاسكان

الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها لا استيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل لذلك عليها ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبة بالمعروف ط بصير

وعشرا بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه لفصل بين موجبي الخوف والرجاء وهذا كررت كلمة واعلموا فقد

غفور حليم فارجوه والوقف اليه حليم فرق بينهما لعطف المختلفين ومتعوهن جمع لانقطاع النظم مع تصال المعنى وان الجملة الثانية لتقدير الماموربه

في الاولى قدره الثاني جمع لان متاعا مصدر متعوهن الوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف جمع لان حقا يصلح نعتا للمتاع

اي متاعا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير لتغير الحكم الثاني عشرا لارضاع والوالدات قيل هي المطلقات

والمرجحات لان نظم اللفظ مشعر بالعهود قبل المطلقات فلهذا ذكرن عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استبعث النباغض والتعاند المنتهي

لايذاء الولد لبعادي الزوج وبما رغبت في الزوج بزوج اخر فنهي امر الاطفال فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم

وايضا انه تعالى قال في الاية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجة باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط

الاولى ان يحمل على المرجحات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا

اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب

الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يترضعن فانه خبر في معنى الامر للتوكيد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن

لكم فاتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر

ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح عند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يعفو الام والوالد

اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين التركيب يدل على الانقلاب فالحول ينقلب من

من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال امت عندي فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الاخر ولهذا لم يجئ التحديد

الجواب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع واللام متعلقة برضعن كانه قيل ارضعت فلانة ولده

اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب عليه ارضاع الولد دون الام وعلى الاب يتحذ ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصد

من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الاخر لم يكن له ذلك اما اذا اجمعا

على ان يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك وفيه فلا رضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله تعالى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فعلم من التحديد بدان

الارضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة
ان مدة الرضاع ثلاثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لاشتراكهما في التأويل اي في المصدر لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب
وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون
الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال صلى الله عليه وسلم
الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء فيجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر
الاترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسيره ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضاروا ثم المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بشرط وعقد وقد يكون
غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان دون ذلك لم تقدر على الكفاية يلحقها ضرر
من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة
فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد
ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه ولهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى
الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل لا تضارر او لا تضارر بكسر الراء وبفتحها ومن قرأ بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البنائين ايضا
ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شأن الولد وان تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له
امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهي تريد رضاعه ويكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان
مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يفرط
في شأنها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في
الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما
كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول
عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على
الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد
من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه
وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو مثال على فعال كالقتال والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه
يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور ومع ارباب التجارب واصحاب الراي فلا جناح عليهما في ذلك زائدا على الحولين لضعف في تركيب الصبي ونقصا وانما هذه التوسعة
بعد التحديد لان ذلك لان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحيث يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار الولد وان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط ولما بين حكم الام وانها
احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم يقال
ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن الواحدي
التقدير ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت
بزوج آخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع لتتزوج بزوج آخر ومنها ان تأبى
المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول
عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدناها ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما آتيتموه

المرأة اى ما اردتم ايتاءه مثل اذا اتممتم الصلوة ومن قرأها اتم بالقصر فهو من باب الاحسان فاذا فعله كقوله لئن كان وعد ما بيا اى معهودا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اى ما اتاكم الله فقد كم عليكم من الاجرة وليس للمسلم شرط للمجوز والصحة وانما هو مندوب الاولى فيحث على الذى يعطى المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهناء واطيب لنفسها ليعتاط فى شان الصبى لهذا قيد للتسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكون فى ايسر الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا لما ظهر من ثم اكد الجميع فان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل التوفى اخذ الشئ كاملا وانيا وبنى للمفعول ومعناه ما قلنا والفاعل معناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة على يتوفون بفتح الياء والذى يحكى ان ابا الاسود الدئلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله كان احد الاسباب الباعثة العلى على ان امره بان يضع كتابا فى النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على مقارف الاوساط ويذرون يتركون ولا يستعمل منه الماضى والمصدر استغناء عنهما بصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وقدر وعشرا اى يعتددن هذه المدة وهى اربعة اشهر عشر ايام وانما قيل عشرها بالى الليالى لان الايام داخلة معها فان فى الكشاف ولان اسمائهم فطلبوا استعمالوا التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل فى سبب التغليب مبدأ الشهر من الليل والاوائل قوى من التوالى وايضا هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تبنى ليالى استعارة او المراد عشر من كل منها يوم بليلة ورد هبك وزاعى والاصل فى هذه الاية واهها اذا انقضت اربعة اشهر وعشر ليال حللن للازواج نقل عن الحسن فى الغالية انه لم يعتد احد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح فى العشر بعد الاربعة قلت ولعل هذا من الاقوال التى لا يعقل معناه كاعداد الركعات ونصيب الزكوات وانما الله ورسوله العلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات زوجها اذا كانت ممن عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرة تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل واذا كانت المرأة حاملا فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم قائل ان ذلك فى الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبى حللت فانكحى من شئت وعن على انها تربص بعد الاجلين ولا فرق فى عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول وردبه الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى العدة فى المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا ترى خلافا لمالك فانه قال لا تنقضى عدتها حتى ترى عادتها من الحيض فى تلك الايام مثل التى كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض فى كل شهر مرة فعليها فى عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان تحيض فى كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض فى كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد ان كانت عادتها ان تحيض فى كل خمسة اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعى لها ان ارتابت بسبب نفسها من الريبة كان زنت الاقراء او ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج فى خلال شهر هلالى والباقى اكثر من عشرة ايام فعدتها بقية ذلك الشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقى ثلثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذى مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقى دون عشرة ايام فعليها وبعد اربعة اشهر بالاهلة وبكمل الباقى عشرة من الشهر السادس وان كان الباقى عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بعدها بالاهلة وان انطبق الهلال على اول الهلال فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا فى ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قولى الشافعى انها اذا لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام فى العدة لما روى ان النبى قال امرأة المفقود امرأة حتى يأتيها يقين موته وطلاقه ونكاحه معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت حتى لو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل عليه ان الصغيرة التى لا علم لها تكفى بانقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعنى بتركه ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلى والتطيب والتزين والاكتحال بالاثمد يحرم عليها ان تخضب بالحناء وتحتلى فيما يظهر من اليدين والوجه لانه لا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين فى الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف بغسل الراس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضى ان ترك الاحداد ولكنها تعصى لما روى ان رسول الله قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن الشعبى انه غير واجب لان الحديث يقتضى حل الاحداد لا وجوبه لكنه قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يخص قوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والاولى ان يخص الخطاب بنا ونحن المؤمنين والجواب انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك لقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل لكون الغافلين منذرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد وايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن فى مدة العدة وجب على كل احد منهم ان يمنعهن من ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه لا جناح عليكم وعلى النساء فيما تفعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما بعد انقضاء المرأة بفعله ويدل عليه وجوب الاحداد

النصرة

فى عدة الوفاة

فى بيان اول عدة المتوفى عنها زوجها

بالمعروف الوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحابنا يحيى هنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل هو التزويج ان الفعل قد يسند الى السبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان يتكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان تضمر كلاما لا يصلح للدلالة على المقصود الا ان يشعاره بجانب المقصود تام راجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام الموضوع غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبا نا بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان التعاريض لمندوحة من الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب هو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سئلها امر وشانا في نفسها وكذا في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد خطبها اخو اجنبي وعليه يحمل قوله لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد تصريح الاذن اولم يوجد صريح الاجابة وكما صريح الرد فالاصح انه يجوز خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا للشوش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن ايفاء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل فيه حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة عن وفاة او عن طلقات ثلثا او عن طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما كذبت في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الاية تدل على انها في حقها لا يفهم ذكر عضيبة عدة الوفاة عنها زوجها ثم ان دخل التعريض بعدم الجناح فوجب ان يكون التصريح بخلافه ثم المغني يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك او لست بايم واذا حللت فاذنيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن عرضي ان الزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى يحسن فهمها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او انزوجك او اخطبك وعن ابي جعفر محمد بن علي انها دخلت على امراة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحقي عليك وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك التخطيبة في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله فدخل رسول الله ﷺ على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكرها منزلته من الله هو محامل على يده حتى اثر الحصير في يده فان كانت تلك خطبة او كنتم في انفسكم اوسترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم ان اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس ان حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما يثني عن ذلك فاسقط الله عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن لكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطي لانه سبب خفي كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في امر النكاح فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان انكحك اتيك الاربعة والخمسة عن ابن عباس وكقوله عيسى اجامعك فاذا انمحت عدتك ظهرت نكاحك عن الحسن يكون ذلك نهيا عن مسارقة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة وهي ان يواعدها الا تزوج باحد سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للمواعدة اي لا تواعدوهن شيئا يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه العزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وكم يبت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل العقد الشد المحسوس ثم يستعمل في عقود التبايع بالجمل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة اخرها وانقضت يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وفي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الحادي عشر حكم المطلقة قبل الدخول قبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدها ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية الثانية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول فحكمها وهذه الاية تدل عليه ولها يجب المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الاية بل في اية اخرى وهي قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم فاوجب نصف المسمى بالتسمية بدل الولي لوجوب النكاح الصحيح فدل بمفهوم حكمها من قوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه الاية تدل على انه لا مهر للتي لا يكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف

المستوفى المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الآية يشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس لم ذكر ذلك قائلا لا جناح عليكم بعد المسيس قلنا لعل الآية وردت لبيان ان الاصح الطلاق على الاطلاق وهذا لا طلاق لا يصح الا قبل المسيس او بعده الى ان يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي لا البتة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد من الجناح في الآية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها وبما يؤكد ذلك انه نفى الجناح ممدودا الى غاية هي احد المسببين المفروض والجناح الذي ثبت عند احدهذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الآية هو لزوم المهر واتفقوا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده ففي القسم الثاني وجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الآية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه ادب للعباد في اختيار احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى وهنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعد الفرض على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل لها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى بين انها اما ان لا مهر لها قبل المسيس لتسميته ذكرا ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر انه للوجوب ظاهرا وقول شريح والشعبي والزهري وعن مالك وروي عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرون لها واجبة لانه تعالى قال في آخر الآية حقا على المحسنين فجعلها من باب الاحسان وورد ان لفظ على مبني عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع وليلى الثلاث تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي وسع الرجل اذا كان في سعة من ماله وافتقر ضد من الفقر وهي الغبار فكانه التصق بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدرا مكانه وطاقته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والذي يطيقه كان ما يطيقه هو الذي يختص بالقدرة والقدر الفلة لغتان في جميع معانيها وفي الآية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة اي قدر يجوز في اباني الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التي سمي لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما اوجب زيادة على نصف المسمى اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى مناعا تاكيد لمتعوهن اي متعوهن على الوجه المعروف الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حقا ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من الواجب ان يكون محسنا هذا شانه وطريقنا وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الثالث عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الآية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو المرض والقرن والمرض ويكون معها ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله ففصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك وفصف ما فرضتم ساقط او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما دامت لي ولا خذ منه ولا استمتع به فكيف اخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل معتل الاثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوفة ووزنه يفعوا والنون علامة الرفع فقولك او يعفو عطف على محل ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي هو قول الشافعي ويروى عن الحسن المجاهد علقمة وقتيل الزوج وهو مذهب ابو حنيفة ويروى عن علي وسعيد المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهرها لانه صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيده الولي هو عقدة النكاح فاذا عفت حصلت الفرقة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي لما روي عن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو منها لان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يوفي اليها المهر عند الزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة وجه اخرى لو كان المراد به الزوج وقد قال ولا ان تطلقتموهن فاسب ان يقال الا ان يعفوا او تعفو على سبيل الخطاب ايضا وجوابه ان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو التنبيه على المعنى الذي لاجله رغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي جعلها ان ملك عقدة نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها سبب في الفراق وان فارقها الزوج فالاجر كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس في يد المرأة من ذلك شيء وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال لان النساء جبلتا الا ان غلب الذكور كما لهم وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى الاتقاء لان من سمح بترك حقه قربا الى الله فهو من ان ياخذ حق غيره بعد لانه اذا استحق ذلك الصنع الثواب فقط اتقى العقاب احرز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس ضامن البيان فان ذلك غير مقدور بل

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تتعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فالاجرم ندب الله تعالى منهما الى تطييب قلب الاخر ببذل كل المهر او تركه الا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه ندبا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال ابين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية بما يجري مجرى الوعد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان

محافظت كنيد بر نمازها خصوصا نماز ميانه و بايستيد براى خدا فرمان برداران پس اگر

خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم و

بترسيد از دشمن پس پياده يا سواره نماز كنيد پس چون ايمن شويد پس ياد آوريد خدا را كه آموخت شما را چيزها كه نميدانستيد و انانى كه وفات كنند از شما و

يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن

واگذارند زنان خود را وصيت كنند وصيتى زنان خود را بهره تا يك سال بيرون نروند پس اگر بيرون شدند پس نى نيست بر شما در آنچه كردند در نفسهاى خود

من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم

از شناخته شده و خدا غالب حكيم است و از براى زنان طلاق كرده شده بهره متعارفى واجب است بر پرهيزكاران اينچنين ظاهر ميسازد خدا براى شما آيات خود را تا شايد

تعقلون القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص يعقوب غير رويس الباقون بالرفع الوقوف فانتين او ركبانا ج لان

ركبانا كنيد اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فلهم وصية و

الوصل جوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قام مقام خبر المبتداء اخراج ج لمن معروف ط حكيم بالمعروف ط المتقين تعقلون التفسير الحكم

السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي بها تنكسر القلب

من هيبة الله تعالى وتزول الكبر وحصول الانقياد له والامر والانتهاء عن مناهيه بتحصيل السعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد

اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس في الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا

لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فالاقل من خمسة المراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب

المكان وستر العورة واستقبال القبلة والاتيان بأركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان

والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد وربه كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم

وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة ممن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عما ينافيها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء

والمنكر حفظة عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر في الصلوة وكيفما وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع في الخبر تجيء البقرة وال عمران

كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتعهد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر تقف في الصراط عند قدمه

تقول للنار لا سبيل لك عليه في الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوة

وما ورد من اخبار الاحاد لا يعول عليها فيجب ان نؤدي كلها على اعلى الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ولمثل ذلك اخفى الله تعالى

ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة

في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سئل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوة

كلها وعن الربيع اراني علانيتها بعينها اكتب محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل قال الربيع فاردت ان احفظ عليهن فقد حافظت على الوسطى

القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون رتبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله ادناها اماطة الاذى عن الطريق

والصلوة المكتوبة واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح هو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس

وعطا وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا ان هذه الصلوة تصلى في الغلس وبعضها في ظلمة الليل واخرها في ضوء النهار وايضا في انها صلوتين

الظهر والعصر في الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجهران في السفر وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قالوا

الفعال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان متوسط بين الماجدين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد سماها الله تعالى في قوله والفجر وليال

عشر وايضا قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الاية بالذكر للتأكيد حصل لصلوة

الوسطى في هذه الاية بالذكر للتأكيد فيغلب على الظن انها واحدة من هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضة

صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى فردها بالذكر لاجل التأكيد والصبح حوج الصلوات الى ذلك فعنه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء

البارد والخروج الى المسجد الوحش وايضا الامر بالذكر ينبئ عن افضل اذ لا ريب في فضيلة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة

الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين واقامتها قبل الوقت ايقاظا للنائم حتى لا تفوتهم السنة وخص ذكرها بالتصويب هو

يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل وظلمة النوم والغفلة وظلمة النوم والغفلة وتملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي رضه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر روى عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليها وعن زيد بن ثابت انه كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه وبنا لم يكن وراءه الا الصف الصغار فقال لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية وانهم ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل والنهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين لهما وبين الفجر والعصر وانهما صلوة بين البردين برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح ان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر كما تنوب عن العصر وعن عائشة رضها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر كانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله ص فثبت ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله وروي انهم كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد يسألونه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة فتؤخذ انها صلوة العصر روي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رض ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة رح وورد من التاكيد فيه كقوله ص من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج معرفته وقتها الى تامل اكثر من حال الظهر فالمغرب يعرف بغروب الشمس لعشا بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دايرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال الناس بحوايجهم عن علي ع ان النبي ص قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس عن دايرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال ملاء الله بيوتهم وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة في صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر عن النبي ص انها سلوة التي شغل عنها سليمان داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة رضها قالت لمن كتبها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت رسول الله ص يقرأها فاملت عليه الصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب انها بين بياض النهار وسواد الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشا لانها متوسطتين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح لما ورد من فضلها عن عثمان عن النبي ص من صلى العشا الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي هو وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح والجسد فكانه قيل حافظوا على سورة الصلوات بشرائطها حافظوا على معاني الصلوة وحقايقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة بعدها ثم ان اشاني اخج بالاية على ان الوتر ليس بواجب لانه ان كانت الصلوة سبعا فلم يبق لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فهو وسط بين الاثنتين والاربع او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح هو وسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما وكان قوله حافظوا على الصلوات امرا في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة من الذكر عن الحسن الشيخ سعيد جبير وطاوس وعن قتادة الضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه ص قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة ومن يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها واداببها وفيه زجر لمن لم يبال كيف صلى فخفف ولم يقصر على ما لا يجزي ذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا وجب ان يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله ص وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كانا يتكلم في الصلوة بكلام الرجل صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم اذا صلى خاف به فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا لله عابدين لذلك القيام في وقت وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حال الخوف على انه متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع جل يقال الجل اجل الركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على البل فان كان على فرس فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم والتخصيص للفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال وسوف يجيء بيانها في سورة النساء انشاء الله تع واما ان يكون عند اتمام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء لانهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويجوز ذلك عن اصحابنا لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت يصلي الى اي شيء يتوجه لانه ص اخر الصلوة يوم الخندق والجمهور على ان الاية ناسخة

لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس وعن محترم وعن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة لان الرخص لا تناط بالمعاصي والخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق والغرق والسبع كذا المطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس جاز له عن تقيه لاعساره برخص في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق ولكل فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه بشروطها وارکانها والصلوة قد يسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع على لسان نبيه وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه اخر والذين يتوفون منكم الاية من قرا وصية بالرفع فوصيته مبتداء وجزه لازواجهم خبره ويجوز وقوع النكرة مبتداء لتخصيصه بما يخصص سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر فالامر او المفترض او الحكم وصية فالمبتدا مضمر وكتب عليهم وصية او ليكن بينهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه جايز حسن ومن قرا بالنصب فعلى تقديره فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سيرا البريدا والزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا او التقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية وغير خارج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول وبدل متاعا حال من الازواج اي غير مخرجاة والمعنى ان يحتضر الذين يتوفون منكم عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان يتمتع ازواجهم بعده حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهم واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا او نسخ فاذا على هذا المقدار ونسخ النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله ﷺ لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعايشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرقوا بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فلتحصين الماء وهو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وبه قال مالك والثوري واحمد وبنا الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسالت رسول الله ﷺ ان ارجع الى اهلي فان زوجي لم انزل له منزلا ولا نفقة كذا في التفسير الكبير وهو كما قال فامرني فاتصرف حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ واخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها مخيرة في السكنى في دار زوجها ولم ياخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلنا الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معلوما وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد اوصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك فلا جناح وصية الزوج بعدان يقضين المدة التي ضربها الله تعالى فلا اعلم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح كان لها منهن بعد هذه الوصية غير لازمة والسبب فيه انهم كانوا في ما مضى من الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المراة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ثم روى ابو داود والنسايي عن ام سلمة قالت جاءت امراة الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ان ابني توفي عنها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله ﷺ انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كان احدكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طاير فتفض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد بما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاحداد على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان ياتينها وما في الاية السابقة اراد به الوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك الاية متاخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكرها ولانها عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر قوله تعالى للمطلقات متاع بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت فان لم اردد ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي واعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض لها مهرا كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها حسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها المهر بفرض او اختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قولي الشافعي به قال ابو حنيفة لها متعة لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول في الجديد لها المتعة وهو قول علي وابن الحسن ابن عمر لهذه الاية ولقوله تعالى متعوهن ولان المتعة بدل عن بضع كالمهر ثم المتعة واجبة ام مستحبة قال ابو حنيفة هي واجبة لظاهر الامر بها وقال الشافعي هي مستحبة لان الله تعالى قال حقا على المحسنين والواجب لا يسمى احسانا وقال حقا على المتقين والواجب لا يسمى تقوى وقال حقا على الكافرين والواجب لا يسمى كفرا

دخل بين النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا مقابلة عوض وهذا استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب المتعة
للايحاش وعن سعيد بن جبير في الثانية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر الآية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل ما تعالى الحول اعلم

ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل ع ١٩

ايا نداني حكايت انها را كه بيرون رفتند از خانهاى خود وحال انكه چند هزار بودند از ترس مرك پس گفت مر ايشانرا خداى كه بميريد پس زنده كرد ايشان را بدرستى كه خداى را بنده صاحب فضل

على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم من ذا الذي

بر مردمان وليكن بيشترى از مردمان سپاس نمى نهند وجهاد كنيد در راه خدا وبدانيد كه بدرستى كه خدا شنونده داناست كيست آنكس كه او

يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ألم تر إلى الملإ

وام دهد خدارا وامى نيكو پس بگزايد خدا ازبراى او بندهاى بسيار وخدا تنگ كند ودوست دارد وبسوى او بازگردانيده شويد آيا نديدى بسوى

بالألف والنصب عاصم

من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب

غير الفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب عاصم وبعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير وبرفع الباقون روح الباقون فيضاعفه بالألف والرفع وكذلك في سورة الحديد يبصطها ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد ويبسطون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان غير ابن مجاهد النقاش وشجاع وعلي الحلواني عن هؤلاء بالسين الوقوف الموت ص احياهم لا يشكرون عليم كثيرة ط يبسط ص ترجعون التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص اعتبارا للسامعين ليحملهم ذلك على الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبارهم والمعنى الم ينته علمك ولهذا عدى بالى وعلى هذا يجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا بهذه الآية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الآية ثم انه تعالى نزل الآية على فوق ذلك وكان اهل اوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله فقضائه وقدره حتى خرقيل النبي الذي يقال له حزقيل والكفل من عليهم بعد ذلك فكان طويلا وقد عريت عظامهم وتفرقت وصالبهم فتعجب مما رأى فاوحى اليه تريد ان اريك كيف احيهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمع فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه فاذا هي ان الله يامرك ان تكسى لحما فصارت لحما واودما ثم ناداها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم ثم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر لهم اثار الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحجاجهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فنهزموا وقالوا للملك ان الارض التي تذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يرول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظاير فاحياهم الله ثم بعد الثمانية فبقي فيهم شئ من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله عليهم الموت فلما اكثر فيهم الموت خرجوا مرين ناريهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم الهي يعقوب والهي موسى ترى معصية عبادك فاريهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه تمضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله ثم اماتهم وهم الوف فعاشوا بعد ذلك دهرا طويلا على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل اربعون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفو القلوب فزيف بان ورود الموت عليهم فيه كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلافهم لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ايتلاف ومحبة فكورود على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الغهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا البعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الفوت حذار الموت فتقول له جلة فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجئ بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد انها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كامر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل ان تكون امر الرسل بان يقولوا لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا اذ ذاك عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصير بها معارفهم ضروريه ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الاخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية اجالهم ان الله لذو فضل على الناس لتفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والثلاثي لتفضل على منكري النعم ما قضاه خبرهم ليستبصروا ويعتبروا ذلك ان تركب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجدا وكل واحد اذا كان ممكنا في نفسه قد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به في القضية تحريض للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقتلهم فقاتلوا وان كان استيناف خطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لهم بكيلا ينكصوا على عقبيه بحب الحيوة وبسبب خوف الموت فان الحذر لا ينفع عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو مجاز من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله ورد في ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كالنفقة على العاجز

عن الجهاد ان يقوى على الفقير الجهاد او على الجهاد او اراد الفقير على الجهاد ان يقوى على غنى في طريق الجهاد وذا في من ذا اما زايدة ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبرها وموصولة والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا الان ما اشد لها ما من ان كانت من لا يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام كان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مساقا نفاقا ما على الاطلاق وهو لا يليق بعمو لفظ القرض واما الواجب منه كان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب لا غير والواجب بالشرع اشبه هذا قول الاصم قلت وروي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان الذي من هذا القرض هو قول الرجل بحمد الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي ﷺ من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه نية اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق عن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض في الاية مجاز فان القرض انما يأخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال وكان البدل في القرض لهذا لا يكون الا بالمثل وهنا يضاعف وكان المال الذي يأخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال المأخوذ ملك الله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكان القرض يجب ان يؤدوه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل القرض الكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى واضعافا فانتصب على الحال وعلى المفعول الثاني ان ضمن اضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الاضعاف قد يقع موقع المصدر كالعطاء فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي كفرت بعدة والموت يعني وبعد عطائك مائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احد كم هو وما هو انما يعلمه تعالى لان ذكر المبهم باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط تقرير على عباده والا فهو يوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر لا محالة فكيف له الا ذلك سواء انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع نظره عن حال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال اليه ترجعون فيجازيكم بحسب قدمتم من اعمال الخير والله اعلم بالنيات الموفق لها منه

انتهاء الطريق ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال

ايا نگريستي بسوي گروهي از بني اسرائيل از پس موسي چون گفتند از براي پيغمبري از ايشان گو برگمار از براي ما پادشاهي در راه خداي گفت

هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

ايا اميد داريد كه اگر نوشته شود بر شما جهاد نكنيد گفتند كه چيست ما را كه قتال نكنيم در راه خدا وحال آنكه بيرون شديم از خانهاي خود و از فرزندان

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا

پس چون نوشته شد بر ايشان قتال روگردانيدند مگر كمي از ايشان وخدا داناست بستمكاران وگفت ايشانرا پيغمبر ايشان همانا بدرستي كه خدا برانگيخت از براي شما طالوت

قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفيه عليكم وزاده

گفتند كجا ميشود او را پادشاهي بر ما ومائيم سزاوارتر بپادشاهي از او ونداده شده است او را وسعتي از مال گفت بدرستي كه خدا برگزيد او را بر شما وافزود او را

بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت

زيادتي در علم وجسم وخدا ميدهد پادشاهي خود را هر كه خواهد وخدا محيط داناست وگفت مر ايشانرا پيغمبر ايشان همانا بدرستي كه نشانه پادشاهي او آنست كه بيايد شما را

فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين فلما

در آن سكينه آسايش از پروردگار شما وبازمانده از آنچه گذاشت موسي وآل هرون كه برميدارند ايشرا فرشتگان بدرستي كه در اين هر آينه نشاني است مر شما را اگر هستيد گرويدگان پس چون

فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة ع ١٧

جدا شد طالوت با لشكر گفت كه بدرستي كه خدا بيازمايد شما را بنهري پس هر كه بياشامد از آن پس نيست از من وهر كه نياشامد از آن پس از من است مگر آنكه بياشامد كفي

بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال

بدست خود پس بياشاميدند از آن مگر اندكي از ايشان پس چون كه درگذشتند از آن نهر او وآنانكه گرويدند با طالوت گفتند كه نيست ما را امروز زهره جالوت ولشكرش گفت

الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت

آنان كه يقين داشتند كه ايشان ملاقات كنندگان خدايند كه بسيار گروه كمتر غالب شدند گروه بسيار را بفرمان خدا وخدا با صابرانست وچون حاضر شدند

وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل

جالوت ولشكرش گفتند پروردگارا بريز بر ما شكيبائي را ومحكم كن قدمهاي ما را وياري ده ما را بر گروه كافران پس فرار دادند ايشان بفرمان خدا وكشت

داود

داود جالوت را و داود را خدا پادشاهی و حکمت را موخت از انچه خواست و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعضی از ایشان را ببعض هر اینه فاسد میشد زمین و لیکن خدا

ذو فضل علی العالمین القراءة عشیم بکسر السین حیث کان نافع البا قون بالفتح وزاده بالاما له حمزة ونصیر وابن مجاهد النقاش عن ابن ذکوان بصاد خالصة

صحیح فضل بر عالمیان ابو بشیط والنمو غیر النقاد وکذلک بباسط ویبصط الرزق لا تبسطها کل البسط فلا تبسطوا کبسطها اصطاعوا وما اشبه ذلک مفی

الا بفتح الباء ابو جعفر و نافع و ابو عمر والبا قون بالسکون غرفة بفتح الغین ابن کثیر و ابو جعفر و نافع و ابو عمر والبا قون بالضم هـ والذین بالادغام

روی ابن مهران و محمد العطار عن ابی شعیب بشجاع وکذلک ما اشبهها فئة ومئة وبابها غیر مهموزتین برنید ثمود و همزه فی الوقف فاع الله

کذلک فی سورة الحج ابو جعفر و نافع و سهل و یعقوب البا قون دفع الله الوقوف من بعد موسی لا نه لو وصل صار ناظرا لقوله الم تر وهو محال

فی سبیل الله ج الا تقاتلوا و ابنائنا ط تعظیما لابتداء امر معظم منهم ط بالظالمین ملکا ط من آل ط والجسم ط من یشاء ط علیکم الملائکة ط وسعة

بالجنود ولا لان قال جوابا لهم ج للابتداء بالشرط مع الفاء فلیس منج للابتداء بشرط آخر مع اتحاد المقصود بیده ج لعطف المختلفین منهم ج

تعظیما لابتداء امر معظم معه لان قالوا جوابا لهم وجنوده ط ملا قوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرین الکافرین ط لان ما قبله دعا

وما بعده خبر ماض یتصل بکلام تعقده ولا وقف علی باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنی فان الهزیمة کانت من قتل داود جالوت بتمام یشاء ط الفاء

الف القصة الثانیة قصة طالوت والملاء اسم جماعة من الناس کالقوم والرهط لانهم یملأون العیون هیبة ولانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة

وجمعه ملاء قال شعرا قال لها الملأ من کل معشر وخبرا فاذهبوا لرجال سدیدها قال الزجاج الملاء الرؤساء سموا بذلک لانهم ملوا بما یحتاج

الیه من کفایات الامور وتدبیرها من قولهم ملوا الرجل ملاءة فهو ملوا ذا کان مطیقا لما وکانهم بتمامهم یظاهرون ویتساندون

والغرض من ایراد هذه القصة عقیب آیة القتال ترغیب المکلفین علی الجهاد وان لا یکونوا کمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبیهم لم

یحصل العلم بذلک النبی وبأولئک الملاء من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا یفید الا الظن لکن المقصود الحث علی الجهاد حاصل منهم من قال ان النبی

هو یوشع بن نون بن فرائیم بن یوسف لقوله تعالی من بعد موسی ولکنه لا یلزم منه حصوله من بعده علی الاتصال والاکثرون علی انه اشموبل واسمه

بالعبریة اسمعیل وعن السدی هو شمعون سمته امه بذلک لانها دعت الله ان یرزقها اناه فسمع دعاءها فسمته شمعون والسین یصیر شینا بالعبریة

وهو من ولد لاوی بن یعقوب بعث لنا ملکا الحض للقتال معناه امر نا نصبه لتدبیر الحرب عن نبیه بنظم به کلمتنا وکان قوام بنی اسرائیل بملک یجتمعون

علیه یجاهدون الاعداء ویجری الاحکام وبنو هم یطیعه الملک یقیم امرهم بأنهم بالجزم من بهم نقاتل فی سبیل الله بالنون والجزم علی الجواب وهی

القراءة المشهورة وقری بالنون والرفع علی انه حال ای بعث لنا ملکا مقدرین القتال او استینافا کانه قال لهم ما تصنعون بالملک فقالوا لنا

وقری یقاتل بالیاء والجزم علی الجواب بالرفع علی انه صفة لملکا هل عسیتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بینهما وجواب الشرط محذوف یدل

علیه المذکور ای ان کتب علیکم القتال هل یتوقع منکم الجبن والنکول وارد بالاستفهام التقریر وتثبیت ان المتوقع کائن اصابنی توقعه ما لنا

الا نقاتل قال الزجاج ما نافیة ای لیس لنا ترک القتال والاکثرون علی انه لا استفهام واورد علیه انه خلاف المشهور فانه لا یقال ما لک لا تفعل کذا

وانما یقال ما لک لا تفعل وعن الاخفش ان زائدة ای ما لنا لا نقاتل ورد بان الزیادة خلاف الاصل لا سیما فی کلام رب العزة وعن الفراء ان الکلام

محمول علی المعنی لان قولک ما لک لا تقاتل معناه ما منعک ان تقاتل فلما ذهب الی معنی المنع حسن دخول ان فیه وعن الکسائی واستحسنه الفارسی ان التقدیر ای

شیء لنا ای داع او غرض فی ترک القتال فحذفت کلمة فی علی القیاس فلما خرجنا ای عن حالنا اما اخرجنا من دیارنا وابنائنا بالسبی والقهر علی نواحیها ومن

بلغ منه العدد هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد فی جمع عدده روی ان قوم جالوت کانوا یسکنون ساحل بحر الروم بین مصر فلسطین فاسر امراء بناء

ملوکهم اربعمائة واربعین وهی محذوف التقدیر فسئل الله تعالی ذلک فبعث طالوت ملکا وکتب علیهم القتال فلما کتب القتال تولوا الا قلیلا منهم وهم

الذین عبروا النهر سیأتی ذکرهم وانهم کانوا ثلثمائة وثلثة عشر علی عدد اهل بدر والله علیم بالظالمین وعید لهم ولکل مکلف فی الاسلام علی التعدی عن القتال

وای عبد ابلغ من ان وضع الظالمین موضع الضمیر العائد الیهم قوله سبحانه وقال لهم نبیهم ان الله قد بعث لکم طالوت ملکا طالوت اسم اعجمی کجالوت

وداود امتنع من الصرف للعلمیة والعجمیة المعتبرة وقد یمکن تکلف اشتقاقه من الطول لما یجی من وصفه بالبسطة فی الجسم قد یوافق العبرانی العربی

وملکا نصب علی الحال او التمییز او مفعول ثان علی ان بعث بمعنی صیر فی الایة تقریر لقوله تعالی تأکید لذلک فان اول ما تولوا هو نکارهم امر النبی المبعوث انهم یتسمی

وذلک انهم قالوا انی یکون لنا ملک ونحن احق بالملک منه ولم یؤت سعة من المال والاولی للحال والثانیة للعطف

فانضمت الجملتان فی سلک الحالیة استبعدوا تملکه من وجهین الاول ان النبوة کانت فی سبط لاوی بن یعقوب فمنه موسی وهرون والملک کان فی

یهوذا وفیه داود وسلیمان وطالوت ما کان من احد هذین السبطین بل کان من ولد بنیامین الثانی انه کان فقیرا ولا بد للملک من مال یعتضد به فمن وهب

انکار دباغا وعن السدی کان مکاریا وقال الاخرون کان سقاء فان لیت شعریهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفیه علیکم اختاره دونکم واستخلصه

من بینکم وامره علیکم ولا اعتراض لاحد علی حکم الله وروی ان نبیهم دعا الله حین طلبوا منه فاتاه بعصا یقاس طولها من ملک علیهم فلم یلتئم وهذا الا طالوت

الثانی وزاده بسطة فی العلم والجسم طعنوا فیه بنقصان الجاه والمال فقابلهم الله تعالی بوصفین العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملک من

فی قصة طالوت

بیان ما

تحفة الضعف

والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية ذاتها وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال لا يعكس فالعلم والقدرة من الكمالات الحاصلة للانسان والمال والجاه امران منفصلان عرضيان للانسان وانما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم ماهر الحرب ذو القوة والبسطة يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم ممن ليس له علم يضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حدة فيما طلبوا لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالدبابات وغيرها وذلك ان الملك ينبغي عالما وان لا يكون مزدريا غير منتفع به بان يكون جسيما يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه منكبيه قيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث قوله والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد والمال اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم منهم من قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تم لكمال الدلالة بالمكملين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دل على صدق النبي وكان الدلائل من الله تعالى جائزة ولهذا كثرت معجزات محمد صلعم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق ذلك النبي هو قبل ان الله تعالى انزل على ادم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسبوا فلما سئلوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم نبيهم ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلعم عليهم في ذلك الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بات عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى نزل طالوت فعلى هذا بيان ان التابوت جاء لانه اتى به وهو بين ظهرانيهم قبل صدق من جحد كان موسى يضع التوراة فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى ليحفظ على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان يأتيكم التابوت من السماء قيل من السماء قيل من السحاب والملائكة كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد موها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي زيد بن ثابت التابوه بالهاء لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس وقلق لانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب لرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه فيما يحتاج اليه من سودد غانه والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان اية قاطعة في ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته كان مقررا لما ادعى والجواب ان التحدي كان من النبي لا منه فيه سكينة فعلية من السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا والثاني قولان الاصم على هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم واقروا بالملك فانتظم امرها بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله تعالى في نفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول قولان فعن ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد ذات وجوه لها راس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فلما فتح التابوت نحو العدو هزم بمن معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر عن علم كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية ففي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه شيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى ال موسى وال هرون لان ذلك التابوت تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت ففي التابوت اشياء يوارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الاهم الاتباع قال انما دخلوا ال فرعون وانجيناكم من ال فرعون ويجوز ان يراد بآل فرعون موسى وهرون وال مفخم لتفخيم شانهما كقوله تعالى لابي موسى الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واراد به داود نفسه ولم يكن لاحد من الداود من الصوت الحسن ما كان لداود وانت في ذلك لا ترى ان كنتم مؤمنين بكلا لانه المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى ما يبعث واياه فلما فصل طالوت بالجنود اصله وفصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وكل صنف من الخلق جند قال ع الارواح جنود مجندة روي ان الملك قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ينبغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت

فيقاوسلكوا مفازة فسلوا ان يجريهم فقال نبيهم على قول وطائفون على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي لان كان نبيا ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر قبل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الايات الباهرة اظهر الله علا قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كثيرا حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين عن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين وفي نهر يجري الماء وتسكنها العنان ومبتليكم اي يمتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون بظهور الشيء وثبت ان الله كما يعلم ما يفعلون ذلك بظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمى التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالزجر لي ليس يتصل بي وكما يحتمد معي من قولهم فلان مني يريد انه كان بعضا لا يختلطهما واتحادهما وليس من اهل ديني وطاعتي ومن عزبني واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا عن الشرب من النهر حي لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملأ الكف عن ابن عباس كانت الغرفة لشربهم منها هو دوابه وخدمه يحتمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من رواء الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان ماء دون الري يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقدر ربه وجرة بحيث كان الماخوذ في المرة الواحدة بكيفية زاد رابه وخدمه لان يحمل مع نفسه الا ان قوله سبده لا يجاوب هذا الاحتمال فشربوا منه كلهم عوافيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل منهم وهذا من باب اميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم العطش وبقوا على شط النهر وجلسوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله ثم قلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا تسعة اعداد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكنا يومئذ ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة الاف والخلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه لقاء العدو الا من اطاعه انما الخلاف في انهم رجعوا قبل ان عبروا النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سعيي لان المقصود من الابتلاء ان يتميز المطيع عن العاصي فلو تميزا فالظاهر انهم باذن العاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتد واعند لقاء العدو قيل انه استصحب كل جبان لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجبان لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر رأوا القوم تخلفوا فجاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث يمنع المكلف من المجاوزة فثبت حصول المجاوزة والمؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب وهم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة واما نهم شاهدوا قلة عسكر الكفار فقال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الاخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الاخرين التحريض على ايجاد الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم يتميز الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها اطاع اطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وقال الشاعر سما فاساء جابتاي جوابا ومعنى قوله يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم لا يتخلصون من الموت عن قريب اما ويظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره على جزم ويظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنيته خالصة وانهم عرفوا ما في الثابوت من الكتب الالهية يفيد النصر والظفر لان حصول ذلك في المرة الاولى كان لا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم فداء الى بعض فصار وا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فاوت راسه بالسيف فاء اي قطعت كأن الفئة قطعة من الناس والمراد بقوة طالوت الذين قالوا لا طاقة لنا اما العبرة بالتأييد الالهي فالنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين بالمعونة والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الاية البراز الارض الفضاء ومنه البرز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه وعلم ان العلماء والاتقياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفائهم

القرآن المجيد

وهو لهم ان الغلبة لا يتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله تعالى فاشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا كما روي في قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك احول وفي الافراغ الاخلاء الاناء بما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فيفيد المبالغة اي صب علينا اتم صبر وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فان كان جبانا لم يجد بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى آلة الحرب والعدد والاتفاق الحسن حتى يمكنه ارتقاب فيثبت لا بصيرا ملجاء الى الفرار فاثمر وهما بقوله وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء ينفتح الى ان يرتد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم وهو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلاجرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم كسرهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ خبر اخوانه على ابيهم انشاء ارسل ابنه داود وكان صغيرا لهم اما يتهجرهم فاتاهم فرآهم في الصف فرمى بمرجوجالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارز بني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوا فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فرمى طالوت وهو يحرض الناس فقال لداود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال داود فاخارج انا كانت عادته اذا قال ذلك لا يقاتل الا بقلاح الذئب لاستدامة رعي وكان طالوت عارفا جلادا فلما هم داود وبان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك فعسى ان نكون في حاجتك فاخرج الى جالوت فاه فاصابته في صدره ونفذ الحجر وقتل بعدد ناسا كثيرا فحمد طالوت ولم يف له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل واتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكل هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى الله داود النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله يروى ان بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتان جيرا له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا ممتنع في جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر بعد هذا حديث الهرمة والقتال ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار معه فقد ظهر ان العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال الخوارزمي ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الاعمال لكنها محض عناية الله تعالى ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه اردون منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل خط الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من اب ولا معلم فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء واتيناه الحكمة وفصل الخطاب لا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينبغي ان يحالة من الحالات ان يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظاهرا من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمع جاعا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين على ايدي نبيانه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان الله تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الاخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشر والفتن في الدين كالكفر والفسوق والمعاصي ففي هذا الدفع هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشر والفتن في الدنيا كالهرج والموج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء او الملوك الذابون على شرايعهم ولهذا قال ولولا ان الملك الدين قوام الاسلام اس السلطان حارس فالاسلام فهو منهدم والحارس له فهو ضايع على هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض حينئذ ان الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لولم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر وتزل بحظائر الله فاستولوا على الارض وتصدوا لتخريب البيع كما روي ان البيعة قال يدفع بمن يصلي من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج يجاهد عمن لا يجاهد واجتمعوا على ترك هذه الاشياء لانظرهم الله طرفة عين ثم تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفي ان الكل بقضاء الله وقدره وبتحريكه ولطفه وبعده ونصره الناوي بقوله الم تر الى الملإ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وصوا غيرها كقواعرض نفاقهم عرضها على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل ويهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان يزعمون نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفي الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من الابطال فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من الصفاة واعوز من الكبريت الاحمر تعيرا اما قليل عديدنا فقلنا كما ان الكرام قليل تعيرا انا قليل فجاز ما تعيرنا وجادا لاكثرين قليل وانما لم يقل المدعو فيه مقصودهم لانه لم يخلص لله قصدهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اسرنا دنيانا واتى القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعويهم ويعطيهم ما اكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا لا نبكي

الاقلف من لم يختن ومن لم يعش الرعد الناعم

بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلما جوم اثابهم الله قالوا لجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فاتيه حلت وتجلت في جلبابات تعاليها عن ادراك العقول البشرية كنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك وليس هذا بعجب من قول المقربين الموحدين بالانوار القدسية تخجل فيها من يشيد فيها باستحقار الشان ادم فحجابا بعجائب فانيته والتحيته فلما تكبر بنو اسرائيل قالوا نحن احق بالملك منه عصم الله وحرموا الملك لما تنوا طالوت لله وقال كيف يستحق الملك وسبطي في سباط بني اسرائيل وبيتي ادنى بيت بني اسرائيل فعله الله واعطاه الملك لما فوق الملائكة ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود ادم ولما عرضت الخلافة على ادم فتواضع الله وقال انما الملك لي ولكن اكرمه الله فامر الملائكة وحمل اعباء الامانة ان ايته ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان ايته خلافة العبد ان بظهرها بوت قلبه فيه سكينة من ربه وهي الطمانينة بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب بقية مما ترك ال موسى وهو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي ذا فغرفاه تلقف عظيم سحرة صفات فرعون النفس فان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان بيداوله ابكر الحدثان وتابوت قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم بعض المودة ففي تابوت قلب المومن جميع القران وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المومن رب الارض والسما كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو لهر الدنيا وما زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن صحة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد ﷺ يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي ما يمسك رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حدها فصار مودرة فيها لا يطيق قتال جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها ولما لجالوت وجنوده هذا اشارة الى ان المجاهد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن عجزه فانزل ربنا افرغ علينا صبرا على الابتعاد بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم في الشدة والرضا في البلاء وهو محو احكام القضا في السراء والصبر فينا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة وصفاتها التي هي اعدى اعدائنا بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس باخذ الحزم على الدنيا وحجر الركون الى العقبى وحجر تعلقه الى نفسه ما الهر حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى جالوت النفس فنحر الله له ريح العناية حتى اصاب نفس بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من وقتها وقتل من وراءها ثلثين من صفاتها واخلاقها وولى فيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين احزابها واتباعه ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه ما يشاء من حقايق القران واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لعلو باب الطلب بمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهتدين كما قال لكل قوم هاد لفسدت ارض استعدادهم الخلوة في الحين القويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله رحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول تربيتهم ووفقهم على التشبث باهداب سيرهم وتنبههم على الرياء في حال تزكيتهم كما قال اولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي من يشاء تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم

ع ۱

این ایات حدیث همو ایم ترا برتو براستی و درستی که تو از فرستادگانی این رسولان از فروق دادیم ما برخی ازیشان را بر برخی از ایشان

من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ولو شاء

کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی ایشان را مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم اورا بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا

الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا

اختلاف کردند ناگزیر پس ایمان بعد از ایشان کسی که ایمان آورد بعد از ایشان کسی که کافر شد و اگر خواستی خدا نجنگیدند

ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا

ولیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای زمرهٔ گروندگان خرج کنید از آنچه روزی کردیم شما را پیش از آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت در وی و نه

شفاعة والكافرون هم الظالمون الفراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير نون ابو عمرو وسهل ويعقوب بن كثير الباقون بالرفع

دوستی کردن و کافران ایشان ستمکاران والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم فيها

الوقوف بالحوط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعضهم لانه لو وصل الجار والمجرور بصفة لبعض فنصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات للعدل القدس من كفر ما يريد لا شفاعة

لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب ليتم به الآية وعيد انما الغرض ان يعلم ان منافع الآخرة لا يكتسب الا في الدنيا وان الانسان يحيى وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب بفدائه من العذاب ولا يكتسب ما لا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه او لان الخوف الشديد يغلب على كل احد فتذهل كل مرضعة عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة عطف عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فقصر الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطا بن يسار انه كان يقول لحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون والتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باجتنابهم الكفر والفسوق فهو كقوله وجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه ينفق في سبيل الله فلم تكثر فائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم الثابت بل ذلك اثبات الله اسراره وانواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها تاما بحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات لذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن البيان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة الطواغيت والاصنام الشهوات البدعوهم من دار الغرور الى دار السرور مخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وانت عبرت الكونين فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لبى مع الله وقمطت بسبابة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيتها اوذي بقطام مثلها اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض شارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بجاههم ومناصبهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعداد اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص يمتاز به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة للمستعد لقبول النور في بدو الخلقة لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو النور من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات كما روي عنه انه رأى ادم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم في السماء السابعة وان محمدا ما بقي في مكان بل رفع الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده فانيا بنور شهود ربه لهذا سماه الله نورا فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن فضيلة الخواص بانها كانت تفصيلا لما هم اخبر عن اختلاف العوام وافترائهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم اخبر عن اجر الافضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان اي كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب الجنة والنار حقا فانفقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملكا وبقا لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفعه خلة خليل بنوى لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب امرناهم بالانفاق واعلمناهم الثواب وحذرناهم العقاب فلا عذر لمن انذر والله المستعان

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع
خداى بحق نيست معبودى بجز او زنده پاينده نرا كيرد او را سستى خواب و نه خواب مر اورا
عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء
بكه در آسمانها وبكه در زمينهاست كيست آنكه دروغ كند
من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات و
از دانش او مكر بآنچه خواهد آموزاند فراكرفته است آسمانها
الارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين
زمين و نكاه داشتن ايشان او را سخت نيست او بلند و بزرك است نيست اكراه در دين
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت و
بدرستى كه ظاهر شد راستى از كمراهى پس هر كه كافر شود ببت و
يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله

مجمع

سورة البقرة

سَمِيعٌ عَلِيمٌ اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيٰٓـُٔهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ
شنوای داناست خدا دوست ایشانست که گرویدند بیرون آورد ایشان را از تاریکیها بسوی روشنی و ایشانرا که کافر شدند دوستان ایشان اند بیرون آرند ایشان
مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمٰتِ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ القراءة تعرف بما مر الوقوف لا هو ج لان قوله الحي يصلح بدلا
از روشنی بسوی تاریکیها آنگروه یاران آتشند ایشان در آن جاویدانند عن الضمير وخبر هو اخوه عدف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا
نوم ط وما في الارض لابتداء الاستفهام باذنه ط لانها الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم
الخلق المقدر لمشيته مبتداء بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الفتح لان من الشرط مع
فاء التعقيب او ثم قد قبل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا بالعود اى سمك بها غير منفصلة لها علي ما سنوا
لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور للفصل بين الفريقين الطاغوت لان يخرجونهم
حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام
وعلم القصص ما تقرير دلائل التوحيد ما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النوع ايضا رحمته شاملة ولطفه كامل فان طبع الانسان
جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب تنشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل وفور لذته ويصير اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وقد
تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى الى مقام ايراده هذا كر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي ﷺ
انه قال ما قرأت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي سمعت نبيكم وهو
على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه منذ الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة تفضل ما في القرآن فقالوا لهم علي ان انتم عن آية الكرسي ثم قال
قال رسول الله ﷺ اعلى سيد البشر ثم وسيد العرب بحمده ولا فخر وسيد الكلام القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي عن علي انه قال لما
كان يوم بدر فاتني ثم جئتني رسول الله ﷺ فرأى ما يصنع قال ما خبث فاذهب وسأجد يقول ناجني فقلت لا ثم رجعت الى القتال ثم
وهو يقول لي فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف
المذكورات والمعلومات هو الله تعالى وهو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة
ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية
التصورات ولنشتغل بالتفسير اما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب اما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله واحد لا
اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف تيك معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم وتؤكد
ما روينا من قبض يده ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقد شذ في النحو واما الدليل العقلي فان الحي قبل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر وهو
الدراك الفعال وورد عليه ان هذه الآية لا تقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عن هذه
الصفة من هذه الحيثية فقط بل عن كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال الموت والحي لله الارض فان كل احد الا
ان يكون معدوما وكالاحجار والاشجار ان تكون موتة نضرة ولما كان كمال الحيوان ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة
حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه الكامل في الوجود وهو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق
لمجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني الى غيره يفتقر في قوامه اليه بهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين
يتشعب جميع مسائل التوحيد المعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد لذاته وبجميع جهات الوحدة الوفرضنا فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في
تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيفتح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له لو لا اشتركا في الوجود وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين
فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم قد ثبت انه واحد منها انه ليس في
جهة لئلا يلزم افتقاره اليها والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم لا جوهر ولا عرض لا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك
ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته و
ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما
لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر الحاصل رجوعكم فادغمت الياء في
الياء عند جماعة وكلا الياءين اصلي قال ابن الانباري اصله حيوي بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق منهما ساكنا جعلتا ياء
مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة فاصله قيووم على فعول فجعلت الياء اساكنة
والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قوّوم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله
لا تأخذه سنة ولا نوم وهذا نفد العاطف بينهما وكذا بين بعضها والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يعرض للناعس اي لا تأخذه

انت سيد العالمين

نعاس فضلا ان ياخذه نوم او يقول نفي الاخص ولا تم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخير لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير خلقه لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال للمن ضيع واهمل انك لو سبان نائم ومما يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله محال هو ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن ضد ذا العلم وعلى التقديرين فجوانب الهنا يوجب جوان نقول العلم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الفاعل فتوجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف وروى عن النبي ان موسى سئل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوتين في كل واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرى بجهده الى ان نام في اخر الامر فضرب احدهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر بحفظ السموات والارضين هذه الروايات صحت باي سبب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما اكد ترتب عليه حكما وقوله له السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده فيكون ملكا له يلزم من ان يكون محتاجا باقيا في الكل ولا يكون لغيره في شيء من الاشياء حكم الا باذنه وامره والمراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع احد على الاشرار والفاعلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره متصرفا في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا والدليل عليه قوله من في الملائكة والانبياء والصالحين الشهداء عن مجاهد عطاء والسدي يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الاخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم ربهم في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلون بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى ذكرهم في تلك الشفاعة لانهم لا يحيطون بشيء من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون الغيب الا بقدر ما يعلمه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول اذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارض اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الاشياء التي في درجة من دونها او هام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به فاذا قلت لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله التركيب المنبئ عنه الكرسي بالكسر للابوال والاعذار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين فيه معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم بين السموات والارض وهو تحت العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن اسحاق انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه كما مر في موضع قد الروح الاعظم وملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بما دار سراره وقيل المراد من الكرسي ان السلطان والقدرة والملك له لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي كل شيء الكريم الكرسي لانه تشبيه للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي قيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه منه يقال للعلماء كراسي الارض كما قال العلم قاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه والكرسي ثم لا قعود ولا قاعد اختاره جمع المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره انه يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيته الذي يطوف الناس به كما يطوف الناس بيوت ملوكهم وامرائهم وزيارته كزيارة الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل يد الملوك وكذلك ما ذكر في الفئة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا لما توافقنا ان المراد من الفاظ الوهم التشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله كبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي لا يؤدي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض فيدل نفاد حكمه وامره مع كونهما مقومة للامكنات مقيما للارضين السموات متعالا عن التحيز ومقدسا عن المتمكنات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم المكان ومدبر الزمان قوله لا اكراه في الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر على الله حجة فامته على الكفر الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار وفيه الاكراه والاجبار وما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي فما لك ان

الشيء واستبان وتبين بمعنى إذا وضح وظهر ومنه المثل قد سبين الصبح لذي عينين والرشد إصابة الخير والغي نقيضه وغي الحوت من الباطل والإيمان من الكفر والهدى من الضلال لكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت أصله من طغى إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين ثم صيرت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مستكره لغيوبة الرسوط والدليل على ذلك أنه ينقر في موضع جمع كما يقال هم رضا وعدل لهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والأصل فيه التذكير قال الله تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالثانية لا إرادة الإلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد قتادة هو الشيطان وعن سعيد جبير الكاهن قال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الأصنام وقيل مردة الجن والإنس وكل ما يطغي وإنما جعلت هذه الأشياء أسبابا للطغيان لحصول الطغيان عندها كقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله أن الكافر لا يبدأ بالتوبة ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تأنيث الأوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لأن الإسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشيء من غير أن يبين فصمها فانفصم المفصوم من قوله لا انفصام لها هو البالغ لأنه إذا لم يكن لها انفصام فإن لا يكون لها انقطاع أولى قبل إن الموصوف ههنا محذوف معناه التي لا انفصام لها كقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي من له وقيل معنى قوله لا إكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه إخبار في معنى النهي والإكراه إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا لحمله عليه ثم قال بعضهم إنه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم أما الكفار الذين لهود وا وتنصروا فقبل إنهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الإسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا إليه ولا يكرهون روي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ﷺ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال الأنصاري يا رسول الله ﷺ أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا إكراه لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح سلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوا إلى الإكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يحب سلام أهل الكتاب من أجلهم والذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد ﷺ عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب لي لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الولي لأنه يلي القوم بالتدبير فيه دليل على أن الطائفين الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من الطائفة في حق الكافر وذلك أنه تخرجهم من الظلمات إلى النور من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين والإخراج يشمل الكافر إذا آمن والمؤمن الأصلي لا يبعدان يقال أخرج إلى النور من الظلمات وإن لم يكونوا في الظلمة البتة فإن العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه مثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ومعلوم أنهم لم يكونوا قط في النار وبرؤيته إياه مشرفا لنا قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله ﷺ قال خرج من النار ومن المعلوم أنه ما كان فيها ألبتة واحد كل ما في القرآن من الظلمات والنور فإنه أراد بها الكفر والإيمان لا قوله في أول الأنعام وجعل الظلمات والنور فإنه عنى به الليل والنهار قال وإنما جعل الكفر ظلمة لأنه كالظلمة لأنه كالظلمة في المنع من الإدراك وجعل الإيمان نورا لأنه كالسبب في حصول الإدراك قلت قد مر أن الإيمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بنورية واشراقا فلا حاجة إلى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الخبر يخرجونهم من النور إلى الظلمات وإنما وحد النور وجمع الظلمة لأن الحق واحد يرجع إليه طريقة واحدة وهو واحد في نفسه واحد وأما الباطل فلا حصر له ولطرقه كأن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال إلى الطاغوت وهو كل مرتب إلى الطغيان كالمجاز فإن الحوادث بأسرها تستند إلى المبدأ الأول بالحقيقة وينتهي إلى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مرارا ولما أن الكفار وهم مع ما بينهم من التوسائط والوسائل أصحاب النار ويكون زجا للكل وعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك لما ذيل الحي القيوم أشير بها إلى الاسم الأعظم لأن اسم الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فإن من لوازم الحي أن يكون فاعلا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا ما شاء غير ذلك من نعوت الكمال واسم القيوم دال على الفعال وكل المخلوقات الذي إذا تجلى الله العبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات إذ كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق وذهق الباطل فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم إذ سلب الحي جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات فمن تعلق بعبادة الوحدة فيذكر عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الإنسان فقد ذكره بالاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب وإذا سئل به أعطى لا نزاع يبقى بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فإما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فكل اسم تعاه لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى حاله عند غيبته وعند شهود العظمة فكل اسم تعاه يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم لیس له حد محدود ولکن فرغ قلبک لوحدانیة فاذا کنت کذلک فاذکره بای اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم الموت والموت ضد الحیوة وهو الحی الحقیقی فلا یلحقه ضد الحیوة من ذی الذی یشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الی النبی کانه قیل من ذی الذی یشفع عنده یوم القیمة الا عبده محمد ﷺ فانه ماذون فی الشفاعة موعود بها عسی ان یبعثک ربک مقاما محمودا یعلم محمد ﷺ ما بین ایدیهم من اولیائه الامور قبل خلق الخلائق بقوله ﷺ اول ما خلق الله نوری اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفی الف عام وما خلفهم من احوال القیمة وفرغ الخلق وغضب الرب طلب الشفاعة من الانبیاء وقولهم نفسی نفسی وجوعهم الیه بالاضطرار ولا یحیطون بشیء من علمه الا بما هو شاهد علی احوالهم وسیرهم ومعاملاتهم وقصصهم کلا نقص علیک من انباء الرسل ما نعلم امورا خرلهم واحوال اهل الجنة والنار وهم لا یعلمون شیئا من ذلک الا بما شاء ان یخبرهم عنه وسع کرسیه السموات والارض مثال العرش فی عالم الانسان قلبه مثال الکرسی وسوف یجیء تمام التحقیق ان شاء الله تعالی فی قوله الرحمن علی العرش استوی وان العرش مع عظمته کحلقة ملقاة بین السماء والارض بالنسبة الی سعة قلب المؤمن وکابوده حفظها لا یثقل الروح الانسانی حفظ اسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء کلها واظهر المخلوقات من العرش والکرسی لقلب المؤمن وسره علوا فی المرتبة وعظما فی الخلقة اظهار الکمال القدرة والحکمة یردی برداء الکبریاء ویتزر بازار العظمة والبهاء هو ولی المدح والثناء فقال وهو العلی العظیم فمن علی فی الاخرة واولی فی الاعلام ومن عظم فبتعظیمه ثم اخبر عن عزة الدین الارباب الیقین بقوله لا اکراه فی الدین کما قال تعالی لیس الدین بالتمنی معان التمنی نوع من الاختیار فکیف یحصل بالاکراه وهو الاجبار فان الدین هو الاستسلام والانقیاد ظاهرا والتسلیم لاحکام الحق باطنا من غیر حرج وضیق علی ثم شرع فی مزید شرح لحقیقة الدین بقوله فمن یکفر بالطاغوت ویؤمن فقد استمسک بالعروة الوثقی الطاغوت یؤمن الطواغیت الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوی الله وایمان العوام اقرار باللسان وتصدیق بالجنان وعمل بالارکان وایمان الخواص عزوف النفس عن الدنیا وسلوک طریق العقبی وشهود القلب مع المولی وایمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فی طاعة الله والانقطاع الی الفناء فی الله واخلاء السر للبقاء بالله هذا هو السکر الموجب للشکر ولهذا قال موسی بعد افاقته عن سکر سطوات شراب التجلی تبت الیک ای عن هذه الافاقة وکان مخصوصا عن الحالی فی حانة الایمان العیانی وشریکا مع القوم بالایمان البیانی کما قیل شعر لی سکرتان وللندمان واحدة شیء خصصت به من بینهم وحدی ثم العروة الوثقی التی استمسک بها المؤمن لا یمکن ان یکون من الحدثان المخلوقات لقوله کل شیء هالک الا وجهه ولا یکون انفصام لها الا بانقطاع الاکوان منفصمة بل یکون من بطشة ان بطش ربک لشدید ولکل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فی الایمان فهی للعوام توفیقا للطاعات وللخواص مزید العنایة المحبة یحبهم ویحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهیة التی تقتنیه عن ظلمات الغیر تهویر وتنفیه بنور الربوبیة ولهذا قال جذبة من جذبات الحق توازی عمل الثقلین لان الثقلین اعمالها فانیة من عالم الحدوث وجذبة الحق باقیة من عالم القدم لا یجوز علیها الانفصام فالجذبة لا یخلص منها ابدا الابدین ثم اخبر عن تصرفات جذبه بانه فقال الله ولی الذین اسنوا یخرجهم من الظلمات الی النور یخرج العوام من ظلمات الکفر والضلالة الی نور الایمان والهدایة والخواص من ظلمات الصفات النفسانیة والجسمانیة الی نور الروحانیة والربانیة وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الی نور البقاء والشهود والذین کفروا اولیاؤهم الطاغوت ذکر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولیاء بلفظ الجمع لیعلم ان الولاء والمحبة من قبل الکفار ای هم اولیاء الطاغوت کقوله اندادا یحبونهم کحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهی معزل عن الولایة وان فسر بالشیطان او النفس فهم الاعداء لا الاولیاء یخرجونهم من نور الروحانیة وصفاء الفطرة الی ظلمات الصفات البهیمة والسبعیة والشیطانیة ظلمات بعضها فوق بعض هرکات بعضها تحت بعض ولئک ای ارواح الکفار مع النفس والشیطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم یکن من جنسها لکن تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان

ع ۳ الم تر الی الذی حاج ابرهیم فی ربه ان اتاه الله الملک اذ قال ابرهیم ربی الذی

ایا ندیدی بسوی آنکه محبت کرد ابراهیم در پروردگار خویش که داده بود خدای او را پادشاهی چون گفت ابراهیم پروردگار من آن

یحیی ویمیت قال انا احیی وامیت قال ابرهیم فان الله یاتی بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذی کفر

کز زنده میکند و میمیراند گفت من هم زنده میکنم و میمیرانم گفت ابراهیم گر پس زنده میکنی همه را میاور و اقتدا را از سمت مشرق بسبیل تواتر از سمت مغرب پس دریافته آنکه کافر بود

والله لا یهدی القوم الظالمین او کالذی مر علی قریة وهی خاویة علی عروشها قال انی یحیی هذه الله بعد موتها

و خدا راه ننماید گروه ستمکاران را یا چون آنکه گذشت بر دهی که ان فرو آمده بود و دیوارهای پس بر سقفها افتاده گفت که چگونه زنده کند این را خدا پس از مردنش

فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال کم لبثت یوما او بعض یوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الی طعامک وشرابک

پس بمیراند او را خدا صد سال پس زنده کرد او را گفت که چه قدر درنگ کردی گفت درنگ کردم یک روز یا بعض روز گفت نه بلکه درنگ کردی صد سال پس بنگر بسوی طعام خود و شراب خود

لم یتسنه وانظر الی حمارک ولنجعلک آیة للناس وانظر الی العظام کیف ننشزها ثم نکسوها لحما فلما تبین له قال اعلم

که متغیر نشده و بنگر بسوی خر خود و تا بگردانیم تو را نشانه از برای مردمان و بنگر بسوی استخوانها که چگونه برپا میداریم پس چون پیدا شد این از کوشش پس چون ظاهر شد مر او را گفت میدانم

ان الله علی کل شیء قدیر واذ قال ابرهیم رب ارنی کیف تحیی الموتی قال اولم تؤمن قال بلی ولکن لیطمئن قلبی قال

سورة البقرة

فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

پس فراگير چار مرغان از مرغان پس جمع كن انها را بسوى خود پس بگذار بر هر كوهى ازان مرغان جزئى پس بخوان انها را بيايند بسوى تو شتاب و بدان كه خداى

حَكِيمٌ القراءة ربى الذى مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا آحيى ط المدابو جعفر نافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو الحسن الشيطى بالمد المكسورة فى قوله تعالى انا الا نذير واشباه ذلك مدة ما بعدها بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب بسكتة فى الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف لباقون بالهاء الساكنة فى الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمادلك كمثل الحمار بالامالة على غرلبث ابى جعفر ونافع وحمدون وحمدونة النجارى عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة فى رواية ابن سعدان وابى عمر وابن شنبوذ عن اهل مكة تنشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزاى اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة حمزة وعلى الامر حمزة وعلى الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار وصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس فى المفصل جزا بتشديد الزاى يزيد وجملهن بتخفيف بطرح همزته ثم شدد كايشدد فى الوقف جزاء للوصل مجرى الوقف قرا ابو بكر وحماد جزءا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاء مهموزة الوقف حمزة لان ازدلس بطرف لابناء الملك يميل لان فال عامل اذ وامين ط كفرط الظالمين لا للعطف وللتعجب عرشها ج لان ما بعده من تمة كلام قبله من غير عطف موهاج لتمام المقول مع العطف بقاء الجواب والجزاء بمعنى كم لبثتم يوم ط لم يتسنه ج وان تفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك ط بانما رما يعطف عليه قوله ونجعلك اى لنستهن ونجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف تحاط لتمام البيان به لا لان قال جواب لما قدر الوتى ط تؤمن ط قلبى ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا واحدها فى اثبات العلم بالصانع والباقيتان فى اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والحاجة المغالبة بالحجة والضمير فى ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء فى اتاه قبل لابرهيم لانه اقرب فى الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتى الكافر الملك والتسليط ولانه مناسب لقوله فقد اتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذى حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطى الله الكافر بسطة وسعة فى الدنيا ومعنى ان اتاه الله اى لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته فى ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لانى احسنت اليه وتوددت اليه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذى تدعونا اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت وهذا دليل فى غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصيرا باعضائه واحواله ولا مر ما ذكره الله تعالى فى مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذى خلقكم من تراب ثم خلقكم من ماء مهين وبروى ان الكافر عاج شخصين فاستبقى احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا حى واميت ثم للناس فى هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عما راى من نمرود انه الفى تلك الشبهة عند ذلك من ذلك الى دليل اخر ومثال اخر اوضح من الاول فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فانت فى هذا الدليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت فى الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب فى الحال ازالة لذلك الجهل واللبس لما طعن الملك الكافر فى الدليل الاول وفى المثال الاول تلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون الدليل الثانى اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جلس الجهوة لا قدرة للمخلوق عليه واما جلس تحريك الاجسام فللمخلوق قدرة عليه ايضا فدلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحى من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يستحى عن معارضة استدلال ابرهيم بطلوع الشمس بقوله بل بطلوع الشمس من المشرق منى فان كان لك الفعل فحتى يطلعها من المغرب فعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو ورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله فى الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فالذى حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تشويشه الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب فما كان هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابرهيم لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر ادعى الاحياء والاماتة من الله ابتداء من غير واسطة الاسباب الارضية والسماوية الاول فلا سبيل الى هذا الثانى فنظيره وما يقرب ليحاصل للبشر فان الجماع يفضى الى الولد بتوسط الاسباب تداول السم يفضى الى الموت فاجاب ابرهيم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاضلاع لا بد لها من فاعل مدبر فليس لك ان تعارضنا بانه لا قدرة لنا على الفلكيات فلعل من سخر لك الارض والسموات قلت وفيه وجه طريق اخر ذكره فى الناويلات نشأ الله ثم قبهت الذى كفر بعال بعث الرجا بالكسر زاد هش محترق بعث بالضم مثله وقد قرئ بهما و

ملك الذى حاج ابرهيم فى ربه

واصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال بهت الرجل بهتا وبهوتا وبهاتا اذا دهش ولا يقال بهت فالكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار البطلان بهوتا يمحو بافعل من ان الكلام بقضاء الله وقدره ومشيته وارادته القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على معنى والتقدير ارأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر ونظير من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فكيف بنا بالجبال الحدد اه وعن الاخفش ان الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر وعن المبرد انما ضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي حاج الى ابراهيم او الم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار بالقرية فعن المجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث كان قوله اني يحيي هذه الله يستبعد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وقيل دليل على ان ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك كذا قوله واعلم ان الله على كل شيء قدير وقد سار المفسرين الى ان كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق قال وهب منبه ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بختنصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجج هؤلاء ان قوله اني يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وانه قد شرفها الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر الى حمارك وفي نفس قصتها من الاعادة وغيرها اكرام لها ابو بكر الاصم وابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك فقال اني يحيي هذه الله بعد موتها اي من اين يوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل لسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب فلما بصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم احياه بعد موته ابصار الناس والطير والسباع بعد ما ماتوا ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك التين والعنب تر ابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد ثم قال فانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض لوح وقد تفرقت وصاله فسمع صوتا اينها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عصو منها بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الراس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير فقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم اتى خلية التي فيها التوراة فاخرجها وقرأها على قومه فقال الله حدثنا ابونا ان عزيرا سيرجع من شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل بيت المقدس وبعين الناس من قرأ التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه بعث التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جددلهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع فاخرجت عروضت مما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب قتادة عكرمة والربيع ان القرية بليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد هدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فسقطت على سقوف المنهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى معنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على معكون اشجارها مثمرة وكان التعجب من ذلك اكثر لان الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اوقع فيكون ادخل في كونه اية ثم بعثه اي احياه كما كان او كما عند ما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت لكم مدة فحذف لظهور الحكمة في السؤال وهو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق القطع لبثت يوما او بعض يوم رد انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان لسبب الموت بامارات شاهدها في نفسه في حماره لم يتغير واصله من السنة اي لم يات عليه السنون كان من السنين لم يتغير فكانها لم تات عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع سنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على ان بعضان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار سانهة وقيل اصله يتسنن اما من السن هو التغير قال اتى من حمأ مسنون اي متغير منتن واما من السنا بقصر بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة يجوز ان يكون سنهة بدليل سنيهة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى

سورة البقرة

التقدير بن ابدلت النون الاخيرة ياء مثل يقضى الباري في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن على القارسي ان السن هو الصب فقوله لم يتسن اى الشراب بقى بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا للامرين جميعا فان قيل انه تعالى قال لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك فلكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم قلنا انا نبهنا كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد فلهذا قيل فانظر الى حمارك فراه عظاما نخرة فعظم تعجب حيث راى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فغير فطول لبثه بان شاهد عظام حماره وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرا التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يبعثه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك وقد قال الفراء انما دخلت لينة فعل بعدها مضمرا نه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء مثله في القران كثير وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشزها بالراء المهملة اى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشز ضد الطمأنينة لان الحيوة تكسب العظام نشزا وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض والزكب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المراة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احياه اول النهار وعميته وكانت بقيته بدنه عظاما نخره وكان ينظر الى اجزاء عظام نفسه فراها مجتمع بعضها الى بعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوما مما يليق لمن لا يرى نفسه تتفرق وعظامه ممزقة وقوله ثم نكسوها لحما مما يليق لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه ممزقة وقوله ثم ننشزها يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي ماتت وقيل هي عظام المولى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير حذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قوله ضربني وضربت زيدا اى وقد قدر فلما تبين له اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك استدلالا وقرئ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في خرقصة ابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك ما لا اخبار عن انه حصل فجاز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء اخر غير حاصل هو علم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب بكل سهولة وههنا دقيقة وهو انه لو ورد القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك انما يسمى امرا بشيء اخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستانف من الزمان اى ليكن هذه الاية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اى واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة الثالثة قوله عز وجل واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم قيل معطوف على قوله الى الذي اى الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة وهو انه ليس عزيرا في قصته بل قال وكذلك الذي مر على قريته وههنا سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء اني يحيي هذه الله بعد موتها وابرهيم اثنى على الله اولا بقوله ربي فاري ذلك في غيره ومعنى اني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن الضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه راى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابرهيم رب ارني كيف يجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر قبل ان تموت فقال اولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل اخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واما ان تاتي عند ذلك فقل رب ارني كيف تحيي الموتى ليتكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه بزوال الانكار عن قلوبهم فلما اتى نمرود قال له قل لربك يحيي ولا قتلك فسئل الله ذلك ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدل الى غيرها كان ليس بجهل الثالث عن ابن عباس وسعيد جبير السكان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم في درجات العبودية تمنى ان

نكات

حضر بالذي لعله اكون ذلك الخليل فسئل الله احياء الموتى فقال الله ألم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على انى خليلك الرابع لا بعدان يقع انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على ان الاتى ملك كريم لا شيطان رجيم لعله طالع في الصحف لمنزلة عليه ان الله تعجبوا الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه بما ليس قال منزلة عند الله من عيسى فلما نزه من اولاده السادس مرة بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهى مرتنى ان اجعل ذا روح بلا روح فاشتاق فشرفنى بان يجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصه الله بهذا الشرف في الدنيا بان جميع الخلايق يشاهدون الحشر في الاخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة ولما ان ابرهيم تمكن شاكا في المعاد فلا ينبغي ان يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر اولى فكيف يظن ذلك بابرهيم وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه الذي جاء في الحديث من قوله نحن احق بالشك من ابرهيم فذلك انما نزلت هذه الاية قال بعض من سمعها شك ابرهيم لو شك نبينا فقال رسول الله تواضعا منه وتقديما لابرهيم على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله ألم تؤمن للتقرير كقوله ألم نشرح لك صدرك وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيبه اجابة يعلم السامعون انه كان مؤمنا بذلك عارفا به ان المقصود من هذا السؤال شئ اخر واللام في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اى ولكن سئلت ليزيد قلبي سكونا وطمانينة بضاعة علم الضرورة علم الاستدلال وقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شئ اخر فلا اشكال فخذ اربعة من الطير عن ابن عباس رهطا وروس وزغرابا وديكا وفي قول مجاهد ابن نديحا مه بذلك لنشر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره اى املهن اضممهن اليك قال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذان يتاملها ويعرف اشكالها وهيأتها وحلاها كيلا يلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرتلك وفي الاية حذف كانه قيل املهن قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ومعنى صرهن قطعهن فلا اضما ردوى انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امران يجعل اجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي رضه كل جبل بعامن كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضم كل جثة الى رؤسها وانكر ابو مسلم هذه القصة قال ابرهيم انما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تعالى مثالا قريبا لامر عليه المراد بصرهن اليك املهن والتمرين على الاجابة اى فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الجوة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن اى الطيور لا لاجزاءها يأتينك سعيا وزيف قول ابي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظاهر الاية تدل على انه اجيب الى ما سئل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزية الطير وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد الضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه فال ابن عباس والحسن قتادة الربع اربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع قال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم كان سبعة فما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ في المحنة وقيل طيرانا وردبانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعي هو الاسراع في الحركة مشيا كانت او طيرانا واحتج الاصحاب بالاية على ان البينة ليست شرطا في صحة الجوة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والاعضاء حيا قادرا على السعي والعدو قال القاضي لا نسلم ان الاية تدل على انه لا بد من البينة من حيث انها وجبت لتقطيع بطلان جوتها والجواب ان حصول المفارقة لا يدل على وجوب المفارقة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول الكفاء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البينة ليست شرطا للجوة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التاويل ان الله تعالى لما اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ما اعطى احدا قبله ادعى الربوبية مما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته في الجوهرية ثم الحركة في طلب الكمال لا يقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا في ذاته كل الى نفسه مال الى عالم الحس هو في قاربة الطبيعي لا نخلق من تراب طبعه الميل الى السفل فهو في الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال اليه ثم في الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول انا احيي واميت وانا ربكم الاعلى فلا جرم لما جهل بالكمال ذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبي او من ينوب منابه وهو الشيخ قال ابن في الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانهم جدا وان لم تكن مجدا فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس الى ان يؤمن بالله يكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب عارضا على قول الكافر انا احيي واميت والمراد ان ارسال النفس لنا طفة لتدبير البدن الطاعة شمس الجوة من قوالبدن فان كنت صادقا في دعواك ان هذا بيانك منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه اية الفنا ممن مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان امكنه ان يدعي الاحياء بمعنى الابقاء فهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير الة القتل وهو الاتيان بالشمس من

المغرب

الغرب فهذه طريقة عدد لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في المفسر ثم اخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدد في حجة عقب الملك بحكمه بقوله تعالى وكالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتفوت بالعلوم بالكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى البدن بعد كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج ان يرجع الى المكتب لحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورافته دفع هذه الشبهات الفلسفية باماته عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزيرا الروح احيى معه حمار الجسد كما ان عزيرا الروح يكون عند الملك الجبار بكون حمار الجسد جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كوثر يتجلى صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا طهورا اليت عندي يطعمني ويسقين ولحماد الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحيا من فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ونحن نعلم كل اناس مشربهم شربهم وامرنا على الارض ومشاها وبلاد ارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله وذلك قوله رب ارني كيف تحيي الموتى فهوج منه ايجاد قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فاراد غير المنصب للعبد وادب بادب الخالق في ومعرفة شعر بك كن تراني وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب وجد وصاحب الشرب سكران وصاحب الوجد صاح شعر شربا لحب كاسا بعد كاس فما تفاوت الشراب في ما رويت فلسكر موسى كان بلبسط فاره مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك ويعربد اجرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل اول قدمة اداب العبودية في الحضور والغيبة فلاجرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة ان اول ما شاب شيبة ابراهيم بحرم غدا ما الكسوة ان اول من يكسى ابراهيم لما ابتلي في ماله عند الضيفان وابتلي بولده فاسلم قتله للجبين وابتلي في نفسه فسلم نفسه للمنجنيق ابن كنعان وابتلي بجبريل فقال اما اليك فلاجرم اكرمك الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من قرى الضيف وقال هذا ربي في اول من سلك طريق الحق وقال اني ذاهب الى ربي في اول من نطق بالحجة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال ان لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين واول من العقد عقد غير المحبوب فانهم عقدوا لارباب العالمين واول من اشتاق فسئل الرؤية وقال رب ارني ولا تضمن الاشياء قال اولم تؤمن مما يكون وقت سؤاله شعر فلست حديث العهد شوقا ولوعة حديث هواكم في خشاي قديم : ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبي من سؤالي علمي بحالي الى نساءة التقدير الى حسن التدبير سالة نمرود من بارئه فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة لما مول فادرج في السؤال السؤال فاخفى سره وهو ادنى في علته وهو كيف تحيي الموتى وهو يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من انجاز القرآن ثلثة معان مضمرة اولم تؤمن وقتنا امنت عند نمرود بانني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لمعاد وثوبتي في الجنة فاربك ثم اولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا في كل منها الاثبات ولحظة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى بلى اسراري بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن ما كان مقصودي الايمان فان الايقان فانه حاصل والاحياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني سئلت ليطمئن قلبي بما تربدا وبلى امنت بمعادك وثوبتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق واضطراب قلبي من غاية يقيني اعلى امنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سالتك عن الاجياء وانما سالتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول اريني وجهك لا نظر اليك انه يعلم ان الكمال قرين الجمال وان العزة والحسن توامان وفي مذهب الملاح الطالب والسبيل سد يقول اريني كيف يحتفظ الثياب فكل صانع فاخر في صنعته يريد ان يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بالاحتجاب هو يخيط الثوب فيقول انظر الى كيف احيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويخيط صنعه بالمانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه واضطرابه الذي تضرع بين يدي مولاي وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه وحقق رجاه وقال خذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب بك عني فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب بحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فيها متوق عن صفاتك تحيي بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي هي حزب طينة الانسان منها فتولدت من امزاج كل عنصر مع قرينه صفات من التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة لكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها المسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر والشهوة اختص بزوج معين هي كالمعشوقة بين الصفات تتعلق بها كل صفة من الابواب السبعة للنار كان السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم بعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة لها وسر البخل فلولم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص يكور معز حرصه دبك الشهوة ونسر الغضبة رفعة الطيران وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل ليسكن الصدق هذه الطيور وانقطعت منه موادها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه بردا وسلاما وابتلاه في تقطيعهن نتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يد ابراهيم الروح بامر الشوق ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلثة الحيوانية والطبيعية الانساني الملكي هذه الجبال كالاشجار و

والزروع واجزاء الطين والتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من هؤلاء وتلك قوى نباتية
الروح الانساني فيجتمع بها نبوة وهو من خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات مستحسنة صافية حية باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذي
الغالب على احوالهم الروح واما خواص المخواص فمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد هذه الصفات يتجلى له بصفته المحي فيحيي هذه الصفات الفانية
عن صفاتها بنبوة بصفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا حيوة محببا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته كنت
له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان امية يقول للكاتب اري كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي واخذ يده
بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني فيثني بك
عني ؛ اتضتني مني حتى ظننت انك اني ؛ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فعلم الامي انه امي وان الكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو
الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي لذنب حسبان انك كاتب وانت مني عرى بما وصلت الي وما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله
عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي لبراءته من ما يته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته لبلية المقام
كما قال لقد راى من آيات ربه الكبرى فالخليل طلب الرؤية لنفسه ربي ارني والحبيب طلبها لامته ولا مشاركة في الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته
ورفعة وكمال معرفته فعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا
قصر يحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وهذا بقضاء طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب في يته
الثانية فقال الكاهي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره
الا من يليق بذلك من مخلوقاته مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة ع

مثل انهائی که خرج کنند مالهای خود را در راه خدا چون مانند دانه ایست که بروید هفت خوشه که در هر خوشه صد

حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا

دانه بشد و خدا بیفزاید از برای آنکه خواهد و خدا احاطه دارد و داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در راه خدا پس از پی نیاورند آنچه را که خرج کرده اند

منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى

منت و نه ازاری مر انهارا مزدشان نزد پروردگارشان نه ترسی بر انهاست و نه ایشان اندوهناک شوند گفتار نیکو و آمرزش بهتر است از صدقه که در پی آن رنجی باشد

والله غني حليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله

و خدا بی نیاز است بردبار ای زمره گروندگان باطل نسازید صدقهای خود را بمنت نهادن و ازار کردن چون کسی که خرج کند مال خود را بجهة نمایش مردمان و نگرود بخدا

واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي

و روز واپسین پس مانند او مانند سنگی که بر روی آن خاکی باشد پس برسد از باران پس بگذارد آنرا سنگ تمام توانا نمیدارند چیزی از آنچه کسب کردند و خدا راه نماید

القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها

گروه کافران را و مانند آنان که خرج کنند مالهای خود را از جهة خوشنودی خدا و از جهة پایداری نفسهای خود چون مانند بساتین در بلندی که برسد از

وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل

باران پس بیاورد میوه های خود را دو چندان پس اگر نرسد از باران پس شبنمی و خدا بآنچه میکنید بیناست آیا دوست دارد یکی از شما که باشد مر او را بستانی از درختان

واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه

و انگورها بگذرد زیر آن جویها مر او را در آن از هر میوه پس برسد او را پیری و مر او را فرزندان کوچک باشند پس برسد از باد تندی که در آن

نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون القراءة انبتت سبع با به بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف

آتش پس بسوزد انچنین ظاهر کند خدا از برای شما نشانها را که شاید بیندیشید شما را ابن کثیر هشام وسهل بضعفت با به ابن عامر ویزيد ويعقوب الباقون بضعف

وماء الناس غير مصروف حيث كان يزيد النحوي والحراعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ابي

حماد ودوري وحمدويه ودولبي عن يعقوب كذلك ما كان محله النصف من الاعراب كل القرآن وربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون

بضمها اكلها وما به ساكنة الكاف ابن كثير ونافع فانفق ابو عمر وفيما اتصلت بالهاء والانف بما يعلمون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل

الباقون بالتاء للخطاب الوقوف ما نه حبة ط لمن يشاء ط علم عند بهم ج لعطف المختلفتين يحزنون اذى ط حليم ولا اذى لا للعطف كاف

التشبيهي بطل الامثل بطلان الذي لا خط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب وفي تخلل الكلام مط بصير

لانتهاء لا لان ما بعده صفة لجنة بها التمر لا لانه لو وصل ولم يوقف على اخرقت ط لنا هي معطوف لاستفهام

والمعنى يحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا وحال كذا وهي تتفكرون نصف السبع لما ذكر من اصول المبدا والمعاد وما اقتضاه الحكم

اتبعه بيان التكليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

فصل بعد ذلك بهذه الآية الاضعاف فانما ذكر من الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لو كان وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك اكملت نعمى عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتى على المجازاة فليكن عملك لهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه مجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تقدم ذكر هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبى ﷺ عنوانى المجاهدة بالنفس والمال فى نصرته واعلاء شريعته وقيل لما بين انه ولى المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثال ما ينفق المؤمن فى سبيل الله وما ينفق الكافر فى سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد وكونه قادرا عليه من غير ان يمكن الزيادة من الاموال التى يملكها العباد الا بالانفاق اتبعه حكما مفصلا مثل الذين وكونه من اضعاف ليصح التشبيه اى مثل صدقاتهم كمثل حبة ومثلهم كمثل باذر حبته وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله وكون الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى ابتنائها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا المثل يصور الاضعاف سواء وجد فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد فى الجاورس والذرة وغيرهما امثال ذلك وسبع سنابل مثل ثلثمائة قرو فى فاء متمم الكثرة مقام القلة والله يضاعف اى تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق تفاوت احوال المنفقين فى الاخلاص ويضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك بمشيئة الله واسع كامل القدرة على المجازاة لانه فيض غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبموانعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل وعنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الاموال التى يجب ابطانها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى فى المن قد يراد به الانعام فالمعنى لا تمنن مستكثرا وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منع مسائله ومن منع نائله وضن وذلك الما منه من انكسار قلب الفقير من تنفر ذوى الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله لعباد عباده وان المعطى هو الله اذا كان العبد فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الروحانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا تترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول الا نادرا واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما انفق اليه يقول له لست لامرها وما انت الا تقبل وما عدا لله ما بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما الى كونهما نكرتان فى سياق النفى فلهم اجرهم وقال فيما يجىء فلكم اجركم لان الموصوف ههنا لم يتضمن معنى الشرط وتضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها اغار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هناك الانفاق مبهما على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب ربط بينها هناك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالعوض كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتج المعتزلة بالآية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك لسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى ان الكبائر تحبط ثواب ما قبلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن لا ثواب له اصلا فكيف يتصور فيه ما لم يوجد قول معروف يقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق حسن وعد حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذاه بغير مقصود فيما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب رد الجميل وعفو عن جهل السائل بان يعذر المسئول اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا تبع الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضرر اما القول المعروف فينفع من حيث يصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى من اليأس من خصال الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل بمنعه ورد السائل فيه وجوه ان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق فما وجه المن عليهم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من الموذى وغير الموذى مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائى بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب الآخرة ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذى ينفق فتكون الصفة ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان الموذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد الذى ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان الموذى ولعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل نظير التراب والمان الموذى والمنافق كالصفوان ويوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن الفضال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح بذر فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقى مستودعا بذره خاليا لا شئ فيه لا ترى منه ضرب مثل المخلص بجنته

فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك ابتدا الملقى فى ذلك التراب التعرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وفاهيك بكون المان والمنافق مازورين فى فرط شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى ما الان من والذى متعاقبان فكانه قيل لكن ينفق واما الان المراد الفريق الذى واما الانه اشير بالذى الى الجنس فى الجنس فى حكم الانعام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تعدوا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وانتم لا تهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يظلم عن الثواب طريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله تطلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه وبعضد قراءة مجاهد وتبيينا من التبيان وقيل ان النفس كثيرا ما تسول لها فى موقف العبودية الاذا صادفت معقولة بالرياضة ومعشوقها امر الحبوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله لوجه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون فى سبيل الله بانفسكم واموالكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره فى الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجوزوا هو المراد بالتثبيت وعن الحسن مجاهد عطا المراد انهم يثبتون انفسهم تثبيتا فى طلب المستحق وصرف المال فيه وجملة قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل عرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ليحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق التجدد والانفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورانيتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله كمثل جنة وهى البستان وقرئ كمثل جنة بربوة بمكان مرتفع من الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة النفس والربا فى المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثم اذا عرض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ويعد بعد على الماء وربما يضربه الرياح كان الوهاد لكونها مطيبة الماء قلما يحسن بعيها فان فلا بستان لا يصلح الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنفتح وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر خلها وكل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل فى مقابلة المثل الاول فكما ان لا ربو ولا نماء بسبب نزول المطر على الصفوان فينبغى ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فاتت اكلها اى ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد قبل مثلى ما كان يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرها لكرم منبتها والمراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر فلا تكرر ذلك من اخرج صدقة ابتغاء وجه الله بضعف كسبه فرام نرد ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل كما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفياتها والاموال التى عنها يصدر فيجازى بحسب النيات فخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه حذر عن ضده بان ضرب مثلا احد فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اى لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب لان الجنة انما تكون منها لكثرة ظلها فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد فى ريعها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب لانها اكرم الشجر واكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها لقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء اى صبيان واطفال فاصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل المقصود بلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال لان ذلك الاوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصيح شاهد تلك الجنة محترقة ما الصاعقة فكم يكون فى قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك الاعصار الذى يحرق تلك الجنة ويورثه الحسرة والندامة الثانية ولما ذكر الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فلهم اجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقولهم فى سبيل الله فلهم الله ومن اعطى ثمرة الى فقير فانما خذها الله بيمينه ويربيها كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعين جلاله حتى يصير اعظم من العرش بمائة وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بانيا صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الخلوات وانواب الصدق للقيام بامورهم فى تنفيق صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليصلوا وصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله فى طلبه فى طلب غيره من الشاء او الرعاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك وجب على اجرا لاذى بان يطلب من الله غير الله راى احد حضوره ربه فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى لانهم اجرهم عند ربهم نزلهم فى مرتبة العندية عند ملك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله فى طلب المعروف ومغفرة له

سورة البقرة

وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجمل أدنى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غير حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار
في الطلب غيره ولو لا حلمه فما للتراب رب الارباب يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض
فضلا على الباطل فقد فيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن ابطل حقوقه في الاعمال فما ذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة
طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت ههنا من متحيث صار سببا موصلا الى الحق ولهذا قال موصلا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا
الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير يأخذ منه والله يعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب
هو عمله فاصابه وابل هو ابل الردا فاغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شئ مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا
يهدي القوم الكافرين بنعمة طلب شهوة جاله فحرموا عن وصاله وتشبثا من انفسهم وتخليصا لغيابهم في طلب الحق وموصلة من خطوط
انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص مربوة في تربة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت
اكلها اضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهودها الا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي
اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطي اهل
الاخرة ما لا اهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولاستيفاء اللذات واستيفاء الحبوة ثم
ضرب مثل الروح الانساني وقلبه بجنة لما فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء مأنوسا بانوار العقل والحواس
السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا بربتة الخلافة فجنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها الانهار الهداية واصاب لصاحبها ضعفا لانه
وله ذرية ضعفاء من مولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية تمراتها فاصابها اعصار من اعمال البر فيه نار من الرياء و
النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بابتداء الاستعداد العطي فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعمالكم في ظلمات الكم والشعور والهوت قبل حلول
اجالكم والله سبحانه وتعالى هو حسبي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا

ای زمره گروندگان خرج کنید از پاکیزه‌های کسب کرده‌اید و از آنچه برون آوردیم از برای شما از زمین و قصد نکنید

الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر و

ناپاکیرا از آن خرج کنید و حال آنکه نیستید گیرندگان آن مگر آنکه بپوشانید در آن و بدانید که خدا بی‌نیاز و ستوده است شیطان بترساند شما را از فقر و

يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

وادار دشما را بخیانت بسته وخدا وعده کند شما را آمرزشی از او و زیادتی وخدا محیط دانا است ودهد حکمت را بکه خواهد وهر که داده شود حکمت پس

أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين

داده شده است خوبی بسیار را و متذکر نشوند مگر صاحبان خرد وآنچه خرج کردید از خرجی یا نذر کردید از نذری پس بدرستی که خدا میداند آنرا و نیست

من أنصار إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله

ازیاوری اگر ظاهر سازید صدقها را پس خوب چیزی است آن واگر پنهان دارید آنرا و دهید آنرا بفقرا پس آن بهتر است مر شما را و میفکند از شما از گناهان شما را وخدا

بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء

بآنچه میکنید باخبر است نیست بر تو هدایت ایشان ولکن خدا راه مینماید بآنکه خواهد و آنچه انفاق کنید از مال پس مر نفسهای شما راست و آنچه خرج کنید مگر بجهت

وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون

رضای خدا وآنچه خرج کنید از مال تمام باز دهند بسوی شما وشما ستم کرده نشوید مر درویشان آنان که باز داشته شدند در راه خدا که نتوانند

ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله

رفتن در زمین را پندارد ایشان را بیخبر از حالداران از خودداری می‌شناسی ایشان را بنشان‌ها که سؤال نکنند مردم را بالحاح وآنچه خرج کنید از خوبی پس بدرستی

به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ع

بآن داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در شب و روز در پنهانی و آشکار پس ایشانرا مزد ایشان نزد پروردگار ایشان است و نیست ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهگین شوند

القراءة ولا تيمموا بتشديد الياء ومدالالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوبي من يؤتيه الله الباقون بالفتح
فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وخلف والخزاز الباقون فنعما
بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات كلها بنكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف نكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر
وحفص والمفضل الباقون بنكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بالياء بفتح السين ابن عامر وزيد وعاصم غير الاعشى وهبيرة بيسيماهم بالامالة حمزة وعلي

ابن شاذان عن خلاد بخمر او قرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل ما على وزان فعلى الوقوف من الارض لعطف المتفقين تغضوا فيه ط حميد قابل الفتاح
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تحويف الشيطان الكاذب عدا الحق الصادق فضلا ط عليم وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من شاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب بعلم ط انصار فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر فوعا فالنون
او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لو يقف سيئاتكم ط خبير من يشاء ط لابتداء الشرط فلا يقفكم ط لابتداء النفي
وجه الله ط لا يظلمون في الارض لان بحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من حصر التفقف لان تعرفهم يصلح استيناف
والحال وجاز بحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استيناف
فيجوز الوقف على سيماهم الحاف ط عليم عند بعضهم ج يحزنون التفسير الحث على الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على جبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ بئسما صنع صاحب هذا فترك وقيل لم يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وفقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل مال يكتسبه انسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض لان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه ﷺ قال الصدقة في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير ولم يرفعها سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله ﷺ
فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعي بالفت حب الحنظل وسائر البذور البرية وبنتها بسيقرة الوحش لان زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وانه لا يجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مذكور في الفروع
فلذلك لم نطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب الا بتقبل الجيد فيكون المراد بالخبيث الرديء لما مر وسبب النزول انهم كانوا يتصدقون بر
ذالة اموالهم فنهوا عن ذلك لان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية تدل على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه حرام الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تيمموا امن اي تجاهدتم المال من حلاله ومن حرامه يحتمل ان يراد ما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله ردئا
وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا لانه لان المأخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ قال للانسان لا يجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف بالجيد
لقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة توخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه عند
محفوف التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتأمه كله بمعنى قصده ثم محل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
لبعد ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وعلى هذا لكم لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر اطباقا يقال على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع اغمض لي كما تقول اشفف كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كليلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مسامحة اغماضا اي كما لو اهدى لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لها لا ترضونه
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا ان اغمضتم بصر البائع اي كما تغمضون الحط من الثمن عن الحسن او وجدتموه في السوق بياع ما اخذتموه حتى يغمض لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فان الله
كان بهم شاكرا عليما ثم ان الله تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس في النفس الامارة بالسوء والوعد استعمل في الخير والشر قال تعالى وعدها الله الذين كفروا ليمكن
ان يكون استعمال الشر هنا على انهم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بضمتين ويامركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للماموربه والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق وهو ان يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخشن ان لا ينفق شيئا الا الجيد الاردى والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردى فالشيطان اذا اراد نقله من الافضل الى الاخشن فمن خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالبخاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه وبلغ الحرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر وساوس الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول ولكن الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به على تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال باقة اخرى وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او سبع بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه بتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع بزوال بخلاف الموعود في الاخرة فانه باق لا يزول فايثار لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا تنغص فيها ولا تنقص والمغفرة تكفير الذنوب والتكفير يدل على التعظيم هكذا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه نهاية وجوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلايق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه بقوله اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا معارف من الانسان انه منفق كانت لهم معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ومثال ذلك من الناشر ما لا يخفى ﴿والله واسع﴾ كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز ما وعد ﴿عليم﴾ بحال من ينفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق وطاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما ترجح لشهوة والنفور عن مقابلة ان تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن وما ﴿انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ وثانيها الحكمة بمعنى الفهم ﴿واتيناه الحكم صبيا﴾ ﴿ولقد اتينا لقمن الحكمة﴾ وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ﴿واتاه الله الملك والحكمة﴾ ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فنبه بالمسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا﴾ والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا فقال ﴿متاع الدنيا قليل﴾ وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ورجع الثاني الى فعل العدل والصواب لذلك سئل ابراهيم ﴿ربي هب لي حكما﴾ وهو الحكمة النظرية ﴿والحقني بالصالحين﴾ وهو الحكمة العملية ونودي موسى ﴿اني انا الله لا اله الا انا﴾ وهو الحكمة النظرية ثم قال ﴿فاعبدني﴾ وهو العملية وحكى عن عيسى انه قال ﴿اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ وجمعها العلمية وقال في حق محمد فاعلم ﴿انه لا اله الا الله﴾ وهو النظرية ثم قال ﴿واستغفر لذنبك﴾ وهو العلمية وقال في حق جميع الانبياء ﴿ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا﴾ وانه الحكمة العلمية ثم قال ﴿فاتقون﴾ وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فضلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى وذا اصابة رأي فعيل بمعنى فاعل او بمعنى مفعول فيها نظر ﴿كل امر حكيم﴾ اي محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي ايتاء الله تعالى والذين حملوا الانبياء على التوقيف والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه لانه سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر وعرف ما له وما عليه وعند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نيته الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على ذلك الداعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال ﴿وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر في طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه﴾ وتذكير الضمير لان عائد الى ما او لان عائد الى الاخير كقوله ﴿ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا﴾ وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه وصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار بلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثها عليه بتعليق التزام قربة بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او اخرج من البلد فلله علي صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه

او دخل اولم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روى انه قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر الجاز اة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مرضاي او رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله ﷺ من نذر ان يطيع الله فليطعه نذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شئ كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لاطلق الحديث وما يفرض التزامه بالنذر اما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة يصح التزامها بالنذر لانه نذر في معصية الله تم ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى انه ﷺ قال لا نذر في معصية الله كفارة نذر كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر او لا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح ما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق باتيانها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب في بدن او مال كالجهاد والحتم الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة على الجنازة والامر المعروف عند المريض بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة الشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او تكرر الشئ اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحبة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى وقد شرع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره وان نذر ان يتحدث راى رجلا قائما في الشمس فسئل عنه فقال نذر ان لا يعقد لا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ﷺ مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله ﷺ من نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي وللرياء او لا يفون بالنذر او يندرون في المعاصي من انصار من يضرهم من الله وما لهم من عقابه لا ورجع ناصر كاصحاب وصاحب وجمع نصير كشريف وشرفاء قد يمتنع لغزارة بعدها في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع قاصر رد بان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا فان هذا الدليل الناني عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا فسئل رسول الله ﷺ ما صدقة السر فضل ام صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات فنعما هي والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصدق لان عمدة الصدق به تم وبكمال الزكوة صدقة لان المال الجابي يبقى فيها يستدل على صدق العبد كما في الايمان فنعما هي من قرأ بسكون العين فمحمول على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس لالتزام التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما روي في الحديث انه ﷺ قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبرقال سيبويه ما في نعم وبئس شئ يرجع اليه وقال ابو علي الجبائي يجوز ان يقال ما في نعم وبئس شئ لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوصة بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات وتلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تم وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل واما الاول فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لاشتماله على تعظيم المعطي وملاء من الناس بطلب الرياء وقد نالع قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في بئر الاعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير وفي موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال افضل الصدقة جهد المقل الى فقير سر وقال ابن عباس رضي الله عنه سر في سر علانية في علانية فان تحدث به نفسه من السر والعلانية وكتب الرياء وقال ﷺ صدقة السر تطفئ غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من خبر التعفف وربما انكر الناس على الفقير هذه تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للاخذ واهانة له وانكسارا لمؤمن غير جائز وكان الصدقة كالهدية وقال ﷺ من اهدى لاخيه هدية وهذا قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير لهم شيئا فيقع في غير اللوم والتعنيف ثم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى به غيره لم يبعد الحاقه بهذا فان يكون الاظهار افضل وروى ابن عمر انه ﷺ قال السر افضل على من العلانية وافضل من اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع ذلك

الشهوة وههنا الشيطان يرد عليه كرة بعد كرة الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه بفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس صدقات السر في التطوع بفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عباد اصفوا انفسهم حتى نور الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس وان الشهوات قد مات منهم ووقفت قلوبهم في مجاري عظمة الله فهم يحتاجون الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل اراد ان يقتدي بهم غيرهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ اجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات فهو دفعها الى السعاة اظهارها ولانه يبقى التهمة لهذا امر وكانه كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفي يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الشر بابه شر من الله وانما قبل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث الصدقات ان تجري موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء ميزانهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فلما لم يخف حال الفقير فلهذا لم يصح بالشرط وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله فَهُوَ خَيْرٌ فتأويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ بالجزم وما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا ولما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا على الاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالياء مرفوعا ومجزوما والضمير لما تصدقتم وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار ان ومعناه وان تخفوها ويكفر عنكم وان تكفروا بالياء مرفوعا ومجزوما والضمير لما تصدقتم وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار ان ومعناه وان تخفوها ويكفر عنكم بخير لكم وان تكفروا بالياء مرفوعا ومجزوما والضمير لما تصدقتم وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار ان ومعناه وان تخفوها ويكفر عنكم بخير لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر دنب لحنث وقوله مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ يحتمل ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن حوال العبد ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال عتم رسول الله ﷺ عمرة القضاء وكانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءها امها قتيلة وجدتها فسئلا ها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله ﷺ فانكما تسألان على ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ فامرها رسول الله ﷺ بعد نزولها ان تتصدق عليها فاعطتها ووصلتها قال الكلبي ولها وجه حزن ذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابات واصهار وضياع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا واستامروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد جبير قال قال رسول الله ﷺ لا تصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ فقال رسول الله ﷺ تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء اجمعوا على انه يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الآية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الآية ليس عليك قد من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه ﷺ كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا للادلة واما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسوى الهدى واريد به الفعل فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه دليل على ان تلجئتهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي ولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الاختيار فالثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم المواهي محتجا لكن الله يهدي من يشاء ويلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظ قوله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ انه خطاب مع النبي ولكن المراد به امته لان ما قبله عام اريد به الصدقات وما بعده عام وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ من مال فلانفسكم ثوابه فليس بضركم كفرهم ولا تمنوا به على الناس ولا تؤدوهم بالبطل وعليهم وما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم او سد خلة مضطر فدع الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله قيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم لعند المدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه بكذا كان اشرف من قولك فعلته لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل فعلت هذا لوجه الفعل الخالص الشركة وان يكون قد فعل لا جله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاؤه اضعافا مضاعفة والحسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى الشاد تيه وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم لما بين انه

يجوز صرف الصدقة الى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اى ذلك الانفاق هؤلاء والفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل عمدا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراصد فاتكم للفقراء قيل نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحو اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة من كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس قعد رسول الله صلعم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال بشروا ايها اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه ضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا فى سبيل الله اى حصروا انفسهم على الجهاد وقصروها على الجهاد فى سبيل الله كان سبيل الله مختص بالجهاد فى عرف القرآن وكان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان الذى كانت حاجة الى من يحبس نفسه للجهاد مع رسول الله صلعم اشد فوضع الصدقة فيهم يكون اوقع سد الخلتهم وتقويته لفلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات فى الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله تعالى الثانية لا يستطيعون ضربا فى الارض اى سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من اجل تعففهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل كقولهم التعفف اظهار الفقر وهى ترك الشىء والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد وكل من يسمعك والسيماء العلامة التى يعرف بها الشىء من السمة العلامة فوزن عطف قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الزينع السادسة اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابو زيد ناثرة شيائهم وقيل الهيئة فى العبوس وقيل اثار الفقر روى انه كان كثير الفقر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والركيب بدل على السكاكة لزم المسئول لزوم السائل للسؤال عن النبى صلعم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف وبعض لبذى السؤال الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا واورد عليه انه ينافى التعفف الذى صفوا به قيل الوجه ان يراد نفى هذا السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى ضب لا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور والاخر طياش خفيف اردت ان تمدح احدهما وتذم الاخر فلك ان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بحواص ولا مهذار لم يكن عرضك من قولك ليس بحواص ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغنى عنه بل عرضك لتنبيه على سوء طريقة الثانى وقيل معناه لا يكون السؤال الا بالحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله تعالى يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفى السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح فى بعض الاوقات كانه يقول اذا رقت ماء وجهى فلا ارجع بغير مقصود وقيل العاقل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه ما دلت الحاجة فيكون حال سكوته انطق من كل ناطق فهو الذى يهتك استار قلوب الفقراء فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من ذلك الحال اثارا لانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يحملون الخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الله فمن الذى يعرفهم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف بعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا يحتطب فيبيعه عما من تمر خير له من ان يسئل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذى هو اعظم المصارف لا يكتنه كنه فلذلك وكل الى علم الله بخلاف الاية المتقدمة فانه لما دعا فى التصدق على اهل الاديان قال فى اخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذى حسن عنده موضع خدمتك فى حبس خدمتك عالم ولحفك عارف فكان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشده فى خاتمة الآيات الى اكمل وجوه الانفاق بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعتنون بالاوقات والاحوال بالصدقة فيكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة يحتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعلقين بوقت وحال والباء بمعنى فى اى فى الليل والنهار وعلانية منصوبان على الظرفية اى فى وقات السر والعلن او على وصف المصدر اى ينفقون سرا وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث اليهم عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر لبلال فقرأت الآية وفى تقديم ذكر الليل تعدد السر على العلانية دليل على ان صدقة على كان اكمل وعن ابن عباس ما كان على يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبى صلعم ما حملك على هذا فقال ان استوجب بما عملت ربى فقال له جبريل نزلت الآية وقيل نزلت فى ابى بكر حين تصدق باربعين الفا دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل والرتباط فى سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرسه سمين قرأ هذه الآية ثم قال والله ثم علم بحقيقة الحال تاويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها ان الرديء لا يقبل منه ولو عرف بالجودة فليجتهد ان يكون جيدا وثانيها الشاب على التعظيم لامر الله وثالثها الشاب على التصدق على خلق الله ورابعها الشاب على الايثار وتقديم غيره على نفسه وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الشاب على زيادة الايمان وان المتصدق صدقته كالزارع فى زرعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانا بان بحصول الثمرة جهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الليل على ذكر المخرج من الارض لقوله تعالى اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وفى الاثر

معنى خرطيف ينفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم في تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
وليكن النفقة طيبة من خبائث الشهوات طيبا انفاقها من خبائث الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خبائث الانفاق والنظر في الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فلله قبول طيب من الوسايط فيأخذها بيده ويربيها قبل ان يقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في
انفاقها فلله قبول طيب فيما ابلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغنياء بين اصبعين من
اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الا الطيب كلمة باخذ هذا الخبيث كما في اصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب طينة طيبة فالروح من الحي الطيب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فيتمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلتحيته حبوة طيبة ثم رزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شيء خبيث في الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتبلوه تكلفا وقد اكل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارية له انزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غني فمن كمال غناه اراد ان يغنيكم ثواب الانفاق حميد على انعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال لا بد الشيطان يعدكم
الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق والخلف والتضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفو والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة
وبدء كل بلية فمن فتح على نفسه بابا وسوسته نفسه في يتبلى بهذه الآفات واضعافها فمن فتح على نفسه باب رعاية الحق فاض عليه سجال غفرانه ونجاد فضله
واحسانه فالمغفرة تكفر الذنوب والانام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا لهم الحسنى وزيادة فمن رام ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما
قال اوتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة بما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا تنال الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى لب العالم النوري ثم اخبر عن توفية الاجور للمنفق في المفروض والمندوب وما
للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا الانفاق النفاق والاخلاص الرياء من انصار وكلا ناصر بالحقيقة الا الله من اذن له الله ابدا الصدقات
صدقات اخفاؤها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ والبه الاشارة في قوله صلعم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اي
عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل صدقته يوم القيمة اي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة
وان كانت لحظوظ الهوى كان في ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات اي تظهروها الطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب يحظ فيتعافى فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ وتصيبوا توفوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس على احد عليها الولاية وان الله فيها ولي الكفاية فاحمد يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود لك الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلايق على رب العالمين لكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية مرخيصا بعض شانها ولولا حرصك
انت تدعوهم ونحن لهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذي احصره المحبة لله عن طلب المعاش الذي احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا الى المشرق مذهب ولا الى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فاعترته
طولا وعرضا تعجبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة واليائي تحت قبابي لا يعرفهم
غيري يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلا غيري ما رايت اذ رايت الا الله ولكن الله راى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم
لا يرى بالبصر الانساني بل يرى من نور الرباني فمن سيماهم في الظاهر ظهور اثار احوال الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان
اثار انوار الغنى على ظواهرهم فتسورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او
خدمة بالنفس واكرام او ارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استحقاقا واذلالا فان الله يعلمه ومن سيماهم في الظاهر انهم اذا وجدوا
ما لا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون الى الدنيا
على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تالف في الاخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور مرتبة
الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
(يأكلون همچو نند كه بر خيزد كسي كه برپايندا ورا ديوان از سيدن ايشان بآنكه كند كه خبر ايشان ميكيرد مانند ربوا بيت)
واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
(وحلال كرد ايشان خداي بيع را وحرام كرد ربا را پس هركرا آمد اورا پندي از جانب پروردگارش پس بازايستاد وكار او خدا ورد هركه بركرد پس اكروه يارانند)
النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

الجزء الثالث

وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ

وبپای داشتند نماز را وبدادند زکوة را مر ایشان راست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان وبر ایشان نه باشد ایمی کردن ایشان کرده ایشند بدیدار خدای ای کسانی که بگرویدید

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوٓا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ

وواگذارید آنچه باقی مانده از سود اگر هستید باشندگان پس اگر نکنید پس علام کنید بجنگی از خدا ورسول او اگر توبه کنید پس شما راست

لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلٰى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَّدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا

ستم کنید وستم کرده نشوید واگر بود تنگدست پس مهلت دادن باید انها را تا زمان تنگدستی وصدقه دادنتان بهتر است مر شما را اگر باشید دانستندان وبپرهیزید

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ القراءة الربوا حيث كان بالالف حمزة وعلى وخلف وهذا

روزی که بازگردید در آن بسوی خدا پس تمام یابد هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستم کرده نشوند اذا كان معربا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله

وَمَا أَنْتُمْ مُرْبُوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزه وحماد وابو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزه وقيف بغير

همزة اى بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ الاول مبنى للمفعول والثانى للفاعل المفضل الباقون بالعكس ذو عسرة

بضم السين نافع ميسرة بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد

الصاد لادغام تاء التفعل فى الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمر ويعقوب عباس مخيس الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من الشرط مثل الربوا

كيلا يظن ان ما بعده من قوله ان امكن جعل واحدا لاما صار قد حرم الربوا لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف لنا هى الجزاء الى الله ج

المدارج خالدون الصدقات ط اثيم عند بهم ط يحزنون مؤمنين ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف وحال عامله معنى الفعل فى لام

الملك لا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثانى من الاحكام المذكورة فى هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا

مناسبة الشداد فان الصدقة تنقيص ما مورها والربا زيادة منهى عنها وايضا امر بالانفاق من طيبات المكاسب وحث ان يردف بالكسب الحرام هو

الربوا والحلال هو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرها فقال الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا اما الاكل فهو جميع التصرفات الا انه عبر عن الشئ بمعظم

مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه لان الحلال انما ينفق ليتوكل ولكن يصرف الى ما لا توكل فتوكل

فالمراد التصرف فيه والربوا فى اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلكسرة الراء وهو فى المصاحف مكتوب بالواو وانما خص فى كتابها بالالف

بالواو وفى الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا فتمان وتاء المنية

وربوا الفضل اما الاول فهو الذى كانوا يتعاطونه فى الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان يأخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا

المديون برأس المال ان تعذر عليه الاداء زاد فى الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يبتاع من المحتاج بمثلين مثلا والمروى عن ابن عباس انه

كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربوا الا فى النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدرى اشهدت ما لم تشهد سمعت ما لم تسمع فوقع

الحديث المشهور فى هذا الباب فى رواياته منها الذهب بالذهب الفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا

بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى الآخذ والمعطى فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا ارانى واياك فى ظل بيت ما دمت على هذا فيروى انه رجع عنه قال محمد

بن الحسن فى بيت معنا عكرمة فقال رجل ما عكرمة مما تذكر ويخرج فى بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كانت استحللت الصرف برأيى ثم بلغنى ان رسول الله

حرمه فاشهد انى قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ يدل على حل بيع الدرهم بالدرهمين قوله وَحَرَّمَ الرِّبٰوا لا يدل

على حل كل زيادة ليست محرمة فوجب ان يبقى على الحل فلا يخرج الا العقد المخصوص الذى كان يسمى فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة وقد تأكد هذا الراى

فى السنة فى رواية ولا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سئل البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين فى عهد رسول الله فسئلنا

رسول الله عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسيئة فلا يصح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا فى القسمين اما النسيئة

فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر اما على حرمة ربوا النقد فى الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت

فيها لمعنى فاذا عرفت ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه مما الاشياء الاربعة فللشافعى فى علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى

عبد الله قال كنا سمع رسول الله يقول الطعام بالطعام مثل بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق

كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزانى والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روى انه قال الذهب بالذهب وزنا

بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا فى كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز

وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يصلح به القوت كالملح يجرى فيه الربوا وعند ابى حنيفة العلة الكيل حتى ثبت الربوا فى الحصى والنورة

وعن احمد روايتان كابى حنيفة والاخرى كالجديد وامّا النقدان فعن بعض اصحابنا ان العلة فيهما الثمنية لا العلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية

الغالبة فيثبت الربوا فى الحلى والاوانى المتخذة منهما ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب فى الاصح لانتفاء العلة وقال

احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب فى تحريم الربوا

فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة قدرهم من غير عوض فاخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه بل ينفع به مرصوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزايد متيقن وتعويض المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزايد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقال الباقون انه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض لانه تمكين للمقتدر من ان ياخذ
مالا زايدا من الفقير وقبل ان حرمة الربوا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فوبد
على ما كانوا يعتقدون والمجنون رجل يسوس بحمى فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا يقتضي من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
اراد وا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان يمس بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرعه كما يقرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم والمراد ان اكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والغلبة والايذاء بتقدير الله تعالى والمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا سبب يوم القيمة يجنون فالمراد
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي كما يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم فاثقلهم قيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الغضب
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة واضطراب مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثة الخبط في الاخرة واوقعه ذلك الخبط بين
وبين الله تعالى ذلك العذاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في فعل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
البيع والاكان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق الطالبين ان يشبه المحل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسية فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذ حصل التراضي من الجانبين في البياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد الحال ويحصل
له اموال كثيرة في المال فاعطاء الزيادة عند حدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل حدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله
احل الله البيع وحرم الربوا وحاصله انكار التسوية وان نصر لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس مرده الله تعالى بالجملة وعارض النص بالقياس في حال
انا خبر منه ثم ظ الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا تثبت بهذا الاية كون اكل
الربوا من الكبائر ويجاب وبدل مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وهضما اي يستحل التصرف
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل ان يكون قوله واحل الله البيع وحرم
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار هو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين الاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبههم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه
موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث الشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم ولو فرضنا انه تعريف الماهية فنحن
في العمل به نثبت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته ضعيف مما لو قيل احل الله البياعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر فضبطه ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم طلاق اللفظ المستغرق عند الاغلب عرف مشهور وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا وما استبنا له عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا وتقصد الزيادة واذا تعارضا تساقطا
وجب الرجوع الى بيان البيع فمن جاءه موعظة فمن بلغه عظة من ربه فانتهى متعلق بما تضمنه الكلام من استحلال الربوا وتبع النهي فلما سلف فلا يؤخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم والتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف نسيا فالمراد بما اكل من الربوا وليس عليه دم ما سلف عن الشك والسلوف التقدم
ومنه لام الف الفة وسلافة الخمر صفوتها لانها اول ما يخرج من عصيرها وامره الى الله لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المفوض بين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن الربوا وكان بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا اورباه الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب المرئي في الاكثر مال الذي يؤكل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله وعن ابن مسعود

ان النبي قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه بعضهم اياه لسفك عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله
منهم ان المال في الحقيقة للمسلم وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بسبعين عاما هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظيره قوله ويربي الصدقات فان المثل
المثل الاخر كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
وياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد اي المتصدق يرى ذلك يوم جاهد ذكره الجبل ويميل القلوب اليه
ويقطع الاطماع عنه حتى اشتهر منه انه منتصر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان بقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضيه الحس والطبع ويعول على ما تدل عليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمبالغة كما مر وقوله الا اثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ابلغ
للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الاثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا وجاحدا وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم
الى الاكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى اكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الاثام كالربوا فان استحلال الكفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سبب لمال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الاية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل اخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الاثام لم يسبها محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب اعتبارا تذكر من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الاية وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة وردوا بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة مهما امكن العمل به عند التعدد فيبقى في غير على الاصل لهم اجرهم عند ربهم ليرقبا على يهم كان الاول يجري مجرى ما اذا باع النقد ذلك النقد حاضر
متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة لا شك الاول افضل لا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة ان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الاخرة وايضا انهم لا يحزنون لسبب انهم لم يصدر منا طاعة زائدة بما صدر حتى حصل لهم ما استحقين لثواب زيد بما وجاه
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عاقلة بالله لما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ما تت والرجل يبلغ عاقلا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فانا ما لا نقاتل من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف قال الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الاية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي انه تقدما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين امنوا ثم قال اخوان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان كنت
كان اهلا لاخاء ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان ويا ايها الذين امنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا على الاطلاق متى تجنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنظر محلول الاجل اذا حضر الوقت وطن نفسه
على ان تلك الزيادة حصلت له فقطع عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون بابقاء ما نهى عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو ولا يتعقب فان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الاية فهو ان ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة ووضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير بنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس الربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله فنزلت هذه الاية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في ثمر فلما حضر الحداد قال لهما صاحب الثمر لا يسعني في ما بيني وبينكما الا ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف وتضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما فاما العباس
فزل في العباس وخالد بن الوليد كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي

الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضع ربوا العباس عبد المطلب فانه لم يتعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
قبل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اى فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه على هذا يكون ما لهم فيه المسلمين قبل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربوا الا خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين امنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا من لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم انفسهم قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم لا لة على علام غيرهم فهذا امر في الابلاغ اكد من قراءة من قرأ فاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اى لو علموا من اذن وعلم فان قبل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي ﷺ من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيمن اصر على عمل الربوا ان كان شخصا قد الامام عليه قبض عليه واجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان عسكرا وشوكة محاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر مانعي الزكوة وكذا القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك قتال المرتدين فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا وعن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال ان كان رؤس اموالكم ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان على الشيء تامة بمعنى وجد الشيء وحدث فصفته لا بمعنى وجد شيء موصوف بشيء فانها تحتاج بكون ناقصة بحاجة الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بغير وان كان الغريم والمتربي ذا عسرة وقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المتربي بل يعم غيره من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود من المال او النظرة الناجزة والامهال في الاية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره على الامر اى مساهلة بالانظار وناظره اى صاحب الحق منظرة او هو ونظره مثل مكان غاشب وذو عسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا ام عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الاية في الربوا قال الكلبي قال ابن عمر لبني المغيرة هاتوا ورؤس اموالكم لكم فقالوا بنو المغيرة نحن اليوم اهل عسرة فاخروا الى ان تدرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فرفعت ان كان ذو عسرة وعن مجاهد سائر الفسرا انها عامة في كل دين وهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به هو قول اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي في الاصح في الشرع هو ان لا يجد ملكا ما يؤديه بعينه ولا يكون له مال ولا ماعه لا يمكن اداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا او ثوبا لا يعد موسرا وفي الاعسار اذا امكنه بيعها واداء ثمنها او لا يجوز له ان يحبس الا قوت يومه لنفسه وعياله وما لا بد لهم منه كثوب لصلوتهم ودفع الحر الزمن منهم هل يلزم ان يؤجر بعضه من ارباب الدين او غيره الاصح انه لا يلزمه كذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول فاما من امتناعه كسبت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يمكنه ذلك فاذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه وجب النظار الى وقت اليسار فاما ان كان له بينة في اعساره جاز ان يحبسه الى ان يظهر الاعسار وكذا ان لم يكن الغريم غائبا فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالثمن في البيع المقرض فلا بد له من اقامة شاهدين على ان ذلك العوض قد هلك ولم يكن عن عوض كما لا ان صدقه فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر فان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين بدل على ذلك ذكر اليسر وذكر راس المال خير لكم لكم حاصل الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعلم بمنزلة من لا يعلم كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعدا وتعلمون ما يأمركم به بكم اصلحكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله تعالى لا يحل لابن رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى فلا بد من فائدة جديدة وكان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر وعيد فلا جرم وقع ختم الحكم الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال لا اتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي في فعل الاوامر في الدنيا فهذا القول يتضمن الايمان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به لمعنى ما هو ايما تستقبلون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اى الى ما اعد لكم من ثواب وعقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يعمل شيئا فلا تصرف له الا الله الثانية خروجه الى فضاء وهناك يرى الاموال ويغلبه الطمع فيتصرف فيها ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهناك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله ثم فكانه غاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اى جزاء ذلك الكسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل اهله خيرا وشرا والمراد ان كل مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله ثم كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيد الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي وقع بفعله ذلك لو رطه لان الله تعالى مكنه وازاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه فهل هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى ما الملوك وخالق الخلايق هو المالك فله التصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس لما انزلت هذه الاية نزلت على رسول الله ﷺ نزل جبرئيل فقال ضعها على راس المائتين من السنة

واذا ادعى الاعسار

من البقرة وعاش النبي بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التاويل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل كل الربوا كمثل من لا جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرع ثقل بطنه ومثله قوله ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا اكلة الخضرة فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فاخذه بحقه ووضعه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للفرط بحيث يفضي الى الهلاك في العقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينفخ بطونها عند تخاوذها حد الاعتدال فيشقى معاؤها فتهلك وبقاء
الهلاك والآخر للمقتصد ذلك قوله الا اكلة الخضر فذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وحبة الحقل التي ينبتها الربيع هي المطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا يجد سواها فلا تاكل الماشية تكثر منها وهو مثل الناجر يكتسب المال بطريق البيع الشري ويؤدي حقه وان كان
له حرص في الطلب والجمع لكن لما كان ما بالشرع وطريق الحل ما اباحه الله احل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال نورا لامر ظلمته مثالا وظلمة الربوا
المنهي عنه تكاثر الربوا في كلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة المعصية وامره الى الله برد قمن حب لا يحب الله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره ثم
عاملا بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين امنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى بافامة الصلوة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبد الى ذروة العبدية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين امنوا باللسان
اتقوا الله اي بالله كما جاء كذا احمر اياس تقينا برسول الله اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كلها قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربى تركوا ما سوى الله طلبا ان كنتم مؤمنين انبا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم
فاذنوا بحرب من الله ورسوله بعد منها وبغض فان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا يظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
له الا على جلا عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت حصوله اليه جلا وان تصدقوا بذلوا لوليا ما يتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدرهم
هتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدره واعلموا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي لسائلين ثم انه سبحانه كما جمع القران خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة اي القران فقال واتقوا يوما الاية وذلك ان
فائدة جميع الكتب جعلها معينين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجاب الاوصاف
حجاب النفس والهوى بالدنيا العلي وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وحجابات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا اشاملا لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعد عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بالاقامة
بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا
تقوى الخاص يجرهم جذبات كنهديتهم سبلنا من حجب صفاتهم الى رحبة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيتفيؤن
بمواهب لا بغشهم السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتحرجه العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى حجاب قوسين
لهاية حجاب النفس لدايرة الوجود القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام اوادنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة واخراجات الجذبة
ولها اصطفى ادم وكرم بنيه لهذا لو بقاء لقد ذكرتها اولا دام كان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا
الرجوع وعد بشارة للاولياء ووعيد انذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبها في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى
ويحجب ثم عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته فهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت فخروج الظلمة منه لما يكون على مقدار سعة فضاء الروزنة
وضيقه ولا يظلم الشمس عليه متفاوتة درة فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ع
اى زنهار ان كرديد چون معاملت نسيه تا مدتى نام برده پس نويسيد ازا والبته بنويسيد در ميان شما نويسنده معاملات و بايد كه نويسنده
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق
و بنويسد چنانكه اموخته اورا خدا پس بنويسد و بايد كه املا كند آنكه بر اوست حق و بايد كه بپرهيزد خداى كه پروردگار اوست و نكاهدارد ازان چيزى پس اكر بود آنكه بر اوست حق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
يا ديوانه يا كودك يا كه نتواند كه املا كند پس املا كند ولى او بعدل و بخواهيد دو كواه از مردان خود پس اكر نبود دو مرد پس يك مرد و دو زن
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما الاخرى فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا
از انكه خواهيد كه كواهى دهند پس اكر فراموش كند يكى از ايشان يكى را ديكر يادآورد و نبايد كه ابا كنند كواهان چون خوانده شوند و ملول نشويد

ان تكتبوه

سورة البقرة

أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

کہ بنویسید اندک یا بسیار تا مدتش این رستہ است درست تر برای گواہی و نزدیکتر ہست کہ شک نیفتید مگر آنکہ بود داد و ستد نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا

کہ بگردان کنید میان خویش بر شما باکے نیست کہ ننویسید اندرا و گواہ گیرید چون خرید و فروخت کردید و نباید کہ زیان رساند نویسنده و نہ گواہ اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ

پس بدستی کہ ناسزا کردار شمایند بپرہیزید خدای را و بیاموزد شما را خدا و خدا بہر چیزی داناست اگر بود بر شما سفر و نیابید

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

پس اگر امین داند بعضی از شما بعضی را پس باید کہ ادا کند امین شدہ امانت او را و بپرہیزد از خدائی کہ پروردگار اوست و پنہان نکنید گواہی را ہر کہ پنہان کند گواہی را پس آنگاہ است دل او

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ القراءة الا ان يملّ هو بكون الهاء فتبة الحلوانى عن قالون الباقون بالضم على الاصل تصل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل

بچہ میکنید دانا است الباقون بالفتح على الهمزة ناصبة فتذكر بالتشديد بالرفع حمزة وحيلة فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو بزة عن المفضل فتذكر من الاذكار

والنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقنبل الباقون فتذكر بالتشديد بالنصب تجارة حاضرة بالنصب فيها عاصم الباقون بالرفع فيهن

بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فوهان الوقوف فاكتبوه ط للعدل بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شباط بالعدل ط من بخسا لكم

للشرط مع فاء التعقيب الخرص ط دعوا ط للعدل الجملة ط لا تكتبوها لابتداء الامر بتا بعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم

الله ط عليم مقبوضة ط لابتداء شرط واستيناف معنى آخر بتا ط للعدل الشهادة ط قلبه ط عليم التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب نظم ان الحكمين المتقدمين

وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى فى هذه الاية بكمال افتراك كيفية حفظ المال الحاصل وصونه عن التلف بوجوه

وغاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ فى الوصاية والحث وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال

لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه طول اية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه

لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسببا مشروعا والمداينة تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا والمراد اما

تعاملتم بمافيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين ليس بمداينة البتة والثانى بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى

ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو اما ان باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين هو السلم بالسلم وكلاهما داخلان تحت الاية واما القرض

فلا بد دخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة فى قوله بدين تخليص التداين بمعنى المجازات او

لتاكيد مثل وكاطائر يطير بجناحيه ولبشمال اى بدين كان صغيرا وكبيرا سلما او غيره وفى الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر

لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه ليس بين التنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل

ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دينان واحد فيخرج بيع الدين بالدين وما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا فى العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة فى قوله

ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة فى الكل ويقول العلة هى التداين والعلة لا يتفاوت عنها معلولها فيكون القضية كلية كما فى قوله اذا قمتم الى

الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشئ ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة

والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد والى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر فى المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين

آمن من النسيان والتفاوت والتخالف فى مقدار الدين وفى انقضاء الاجل وفى سائر ما تشارطا عليه هذا لاسقبل الوجوب وهو مذهب عطا

وابن جريج والنخعى وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان فى ايجابهما

حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن الشعبى والحكم بن عيينة اما

الخطاب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجوامين كثير من الناس بل مرجعه استيهال الكتبة ولهذا قال فليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم على الاطلاق

ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد فى الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الاخر ويحترز عن الالفاظ

المجملة التى يقع النزاع فى المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمتداينين بتحرير الكتاب فان لا يستكتبوا الا فقيها اديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكتبه

متفقا على بين المجتهدين ولا يكون بحيث يحيد قاضى قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله لانه لا اب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب فهو معنى النكرة فى كاتب

ان يكتب قوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالقدير لا اب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله ثم فيه قوله بعد ذلك فليكتب تاكيد للاول

فليكتب تلك الكتابة التى علمه الله تعالى اياها وبما بعده فتكون الاولى نهيا عن الامتناع مطلقا والثانى امرا بالكتابة المقيدة المطلق لا دلالة على المقيد

فلا يكون الثانى تاكيدا للاول ط بما يكون بيانا لم النهى عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة

المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد بكم ط وقيل كما احسن الله اليك فانه قال على سبيل الايجاب لكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا

شهيد بعض الشعبى انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

ان يكتب كما علمه الله يعني فيتقدر ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهمال واعلم ان الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء املت عليه الكتاب لغة الحجاز وبنى اسد املليت لغة بني تميم وقد نطق القرآن بهما قال تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملى الذي عليه الحق بان يقر بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف بمقدرته او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان ان عيل عمر وهو بيدقة وفائدة توكيل المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه لكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه عائد الى الذي اي الذي له الدين املى قبل وفيه بعد لان قوله المدعى كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهد به سئله ان يشهد شهيدا اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة هل صلاح العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكونا اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان ليشهدن جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعنده شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق فوجب ان يجيء فيه ما يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على خلاف ملل ان تقبل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان ينساها الغلبة الهوى والطوبة على مزجتهن او احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اراده ان تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان اضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه هم بنزلون كل احد من السبب والمسبب منزلة الاخ لاخيه لاتساقهما واتصالهما كانت اراده الاضلال المسبب الاذكار اراده للاذكار فكانه قيل اراده ان تذكر احديهما الاخرى وصلت نظيره قوله اعددت الحشبة ان يميل الحائط فاعمد اعددت للسالح ان يجيء عدو فاوقعه في النفس الكبرى ههنا غرضان احدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا لا محذورا ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن صفيان بن عيينة انه قال فتذكر احداهما فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني لهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر لا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة جنس قاطع ولهذا قال تعالى على مثل الشمس فاشهد او دع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد يكفي للحكم به لانه هلال رمضان كامرأتين ولا يحتاج الى ان يذكر مع اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغيرها الا في رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يشوى فيه حتى الله تعالى لحد الشرب تقطع الطريق وحق العباد كالقصاص في القذف واما غير العقوبات فاليس بمالي ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكذلك لا يثبت الا برجلين ايضا ان كان مما يختص بمعرفة النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يلبثه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت ذلك الا بربع لسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن ثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو يقصد المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتا بشهادة رجلين نصا لقرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين انكره ابو حنيفة لا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا فقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره الفقال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل امر بالتحمل

اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله اذا ما دعوا الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كانوا جماعة كثيرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسئموا الا تزجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق المقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا لما جرت العادة بكتبة لا لكثيرة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهوا عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرت مداينته فما جاء احد ان يكتب بكل دين صغير وكبير كتابا فربما كثرت الكتب فيقضي لقيام تركيبه الكتابة يجوز ان يكون الضمير للكتاب فان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تكتبوا بدلا الى اجله الذي تفقا على تسميته لكم الكتب وذلكم الذي امرتكم به الكتب والاشهاد اقسط اعدل عند الله واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وهما امران سقط واقام فيكون محمولا على قولهم فلان يسقط بين المذاقين واما من قولهم وقام بمعنى وجد وقسط على طريقة الذئب فلا فالقاسط الجائر ولا يصح ان المعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب بالله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل بعد فيكون اعدل عند الله والثانية يتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يضل في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا يتسلط الكذب والخيانة فلا يقع في الغبن والجهالة فما احسن هذه الفوائد مما ادخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب فقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى عما يبدا نه ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسئموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تبايعوا بيعا ناجزا بدلا ومن قراءة تجارة بالرفع فعلى كان التامة والناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كذلك الكاف في اسديهل يعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب شنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي تفع شره وعلا ودوكوا كب اي شديد يقال اشهدت الكواكب فهما وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريب الحلول فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد ثبت خلافه فان قيل وانما خص رفع الجناح بهذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فكلفهم الكتابة في كل خطر خرج عليهم من ان حوف التجارة مثله قلنا وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كان مما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد ملا كتابة تخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا فاجاز ان يكون التابع او كيلا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهد ان شاء لم يشهد عن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على ناقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعنى نهي الكاتب ان يزيد وينقص في الشهادة او يحرفا ويتركا الاجابة اذا طلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان النقد بركة يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس انه نهي للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يجلا عن مهم ويلزما ولا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد ان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله طاعته ومعنى بكم اي ملتبسين بكم او اتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل الباءات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين الصلم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله رهن درعه في غير سفر لكنه ورد الآية على الغالب ان الغالب ان لا يوجد الكاتب في السفر لانه لا يوجد الكاتب في السفر لانه لا يوجد وان وجد الكاتبة ولهذا قال ابن عباس اذا رايت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرأ فلم تجدوا كاتبا وناظره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ولبس الخوف من شرط جواز القصر كان مجاهد الضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ومنه راهنا اي داوما والرهن مصدر جعل سماوزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم تكن انتصابه بانتصاب المصدر ولكن بانتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش وكبش وقبل احدهما جمع الاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليكم رهن او فالوثيقة او الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن وللمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن بينه وبين

بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه من تسليم المفتاح فيما له مغلاق وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدا فلا بد من التفريغ بان يفرغ وكيل المرتهن وكيل الراهن في بيت من دار الراهن الى بيت اخر باذنه ويضع الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بامانته لا يجد الحق ولا ينكره فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ فَلْيكن المديون عند ظن الدائن به سمي الدين امانة وان كان مضمونا لايمانه عليه بترك الارهان منه والحاصل انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية اطلق احدهما على الاخر والايمان افتعال من الامن وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ حتى لا يجحد ولا يخلده جحود واخيانه وفي الاية قول اخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الاية ناسخة للاياث المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في اية المداينة انسخ ثم قال لا تكتموا الشهادة وفيه وجوه الاول عن الفقال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم بذب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق ذلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله اثما القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله خير الشهود من شهد قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بذلك لواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان في ذلك بطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد قال وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والاثم الفاجر والاثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتداء وآثم خبره ومقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصيص بجملته اثم لا قلبه وحده هو ان افعال الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة منها يحدث القلب لبواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف والمعدل الكسب بلغ كما يقال عند التوكيد هذا بما ابصرته عيني وسمعته اذني وعن النبي ﷺ ان في جسد ابن ادم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وفي هم كثير من المتكلمين ان الفاعل والعارف لما مر والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير للكاتم وتهديد له عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله تعالى امر بالعباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم وليستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بين عباده في الميثاق إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الى قوله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ واشهد الملائكة الكرام وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ وانه تعالى امرهم ان لا يأنفوا ان تكتبوه صغيرا وكبيرا امر الملائكة ان يكتبوا اعمالكم الصغيرة والكبيرة ثم عند حكمهم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ثم نودي من مراد فان الجلال ما قولي الظلم ضعيف الحال قرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه مساءه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير منها يحاسب بالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يميل الحق فان كان الذي عليه الحق سفيها جاهلا بملاء الحق لاشتغاله بالباطل ضعيفا عاجزا معلولا بالبلبان نفسه ولا يستطيع ان يملل هو لكونه ممنوعا ما بعوقه والعلة لا قدرة له على املاء ما ينفعه لا يضره ولا قوة له في امامه الا بجزء نيسه فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاخوان الى السرور ومن الاسجان الى المقصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ واستشهدوا واشهدوا بان استصحبوا من اولياء الله القلوب ثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجالا فان لم يكونا رجلين من اولياء الله القلوب فرجل منهم وامرأتان اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في ارضه ان تضيل احديهما عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من شياطين الهوى فتذكر احديهما الاخرى قال الرقي ثم الطريق واعلم ان اهل الدين هم القائمون الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شريره من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في بعض الجسد عليه وكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن ضيق الاجساد الى سعة الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي جعل الجملة الشرطية حالا في قوله وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا اي السبب الذي يخلص من سجن الجسد قيد الحواس ورتبة الوكيل فلم يوجد كاتب يكتب عليكم قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف صاحب اليمين وقال الحامل على شيئا من معاملات قلبك الا كتبه فاني اريد ان اتقرب بها الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحاسب والمعتمد الوكيل لم يؤد حق صاحب الحق ويكون فارا منه فاما الذي

اماء الليل واطراف النهار بعيد وبروح قلب عزيمة ما يبرح في حوزيمة فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذي هو موكل على الطالب يكون وكيلا وحفيظا
للطالب معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والمستأمن رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب لبس فيها
غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطباء الذي هو غاشوم مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطأ
بالرهن فانه مبطوش بطشه الشديد منهم صاف مذهبه فهوى من عز قطبه كل امر في الهوى عجب وخلاصي منه اعجب وانما يحتاج الى
الرهن المفهم بالحيانة للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن لتحمل اعباء امانة الا العاشق المسكين
لما نظر اليها كان فراش تلك التمتمة عشقها فطار فيها والى تجلها فلما حملها واستحسن منها نقرة به من صحايه جاء له من الحضرة القاب
فلب في اليذابة الى الاكباد وسفك ارماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما
جهولا هذا امر عجيب في نفوس عزيب من لم يطع في حمل الامانة وابى ان يحمل الطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل
الامانة واتى الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة
وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مراة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر بصلاح
كتمان امر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة بدليل حفظ السر خطاب اسجدوا
لادم وعتاب الم اقل لكم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كاحترزك من بين خليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فلوة الذي ثم
امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدكم على انفسكم يوم الميثاق فاقروا بقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم الحالبكم باداء حقها فادوها
الى ملفوفة بلفاف التقوى لا يمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهودك مع غير شواهدك وهذا من نتايج حيا
قلبك في امانته ربك بربك فلا يشاهد قلبك الا شواهد ربك ولا يودي سر لك حقيقة امانة ربك الا الى ربك بربك لربك لله ما في
السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
بسا نهاست وانچه در زمين است واگر ظاهر سازيد انچه را كه در نفسهاى شماست يا پنهان داريد ازامى سبد كند شما را خدا پس بيامرزد انرا كه خواهد وعذاب كند انرا كه خواهد
والله على كل شئ قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا
وخدا بر هر چيزى توانا است ايمان اورد پيغمبر بانچه فرستاده شد باو از پروردگار شش ومومنان هريك كه وبدند بخدا و فرشتكان او وكتابهاى او وپيغمبران او
نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها
جدائى نيندازيم ميان هيچكدام از پيغمبران او وگفتند كه شنيديم وپيروى كرديم بيامرزش تو را پروردگار ما وبسوى تو بازگشت تكليف نكند خدا هيچ نفسى را مگر بقدر گنجايش ان
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولنا فانصرنا
مر اوست انچه كسب كرد ودر اوست عقوبت انچه كسب كرد پروردگارا مگير ما را اگر فراموش كرديم يا خطا كرديم پروردگارا ومبار بر ما بارى چنانكه بر داشتى بر كسانى كه پيش از ما بودند پروردگارا ومبار بر ما انچه نيست مر ما را بدان وبيامرز ما را وبيامرز ما را ورحم كن بر ما تويى كارساز ما پس نصرت ده
على القوم الكافرين القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وحمزة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
بكروه كافران بوفع الراء والياء بزيد ابن عامر وعاصم سهل ويعقوب وقراحزة غير ابي عمرو والحلواني عن هارون وابن مجاهد
ابو بعبة عن البزي خلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو بادغم ويعذب من يشاء كل القران وكذا بالرفع على وخلف الباقون وكتبه
جمعا لا يفرق بيان الغيبة يعقوب الباقون بالنون احظانا مثل فادا تم الوقوف وما في الارض لله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على
الاستيناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير والمؤمنون ه لمن لم يقف على من وبعد المصير وسعها ط ما اكتسبت
واخطانا جز من قبلنا لا للابتداء ولكن الواو لعطف لسؤال لنا بيح واعف عنا وقفة واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك للتفصيل
بين انواع المقاصد لاعتراف بان الطاعنا غير واجد الكافرين النفائس نعم لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهو كالاول
التوحيد النبوة والمعاد واشياء كثير من بيان الشرايع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وقوله لله ما في السموات
وما في الارض دل على كمال علمه هو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دل على كمال قدرته هو قوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابي مسلم انه لما قال فالله بما تعملون
عليم ذكر عليه ليلا عقليا فان كان فاعل الهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا بالجزئيات تها وقبل الامر بالوفاء بالكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به فقال الشيخ
وعكرمة بجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس لما في هريرة واللفظ
له لما نزل قل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله ﷺ فاتوا رسول الله ﷺ ثم برکوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله

الجزء الثالث

اريد ون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقرها
القوم وذللت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الاموالي تخطر بالبال مما يكره فيها الانسان ويمكنه ازالتها عن النفس كل يؤاخذ بها الا ما يجري
مجرى تكليف ما لا يطاق وهو الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على فعلها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا المدارك الضحاك عن
عائشة انها قالت ما احدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبته الله عليه بغم يبتلى في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الاخرة لم يسأل عنه ولم يعاقب
وروت لها سئلت النبي عن هذه الاية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اراد الله يجاوز لامتي ما احدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اظهارا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبا وحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموا للفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص غير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مسئول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن مساخطه ومناهيه لتستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه ذلك قوله لا يكلف
نفسا الا وسعها الى اخر السورة او يقول ابتدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فيمن في اخرها ان الذين مدحتهم في اول السورة
هم امة محمد المؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا
غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هناك وبالاخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى اخر السورة كما قال هناك
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ويقول انه تعالى سبحانه لما ذكر في هذه السورة انواع الشرايع والاحكام بين ان الرسول عرف
المعجزة دلالة على صدق الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي اخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من الشر يعني ليس الشيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك المعجز اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى تستدل الامة بها على انه صادق في دعواه وهو امر تبتهر
المناخرة ومن تامل في نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم ان القران كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه
ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز اسلوبه اراد واذا كذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل امن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول اي كل من
امن من الرسول والمؤمنين امن به لهذا واحد مثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد يجوز ان يجمع كقوله
وكلهم اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه تعالى ما كان مؤمنا به ثم امن فجعل علم الايمان على وفق الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال
اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرايع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وادم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي انزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به لا يتمكن الغير من الايمان به فاعلم ان الاية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول موقوف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله تعالى وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فان الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي مثال الملك عالم الصور تجرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فالجرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة هذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسايط لا مفر لها مع الله وقت لا يخفى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبيه وهذا سر تطلع منه
على اسرار اخر ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو

ان نعلم

ان تعلم ان وراء المخبرات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالحكم بكون مقدار بوجود الا لتعقيكون الخلاف معهم في ان الله تعالى واما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات كلها في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير مخبر ولا حال في المخبر واما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة تعالى لها وما لا يصح كذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان كلها سواء فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي يسمى اختيارية للحيوانات وذلك رشحة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم الهام غايته معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الحق بسبب لاعمال شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله واما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن ماهيتها وحقيقتها هل هي جواهر محضة او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فهوائية او ناريه فذلك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان الذين هم بذكر الله وحيوتهم بمعرفته وطاعته وانهم سايط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرقا اليه للتغيير والتحريف فان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الاخلاق والافعال كما مر في قصة ادم وان تعلم ان النبي افضل من ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال اكثر من العلماء ان الملائكة السماوية افضل منهم وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة ادم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان رضا منسوخ الا ان نبوتهم لم تنسخ بل منسوخة وانهم الان انبياء ورسل كما كانوا وانا فرق بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب المرسلة واما ان يراد بجنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال شايع في جميع الصيام قال العلماء قرأ الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقبل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس اكثر من الكتب ومن قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل للكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال بعد حال في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين اخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلح لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسدا وعنادا بهم والغرض منه توبيخ معتقدا اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى ومن نبوة محمد وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا لقوله واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا واعلم ان قوله من الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة ويقال ان للانسان اياما ثلثة الامس البحث عنه لبقي معرفة المبدا واليوم البحث عنه لبقي الوسط والغد البحث عنه لبقي معاد المعاد فقوله امن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد وشذ في اخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدا لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله في لله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبداية الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهاية قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما يعملون اي يجازيهم غدا سيصل اليك فيه نتايج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدا وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله واخر دعوهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بجذبة من جذبات عالم الاسرار الى فتح عالم الانوار نقول ان المؤمنون كل امن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قولك واطعنا امرك وقيل حذف المفعول صونا ومعنى هنا اولى لافادته انه لا شيء في الوجود يجب سماعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته ويقينا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

الكتاب هم

علا غفرانك مصدر منصوب بفعله اى اغفر غفرانك اللهم لا نفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تعدموا جزاءه وفى الكشاف اى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به لا شهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وانما عدل عن فعله الى الاستغفار للايذان بان المطلوب هو الثبات على المغفرة نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف عملوا به فاى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير ما يأتون ويذرون او لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد مر قوله وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا وكان جميع الطاعات بحسب موجب حقوق الالهية جنايات وتقصيرات ولهذا حكى عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اى انت منزه عن ان يسبحك احد حق تسبيحك وتقديسك واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اى كل الحمد له وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا اما القيد الاول فمعناه اطلب المغفرة منك انت الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة ان يعطى عطية كاملة وذلك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد فى الحديث ان الله تعالى ما انزل جزء من الرحمة قسم منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون واخر لنعجة تستعين بجزء اليوم القيامة ولعل العبد يقول لكل صفة من صفاتك فانك متى يظهر اثرها فى محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهر اثار فضلك ولولا الترتيب العجيب والتاليف الانيق لما ظهر اثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر اثار مغفرتك ورافتك واما الطلب لغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حق وفى حق مثالى من المذنبين واما القيد الثانى فمعناه ربيتنى ايدا وجدتنى مع انك لولم تربنى فى ذلك الوقت لم تضر بك لانى كنت باقيا فى العدم الا ان لولم تربنى تضرر به فاسئلك ان لا تهملنى وربيتنى حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف بعد ما ذكرتك بالتوحيد فكيف بعد ما علمت ان لا تربينى وقد اثبت عمرى فى توحيدك وربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك فى الماضى شفيعا لى فى ان تربينى فى المستقبل او ربيتنى فيما مضى فاتم هذه التربية فيما يستقبل فان تمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة فقد يقال انه تعالى لا يطيع ولا يكلفنا الا فى سعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستانفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلاجرم خفف الله تعالى عنهم ذلك باجابة دعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من مكان الانسان وطاقته ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل فى الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رافته واعلم ان المعتزلة عولوا فى نفى تكليف ما لا يطاق على هذه الاية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان العبد موجد لافعال نفسه لانه لو كان تخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفع الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فكلف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثانى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المامور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق اما الاشاعرة فقالوا التكليف من غير قدرة على الكفر كما يذهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين التكليف بامر كذا انه يمتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذى هو محل النزاع لكن الاشعرى لما كانت حجته قوية عنده خصص الاية بانها انما وردت فى التكاليف الممكنة ان التكليف الممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو علام واشعار بانه خلق من اهل النار او انه لو جعل من قول المؤمنين لم يبق فيها تحميل ان يقال الحاكاه عنهم فى معرض المدح وجب ان يكون واضا قين فيه كما ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدى ان الكسب والاكتساب واحد الا انه تعالى لا يكلف نفسا الا ما يقع منها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه خاصة وقيل فى الاكتساب معنى زائد احتمال وتصرف فلهذا خص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة فى الاية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدورهما منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له بها عليه البتة ولا تنفك فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالاية على فساد القول بالمحبطة لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طرو احدهما زوال الاخر فان المحبطى بتقدير الاية لها ما اكتسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطل وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالاية فى ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب اباءهم والعقلاء تمسكوا بها فى اثبات ان الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب او ما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة مضرته بالشركة فبقى فى الجار على الاصل ومنها ان القطع لا يسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان السرقة متى كان مالها وجب رده على المالك ومنها ان منكرى وجوب الزكوة احتجوا بالاية والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

إن نسينا أو أخطأنا ومعنى المؤاخذة الانتقام بنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافر وعاقب اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي لما كان متمكنا من تفقد نفسه لئلا ينسى فكأنه هو الذي تسبب إلى نسيانه بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في إيذاء نفسه وفي التفسير الكبير الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذه بالعفو الكرم أي يمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا مخلص المؤاخذة بهذا العبد والمراد بالنسيان ما الترك وهو ان يترك الفعل الناوبالفاسد كما أن الخطأ هو ان يفعل الفعل الناوبالفاسد منه قوله تعالى فنسيهم أي تركوا العمل فتركهم ان يثيبهم وأما ضد الذكر وارد عليه ان النسيان والخطأ مجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الأول ان النسيان منه ما يعد صاحبه فيه ومنه ما لا يعد فيه ومنه ما يعذر فيه ربما في ثوبه وأخذ الناس في الصلوة فصلى وهو على ثوبه بعد مقصرا ذا كان لو مد البادرة إلى الثوب وكذا إذا تفاقم عن بعض أعضاء الطهارة حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وتارة كان إذا أراد ان يذكر حاجة شديدة فخطر في أصبعه فثبت ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك فيما لو ترك التحفظ واعرض عن أسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هان مسببا عنهما من التفريط والاهمال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم ما لا ينبغي لا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك يدا بإبراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله أما لاستدامته وأما لاعتداد تلك النعمة او لغير ذلك كقوله قل ربي احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يمسك به من يجوز تكليف الايطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى طلب ترك المؤاخذة عليه فدل بهذا على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا والجواب الخطاء لا بد ان ينتهي بما فيه العمل والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرناه بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم ما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرناه بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطف عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما أصرك على فلان اصرة اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قاله بعض العلماء اليهود ولما كانت الغلظة والشدة غالبة عليهم كانت مضار التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ وأما ان اليهود خصت بغلظ الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس لنا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يد لنا كلا بد من تركه كل النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا اي لا يقع فعله لان القدرة لا تصلح الا للفعل والترك وقد ثبت في الحديث ان النبي قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا يقع عليه زيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله سلمنا انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله ربنا احكم بالحق لا يدل على جواز ان يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على ان خزي الانبياء جائز قبل يوم القيامة والجواب ان التكليف الشاق بالجملة والتكليف الذي لا قدرة عليه بالتحصيل واجب بان الحامل لهما لا يطاق وهو التحصيل يسمى الحمل فقيل طلب ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لا قائل من عكس الترتيب في الجواب على تفسير المعتزلة ظاهر ربنا لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسيرنا فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سألوا كلف بذلك من قبلهم امرا وقبل الاولى طلب ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله خدمة وشكرا ي لا تطلب مني حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة يليق بقدس عظمتك وكمال علمك الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في الموضعين لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فان ذلك انما جمعت المغفور لهم على شيء كان حاصلا رجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قولنا ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو يسقط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التحميل والفضيحة فان الخلاص من

الجزء الثالث

عذاب النار انما يطيب ويحصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب هو اينجا قسمان جسماني هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد تا بكليته على مولاه وهو قوله انت مولينا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة يناله وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانه بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحة الا بتدبير قيمه والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه اي بالامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناواك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل ما البطلة قال السحرة وعنه من قرأ الايتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتها نبي قبلي وعنه انزل الله اليتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتا عنه من قيام الليل وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقال الملائكة له ان الله عز وجل اكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فسله واوعز اليه فعلم جبريل كيف يدعو فقال النبي غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون امين التأويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق وروحه نموذج من عالم الامر والملكوت ولنفسه نشأة من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتجليها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر بما يخالف الشريعة وفي الباطن بما يخالف الحقيقة او تخفوه بان يزاد ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بما يخالف الشريعة وفي الباطن بما يوافق الطبيعة يحاسبكم به الله بظهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السجين وروحه بنور قهر العلي الكبير والله على كل شيء من اظهار اللطف والقهر على ركب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجاب بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل آمن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال الرافة بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا فقال الله تعم ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي غفرانك ربنا واليك المصير ايا يطلبون الا ان تسترهم بسربال الفضل فيكون مصيرهم اليك لا الى عبادك كما كان مصيرك اليك الى من سواك قال الله تعالى جوابا له لا يكلف الله نفسا الا وسعها انت في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت فان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حسبتهم حتى كيلا يحترقوا بحر سبحان وجهي سطوات قهري فكيف كلف ملك المذنبة المرحومة بهذا المصير ان بضعف حالهم بصبوا انما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الوسائل الكرام ان اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي فاهم ما دمت في امتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما اكسبت امتك من انوار متابعتك يستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتوالي عن ظل متابعتك تستأهل المصير الى دركات السعير فيا اسكرة الذهاب الحطاب واحرى المحمدة سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تعاقب مني ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم ان تحبوك ولا تحبوا غيرك واخطأت طريق طلبك ولكن ما اخطأت طريق عبوديتك فلم يعبد واغيرها وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا اسير الفضل لا ماره فنعبد عجل الهوى وناره الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الصبر عن شهود جمالك واعف عنا عجزنا فينا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع الحجبونة من بيننا انت مولينا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بحجاب عنايتك واعنا في الصبر اليك على قمع كفار الاشتهاء التي تمنعنا من وحدتك بلوى وبنيك الى تهر الهوى وارفع بجودك انني من البين وحسبي الله

سورة آل عمران وهي مدنية حروفها ٣٤٨٥ كلماتها ٧٦٢ آياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل

الم خدای بخشنده است که نیست خدای بجز او زنده پاینده فرو فرستاد بر تو قرآن را براستی تصدیق کننده مر آنچه را پیش از او است و فرستاد توریت و انجیل را

من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

از پیش راه نمای مردمان و فرستاد قرآن را بدرستی که آنانکه کافر شدند بآیات خدا مر ایشانرا است عذابی سخت و خدا غالب خداوند انتقام

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

یدستی هیچ پوشیده نیست بر او چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه بصورتها در شکمها مادران رحمها چنانچه میخواهد هیچ معبودی بجز او انتفاء استوار

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

اوست آنکه فرستاد بر تو قرآن را که برخی از آن آیتهای استوارست که انعام الکتاب بنده و دیگر ها مانند هم اند پس اما آنان که در دلهای ایشان میست پس متابعت کنند

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

متشابه را از جهة خواهش فتنه وجستن تاویل آن و ندانند تاویل آنرا مگر خدا و ثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه

مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

از نزد پروردگار ما و پند نگیرند مگر خداوندان خرد پروردگارا مگردان دلهای ما را پس از آنکه راه نمودی ما را از نزد خود و رحمتی ببخش که تو

الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

بخشنده پروردگارا تو گردآورنده مردمانی در روزی که در آن هیچ شکی نیست خدا خلف نکند وعده خود را بدستی که آنانکه کافر شدند هرگز نکفایت کند از ایشان مالهای

وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ع

و نه فرزندانشان از خدا چیزی و ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون و آنان که پیش از ایشان بودند که تکذیب کردند آیتهای ما پس گرفت ایشان را

بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ القراءة آلم الله مقطوعة الالف واللام ساكنة بريئ للفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولة بفتح الهمزة

بگناهان خود خدا سخت عقوبتست مما لا خلاف ان ابو عمرو وحمزه وعلی وخلف والبخاری عن ورش والخزاز عن هبیرة وابن ذکوان غیر ابن مجاهد کذلک

حیث کان بغیر همزة ابو عمرو وغیر شجاع ویزیدا الا عشی والاصفهانی عن ورش والخزاز عن هبیرة وحمزة فی الوقف الوقف الرجح مختلف فان غیر الاعشی والبرجمی

ویزیدا المفضل یصلون الاهوج القیوم ط والاعجل الفرقان ط شدید ط انتقام ۞ فی السماء ط کیف یشاء ط الحکیم ۞ متشابهات ط لاستیناف تفضیل

وابتغاء تاویله لان الواو وتصلح استیناف والحال الیق الا الله هم عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون یعلمون تاویل المتشابه کما یعلم الله

ومن لم یحترز عن هذا وجعل المتشابه غیر صفة الله ذاتا وفعلا من الاحکام التی یطلعها القیاس لتاویل وجعل المحکمات الاصول المنصوص علیها

تعطف قوله والراسخون علی اسم الله ویجعل یقولون حالا لم یتاح لان لا یقف علی الا الله امنا به لان قوله کل من عند ربنا من مقولهم فان التسلیم

من تمام الایمان من عند بناج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الا لباب خبر الابتداء بان ولاحتمال کلام المقابل او فاء التعقیب للتشبیه لوهاب

فیرط المعاد شیاط النار لمعلوکان التشبیه فرعون للعطف من قبلهم ط بآیاتنا ج للعدل مع فاء التعقیب بذنوبهم ط العقاب للتفخیم اما

قراءة عاصم فلها وجهان الاولی الوقف ثم ابتداء الهمزة لاجل الابتداء الثانی ان یکون ذلک علی لغة من یقطع الفا لوصل واما من فتح المیم ففیه

قولان احدهما قول الفراء واختیار کثیر من البصریین وصاحب الکشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول فی کلامهم کما تقول فی احد اثنان

ثلثة وعلی هذا وجب البناء بقوله الله فاذا ابتدانا به تثبت الهمزة متحرکة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفیف ولقیت حرکتها علی المیم لتحرکتها علی

الفا فی حکم البقاء بسبب کون هذه اللفظة مثل الفا فکان الهمزة ساقطة بصورتها باقیة بمعناها وثانیهما قول سیبویه انه لما وصل الله بالم التقی ساکنان

ضرورة سقوط الهمزة فی الدرج فوجب تحریک الاول وکان الاصل هو الکسر لانهم نحو الم یحافظ علی التحریک فالفتحة علی هذا القول لیست

المنقولة من همزة الوصل فلا یرد علیه ما یرد علی القول الاول من ان الهمزة حینئذ لا وجود لها فی الوصل اصلا فکیف تنقل حرکتها قال الواحدی نقلا

المفسرون انه قدم علی رسول الله ﷺ وفد نجران ستون راکبا فیهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة منهم کانوا اکابر القوم احدهم امیرهم واسمه عبد

المسیح والثانی مشیرهم وذو رایهم وکانوا یقولون له السید واسم الایهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم یقال له ابو حارثة بن

علقمة احد بکریین واثل وکان ملوک الروم شرفوه ومولوه واکرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فی دینهم فلما قدموا من نجران رکب ابو حارثة

بغلته وکان الی جنبه اخوه کرز بن علقمة فبینما بغلة ابی حارثة تسیر عثرت فقال کرز لاخوه تعس الابعد یرید رسول الله ﷺ فقال ابو حارثة بل انت امک

فقال انه والله النبی الذی ننتظره فقال له اخوه کرز ما یمنعک منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوک اعطونا اموالا کثیرة واکرمونا فلو امنا

بمحمد لاخذ منا کل هذه الاشیاء فوقع ذلک فی قلب اخیه کرز وکان یقیم الی ان اسلم وکان یحدث بذلک ثم تکلم اول ثلثة الامیر والسید والحبر

رسول الله ﷺ علی اختلاف من ادیانهم فتارة یقول عیسی هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ویحتجون بقولهم هو الله بانه کان یحیی الموتی

ویبرئ الاکمه والابرص ویخبر بالغیوب ویخلق من الطین کهیئة الطیر فینفخ فیه فیطیر ویحتجون فی قولهم انه ولد الله بانه لم یکن له اب یعلم ویحتجون علی ثالث

ثلثة بقول الله تم تعلمنا وفعلنا ولو کان واحدا لقال فعلت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا فی مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ

دعوهم فصلوا الی المشرق فقال رسول الله ﷺ اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلک فقال کذبتم کیف یصح اسلامکم وانتم تقولون لله ولدا وتعبدون الصلیب

وتاکلون الخنزیر فالوا فمن ابوه فسکت رسول الله ﷺ فانزل الله تعالی فی ذلک اول سورة آل عمران الی بضع وثمانین ایة منها ایة المباهلة ثم اخذ رسول

یناظرهم فقال السم تعلمون انه لا یکون ولد الا ویشبه اباه قالوا بلی قال السم تعلمون ان ربنا حی لا یموت وان عیسی فی علیه الفناء قالوا بلی قال السم تعلمون

ان ربنا قيم على كل شئ بكلاءة ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال فان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا اما يعلم انك لست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فهو ذلك نزل فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجئ في آية تلي هذه ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة على نظم عجيب وسنن غريب وذلك انا ولتلك النصارى كانت قبل لهم اما ان شأن عيسى شأن الاله او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تقرحي قيوم كامر في تقرير الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدروا على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع جوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني وهو قوله نزل عليك الكتاب بالحق كالمدعو وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل كتابان الهيان لا نزاع بينا وبينكم في ذلك وانما النزاع في ان ما فيهما من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل او لا يحمله على ذلك والحق هو الاول وهو قول فصل وليس بالهزل فقال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية وبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقولهم مجعل له عوجا قيما لوجد فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والتغيير انه تعالى بعث نبيا فلا زال يدعو الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرايع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مثلا في معنى التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضرة عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مشتركة بالقرآن وبالرسول دالة على احكامها ثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شك في ان القرآن مصدقها لان المباحث الالهية والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان لكتابين احدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتقاق باشتقاقها لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف لذلك فقال القراء التورية معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح ظهرت النار فقال اصلها وريه بفتح الياء والراء وهذا قلبت الياء الفا او تورية بكسر الواو تفعله مثل توفية الا ان الراء فتحت على الغلط فانهم يقولون في اديته باداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها ووريه فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل قال الزجاج فعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته اي انه تعالى اظهره لمحمد بسببه ابو عمرو الشيباني الى هنا انتزع سلمه بذلك لان القوم سموا به وافيه معنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين او الى الكتاب فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق وصفة التورية والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يعتدون بالقرآن فلذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك فاما ان يكون راجعا الى الكتب الثلثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قبل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال الى الملإ القوم وابن الهمام ولبث الكتيبة في المزدحم وقيل الى الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرايع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي الزام الاحكام المعلومة فهو اول الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له وبعث بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صحتها وبعد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الاهلاك والنبوات جعل المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى وكل من اعرض عن دلائل القرآن خصوص السبب بمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب لاحد لقدرته ذو انتقام لانتقام عقاب شديد بلا يقدر على مثله منتقم فالمنكر للمنعم وانتقامه اذا كافاه ثم بما ضاع فالغرض اشارة الى المقدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب لا لاول صفة الذات والثاني صفة الفعل وقوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه حي قيوم والقيوم هو القائم بامر الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكليات حاجاتهم وكيفياتها وجزئياتها

وكليا تها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على تربيتها والاولى لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات شار الى الاول بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ و
الثانى لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذى يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهى انما ادعى كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلى فالاجرم قال هو الذى يصوركم فى ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة فى الشكل والطبع الصفة بعضها عظام وبعضها اشرايين وبعضها عضلات ثم انه تعالى ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانى
واشرفهما القلب بل المزاج واشار اليها بقوله هو الذى يصوركم وروحانية واشرفها العلم فالاجرم اشار الى ذلك بقوله هو الذى نزل عليك
الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الاية على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى حيث كان يحيى الموتى وذلك على نوعين من الشبهة احدهما تعلقها
بالعلم وهو ان عيسى كان يخبر عن الغيوب وفى ذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما فين قال ان شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فمن العلوم بالضرورة من اجوال عيسى
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس بالله ولكن احاطة بعض الغيبيات لا يدل على كونها الها حتى
انه على ذلك بالوحى والالهام وان شبهتهم الثانية بقوله هو الذى يصوركم وذلك ان الاله هو الذى يقدر على ان يصوغ الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب معلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لاماث ولده
الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاما اماتة بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باطها بالله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة
البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات الشاهدة
الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقونا على انه ما كان لاب من البشر فيكون ابنا لله الجواب عنه بقوله ايضا هو الذى يصوركم
كيف يشاء لان هذا التصوير انما كان صفة فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وايضا قال الرسول انما انا عبد فقولوا ان عيسى عبد الله
ورسوله وهذا يدل على انه ابن لله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظى واللفظ محمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلى كان من باب المتشابهات توجب ردها الى التاويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذى انزل عليك الكتاب الاية فظهر بهذا ان شبهة النصارى
مجملة وكل شبهة الاوقد اشتملت هذه الايات على حلها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما فى الحس الحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل وهذا فايدة ضرب الامثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين
اجزائه واصله من صاد اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل بوبة الارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرفق والعطف كما سلف و
قيل سمى رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه ليعبده وكيف فى موضع الحال اى على اى حال اراد
طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وبه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفى فى كونها الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت اياته ثم قال هنا
اياته الكتاب الحكيم والمراد كون كله كاملا محكما فصيح الالفاظ صحيح المعانى وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوفائه بمبانيه بلاغة ومعانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كما بامتشابها مثانى والمراد انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض والتناقض ثم ان هذه
الاية هو الذى انزل عليك الكتاب منه اياته محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فنعنى
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه المقدار المشترك بين المجمل والمؤول كما تقدم فى المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
فى اللغة المنع ولهذا سمى اساور الكبير فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام يمنع الفرس من الاضطراب وفى حديث النخعى حكم اليتيم كحكم ابيه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغى واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يحترز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال الكل ما لا يهتدى
الانسان اليه متشابها الا فالاسم السبب على المسبب نظيره المشكل لانه اشكل اى دخل فى شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعى ان الاية
الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه
والسنى يقلب الامر فى ذلك وكذا المعتزلى يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسنى بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظى او عقلى والدليل اللفظى لا يكون قاطعا البتة لتوقفه
على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب على عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلى والعقلى
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه فى المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

الجزء الثالث

الراجح الى معناها المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما اشعر به ظنه وعند هذا لا يحتاج الى ان عرف ذلك المرجوح الذي هو المراد ما ذا لان السبيل الى ذلك اما ان يكون بترجيح مجازي على مجاز او ترجيح تاويل على تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعمل في ترجيح مرجوح على مرجوح اخر فاذن الموضع في تعيين التاويل باع بعيد والله اعلم المسئلة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الايات الثلثة في سورة الانعام قل تعالوا الى اخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرايع لان هذه الاوامر كلها لم تنسخ في شريعة من الشرايع والمتشابه هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل السور ولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم وقال ابن مسعود المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلالتها واضحة لا تحتمل كانشاء الخلق في قوله خلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كايات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلالة احتمالها والخفاء خلافه فذلك فهذا هو الذي ذكرناه من ان الحكم عبارة عن النص الظاهر والمتشابه المجمل المأول فان عنى ما الواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل والخفي ما عرف صحته بالتفكر والتامل فلا يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ابتداء يفتقر الى دليل عقلي فان الدهريين ينسبون ذلك الى الطبيعة والتجم الى تاثير الكواكب لعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط مفصلا ما ته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفة كالعلم بوقت القيمة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه قال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه الذي هو دينه الموضوع الى يوم القيمة بحيث يمسك كل صاحب مذهب مثبت الرؤية بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونافي الرؤية بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة بقوله يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي لذلك بقوله ليس كمثله شيء فكل منهم يجد في الايات التي هي المؤيدة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كل ظاهر جليا خالصا عن المتشابه بقيا كان اقرب الى غرض المجاب ان ممن كان سئل المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق صعبا شاقا وزيادة المشقة يوجب مزيد الثواب فيلقى لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب احد فقط فكان ينفر اصحاب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه لانتفاعه بما ذا كان مشتملا على التسعين تحي يطمع صاحب كل مذهب منها بتوهيمها ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه بعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات تخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيخلص من ظلمة التقليد الى ضياء اليقين والاستدلال الطائفة وافتقر بها الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والبيان واصول الفقه واصول الكلام التي هي مبادي المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي هو ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقايق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما هو هو ويختلوه محفوفا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف الحال من قبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب الام في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذاتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدا لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد وهو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله جعلنا ابن مريم وامه اية على معنى ان مجموعهما اية واحدة واخرى متشابهات اخر فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع بن انس وفد نجران حاجوا رسول الله ﷺ في المسيح فقالوا الست هو كلمة الله وروحا منه قال بلى قالوا فحسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوايل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في اخره وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فانه تعالى اخفاها عن الخلايق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون انتا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما اتانا به الملائكة فهو هو الامر على الضعفة قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل استحالة كون الاله مكانا والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا تسلسل فكون حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يتمسك لاياتٍ الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل اية يوافق مذهبهم فهي محكمة وكل اية يخالفها فهي المتشابهة والانصاف ان الايات ثلثة اقسام احدها ما يناكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

على امتناع

امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وقائلها الذي كان يوجد مثل هذه الدلائل على طهارته وثبوته وانتفائه فهو المشابه بمعنى الامر المشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الاخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه فيضبحسب تربته كل فريق وتخيله صادقا في ظنه مادة وصورة فكل فريق يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه فالكاشف الذي تعلق به فلا خلاص من البين الا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تقع بين الفريقين عرضيتان احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستعصاء بالشيء والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بامرأته وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه بقرينة البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا عاشقا له بحيث عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى القتال والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تاويله طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد جاء في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله ابتغاء تاويله ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فيقول هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتعمق بعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه اكثر من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دليل اقوى منه على ان ذلك اللفظ غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات ذلك الحقيقة وفي المجاز ان كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسائل القطعية مثال الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاستواء لا يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مرادا لله من هذه الآية بما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك ان السؤال عن الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية يدم اتباع المتشابه حيث قال واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون امنا به وقال تعالى في اول البقرة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فلو كان الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيئا على التفصيل فانه لا يدان يؤمن بانه من الراسخون في العلم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات الى لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مرادا لله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى شيء غير ذلك الظاهر فوضوا وتبين بذلك ان المراد الى علمه قطعوا بان ذلك الشيء اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء الراسخون في العلم بالله بحيث لم يزغ عن علمهم قطعهم بترك النظر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله الجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون امنا به كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون امنا بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عنده مزيد توضيح وتاكيد تفخيم لشان القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في امنا به الى الكتاب اي يقولون امنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يناقض كلامه لا يخالف كتابه يحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذلك الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان وقع عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك رحمة يسلوا ادبهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مايلة الى الاباطيل والعقايد الفاسدة ثم ينوروا قلوبهم بانوار المعرفة ويزينوا جوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال في القبر وسادسها في القيامة سهولة العفو والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة دفع الاستاد ورؤية الملك الجبار وفي قوله من لدنك تنبيه على ان هذا المطلوب لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل

علي بن ابراهيم

الجزء الثامن

منها يوقف على داعيته يفيشها الله تعالى فيذاد لو حدث بنفسها لزم سد باب شبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى الحكمات وهو ظاهر فان الازاغة والهداية تكليفهما من الله تعالى المعتزلة فقد قالوا الما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي الراد ان يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستقيم قلبهم على صفة الايمان وزيفت بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعله لذلك وجوبا لوتركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبلنا بتكليف يزيغ عنده قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على اذيات اي لا تفعلها اصبر عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر فانه تعالى في هذه السنة يريد عليه بانه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية فوجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يحفظهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا الدليل لغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت او جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه تصدى فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء ليتصف المظلومين من الظالمين والميعاد الوعدة والوقت والموضع فائدة الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كلما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الكفار دون وعيد الاولياء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعدت السراء اخرت وعده وان وعد الضراء فالعفو ما نعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعاد فهو مخير ايعاده كما هو مخير وعده فقال ابو عمرو وانك اعجمي لا تقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد وانى اذا ما وعدته او وعدني مكذب ايعادي ومخلف موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حوله ومن اسقط حق نفسه فعل في الجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم ان سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم تضرعا حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان اباحارثة بن علقمة قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول فالاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الاموال التي بها يفزع الى الفداء عند الخطوب واذا لم يفد فما وراء الفداء الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فانشاء بقوله اولئك هم وقود النار فانه لا عذاب اشد من ان تشتعل النار وفيهم كاشتعالها في الحطب اي بسببهم ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله اذ لن تغني نفس شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله واطاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وانشد ابو علي شعرا فليت فما من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيء ومن زائدة لتاكيد النفي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ يقال دأب فلان في عمله اي جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دائب وذلك دائبة اما الدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحاله وقد يحرك واصله من دأبت طلقا فالاسم الحاصل على القدم اي جد هؤلاء الكفار اجتهادهم وشانهم وصنيعهم في تكذيب محمد كفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى ثم ان اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك فعلنا بهؤلاء وقوله كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا

بالمجازاة

ا انه لا الالتفات في شرط عدم النوبة ح

التقدير ح

بالمجاز الدال على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المحسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كذاب الله فى فرعون اى يجعلهم الله وقود النار كعادته وصيغة الفرعون والصد يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال
يحتمل ان يكون الآية جامعة المضافة الى الامة والعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من تقدم
فى ايذاء الرسل وعادتنا ايضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤب الدأب اللبث والدوام والتقدير دءوبهم فى النار
كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه به هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم مثل ما لم تزل العذاب فى الحال عنكم فقد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذى عند لم ينفعهم مالهم ولا اولادهم فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فيزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغنى عنكم الامن
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انهم كانوا نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فيتزل بمن كذب محمدا من احد هذا المحن المعجلة من القتل والسبى والاذلال وسلب الاموال والبه الاشارة
بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثانى المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد والتاء والم الالف اظهار
الوحدة مظهرا ذاتا وصفة فان الالف واحد ذاتا وصفة فى وضع الحساب ومنفرد بالاولية والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف ولشبهها باستقلال
وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحدانى ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف
معوج ثم فى اللام المتصل بكل حرف منها بالاخر اشارات ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لم يزل كان ولا يزال يكون والبه الاشارة بالالف فاما اللام فالاشارة
الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك الاجساد وتوقعه فى المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه منسوب بالوجود
والالف سابق عليه لا انكسار فيه يشير الى تعززه وتوالده والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والاولى
وذلك ان الميم واحد من اسماء المبدئ واخر حرف من اسماء القيوم فيشير الى انه كما ابدا المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه اخر
الالف اشارة الى وجوب حقيقى قائم بذاته واللام اشارة الى اثبات ونفى فالاثبات لام التمليك له ما فى السموات وما فى الارض والنفى فى لا النافية اى لا
وجود لشئ ما بحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفى فى الاثبات اسم القيوم والنفى ما النافية اى ما فى الوجود حقيقة الا هو ودليل الوحدين
فى الم الله لا اله الا هو الحى القيوم فالله اشارة الى ذاته القديم ولا اله الا هو نفى الشريك عن وجوده واثبات وحدته فى وجوده والحى القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفى جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معانى هذه الآية فى قوله الم فمعنى قوله الله اودع فى اول حرف من حروفه
هو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع فى اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحى القيوم اودع فى اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما
اودع فى اخر حرفه ههنا ليكون السر موعا فى الآية من اول حرفها مكنونا فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من الهها دالا على
المعنى الذى هو فى الكلمة الاولى وهى الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذى فى الكلمة الثانية وهى لا اله الا هو والميم من اخرها دالا على المعنى
الذى مودع فى الثالثة وهو الحى القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا فى الم كما روى عن ابن عباس وهو القرآن وضمونه كما روى عن ابى
بكر وعلى ثم انه بعد ان اظهر اسرار الوهية المودعة فى الم بقوله الله لا اله الا هو الحى القيوم اظهر الطافه بوبية المكنونة فى اسرار العزة
مع حبيبه محمد فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجليا لسرك مخفيا عن غيرك نصرت مثبتا
لسر الله المودع فى الم وهو الذى بين بكل الله لا اله هو الحى القيوم فصرت مصدقا له بصدق بتحقيق لا بتصديق بتقليد فانهم انما تعلم
تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السباحين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلى انواره باسرار وحقايق بينك
لا يطلع عليه ملك مقرب لا نبى مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة فى صحائف الواح بقراها كل قارئ ويستوى فى هذا
الانبياء والامم فاطبته هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلى انوار القرآن بالتنزيل على قلبك بين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعليمهم الكتب فان كانوا يتدارسون الكتب فانت تخلق بالقرآن فشتان بين نبى يجئ وهو بذاته نور ومعه كتاب
فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبى يجئ وهو من الكتاب قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان
بين نبى تشرف بكتابة الموعظة فى الالواح وكتبنا فى الالواح كل شئ موعظة وبين نبى تشرف امته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم اولئك كتب
فى قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآياتنا لم يجب لغفلات وتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم
عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم فى خسران من الركون الى هذا الفضان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العزم ويذل المرام ويقيمهم
من اهل الصلوة بحجاب العزة ثم اخبر بتقدسه عن كل علة بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وكيف يخفى وانه هو الذى يصوركم
فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجرى من الازل الى الابد جفت به الاقلام وفى الآية اشارة الى

اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام في المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة او يجلب بحركة عنيفة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويبقى مادر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف في ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمر ور كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس وروائض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب هو طفل خلف الله ارضه فيستحق الاذان بنفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه ليلقى الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون ادم وقته فيسجد له ملائكة الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس الحكماء تنزيلها شرب الخواص والعوام البسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص من خواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ البست قلوبهم عطاء الريب وجموا انوار الغيب فهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا بها هواهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه بتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين حرجوا في مثابة النبوة من ظلمات قشور وجودهم النفسي الى نور لباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير في الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في المشاهدة بتجلي صفة الربوبية للذات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فبشهودك ذلك الشواهد دكن في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى وبذلك في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء كلها فلما اردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام ومن مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل واردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة بلى السفلى سافلين القالب محتجبة بحجاب البشرية فاسية تلك العلوم التي نطقوا بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرمز والقرائن حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجاب البشرية واستبشار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب قال بلى فان ذلك اللسان كان لسب هذا اللسان وهذا قشر ذلك كذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب ذلك الوجود والمستمع المجيب الميثاقي فمستمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي نقر خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبوة انما بعثت ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يتذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراط بعلبات ظلمات طبائعنا وطبائعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى بمعالب بمعالب التنزيل شاهدنا بلب ابصار قالب الناسوتي وبلى تذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهبنا من لدنك رحمة تجددنا من لدنا الى لدنك وتعيننا عن اياك نعبد لوقتنا وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طلابا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب الطالبين بعد هذه الدار دار القرار تتوفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر غاية الاد في الطلب مقاساة التعب النصب التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا سترا للانوار وروحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغني عنهم طاعوت اموالهم واولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة فالله الموقد التي تطلع على الافئدة نار الجحيم التي لا تحرق الا شقوا الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات حتى فوادي يحب نارها وهو آخر هذه نار الجحيم نارها وكذلك في جميع الكفار الذين سترا انوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فضاعفها بحجاب نوريتهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقها نار خوفي فوقي نقلبكم التار ترحم من في قلبه

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل

بگو مر انرا را كه كافرشدند زود باشد كه مغلوب شوند وبسوى دوزخ برده شوند وبد جايگاهيست جقيقت اين بشارتست مر دو طائفه را كه ملاقات كردند در وطائفه كه ملاقات كردند در راه جهاد وطائفه ديگر كه كافر بودند كه ميدانستند كه ايشان را دو چندان در باده نظر وهذا قوت دهد بياري خود هر كرا كه خواهد بجهت آنكه اين آيت اعتبار است صاحبان بصيرت را

في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

ايشان را ديدند كه دو چندان ايشانند بچشم سر

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام

آراسته شد مر مردمان را دوستي شهوتها از زنان وفرزندان وپرستيهاي پراز طلا و نقره واسبان نشان وحيوانات

والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم

وزراعت اين همه بهره زندگاني دنيا وهذا در نزد او هست بهتر بازگشت بلكه آيا خبر دهم شما را بهتر از اين مر آنرا كه پرهيزكرد وبترسيد از خداي

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين

بهشتهاست كه روان است زير آنها جويها جاويدان اند در آن وزنان پاكيزه وخشنودي از خدا وخدا بينا است به بندگان

يقولون

يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
میگویند که پروردگارا بدرستی که ما گرویدیم پس بیامرز گناهان ما را و نگاهدار ما را از عذاب آتش ۝ ان صبر کنندگان و راستگویان و فرمان برندگان و انفاق کنندگان
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
و استغفار کنندگان ۝ گواهی داده است خدا بآنکه نیست خدائی بجز او و فرشتگان و صاحبان دانش راست گان بعدالت نیست خدائی بجز او که غالب است
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
بدرستی که دین در نزد خدا اسلام است و اختلاف نکردند اهل کتاب مگر پس از آنکه رسید بایشان دانش از روی رشک و هر که کافر شود بآیتهای
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ
خدا پس بدرستی که خدا زود رسی حساب است ۝ پس اگر محاجه کنند با تو پس بگو که تسلیم کرده ام خود را از برای خدا و هر که متابعت من کرده بگو مر اهل کتاب را که داده شده اند کتاب را و بیسوادان را آیا اسلام
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
پس اگر اسلام آورند هدایت یافته اند و اگر روگردانند پس جز این نیست که بر تو رسانیدن است و خدا بینا است به بندگان ۝ بدرستی که آنانکه کافر شوند بآیتهای خدا و میکشند
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
پیغمبران را بدون حق و میکشند آنهارا که امر میکنند بعدالت از مردمان پس مژده ده آنها را بعذاب دردناک ۝ آنگروه آنانند که باطل شد کردارهای
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
در دنیا و آخرت و نیست ایشان را یاورانی ۝ آیا ندیدی آنهارا که داده شدند بهره از کتاب را خوانده میشوند بسوی کتاب خدا تا حکم کند
بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا
در میان ایشان پس برمیگردد گروهی از ایشان و حال آنکه ایشان اعراض کنندگانند ۝ این بآنست که گفتند نرسد ما را آتش مگر روزهای شمرده چند و فریب داد ایشان را در دین ایشان آنچه
كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلِ اللَّهُمَّ
بودند که دروغ گفتند ۝ پس چگونه است وقتی که گردآوریم ایشان را از برای روزیکه شکی در آن نیست و داده شود هر نفسی هر چه کسب کرده و ایشان ستم کرده نشوند ۝ بگو ای
ع ١١

وعباس مخبر الباقون بناء الخطاب ترونهم بناء الخطاب ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثلهم بضم الهاء سهل ويعقوب
وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل يجتبيهم راى العين بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد الاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون
بهمزة ساكنة او تنبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس ووقبة وابى شعيب ونافع غير قالون
أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد قالون وعباس وقبة وابو شعيب الباقون بهمزتين همشام بادخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان
الاعشى والبرجمى وافق يحيى وحماد الا فى من اتبع رضوانه فى المائدة ان الذين بفتح ان على الباقون بالكسر وجمى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر
غير البخارى عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمى من اتبعنى باثبات الياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو
ابو جعفر ونافع غير قالون فى الوصل ويقاتلون الذين همزة ونصير رواية على بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر
الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط التهاد القنطار لان التقدير منها فنذا واحدا منها العين ج لابتداء الاعراب والحرث ط لابتداء للفصل بين
القبيحين مع اتفاق الجملتين المآب ج لاستئناف الاستفهام من الله ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتداء محذوف اى هم الذين
او مدحا على اعنى الذين ويجوز ان يعتبر للعباد او للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف جائز نصبا على المدح بالاسحار ط لان الا
هو ط للعطف ولو وقف جاز اذ اعتبر هم دخول الملائكة واولو العلم فى الاستئناف والشاكر فى الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الاسلام ج
ان بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط لاختلاف حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ومن اتبعن ط لابتداء امر يشمل اهل الكتاب والعرب والاول
مختص باهل الكتاب فلم يكن الثانى من جملة اجزاء الشرط اسلمتم ط لتناهى الاستفهام الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف البلاغ ط
بالعباد بغير حق ونقتلون قرأ ويقاتلون لعدم الفصل بمعنى من قوله يقتلون النبيين والاخرة ز للابتداء بالنفى مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون
معدودات نصب لان الواو للعطف والحال يفترون لا يظلمون التفسير عن ابن عباس ومن رواية ابى صالح عنه قالت احبار اليهود وعلماؤهم
قال نبى من المدينة هذا والله النبى الذى بشر بنا ابن موسى نجده فى كتابنا بنعته وصفته وانه لا يرد له راية ولا ولد وانه تصديقا بنا عنهم قال
بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد نكب اصحاب رسول الله شكوا فقالوا والله ما هو به فلما غلب عليهم الشقاء فلم
يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد فانطلق كعب الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكة ابى سفيان واصحابه فنزلوا
واجمعوا امرهم وقالوا لنكونن كلنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية قال محمد بن اسحق بن يسار فى رواية عكرمة وسعيد بن
جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر اليهود اسلموا قبل ان يصيبكم الله مثل ما نزل
بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا انما محمد لا يغرنك انك

لقيت قومًا اغمارًا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لئن لقيتك لتعرفن انا نحن الناس فانزل الله قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يعني اليهود سَتُغْلَبُونَ تهزمون وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ في الاخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم وَبِئْسَ الْمِهَادُ وقيل لهم مشركو مكة سَتُغْلَبُونَ يعني يوم بدر من قرأ بناء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر اي لفظا وارادة ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي قل لهم قولك سَتُغْلَبُونَ وفي الاية حجاج اللفائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو امنوا واطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله سَتُغْلَبُونَ وقد وقع كما اخبر اخبارًا عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي ﷺ نظيره في حق علي ﷺ وانكم باكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التقتا يوم بدر فئة احدهما جماعة تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا مع كل اربعة منهم بعير يعتقبونه والمعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا ومنها ان ذلك ابتداء غزاة في الحرب لهذا اول غزوات رسول الله ﷺ وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا بضعمائة وخمسين رجلا وفيهم ابو سفيان وابو جهل ومعهم مائتا فرس تجر اهل الخبر كلهم دارعون وكانهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى وَاذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ يعني قريشا وعيرا لابي سفيان وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجزة وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة ورابعها قوله يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ وفيه احتمالان لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رات المسلمين مثلي عدد المشركين وترتيبا من الضمير الثاني انها رات المسلمين مثلي عدد المسلمين ستمائة وبضعا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بناء الخطاب اي ترون ايها المشركون المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمال جميعا ان عود الضمير في يرونهم الى الاقرب وهو الفئة الكافرة اولى لانه سبحانه جعل هذه الحالة اية لهم كما رجح خاطبهم بقوله قد كان لكم اية فوجب ان يكون الرائون هم الكفار حتى تكون حجة عليهم لو كانت الاية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان بها يتم المشركون ويجتنبوا عن قتالهم هذا لا يناقض قوله في سورة الانفال وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في الفلذة واظهر والاية لا احتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيون هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين في السبب فيه ما قرر عليه سرهم من مفاوضة الواحد الاثنين في قوله تعالى إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ والكافرون كانوا قريبا من ثلثمائة امثالهم فلو راوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع ان يكون رائوهم المسلمون ثم انهم راوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والاية تنافي ذلك وفي الاية احتمال خامس وهو ان الاية قد بينا انها خطاب مع اليهود فيكون المراد ترونهم ايها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وفيها بحث وهو ان الاحتمالين الاولين الثاني يقتضيان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون الموجود الحاضر غير مرئي بالاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من شاهد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه يخاف الكثرة لكن قوله راى العين لا يجاب ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائز الا واجبا والزمان زمان خوارق العادات واما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشرائط وسلامة الحواس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض ولعل الغبار حال عن ادراك البعض وخلق الله تعالى في الهواء اصواتا وغبارا عند رؤية تلك العساكر او يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين كل ذلك محتمل وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم احد إِنَّ فِي ذَلِكَ الذي ذكره من الاية لَعِبْرَةً نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لِأُولِي الْأَبْصَارِ ذوي العقول التي تبصر القضايا بامعانها كالمشاهد للعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لعبرة الانسان وهو انه زُيِّنَ لِلنَّاسِ للذات الجسمانية والاخرة وهي عالم الروحانيات خير وابقى انها معدة لمن واظب على العبودية وانصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فاعلم انا بينا ان باعث من علمه الضمائر باعز ولا حبيب له يعرف صدق محمد ﷺ الا ان يتبعه من اتباع حب الجاه والمال ودوينا ايضا انه تعالى انما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهر وامن انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدة فبين الله تعالى في هذه الاية ان تلك الاشياء متاع الدنيا ودنيئها والاخرة خير وابقى هو الله تعالى عند الاشاعرة فلا خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند المعتزلة فالحكمة الابتلاء اذا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى منافع الاخرة وهو ان يتصدق بها او ينتفع بها

على طاعة الله واشتغل بشكرها كان الصاحب عباد يقول شربت الماء البارد في الصيف فتخرج الحمد لله من بين قلبي ولساني فاذا ذكرها واقبل على اداء وضايف الخدمة كان شغله واكثر ثوابا وهو الجائي واختاره القاضي ان كلما كان واجبا او مندوبا او مباحا كالتزين فيه من الله نعم وكل ما كان حراما فالتزين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك فاحتجت به الاية بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات فان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القفال في تفسيره وجها اخر وهو ان هذه الغاية لا يبلغ الانسان جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذم للشيء لا يكون مرغبا فيه قال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مرغبا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محرصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدور مقدور وللموجود جاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مستلذة عند الحكماء مذمومة من اشتهاها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الاية دليل على ان الحب غير الشهوة لان الحب يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من افعال العباد فهي ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه بحيث يحب ان يحبه يعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام اني أحببت حب الخير ومعناه احببت الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات تقريب من ذلك كان يعتقد الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام في جميع الناس لا شك انه موجود في الاعم الاكثر الاوقات فلا التعميم فظاهر العطف للاغلب حكم الكل على ان من همته يجوز ان تكون مصروفة على طلب ابواب الروحانيات في غاية الندرة وبقاء ذلك الناذر في جميع الاحيان على ذلك الخاطر عزيز امتنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هي لا نهاية لها في نفسها وهي الاناث لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال ان لاحوف الخاص على امتي النساء لثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النساء والاولاد كانها غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوان فالثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ما خود من عقد الشيء واحكامه من القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يثق بوثوقها في عقد النوائب ابو عبيدة وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملو مسك توزن من ذهب او فضة وعن سعيد جبير نحو مائة الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة بدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثمائة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فالكل مالك لجميع الاشياء وكل العبيد يوجد في الغرب ولا الثقة تقلت جلت قدرته ووصفه بالكبرياء هي القدرة وانها صفة كمال والمحبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو وجولانها في مشيها ويسمى الخيال خيلا لاجولان هذه القوة في استحضار الصور المسومة قيل المرعية يقال سامت الدابة وسومتها اذا رسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازداد حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة فعن ابن عباس الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية قيل الكي وجاهد عكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي رجل مطهم تام كل شيء على حدة فهو رابع الحال السادسة الانعام وهو جمع نعم هي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجمل الواحد نعم الا بالاضافة فانها غلبت عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك اشارة الى ما ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه او من غيره والاول اصله هو المراة وفرعه وهو الولد وانما قرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من الحيوانات واكثرها فائدة واعمها عائدة الجمهور الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الجمادات وهي اما ان يكون من المعدنيات واكثرها يكون من النباتيات والحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب الامم والقلة عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن افضل من هذه الدنيا والمقصود بعلم العبد انه كما ان الدنيا طيبة وافعة من بطن الام فكذلك الاخرة افسح واوسع من الدنيا والله اعلم ثم ان الدنيا اقل منافع الاخرة خيرها فقال استفهاما على سبيل التقرير أؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددناه ثم استانف ببيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل لكم على خبر خير من فلان عندك رجل من صفته كيت وكيت بيان الخير بتمامه ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النفوس تعشق فوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن تكامل طيبها الا بالنساء فهن يحصل الانس ثم وصف الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد كونها هو فوقها تمام النعمة ذكرها هو فوقها تمام النعمة فقال ورضوان من الله وبندرج في جميع المطالب المقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى صار منصبا جليلا منه على وكان المولى ما يملكه للعبد كما ان العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم

حب الشهوات

هم المنفقون بتقدير تفعل جنات على الخبر اى هو جنات وبعضهم قراءه بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثابت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب ما يختفى او بصير بالذين دعوا بهذا القول فلذلك اعدهم الجنات الذين يقولون ربنا انا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح وبكر ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل له اظهارا للذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع فى حيز القبول فعلى المتقى ان لا يتكل عليها ويلتجئ الى الله تعالى بموجب الغفران ثم عد تعالى من صفات عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى فى اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف جماعة على الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر لله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال فاى شئ قال الصبر عن الله ففرح الشبلى صرخ كما يفعله الصادقون وحد الصادقين اى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر عليهم تاثير بشروط مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر جدوا فى الدعاء والاستغفار هذا لبلهم وذلك لهارهم فلا استغفارا بالاسحار مزهرا ثمارا وانوارا كان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض للذة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيشتبه قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطائف ما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل اداء جميل التكاليف ثم الانسانى قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه لئلا الصادق من يخرج عن عهدة ذلك يجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات من محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع الحضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصر المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم فقالا وانت احمد قال نعم فقالا انا نسئلك عن شهادة فان اخبرتنا بها امنا بك صدقناك فقال لهما رسول الله سلانى فالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله وجعلا ينظران اليه ويقولان ربنا امنا فاثنى الله عليهم بقوله ربنا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان يكون كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق الملائكة وفى حق اولى العلم اما من الله فذلك لانه اخبر فى القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسى وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جايز لان العلم بنبوة محمد لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق دلائل على ذلك والملائكة واولى العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالشهادة انما وقعت فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى ان وحدانية الله تعالى قد ثبت بشهادة الله وبشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين المنهج القويم لا يضعف بتخالف بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام واما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده شهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى على الصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى الوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه لما شاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشد غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو الملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا وجه لان الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدل فمثل هذا البرهان عطف الا ارجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى اداء هذه الشهادة الثانى ان يكون صفة للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد بينا هم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

كقوله شعرًا وأوفى بنوءٍ عُلَّقَ النجمُ طالعًا ؛ مراضيع ومثل السعي ؛ وسعني كونه قائمًا ما بالقسط قائمًا بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن
الاستقامة او مقيمًا للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من اضداد بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و
عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات
العليا ومركوز العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عمومًا او خصوصًا فكل
ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح واجب ان ينسب تلك الى قصوره فيها فعلى هذا خاطبه الله تعالى بسلسلة الاسباب
والمسببات والمبادئ والغايات فانظر في كيفية خلق اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلق العناصر و
احرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة
والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق مستعد الادراك تفاصيل كلمات
الله فالخوض في الخوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه ومملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه و
لارادته وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده ومخالقه يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدل عنه مراء والجدال فيه هراء ومن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو
الجائر لا على غيره بل على نفسه لانه لم يعرف بجهله وقصوره ولكن ينسب تلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال
الى ابد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته واراده فقد كذب ابن اخت خالته
لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر ومضمون الشهادة وقال لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد
صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل على حدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله فيه يقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق
شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلم بان هذه الكلمة يجب تكريرها المسلم ما امكن ؛ هو المسك ما كررته يتضوع ؛ ثم اكد
كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد
والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم
الطاعة سمي الدين لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم والاستلام والدين في اللغة الجزاء ثم
خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي وهو المراد ههنا ويدل على ان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا صفة من الصفات
كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به نهاه عنه فانه عدل محض وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا
منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عن البصر بين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله
الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل
على هذا الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الباء وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم
ما قصروا الا لفصورهم وتقصيرهم وقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب فاته سلم التوراة الى يوشع
رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف بناء السبعين بعد ما جاءتهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا
على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءتهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو
انه قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن حق والنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم العلم اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد فالآية
تفسير الكبيرة ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عذاب فاعلها ومعاصيهم وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه
بجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله في محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه في
العمل وقيل اي اسلمت وجهي على الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما يصدق من الاعمال الا الوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد له لا لصيته وحكمه
وقيل المقصود والتقدير اسلمت نفسي لله ولدين في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن
اتبعن معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت لحسن الفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا العرض
عن المحاجة لانه كان قد اظهر المعجزات كالقرآن ودعاهم وكلام الذئب وغيرها وقد مر في هذه السورة ابطال المعتزلة على اثبات نبوة محمد ثم

بين نفي الضد والند لصاحبه والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد ذكر المحتج الخوض مع المبطل المصر في آخر كلامه وثانيها ان قوله اسلمت تحاجة وبيانا ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال لهذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه داعي الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابرهيم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك بالاقرار الداخل تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر فائدة التعبير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن محضت له المسئلة ولم تزل تجهد في سلوك طريقة الكشف والبيان له هل فهمت فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هداك الله اليه والى الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام والى اتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على الطريق الارشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولي بصفات ثلث واوعده بوعيد واحد فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي ببعضها لانهم قالوا ان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه شئ من العناد وبكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان التكذيب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها او يقتلون النبيين اي المعهودين لانهم قتلوا كلهم او الاكثر هم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس في الاية دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر بمنزلة عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله فقال اي الجهاد افضل فقال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا اقل من الحال لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا لهؤلاء من بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله والمؤمنين جميعا الا انه تعصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القابل او يقول صفوا قبيح اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفا للضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الاهلاك والمكاره عليهم هو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فبذل المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك لهم وهو قوله وما لهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب روي ان رجلين من يهود فدك اتيا رسول الله فقال لهما بعد ما دعاهما الى الله فقال لهما نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف يجئ القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي اولا الى الاقرار بالتوحيد ثم الى الاقرار بنبوته من التورية ومنها ومن الانجيل فابوا قرات معنى قوله اوتوا تبعيضيا اي حظا واذا من العلم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض او اما للبيان والكتاب هو جنس الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعجب سوء من تمردهم واعراضهم وانما توجه التعجب اذا تمرد واعرض حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي بين المحقين والمبطلين او بينهم وبين رسول الله فحذف الثاني للعلم به وجواز الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا راجعوا في ذلك رسول الله رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه انه اراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله لان الاختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار اي الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي فهم معرضون قوم لا يزال الاعراض يدبنهم وهجيراهم وشعارهم في هم اما ان يرجع الى الفريق الذي هم جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما

ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد صف العلماء والرؤساء بالتولي والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومقلديهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب اي هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق فذلك التولي والاعراض او ذلك لعقاب الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون في امر العقاب لا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هي ايام عبادة العجل فاستوجبوا باللزوم من وجوه احدها استقصار مدة العذاب من اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودة فقط دليل على انهم استمروا تكذيب محمد والقرآن ذلك كفر صريح وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم في هذا الحذف فخامتها كيف من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخمسين معناه جمعوا الفعل يوجد في يوم الخميس ما اذا قلت جمعوا في يوم الخميس فلا تضم فعلا وانت من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين الثواب والعقاب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب وجزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس ترديد ثلثة انا سوى ان اولى الآية ترفع لاهل الموقف من ايات الكفار وآية الهيهم فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار والتاويل ستغلبون اشارة الى ان المثل للكفر مغلوب لحكم الازل بالشقاوة وتبنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس الشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس الهوى يرد الى اسفل سافلين الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فتعرضهم وبئس المهاد مهاد مهده في معاشه قد كان لكم آية في فئتين التقتا ان الله تعالى في الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين في الباطن من القلب في صفاته والنفس في صفاتها الذميمة وانها الحرب الا التقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر فالله يؤيد بنصره من يشاء من الغلب في جنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس في علم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام وبعبر عنهم بلفظ الناس الغالب عليهم الهوى وهم اصحاب النفوس والخواص يذكرهم بلفظ الولي الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبعة دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد بالقضايا المنظرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجاه والاشتاء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا انا امنا والصبر الصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار وهذه جنات عاجلة تجري من تحتها الانهار والاطلاق والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلوا لهم الدنيا ترى على اولياء ولا وبقوا عند جنة المأوى زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه السرمدي على ذاته الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كل العرجين كالعرجون القديم لا عين ولا اثر ولا عقل ولا وهم ولا غير ولا شر ولا عرش ولا فرش ولا جنة ولا نار ولا ليل ولا نهار ولا انس ولا جن ولا الا ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فالذي كان كما كان ولا كان كما كان وهو الآن لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفتقر ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ماء التوحيد القديم يجري في مجاري نهاء المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولوا العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بمشربة ذوقهم كلمة التقوى فكانوا احق بها واهلها لتكرار ان والمنة فان لكل شئ خصصته بهم من بينهم وحكمة تحقيقه معنى الآية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى اولي العلم الذين لهم شركة مع الملائكة في مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربة لماء التوحيد فشاهد واحقيقة لا اله الا هو العزيز الذي لا يشاهد عزته الا عزيز من بين البرية الحكيم الذي بحكمته اختارهم لهذه الغرة من جملة الخليقة فاختلف الدين وتوالى الكتاب لاختلاف في الصورة من نتائج تناكر الارواح في عالم المعنى والارواح فما تعارف منها في الميثاق لتقاربهم في الصف الاول تلفها بلهم المنزل يتلف مما تناكر منها لتباعدهم في الصف ولتدبرهم المنزل لا تختلف الا من بعد ما جاءتهم العلم فيان العلم مظنة الحسد لكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة ويقولون التبيين الانسان خلق مستعد للفول فيفرض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان في قبول فيض اللطف ان يفدى نفسه متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فتقصانه في قبول فيض القهران يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا لم يحط العالم الا برحمة توبته بلبل الى الدين وتوالى تنبيها من الكتاب فيه اشارة الى ان من اولى نظام من العلم فعلية القادر على الحكم من حكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمثل ميتا فالا ان كان مغرورا للدنيا الدنية وهذا مثال الكثرة من اولى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل العزة بالله فكيف حال المغرور بن اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

الجزء الثالث

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي
کہ خواہی وخوار کنی ہر کرا کہ میخواہی در دست تست نیکی بدستی کہ تو بر ہر چیزی توانائے درمیان کنی شب اندر روز ودر میان کنی روز را در شب وبرون آوری زندہ
من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل
از مردہ وبرون آوری مردہ را از زندہ وروزی دہی ترا کہ خواہی بے اندازہ فرا نگیرند مؤمنان کافران را دوستان بجز مؤمنان وہر کہ کند
ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
اینرا پس نیست از خدا در چیزی مگر آنکہ بترسید از ایشان ترسیدنی وبترساند شما را خدا از خود وبسوی خدا ست بازگشت بگو کہ اگر پنہان دارید آنچہ در سینہای شماست یا علانیہ
يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من
میداند آنرا خدا ومیداند آنچہ در آسمانہا وآنچہ در زمین ست وخدا بر ہر چیزی توانا ست روزی کہ بیابد ہر نفسی آنچہ را کردہ از خوبی حاضر آمادہ وآنچہ کردہ است از
سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
بدی دوست دارد کہ بودے میان او ومیان آن روز زمانے دور ومیترساند شما را خدا از ذات خود وخدا مہربان ست بندگان بگو کہ اگر میباشید کہ دوست دارید خدا را پس پیروی کنید مرا تا دوست دارد شما را خدا
ع ١٢ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم
ویامرزد شما را گناہان شما را وخدا آمرزندہ مہربانست بگو کہ اطاعت کنید خدا را ورسول را پس اگر روگردانید پس بدرستی خدا دوست ندارد کافران را بدرستی خدا برگزید آدم
ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين

نوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران
ونوح را وآل ابراہیم را وآل عمران را بر جہانیان فرزندانے کہ بعضی از بعضی اند وخدا شنوندہ داناست
على فعيل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غاصم غير الجعفي بكسر وحاد الباقون بالتخفيف على فعل منهم بتقديم الكسر على الفاء وفتح الياء وتشديدها ابو بزيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون بقفاة بضم القاف وفتح الفاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف ومن تشاء ط للشاهي الجملتين المتضادتين معنى الجملتين مثلها وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ج لاحتمال الليل للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب المؤمنين ج لتقاة ط نفسه ط المصير نصف الجزء بعلمه الله ط وما في الارض ط قدير محضرا ج لاحتمال ما بعده الوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء تود لو ان بينها ط بعيدا ط نفسه ط بالعباد ذنوبكم ط رحيم والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ج العالمين ج لان ذرية بدل من بعض ج عليم ج لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين اي يسمع دعاءها ويعلم رجاءها حين قالت واصطفى ال عمران وقت قولها ولاحتمال نصب باضمار اذكر التقدير انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم بذلك طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التجميد والتعظيم فقال قال اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن ياء يا وانما اختص تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم بدخول حرف النداء عليه مع كلام التعريف ويقطع همزته في يا الله عند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففوا الهمزة من امنا وزيد ان التقدير لو كان كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من تخفيف الهمزة واثبات حرف النداء واجيب بانا لم نوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيئا اكرمه في التعجب وما لك للملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء بالله كالوصف كما لا يوصف كل اخوانه من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هذا هناه ويا نومان وما يلكعان وقيل اجاز المبرد نصبه على اللغة كما جاء في يا الله عن ابن عباس وانس بن مالك ان رسول الله ﷺ حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ﷺ ملك فارس والروم هم اعز واصنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمر بن عوف ان رسول الله ﷺ لما حفر الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا وحفروا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله ﷺ ليخبره فاخذ المعول من سلمان فضرب ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبر جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت ﴿ وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس والروم وهو رجل من العرب عليها وامره بذلك ليدل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلوق في كل ما يقدر عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك في نفسه والذي يقتدر على مقدوره ويملك كل ما يملكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي قسمته له واقتضته حكمتك فالاول عام والاخير بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على بواطن الخلق والحباة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد وان

المؤمنين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا بعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم ولا يزال هذا القرآن على جهل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد ردنا في تفسير قوله تعالى الذين يكفرون ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى عليهم جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه ينزعه عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الكافر الى نسل من بني اسرائيل ووضع في العربي بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتولى من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومثله وكنتم في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في سالف من الدهر حتى يصح العود اليها وقيل المراد من الملك السلطان الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه على الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا لا مضطرا ومطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل ذي اقبال وقد رأينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وهوانا فعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المنقلب لكل احد بحتى حصول الملك الدولة النفيسة لا بد له فلم يبق الا ان يكون مرتبا لاسباب فاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور لو كان بالجعل الغني لوجد بعض نجوم اقطار السماء تعليق بالكن من رزق الجم حرم الهم حيدان مفترقان اي تعرق وعلى القضاء وكونه بؤس للبيب لمن يعيش الاحمق وكذا الكلام في نزع الكل الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه عن العادل المصلح تقتضيه ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب يا الله ملاك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدك فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى الله عز وجل يعطفهم عليكم وهذا كقوله كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك القلوب والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص فنعم من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده وهو الاذلال كذلك الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الباطل والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب ولقاء الهيبة في قلوب الخلق وكان ذلك بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يدغيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تنبيها وايماء لك على ان عموم ادلة كون جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخبر الذي يستوفيه المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير وكلما اخبر وكان القادر على ايصال الخير قادرا على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني والاخر ازيد لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير وكان الخبر يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير توجيه الليل في النهار وتوجيه النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه بانى بالليل عقيب النهار وفي ليس الدنيا ظلمته بعدان كان فيها ضوء النهار ثم بانى بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاولى في اقرب اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه فيخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر ومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس والنطفة يسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحب ومثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله وقوله لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اولياءه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الذال الساكنين قال الزجاج رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر وقوله من دون المؤمنين يعني انكم في موالاة المؤمنين هذه حتم عن موالاة الكافرين فلا تتوروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود وباينوهم ولئلك النفر الامر باطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلف اليهود وكان يدنيا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله اني مبرأ من حلف اليهود وولايتهم واستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في ايات اخر كثيرة لانه اصل عظيم في الدين وبطانة الرجل من يداخله في امره ونهيه ومنه لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا يجدونكم ولا يألونكم خبالا يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن موليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه والثالث

كالمتوسط بين القسمين وهو لكون اليهم المعونة والمظاهرة لقرابته وصداقته قبل الاسلام او غير ذلك وهذا قال مقاتل نزلت في خاطب بن ابي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة للكفار مكة مع عنفاد دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه هذا من ابن بحره الى استحسان طريقة والرضاء بدينه حتى يحضه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد وقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من ولايته ومن دينه شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا امر معقول فان الموالاة الولي مواالاة عدوه ضدان قال تودون عدتهم تزعم انني ... صدقت لكن انول عندك بعازب قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفوق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب لهما ان اذا ان يعم الحكم لا بد له ان يزيل عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقية قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل تخم تخمة وفاوها واوكراث فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا وتخافوا وهذا عندي ممن يحمل ان يكون التقاة والتقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير وبمعنى ان يخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه ورخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قتل العصاة واظهار الطوية كقول عيسى كن وسطا وامش جانبا اي لتكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله والتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كلامه ما يقول ما امكن فان التقية ياثيرها في الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل المازري والحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله ﷺ لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله ﷺ قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال اتشهد ان محمدا رسول الله ﷺ فقال نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه فقتله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدق فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الاية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما يجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ان يكون التقية فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جايز البتة ومنها ان الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين ومنها انها جايزة لصون المال على الاصح كما انها جايزة لصون النفس لقوله ﷺ حرمة مال المسلم كحرمة دمه من قتل دون ماله فهو شهيد لان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الافتصار على التيمم اذا بيع الماء بالعين قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروي عوف عن الحسن قال التقية جايزة الى يوم القيمة وهذا ارجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الزجر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي نهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمايركم لان القلب في الصدر فجاز اقامة الظرف مقام المظروف ويبدوه يعلمه الله يتعلق به علما لا نحن ثم استانف بيانا شافيا فقال ويعلم ما في السموات وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد الترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال ابن الانباري وقف قوم على المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وحضر ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام مما يتناوله قدرة الله تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه يود والضمير في بينه لليوم اي يود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها كما كانت اوزمانا والمقصود تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان ما كتب في صحف العمل من الصحائف حاضرا ويكون جزاؤه محاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه احتمل ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدا من الصلة والموصول تود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاءه وهو قليل كقوله وان انا مخيل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحملها على سوا الا ان الحمل هنا على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد وعبد الله رؤوف بالعباد قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه عرفهم كمال علمه وقدرته بهم لئلا يهملوا ولا يعملوا ودعهم في استيجاب حذرهم من استحقاق غضبه يجوز ان يراد انه رؤوف بهم حيث انهاهم للتوبة والتلافي او هو وعيد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ومحذرهم نفسه فهو رؤوف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان بالرسول من طريق اخر سوى طريق التهديد بالتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم قوم على عهد رسول الله ﷺ انهم يحبون الله فقالوا انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا اذا انها الشوف وهم يسجدون

لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وذكر الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس في متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه
وترك المحبوب في الاعراض بالكلية عن غيره وقدم في قوله تفسير والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الاخرة بالاثابة على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون الثناء الاولى محذوفا وندخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله
لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفو وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عليهم السلام مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما الظاهرة فقوله عليه السلام زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري فهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابرهيم عليه السلام وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي عليه السلام تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف من مسيرة ايام وقال عليه السلام ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندر وفيه نظر اذ لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل عجيب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل النار في ملائمة اللاعجاز والخاصية او دعها في
المنافي حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي عليه السلام علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي وعروج عيسى الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس واكمل ولهذا
بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من
البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القران دل على ان اول الاشياء صطفى الله وخليفته ثم انه وضع كمال
القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم عليه السلام شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية المحمدية وجعل اسحق مبدأ الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بال ابرهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله ثم وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل ممن سوى ادم بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم
كانوا متولدين من ادم وقيل يعني ان الامرين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان

اصطفى ادم

الجزء الثالث

سليمان بن داود بن ايشا ابن يهوذا بن يعقوب اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما اخرين وكذلك بين ايشي ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اولى لكلام تشريفا للمرسلين واخره تهديدا للمبطلين كما قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف الثاني وبالطالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كأنه يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فانتا واعزنا فانه مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير توج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحياة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت من الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا تتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من نوار الله والطافه في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة احذروا من هلاك النفوس فان النفس مركب الروح فتواسوها كيلا تتحير عن السير والوصول والطالب في الطريق من شدة الرياضات كثيرة المجاهدات فيحذركم الله نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق فمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في الارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت من اثر الخير والشر ظاهرا من ذات المرء وصفاته ويحسب ذلك بيض وجه قلبه وسوده ولكنه في غفلة منه هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لذعته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن اهوال القيامة في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات ومحبة الحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب تابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لنا بوالاعمال الذين يطمعون جزاء على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هو يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا لانه اهل لذلك كما قال بعضهم احبك حبين حب لهوى وحب لانك اهل لذاك ويضطرهذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجمال على السرمدية قال شعرسا عبد الله الا ترجوا مثوبة لكن تعبد اعظاما واجلالا والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان مركبة كنز مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية فذدنيا بالمحبة يوم قالت الدنيا ائتيا طائعين ؛ وحقيقة هذه المحبتان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بالهوى كان النار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بالهوى فاذا لله ولا لذة واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تقوم من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تنفك في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب بغيره فلا يتحقق في الكون الا الله فاذا قرأ القارئ بين يدي الشيخ ابي سعيد ابي الخير قوله يحبهم ويحبونه فقال يحق بحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعة الصانع اذا مدح صنعة فقد نفسه في الغرض ان محبة الله للخلق غائدة اليه حقيقة لا انها لما كان مردودها على الخلق بحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا بما هو اهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف فلذلك تعلقت بالعوام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فيقبلهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يحسنكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخواص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فيقبلهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يتجلى صفات الجمال فيغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني تبدل الوجود يحببكم الله يحسنكم بجذبة من جذباتي الى نفسه يغفر لكم ذنوب وجودكم فيحجركم عنكم ويثبتكم بي كما قال اذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين رؤية المحبوب وعلم الاثبات احياء غير اموات اي يكون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدد رة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ما من هو تشريف وتخت فيه من روحه فهو المظهر لجميع ما به وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم ثم ذكر خواص كل واحد من نوحا والى ابرهيم آل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت

بهم ميطرون وبهم ميرزقون چون گفت زن عمران پروردگارا نذر كردم ازبراى تو آنچه در شكم من ست آزاد كرده ازبندگى من پذيرا از من بدرستى كه تو

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ

شنونده دانا است پس چون که نهاد حمل که گفت که پروردگارا به درستی که من نهادم حمل که دختر و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست جنس نر مانند جنس ماده و نام کردم

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

و من پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگار او بقبولی نیکو و تربیت او را بپرورشی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت که

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

در آمدی بر او زکریا بر محراب یافتی نزد او روزی گفت که ای مریم چگونه شد ترا این گفت که آن روزی نزد خدا است به درستی که خدا روزی میدهد هر که را خواهد بی اندازه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

آنزمان خواند زکریا پروردگار خود را گفت که پروردگارا بخش مرا از نزد خود فرزندان پاک نهاد به درستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان و حال آنکه او ایستاده نماز

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

در محراب که خدا مژده میدهد تو را بیحیی باور دارنده مژده از خدا را و پیشوا و پارسا و پیغمبری از شایستگان گفت پروردگارا از کجا

لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

مرا فرزند شود و حال آنکه دریافت مرا پیری و زن مرا نازاست گفت که اینچنین است خدا که میکند هر چه خواهد گفت پروردگار قرار ده از برای من گفت آیت تو گفتگو نکنید با مردم سه روز

إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ وَقَرَأَ نَافِعٌ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِمَا وَضَعَتْ عَلَى الْحِكَايَةِ بِإِسْكَانِ

مگر بطریق نمز و یاد آور پروردگار خود را بسیار و بجای آور او را شبانگاه و بامداد و قرأ نافع و ابو جعفر و ابن عامر بما وضعت علی الحکایة باسکان

وَنَافِعٌ وَكَفَّلَهَا مُشَدَّدَةً عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَخَلَفٌ الْبَاقُونَ خَفِيفًا زَكَرِيَّا مَقْصُورًا كُلُّ الْقُرَّاءِ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَخَلَفٌ وَعَاصِمٌ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ وَحَمَّادٌ وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ

وَحَمَّادٌ بِالْمَدِّ نَصْبٌ هَهُنَا الْبَاقُونَ بِالْمَدِّ الرَّفْعُ فَتَادَهُ بِالْيَاءِ وَالْإِمَالَةِ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَخَلَفٌ الْبَاقُونَ فَتَادَتْهُ بِتَاءٍ سَاكِنَةٍ حَيْثُ كَانَ مَخْفُوضًا قَتِيبَةُ وَابْنُ ذَكْوَانَ أَنَّ اللَّهَ بِكَسْرِ الْأَلِفِ ابْنُ عَامِرٍ حَمْزَةُ الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ بِبِشَارَةٍ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْبِشَارَةِ خَفِيفًا حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ الْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ

إِلَّا بِفَتْحِ الْبَاءِ أَبُو جَعْفَرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ شَنَبُوذٍ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ الْوَقْفُ مَتْجٌ لَا لِابْتِدَاءٍ وَلَا حَمَّالٌ لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَنَّثَى قَرَأَهَا وَضَعَتْ بِنَاءَ

الْمُكَاشَفَةِ وَمَنْ قَرَأَ عَلَى الْحِكَايَةِ لَمْ يَقِفْ لِأَنَّهُ يَجْعَلُهَا مِنْ كَلَامِهَا بِمَا وَضَعَتْ طَ كَالَّأُنْثَى جَ لِلِابْتِدَاءِ بِأَنَّ وَلِاحْتِمَالِ أَنَّ الْمَجْمُوعَ كَلَامٌ وَاحِدٌ مِنْ قَوْلِهَا

عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ وَضَعَتْ بِالضَّمِّ الرَّجِيمِ حَسَنٌ لِمَنْ وَقَفَ كَفَّلَهَا مُخَفَّفًا النَّبِيُّ فَاعِلُهُ فَإِنَّ فَاعِلَ الْمُخَفَّفِ ذَكَرِيَّا وَفَاعِلُ الْمُشَدَّدِ الرَّبُّ بَعْدَ النَّبِيِّ صَفْوَانُ

كَقَوْلِهِ أَكَفَلْتَنِيهَا الْمِحْرَابَ لَا جَ لِجَوَابِ كُلَّمَا وَزَكَرِيَّا فَاعِلُ الْفِعْلَيْنِ مَعَ عَدَمِ الْعَاطِفِ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَطْ حِسَابٌ بِهِ جَ لِمَا قُلْنَا فِي رِزْقًا

طَيِّبَةً لَا لِابْتِدَاءٍ وَلِجَوَازِ لَامَ لِأَنَّ الدُّعَاءَ فِي الْمِحْرَابِ وَإِنْ كَانَ لِأَنَّ مَنْ كَرِهَ جَعَلَ النِّدَاءَ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ الصَّالِحِينَ عَافِرٌ ظَ مَا يَشَاءُ ابْتِدَاءُ شَرْطٍ وَمَنْ قَرَأَ

وَالْإِبْكَارِ النَّفْسُ بِسُبْحَانَهُ ذَكَرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ قِصَصًا الْقِصَّةُ الْأُولَى قِصَّةُ حَنَّةَ امْرَأَةِ مَرْيَمَ الْبَتُولِ وَجَدِّهَا عِمْرَانَ بْنِ مَاثَانَ بِنْتُ فَاقُودَ اخْتُلِفَ فِي اسْمِ

الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ فَذَكَرَ إِمَامُ بْنُ أَذَنَ وَكَانَ حَنَّةُ كَانَتْ عَاقِرًا لَمْ تَلِدْ إِلَى أَنْ كَبِرَتْ وَعَجَزَتْ فَبَيْنَمَا هِيَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ بَصُرَتْ بِطَائِرٍ يُطْعِمُ فَرْخَهُ فَتَحَرَّكَتْ نَفْسُهَا

لِلْوَلَدِ وَتَمَنَّتْهُ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ نَذْرًا شُكْرًا إِنْ رَزَقْتَنِي أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَكُونُ مِنْ سَدَنَتِهِ وَخَدَمِهِ فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ وَقَالَ عِمْرَانُ

وَهُوَ حَامِلٌ قَالَ الْحَسَنُ إِنَّمَا قَالَتْ ذَلِكَ بِإِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَلْهَمَ اللَّهُ مُوسَى فَقَذَفَتْهُ فِي الْيَمِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ مُحَرَّرًا مُخْلَصًا لِلْعِبَادَةِ وَتَحْرِيرُ الْعَبْدِ تَخْلِيصُهُ لِلْوَقْتِ

وَحُرِّرَتِ الْكِتَابَةُ إِذَا أَصْلَحْتَهَا وَخَلَّصْتَ مِنَ الْغَلَطِ وَرَجُلٌ حُرٌّ إِذَا كَانَ خَالِصًا لِنَفْسِهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ يَدٌ تَصَرُّفُ قَالَ الْأَصَمُّ لَمْ يَكُنْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ غَنِيمَةٌ

وَلَا سَبْيٌ كَانَ فِي دِينِهِمْ أَنَّ الْوَلَدَ إِذَا صَارَ بِحَيْثُ يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهُ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ خِدْمَةُ الْأَبَوَيْنِ فَكَانُوا يَنْذِرُونَ بِأَوْلَادِهِمْ لِيَكُونُوا مُتَفَرِّغِينَ

يَجْعَلُونَ الْأَوْلَادَ مُحَرَّرِينَ لِخِدْمَةِ الْمَسْجِدِ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى إِنَّ الْغُلَامَ كَانَ يُخَيَّرُ فَإِنْ أَبَى الْمَقَامَ وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ فِي أَيِّ حَاجَةٍ شَاءَ ذَهَبَ فَلَا يَجِبُ

لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ يُقْبَلُ أَحَدٌ وَمَنْ نَسْلِهِ مُحَرَّرٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا كَانَ هَذَا التَّحْرِيرُ إِلَّا فِي الْغِلْمَانِ لِأَنَّ الْجَارِيَةَ يُصِيبُهَا الْحَيْضُ وَالْقَذَرُ ثُمَّ إِنَّهَا نَذَرَتْ

مُطْلَقًا أَمَا لِأَنَّهَا لَا عَلَى الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ وَإِمَّا لِأَنَّهَا جَعَلَتِ النَّذْرَ وَسِيلَةً إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ الذَّكَرِ وَمُحَرَّرًا حَالٌ مِنْ مَا وَعَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ الْمَعْنَى نَذَرْتُ

لَكَ أَنْ أَجْعَلَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَلَمَّا وَضَعَتْهَا يَعْنِي مَا فِي بَطْنِهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ بَنَتْ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَعَلَى تَأْوِيلِ النَّفْسِ وَالنَّسَمَةِ الْجُمْلَةُ وَالْحَبَلُ بِفَتْحِ الْبَاءِ مَصْدَرٌ

بِمَعْنَى الْمَحْبُولِ كَالسَّلَبِ بِالْحَمْلِ ثُمَّ أَدْخَلَتْ عَلَيْهِ التَّاءَ لِلِاشْعَارِ بِمَعْنَى الْأُنُوثَةِ فَمَنْ جَعَلَ الْحَدِيثَ لَهَى عَنْ حَبَلِ الْحَبَلَةِ وَمَعْنَاهُ أَنْ يَبِيعَ مَا سَوْفَ تَحْمِلُ الْجَنِينُ الَّذِي

فِي بَطْنِ النَّاقَةِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ أُنْثَى قَالَ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا حَالٌ كَوْنُهَا أُنْثَى ثُمَّ مَنْ قَرَأَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ عَلَى الْحِكَايَةِ فَمَجْمُوعُ الْكَلَامِ آخِرُ

الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهَا وَيَكُونُ تَأْيِيدًا لِقَوْلِهَا إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى لِلِاعْتِذَارِ عَنْ إِطْلَاقِ النَّذْرِ الَّذِي تَقَدَّمَ مِنْهَا وَالْخَوْفِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَقَعُ الْمَوْقِعُ الَّذِي

يَعْتَدُّ بِهِ وَالْحَزْنِ إِلَى رَبِّهَا وَالتَّحَسُّرِ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ خَيْبَةِ رَجَائِهَا وَعَكْسِ تَقْدِيرِهَا ثُمَّ خَافَتْ أَنْ يَظُنَّ بِهَا أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ لِأَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَقَالَتْ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ قَالَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى لَيْسَ جِنْسُ الذَّكَرِ كَجِنْسِ الْأُنْثَى لَا سِيَّمَا فِي بَابِ النُّسُكِ فَإِنَّ تَحْرِيرَ غَيْرِ الذَّكَرِ لَمْ يَكُنْ جَائِزًا فِي شَرْعِهِمْ

وَالذَّكَرُ يُمْكِنُ لَهُ الِاسْتِمْرَارُ عَلَى الْخِدْمَةِ دُونَ الْأُنْثَى لِعَوَارِضِ النِّسْوَانِ وَلِأَنَّ الْأُنْثَى لَا تَقْوَى عَلَى الْخِدْمَةِ وَلِأَنَّهَا مَحَلُّ التُّهَمَةِ عِنْدَ الِاخْتِلَاطِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ

تَكُونَ عَارِفَةً بِاللَّهِ وَاثِقَةً بِأَنَّ كُلَّ مَا صَدَرَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَيْرًا وَصَوَابًا فَقَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَلَكِنَّكَ أَعْرَفُ بِأَعْلَى مَحَالِّ الْأُمُورِ وَأَجَلُّ وَضَعَتْ فَاعِلُ

لك فيه سر وليس الذكر كالانثى طلبت الانثى التي وهبت له لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى لمعهود حاضر في ذهنك لكنها في الذكر حاضر في ذهنك بقدر الدلالة لما في بطني عليه خمسا وفي الانثى حاضر في ذهنك حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرائنها وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها وانى سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات قبل ان تضعها فلهذا قوله الام تسميها ومريم في لغتهم العابدة فاردت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك الاعاذة ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امراة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت نادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انكار ما في بطنها فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك وقولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها بما فيها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر وبان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تتنفس وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود مما يسعط به ويلد به وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تجلى بمعنى استجلى وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله واراى فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن أنبتها نباتا أحسنا قيل كان نبت في اليوم مثل ما نبت المولود في عام وقيل المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندكم خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة والوحي على ان كل من تقع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث مرات في كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول مرة ولدت وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان طفئت نابت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهو غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال ما مر بهم اني لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فانه دعا خيرا وانى بعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي انه شاع في زمن فاطمة فاهدت فاطمة رغيفين وبضعة لحم اثرتهما فرجع اليها وقال اهلي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين من جميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو الظاهر فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به المعجزة يجب انفكاكه عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احجموا على امتناع الكرامات بانها لو كانت صدقا لاتبناء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على فاعله عالما فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه بيده عليه ويقول هذا من ذريتي فيخيب الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم كما يشاء لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يلحقونه به من نخسه قلت وعجبت من مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ وقت الولادة وانخراق العادة بالاستهلال الا وارواح بني آدم حال المكاشفة بعد التهدم من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحسوا في وقت

اخر ويصير حجة على ان اثر مس الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس واحوالها وانها امور لا يحصل الا بعد المفارقة وقطع العلائق البدنية والكلام
فيه ليستدعي فهمه استعداد اخر غير العلوم الظاهرة ثم قال الجبائي لم لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال
ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى
لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا الا انه كان
يأتيها من السماء وكان زكريا يسئلها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا
لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق
اتاها من حيث لا ينبغي وكان يسئلها عن كيفية الحال قلت مثال هذه الشبهات يوجب الشك في القران وفي الحديث والعصبية المحضة على
انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد
اخبارها في نوال النعمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على
نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عم وذلك قوله سبحانه هنالك اى في ذلك المكان الذي كانا
فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد فيه تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد
عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء والعكس
وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا
في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب في الطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص
الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي
لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فح يصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد
التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالبد
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يجبه الله عليه وبصيرة غيره ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة و
تخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال
فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا
في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير
انك سميع الدعاء يعني سامع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملئكة
ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم روي ان المنادي كان جبرئيل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب
من هذا الجنس ويأكل منه ولان جبرئيل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء
رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد يسمى يحيى كما
يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر
ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله
وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت
يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن
عباس ان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا
بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقائق والاسرار كما
ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان
او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي ما كنت اقول واتكلم
به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم
وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الالة ورد بانه
من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل هو الذي لا يأتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس
النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلو ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على
ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا يتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام
وهو منع النفس عما لا ينبغي وروي انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الامرين

فانه لم يبعد بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اى من اولاده لم كان من اصلاب انبيا وكانيا من جملة الصالحين كهود وصالح والخضر الى آخره لكن الصالحين اولان صلاحه كان بتبديل قوله تعالى ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى من ذكرنا فانه لم يصف في ايمان الختم على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال ذكريا يا محامد الله تعالى ومناجيا اياه رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر اردكني السنون العالية واثرني طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا لم تكن تصوا الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو مثابه بحدوثه فيه لان الانسان ايضا يأتيه عمر والعمر عليه لا يجوز بلغني البلد لتموضع بلغت البلد بسرعة كالطالب للانسان الذاهب اليه اني عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء وتدخل عاقرا ان اي كانت شيئا فان قيل لما كان ذكريا هو الذي سئل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله اني يكون لي غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فنسي لسانه وقال عبد الرحمن بن سمعان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر لا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ما ألف ذلك الخاطر فسئل واسئل والجواب المعتمد ان ذكريا لم يسئل عما سئل استبعادا وتشككا في قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او جملتان فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اي على نحو هذه الصفة الله. ويفعل ما يشاء بيانا لاي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه سلف سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سئل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحمل فان ذلك لا يظهر من اول الامر فقال آيتك ألا تكلم الناس ثلثة ايام اي بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد في هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوقب بذلك حيث سئل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصيرته لا يقدر على الكلام قلت واحسن العتاب ما كان منزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون ذلك علامة للعلوق واحتمل ان يكون قد طلب كالدليل على احداث الخوارق ليصير علم اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سئل ما كان من حقه ان لا يسئل وزعم ابو مسلم ان المعنى انبياك ان تصرفهم امورا بعد التكلم ولكن الاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة ببد او راس او بالشفتين ونحوها واصل الرمز التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الرموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرأ يحيى وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رمز كخادم وخدم وهو حال منه اي ناطرين دفعة بمعنى الامر فيه بالتسبيح كما يعلم الناس الاخرس بالاشارة وبكلهم ثم ذكر تلك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وتسبيح حمله بعضهم على صلاة كانت تكررا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فتبحان الله حين تمسون لا لاشتمالها عليه لعشيا مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار الى قيل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ايها اذا خرج الله من الاسرار عن اطباق طائر فرخه وما اذا ظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة بواسطة مريم وعيسى فتقبل فتى راجع الى المحراب اي تقبلها متى ان تتكفلها وتربيها فتربيها المحراب فتقبلها ربها اي تقبلها ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكريا وقبولا اخر منها مثل هذا وكفلها زكريا من كان اذا فسر انه كفالها الى ذكريا حيث اراد ان يخرج عليه منها ولا يدل على غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اي فوجئت العجب الذي لم يطلع الله به خواص عباده الذين يبتغون عنده لا عند انفسهم لا عند الخلق كفولها هو من عند الله يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يعني الرطب في الشتاء من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه لما انه قد جعل الطعام الطيب فرخه سبب تحريك قلب هذه بطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان يأتيها من الرزق حارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون روحه من الصفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب بالوسائط

الصالح المنبوة والولاية بخلاف الصف الثالث الذي هو لارواح الاولياء المحبين لله تعالى بخلاف الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذي هو
لارواح المؤمنين بخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فيناديهم الملائكة وهو قائم بالله يصلي بالمرتبة في الملكوت
يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه مذ خلق وابتلي بالموت لم يمت بالغلب بالمعاصي ولا يموت الصوت
لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا

بل سيد الرفيق الكونين هم

اي حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول قال رب اني يكون لي غلام ولم يكن
من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة انبئك الآن الكلام التام لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان
الحقيقة على قلبك فان النفس لما طفقت تكون مغلوبة في تلك الحالة تشوا هد الحق في الغيب فلا تفرغ لاجراء عاداتها في الشهادة ما بالكلام الا مرارا
لهذا يقوى الروح الخيالي او يستمد من القوة البشرية فيحيي الله تعالى الشهوة الميتة فيه مما تولد من الشهوة الميتة التي احياها الله يحيى ولاستمرار
هذا الحال الذي الى الاقام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبما قال

ع ١٣

واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك
وچون گفتند فرشتگان اى مريم بدرستى كه خداى بر گزيده تورا

وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب
وپاك ساخت تورا وبر گزيد تورا بر زنان جهانيان اى مريم فرمان بردارى كن مر پروردگار خود را وسجود كن وركوع كن با ركوع كنندگان اين از اخبار پوشيده است

نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة
كه وحى كرديم از السوى تو وبنزديك ايشان چون انداختند قرعهاى خود را كه كدام از ايشان در پذيرد مريم را وبنزديك ايشان وقتى كه نزاع ميكردند چون گفتند فرشتگان

يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في
اى مريم بدرستى كه خداى مژده ميدهد ترا بكلمه از او كه نام او مسيح وعيسى پسر مريم است باجاه ودر دنيا ودر آخرت واز نزديكان بار گاه ومخن گويد با مردمان

المهد كهلا ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما
گهواره ودر ميانه وازميگويد گفت مريم كه پروردگارا چگونه باشد مرا فرزندى وحال آنكه مباشرت نكرده است مرا هيچ مرد گفت مانند اين خدا ميافريند آنچه بخواهد چون بكمال راند كارى را پس

يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من
ميگويد مر او را كه باش پس ميباشد وميآموزد او را كتاب وحكمت وتورية وانجيل ويغمبر ميكند او را بسوى بنى اسرائيل وميگويد ايشان را كه آورده ام شما را نشانى

ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى
از خداى كه ميسازم از براى شما از گل چون صورت مرغ پس ميدمم در او پس ميگردد مرغى بفرمان خداى وشفا ميدهم كور مادر زاد را وخوشى ميدهم جذامى را وزنده ميكنم مردگان

باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما
بفرمان خداى وخبر ميدهم شما را بآنچه ميخوريد وآنچه ذخيره ميكنيد در خانهاتان بدرستى كه در اين هر آينه نشانى است مر شما را اگر ميباشيد گروندگان وباور دارندگان مر آنرا

بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي
كه پيش از من بود مر تورية را وتا حلال كردانم از براى شما پاره چيزهائى كه حرام شده بود بر شما واورده ام شما را نشانى از پروردگار شما پس بپرهيزيد خداى را واطاعت كنيد مرا بدرستى خداى

وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار
وپروردگار شما پس عبادت كنيد او را اين راه راست است پس چون دريافت عيسى از ايشان كفر را گفت كيست يار من بسوى خداى گفتند حواريون كه ما يم يارى دهندگان

ع ١٤

الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل
مكر كردند وخداى وخداى بهترين مكر كنندگان چون گفت خداى كه اى عيسى بدرستى كه ميميرانم تورا وبالا برنده ام تورا بسوى خود وپاك كننده تورا از آنانكه كافر شدند وگردانند

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين
آنانرا كه متابعت كردند تورا بر بالاى آنان كه كافر شدند تا روز قيامت پس بسوى من است بازگشت شما پس حكم كنم در ميان شما در آنچه كه بوديد در آن اختلاف كنيد پس اما آنان

كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
كه كافر شدند پس عذاب كنم آنانرا عذابى سخت در دنيا ودر سراى وميانه عذاب كنندگان ياوران واما آنان كه گرويدند وكردند كردارهاى شايسته پس تمام دهد

اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
مزدهاى آنرا وخداى دوست ندارد ستمكاران را اين همه كه ميخوانيم بر تو از آيتها وچندى ستوار بدرستى كه مانند عيسى در نزد خدا چون مانند آدم است كه آفريد او

من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين القراءة ويعلمه بياء الغيبة ابو جعفر ونافع وعاصم سهل
از خاك پس گفت مر او را كه باش پس ميباشد حق از جانب پروردگار تست پس مباش از شك آورندگان

ويعقوب الباقون بالنون انى خلوق بكسر الهمزة ويفتح الياء نافع انى خلوق بالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد بخمسة بتشديد الياء يزيد وحمزة
فى الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويجر الياء يحركها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فتكون بناء الثانية للمفضل الباقون بناء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك فى المائدة الباقون طيرا انصارى الى
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرأ قنبل وابو عمرو وطريق ابى الزعراء بالامالة فيوفيهم بناء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون
الوقوف العالمين الراكعين اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ٥ منه قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة فى اسمه لكن المراد
من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجهان لا يوقف على الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من
المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين بشرط يشاء ط فيكون ٥ ولا يحيج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على
ومن الصالحين ومنصوبا بمحذوف اى ويجعله رسولا والوقف جوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ انى اخلق بالكسر باذن الله ج
والثانى كذلك للتفصيل بين المعجزات فى بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ٥ فاعبدوه ط مستقيم الى الله ط انصار الله ج لان
امنا فى نظم الاستئناف مع امكان الحال اى قد امنا بالله كذلك لا نقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون الشاهدين ٥ ومكر الله ط
الماكرين ٥ الفيصل ج لان ثم لمن يبتدأ بالنفى مع ان النفى تمام المقصود ناصرين ٥ اجورهم ط الظالمين ٥ الحكيم ٥ آدم ط لان
جملة لا يتصف بها المعرفة فيكون ٥ الممترين النفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل فى اذ معنى هو قوله اذ قالت امرأة عمران المكان
العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجئ فى سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فارسال جبريل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا
لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبى من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول الجبائى والمعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث
فى الروع والالهام كما فى حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون اصطفاء
ان بمعنى واحد للتكرار الصرف بحمل المفسرين الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور فى اول عمرها من قبول تحريرها مع كونها انثى
ومنها قال الحسن ما غذتها امها طفلة من بين الغذاء الى ذكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تطهيرها للعبادة ومنها اسماعها كلام
الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة فى حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر
والمعصية كما قال فى حق ازواج النبى واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن
الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثانى فهو ما اتفق لها فى آخر عمرها من الكرامة على سبيل الخوارق من تبريئها عما قذفها
اليهود قيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى انه قال كمل من نساء العالمين اربع مريم واسية امرأة فرعون وخديجة
وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى امر بالعبادة على العموم واسجدى
امر بالصلوة تسمية للشئ بمعظم اركانه كما فى قوله واذ ادبار السجود وفى الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله اقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مطلقا والثانى امر بالصلوة فى الجماعة
وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغليب العبادة وقد يسمى باحد اركانه واما تسمية للشئ بمعظم اركانه بناء على ما قيل الركوع افضل
من السجود لان الراكع حامل نفسه فى الركوع فالمشقة فيه اكثر اللقيه عن صلوة اليهود وقيل واركعى مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع
بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتى الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدى واركعى كل منهما فى وقته اللائق به
الواو يفيد التشريك فى الترتيب والمراد نظمى نفسك فى جملة المصلين كونى فى عدادهم لا فى عداد غيرهم والتمام يقال مع الركعات اما للتغليب واما
لان الاقتداء بالرجال حال الاخفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء وروى ان مريم بعد ذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها
وسال الدم والصديد منهما اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن فى خدمتك من احد الثناء ذلك الذى سبق من انباء حنة
وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بامر خفى من اشارة
او كتابة او غيرهما وبهذا التفسير يعلم الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبريل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم بفتح
المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة فى حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى ومثله فى القرآن غير
عزيز وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون ايهم يكفل مريم حذف متعلق
الاستفهام لدلالة الفاء عليه وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام فى شئ على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض فى استحقاق
ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الا انا نقول فى الخبر انهم كانوا يلقونها فى الماء شرطا ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء

فالبدلية ثم انه حصل هذا التعيين لزكريا اضطرارا ولي بكفالتها وقيل عرف برسوبه الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم قال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من الميسر هممنا عند التنازع فيطرحون منها ما يكتبون عليها اسمائهم فمن اخرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يقاسم بها الجزر لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال الفاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى الاشتقاق الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون في التكفيل قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي والاشبه انهم كانوا من الخواص واهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما اخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فاراد اقتضاء حقوقه واما لاجل حبث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا في الكتب الالهية انها ولابنها شانا القصة الرابعة حكاية ولادته عليه وذكر طرق من معجزاته اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قال جبريل كامر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت كان هذا بدل من اذ قالت ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال في الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وانما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق يختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما ذكر عن الحسن انها كانت عاقلة في حال الصغر وان كان ذلك من كرامات الانبياء ويجوز ان يرد عليها التكلم في حالة الصغر كما يفتقر الان بوخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب ممكن في نفسه وكيف لا وقد شاهد حدوث كثير من الحيوانات على التولد كتولد الفار عن البذر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذرنج غاية الامر استبعاد غير المعتاد وهذا لا يوجب عند الحكماء قطعا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته مما يزيده في العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما يكون اسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب كثيرا ما يوجب السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فان المانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك في انعقاد الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد على المرأة بوجه اخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى منزه عن التبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اي بكلمة حاصلة من الله ذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار اثر كلمة كن في حقه اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي يعلوه حمرة فبعيد واما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال احمد بحو لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وعلى هذا فمجنون يقال للمسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن في قدميه خمص كان يمسوح القدمين وقيل لانه يمسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه مسيح احدى عينيه ولانه يمسح الارض اي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومثله الدجال رجل في الارض اي قطعها وقيل الدجال من رجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لهم تنبيها على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى امه ذلك من جملة ما اصطفيت به انما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى لقب والمسيح لقب والاسم من المجموع عيسى المسيح لقب والاسم من المجموع عيسى المسيح ابن مريم والذي يتميز به عن غيره هو مجموع الثلثة وجيها ذو الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه والدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب والاخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة في الجنة ونصب على الحال من النكرة الموصوفة وهي كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما في الوقوف اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قبل حجارته قبل الالة المعروفة لاضجاع الصبي كيف كان فالمراد انه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها الى المهد كهلا عطف على الظرف اي يكلم الناس في الصغر وفي الكهولة والكهل في اللغة الذي اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اي قوي وقيل ان عمر يبلغ ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا يبلغ اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسن بن الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه يكلم الناس في قتل الدجال فان قيل ان تكلمه في المهد كان من المعجزات ولكن تكلمه في حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه في المهد كهلا على حد واحد

وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقبل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه منقلبا في الاحوال من الصبي الى الكهولة فان الصبي على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسن بن الفضل جواب وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك ان مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فلما لم ينقل علمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما كان لله لا لاجل براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون جمعا قليلا ولا بعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب يبقى الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك اوصاف يحيى وبيان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم نقل ذلك استبعادا او تشككا وانما اردت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق المولود بغير اب لهذا اكده باذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وتقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطفا على يبشرك وعلى وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان الله في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه موراد بعة اولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة ورابعها الانجيل وبين العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانه الهام عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف فيفيد العموم على انهم قالوا لقائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي فاطفا بانبي قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار لتعذر العطف على العامل بعينه الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي من التوراة فمعطوف على قوله بآية اتى به والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي من الكتاب تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي من التوراة والرسول والمصدق بمعنى النطق فكانه قيل فاطفا بانني قد جئتكم وناطقا بانني اصدق ما بين يدي من التوراة وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا بانني قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لانه اتى بعدة انواع من الآيات ثم ابدل عن الآية قوله اني اخلق لكم من الطين ويحتمل ان يكون ان مع ما بعدها في محل النصب على البدل من آية اي اتيتكم بانني اخلق ومن قرأ اني اخلق فالاستيناف والتبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا احسن لموافقة قراءة الفتح والمعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيئات الشيء واصلحته فانفخ فيها اي في ذلك الطير المصور او الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد والجمع يريد ان خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يقترحون عليه طلب الوبر فخلق خفاشا فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض فذهب كما يطير الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح بذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشيء حيا وذلك انه توالد من نفخ جبريل في مريم وجبريل روح محض فكانت نفخته عيسى بسبب الحصول الارواح في الاجسام ويقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات هذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابراهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير قيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في ظاهر البدن فلا يعم البدن بسبب سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير محمرا كله لان الاصداف تخبل الدم السائر اليه من اجوافه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا كان احمر بالدلك يكون معه خشونة ما لشعر الذي نبت عليه يكون شديد البياض اذا اخذ جلده بالابهام والسبابة واشبل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه دم او رطوبة مورودة ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز فهو برء مما اجتمع عليه خشونة الغام من المرضى من اطبق منهم اناء ومن لم يطبق اناء عيسى ما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيى الموتى احياء عازر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت المحموم فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي ولده الكبير فقال الكبير كان عيسى

يحيى الموتى بيا حيي يا قيوم وكرر قوله باذن الله رفعا لوهم من يتوهم فيه الالوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من امره يخبر بالغيوب وذي السدى انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال اباءهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا فرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا الصبيان انهم لا يلعبوا معه لانه ساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال ما في هذا البيت فقالوا لخنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك فالادخار افعال من ادخر فاصلت كل من التاء والدال الا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب مع جزمنا على ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي مما يستعين فيه بالة ولا تقديم مسئلة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب والجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر انها لما ارسل مصدقا لما بين يديه من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى تقرير احكام التوراة واذالة شبهات المنكرين ومحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا لا يناقض قصد يقه لما في التوراة اذ المعنى بالقصد بقه هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب فهو من الله ابدا سواء كان ناسخا او منسوخا كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعرف بها منبان عيسى ما غير شيئا من احكام التوراة وانما وضع الاحبار كان بقرابة السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فر لاحد الامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم شرايع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فجاء عيسى ورفع تلك الشدائد عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والشروب لحوم الابل والسمك وكان ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من حيث ان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكرير القول اني قد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن كان دينه بغير فاتقوا الله لما خصكم به من الاباحة واطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم الفصل الخامس ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا عاملوه فقال فلما احس عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس او انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قومه كما ذكرنا في سورة مريم بمكة وكان مستخفيا فخرج هو امه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافتهما وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسئله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك انه جعل على كل رجل منا يوما نطعمه وجنوده وهذا اليوم نوبتي الامر منعه على فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال ما امك اني ابغيت ذلك كان فيه شر فقالت فاحسن اكرام ولا بد من اكرامه فقال عيسى اذا قرب مجيء الملك فاملا قدورك وجوابيك ثم اعلمني فلما فعل دعا الله فتحول ما في القدور طبيخا وما في الجوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسئله من اين هذه الخمر فوقع الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي لدعي اجابه كان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله فعاش لكلام عيسى فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا واصطادا مر عيسى مشهورا وقصدا لبهود قتله وظهروا الطعن فيه وقيل انا لبهود كانوا عارفين بان عيسى هو المسيح المبشر به في التوراة وانه بالنسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله فلما احس منهم ذلك قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا عامة بني اسرائيل الى الايمان وتمردوا عليه فرقهم واخذ يسيح في الارض فربما تفقد مر صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس بحجة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته ثانية فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كاد ينقطع فتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملاؤا السفينتين بحيث كادتا تغرقان فلما رأى شمعون ذلك منوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه اخبرهم الله تعالى بانه يلقي شبهه على من يدل عليه فقتل مكانه فاجابه الى ذلك بعضهم مما يذكره النصارى في اجتماعهم ان اليهود لما اخذوا عيسى سلم شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرماه باذنه فقال له عيسى حسبك ثم ادنى باذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على قتله وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال

موضع اخر فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اباي وقيل من انصاري الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصاري متضمنا معنى الاضافة وقيل من انصاري حالا منها اي الى الله او حال النجاتي اليه وقيل من انصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث انه كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اي تقربا اليك فالجار على هذين الوجهين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للخضر باب الحواري لخلو الوانهن وبقاء بشرتهن والحور بقاء بياض العين في حورت الثياب بيضتها والحواري الحاذق بظئره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سفيان جبر بهم اموا بذلك لبياض ثيابهم عن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكرم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يعمل الثياب يسمى بلغة النبط هواري وعربها ان الحواريين من هم فقيل الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى فامنوا به كما حكينا وقيل انهم رفعوا الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلم سرهما كان هو علم به منه فغاب الصباغ يوما فبعض مهمانه فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد اعملت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بلون الالوان فطبخ عليهم حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسئله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه فامنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى كانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا سقينا وقد امنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى في سعة فكانت القصعة لا يتقصد فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال لعلهم يعرفونه فقالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فما الذي اترك ملكي فاتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى في الحقيقة في محبته وطاعته امنا بالله بجري مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تقية وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تقية بقولهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين فضل بزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اي مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعند انبيائهم اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبي شاهد لنفسه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك بالتوحيد والانبياء بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل الينا من البلاء والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين احسن عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله اجماع الامر واحكامه ومنه امراة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر ربما احكما قويا موصوفا عن جهات النقص والفتور لاجرم سمى مكرا ما مكروهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه وعن ابن عباس اراد قتل عيسى وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامره جبريل ان يدخل بيتا فيه كوة فلما دخلوا البيت اخرجه جبريل من تلك الكوة وكان قد القى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب الى شاء وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود على الله شبه عليه ورفع عيسى وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد ان رفع عيسى فشتتهم وبقوا منهم الجهد فمضى بعضهم الى بلد ملك الروم وكان ملك اليهود من عيسى فقيل انه قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يحب عيسى وكان يجرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابرائهم الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فامنوا عنهم من ايديهم وسئلهم عن عيسى فاخبروه فنابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومن ظفر اصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طيطانوس وهو صاحب بيت المقدس وهو الذي خرب بيت المقدس بعد رفع عيسى بنحو اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك فيه حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك من ظهره والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى به على تكذيبهم المسيح لهم بقتله وقتلهم اياه مكرا في اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل اعداءهم

اليهود والله خير الماكرين اقوامهم مكروا قتلهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب وعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الضرر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يقال بان جزاء المكر سمي مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عدلهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه ممتنع في حق الله تعالى انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير فقال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اي مميتك عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار كذا عن ابن عباس وقيل متوفيك اي ممسك عنك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم ارفعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قالوا لهب توفي ثلث ساعات ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نوم رفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل المتوفى اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك وجسدك جميعا ارفعك الى ما يدفعه من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك فاقبضك من الارض من توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقيل اجعلك كالمتوفى لانك اذا رفعت الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فتكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قيل في نظم الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي متوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قوله ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب الى العراق الى الشام وقد سمى الحجاج زوار الله والحاج وفود الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض مملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا لشارته ما لم يتيقن ان الثواب الكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الاية دلالة على اثبات المكان لله تعالى ثم انه تعالى اعظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اي من جنب جوارهم وسوء عشرتهم ومخالطة الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن نزول اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة والعبرة انه كذلك فلا ترى ملكا يهوديا في الدنيا ولا بلدا لهم مستقلا بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القرآن دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالا الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رايت ولدي ثم رايته ثانيا فاجوز ان هذا الذي رايته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان اخر القى شبهه عليه وكذا القول في الصحابة الذين رأوا محمدا بعد موته وبينهم احتمال ان يكون محمدا انسانا اخر القى شبهه عليه انه يفضي الى سقوط الشرايع كذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاسناد المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانه جوز ثم وقوع الغلط في المبصر فتح هذا الباب ادى الى سفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبريل كان معجبا شديدا ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه بالسوء والقاء القبيح والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في النبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لظهر الجزع وعرف نفسه وان فعل ذلك اشتهر تواتره والجواب عن الاول ان كل من ثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وعمرو هذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك يفضي الى بلوغ الانبياء حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد زال لمشاهدة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روي ان الذي القي عليه شبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق محمد ﷺ في كل ما اخبر عنه فهذا

الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله تعالى الهادي ثم الى ربكم مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين بين الجاحدين ويقضي قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة وانواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها الآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح وذلك الجحد عبارة عن ايصال الخير اليه وهو ان اراد كفر الكافر الا انه لم يوصل الثواب اليه قال المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى انه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذي سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما بمعنى واحد هو ذكر الشيء بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر وخبر مبتدا محذوف والمراد بها الآيات القرآن ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك انها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب ومن يوحى اليه وظاهر انك لست بقارئ فبقي ان يكون من الوحي ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي يتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره يتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وهو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى العالم والحكم بمعنى الاحكام تستفاد منه وبمعنى المحكم احكمت آياته اي عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبار تقع في هذه القصص بما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال وما قولكم قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي حاله الغريبة كحاله وجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير اب اغرب فشبه الغريب بالاغرب ان المشبه به ينبغي ان يكون اقوى حالا من المشبه في وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله خلقه من تراب اي قدر جسدا من طين قبل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمي آدم لانه خلق من ادیم الارض كلها احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم اعجمي كازرود ونحوه فاعل الافعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا لكوز اصله من طين ثم قال الرازي لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وانما يقال ذلك اما لانه حكاية حال ماضية او ما تصور بتلك الحالة العجيبة كقوله فاصبحت بلاده شتى تحرث والمراد اعلم يا محمد ان ما قال لمريد ليكن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخي الخبر عن الخبر كقولك لفلان اعطيتك يدا الف اليوم ثم انا اعطيتك امس الفين ثم انا اخبرك اني اعطيتك امس الفين فكذا قوله خلقه من تراب ثم يصير بشرا سويا ثم انه يخبرك انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علم الله تعالى بكيفية وقوعه اذا اراد تكوينه او يقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخال الوجود قال الحكماء وانما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا ويكون سترا ولبكون اشد التصاقا بالارض فصلح للخلافة فيها لما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوأ الاجرام السفلية وابلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو ارقى الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من هواء مياه انجادها بقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان ظاهر ودليل باهر على ان الله تعالى هو المدبر بغير احتياج الخالق بلا مزاج عالج خلق البشر من التراب لكي طغيان الشهوة والحرص والغضب خلقه من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لا متزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اتى خالق بشرا من طين ثم انه سبحانه وتعالى سئل عن الطف اجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم بتسنه وغيره اخته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون عن بعض العلماء انه سمع الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لانه عاش في بعض قرى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فحبيب النجار اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق يعني الذي انبأتك من شأن عيسى لا الذي اعتقده النصارى فيه انه اله ولا الذي يزعم اليهود من انه يوسف النجار والحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري صله من مريت الناقة واشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي تعريض في زيادة الثبات والطمانينة ولطف للامة وقد مر نظائره في سورة البقرة التاويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن صنفا من جنس حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس كاصطفاء محمد ﷺ على الكائنات كقوله لولاك لما خلقت الكونين قال ﷺ آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس ولم يرد ان الله اصطفاك لاصطفائك اياه وطهرك عن الدنس بغيره واصطفائه على نساء العالمين لنيل درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شان النساء ان الله يبتلي بكلمته كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه

فيه فهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما بينه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربى بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى بهذا الاسم اعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدء امره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان مراجعة اصحابه بالكلمة الهية فانه في المهد قال عبد الله اني في الكتاب وفي مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثت فاذا شغلني عنه انسان سبح فبطني وانا اسمع صوت المسيح لا بين مسيح الله تقع ظهر ادم فاستخرج ذرية ذرأها يوم ذرء الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر ادم وحفظ ذرة عيسى وهو عند حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح اي المسوح وهذا كله هو الحال السنية لان بلوغ الانبياء عند كمولهم من الصالحين يعني صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء تعلم الكتاب الحكمة والتوراة والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلقه عند حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الاثار التي هي من نتايج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر لاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي آثار المعجزات وعلى الولي مادات الكرامات ولما كان روح عيسى وذرة طينته المستخرجة من ظهر ادم محفوظة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شايبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل انوار الصفات في بدء امره فكلم الناس في المهد كبير وقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم ويحيي ويبرئ غير ذلك من الاثار فلما احس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن انصار الله امنا بالله اي بوحدانيته والتبري عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا امنا بما انزلت من الحكم والاسرار واللطايف الحقايق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات الطاف الكبرياء مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ممكرا اي النفس وصفاتها والشياطين اتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى جذبات العناية كما سرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الى ثم مرجعكم بالملطف والقهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار بعد نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والاخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون انفسهم بانغماسها في طلب غير الله تعالى قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها في تكوين ادم من تراب بلا ام وخلق حوا من ضلع بلا اب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ودعا بانف من قال بالايجاب في الايجاد فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع فاكان من الممترين ولا يكون الى الابد

ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو

فرزندان ما را وپسران شما را وزنهاى ما را وزنهاى شما را وخودهاى ما را وخودهاى شما را پس بكوشيم وخواهيم لعنت خداى را بر دروغ گويان بدرستى كه اين آنست

القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب ع ١٤

حكايت راست ونيست هيچ خداى بجز خداى ويد رستيكه خدا آنست غالب استوار پس اگر بگردند پس بدرستى كه خدا داناست بفسادكنندگان بگو اى اهل كتاب

تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا

بياييد بسوى سخنى كه برابرست درميان ما وميان شما كه نپرستيم مگر خدا را وانباز نياوريم باو چيزيرا وفرا نگيرد برخى از ما

قولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون

پس بگوييد گواه باشيد بانيكه ما مسلمانيم اى اهل كتاب چرا محاجه ميكنيد در باره ابراهيم وحال انكه فرو فرستاده نشد توريه وانجيل مگر از بعد او ايا پس درنمى يابيد

ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا

آگاه باشيد اكنون كه محاجه كرديد در آنچه شما را بان دانشى ست پس چرا محاجه ميكنيد در آنچه نيست شما را بان دانشى خدا ميداند وشما نميدانيد نبود ابراهيم يهودى

ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين

ونه ترسا ولكن بود يكانه منقاد ونبود او از مشركان بدرستى كه سزاوارتر بابراهيم هرآينه آنانند كه پيروى كردند او را واين پيغمبر واآنان

امنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب

كه گرويدند وخدا دوست گردندگان ست دوست شدند گروهى از اهل كتاب كه گمراه كنند شما را وگمراه نكنند مگر خودشانرا ودرك نكنند اى اهل كتاب

لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون المراة ها انتم هؤلاء

چرا انكار ميكنيد بايات خدا وحال انكه شما گواهى ميدهيد اى اهل كتاب از براى چه ميپوشانيد حقرا بباطل وپنهان ميداريد حقرا وحال انكه ميدانيد

وغيرهم حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد ابو عون عن قنبل انهم على وزن سبعتهم الباقون بالمد والظهر الوقوف الكاذبين القصص الحق ط الا الله ط الحكيم المفسدين من دون الله ط هي جملة وافيه الى البدلاء شرط مسلمون من بعده ط تعقلون ليس لكم به علم ط لا تعلمون لا مسلمًا ط المشركين والذين آمنوا ط المؤمنين لو يضلونكم ط يشعرون تشهدون تعلمون التفسير روى انه صلى الله عليه وسلم اورد الآيات على نصارى نجران ثم صرفهم على جملتهم قال ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان باهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان صلى الله عليه وسلم قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سئل الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذ ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلى الله عليه وسلم فاني ناجزكم اي حاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا ترتدنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب ثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث

فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم من البيان الموجبة بان عيسى عبد الله ورسوله ذلك طريق الوحي والتنزيل فقل تعالوا اهملوا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول لمن تفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل لمن علوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم اي يدعو كل منا ومنكم ابناءه ونساءه وبان يحضر نفسه وبمن هو كنفسه للمباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم اعز من النفس فيعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نبتهل هو افتعل بمعنى تفاعل نختصم بمعنى تخاصم للمباهلة ان يقول كل واحد لصاحبه لعنة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال لعله الله اي لعنه وابعده من رحمته ومنه قولهم لعله انا اهلكه وناقة لاعلال عليها بل مرسلة نخلة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع عن نفسها فكان الباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوض الي حولي وقوتي وخلاني من كلأه وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفي الآية دلالة على ان الحسن والحسين هما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدان بدعوا ابناءه ثم جاء بهما وقد يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الرضي يقال لمحمود بن الحسن الحمصي وكان متكلما اثنا عشريا يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد فقال له ذلك انه ليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابيطالب فاذا نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي ثم قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرى ادم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلقه وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابيطالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الحديث على ان الانسان على ان ابنه ما افضل ممن ليس بابن وايضا اجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذا في حق سائر الانبياء واما افضلية اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقهم بتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وافلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا ان القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما دل على نبوته لما اجمعوا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة واما قول فان النبي لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلى عليك من نبأ عيسى هو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبتدأ على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله هو العزيز الحكيم فيجوز عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد ان الله الخلق يجب ان يكون غالبا لا يمنع ولا يمنع
وهم يقولون انه قد قتل فلم يقتدر على الدفع ويلزم ان يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل
العناد فاقطع كلامك عنهم وفوض امرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم
الخبيثة ثم انه تعالى اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية
امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية
من تمام قصتهم لانه كلام منصف مخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود
والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يدل عليهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلعم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى
قالت النصارى ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا
اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على
صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فمحال ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبرية هي ان لا نعبد وانما ذكر هذه الثلثة لان النصارى
جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح اشركوا به غيره لانهم اثبتوا الها غير ثالثة اربا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة اتحد
بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلتين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى مريم وحيث
اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم
من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النفس ودوبة الامور من الوسائط اقرب من اتخذ الهه هواه
وكان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر منه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا
عليهم اسم الرب لانهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء
فان قتل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد قتله والقول بالاشراك ايضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان يرجع
في التحليل والتحريم والانقياد والايمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كانوا يعبدهم يا رسول الله صلعم قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل انا ابى اطعت مخلوقا في معصية الخالق وصليت لغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب المغلوب في جدال او صراع لنسلك المجد فاعترف
بانى انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا
او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان طويل نعم بينه
وبين انزال التوراة والانجيل ما نقول القرآن اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين
انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا لو كان ابرهيم موجودا في زمان موجودا في زمان المسيح لكان النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في
دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء حرف التنبيه انتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبنية مثلا وتلى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من بعث محمد صلعم اوليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد ذهابكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم
وعن الاخفش ها انتم اصله آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهلهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كان حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما فهاكان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وعرض بالمشركين من اليهود والنصارى كما شركهم بالله عزيرا والمسيح
فان قيل كم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم بالموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع
لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون
للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز ان تقع نسخ
ثلث الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان فيكون محمد صاحب الشريعة مع
موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلعم قالوا لما هاجر جعفر بن ابيطالب واصحابه الى الحبشة
واستقر بهم الدار وهاجر رسول الله صلعم الى المدينة وكان امر محمد ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

ابراهيم ح

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم وليندب لذلك رجلان من ذوي آرائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الاد
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه فقالا ايها الملك ناصحون شاكرون واصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنخذل هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاءناهم الى شعب ابي طالب فحالوا بيننا وبينهم ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك وعيشك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم فقالوا ايه ذلك انهم دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بها التي يحييك بها الناس عند دينك وسننك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مرحبا بهذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا باذن الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي مالكم ان لا تسجدوا والى وتحيونني بالتحية التي يحيي بها من اتاني من الآفاق قالوا ايه نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فرهط بن الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الآخر فتكلم عمرو فتا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيد ابقنا من اربابنا
فاردد نا اليهم فقال النجاشي عبيدهم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سله اهل هرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد امر واحد على دين اٰبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه ونحن بعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشو ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه اصبتي قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضربت بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين ان يرسل اليكم نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ما ذا يقول لكم هذا الرجل وما
ما مركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهى عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا لجعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم ليشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي بعنة من سواكه قدر ما يقذى العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الى النجاء من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله وهو الذي
قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا والذين امنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصرة والتاييد والتوفيق والتسديد معنى الى الناس لخصمهم بابراهيم منهم من الولي القريب وقرئ هذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله ان لكل نبي ولاة من النبيين ان ولي منهم وان خليلي ابرهيم ثم قرا ان اولى الناس الاية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد فقال ودت طائفة اراد واجتهدت نفسه وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشباههم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبايح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بايات الله قيل اي بالتوراة والانجيل فيما من البشارة بنبوة محمد وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما بدلا ان يكون عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الايات الدالة على نبوة محمد ومعنى قوله وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور علمائهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد واذا خلا بعضهم الى بعض شهد بعضهم وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

فيكون معجزا وقيل اياما لله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل اتى الله جملة المعجزات على النبي ﷺ فعنى تشهدون انكم تعرفون بدلالته المعجزة صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاهواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن قال بن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار وجحدوا عنه في آخره لشكيكا للناس قيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد ﷺ والبشارة به وفيهما منهوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن فلعلهم اشتبه عليهم احد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول الفاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التوراة على نبوة محمد ﷺ كان لاستدلالهما مفتقرا الى التدبر فالتاركون للتدبر والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي يجوز فيها تبديل الاستدلال كما يفعل المبتدعة في ديننا وانتم تعلمون انكم بما تفعلون ذلك عناد وحسد او تعلمون انكم اهل المعرفة او تعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الاشياء عظيم وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم

ع

وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بآنکه فرو فرستاده شده بر آنها که گرویده اند در اول روز وکافر شوید در آخر آن شاید

يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم

که برگردند وگرویده مگر مر آنرا که پیروی کرد دین شمارا بگو که هدایت راه خدا است که داده شود کسی مانند آنچه داده شده شما را و نزدیک پروردگار

قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن

بگو که بدستی افزونی در دست خداست میدهد آنرا بهر که میخواهد وخدا محیط و داناست مخصوص گرداند برحمت خود آنرا که میخواهد وخدا صاحب افزونی بزرگست واز

اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا

اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را بمال بسیار بگرداند بتو واز اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را بدینار نگرداند بتو مگر بمداومت کاسیکه بر او ایستاده باشی این بجهة آنست که گفتند

ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين

نیست بر ما در نادانان هیچ راهی ومیگویند بر خدا دروغ را وحال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود وپرهیز کرد پس بدستیکه خدا دوست میدارد

ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم

بدستی که آنانکه میفروشند بعهد خدا وسوگندهای خود بهای کمی را آنگروه بهره نیست ایشانرا در آخرت وسخن نگوید با ایشان خدا ونگرد بایشان

يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب

در روز قیامت وپاک نکند ایشانرا وایشانراست عذابی دردناک وبدرستی که از ایشان گروهیند که میپیچانند زبانهای خود را بکتاب تا بپندارید آنرا از کتاب ونیست آن از کتاب

ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله

ومیگویند که آن از نزد خداست وحال آنکه از نزد خدایت ومیگویند بر خدا دروغ را وایشان میدانند سزاوار نیست مر آدمی را که بدهد او را خدا

الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

کتاب وداوری وپیغمبری پس نگاه بگوید مردم را که باشید بندگان من غیر از خدا ولیکن بگویدکه باشید خدا پرستان بجهة آنکه بودید بآموختن کتاب را

وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ

وبجهة خواندن آن کتاب را ونفرماید شمارا که فرا گیرید فرشتگان وپیغمبران را خدایان آیا بفرماید شمارا بکفر پس از آنکه شما مسلمانید وقتی

ميثاق

وتلين الثانية ابن كثير البافون بهمزة واحدة بوده هي كوفي ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل وزيد عن يعقوب في قراءة ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية الزيدي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس البافون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم علي وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول العلم بمعنى البافون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يامركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد غير المفضل وقرا ابو عمرو بالاختلاس البافون بالاشباع الوقوف هو يقولون للعطف على يكم ط هدى الله ط لان التقدير ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل ان الهدى معترض ومن قرا ان يؤتى مستفهما وقف عليها عندكم ط بيد الله ج لان يؤتيه يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعل غاير الى الله من يشاء ط عليم ط لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم ط لما في الجملتين من معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستيناف مع اتفاق معنى الكلام يعلمون ط المتقين بزكيهم ص اليم وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون ط تدرسون ط لمن قرا ولا يامركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون ط التفسير هذا نوع اخر من تلبيساتهم وقوله بالذي تحملون ان يدخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ومنه وجه الثوب وكل ما يبدو منه وقوله انزل عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل ما الاحتمال الاول فقول الحسن السدي وقوله اثنا عشر حبرا من يهود بخيبر وقرى عربية قال بعضهم ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ومنه وجه الثوب وكل ما يبدو منه

ثعلب عن ابن الاعرابي اتبعته بوجه نهار وصدقه نهار وشبابه نهار وانشد الربيع بن زياد ؛ من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار ؛ يجد النساء حواسرا يندبنه ؛ قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك ان كان من عادتهم ان لا يظهر الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار يعني البيت من كان مسرورا فليرا تر تشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفرابه اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ﷺ ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما امنوا به اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب قد تفكروا في امره ﷺ وفي دلايل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب فرجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل بينهم فيرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه في جميع ما جاء به علموا انكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليجعلوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه والاحتمال الثاني يقوله من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه ﷺ كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر قال كعب الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الوجه فان مجاهدا ومقاتلا والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم الفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب هم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكرهم وطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين لان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك اعظم لهم وفيه انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال ﷺ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عد الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا على قراءة من قرا بهمزة واحدة وبتقدير همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا الكلام الجرد هذا الوجه يروى عن مجاهد عيسى عمرو والمعنى الان اي اجل ان يؤتى احد شرايع مثل ما اوتيتم تنكرون ذلك اشد انكار فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعدد ذنوبه عليه قد احسن اليك من قبل احسانا اليك امثال ذلك والمعنى من هذا فعلت ما فعلت ام من ذاك ونظيره قوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا او قائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا نبيا يقرر شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ارضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر في اتباعهم وجه النهار الا لمن كان تابعا لدينكم ممن اسلم منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم فقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لاشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد لا ينبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب عاكم الى قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او لما يتصل بالايتاء عندكم بمحاجتهم لكم عند ربهم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق ويقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله بيان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى وتم الكلام بمحذوف اي حتى يحاجوكم عندكم فيقضى لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تذكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده متى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تذكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عندكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل منه بعد ان مثل ان تضلوا اي لا تضلوا او التقدير قل يا محمد لا املك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو بين الاسلام الذي هو افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عندكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة

ابو مسلم

فنعناه لا نظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف اراد اسروا التصديق بكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا الغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال و
معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباتا على الاسلام كان ذلك لم ينفع كيدكم ومحيلكم ودبركم اي سركم
بتصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض اخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله
وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلعم اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الاسرار بفشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عند ما وصل الكلام الى هذا الحد كانه تعالى حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لاجرم ادب رسول الله صلعم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قوله كفر فيقول عند بلوغه الى قوله الكلمة امنت بالله لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الهدى هدى الله ان الفضل بيد الله واعلم انه تعالى حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصدوا بذلك شبهة المسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كل هداية الله وقوة بانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الفضائل
الرسالة وفي اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزايد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لما عليه ان يفعله
وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم الصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده ما اتيتم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعم امر الجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنسها الا
بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر نعائه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعم
في قدرته وحكمته ثم انه تعم كذبهم في جميع الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان وينقض العهد و
الكذب على الله الى غير ذلك من القبايح وقال ومن اهل الكتاب الاية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين و
اخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه
بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار هو فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال الهل الحقيقة هي فيهن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه
قطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء بما عنده فيمن يحب الدنيا فيكون هم مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها وبقال
امنته بكذا وعلى كذا ففي الباء الصاق الامانة بحفظها واحتياطها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه وقد مرت في اوايل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار الثمين والعين والدين لان الانسان قد تاتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المفاوضة ولا شك في الاية تنبيه على التعيين لكن نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة وقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤديه اليك ومنهم من تبايعه بثمن قليل فلا يؤديه اليك ونقلنا عنه انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله
على حقيقة دوام القيام يعني الا مدة دوامك عليه قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرت واخرت انكر وضم
من جملته على الالحاح والخصومة والمقاضاة والمطالبة قال ابن قتيبة صله ان الطالب للشيء يقوم به الدار له يقعد عنه ومنه قوله تعالى ما دمت
قائما اي عاملة وامر الله غير تارك وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بدينك المال الذي لك الا ان تحمله او ترك الاداء الذي دل عليه يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا فيما اصبنا من اموال

الفضائل

العرب يسبون بالخطاب العنا لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باى طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء
واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا كلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين
بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروى ان اليهود غاملوا رجلا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بما ادعاؤهم ان ذلك في كتابهم وهم
يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي ﷺ انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي هاتين الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر عن ابن عباس انه سئل
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال فتقولون ليس علينا في ذلك مأثم فقال اهل الكتاب
اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لهم حل اموالهم لا بطيب انفسهم بلى قال الزجاج عند وقف التمام ههنا
لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك ما بعده استيناف فان غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم
علينا جناح قائم مقام قولهم نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف
على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في كل شيء ولو انهم اوفوا بالعهد اوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من
الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد ﷺ ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه بعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ
والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم
الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتمتها وبرزتها حتى يأتي بها
على وجه الكمال من غير شائبة الاخلال فكل متقي موف بالعهد لا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين
او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا تنفك الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها
بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود في تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الآية واختلف
الرواة في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤوس اليهود كتموا ما عاهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد
وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي نزلت
من علماء اليهود ولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول
الله ﷺ في كتابكم قالوا نعم وما تعلمنا منه قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب ما يمنعكم الله حيزا كثيرا فقد علم
علمنا اردتم ان امير كم وكسوعيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فروبدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفته
سوء صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالذي
الذي نعت لنا وجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح بما رأهم وانفق عليهم فنزلت عن الاشعث بن
قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله ﷺ فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال ﷺ من حلف على يمين يستحق
بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه فقيل لي في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه
ليوقع فيها رجلا من المسلمين يستبدلون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اي يأخذون بدلهما عرضا من اعراض الدنيا والمراد بالعهد ما عاهد الله تعالى
صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا
قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا
ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب في قوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل
لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم
لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك ليسخط عليه فدابره يجيبه عنه ويقول لا اكلمك ولا ادري جهلك اذا جرى ذكره بالجميل فان في
الكشاف لا ينظر اليهم اما مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الي فلان تريد تهاونه عنداده بل اصله فيمن يجوز عليه النظر الآية
من عند الانسان التفاته اليه واقباله عليه نظر عينه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فمن لا يجوز
عليه النظر في النفس الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تقرر بالبراهين كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النصر تقلب
الحدقة الى جانب المرئي التماس الرؤية لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك فاحتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المفرد
بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الآية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذي يحصل
لتقلب وجناء من انه ينظر اليهم هم ينظرون اليه بوجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

من نفي رؤيته براه العباد ايضا وقتئذ نفي رؤيته لا يرد منه حينئذ فان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب الاشرف
غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ﷺ فاخذت فريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب
قال القفال معناه ان يعدوا الى اللفظ فيحرفوها في حركات الاعراب بحيث يتغير المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الايات الدالة على نبوة
محمد ﷺ وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة في الكتاب اي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف قوله وذلك ان اللسان اشبه بالشدق
والنطع والتكلف مذموم فعاب الله عز وجل قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذمالهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد فتحسن الوصف الذي يعابون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبيه
الكتاب ليحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم
عليه نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس من ثبته ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التوراة فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا مختبرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان
وجدوا قوما عقلاء يعلمون انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التوراة واعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الايات على نبوة محمد ﷺ
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلال كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحققون بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد
الخلق الكثير والجم الغفير عليه حتى الهائي والكيغيا بأنه على ان فعل العبد ليس بخلق الله لا صدقوا اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم
الغلط فيان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف مثل من عند الله او هو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهم في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب ان زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان اباوافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله ﷺ اترى ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان جلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا لبعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله لكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل غمت اليهود ان احدا لا ينال مرتبة بجلالة الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم هذا الوجه يحتمل وصل لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو اراد وان يقولوا ذلك بمنعهم الله منه نظيره ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات وقيل معناه انه لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه منه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفة
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب لتساوي عليه
للحكم وهو فهم ذلك الكتاب وتدبره عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق واحسن هذا الترتيب فانا اذا كانا
كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول الاعتقاد لان غاية جهد النبي ومنتهى امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه مثل ما كان لله ان يتخذ من ولد على
سبيل النفي لذلك عن نفسه على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان ينبغي ان يفعل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول بعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما بانيه مواظبا على طاعته
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني وروقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد والزجاج الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو
الذي يربي العلم ويربي الناس بتعليمهم اصلاحهم القيام والالف والنون كما في رمضان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون هذا
المفسر مثل الولاة يقال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب ثم فيتسبب فيعني الآية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء بأن استعبدكم الله وامركم بطاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

كونوا ولكن م

وسواء كانت عربية بدل على الانسان الذى علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس مات ربانى هذه الامة والباء فى قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القراءتين وتعلم منان التعليم والعلم والدراسة وهى القراءة يوجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لما كان مغايرا للمسبب فهذا يقتضى ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وماذاك الا بان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لاجل الغرض خاب وخسر وكان السبب بكينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة توقعه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال ثم نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفى الآية دليل على صحة قولنا العلماء ورثة الانبياء فامل تهم باذن الله ولا ياءركم من قرأ بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفى المتقدم اى ما ينبغى لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالف الى ان يامر الناس بعبادة نفسه ياءمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينى ولا يستخف بى والثانى ان يكون حرف النفى زائدة فيرجع المعنى الى ان رسول الله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له اتتخذنا ربا قبل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين عيسى وعزيز كما نزاخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستيناف فظاهر ونصره قراءة عبد الله بن مسعود وان يامركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد وقيل لعيسى انما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يجاوزوا الملائكة وعبادة المسيح ياءمركم اى البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكارى انه لا يفعل ذلك وقيل دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استشاروا رسول الله ان يسجدوا له قلت وضع الشئ ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد ما صح ولا يعقل ان يامر النبى امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد افهامهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الايمان والله اعلم

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى

وفى التوفيق وچون گرفت خدا پيمان پيغمبران را چونكه داد شما را از كتاب و داورى پس آمد شما را پيغمبرى باور داريد مر آنچه با شماست هر آينه بگرويد بدو و هر آينه يارى دهيد او را گفت آيا اقرار كرديد و قبول كرديد بر اين عهد مرا گفتند كه اقرار كرديم گفت كه پس گواهى دهيد و من با شما از گواهانم پس هر كه

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

پس از اين پس آنكه برگشت فاسقان اپس غير از اسلام مى جويند و مر او را اسلام آورده است هر كه در آسمانها و زمين است بخوشى و بناخوشى و باو باز

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى

بگو گرويديم بخدا و آنچه فرستاده شد ما را و آنچه فرستاده شد بر ابراهيم و اسمعيل و اسحق و يعقوب و فرزندان او و آنچه داده شد موسى و عيسى

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

و پيغمبران از پروردگارشان ميان هيچ يك نميگذاريم و ميگوئيم احدى از انها و ما مر او را تسليم كنندگانيم و هر كه جز اسلام دينى را پس پذيرفته نشود از او و در آخرت

مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

از زيانكارانست چگونه راه مينمايد خدا گروهى را كه كافر شدند پس از گرويدن شان و گواهى دادند كه پيغمبر حق است و آمدشان گواهان و خدا راه نمى نمايد

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ

گروه ستمكاران را انگيزه پاداش انهاست كه بر ايشان است دورى خدا و فرشتگان و مردمان همه جاويدان دران كه سبك نشود از انها عذاب

وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا

و انها مهلت داده نشوند بجز انان كه توبه كردند از پس اين و صلاح كردند پس بدرستى كه خدا آمرزنده مهربانست بدرستى كه انها كه كافر شدند پس از ايمان پس افزودند

كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا

در كفر پذيرفته نشود توبه انها و انگيزه شيفتگى گمراهان بدرستى كه انها كه كافر شدند و مردند كافران پس قبول نشود از يكى انها پر كنى زمين از طلا

وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

اگرچه فديه دهد بدان از انكه عذاب دردناك است و نيست انها را يارانى

قرأ ابو جعفر ونافع الباقون اتيتكم على الوحدة يغبون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمر وغير عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرا يعقوب يغبون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملاء بالهمز الارض بغير الهمز روى البخارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما الوقوف لمنصرين ط اصرى ط اقررتم ط الشاهدين ط الفاسقون يرجعون ط منكم ج مسلمون منج لعطف المختلفتين الخاسرين ط البينات ط الظالمين هما جمعين ه لا ينظرون لا للاستثناء وجيم توبتهم الظالمون افتدى به ط ناصرين

الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها
اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد في القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما
ان يكون من اضافة الفعل الى المفاعل منه ومن اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاقي لك وعهدك واما الاحتمال الاول فيؤيده ما
يشعر به ظاهر اللفظ من ان اخذ الميثاق هو الله تعالى والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل
عن علي ع انه ما بعث الله نبيا آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته
روى انه ﷺ قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية لما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم
لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد ﷺ لانا لما بينا ان محمدا ﷺ لا يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وقد ورد كثيرا في القرآن لفظ النبي ﷺ ويراد به الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون اهل الكتاب وقد ورد
على زعمهم لحكمهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة عن محمد ﷺ لانا اهل الكتاب منا كان النبيون ويؤكده قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب فاما احتمال الثاني فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد ﷺ
فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به ويؤكده انه تقدم حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروي عن
ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرءون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرأ كما في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبر المؤمنن و
اللام في جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول آتيتكم محذوف وفي الكلام كما يدل عليه لما معكم لانه في معنى ما آتيتكم والتقدير للذي
آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له لتؤمنن به ولتنصرنه ايها الانبياء واخباره سيتلو وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط اريقال
اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وما هي المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا
والنصرة فالاصح في هذا المقام ان يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا وهذا ادخل اللام والنون المؤكدة في لتؤمنن ولتنصرنه وادخل اللام في
الشرط وتنحى موطئة لانها تعين من اول الامر ومهما ذان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان الشرط يكون مستغنيا عنه لان جواب القسم
يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اي اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة لمجيء رسول الله ﷺ موافقا لكم في الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق
سائر الانبياء والثاني ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير انها بالتشديد بمعنى حين قيل اصله لمن ما اي لمن اجل
ما آتيتكم ادغمت النون في الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احداهما للتخفيف فهو قول المعنى الى قراءة حمزة وفي جميع القراءات قيل لا بد من
اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقال لمخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار كما قيل واذ اخذ
او اخذنا ولما في اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع اخر واستحسنه في التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه و
النبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب لكنه وصف لكل بوصف شرفهم والكتاب لذوي الكتب والحكمة لغيرهم وجعل الداعي الى الكتاب الى
العمل به كالذي انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجيء الى النبيين انما يجيء الى الامم معناه في زمانكم وان
كان المراد من النبيين اولادهم او امتهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته في التوحيد والنبوات واصول الشرايع فاما تفاصيلها وان
وقع الخلاف فيها فذاك في الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق في زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق في زمان محمد ﷺ
ليس الا شرعه ﷺ ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد ﷺ فالمراد اما ما ذكرنا او ان نعته وصفته واحواله مذكورة في الكتب المتقدمة فكان نفس
مجيئه تصديقا لما كان معهم او ان المراد بهذا الميثاق هو الوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم قيل يحتمل ان يكون الميثاق
اشارة الى ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات
الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امرهم بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه ﷺ شرح صفاته في
كتب الانبياء المتقدمين فاذا صادفت حوالته ﷺ مطابقة لما جاء في الكتب الالهية وجب الانقياد له وانما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او
امتهم وميثاق النبيين من الامم وميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل ان يراد بقوله ثم جاءكم المجيء في الزمان الا
فيكون معنى الآية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبي اوتي كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصره بنبوته بان
يظهر حقيقته في وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق في اصول العقائد وقواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الآية تمهيدا لما يجيء بعده من
قوله قل آمنا بالله الآية قال الله وكل نبي لا محالة منه مستفهما بمعنى الامر قرروهم بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة
منقول بحمزة للتعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اي قبلتم على ذلك الاصر عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا تؤخذ منها

عدا اى لا يقبل وأخذ القيد فاى يقبلها اسمى العهد اصرا لانه مما يوصاى به وقد يعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار كذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وأنا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيل عليهم تحذير من الرجوع اذ اعلموا شهادة الله شهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهد واخطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل يدخل هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى احد عند فى الجملة واصله ان الشاهد هو الذى يبين قصد بالدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشئ المعاين له وكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله طاعته وعبد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان يراد بقولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون مر فى ابناء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب فى قد رتم واخذتم او للالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بناء الغيبة فلرجوع الضمير فى الاول الى الفاسقين وفى الثانى الى جميع المكلفين والاصل افتبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث لانه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال لهم كلا الفريقين برئ من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضى تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغى والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر وان يفعلوا ذلك وقرا نافع يبغون بالاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد اخلص له تمام الانقياد وخصص الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو دليل بين بذاته قد ترتخاضع لجلاله قدرته طرفى وجوده عدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا او نظر الاية وله اسلم من فى السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل اى طائعين وكارهين كقولك اتانى ركضا اى راكضا ولو قلت اتانى كلاما اى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها فى غيره من الالام والمكاره التى يخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقد وامّا الكافرون فينقادون فى الدين كرها اى خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب عن الحس الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض اقول وذلك لان السفلى ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصفة من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطرى بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبى اليه يرجعون اى الى حيث لا مالك سواه ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد بليغ من خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق كل رسول كان قبله امر النبى بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه ما وجه التوحيد فى فظ بناء على ما قلنا واما وجه الجمع فى امنا فلتشريف امته بانضمامهم مع مقدم سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله قل آمنا بالله وما انزل علينا والاجدال قد ذنبه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقايد ثم ذكر الايمان بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء معرفة احوالها الا بالقرآن المنزل على محمد ثم ذكر الايمان بما انزل على سائر الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفى ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين فى شئ حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تم اخذ الميثاق على كل نبى ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور فى تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد اخذ الميثاق على محمد بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتى بعده فيكون فى الاية دليل على انه لا نبى بعده واعلم ان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فيجوز ان يعتبر النزول على نارة كما فى هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما فى البقرة فطابق القران الامرين جميعا وقيل عد هناك بالى المكان قولوا فان الوحى يابى الامة بطريق الانتهاء وعد ههنا بعلى المكان فلان الرسول يابيه الوحى بطريق الاستعلاء وزيف فى الكشاف بقوله ثم وانزلنا اليك الكتاب بقوله امنوا بالذى نزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه المناسبة يجب اعتبارها فى كل موضع وادعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شئ اخر من طلب المال او الجاه بخلاف احبار اليهود هم الذين يشترون بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فاذا بعد الحق الا الضلال وهو فى الاخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد استدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظى لان الاسلام ان ارتد الانقياد الكلى فلا فرق بينه وبين الايمان كما فى هذه الاية وان اريد

لا سبيل الا معرفة

الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق فورد قوله ثم قل لم تؤمنوا وقولوا اسلمنا ثم بين وعيده
من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن آمن منهم كفروا
بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم البينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا
ولدد او في رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذ اخبارهم يصفون نبينا بالمنون وكان فيهم من تاب فسئلت
النائب بقولها الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه
الاية الى قوله فان الله غفور رحيم لهم لهن اليه جل من قومه فغفر لهم عليه فقال الحرث فاني اشهد انك لصدوق وان رسول الله لاصدق
منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قال المعتزلة في الاية ان اصوليا يشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف
ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشئ اخر سوى نصب
الدلائل قالوا المراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين توابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال والذين اهتدوا زادهم هدى والمعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله
فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية يقصد تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي
الله قوما اتصفوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل انهم
في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال اي بعد ما قد شهدوا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان
فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل لا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم
الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف
مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين بالشئ في غير موضعه وذلك ان الحصر الثالث عن الايمان والشهادة ومشاهدة
المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان ذلة العالم اقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح في اخر
الاية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد فقال اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضره خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا
اثارها على الباطل حتى لو اعثر بهم المخبر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر
الى كفره وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا
كفرا بسبب طعنهم فيه وكفرهم بكل معجز يظهر عليه غير ذلك من تخليط اطمهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا
بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وهذا قول الحسن قتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازدادوا
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة
في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم هنا في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض واجيب بالدليل ان التوبة
بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن قتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت
والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هي محمولة على
ما اذا تابوا باللسان لا عن اخلاص قال القاضي وقال ابن الانباري هي من تمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى فان التوبة الاولى لا يكون مقبولة وقيل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول
ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر ما يتوفون على الكفر فانى
فعلهم من قساوة القلوب والاضاءة الى الرين والجراءة الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصويرهم بأشنع من الرحمة هذا
اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير تعميمهم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون
كلية فكم من مرتد وهو مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فالكفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول
التوبة حتى يرد الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم واراده الملزوم وانه لا بد للعاقل من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على
وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الائسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه الكشاف والحاصل انه كانه قيل انهم وان

المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون الكاملون في الضلال فضلوا في توبته الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذين يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سيق لاجله الاية التي بعدها الاستثناء وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الأثر الاخير وملاء الشئ قدر ما يملاءه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على المقدر ومعناه ان يكون الكلام ناما الا انه يكون مبهما كقولك عندي عشرون عبدا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسر المعدود ومعنى الفاء في فلن يقبل ان يعلم ان الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا تركت كما في الاية الاولى فلقصد قصد التسبيب ولا كتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به هل يأتون بجواب لكل ولعل عقيدتهم في امثال هذه المواضع انها من الاشياء المتقابلة وهو هم والسر في التخصيص هو انه لما قيد في الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر بدت فاء السببية الجزائية تأكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله اعلم اما الواو في قوله ولو افتدى به فانها اما عاطفة على مقدر نحو فلا يقبل من احد منهم ولو افتدى به او على نفس الشئ على تقدير انه كالمكرر فلهذا كثر اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو يتقرب الى الله بملاء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل انها للبيان بعد الاجمال فان اعطاء ملاء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب فانه محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملاء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت زيدا اي مثل ضربة زيد وابو يوسف ابو حنيفة ويريد مثله كما اندراد نبرة في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر في اغلب الامور فكانا في حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم ان الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا ينفع في الذهاب فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية من اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان في بذله نفعا لاخذ فان المبذول في غاية الكثرة ليجتهد بتوسل بذله الى تخليص نفسه من عذاب به ثم صرح بعقابهم ونفى ان يشفع لهم فقال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق ما قالوا اي ما نالوا قلوبهم اولئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيمٌ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا

هرگز نرسيد بنيكوئي را تا كه خرج نكنيد از آنچه كه دوست داريد و آنچه كه خرج كنيد از مال پس بدرستي كه خدايان را داناست همه خوردنيها بود حلال ازبراي بني اسرائيل مگر آنچيز

حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلٰى نَفْسِهٖ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰىةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ

كه حرام كرد اسرائيل بر خودش از پيش آنكه نازل شود توريت بگوا ي محمد بياوريد توريت را پس بخوانيد آنرا اگر بوده باشيد راستگويان پس هر كه دروغ بندد بر خدا

مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ

پس ازين پس آنكروه ايشانند ستمكاران بگو راست گفت خدا پس پيروي كنيد دين ابراهيم را كه پاكيزه است و نبود از مشركان بدرستي كه نخستين خانه كه بنا

لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعٰلَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرٰهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ

از براي مردم هر آينه آنست كه در مكه است بابركت و راه نمايندهٔ مرجهانيانرا در آن آيات روشن است جاي ابراهيم و هر كه در آيد در آن ايمن باشد و مر خداراست بر مردم

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِينَ قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ

قصد خانهٔ كعبه هر كه تواند بسوي او راهي و هر كه كافر شود پس بدرستي كه خدا بي نياز است از جهانيان بگوا ي اهل كتاب چرا باز داريد از راه خدا

مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ

از آنكه كرديد ميطلبيد در آن كجرا و شما گواهانيد و نيست خدا بي خبر از آنچه ميكنيد اي گروه انها كه گرويده ايد اگر ببريد كي كنيد گروهيرا از انان كه

أُوتُوا الْكِتٰبَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كٰفِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّٰهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ

داده شده اند كتابرا كه برگردانند شمارا پس از ايمانتان كافران و چگونه كافر ميشويد و حال آنكه خوانده شود بر شما ايات خدا و در شما پيغمبر او است و هر كه دراويزد

بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ القراء ان تنزل خفيفا ابن كثير ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء

بذيل خدا پس بدرستي كه راه نموده شده براه راست يزيد حمزه وحفص وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف لازم قد الرابع يحبون ط عليم

تنزل التورٰىة ط صادقين ط الظالمون حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستينافا فمقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط

مع الواو والا لامن من الايات امناط سبيلا ط العالمين بايات الله ط قد يقبل الوجه الوصل لان الواو للحال تعلمون شهداء ط تعملون

كافرين رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق

الذي ينتفعون به في الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى جمع خصال الخير في قوله تعالى

ولكن البر من امن بالله الاية وذكر في هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا ولم تبلغوا خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا اصابوا شيئا جعلوه لله مروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة وقال يا رسول الله ان حائطي البدينة يعني بيرحى وهو احب اموالي الي صدقة فقال ﷺ بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله ﷺ فقسمها في اقاربه وروي انه جعلها بين حسان بن ثابت وابي كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الاية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمله رسول الله ﷺ لاسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله ﷺ اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء فوهبها لعلي فاعتقها لما رآها اعجبته وقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها لم يصب منها ولم ينزل بابي ذر ضيف وقال للراعي ابتني بخيرها فجاء بسانة مهزولة فقال احتلبي فقال وجدت خيرا لابل فحلبها فذكر يوما حاجتك اليه وقال ان ابا ذر حاجتي اليه يوم القيامة وضع في حفرته وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصير من ابرار اليه دخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من امن وجملتها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون والثاني الجنة اي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد ببر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس بر بفلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى ان تبدوا او تخفوه ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد مما تحبون قال بعضهم هو نفيس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وارفعه كل مرء وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ورد عليه بانه لا يجب على المرء ان يخرج اشرف اموالها واكرمها وقال الحسن هو كل ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد الكلبي انها منسوخة بآية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن في شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيبا وخبيثا فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه يعلم الوجه الذي لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل دينه في هذا الكتاب في هذا الباب جاب عن شبههم للقوم وتقرير ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد ﷺ انكار النسخ فاورد عليهم ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا لاهم صار حراما عليه على اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي ﷺ بان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتقريعا وهذا دلالة على صحة نبوة محمد ﷺ لانه كان اميا فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تاكل لحم الابل والبانها وتغتذي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وتلاتها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الايات الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تعجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه ما هو قديم فنزلت كل الطعام اي المطعومات كلها الدالة على العموم وان كان لفظه معرفا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم او لا والطعام اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة ان اسم البر خاصة ورد عليه ان المستثنى في الاية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما اتخذ منها قال الفقهاء بلغنا انه كانت للنبي ﷺ مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخبز فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا انها كانت محرمة على ابراهيم ﷺ وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالغرم والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي ﷺ ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق فجاء في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه وابدا لكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل حظ الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المحققون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المراة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعلو فاعتبروا يا اولي في معرض المدح لعلم الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب وافر سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور وازهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم وفي ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفته

الا تحريم هم

في ذلك حكم كان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص لا لقليل الا ما حرمه الله على بني اسرائيل فانه يدل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع فامتنع من اكلها قهرا لنفسه كما يفعله الزهاد وغيرهم ذلك لا امتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول بعد هذه الحكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذا الواقع كان من هذا الباب في معنى قوله من قبل ان تنزل التوراة ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التوراة اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم لما رأوا رسول الله ﷺ في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروى انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا فلزمتهم الحجة عليهم وظهر عجزهم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايقان تكذيبهم وافترائهم ظلم منهم لانفسهم ولئن يقدموا من شيئا عهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بتكذيبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي التي عليها محمد ﷺ ومن تبعه حتى تخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجأكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والوانكم تحريم الطيبات التي احلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا ﷺ على دين ابراهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا ﷺ وابراهيم كليهما لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والمضارئ وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله تعالى انا اول بيت وضع للناس براقال المجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبله الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد ﷺ وقبل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الاصول التي اظهر رسول الله ﷺ نسخه هو القبلة فذكر عقيبها ما يدل على ان ما لاجله حول القبلة الى الكعبة اقدم مما لاجله حولت الى بيت المقدس وقبل انجز الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته ردا فيها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى بدليل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس جعل متعبدا لهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج الاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء او الوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فالاجرام حصل فيها للمفسرين قولان الاول انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى فيض عن محمد بن علي بن الحسين علي بن ابيطالب عن ابيه عن جابر قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال انبوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمرو ابن مجاهد والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلثة صفوح منها كانت في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن والثانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته والثالثة انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه ﷺ قال يوم فتح مكة ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولا نزاع انها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع وكان تكليف الصلوة كان ثابتا في الجملة فان جميع الانبياء وايضا قال تعالى في سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم يكن هي اول بيت وضع للناس هذا خلف القول الثاني روى ان ابا ذر سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن علي ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا فقد كان قبله بيوت لكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيح على بيت المقدس لا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت ان الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبريل وباني بناه ابراهيم الخليل وتلميذه ابنه اسماعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرفع في كل سنة جبال من

الفصل
الثاني

انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرجع هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان عنه كثيرا وليس الموضع الذي يرمى اليه الحجارة مسيل ماء ولا مهب رياح شديدة وقد جاء في الاثار ان كل من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطير تترك المرور فوق الكعبة وتتحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبايع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدد الكعبة او خربها بالكلية واما ما يثبت المقدر فقد هدمه مختصرا بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ثم العزى ومنها انه وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك جاه اهل حرمه سدانته بيته عن سواه حتى لا يتوكلوا على الله على سببها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء بدعوة خليله ابراهيم ومنها انه من اعظم الايات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى الطيبات الدنيا فينبغي ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل ما يؤتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تم اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تم يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين لا جعلهم في الاخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم يجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا يجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا الذي ببكة للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام وبكة وبكة لغتان كرانب ودراهم وضربة لازم وللازب مما يعتقب فيه اللام والباء لتقارب مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد في الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا رحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير بمعنى لانهم يتباكون فيها او بمعنى يتباكون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر يصلي فيه امرأة بين يديه فذهبت تمر فيها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا ثم المراد بين بك الرجال هو يصلي والرجال بين بك المرأة وهي تصلي ولا مانع بذلك في هذا المكان وتؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان الطواف هناك وهذا لا ازدحام كما لا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون مظروفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تباك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه واما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع امه اذا امتصه وقيل سميت بذلك لانها تمك من الحاد بها اي تنقصهم من مكه اذا استقصى فسميت بذلك لان الناس من كل جانب تقطر اليها قلة مائها كان ارضها امتصت مائها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تم وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه بفعل الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير الذي ببكة هو العامل فيه معنى الاستقرار واما معناه فالبركة اما النمو والزيادة كثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك وبرك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها مباركا لك لثبوت ما لم يزل ولا يزال في البيت مبارك لما يحصل من حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال الحج المبرور ليس لجزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه ان الكعبة بالنظر وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعرى ما لها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين شعاعات واحكام علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الفاضلة الى الكعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوارا ولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال الفقال يجوز ان يكون بركتها ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسر البركة بالدوام فلا شك انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكان يفرض فانه صبح لقوم ظهرا لاخرين وعصر لغيرهم ومغرب اوعشا فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وانيقه بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد تم بما فيه من الايات او لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قاله الزجاج ويجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فيه ايات بينات يحتمل ان يراد بها ما عدا ما من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكانه قيل فيه ايات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الايات هي نفسه وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما ان يجعل واحدة بمنزلة ايات كثيرة لانه معجز رسول لكل معجز فيه دليل يضيء على علم الصانع وقدرته وارادته وحيوته وتعالية عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان امة واما ان يجعل المقام مشتملا على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاء هذا الاثر دون اثار سائر الانبياء اية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعداءه من المشركين واهل الكتاب في المدة الوفا من السنين اية قال الزجاج قوله ومن دخله كان امنا من تمة التفسير للايات وهذه الجملة وان كانت من مبتدء وخبر ومن شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه ايات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا كان معناه فيه اية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه يدل على ان الاشيئين جمع كما قال ان تتوبا فقد صغت قلوبكما وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر ايتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثيرا سواهما ومنه قوله صه حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابراهيم امن من دخله وان الله على الناس حجه وقال البرد مقام مصدر فلم يجمع

والمراد مقامات ابراهيم هي ما قام من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابراهيم حجرا واحدا بشهادة من دخله فقد ارتفع خلاف العلماء وفيه في سورة البقرة في قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان امنا من النار لما روي عن النبي ﷺ من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه المحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما ويلقيان في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله ﷺ على سنة المحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال بعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي ﷺ من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام وبنى له على الناس حج البيت الذكر فضائل البيت ردد فيه باب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز اي بهوى الاستئناف بمن والخبر الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع إليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل ان يكون محلا رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت والحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدوري مكلف بالايمان مع انه غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واجيب بمنع العمومات الآمرة بالايمان قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله الخطاب المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجاب الاشاعرة بان هذا انما يلزم علينا لو كان الفاعل دائما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق وبعد حصول الداعي يجب الفعل وجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف به واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال في كل عام يا رسول الله ﷺ فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء وتصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كسوته وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويصح بهما لما روي عن ابن عباس ان النبي ﷺ مر بامراة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال رسول الله ﷺ نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا مع النبي ﷺ ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم وتصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمره لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم ان يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرة بنفسه واستطاعة بتحصيل غيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من يلزمه بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد الراحلة سواء كان قادرا على المشي اولم يكن لما روي انه ﷺ فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان الحمل انها ان كان لا يمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد هو نفسه محملا وشق محمل وجد شريكا يجلس في الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد شريكا فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا الا بوجود الراحلة او معها ومع المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استئجارا بثمن المثل وباجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد وما يحتاج اليه في السفر عادة فهذا باب وثانيه سواء كان لاهل وعشيرة يرجع اليهم او لا يحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب باجرة البلد فذاك بعد قضاء جميع الديون ورد الودايع ونفقة من يلزمه نفقتهم حتى الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكن ودست ثوب يليق به بخادم يحتاج اليه لو فاته او لمنصب لو كان له راس مال يتجر فيه ويقوم بمؤنه وعياله من ربح تجارته لو كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال من عدو او مصادرة ظالم ولو شيء يسير والامن على البضع للمراة بخروج زوج او محرم او نسوة وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف والماء المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد

تلا عمى من فائدة عند ابي حنيفة لانه عليه وروى انه ليستنيب قبل الائمة لابد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج امسيرا مثلهم وفان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة واكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي بشرط ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخره النبي من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وغاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة الاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر وزمانة او مرض لا يرجى زواله وابن عباس ان رجلا جاء الى النبي فقال يا رسول الله ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله فهو احق بالقضاء عنه وان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار كانه عمل بدله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفرق الزكوة وعند ابي حنيفة واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استاجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لابد ان تكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل انه في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يترك بل كان ينطلق اليه ولو جبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد للتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حتم واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابتداء ليكون تلتينة للمراد وتفصيلا لابعد الاجمال واما يراد للغرض في صورتين تقرر الة في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله تعالى من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغني وهو بدل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه وفاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا لو عم فهو خاص في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد المسيب انه قال لليهود فالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس فقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحج فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قيل ان يمنع البر جانبه ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر بعد الامن وغيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تلبث في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا تفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم وبئسما صلوا ثم انه سبحانه لما بين اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي لنكم على صدق محمد بعد ظهور البيان ووضوح البرهان وبعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه هذا الحال توجب ان لا يجسروا على الكفر بايات ودلائلها على نبوة محمد ثم انه تعالى لما نكر عليهم في ظلمهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او بذكر ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعود والمثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما يرى كالدين والقول واما الشيء الذي لا يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتضي على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والا جر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالمعنى تبغون لها عوجا كما تقول صدقتك ظبيا اي صدقت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهمون ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ بدا على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد لان محمدا ليس بذلك المنعوت في كتابنا والمراد انكم تبتغون بفكركم في خفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيها هو لوم من كل مستقيم يحمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثبتون اقوالكم ويستشهدكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان مركان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر طريقة لا يخفى علي سيراتك لست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل فكان ذلك ابلغ

والاضلال

اظهروه من الكفر بنبوة محمد ﷺ وهذا فيما اضمروه وهو اصدا بالاحتمال والفا الشهيد في تكرير الخطاب في الايتين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة وبرو وسعيد بن اسلم وجابر ابن عباس شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤ هم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعضا مما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه نشدتك الله رددنا الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة فهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الاية فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته ﷺ انصتوا اليه وجعلوا يسمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدو فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال جابر بن عبد الله ما كان من طائر اكره الينا من رسول الله ﷺ فاوحى الينا نبيه وكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله ﷺ فما رايت يوما قط اقبح ولا اوحش ولا احسن اخر من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله تتلى عليكم على لسان الرسول ﷺ في كل واقعة وبين اظهركم رسوله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا فيما يعن لكم الى الكتاب والنبي قلت اما الكتاب فبنا ق على وجه الدهر واما النبي ﷺ فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نوره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته ﷺ وورثته يقومون مقامه بحق النيابة ولهذا قال ﷺ اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من ورثتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله توفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في افة اما المعتزلة حيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله هداية بل قالوا انه يفعل العبد ولو الاية بان المراد بالهداية الزيادة في الطاف المرتبة على ايماء الطاعات والمراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدي اي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى الوقوع في قد ظاهر كان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده انتهى وبل لن تنالوا البر وهو صفة حتى تنفقوا احب اشياءكم وهو انفسكم ان الفراش لا ينال من البر الشحم هو شعلته حتى نفق مما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الى ان حرم اسرائيل على نفسه بنذر ان برئ من عرق النسا وعذاؤه الذكر خلق للعبادة والحيوان الطماني للسفل وعذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلتين وعذاؤه الذكر والجسمانية الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي لم يبلغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه استولت نفسه وثلثاه كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي نشأ وفي طرفاه خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بلغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى مات نفسه وقوى روحه وثلثاه ثم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كما للعيون الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بعوت النفس وجبوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قبل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ملة ابيكم ابراهيم وكان تملة انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا اخر ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الاية اشارة الى ان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي بجميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفتح له واتسع فيه يسمع به ويبصر به ويعقل به وينطق به ويبطش به ويمشي به ويحل به ويسكن هنا ثم ان بيتا ان يصل لها الطالب الى مطلوبه الغاصد المقصود منها مقام ابراهيم هو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم بيد الملك او النفس الولد ارضا خليله كان امنا من نار الغطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الطلب ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وادار الصرار كانه منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والملوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومة والتوجه الى فاطر
والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الابتهاج وحسن العهد
الوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات وفرو
الذات ومنها الحلق بجواثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس بها الباقي فاسلك على هذا ومن كفر بعد ذلك الحق ولا تتعرض لنفحات الالطاف
ولا تترتب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين هي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل به ومنهم وانما يستكملون
منه قل يا اهل الكتاب خطاب لمحمد وامته بالطف مع علمائهم السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعلمون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما لعصمة عن الهوى
الا منة تقم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا

ای زمره آنان که گرویده اید بپرهیزید خدا را بسزاوار ترسیدن ومیرید مگر انگه شما مسلمانان باشید ودر آویزید برشته خداوندی همه وپراکنده

تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة

نشوید ویاد آورید نعمت خدایرا برشما چون بودید دشمنان پس درستی انداخت درمیان شما پس صبح نمودید بنعمت او برادران وبودید بر کنار گودی

من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون

دوزخ پس نجاة داد شمارا ازان اینچنین ظاهر کند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید وباید که بپا خیزد از شما گروهی که میخوانند بسوی نیکی وامر کنند

بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم

بنیکی وباز ایستند از ناخوشنده وانکرده نشناسند رستگاران ومباشید چون انان که پراکنده شدند واختلاف کردند پس از انکه آمدشان

البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم

گواهان واگنوده مر ایشانرا عذاب بزرگ روزی که سپید شود روها وسیاه شود روها پس اما انها که سیاه است روهاشان گویند شان کرایمان

بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

پس از گرویدنتان پس بچشید عذاب بانچه بودید انکار میکردید واما انها که سپید است روهای انها پس در رحمت خدایند یعنی بهشت انها دران جاویدان

تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض

هست ایات خدا که میخوانیم انرا برشما براستی وهست خدا که نخواهد ستمکاری از برای جهانیان ومر خدا یرا ست هرچه در آسمانها وهرچه در زمین است و

ع الى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله

بوی خدست بازگشت کارها بودید شما بهترین گروهی پدید آورده شده از برای مردمان که امر میکردید بخوبی ونهی میکردید از بدی وایمان اورید بخدا

ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم

واگر گرویدندی اهل کتاب هرآینه بهتر بودمر انهارا از جهت ایشان گرویدگان وبیشترشان فاسقانند هرگز زیان نتوانند رسانید شمارا مگر ازاری کم واگر بجنگ آیند با شما

يولوكم الادبار ثم لا ينصرون القراءة حوقتاته بالامالة على الاصح ولا تفرقوا بتشديد الراء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا

برگردند بشما پشت کنند پس یاری کرده نشوند لعطف المتفقتين اخواناج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها تهتدون المنكر للعدول للفخم

البينات ط عظيم لا للعلق للظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم لان التقدير فيقال لهم
اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون قبل لا وقف
عليه وعليه وقفا لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اى ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم
لا ينصرون التفاتية سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الاثنات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى
عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى
او هو القيام بالواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين
شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ويتقى وهو ان
يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي لا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف
كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا الريب فرق بين الايتين لناصر القول الاول ان يقول
ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كما قدره وقدر عزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق التقاء واذا كان
كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس فيها عن الموت وانما نهى عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى لما
بين ما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق الاراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به وثوقه بعنايته بامساك المتدلي على مكان مرتفع بحبل وثوقا بامن انقطاعه لكون وجه الشبه صفة غير حقيقية ومنتزعة من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد الاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيها ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه آمن ان نزل قدمه على الجادة فزاد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين متخالفة فعن ابن عباس هو الاسلام كما يجيء وقيل القرآن كما روي عن علي بن ابيطالب عن النبي ﷺ انه قال الا انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروي ابن مسعود عن النبي ﷺ هذا القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله قبل اخلاص التوبة وقبل الجماعة لقوله ثم عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال وبالله مع الجماعة قال ﷺ ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد وقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروي انا عليه واصحابي قال ﷺ لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم بركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متحابين منا صحيحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية واما العارف الناظر من الخلق الى الخالق فانه يرى الكل سيارا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر ببرهان الله في الفعل فاذا امر امر برفق وناصح لا بعنف معروف كان حبه محبة الله ونظيره في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل بل هما الاخوان في النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب بقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تلك النعمة ونبه على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زايد على ما ذكر ثم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفيها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه لمن يقال الشيء على الشيء اذا اشرف عليه كانه يلغ شفاه اي حده وطرفه انقذه واستنقذه خلصه بنجاة والضمير في منها للحفرة او للنار والشفا اما لا نه في معنى الشفة واما لاضافة الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح ﷺ انا لنريك في ضلال مبين قومه انما نراك في ضلال مبين اي ليس في صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحيلولتهم التي هي وقوع بعدها الوقوع في النار ما يقعون على جرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانها لم تبرح بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي الشيء وبين ذلك الشيء قال المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بارسوله وبسائر الطافه حتى منوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية تدل على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني قول اهل السنة وقد مر في اوايل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلذا اتبعه النوعين زيادة في البيان فقال ﷺ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند للامير من غلمانه عسكر يريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال الاخرون انها للتبعيض لما ان في العوام من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما الذين هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف فاوقع منكرا وربما عرف منكرا وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلط في موضع الغلط ويخطئ في موضع الخطاء ويلين في موضع الغلظة ويشكر على من لا يرتدع بانكاره الا بالتهديد والتخويف فاجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا تحقيقا

ايجابا على البعض الذى يقوم به ثم ان نصب الله جل نعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب فاعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تم وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرطها فانها تواعد ما يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد الثانى ما يؤمر به الافراد كالاذان الخ بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال انى احتسبها على المراقبة ولا يعترض على من اخرها الى الوقت الثانى وثانيهما ما يتعلق بحقوق الادميين ينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل الى الشرب او الهدم سوره او طرقه لبناء السبيل المحتاجون او تركوا معونتهم فان كان فى بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك فان لم يكن امر وا والمكنة برعايتها والى الخاص كطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحكم وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها والقيام بما يستعلمونها فيما لا تطيق ومن غير هيئات العبادات كالجهر فى الصلوة السرية والعكس وترتيب الاذان عينه وينكر على من قصد التذبيب فى الوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به فى تاويل وتحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع امرأة فى شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان فى طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كان زنا فانت محرم فضها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية خف الله معها فى الخلوة ولا ينكر فى حقوق الادميين كتعدى الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا عجلوا الخصوم وقصروا فى النظر فى الخصومات والسوقى المحتكر بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فليتنظر الداعى الى الخير فى حال كل مكلف فغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يهملوا وابتدأ فى كل ما يليق به مندوبا من الاسهل الى الاصعب فى الامر والانكار كذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض لنفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبى وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين فى هذه الآية اصحاب رسول الله الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروى عن النبى ﷺ من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شأن الفاسقين غضب الله وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اى الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا فى ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظان الامر بالمعروف والناهى عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح حال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير فلما يتفق ممن يرى نفسه ان يأمر عليها بالمعروف فى الغالب كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهى عنه النهى عن ارتكاب المنهى واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول لما لا افعل فقال له بئسما يفعل ما يقول وقد الشيطان ان وظف بهذه منكم فلا تأمر احدا بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق فى هذه القضية ما قيل ؎ وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو مريض ؎ والقرآن ينعى عليه لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره فى البقرة وعن داود الطائى انه سمع صوتا من قبر الم ازل الواصل الم اصر افضل فكذلك احبب ما بدا لك لكن انك اذا خلوت بارتفاعه بالمعاصى لم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا فى النظم وجهان احدهما انه تعذر فى الاية المتقدمة انه بين فى المنزل تعذرا لا يحمل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحدثوا الالقاء الشكوك فى تلك النصوص ثم جر الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات فى النصوص والتاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بقدرة على تنفيذه كيف فى الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذرا هل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصيروا بذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والنكير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا فى بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعى انه على الحق وصاحبه على الباطل والعلم الاضافى ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فتامل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة واولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفى تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احديهما ان ذلك العذاب فى هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها وظهر بذلك ان الغرر وجوه يوم مشئ مستبشرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفى امثال هذه الالوان قولان احدهما واليه ميل ابى مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال الله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا والمراد

منصور

الحسن بن علي الامر عليه قال له رجل يا امير المؤمنين وتسود وجوه المؤمنين يجئ الله في تفسير سورة القدر وبعض الشراح في الشيات يا امير المؤمنين سودت وجهي عند بعض الوجوه سود الله وجوههم وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الالوان الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفة وسعي النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكدره واسودت صحيفة حاملة به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف فيغطونهم ويصفرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور وبهاء وثوابه اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الآخرة احد الحالين ان ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منها لا يظهر اثارهما كما هي الا بعد المفارقة للآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة بالاية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون كقوله تعالى في اخر الاية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة فلا تفيد العموم وايضا المذكور في الاية هم المؤمنون والذين كفروا بعد ايمانهم ولا شبهة ان الكافر الاصلي من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد سلم وقت استخراج الذرية من صلب ادم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه انما جعل موجب العذاب في اخر الاية هو الكفر من حيث انه كفر لكفرهم من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد واولا وعكس اخرا فالجواب بعد التسليم افادة الواو الترتيب انه بدئ بذكر اهل السعادة وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي لما في ذلك من مزيد غاية حسن المطلع والمقطع انه من بديع في الفصاحة ومن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم امنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي وقيل المراد اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصب الله من الادلة على التوحيد والنبوة وقال عكرمة الاصم الخوارج انهم الكتابيون امنوا قبل مبعث النبي وكفروا به بعد بعثته قال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلعم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما راى ابو امامة رؤساء منصوبة على درج مسجد دمشق معتبا ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشئ تقوله برايك ام شئ سمعته من رسول الله صلعم قال بل سمعته من رسول الله ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه فقال فما شانك لم تسمع عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ابا زرك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم هذا لما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه كذا في قوله لم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله قلت لم يثبت فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله فففي رحمة الله فالمراد بها الجنة هي محل الرحمة وموقع قوله تعالى هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد ان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه تعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب وان اهل النار وان كانوا مخلدين ايضا الا امل فاشارات الى ان جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب كيف لا وقد ارد فه بقوله تلك الاحكام التي وردت بتخيير الوعيد والوعد انقضى ذكرها اثبات الله تتلوها عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيئ باساءته ومتلبسة بالمعنى الحق لان معنى الملوحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن مصالح الخلق لا ينتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق وفعال الكذب عمن هو احسن الفائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب ان لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه وعلى غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا الشئ من الاقسام الثلثة كان مريدا له فهذا خلف فثبت بهذه الاية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشئ وصح منه كونه مريدا له فدلت الاية على انه قادر على الظلم وعلى ان من تمدح من الظلم على سبيل الابتهاج والتفخر فليس هذا قال لله ما في السموات وما في الارض وانفذ لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح لجهله او لعجزه او لحاجته وكل ذلك على الله تعالى محال لانه تعالى مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الاية انما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم وانه لا يريد ان يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريئ من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فثبت ان الظلم منه محال عندكم فلا يلزم من مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل ما اراده الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الاية على وجه صحيح في مذهبكم فجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بشئ صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم لا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم

والاكل عليه الثاني انه تعالى عذب من ليس يستحق الظلم لو لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه اذا كان للطف والقهر من غير وجوب وان صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره بكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض اجاب المعتزلة بان قوله لله اضافة فعل كما يقال هذا بناء الفلان يراد انه بناه وكما لا انه مفعوله وايضا الاية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقة وتكوينه تم فيكون الجبر الحق لا رما من هذا الوجه الى الله اي الى الله حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه تم مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى انه معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امرهم عما نهى عدل الى طريق اخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا تبطلوا على انفسهم هذه المزية وذلك مما يكون بالزام التكاليف الشاقة وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه ولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين بمعنى انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير امة اي بتلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الاخرة لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقوالها اخر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه تتبع ذلك مزيته هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية انجعلهم مظهر الالطافه وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف انها الوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في مملكه عن عكرمة مقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهود يا اليهوديين قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذا الاية قال بعض المفسرين كان ههنا تمام وانتصاب خير امة على الحال اي حدثتم والاكثرون على الها ناقصة فجاء ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طاري بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله وفي اللوح المحفوظ خير امة وكنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وقال ابو مسلم هذا اخبار لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما يليها اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا لكنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من اصحاب رسول الله ﷺ وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن الانباري بان الزايد لا توضع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زايدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد امة محمد هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوة انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي ﷺ ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم اخرجت للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالاية على اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خير امة لان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم امرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلثة كانت حاصلة لسائر الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد اقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرايع كما قال النبي ﷺ انا نبي السيف مرتين اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله ويقاتلوكم عليه لا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر المنكر فائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان اكثر ما يحبون من الاديان الباطلة ولا يتاملون في الدلائل التي يورد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق هكذا الى ان تالفه مندوحا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم امنوا بكل ما يجب

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الخ غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عدد ناه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو امن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف و تاكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه لهم ولعلم ان التكميل افضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب ويتفرع على هذا ما ذهب اليه قوم ولو امن في تفسير الكبير الايمان مشترك فيه بين الامة وبين غيرهم فلا تبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس كذلك لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال ثم ولو امن اهل الكتاب يعني بها نا معتبرا وهو الايمان بالله بسائر ما لا بد منه من الامور المعتد بها لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة ولحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما ركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد الله من ايتاء الاجر في الاخرة مرتين وعلى ما هم عليه ليس الا استتباع بعض الجهلة مع العوام وشيء قذر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد والسابقون اكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيقارب الكفر وبراد فه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون بانفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال تعالى وهو اية الاعجاز بجملة مستانفة هي ان يضروكم الا اذى لا ضرارا لا يجاز والاذى يقول كطعن في الدين وتهجين له وتحريف نص او الفاء شبهة واظهار كلمة الكفر بالشرك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذاة واذية والاذى نوع من الضر فصح استثناؤه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا وهذا ينبئ ان الاستثناء البين ينقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل يرفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتف عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ايما كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هذا يوهم ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الاية بخصوصها باليهود واسباب النزول تدل على ذلك فكان كالاخبار عن حال بني قريظة والنظير والنضير فيقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال فلم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لهم امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل اتقوا الله حق تقاته لاهل الغرائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا بنفث وجودكم المجازي الا وقد سلمتم المصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان هل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقبل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم وناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين اياته للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب اياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالانفعال دون الاقوال اولئك هم المفلحون من وعيد من امر بالمعروف ولم ياته يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر باون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم اي ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتددتم على اعقابكم القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس بنيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا واذا قوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاء مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولا تزهون على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال اي ان الله مع خواصه تتلوها عليك بالحق نظهرها لك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعها كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقبة مطيعهم لشوم عصيانهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زلاتهم لعثرة وزلاة ارحمه ومنها شكاتهم الينا وشكرهم الينا قبل وجودنا ولو امن اهل الكتاب بعيسى علماء السوء يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم بنازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضربت

عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا
برانها ميتوانى اين بانجهة ست كه بودند كه كافر شدند بايات خدا وميكشتند پيغمبرانرا بدون حقى اين بانجهة ست كه نافرمانى كردند و بودند
يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون
درگذشتكان نيستند يكسان از اهل كتاب طائفه كه برپاست ميخوانند ايات خدارا در دل شبها وايشان سجود كنندگانند ميكروند
بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين
بخدا وروز واپسين ومفرمايند بنيكوئى ونهى ميكنند از بدى وپيشى گيرند در خوبى وانگروه از نيكانند
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
وانچه ميكنيد از خوبى پس كافر نشويدانرا وخدا داناست باحوال پرهيزكاران بدرستى كه انانكه كافر شدند بى نياز نشوند از مال ونه اولاد از خدا
شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
چيزى را وانگروه ياران آتش اند انها دران جاويدند مانند انچه خرج ميكنند دراين زندگانى دنيا چون مانند بادست كه دران
صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين
سرما باشد كه برسد بكشت گروهى كه ستم كردند بنفسها خود را پس نابود كند انرا وستم نكرد انها را خدا ولكن خود خود را ستم كردند اى زمره انان كه
امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي
گرويديد فرا مگيريد بمعنى بشما يكه از غير شما ست كه تقصير نكنند در تباهى شما ودوست دارند مشقت شما را بدرستى كه ظاهر شد عداوة از كلام ايشان وانچه
صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب
ودرسينهاى انها بزرگتر ست ظاهر كرديم از براى شما ايات را اگر باشيد دانشمندان اكاه باشيد شما ايشان را دوست ميداريد انها را ودوست ندارند شما را وايمان اوريد بكتاب
كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
همه وچون شما را بينند گويند كه گرويديم وچون با هم شوند گزند بر بعض شما انگشتها را از خشم بگويد بميريد بخشم خود بدرستى كه خدا داناست بانچه در
الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
سينهاست اگر برسد شما را خوبى بد آيدشان واگر برسد شما را بدى شاد شوند بان واگر صبر كنيد وپرهيز كنيد ضرر نرساند شما را ايذاء ايشان
شيئا ان الله بما يعملون محيط القراءة ويسارعون وبابه بكسار عوا وسارع مما لزقيبة وابو عمر وطريق بن عبدوس ما
چيزى بدرستى كه خدا بانچه ميكنند محيط است يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وحفص وابو عمر بخبر الباقون بتاء الخطاب تؤمنون
وبابه من كل لهمزة مجزومة بغير همزة الاعشى واقية والاصفهانى عمرو ورش وحمزة فى الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب
ابن كثير ونافع وقرا المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوما ثم محركا للساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون
محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقف لا يضركم بغير خط يعتدون قبلا الوقف عليكم من غيظ ليسوا يعودا اليه ضمير منهم
المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا الحد الفريقين سواء ط يسجدون قبلا الوقف على جعل يؤمنون حالا
لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف النهى عن المنكر مما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط يعقلون كذلك للعطف مع
الحذف اى وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا قد قبيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حالهم فى النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ط
تسؤهم للابتداء بشرط اخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهى وصف لزمهم وابتداء شرط على ان
شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار من مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحى والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان فى عامة الاحوال ما بقى
والسبى والنهب الا وجدوا الا معتصمين او متلبسين اى الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين
فانها فى حكم واحد اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية ح بكون دمهم محقونا وما لهم مصونا وهو نوع من
العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس
ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا
تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا فى غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا
بالغضب ضربت عليهم المسكنة عن الحسن المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زايلة بعد اعتصامهم بالذمة
وقال الاخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا الا وهم مستخفون فى جميع النواحى والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر
والدقعة البتة وباقى الاية قد مر تفسيره فى البقرة الا انه سبحانه قال فى هذا الموضع من هذه السورة وفى النساء الا بغير حق لان جمع
التكسير يفيد التكثير فذكره فى الموضعين اعنى فى البقرة وفى اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

كالذين والصابئين وغيرها ثم تدلج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الاخرين نعيا عليهم تفظيعا لشانهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة
اشارة الى الحق الذي اذن الله ان يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية اي بغيرها حق اصلا
في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستانف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من اهل
الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه ترك هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء باحد الضدين لحظورهما بالبال معا غالبا
قال ابو ذؤيب عصاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ام غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا
لا يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن ان يقال وعبد الله ليس كذلك قيل وهو اختيار ابي عبيدة ان امة مرفوعة بليس على لغة
من قال اكلوني البراغيث وهو بدل من الضمير على نحو واسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفي
تفسير اهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور انهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واضرابه قالت احبار
اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين اباءهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت و
عن عطاء انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صدقوا بمحمد الثاني انهم كل
من اوتي الكتاب من اهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشرهم انه لا يصلي هذه
الصلوة احد من اهل الكتاب فانزل الله هذه الايات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال ره لا يبعد ان يقال اولئك الحاضرون
كانوا نفرا من مؤمني اهل الكتاب فقيل ليس يستوي من اهل الكتاب هؤلاء الذين امنوا بمحمد فاقاموا صلوة العشاء في الساعة التي نام
فيها غيرهم من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد ايضا ان يقال المراد كل من امن بمحمد فسماهم الله اهل الكتاب كانه قيل اولئك الذين سموا
انفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تع اهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستوي ما ان
فيكون الغرض من هذه الاية تقرير فضيلة اهل الاسلام تاكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير امة كقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ثم انه تع مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل اي في الصلوة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة
له غير مضطربة وقيل اي مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الاية دلت على ان المسلم قائم بحق العبودية
وقوله قائما بالقسط دل على ان المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم الصفة الثانية يتلون اي امة
قائمة يتلون ايات الله اناء الليل فالتلاوة القراءة واصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ ايات الله القران وقد يراد
بها اصناف مخلوقاته الدالة على صانعها واناء الليل ساعاته واحدها اني مثل معا وامعاء او اني مثل نحي ونحاء الصفة الثالثة وهم يسجدون
يحتمل ان يكون حالا من يتلون كانهم يقرؤن القران في السجدة تخشعا الا ان ما روي عن النبي صلعم الا اني نهيت ان اقرا راكعا وساجدا يأباه
وان يكون كلاما مستقلا اي يقومون تارة ويسجدون اخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون يبتغون لربهم
سجدا وقياما قال الحسن يريح راسه بقدميه وقدميه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلوة
تسمى سجدة وركعة وسجودا وان يراد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا منع من كونه
حالا الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الاخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم
بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدأ والمعاد ولا يخفى ان غير مؤمني اهل الكتاب ليسوا من القبيلتين في شيء بسبب
تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الخامسة والسادسة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى انهم فوق
التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغي ومنعهم عما لا ينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات اي المذكور
كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت فمعنى التاخير افات ثم ما روي انه صلعم قال العجلة من الشيطان
مخصوص بهذه الاية على انها تفيد كلية الحكم لان القضية اهملت اما لان كيفيات الامور متفاوتة فمنها ما يحمد فيه التاخير لكونه مما يحصل على
على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي ولكونه غير معلوم العاقبة فيفضي الى فيفتقر الى مزيد تدبر وتامل ومنها ما
يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص مر السحاب قال صلعم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحين وذلك
ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تع فاذا اخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود واقصى ذي
المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تاكيدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحين فقال وما
تفعلوا من خير فلن يكفروه اي لن تحرموا ثوابه بل تمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه النعمة
الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله
عليم بالمتقين مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان المتقي

لو عاينهم هو معبودهم الحق لتفاقد الغنى الجبار الذى لا غاية لكبريائه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثل هذا شأنه ثم بين احوال اهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الاية وقد سبق تفسير مثله فى اول السورة ثم انه لما بين ان اموال الكفار لا يغنى عنهم شيئا امكن ان يخطر ببال الحدان الذى ينفقون منه فى وجوه الخير ان العلم بانتفاعهم بذلك فاز الله هم بقوله مثل ما ينفقون الاية قال اكثر المفسرين واهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد فى الصحاح الصر بالكسر ريح يضرب لنبات والحرث وعلى هذا فمعنى الاية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز فى الكشاف ان يكون الصر صفة بمعناه البارد فيكون موصوفه محذوفا فالمعنى صرة فيها صر كما تقول برد بارد على المبالغة او يكون فى تجريد به كما يقال لابيت فيه اسد اى بنات اسد فان نفى الله كان فى قبيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانبارى باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا او حارا محرقا فانه مبطل للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذى مر ذكره فى اول سورة البقرة ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من اموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله فى هذه الحياة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذى حسه البرد فضار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعنى ابا سفيان واصحابه من سفلة اليهود المنفقين على احبارهم فى ايذاء رسول الله ﷺ وفى جمع العساكر عليه فى كونه مبطلا لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر كمثل ريح فيها صر فى كونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمير فى ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك ان نفاقهم اما ان يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى لهم ثواب فى الاخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر واما ان يكون لمنافع الاخرة فالكفر مانع عن الانتفاع وبعلهم كانوا ينفقون فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل لاسيما ان خيرا كثيرا فى المعالكهم اذا قدموا الاخرة رأوا كفرهم مبطلا لاثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاقهم الاموال فى ايذاء الرسول ﷺ وفى تخريب ديار المسلمين ولا يبعد ايضا تفسير الاية بجميعهم فى الدنيا فانهم انفقوا اموالا كثيرة فى تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم واظهر الله الاسلام واعز اهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحسرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع اعمالهم التى يرجون الانتفاع بها فى الاخرة كقوله لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات ما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدا لاقتصار على قوله اصابت حرث قوم فنقول الغرض تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه اثر ولا عشر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا اصابته جائحة فى الدنيا ابدله الله خيرا منه فى الدنيا او فى الاخرة فان المسلم مثاب على كل ما يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذى لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ويحتمل ان يراد بالظلم ههنا وضع الزرع فى غير موضعه فان من زرع لا فى موضعه فى غير اوانه ثم اصابته الافة كان اولى بان يصير ضائعا والضمير فى وما ظلمهم للمنفقين اى ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول ولاصحاب الحرث اى ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ فى شرح احوال المؤمنين والكافرين شرع فى تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطؤن رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف فى الجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصة صفيه الذى يفضى اليه بسره اى اموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحدة شقراء اصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذى يلى منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة فى سياق النفى وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا او يكون صفة لبطانة اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول اولى لان الغرض ليس هو النهى عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهى عن الاتخاذ من غير ابناء جنسهم واهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذى يشانا عنى ومن المتبين يقبل زلة ثم ذكر علة النهى فقال لا يألونكم خبالا لا يقال الا ذا الازم بالواو اقصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا ألوك نصحا وجهدا على التضمين اى لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ويجبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر فى موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم فى مضرتكم وفسادحالكم وودوا ما عنتم اى عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع فى امر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا اصابه شئ فهاضه قد اعنته والمراد ما يحبوا وتمنوا ان يضروكم فى دينكم اشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون فى فساد اموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك غير زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هى شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله افوه بدليل تكسيره كسوط واسواط فحذفت الهاء تخفيفا واقيمت اللام مقام الواو وكأنها حرفان شفوى بان وظهر البغضاء من افواههم واضح لفشرهم العصا وكسرهم عن كأنياب وعلى التغيير فى تكذيب النبى ﷺ والكتاب وما من المنافقين قد ذلك ان المداجى لا بد ان ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاولياءهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على بعض ذلك وما تخفى صدورهم اكبر لان فلتات

اللسان مناهية وكوامن الصدور مخبأة عن مناهيته ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه
النصايح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحق العداوة والولي ثم ان سياق
هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تلقين اوصاف البطانة كما تقدم او بطانة غيركم خبالا ودين عنتكم نابية بغضاؤهم واما فائدة بينا
فكلام مبتداء واحسن من ذلك ان يبلغ ان يكون الجمل مستانفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكانه قيل لا تتخذهم بطانة فقيل لانهم
لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير
احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التلقين تتوسط بينها العواطف والاعاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب و
لتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوى بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوايد ثم استانف للتحذير عظا اخر من البيان مشتملا
على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطبون في مولاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيل ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف
الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في بالهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب و
يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون
مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها مما
لا تكاد تنحصر داخلة في الاية ثم ذكر سببا اخر مما به يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو هم لا يؤمنون
به لان ذكر احد الضدين يغني عن الاخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون
للحال واللام في الكتاب للهداي كانه يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كلها وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر
مضارة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا امنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا وبوصف المغايظ او الانامل و
البنان لابهامها لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب اذا رأوا من ايتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شانهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعزاهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح
ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله
عليم بذات الصدور اي بصواحبها وهي الخواطر القايمة بالقلب الداعية الصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقول فعنى
اخبرهم بما يسوءه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يذيبكم او تموتوا غيظا وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات
القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك ايحمدة ولا تتعجب الطاعن على اهل على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلايق ولم يظهروه
على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول للفظ بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس قوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا اخر من مضارتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا
كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه يقتضي سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من
اضداد ما عدا نايفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول لي شبهان يكون المس اقل من الاصابة
وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسنة اينما تحصل لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا اصاب
العدو بلية عظيمة كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا يكون ثمة غاية الحقد اذا كان حال القوم مع المسلمين في القسمين بالخلاف فدل
ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل في سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا اما نهيتم عنه من موالاتهم وان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه
وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضر بل كنتم في كنف الله حفظه وفيه اشارة من الله تعالى ان يستعان على دفع مكائد الاعداء
بالصبر والتقوى فمن كان الله معه كان في كلام الحكماء اذا اردت ان تكب من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقال بعضهم اذا ما شئت
ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرمات لك فهي عداك على الاعداء من ثوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او
تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهل له وبل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بحبل الله
وطلب حبل من الناس يعني مسابقة النبي وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدبرون
فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا اخر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثلا ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد
الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في تكاليفكم
والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من يغم الدنيا ومشتهاتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرجوا بما قاسيتم

من الجاهدار

من الجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر بحتوهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف مجال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليهم بدأت الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

ع

وچون جمع كردى ازاهل خود كه جاى داده مؤمنان را در جاى خود از براى جهاد وخدا شنونده داناست

اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم

چون قصد كردند دو طائفه از شما كه متفرق شوند وخدا دوست انهاست وبر خداى پس توكل كنند كردنكان وهر آينه يارى كرد شما را خدا در بدر وشما

اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة

وظاهر خواران بوديد پس بترسيد خدا را شايد كه شكر كنيد چون ميگفتيد مر مؤمنان را كه آيا بس نيست شما را كه يارى دهد شما را پروردگار شما سه هزار از فرشتكان

منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين

فرود آمدكان آرى اگر صبر كنيد وپرهيزيد وبيايند از تعجيل شما كه كفر شد كه امداد كند شما را پروردگار شما بپنجهزار از فرشتكان نشان

وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين

وكمر دانيد ازا خدا مگر مژده از براى شما وتا محكم شود دلهاى شما بان ونيست يارى مگر از نزد وخداى غالب استوار تا ببرد جانبى از انهارا

كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله

كه كافر شدند يا اكه بسزكون سازد ايشان پس برگردند زيانكار نيست بتو از كار انها چيزى تو به پذيرى بر انها يا كه عذاب كنى انها را پس انهاستمكار ازا ومر خداى را

ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم القراءة تبوئ المؤمنين بغير همز

انچه در آسمانهاست وانچه در زمين است ميامرزد از براى اكه خواهد وعذاب كند انرا كه خواهد وخدا امرزنده مهربانست ابو عمرو وعبد شجاع ودورى الاعشى

وحمزة في الوقف متزلين بالتشديد فتح الزاى ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم

وسهل ويعقوب الباقون للقتال عليم الان ادبدل من اذ غدوت ويتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا الان الواو للحال ولهما

المؤمنون اذ لتزجيج للقاء تشكرون متزلين تمام القول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لتعلق اللام بمعنى

الفعل في النصر خائبين ربع الجزء ظالمون وما في الارض ط من يشاء ط رحيم للتفخيم انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا

واتقوا خلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك فقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا اكثر من مستعد

للقتال فلما خالفوا امر الرسول ﷺ انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على

خصومهم ووجه اخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه

لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اى قد كان لكم مثل تلك

الاية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب

واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الاية نزلت في واقعة احد هو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم والبلخي ومسلم روى ان المشركين

نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله ﷺ اصحابه فرد عامة عبد الله بن ابي ولم يرد عنه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار

يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت

فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين

وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم قال ﷺ اني رايت في منامي بقرا مذبوحة والله خير

ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فقد

فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزل الوابه ﷺ حتى دخل فلبس لامته واستشار

قد لبس لامته فندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه فقالوا له اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي

يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة فقالوا له من منزل عائشة وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد

والواحدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القداح

راى ﷺ صدرا خاريجا فقال ناخرة وكان نزولهم في جانب الوادي فجعل ظهره وعسكره الى احد وامر ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وقال

لهم اضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال ﷺ لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا غلبونا فلا تطلبوا المدبرين

ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله لما خالف راى عبد الله بن ابي شق عليه ذلك فقال طاع ﷺ الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه

ان محمدا وأصحابه لن يفلتوكم بعد اليوم فاذا رأيتموهم قد هزموا فاذا رأيتموهم قد انهزموا فليستبغوكم فيصيبوا من على خلفها فاذكر
محمد فلما التقى الفريقان انتزل عبد الله بن ابى بثلث الناس فقال اقوم علام نقتل اولادنا وانفسنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا
وقيل لسبعمائة وخمسين فبقى نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلثة الاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام
القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول
ولم يعلموا ان ظفرهم الله يوم بدر ببركة طاعتهم الله ورسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فرغ الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله ﷺ كما قال الا تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخريكم وشج وجه رسول الله
وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة ونزف ولم يبق معه الا ابو بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قتل فاشرف
ابو سفيان وقال فى القوم محمد ﷺ فقال النبى ﷺ لا تجيبوه فقال فى القوم ابن ابى قحافة فقال لا تجيبوه قال فى القوم ابن الخطاب فقال ان
هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان مر نجم اعل
هبل فقال النبى ﷺ اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال ﷺ اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله ﷺ اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الاسواء قتلانا
فى الجنة وقتلاكم فى النار ولنرجع الى التفسير قوله انه منزلا ان لبثه فيه ومقاعدى مواطن ومواقف وقد اتسع فى قعد فاقام حتى
استعمل المقعد فى المقام فى المكان ومنه قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اى من موضع حكمك ويحتمل انه ﷺ لما اقوم
ان يثبتوا فى تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون فى الامكنة المعينة الى ان يأتيهم العدو
فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد ثم قال والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم وبما تكن انفسكم فانا بينا انه كان فى القوم موافق ومنافق
طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والنظر
انهما ما كانت عزمتهما ممضاة ولكنهما كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذهب وان ردها
الى الثبات والصبر فلا بأس بما فعل وعن معوية بن قال عليكم بحفظ الشعر فقد كرمت صنع رجلى فى الركاب يوم صفين فما ثبت منى الا قول عمرو
الاطنابها اذا جشأن فجاشت مكانك تحمدى وتستريحى وما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد المعصية قوله تعالى والله وليهما وعلى الله
ولو كانت عزيمتهما ممضاة لما ثبت معهما الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولى امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفعل من الوكل وهو ان يكل امره الى فلان اذا اعتمد كفايته عليه ثم يتولاه نفسه فيما شاء ثم ان الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من
مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرنى انهما لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه فى الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما وما
يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ﷺ لما بين مكة والمدينة عن الوادى انه اسم الماء بعينه وعن الشعبى انه سمى
بابنم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذل الذى للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم
كانوا الفيلق العديم كما مر فى تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فى بعد
المراد انهم كانوا اذلة فى زعم المشركين فى اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل ولعل الصحابة كانوا قد شاهدوا
الكفار فى مكة فى غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية فى نفوسهم فاتقوا الله
فى الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سببه او تقول للمؤمنين اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل فى قوله اذ نصركم او حصل
يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر اظهر
وكان الاحتياج الى المدد اكثر والثانى مروى عن ابن عباس والكلبى والواقدى ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف من
من الملائكة لقوله تعالى فى سورة الانفال فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين ثلثة الاف وخمسة فصار واحد وخمسة الاف ويجب
بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصار واثلثة الاف ثم زيدت الفان اخران فصار واحد وخمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل لن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف
وهو كما روى انه ﷺ قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا اربع اهل الجنة قالوا نعم قال اليسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فانى ارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة وانتم لعل اهل بدر امدوا بالف بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءتهم مددا فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين
بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم

فانزل الله

فانزل الله لهم من الملائكة بعد الكفارايتهم وعدهم ان يجعل الثلثة الالاف خمسة الاف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن لكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا فان قيل وما يأتوكم من فورهم هذا يوم احد هو الذي كان يأتيهم الاعداء اما يوم بدر فلم يأتهم الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول ص واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى بانهم ان اتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة احد ثم انزال خمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط ولما انزال الثلثة الاف فانه وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد لكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله ص انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله ص تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول ص انه ملك امده الله به وعن سعيد بن ابي عروبة قال كنت اذا لقيت احدا من اهل بدر يجل ابيض حسن الوجه ما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا انهم في عداد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزايد لان الوعد بامداد الثلثة الالاف شرطية والوعد بامداد خمسة الالاف مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فهنا امتغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر قد مر وفيها ذكر الامداد في موضع اخر فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزايد وقال انه عدد بالالف ثم زيد الفان فصح ان يقال وعدد بثلثة الاف ثم زيد الفان اخران فوعد بخمسة الاف واجتمع اهل التفسير واهل السير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انهم لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وبقي ما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال انزل الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم ولما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك اهل الارض فانه كان اكابر الكفار كانوا اشهر من ان يخفى على كل منهم هوان الصحابة معلوم وانهم لو قاتلوا فاما ان يكون بحيث يراهم الناس او لا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلثة الاف والكثرة لم يقل احد بذلك لانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جواز رؤية من تمر في البطون واسقاط الكفار عن غير مشاهدة فاعل هذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر وينتشر بين الكافر والمسلم والموافق والمخالف وانهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف يثبت على الهواء ان علم ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة ومن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعلم انه يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم بما ظفروا به ويقولون لو رأى الخيل البلق والرجال البيض الذين كانوا معهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف بنا في الابتداء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك وبلا سبب لكنا على ان يحجزهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد اشاعة هذا الدين على لسان نبيه وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فله الحمد على ما اعطى وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزل البأس فلا جرم اظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حق احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة بتمييز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه جرى الامر في احد كما جرى في بدر لا شبهة ان يفضي الامر الى حد الالجاء وذلك ينافي التكليف ويوجب سقوط الثواب والعقاب ومثل ذلك امداد الملائكة حين امدهم على عادة الامداد بالعساكر والافلاك واحد يكفي في اهلاك اكثر من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة وبعرهم على الثبات ويقووا بنصر الله ومعنى ان يكفيكم انكم لا ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا قللهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالاشيين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل امده بمده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده بمده وقرئ منزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر بالتخفيف اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا واتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فيقال خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف مشروطا بثلثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم يوجد هذه الشرائط بكلها او بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتراخى النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنايم واتقوا مخالفة الرسول

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الرابع

وقوله مسومين من السومة العلامة وقد علم الفارس يوم اللقاء ليعرف فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلعم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت قيل سومهن مرسلين من اسمت الابل وسومتها ارسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم وان الله تعالى ارسلهم على المشركين لاهلاكهم كما يهلك الماشية النباتَ في المرعى وما جعله الله اضمر عائدا الى المدد والامداد الدال عليه الفعل قال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اى الا لتبشروا بانكم منصورون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل في طمانينة قلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة اذ انكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تقبيح على اولئك الاعبد الذين يعجبهم كثرة العدد والعدد ويذهلون عن الاسباب الحقيقية بالكلية على مسبباتها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اى طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال ولم ترها تنأى الارض تنقصها من اطرافها فانلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشئ على وجهه فسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين خاسرين بمبلغهم قبل الخيبة يكون الابعد التوقع تقيضه الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر لنا لحما نعني لنقوم بحدة متى قوله عز من قائل ليس لك من الامر شئ فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلعم يوم احد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلعم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء الخمس اسلامهم وقيل نزلت في خمرة بن عبد المطلب وذلك انه لما راه ورأى ما صاروا به من المثلة قال لامثلن بهم مثلتين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين كرهوا منعه الله عن ذلك وروى عن ابن عباس وجابر ان رسول الله صلعم اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت وقال الفقال كل هذه الامور وقعت يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية في الكل القول الثاني في الية ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي صلعم بعث جمعا من خيار اصحابه زهاء سبعين الى بئر معونة ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى الموضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلعم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما فيقول بعد ما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن رعلا وذكوان اللهم اخ الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابا ربيعة المستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه روح يتوجه الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى كيف منعه منه والا هو قادح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل بكفوره فلعل قطع الكافرين مع انه مما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط لعله شاهد من قبل حمزة وغيره وما اورد حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فصان الله تعالى النبي تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه يحمل على ترك الاولى والنهي ارشاد الى الخير الاولى وايضا ان دعاء النبي لا يكون مجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن بربه انه خلاف مسئوله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله كما في هذا الدعاء سئل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهارة وذكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قضية هذه الواقعة ومن شان هذه الحادثة شئ فاني اعلم بمصالح عبادي والمراد الامر الذي هو خلاف النهي ليس لك امر من خلقي شيئا الا ما يكون امري وحكمي او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف على الامر يعني ليس لك من امرهم شئ او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شئ والحاصل منع رسول الله صلعم من كل فعل وقول الا باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضرب زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان سلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ويعذبهم الان كقوله تعالى لنذيقنهم من العذاب الادنى دون يوم القيامة وقيل حتى في المعنى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بخلاصهم ويعذبهم فتشفي منهم ثم ليتوبن عليهم مغفرة عن اهل السنة تخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكد هذا التاويل بان هذا الندم كفارة لهم تحصل في القلب عما سلف فيه والعزم

اذ قالها

لبشارة بالنصر

نزول بعضهم من الجبل

اراده

ارادة يتعلق بتركه ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لكان تفتقر في نفسها الى ارادة اخرى وتتسلسل فوجب ان تخلق لله تم
واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم بما يفعل الالطاف وبقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم و
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اى هما والحيوانات التي فيهما والله
فليس الحكم عنه فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعبهم فضله وان كان من لا تليق المغفرة عنده ويعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا ولا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب لهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روى عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب
الكبير لخلق للطاعة الطاعة لطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله فعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فانا قشوا في ذلك ردوا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب المستوجب
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تقع لازم ملكة فان الطاعة اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع
والله اعلم التاويل اخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر الهالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبداء من اهله اى صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اى صفاتك الروحانية مقاعد للقتال النفس
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخالص عن درطة تية الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعني القلب والصافر والروح واخلاقه والله وليهما لتخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس فاتقوا الله تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشيطان
ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية لا يدركها الحواس
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه ويزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا منهم بعضا من
الصفات النفسانية التي ينشأ الكفر بصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفرهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمه من يشاء
علما بما يشاء والله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار
المتعلق على ما تصفون اى زمرة انسانى كه كرويد مخوريد سود را افزودة تو برتو وبرهيزيد خدا را شايد كه رستكار شويد وبترسيد از آتشى
التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كه آماده شده براى كافران وبيرويد خدا و پيغمبر را شايد كه رحم كرده شويد وبشتابيد بسوى امرزشى از جانب پروردگار وبهشتى كه عرض آن
كعرض السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
وسعت آسمانها وزمين است آماده شده از براى ترسندكان آنان كه خرج كنند در خوشى وتنكدستى وفرو برندكان خشم وورگذرندكان از
الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
مردمان وخدا دوستدار نيكوكاران است وآنان كه كردند ناشايستى ياستم كردند نفسهاى خود را ياد كردند خدا را پس طلب امرزش كردند مر گناهان خود را وكيست
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
كه امرزد گناهان را بجز خدا و اصرار نكردند بر آنچه كردند وايشان ميدانند امرزش از پروردگارشان وبهشتها كه روانست از زيرآن
الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
جويها جاويدان در آن وخوبست مزد كاركران بدرستى كه گذشت از پيش شما طريقها پس بگرديد در زمين پس بنگريد كه چگونه بود
عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
عاقبت تكذيب كنندگان اين بيانست از براى مردم ورستى وپندليست مر پرهيزكاران وسست مشويد ومحزون مگرديد وشما بلند مرتبه
ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين
اگر بشويد گرويدگان اگر برسد شما را رخمى پس بدرستى كه رسيد كفار را رخمى مثل آن واين روزها ميگردانيم ومبيان مردمان وتا بنمايد خدا آنانرا كه
امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين افحسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
گرويدند وفراگيرد از شما گواهانرا وخدا دوستدار ستمكاران نيست وتا پاك كند خدا آنهارا كه گرويدند وبرطرف كند كافرانرا بغير واو العطف ابو
جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف عاصم غير حفص جبلا الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المنفي
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقف مطلق والارض ط لان ما بعده صفة جنة ايضا اى جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والله اعلم

بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على الذنوب بهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها حال مقدرة من سنن لا تتعقب الاسر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبأ المكذبين المنقين مؤمنهن مختلط بين الناس رجاء ان الواو ومقحمة او عاطفة على محذوف اى ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لئلا للعطف على يعلم الكافرين النفيس قال القفال يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان ممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا لكي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فانما علم انه منهي عنه مطلقا وانما نهى عنه مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب في المعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب لان الفلاح يقف عليه فلو اكل ولم يتوقه زال الفلاح وبعلم ضمنا ان الربوا من الكبائر لامن الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين بان لم يتقوه في اجتناب محارم تكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها دون اكثر اهل النار الكفار فغلبة حالهم كما لو قلت اعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من تركها بعض رجالك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس له هذا الرجاء وغيرهم يحمل الامر على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد لانهما متلازمان وعلى كثير من الاصوليين ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم وتنكير المغفرة ليعيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب سلام والايمان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة عن علي بن ابيطالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لله المقصود من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق الجهاد لانه من تمام قتال احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع اخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت بما وسع ما علم الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا يتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لا يعلمها الا الله تعم وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة وهذا غير مرضي الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون دون ما لا من الظهائر واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد تسليم كونها الان مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال ع في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروى ان رسول الله قال سئل النبي ع وقال انك تدعوا الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي ع سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة اهي في الارض ام في السماء فقال اى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان الفقراء تكرعليها فقالت احسبكم هي من شمائل امه وقيل في عسر اليسر وحلبس المراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حالة عسرة ومسرة فنبه بذكرهما على الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان كان مخالفا لها فانهم لا يتركونه وفي اختياره بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشدفاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهر لا يقول ولا يفعل كانه كمم على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال ومن كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه منا وايمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة اثر نبوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه عض على المشركين حين مثلوا بحمزة وقال لمثلن بهم مندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال الذي عليهم احدهم يؤاخذه وقال لا يكون العبد فاضلا حتى يصل من قطعه ويعفو عن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم ع ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام فيه للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان اصل النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس فهو الجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الاخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الاية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان منها لمن المروءة ان امرأ حسناء ابتاع منه تمرا فضمها الى نفسه قبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي ص وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا اخى رسول الله ص بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله ص والانصاري في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستاذن حتى اتى اليها فاهوى اليها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقال سبحان الله سخنت ماء انك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبر اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي حتى متى فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله ص فاسئله عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذلك يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل ع بتوبته فقال على رسول الله ص والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي ص ابنوا اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه جدع انفك اجدع انفك فعل كذا فسكت النبي ص فنزلت وقال النبي ص الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم فبين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة بمعنى الزنا وقيل فعلة فاحشة متزايدة القبح ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنبا كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار ومنها لانه كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي ذكروا وعيده او عظمته او سائلهم او هيبته وجلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع النقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان او الذهاب الى المحاكمة ومقابل الواجب ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من ادب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا اثر له في ازالة الذنب انما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة والاظهار كونه منقطعا الى الله تع ومن يغفر الذنوب الا الله الاية لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ان لا يديم ذلك العقاب عنه لكن صيد الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل بما قصر مما يمكن للعبد فيه كما في كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله ص يقول قال الله يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي ع قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله ص يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا لما يقيموا على ترك فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صر الدرهم شد طرفها وصر الفرس ان شد ضمها الى رأسه اصر

انهض عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصر واحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد هو راكب وردت نفي المجيء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله رفع القلم عن ثلثة وعلى هذا يجوز ان يراد بالاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما اوردت في المثال المذكور ونفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق وأولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا لتحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله وَلَمْ يُصِرُّوا والجواب بما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل احوال القرون الخالية فقال قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كانه اجراه على نهج واحد ومن سنة النصل احدثه او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعم في الامم السالفة بمعنى سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فَانْظُرُوا كَيْفَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال المجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فَانْظُرُوا كَيْفَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ لان الناظر في حال احد القسمين يكفيه في معرفة حال القسم الاخر لان الغرض نجو الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل احوال امثالهم وليس المراد قوله فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى السير لان لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قَدْ خَلَتْ جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثارهلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به قيل البيان عام للناس لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية واقول ليثبت ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين بأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير متم كما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله وَلَا تَهِنُوا قال اذا بحثت عن احوال القرون الخالية علمت ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق ولو هن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على ما قتل منكم وجرح وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتلاكم لله وقتلاهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وهذا تسلية لهم وبشارة وقوله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اما ان يكون قيدا للقوله وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ اي ان كنتم مصدقين بما بعد كم الله وبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله وَلَا تَهِنُوا اي ان صح ايمانكم بالله بحقيقة هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس لما هزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينما هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدان يعلو عليهم الجبل فقال النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله يوم احد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله لعلكم تفعلون برسولكم فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد قيل بالفتح لغة تهامة الحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وقيل القرحان في يوم احد ذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار ثم

وعشرون رجلا وقتل صاحبوا نهم وكسرت بجراحاتهم فيهم عنرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكى من قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة وعدا القتلى الجرحى غير لازمة وانما تكفي المماثلة في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوفة وصفة مبتدء حذف مبتدأها والتقدير تلك ايام مداولها والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد والضمير
لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقايع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى اخر ويقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل مما تقدم تغيره من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومغارمها فيوم يصطفيه السرور لتوقع النعم بعده ويوم اخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالذكاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين وتارة ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا ينال الكافرون بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان على الكافرين واخزى بهم
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بتوفية
النظر فيها الدلائل على صحة الاسلام فيعظم ثوابه على هذا شبيه بقوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل
مذهب تقرر الفوائد المتقدمة نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية ونحوها
كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى وإذ ابتلى ابراهيم
ربه وتاويل الاية ان طلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال الهذا علم فلان او قدرة والمراد معلومه
او مقدوره فكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد بتجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو التمايز
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم
على الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم متميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق ليعلم بعده ومعناه وليميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك
منصب شريف لا ينال الا هذه الامة ولان يكونوا من الائمة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضرة
دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك
ظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من همو لاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض العلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين
والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد بمحص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد بمحق آثار الكفار وهذه
معاملة لطيفة لان تمحيص هو لاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج وبعد
ليقطع طرفا بنقصها من اطرافها الثامن لا تاكلوا الربوا اما بودي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى الاية فلا
يملأ جوف ابن ادم الا التراب فاتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله وقيل الله لعلكم تفلحون عن حب ما سوى الله وتظفروا
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسايط بقوله واتقوا النار اي بالحرص التي تودي منها نار العطيعة وجوز ان يراد
بقدح طاعة الله ورسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمضارعة النفس والجنان عرضها السموات اي المسافة بين العبد وبينها هذا لان
الوصول اليها بعد العبور ما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لهم بلى ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وملكوت هو الطيبة بالصفات الروحانية
ينفقون اموالهم في السراء وارواحهم في الضراء بل من سوى الله طلبا لله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ذنوب من يشركبه عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية
الوسايط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل وتلك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القربة من ربهم و
من اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين كان نيل المقصود في بذل الجهود قد خلت من قبلكم امم لهم سنن

على الكافرين واخزى بهم

بالقناعة

فسيروا في الارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على اصنافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا ايتها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء الجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من مثله وتلك الايام نداولها بين الناس لنسائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب او من فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومن فهو سبب لكفرانه وسرعة لطغيانه وبوجه اخر البلاء لاهل الولاء تمحيص وب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحو صفات نفوسهم الكافرة ومحو سيئات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى فضاء الارواح ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه

بهشت را وهنوز جهاد او معلوم نكرده يعنى بى جهاد كردن اميد بهشت داريد اين خطاب را كه جهاد كرده اند ازشما ومعلوم نكرده شما صابر ازيد وهر آينه بوديد شما آرزو ميكرديد مرگ را از پيش آنكه بيايد پيش

فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم

پس هر آينه ديديد ازو حال آنكه مشاهده ميكرديد ونيست محمد مگر پيغمبرى كه گذشت از پيش او پيغمبران ايا پس اگر بميرد يا كشته شود بر گرديد

على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت

بر پاشنهاى خود ويركه بر گردد بر پاشنه خود پس هرگز زيان نرساند خدا را چيزى وزود باشد كه مزد دهد خدا شكر ازا ونباشد مرنفسى را كه بميرد

إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين

مگر بفرمان خدا نوشته است بامدت وهركه بخواهد ثواب دنيا را بدهيم او را ازان وهركه بخواهد ثواب آخرت را بدهيم او را ازان وهر آينه پاداش دهيم شكر ازا

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله

وچه بسيار از پيغمبرى كه كارزار كردند با او طائفه بسيارى پس سست نشدند بآنچه رسيدشان در راه خدا وناتوان نشدند وسست اصل نشدند وخدا

يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

دوست دارد صابرانرا وبجز اين نگفتند مگر اينكه گفتند بپروردگارا بيامرز ما را گناهان ما را وزيادتروى ما را در كارهاى ما وبرقرار كن قدمهاى ما

وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين

ويارى ده ما را بر گروه كافران پس بداد شان ثواب دنيا وخوبى ثواب آخرت وخدا دوست دارد خوبكاران را اى گروه ازان كه

آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين

گرويديد اگر پيروى كنيد ازانها را كه كافر شدند برگردانند شما را بر پاشنهاى شما پس برگرديد زيانكاران بلكه خداست صاحب اختيار شما واوست بهترين يارى

القراءة رأيتموه بغير همزة يعني بالتاء بين ونحوه راوك وراوه وروى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش همزة في الوقف بروم وفي الوصل بالمد والهمز مثل ما عن حيث كان ابن كثير وابو عمرو وشبل وابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف تؤته مثل يؤده وكأين بالمد والهمز مثل ما عن حيث كان ابن كثير وقرا يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب على يغيرون في الوقف وكاي الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة الفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين نلقوه صر لطول الكلام الرسول لان ما بعده يصلح صفة واستينا فا الرسل ط اعقابكم ط لشاهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين موجلا ج لابتداء الشرط منهاج للعطف منها الشاكرين قتل ط ليكون قتل النبي ﷺ الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل صر التقدير ومعه ربيون كثير فما وهنوا لو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرا قاتل فلان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا الصابرين الكافرين الاخرة المحسنين خاسرين مولاكم ج الناصرين النفير انه سبحانه لما ذكر فوايد مداولة الايام وحكمها انبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول ما علم الله فلانا خيرا اي ما فيه خير حتى يعمله فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد انما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل اعبائها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكلوا السمك وتشربوا اللبن كما نقول ان دخول الجنة وترك المقام على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير اظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين ووجه اخر وهو ان يكون مجزوما

الانبياء والاخرة الاكثر من اهل حتم

الفصل بين الشرط وجوابه

ايضا لكن لما حركت الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ فما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرا الحسن نعلم بالجزم على العطف وروى عن ابي عمرو ونعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين لحوا على رسول الله ﷺ في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتال قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا الان قتال المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر ويريده برضى بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كرامتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب المضر الى فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بالبال منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قال الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه ثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الرعيات ما ورد فاراد صبرهم شهداء الا ان قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رايته بعيني ورايته بعيني حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رايتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم اظهارهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي ﷺ بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا اسواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول ﷺ مع صحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار وبادر قوم من الرماة الى الغنيمة وقال ابن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما راى الرماة خلو الجبل حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب لوائه يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه ابو بكر وعلي وظن ابن قميئة انه قتل رسول الله ﷺ فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فقيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله ﷺ فانكفاؤا فجعل رسول الله ﷺ يدعو الى عباد الله حتى انحاز اليه طائفة من اصحابه فلما تمهم على هزيمتهم قالوا يا رسول الله ﷺ فديناك بابائنا وامهاتنا انا اخبر قتلك فرعبت قلوبنا فانزل الله وما محمد الا رسول اي مرسل قال ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصورة على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فيجاهدوا كما جاهدوا وكما ان اسباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين امهم ابدا فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لسبب لجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لا نفسه في الحقيقة كانه دخل عليه الهمزة فانقلبتم على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك الحاجة قبل الموت من قتله او موته لا دنا بما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى مات فلم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى تعموا ان عيسى قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة بايي طريق كان بدليل قوله انهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها الصدق لو لنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى وهو الرد بدا التشكيك اي سواء فرض وقوع الموت والقتل فلا تاثير لضعف الدين ووجوب الارتداد والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه هذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تاتي من الافعال لا يضر السماء والارض بل انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله ﷺ وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عن انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابراء اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فعلى اثرها قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم

الجزء الرابع

بان القتل مثل الموت فى انه لا يحصل الا فى الوقت المقدر وكما انه لو مات فى بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغنى عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحام المعارك والغرض ببيان حفظه وكلا الامرين التنبيه فانه ما بقى فى ذلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل لانه تعالى كان حافظا للنبى ولم يقدر فى ذلك الوقت اجله او يخبره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا فى الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقديم الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس لا اذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شئ بمشيئة الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كما نرضى لاحدان يقدم عليه لان باذن الله فيرد ذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى امر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن يخلى الله بين القاتل والمقتول فيه لانه تعالى يحول بين نبيه وبين احد ليقتله ولكنه جعل من بين يديه ومن خلفه حرسا يمنعونه عما ارسله به فلا تهنوا فى غزواتكم بعد ذلك بادجاف من جبن قبل الاذن العلم اى لن يموت نفس الا فى الوقت الذى علم الله موتها فيه وفى الاية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغير الاجال يمتنع ولذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله عليه من كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا الاجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الاجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضى الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسوق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلم من اختيار العبد لذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا والحق انه هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان يأتى هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حال فما معنى اختياره ثم انه كان فى الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى فى هذه السورة فقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اى من ثوابها تعريض للفريق الدنيوى وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقى الاية مدح للفريق الاخر الا ان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثانى هو المعتد به فى الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله سنجزى الشاكرين فانهم الجزاء واضافوا الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم شئ لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانما كان ما يثيبهم بعد فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت فى الجهاد لكنها عامة فى جميع الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر فى جانب الثواب والعقاب القصد والداعى فمن وضع الجبهة على الارض والوقت فهو السجود ما لم فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكاين الاكثرون على انها فى الاصل مركبة من كاف التشبيه واى التى هى فى غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف ذا المقصود به الاشارة فكاين مثل كذا فى كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان فى اى اشارة فى الاصل الى ما فى ذهن المتكلم بخلاف اى فانه للعدد المبهم مميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر داخل من فى مميز كاين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا واجب كما فى الاصل عن الكاف ومن اى كما فى مثل جلا لانك تبين فى كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من اى جنس هو ولم تبين العدد المبهم فى الاصل كان معربا لكنه تحمى عن الجزمين معناها الافرادى صار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبنى على السكون اخره نون ساكنة كالتى من الاثنين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وبعض بعضهم انه اسم فعل من كان ولكنه بنى لكثرة الاستعمال وفيها ثمان لغات مشهورة وثمان اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها لعلك تجدها فى كتبنا الادبية ومحل كاين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل او قال خبره والضمير يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربى عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربوة الجماعة فحذفت الهاء فى النسب فيقال قوم ربيون اى مجتمعون وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغيرات النسب كالضم فى دهرى والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا فى دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغى ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء ليقتدى بهم هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فما وهن عدد هم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبى فى القتال وربما يؤيد هذه القراءة ما روى عن سعيد جبير انه قال ما سمعنا بنبى قتل فى القتال ويحتمل ان يترك القراءة الاولى على هذه الاية انهم بان يقال المعنى وكاين من نبى قاتل معه من كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما وضعفوا لما اصابهم فى سبيل الله وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبى وما ضعفوا عن الجهاد بعد

قائم الفاعل يقام الفاعل ح

كان الاعمال بالنيات ح

وما استكانوا

وما استكانوا للعدا لم يخضعوا له وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقبل الوهن استيلاء الخوف عليهم الضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقبل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف ما الاخلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كانه سكن لصاحبه لفعل بر ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي ببعيد اراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كاراض جمع تعزون الى الكون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبرهم كانوا مستعينين عند ذلك الصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب المدد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه على عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجاء اليه ظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستعظاما لها فان المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه قلما ينفك المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب او تقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن نكاء وطهارة اقرب الى الاجابة ثم انهم عموا الذنوب والاسراف الصغاير والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزايدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية ارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان او غيره فانامهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فيها من المنافع واللذات وذلك غير حاصل في الحال والمراد حكم لهم بحصولها في الاخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول والمراد انه سيؤتيهم مثل الذي امر الله اي سيؤتي قال القاضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عندربهم كما مر او الاحياء وثواب الاخرة كله محسن فاطلق بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال الفقال يحتمل ان يكون الحسن هو الحسن كقولهم قولوا للناس حسنا والغرض منه انه اذا كان غاية في الجودة وعدل اذا كان غاية في العدل وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها وفي الموضعين لم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلاجرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين لعلم العباد ان الكل عنايته وفضله ثم انها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن استكانوا المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى ليستغووهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابوا اصابهم وانما هو رجل حالف الحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا يبنا في ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا يتركوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقولهم يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال الذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو شر الاشياء لدى العقلاء وفي الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لو فرض ان لاحد سواه قدرة على النصرة فانه خير بمواقع الحاجات قادر على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والاخرة بلا شائبة علة من الغلبات فنصرته غير لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات والغرض من الاغراض انفاسدات كيف تلاقي الناصر بالحقيقة سواه التاويل

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة يتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب القصد واصحاب الطلب تتمنون الموت لنفوس عرضتموها للمكاره من قبل ان تلقوه المجاهدات والرياضات لمخالفة النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تتمنونها عيانا وانتم تنظرون لان تقدموا رواحكم ولا تجاهدوا حتى تجاهدوا في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليد لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه عند

اعلم المقلد من الوالدين او الاستاد وكذا عند موت المقلد فيخبر عند سؤال الملكين في قولهما لمن ربك فيقول هاه الا ادري فيقولان
زمانك نقول في هذا الرجل فيقول هاه الا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ويسخرى الله بالايمان الحقيقي
الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي بادآء حقوقه وهو الايتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه ما كان ليفوتان تموت عن
اوصافها الدنية واخلاقها الرديه وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبة من جذبات نوره كما ان ظلمة الليل لا ينجلي الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق
فقد اداى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت فيا نشد خليلي هل ابصر تما او
سمعتما باكرم من مولى تحنى الى عبد اني زائر من غير وعد فقال لانه اصوبك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره
على النعمة فثوابه في الاخرة وسيجزي الله الشاكرين اي كالفريقين على قدر شكرهما وكاين من نبي فاعل عدد الذي بين جنبيه
ومعه ربيون مخلوقون باخلاق الرب فانهم نالوا اصابهم من نصب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الدنية
والانقياد الى ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله
وصفاتها يردكم الى اسفل سافلين بشرتكم وهمتكم زوجة كم جنة الزيم ورد لهاى انا نكم كافر شد خوف را بجهت انبار آوردن انها بجدا
ما لم ينزل به سلطانا وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه
انچيزى را كه نفرستاده به غلبه وجايگاه ايشان آتش وبدست ادراسكاه ستمكاران وهر آينه راست كرد شما را وعده خدا وعده شرا چون كشتيد كافران را
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
تا چون بدل شديد ونزاع كرديد در كار وخلاف فرمانى كرديد پس از انكه نشما انچه را كه دوست ميداريد بعضى از شما كسى است كه ميخواهد بهره دنيا را ونشما كسى است كه ميخواهد
الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على
آخرت پس باز داشت شما را از ايشان تا گرميازمايد شما را وهر آينه درگذشت از شما وخدا وند صاحب فضل است بر گروندگان چون بالا ميرفتيد وميننگريستيد بر
احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل
احدى وپيغمبر دعوت ميكرد شما را در رجاعت ديگر باز پس داد شما را غمى بسبب غمى تا اندوه نخوريد بر انچه نوت شد از شما ونه بر انچه رسيد بشما وخدا مطلع است باانچه ميكنيد پس فرستاد
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
بشما از پس آن غم ايمنى خوابى را كه فرو گرفت گروهى از شما را وگروهى را كه هم ايشان را نفسهاى ايشان كه گمان ميبردند بخدا ناحق را چون گمان اهل
الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون
جاهليت كه ميگفتند آيا مر ما را هيچ از كار از چيزى بگو كه بدست خداست كار همه آن ودر دست خداست پنهان ميدارند در نفسهاى خود چيزهائى را كه ظاهر نميكنند از براى تو ميگويند
لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
كه اگر ميبود مر ما را از كار چيزى كشته نميشديم در اينجا بگو كه اگر بوديد شما در خانهاى خود هر آينه بيرون آمدندى آنانكه نوشته شده بر ايشان كشتن بسوى گشتنگاه ايشان
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى
وتا بيازمايد خدا انچه در سينهاى شماست وتا پاك كند انچه را كه در دلهاى شماست وخدا داناست بانچه در سينهاست بدرستيكه انانكه گريختند از شما روز رويارويى جمعان
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين امنوا
دو طائفه جز اين نيست كه بلغزانيد انها را شيطان ببرخى از انچه كسب كردند وهر آينه درگذشت خدا از ايشان بدرستيكه خدا آمرزنده وبا حلم است اى زمره انانكه گرويديد
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
نباشيد مانند انهائى كه كافر شدند وگفتند مر برادران خود را كه چون مسافرت كردند در زمين يا غازى بودند اگر بودند نزد ما نميمردند وكشته نميشدند
في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة
در راه خدا يا بميريد هر آينه بخشايشى از خدا ومهربانى بهتر است از انچه گرد آورند وهر آينه اگر بميريد يا كشته شويد هر آينه بسوى خدا گرد آئيد پس بسبب رحمت
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا
از خدا نرم شدى بر اى ايشان واگر بودى بدخوى سخت دل هر اينه متفرق ميشدند از گرد تو پس درگذر از ايشان وآمرزش خواه مر ايشان را ومشورت كن با ايشان در كار پس چون
عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
آماده كردى پس توكل كن بر خدا بدرستى كه خدا دوست دارد توكل كنندگان را اگر يارى كند شما را خدا پس نيست غالب بر شما واگر زبان كند شما را پس كيست آنكه يارى كند شما را
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلى ويزيد سهل ويعقوب الباقون بسكون
پس از ان ويرخدا پس بايد توكل كنند مؤمنان العين وما وهم وبا بدبغير هزه ابو عمر وضم شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن درش وحمزه

في الوقف لقصد صدقكم وبابه بادغام الذال في الصاد حمزة وعلي وخلف ابو عمرو وهشام وسهل وتشتهي بتاء فوقانية وبالامالة الازرق وعلي وخلف
الباقون بياء الغيبة كلا بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يصبر بتاء الغيبة ابن كثير وعباس عن علي وخلف وحمزة
الباقون بالخطاب مثم ومستنا بكسر الميم من غير الف بعد النون حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف والاخوان فتحصلا الا ههنا الجواز فتلم الباقون
بضم الميم من غير الف بعد النون يجمعون بتاء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا جاز لعطف المختلفين الناظ
الظالمين بادنه رج لان حق يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب بحتى فعلتم وفعلتم انقلبتم الامر وعصيتم
نصره والوقف على يحبونهم ط في الوجهين الاخرج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفى عنكم ط
المؤمنين اصابكم ط تعملون طائفة منكم لان الواو للحال الجاهلية ط من شئ ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو
مقحم او عاطفة على محذوف اي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور ج لان ما بعده يصلح ابتداء وخبرا ان كسواج لاحتمال الواو وحالا واستئنافا
عنهم ط حليم وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير تحشرون
لنتم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص للوصل والى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة وقد يرضا الامر ج
لقاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين لكم ج لابتداء شرط اخر مع الواو ومن بعده ط المؤمنون ج التفسيرية نعم يذكر في هذا الابا
وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من معاظم ابواب
الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كما قيل انه وان وقعتكم هذه الواقعة في يوم
احد الا انا نلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب
كثير من المفسرين الى ان مختص بيوم احد او رودوه في مساق تلك القصة قال السكاكي اذا تحل بوسفيان والمشركون يوم احد منوجهين الى
مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روي ان ابا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال لاين
ابي كبشة يعني رسول الله واين ابن ابي قحافة واين ابن الخطاب فقال عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب
ذعرا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه
الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه
لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب فلما في المحاجة وقيل انه مخصوص بابي سفيان واصحابه
ابي كبشة يعني رسول الله واين ابن ابي قحافة واين ابن الخطاب فقال عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ القلب
ذعرا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع هذه
الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لانه
لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب فلما في المحاجة وقيل انه مخصوص بابي سفيان واصحابه
اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه و
اعتقاد ان لله شريكا لا يحصل الا اضطرارا لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الاخر ينصرني فلا يحصل الاجابة فيلزم هم الرعب
والخوف هذا على تقدير ان معبودهم صحيح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا الهذا لم ينزل الله باشراكها
حجة والتركيب يدل على الشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه استخرج بالقهر
قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ههنا ان حجة الا انهم لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة
ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقولك ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كلما لا دليل عليه يجب اثباته ومنهم
من بالغ فيقول كلما لا دليل عليه يجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على حدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا ما حتياج المحدث
اليه ولم يكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم يكن مستند للنا بعد الدليل
على وجود الشريك على نفيه ما اذا مستند للنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي
الشريك كما ذكرها ان الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الاخرة فقال ومأواهم اي المكان الذي يأوون اليه
النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه قتلا لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال لبطن اذا اصاب بطنه وراسه
اذا اصاب راسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه تعالى في المنام انه يذبح كبشا فصدقوا لله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل بعده على اللوا وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الاان
الاول ان هذا كان مشروطا بالصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يقتلونهم وقيل لما انتهت
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فترلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلما
هذا البيان شرط فلهذا لم يقتض الجواب في المعنى فلما نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر قال اخرون

انه للجزاء ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لان الكلام عليه ثانيها قال الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان آخر وجوهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي وقعهم فيه رسول الله ﷺ وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وتم ههنا كلام قاطع والمراد بالفشل الجبن الخوف وبالتنازع ان الرماة لما هزموا المشركين ورماتهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة وقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وقالوا طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الآخرة ان يكون بمعنى الشان والقصد اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم به وعلى التقديرين فلا بد من تقدير ذلك كما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كلهم فشلوا في بعضهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في انا نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب على ما وان كانت المعصية بعضا وقد ذكر ذلك لوضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله وفيكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بالنجاة والوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم وقوله ثم صرفكم عنهم قال الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعذر المسلمين عن الكفار وحال الريح دبورا وكانت صباحتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير فما الوجه في توجيه لفظ الصرف بهذا المعنى الى نفسه الصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا منه تعذيبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طول المرض وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو ومن غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتحيزوا عن ذلك الموضع يتحرفون فيه عن العدو والا لرجعوا الى النبي ثم ذهب الجبل فجماعة من اصحابه فخصوا بانه فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره واذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى صارفهم الى ذلك المكان وخصوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن نفوس المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهد واقتل اقاربهم واحبائهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وبسبب العفو وما علم من حالهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصح في المعنى من الصرف انه تعالى انما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم لينوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفى عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغاير صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقال الاشاعرة لا شك ان هذا الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح امر الرسول وصاروا بتلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام وقتل جمع غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى قد عفى عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة وهذا ضد قول المعتزلة ويدل ايضا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الحالة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كالنصرة وربما قد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر فقوله سبحانه اذ تصعدون اما مستانف باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفى عنكم اذ تصعدون ما صعد عنهم من بعد مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين وذنب قد نوه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم عنهم اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال الخليل كل شيء يراه اعلى كالوادي والنهر والارزة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد لا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله ان العرج على الشيء يلوي اليه عنقه وعنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في آخريكم في سباقتكم وجماعتكم الاخرى كان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه ثم وبقي هو في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخريهم كما تقول في اولهم واولاهم بنا وبل اقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل ان يقال ثاب اليه اي رجع والمراد الثاني ثيبا لان واحدها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك

السيف

السيف تحيناك الضرب بجعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يشوجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعتك هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذنتم الرسول غما بسبب عصيان امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحساب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين في الكفاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم نزل بمن كسر ناعيه وشج وجهه وقتل عمه وغيره غم مانزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في نسلك لعصاة الطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما الاحتمال الثاني ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة او الاول غم فوت الغنائم والثاني بأبي سفيان وخالد بن الوليد لما علا على المسلمين فجعلوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما والاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين لاستيصال المسلمين والاول ما اصابهم في نفسهم اموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول او الاول خوف عقاب والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا امروا بها عادوا بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثالثها ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما يخطر في سلكها ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان في عفوه تسهيلا لما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيبة من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بإدبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائد ما قال الاشاعرة معناه انه تعالى غم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يقتضون بالمضار وهم لا يجدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه بخلق الله فلو غاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الا ثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسلبهم ينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله وعلى ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما في قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان وامتثلنا وقنعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم مرتبة فيصير هذا ما نالهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بما جرى عليهم من الجراح زجرهم بقوله والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبار الذين كانوا مع النبي يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستيصال لاخبار الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وارد هو لا بقوله يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب امنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت اكبارا جلالا ومفعوله بمعنى نعسم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبرد او على انه مفعول انزل نعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشانا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذ ثم يسقط فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما اخال الا يميل تحت حجفتي وعن الزبير كنت مع الرسول صبحين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الامن غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلوة الامن غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها ان شمول المؤمنين كلهم لا في الوقت المعاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم لزيادة وثوقهم بان الله يخبره عما يضمرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الاوفق للمسهر بجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاة ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا منها لكن في قلوبهم فيقاومهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلاءته لهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ يغشى بالياء فللفعل الى النعاس وبنصبه كونه اقرب ولكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله قد اهمتهم انفسهم يغشاكم النعاس لان العرب يقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس لما كان امنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير دليلا واما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا هم المسلمين المهم الامر الشديد يقال اهمه ذلك الامر اي قلقه واحزنه فالمعنى اوقعتهم انفسهم ما حاصل الهم في الهموم والاشجار بينهم في الثاني والتباين والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ و

الجزء الرابع

واستعار قد فيه مصباغا فاذا سواه فلما كان اجل الاشياء عندهم هو النفس كانت اسنى الحقوق لنفس هناك موجودة والدافع لذلك هو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو حكم المصدري غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به فظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا التركيب ان غير الحق قد يكون كثيرة وارادها مقالات اهل الجاهلية تذكيرا لهم انهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان اردلها كما يقال فلان ينبغي ان يحقق بدين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر غير الحق فاكيد يظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود وجل صدق مما اضيف للملابس اي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اريد بظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قبل ان ذلك الظن انهم وانكانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد ما عند اهل السنة فلا نرتقم فاعل الاشياء ولا اعتراض لاحد عليه اذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من يعبر الصالح في افعاله واحكامه فلا يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه اضطر الناس الى معرفة الحق وكان ذلك ينافي التكليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون رأي عبد الله بن ابي وان النبي لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب اذا كانت الدولة لاحد الحزبين والامر اذا كان كذلك لم يعده قالوا علام نرمى هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والغلبة شيء وثالثها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشبث بالجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر والحوادث باسرها مستندة الى قضاء وقدره فاذا كان قد حكم في الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا معترض في ذلك واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار الدين على الاديان وقع لا محالة تخفون في انفسهم في ضمائرهم وفيما بينهم ما لا تبدون لك وذلك الخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من ذب عنه لما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فامر الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها الان فمنها كتب اللوح لو لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب لما بين العبارة والمحل الذي حله القلب الذي هو الصدر والتمحيص مورده الصفات والعقائد التي في القلب فان قلت ما علم ان نسق هذه الآية انيق ونظم عجيب لما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ والجملة صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي ومنهم طائفة اهمتهم انفسهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان واضح ووقوع القول الذي هو مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ والله خبره والجملة خبران ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر والله خبر ان كما لو قلت ان الامر جميع لله وقوله يقولون استيناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف اما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بان شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء والقدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله يبدأ الامانة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم وبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في نفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله فان في التقدير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح فعائدتها الابتلاء وهو ان يتميز الموافق كما هو المنافق بالعين ثم لا تكرهوا العين فانها محصا المنافقين وتظهر القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور صاحبها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يحيط علما بشيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

على المنافق

قوله عز من قائل إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من مر وراء المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله ص قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم يصيحون وجعل المنهزمون يقدمون اعز رسول الله ص تقرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هبنا لك المغزل فاغزل قال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اول المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان سعد النبي ص ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي ص لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول ص فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحبابان المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكوان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروى ابن عقبة باسناده انه اصيب بين يدي رسول الله ص نحو من ثلثين كلهم يجيء ويحثو بين يديه ويقول لعجمي لوجهك الفداء وعلياك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان بقول ذلك بافلان نزل قليلا ازائل تحمين او منطوق الاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة دعاه اليها والباء في بعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قد اثر الشيطان على استزلالهم في النولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف عقيب منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله على حال يرضونها والابعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على دعائهم الى النولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب قد يكون جزاء كقوله لها ما كسبت ولان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال الحسن استزلهم بقبول قول من قال من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى اي السبب في قولهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التائيد بتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون عملا لاحقا في هذه الغزوة او قبلها ولقد عفى الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما ارتكبوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة وانهم طلبوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقال الاشاعرة من الكبائر لانهم خالفوا النص حيث عفى عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال تاييها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل هم اناس منافقون من اصحاب عبد الله بن ابي واصحابه فيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والام ليس المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات او الضرب في الارض الابتعاد فيها للتجارة وغيرها او الغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا او الغاعل غاز والجمع غزي مثل شاهد وشهود راكع وركع وانما قال اذا اضربوا دون اذا ضربوا اقيم ضربوا الدال على المعنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فماتوا او قتلوا فهم اجمع عنهم بعد ذلك لا بد لذلك يقولون قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذا واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما اللام

اي لاجل اخوانهم

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففيه متعلقة وجهان الاول انه قالوا ذلك القول واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف ستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان افادة ذلك المقول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو باغوا في منعهم عن ذلك السفر والغزو لم يموتوا ولم يقتلوا فازدادت حسرتهم وتالمهم بسبب انهم قصروا في منعهم بخلاف المسلم المعتقد ان الحيوة والموت لا يكون الا بتقدير الله فانه لا يحصل له من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا لقوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبتوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة او نيلا تحلفوا في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرهم يوم القيمة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما علم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعني قالوهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان تعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغيظهم ويغيظهم والله يحيي ويميت ردا لقولهم وجوابا عن مقالتهم اي لا مريد والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى امره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال فلا يجري الامور الا على وفق قضاياه واحكامه المنقضية ابرامه كل ميت لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال ما عندي وتر مالي موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف هون من موت على فراشي ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه بظلمة الشك والطغيان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ممن قر اعلى الغيبة فالظهير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما اكد الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وكفى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب للقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع عنه نعيهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم يموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبا حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا وورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد ان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد لكم من امراض اصبح اسيرا على تقلبات المال ابقاء صاحبه الى الغد فلعل ما نعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به بتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وتبقد صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واصفى وابقى وابقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبه فذبذبه الى مهاوي الملائكة المقربين شرقا وانوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلايل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الخيالية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو عرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله صلتم الى العلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل اولا ان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان خير الخلايق كلهم اليه يجيء فيفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر اي انهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو دلالة على اللطف اعظم انواع الوعد ودلالة على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المفصل باسم الله تنبيها على ان الالهية يقتضي هذا الحشر لحكمة الجزاء ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا اموتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب بكل يعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في قبضة القضاء وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر في الاية بين المغفرة والرحمة والحشر الى الله اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه الثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى عقابه وما احسن هذا النوع وروي ان عيسى عليه السلام مر بقوم نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم وراى عليهم سيماء الطاعة فقال ما ذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فراى عليهم تلك الامارات فسالهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

يمنعكم

ان يمنعكم رحمته ثم تربعوم ثالث فراى عليهم سماة العبودية تركثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على ان المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم اولقتلتم عطفا للشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم تنزيلا لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفى عنهم والتفضل والاحسان بان مدح الرسول من حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم وكان امراه عثمان دخلت على النبي وكان النبي وعلي يغسلان السلاح فقال لها فعل ابن عثمان ما والله لا تجده منذ الايام القوم فقال لها على ان عثمان فتح الله له اليوم فقال رسول الله صدقت ومع انه قال في اعيان ازواج الاخوان ان يتجاوبوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ازداد على ان خال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما انا مثل الوالد للولد فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال لاحكم احب الى الله من حكم امام وفقه ولاجعل بغض الله من جعل امام وحوته فلما كان امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما واحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه وراعية ثار الشفقة واما ما روت الصحيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فاعزنا رسول الله بهذا الدين جعلنا به نقول ونفعل ما شئنا فهذا التكاليف علينا فاذا دخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما ورائها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب السماوية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا يجزع اذا فاته مطلوب ولم يغضب اذا حصل له مطلوب لم يأس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاته وطيباته ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان اكمل البشر في القوتين النظرية العلمية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد ما الحكم بزيادتها فالنظر الى اصل المعنى وعلى حروف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة اما افادتها التوكيد فلاتحاد زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب التقديري اي اي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله كان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا لله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه ليستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب او الطمع في الثناء او يحمله على ذلك قد طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة الخلوق على غيره لا تتم ولا ينتفع بها المرحوم الا بعد موافاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا ما غاثه الله وتوفيقه بربطه على جاش الراحم وضبط حال المرحوم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال لو كنت فظا سيئ الخلق او اصله فظ غليظ القلب لانفضوا من حولك فظاظة القلب قساوته بحيث لا يتاثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الخيام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ومنه من حمل الآية على واقعة احد فقال فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهدار حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع اخر ان الفضيلة الوسط وهو استعمال كل خلق في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتج الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عندهم للمغفرة تامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلم تظهر رحمة الله ورحمته مشتركة بين صفوة الاصفياء وبين اشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله هذا خلاف نص الآية فان جميع افعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعدوه الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين الذي يستحق المكلف بناء على ما عتد من مزيد الالطاف بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب لانه اوجب عليه ان عنهم في الحال كما انه تقدم عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اي جنيتها واستخرجتها من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوار

يقال الخطب فيها مشاورة كثيرا لعشار والتركيب يدل على اظهار شئ والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الاراء وقد ذكر العلماء الامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي تركها ذلك نوع من الاهانة والغلظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا يبعد ان يخطر بباله الحادثة لم يخطر ببال غيره لاسيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن سفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطأوا فلو تركها مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تسير النفوس الطاهرة مطابقة على تحصيل اصلح الوجوه فيكون عون على الظفر بالمقصود ولهذا قال ما تشاور قوم قط الا هدوا الى ارشد امرهم وهذا هو الذي في الجماعات ومنها انه تقع ما امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامرها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم من كل ذنب فان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى فما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر فيها مخصوص بالحرب لان الامر فيها ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن لعهد سابق وليس في تلك الامور جري من امر الحرب في قصة احد وقد اشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار عليه السعدان سعد معاذ وسعد بن عباده يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فيصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص عنه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف كان انه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي فعوتب عتب اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاساري وكان من امور الدين في هذه المشاورة من جملة ما خص النبي بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد روي عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله البكر يستاذن في نفسها ولوا كرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى في ذلك تطييب نفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي على شئ بعد المشورة فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه على التفكر والتدبير والراي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا ارشدك ذلك الى شئ والزمك اياه فتوكل على الله لا على مشاورة بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم احد ان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعد اي من بعد خذلانه لانه الفعل عليه وهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد انه اجاد وزنه وقيل ان ينصركم بمعجزات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك المعجزات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضاءه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك وبقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسايط والاسباب كما يتصور الجهال لان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده الثاني ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الطلب وعده الامن طلبتي وجدا ذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا فشلتم قتال النفس وخالفتم في امر الطلب وعصيتم الدليل الربي من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من مزد لالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته خارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة قرى هذه الاية عند الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد بقي منكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلاء هواها عليكم ليتحكم بالبشرية بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالقطا بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفى عنكم بعد بذلكم عفى عن النفاة اتكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عباد لي عباد فاجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من خارف الدنيا ولا ما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة في طلب الحق فلا يخيب جائكم وهو في جزائكم ثم اخبر عن انزال حقايق اصناف الطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصفا واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب المكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب النفوس حمدوا على الاسلام لانهم لانهم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شئ ما قتلنا ههنا ما الباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل وسوسة الشيطان ونزغاته ما في صدوركم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب لنسبة

الاسلام بالنسبة الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب ثم استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخف
من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا خرجوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من الغرباء وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد وكانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك الغزو
حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون وميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وفي الخبر سابق قد مرت في التفسير قد سنح عند تحريره هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني لان برحمة الله لصفات النفس قواها الشهوة والغضبية حتى يتوفى
كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب وتلاشت الخلق
حكمة الله ونفذت الكلمات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط
يخرج عن قانون الشرع وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا
العقل كالنقد الله حسبي وسزاوار نيست هر پيغمبري را كه خيانت كند وهر كه خيانت كند رسد بجزاي خيانت در روز قيامت پس تمام يابد هر نفسي آنچه اكتساب ايشان
يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماوه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله
ستم نشوند ايا پس آنكه پيروي كرد خوشنودي خدا را چون آنست كه باز آمد بازيافتي زخدا وقرارش در دوزخ او بد جايگاهي است انها صاحبان مراتبند در نزد خدا
بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
بينات است باكه ميكنند هرمنت نهاد خدا بر مومنان وقتي كه برانگيخت در ايشان پيغمبري از انها كه ميخواند برايشان ايات او را و پاك ميكردانيد ايشان و ميآموخت
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا
كتاب و محكمت را واگرچه ميبودند پيش ازان هر آينه در گمراهي ظاهر ايا هرگاه برسد شما را واقعه كه رسيده شد ما را دو مانندان گفتيد كه از كجاست اين
قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين
بگو كه ان از نزد خود شماست بدرستي كه خدا بر هر چيزي تواناست وانچه كه رسيد شما را روز هزيمت يافتن پس بفرمان خدا بود و تا بداند كه گروندگان
وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ
و تا بداند انان كه نفاق ورزيدند وگفته شد بايشان كه بياييد وجهاد كنيد در راه خدا او دفع كنيد گفتند كه ميدانستيم كارزاري هرآينه پيروي كرديم شما را ازبراي كفر در روز
اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
نزديكتر بودند ازايشان ازبراي ايمان ميگويند بدهانهاي خودشان انچه نيست در دلهايشان و خدا داناتر است بانچه پنهان ميدارند انان كه گفتند مر برادران خود را و نشستند
لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
گر اطاعت كرده بودند ما را كشته نشدند بگو پس دور كنيد از خودتان مرگ را اگر باشيد راستگويان ومپندار ايشان را كه كشته شدند در راه خدا مردگان
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف
بلكه زندگانند در نزد پروردگارشان روزي داده ميشوند شاد مانان بانچه كه داد ايشان خدا از فضل خود و شاد ميكنند با نها كه نرسيده اند بايشان از عقب ايشان كه نيست ترسي
عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله و
بر ايشان و نه ايشان اندوه ميبرند شاد ميشوند بنعمت از خدا و زيادتي و بدرستي كه خدا ضايع نكرداند مزد گروندگان را انانكه اطاعت كردند مر خدا را و
الرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
پيغمبر را پس از انكه رسيد بايشان شده مر انهارا كه نيكوئي كردند ازايشان و پرهيزگاري كردند مزدي بزرگست انان كه گفتند مر انهارا مردم كه
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
ازبراي شما پس بترسيد ازايشان پس افزود ايشان را ايمان و گفتند كه بس است ما را خدا و خوب كارگذاريست پس برگشتند بنعمت خدا و زيادتي كه نرسيد بايشان
رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
خوشنودي خدا را و خدا خداوند زيادتي بزرگست جز اين نيست كه اين شيطان است كه ميترساند دوستان خود را پس مترسيد ازان و بترسيد از من اگر ميباشيد گروندگان
القراءة بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف ان الله بالكسر

على البناء ون بالفتح وخافون بالياء في الحالين بهلال يعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف في الوقف ان يغل ط لابتداء الشرط بوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء وجهنم ط الصبر عند الله بما تعملون ط والحكمة ج لامكان العطف مبين مثلها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ط وليعلم المؤمنين لا ان افواج لاحتمال العطف والاستيناف والوصل اولى بقد برد قد قيل لهم او ادفعوا ط لا تبغا كروط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط يكتمون لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا ط صادقين اموا تا ط عند ربهم ص يرزقون لا الان فرحين حالهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان بيزنون م للابتدا واستيناف الفعل اذ لا يحمل ان يكون الاستبشار حالا للذين يجزنون وفضل لان التقدير وبان ومن كسر فقد جملة اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدا خبره للذين احسنوا او نصبا على المدح الاول اولى لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل اولى للعطف واتصال توكل للشابهة بين القالب لوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياءه ص لو وصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف هو منين التفسير هذا حكم من احكام الجمل واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والشياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال قوم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه قال ايتهم هدايا الولاة غلولا وقال الجوهري غل يغل غلولا اي خان واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيد الغلول في المغنم خاصة وقد جعل النبي ﷺ من الكبائر ثوبان عن ثوبان عن رسول الله ﷺ من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ومعنى الاية فيمن قرا بفتح الياء وضم العين ما كان لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا وفار في الاخرة كيف وانه امين على الوحي المنزل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض هيهات فاللام منفولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان الله ليتخذ ومن قرا بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما يخان اي يوخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان المجيء عليه كلما كان اجل منصبا كانت الخيانة في حقه اخزى ومنها انه لا انكار يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ قبيحة وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب لكفر الرجل جعلته كافرا وانسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغل كما يقال يفسق ويكفر الاولى ان يقال هو من اغللته اي وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف له ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال الضحاك قلت لسعيد جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ﷺ اخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في النزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك بالله ما كان ليذر المؤمنين ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس قال العيب في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا ما يعكس به وافق هذه القراءة ما روي انه لما وقعت غنائم هوازن في يد غلمة رجل بحنين فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقرآن متعاضدان ويوافقها اسباب النزول اكثر ما روي انه ناخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا نقسم غنائمنا فقال ﷺ لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي ﷺ من الغنائم بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي وقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقالهم ﷺ الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال ﷺ بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه ﷺ بعث طلايع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت

مبالغة فى النهى لرسوله يعنى وما كان لنبى ان يعطى قوما ومنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت فى اداء الوحى كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسئلوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبى ان يكتم الناس ما بعثه الله به ابتغاء رغبة فى الناس ورهبة عنهم من غلل يغل يغل بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره وظهوره فى مانع الزكوة يؤتى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ويدل عليه الحديث الذى رويناه وعن ابن عباس رض قال يمثل له ذلك الشئ فى قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق ناقة مسك فتليت عليه هذه الاية وقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة الحمل قلت فى تلك الشقوة فاسئل الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك قيد يكون انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره وخبر يقتضى مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى رقبته ذلك الغلول ازداد فضيحة ومثله قوله لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير او بالبعثة والمراد انه تقع محافظة عليه هذا الغلول ويقرر عليه يوم القيمة ويجازى به لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير ليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات الجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من دينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء وقيل ثم توفى ما كسبت فصل ما اجمل فقال أفمن اتبع الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن تقى فاتبع قال الكلبى والضحاك أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة اداه انتقام لاجل الغلول قال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله بامتثال امر النبى حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقبل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون الاية بجزاء على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله وما وبئس جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال الفقال لا يجوز فى الحكمة ان يسوى بين المسئ والمحسن لا كان اغراء بالمعاصى وما جنسها واهلا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اى لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كاختلافهم بمنزلة الاشياء المختلفة فى ذواتها وقال الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال ص الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم فى نفسهم درجات لانهم درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى اى شئ يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات فى اهل الثواب والدركات فى اهل العقاب لانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهوان مأوى جهنم فيكون وصف من اتبع الرضوان بضده و يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه فى علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعى كذا واراد به عند تبيين المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد فى الجملة تشريفها وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب لانهم متفاوتون فى العذاب عن رسول الله ان منها ضحضاحا وعمرو قال ان اهون اهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان من نار يغلى من حرهما دماغه ينادى يا رب هل يعذب احد عذابى والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب بحسب تفاوت اعمال المخلوق وقد يستعمل الدرجات فى مراتب اهل النار كقوله لكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بما يستحقونه وقوله عز من قائل لقد من الله على المؤمنين فى النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذه حالة الخيانة ومنها انه تقدم قوله الكفر فى وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكن اقول ان وجوه فيكم من اعظم نعمى عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه ما قصى ما يقدر عليه يكون باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين فى الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه فى المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبى يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويرجح عللهم كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبى لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل هو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبى بمنزلة نور الشمس كما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم يضم اليه ارشاد النبى ومن الثانى ان هذا الرسول بعث من انفسهم اى من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كانهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من امن مع الرسول من قومه خص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه اذا كانوا واقفين على احواله فى الصدق والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بامر هم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى عيسى والتوراة والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرفا للعرب بذلك ايدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اى من جنسهم لان الرسول من الملك لا يكون من الجنس الى الجنس ومثله روى عن النبى ص وعن فاطمة رض عنها انها قرأ من انفسهم بفتح الفاء اى اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب فيصح لان عدنان ذرية واسماعيل ومضر ذرية نزار بن معد بن عدنان وخندف ذرية مضر ومدركة ذرية خندف وقريش ذرية مدركة وذرية قريش محمد واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها فى البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين كما سلف فى قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون انعما واتم وقد تمم لما اجاب عن نسبة النبى ص الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو فى قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حين اصابتكم هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق وهم على الباطل ولانبى معهم المراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها وقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد بنسبة الضعف فى الظرفية لا فى عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا فى الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمنى يعنى ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلى ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب اخر فقال قل هو من عند انفسكم وفى تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشوم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول فى امور فى الخروج عن المدينة وكان رايه الاقامة ثم فى الفشل وفى التنازع وفى مفارقة المركز وفى الاشتغال بطلب الغنيمة الثانى ما روى عن على ع عنه انه قال لما جاء جبرئيل ص الى النبى ص يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى اخذهم الفداء من الاساري وامرك ان تخيرهم بين ان يقتلوا الاساري فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله ص ذلك للقوم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيفوى بعلى قتال العدو ونرضى ان نستشهد بنا بعددهم فقتل يوم احد سبعون رجلا بعدد الاساري بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالاية على ان للعبد اختيارا فى الفعل والدليل انه من عند نفسه عارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شئ قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد ايجاد العبد لامتنع من الله ان يقدر عليه لان ذلك قدح فى الايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافى انتهاء الكل الى المسبب الاسباب بل يؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس رضى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخلية لان الاذن محمل بين المأذون وما اذن فيه فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبر الصانع فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين اى ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين لينا سبب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير انهم شرعوا فى الاعمال اللايقة بالنفاق فى ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القايل رسول الله كان يدعوهم الى القتال وقيل هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس تبعهم قال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فقالوا لو افقنا كم علمنا انه لا يكون بكم غم الا وطلب مرضات الله اى كونوا من رجال الدين ومن رجال الدنيا وقال الكلبى وابن جريج ادفعوا العدد بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل السؤال فما اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال وقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم فى الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن فى امور الدنيا قائم مقام العلم ولامارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثانى فلانه تقدم وعدهم النصر بالغلبة ان صبروا واتقوا فلم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان جوابهم قالوا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تبعد وا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم والمراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى انهم كفار لان القرب من الكفر حصل الكفر قال الحسن اذا قال الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدى فيه دليل على ان الاتى بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لما ظهر القول بكفرهم يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ويخارج الحرف منهم

خلاف

خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم فاطلعوا بعض المؤمنين على ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالم بتفاصيل ذلك لا يغرب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب في سكنى الدار او في الجلسة في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه وعرض الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصفه بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لوالحاق غير الايهام بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا وكفوا بذلك بل اراد وا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود وفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين فان الحذر لا يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه ستهزأ بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وذكر انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يحترز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب للرسول او لكل احد من فراعلى الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب ولا تحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكورا كما حذف المبتداء في قوله بل احياء اي هم احياء والدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلعم فقال مالي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسئلك ان ترد بي الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة او سرور ترحموا وقالوا لو نحن في النعمة والسرور يا ليت اباءنا واخواننا القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم اخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء منعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فمن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم البلخي اريد بذلك الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وروى ان عبد الملك بن مروان لما راى الزهري علم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال انجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض لتتم روحي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم وطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء والغرض تكذيب منكري المعاد وتيقيظ الناظر وتنبيهه على ان عذاب القبر ثابت والثواب الى وانه لا يخلص عن حسابهم اموالا والذي يدل على هذا الحسبان هو اعتقادهم احياء في الحال لا اعتقادهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما روينا عن ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وانما ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال وبعرضها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى اخره وابدانا في مغايرة للبدن لكان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير للبس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا سار يا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله ويعيد سيادة بهذا يثبت عذاب القبر وثوابه وزوال الشبهات ومن تامل في الامور الواردة عليه جدا حوال النفس مضادة لاحوال البدن فجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات وينقوش عالم الارواح واذا عرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قرار تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها وقد استهزأ من الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما غاية الغاية نوع من السفسطة

الجزء الرابع

في هذه المسئلة عند كخلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن تطرقه وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس يقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ وتتالم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي نقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك والاكتساب للاعمال لكن بالتلذذ والتالم والتعقل ونحوها وليس ببديع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتالم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي في كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه ﷺ وقف على قليب بدر وقال لبعض يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف اجساد الارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه يسمع قرع نعالهم لعل الاشبه انه انما كفى بهذا القدر من التصرف فانه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى فانى تكليف سائر الاحياء وانضم الامر الاجلاء وهو الذي في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قلنا وتعجيل الثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب علمهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة به ثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عندية بهم انهم مقربون ذوو اكرامة كقوله فالذين عند ربك اي المراد بجهتك لا يملك احد سوى ربهم والمراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث توجين بما انعم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبل الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية فرحين ومتالمين بتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين لما يلحقوا بهم من المجاهدين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يريدوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من تركناه خلفهم من المؤمنين يعيشون امنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبيه تالم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سرور ان من قبل حالهم انفسهم ذلك قوله فرحين بما اتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل النفضل الزيادة وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بفروعين متصلتين بغزوة احد بعدها بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الان ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فانزل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم

على صاحبه وبكا

فقال

فقال انا نعيم فى اعدت محمدا ان نلقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولكن عندى عشر من الابل فاخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا ما بلغنى انكم تريدون فقالوا اكثركم فان نهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فقال والذى نفسى بيده لا خرجن اليهم وحدى فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهى ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلعم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات فنفقا فوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فانزل الله فى المؤمنين الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويملك الافراس واحد وكان الواحد اذا قال قولا والباقون يقولون مثل قوله يرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابى سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السكاهم منافقو المدينة كانوا لا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعنى ابا سفيان اصحابه المفعول محذوف اى جمعوا لكم الجموع والعرب سمى الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم وقول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهر احمية الاسلام فكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم واسند ذلك الى الايمان من قال ان الطاعات داخلة فى مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تزايدها وتناقصها واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فانه اضمر واذا بحسب الاعتقاد وافقوا المخلصين حين القى فى النار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعرابه مثله فى قوله تعالى حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ونعم الوكيل والكافى والكافل والموكول اليه هو ثم علموا بما اعتقدوه وقالوه فخوفهم فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ وهى العافية وفضل وهو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح صفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب نهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا لهذا يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ولعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضل الله ورحمته عليهم لم يوجد احد عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم واخافونى ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثر خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء الشيطان والاولياء هم ابو سفيان واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلعم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باولياءه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر فالله الفراء والزجاج وابو على وذهب ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا اضمار حرف الجر الله حسبى لنا وبل قد ذكرنا ان النذر يعتبر لها نوع تعلق بيد نها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل زاد مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد اكثرهم بتقوع عضد طريتة وكانهم هم الشهداء فى الحقيقة وهكذا حال الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى بقيا نوابا الارادة وحيوانا بالطبيعة ولهس كل طبيعة وليس كل تعلق لهذا العالم سببا للذائم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وكما ورد فى حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا فى الجنة والذى جاء فى ان ارواحهم فى حواصل طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم فلما امكن ان يخلق الله لذلك جسما لطيفا شبيه طائر يكون لروح الشهيد بمزيد تعلق حتى تحركه بطريحيث شاء من السماء والارض الى الجنة باذن الله ثم واما كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت تعلوه الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما سيؤل اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعانى وجدتها فى كتب التفسير اما وباد رجوان كون مصيبا فيها الغرض ان الله تعالى لما علم بمراد هما ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة عذاب عظيم ان

وظهم

الجزء الرابع

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ

آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نمیرسانند خدا چیزی و مر ایشانراست عذابی دردناک و مپندارند آنانرا که کافر شدند هر آنچه مهلت میدهیم ایشانرا

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

جز این نیست که مهلت میدهیم ایشانرا تا زیادتی کنند گناه و مر ایشانراست عذابی خوار کننده نباشد خدا که واگذارد مؤمنان را بر آنچه شما بر آنید تا جدا کند ناپاک را از پاک

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

و نباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب ولیکن خدا اختیار کند از پیغمبران هر که را خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیز کنید

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

پس مر شماراست مزدی بزرگ و مپندارند آنانی که بخل کنند بآنچه که کرد بانها خدا از افزونی خود آن بهتر است مر ایشانرا بلکه آن بدست آنانرا زود باشد که طوق نهاده شود بگردنهاشان

ع ١٠ بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

آنچه بخل کردند بدان در روز قیامت و مر خدایراست میراث آسمانها و زمین و خدا بکردارهای شما بمطلع است هر آینه شنید خدا گفتار آنانرا که گفتند که بدرستی که خدا درویش است

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

و ما توانگرانیم هر آینه ثبت کنیم آنچه را گفتند و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون حق و میگوئیم که بچشید عذاب سوزانرا این بآنچه است که از پیش فرستاده

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگانرا آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا نیاید ما را قربانی که بخورد آنرا آتش

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

بگو که هر آینه آمدند مر شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه گفتید پس چرا کشتید آنانرا اگر بوده باشید راستگویان پس اگر تکذیب کردند تو را پس تکذیب

رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

پیغمبرانرا از پیش تو که آوردند با گواهان و نوشتها و کتاب روشن هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در

فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

پس هر که منع کرده شود از آتش و در آید در بهشت پس بمراد رسیده و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ

و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتابرا از پیش شما و از آنانکه ابنباز آوردند ازارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیز نمائید پس بدرستیکه این

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

از نیکو در کارهاست و چون فراگرفت خدا پیمان آنانرا که داده شدند کتابرا هر آینه ظاهر نمائید آنرا برای مردمان و پنهان نسازید پس دور افکندند آنرا

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

و فروختند بآن بهائی کمرا پس بدست آنچه را که میخرند و مپندارند آنانرا که شاد میکردند بآنچه یافتند دوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکردند

فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

پس مپندارشان رستگاران از عذاب و مر ایشانراست عذابی دردناک و مر خدایراست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی تواناست

لفظ من الافعال حيث كان قوله لا يحزنك الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزن الذين امنوا وقد يرد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثه بعدها بالياء التحتانية مع ضم الياء فلا تحسبنهم ابو عمر وابن كثير وقراهما كلها بناء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاولى على الغيبة والاخران بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف في سهل ويعقوب عباس مخيرا الباقون خفيف بفتح الياء وكسر الميم يعلمون خبير بناء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمر ولقد سمع وبابه مدغما ابو عمر وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في قتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير هاء وقد الخافض فيهما زخرج عن مدغما شجاع وابو شعيب عن طريق العطار وابن مهران ليبينه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمر ويعقوب غيره وبس وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف في الكفرج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شاط في الاخرج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا ج لما ذكر في الاخرة ط اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر انهم مهينون من الطيب ط ورسله ط عظيم خير لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض ط خبير اغنياء م لسلا يسمعها بعده من مقولهم ومن قرا بضم الياء فوقهم مطلق بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء كان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يتعطف

على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق للعبيد لاحتمال الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف ولكنه لا يظلم العبيد فهم العبيد اولى نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح ناكلة النار طعاما قبل المبشر اليوت طيوم القيمة لا بتداء شرط في امر عظيم فقد فاز الفوز الكبير اط الامور ولا تكمنونه نزلان الجملتين وان اتفقا لم يكن النبذ مستلزما اخذ الميثاق فلم يضف الى ظرفه قليلا ط يشترون من العذاب ج لما ذكر اليم والارض قدرته التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعجل سوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وارجعوا الجموع وجهز الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هو انهم كانوا يحزنون المؤمنين بسبب واقعة احد ويؤيسونهم النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا الطالب بالملك فتارة يكون الامر له تارة يكون عليه ولو كان رسولا لما غلب احد قبل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاعتنم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في الحوق ضرر بالله وبعضهم هذا القول بان المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان اراد ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما قدر للنبي من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان في الله تعالى لا يلحقه بسبب فوات ذلك ضرر ما الدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن على اصرار الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن بحيث يبقى عليه نظره لعلك باخع نفسك لا يكونوا مؤمنين والمراد لا يحزنوك بخوف ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله اي بينه شيئا من الضرر يريد الله لا يجعل لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله يتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم انه كالاحظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم انزل اليهود خاصة وهو الاشبه والكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان اكثرهم يبارعون في الدين لا لاجل شبهتهم بل بناء على الحسد المنازعة في منصب الدنيا ومن كان عمله هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر ما بغير ولو قيل ان الاية في المرتدين فالمعنى ان اختيارهم الردة بعد الدين ثم الاتداد على العقبين بدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه ولا يحسبن من قراء بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه سد مسد مفعوليه ومن قرا بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول اول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يصلح احد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى لا ترى تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك في التقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان املائنا خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا يحسبن اصحاب ان الاملاء خير لهم ولا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واطال له وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال لقيت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي صف العذاب لانا بالغ ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد الشديد ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والاية تدل على انها ليست بخير ففيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر وايضا نص على الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا خبرهم انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون منه الا على ازدياد العقاب والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا الاملاء ليس خيرا من ترك تشهدا ان الاية من تتمة قصة احد لانه ليس بخير مكن وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا ان نفي الخيرية لا لنفي الخيرية كونه خيرا من شيء اخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله انداد ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك لاضلال ويقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في تمادي في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك وردبان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وتقديره لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما خير لانفسهم وانما نملي لهم ليتوبوا ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية وردبان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقايع كما في يوم احد بدر الثنايا فانها صفاة لليام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما لغتان نزلت

اي طولها

الشئ بعضه من بعض اذا ميزه ميزا وميزه تمييزا وفى الحديث من مازاذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا
الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل التمييز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فاذا
المتبوع على الاذدون والاهون وتم يحصل هذا التمييز قبل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبى ص الى الخروج معه لما بهم من الفروح
فبتمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهر على الدين كله وقيل
بالوحى الى نبيه لهذا اورد بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى اى يصطفى ويختار من رسله من يشاء وبنا الكلا
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذى استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسو
تم لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحى والاطلاع الله تعالى اياه عليه الثالثة هذا مؤمن
وذاك منافق الثالثة ان هذا ايضا مختص ببعض الرسل وفى بعض الاوقات حسب مشيته وارادته فامنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعالى وجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلان
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه لا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفى من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التى تتميز الفريقان
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفا والمراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسو
ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فامنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدى قال رسول الله
عرضت على امتى فى صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبى قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو فى النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عندنا فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فانزل الله تعالى
ابو العالية نزلت حين سئل المؤمنون ان يعطوا العلامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز وجل قائل لما بالغ فى التحريض على بذل
النفس فى الجهاد حرض على بذل المال فى سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اى لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأها بالياء وجعل فاعله ضمير النبى او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة
التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدى جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت فى مانعى الزكوة ثم تبت
الوعيد عليه سوق الكلام فى معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفى
حكم الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس على الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفى الذب عن المسلمين اذا قصد
عدو وتعين دفعهم بالمال روى عطية عن ابن عباس لما نزلت فى احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ص ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذى ناهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر هذا الكلام الى قصة حدودذلك هو شرح احوال اهل الكتاب فى بعضها ان كثيرا من اثبات
بقية السورة فيهم على هذا التفسير فعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل اطواقا بهم طوقا من النار كقوله ص من سئل عن علم يعلمه الجم
بلجام من نار والسر فيه انهم لما بخلوا باموالهم بالسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها فى عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه تنقر راسه وتقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبى ص ما من رجل
له مال لا يؤدى حق ماله الا جعل طوقا فى عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ صدقا من كتاب عز وجل ولا تحسبن الذين
يبخلون الاية وعن ابن عمر قال ص ان الذى لا يؤدى زكوة ماله يجعل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه ان يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اى سيلزمون اثمه فى الاخرة الزام الطوق وفى امثالهم يقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهضيب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روى عن ابن عباس
انه كان يقرأ على الذين يطيقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اى يؤدون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض له ما فيهما اما يتوارثه اهلها
من مال غيره فالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير
من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الاملاك الله فيصير كالميراث قال ابن الانبارى يقال ورث فلان علم فلان
اذا انتشر بعد ان كان مشاركا له فيه مثله وورث سليمان داود اى انفرد بذلك وبد مشاركا له فيه اوغالبا عليه والله بما
تعملون خبير امر قرأ على الغيبة فظاهر اى يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهى ابلغ فى الوعيد كان الغضب

كانه تنا هي الى حد قبل على الخطاب في شافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه اطاعنين في نبوة محمد ﷺ ذلك انهم لما امروا بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله قد يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق فيما قاله لو كان نبيا لكان انما يطلب المال لاجل ان يجمع نادر من السماء فتحرقه كما كان في الامم السالفة فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الآية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول اليهود لقولهم في موضع اخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل ... وذلك الجهل يناسب هذا الجهل وكان التشبيه غالبا عليهم القائل بالتشبيه يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز ... عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني وروى عكرمة عن محمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله ﷺ كتب مع ابي بكر الى يهود ... بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو ... من علمائهم انرى ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطمه في وجهه قال لولا الذي بيننا ... وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله ﷺ لابي بكر ... ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر ... وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس فالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس فالوا له الاموال كانوا قد قالوا لما كان لا غنيا في حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء فان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى انما لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فلانه يقول له ما يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبده ببذل الاموال مع كونه غنيا عن الاغنياء واما على قوانين المعتزلة فبيان في هذا التكليف فوائد منها ازالة الجاه عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تتخير البعض للبعض وبذلك يرتبط امور التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم وكان وجوب الوجود عبارة عن الغني المطلق حتى لم يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب انما يستاهل صنوفا من العذاب وضروبا من العقاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحايف اعمالهم ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو من اسمائهم فعيل بمعنى مفعول كاليم بمعنى المولم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى نلتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال عند الموت وعند الحشر وعند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب لو اوالوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم ذنوب وفيه بطلان قول الحجوية ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب يدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا والجواب انه لم يثبت الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فكذلك في ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه ذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على احد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان يصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى عنهم هناك كثرة الشر والظلم ان تقصد عنه كانه قال ان خيل اليكم ان في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من ان الحكيم قد يقصد عند الشر القليل لتبعية الخير الكثير فاعلموا انه منزه عن قصد الشر الكثير مني وان هذا من القليل الذي في ضمن خير كثير او نقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة لاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب الاشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحي بن اخطب اتوه فقالوا لو تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب فان الله قد عهد الينا في التوراة الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال كعطا كانت بنو اسرائيل يا تجون الله فيا خذون الشرب طايب اللحم فيضعونها في وسط بيت في السقف مكشوف فيقوم النبي فيدعو الله فيا تي بنو اسرائيل خارجون واقفون

حول البيت فينزل نار بيضاء الهادوى خفيف لا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذى يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و الرجحان ثم سمى به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله ع لكعب عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اى بها يتقرب العبد الى الله ليشفع فى الحاجة لديه للعلماء فيما ادعاء اليه هو قولان قال السكاكى هذا الشرط جاء فى التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم انه رسول الله ع فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح محمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انما قترحوا الاتيان بالقربان كلها فى كونها خارقة للعادة واية لصحة النبوة سواء فى فائدة فى تخصيصها ولا لزاما ان يكون فى التوراة ان مدعى النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا ان يجئ بهذه الاية المعينة وح لا يكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز فى هذه واما ان يكون فيها ان مدعى النبوة يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فالله نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذى قلتم اى بدليله ومورده فلم قلتموه ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجئ الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجئ القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة ع وعيسى والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف اليه البينات ثبت انهم انوا بالموجب بالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك فى اصل الشريعة والنبوة او فى قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات و بالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك فاى رسل المصيبة اذا عصت طائفة جاءوا بالبينات وهى الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هى الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اى مكتوب قال الزجاج الزبور كل كتاب فى حكمة فيشبه ان يكون الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمى زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم انها لم تكن معجزة لهم والا عجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم تشريفا مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت ان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الغفلة والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن المسيء وبرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت بالقضية يمكن اجراؤها على عمومها لاستثنا الله تعالى منها من تعلم منها تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذوقا لقوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا هل النار فالمراد المكلفون الحاضرون فى دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روى عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفى الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذابق لا بد ان يكون باقيا حال حصول الذوق قال الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة العزيزية والحرارة الغريزية ثم الحرارة الغريزية تؤثر فى تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يتم هذه الحالة الى ان تفنى الرطوبة الاصلية التى هى فيتطفئ الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا فى هذه الحيوة قالوا والا ولى فى الحجة لا موت لها وانما يتوفون اجوركم يوم القيمة فى ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم كما قال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن نجا عن النار الزج التنحية والابعاد والزحزحة تكرير فقد فاز لم يقيد الفوز بشئ لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخالصين من العذاب الموصلين الى الثواب فمن حصل له هذا فقد فاز الفوز المطلق المستغنى عن كل ما يفاز به قال ع من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه الاول غاية حقوق الله والثانى محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام وغيره حتى يشتريه بثمن له وراءه وراء تمرد ذلك ان لذات تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن على بن ابيطالب لعن مسها قائل بهما وعن بعضهم الدنيا ظاهرها فتنة وباطنها عبرة انظر فيما مضى الشرور وعن سعيد جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون فى اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولم يجب قبلها من الضمير المراد ما نالهم من القتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف فاهليه واعداء المخالفين وتحزبهم عليه والمنافقين وتثبيطهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة وتصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومها التى لا يتم حصل لعاقل فى تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم الله وحتمها لزوما لا خذه قال الواحدى كان هذا قبل نزول اية القتال وقال المقاتل انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير الاحوال والامر بالقتال

لانبيا في الامر بالصابر بعلى هذا الوجه عن كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش وشعر وكان النبي قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذون نبيه ويؤذون اصحابه ارشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروى ان رسول الله ركب على حمار وردف اسامة بن زيد ورائد يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي ذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين المشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه برداءه وقال لا تغيروا علينا فسلم رسول الله فنزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لاحسن مما تقول ان كان حقا ان لا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك فعفى عنه رسول الله وانزل الله هذه الاية ثم انه تعجب من حال اليهود انه كيف يبقى بخالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة ببراءته من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واذ كرا الضمير في لتبيننه قيل الحمل انه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبيننه خالصا وهذا قول سعيد جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعني الى الكتاب كل ما اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه قيل له والله لتفعلن ولا يكتمونه قيل انه للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والاسر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح المرذول نحن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا بذلك الى اجذ حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو وعيد يدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطيب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيره ان يلتبس غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود اوعدهم عليه مع رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرا بناء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا تحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من النجاة منه اي بمكان الفوز وقال الفراء اي ببعد منه كان الفوز الشاسع عن المكروه وفي الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس قائلا كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس مالكم ولهذا انما دعا النبي يهود فسئلهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فارروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن وسن بلغهم كتاب من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم تتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة ونحن اولياء الله فذلك قوله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه وصفه بغير الصفة وحسن السيرة وتحري الانصاف من النفس وجدا اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسئل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو النجاة من كان معتقده هذا القادح الغالب الثناء والتاويل فوخيم امرهم بل هو شرهم كل واحد من صفة البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخبيث طيبا وبالعكس سبطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه يبتدئ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والتجاحب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض لان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون واما من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداده ورائته فميراثه لله ان الله

فقير ونحن اغنياء فيراني الانسان لنطغى ان راه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب ذلك لغلبة الصفا
الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول نارة انا ربكم الاعلى نارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار فالت
يهود صفات النفس البهيمية السبعية والشيطانية لانقياد لرسول اى لخاطر رحمانى والهام ربانى حتى تاتينا بقربان هو الدنيا وما فيها تجعلها
نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من فؤاد بعضهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله
فلا تاكل نار الله قل قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالجلى الباهرة وبالذى قلتم اى بجعل الدنيا قربانا
فلم قتلتموه غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء لابد لهما من موت فمن كان
موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب من كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله لنبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظ
ومن اهل الرياء اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم ع ١١
الامور اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واعلم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل و
بدرستى كه در آفريدن آسمانها وزمين وگردش شب و

النهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض
درونه هر آينه نشانهاست مر صاحبان خرد را آنانكه ياد آورند خدا را در حال ايستادن ونشستن وبر پهلوهاشان وانديشه نمايند در آفرينش آسمانها وزمين
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
پروردگارا نيافريدى اينرا باطل منزهى تو پس نگهدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستى كه تو هر كرا در آرى رسوا كردى او را وى را نيست ستمكاران را
من انصار ربنا انا سمعنا منادیا ینادی للایمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
ياورى پروردگارا ما شنيديم بانگى را كه ندا ميكرد او را براى گرويدن كه بگرويد بپروردگارتان پس گرويديم پس بيامرز براى ما گناهان ما را وبزدا از ما
وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب
وبازدار ما را با نيكان پروردگارا بدرستى ما را آنچه وعده كردى تو بر بعثتها زبان مرسل ما را ورقيامت بدرستى تو خلاف نمائى وعده را پس مستجاب كرد
لهم ربهم لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى
از براى ايشان پروردگارشان كه من هدر نمايم كردار كردار شما را از مرد وزن برخى از ايشان از برخى پس آنان كه هجرت وطن كردند وبرون شدند از خانهاشان واذا رسيده شدند در
سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
راه من وكشتند وكشته شدند هر آينه بزدايم از ايشان گناهان ايشان را وهر آينه درآورم ايشان را در بهشتها كه روان ميشود از زير ايشان جويها ثوابها از نزد خدا
والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد
وخدا ونزد اوست نيكى ثواب فريب ندهد ترا گردش آنانكه كافر شدند در شهرها بهره ايست كم پس ازانكاه آنها دوزخ است وبد جايگاهيست
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار
لكن آنهائى كه پرهيز كردند پروردگارشان را بهشتها كه روانست از زير آن جويها جاويدانند در آن بعنى از نزد خدا وآنچه در نزد خداست بهتر است مر نيكوكاران را
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا
وبدرستى كه از اهل كتاب هر آينه كسى است كه ميگرود بخدا وآنچه فرستاده شد بسوى شما وآنچه فرستاده شد بسوى ايشان بانها فرو شندگان مر خدا را هيچ نفروشند بآيات خداى بهاى
قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
كمى آنگروه مر ايشان را مزدشان نزد پروردگارشان بدرستى كه خداى زود حساب كننده است اى زمرهٔ آنها كه گرويده ايد صبر كنيد وشكيبا باشيد بر صبر كنيد وبپوندكنيد وبپرهيزيد از خدا
لعلكم تفلحون القراءة الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد ورجا الكسائى والبخارى عن ورش وخلف وابن مجاهد النقاش
شايد كه رستگار شويد
عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد النقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى
وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لاكفرن بالنون الخفيفة ورفع الباقون ثوابا بالتشديد
نزلا حيث كان بالجزم عباس الوقوف الباب ج لاحتمال الذين صفة صفة او مستانفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعنى
الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق الحذف اى يقولون ربنا باطلا ط للابتداء بسبحانك تعظيما والا فالمقول محذوف
التعقيب متعقب النار اخزيته ط انصار ط فامنا قيل الوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال قوله فاغفر لنا معطوف
على امنا اى انا امنا فاغفر لا برار ج للاتيه وللعطف يوم القيمة ط الميعاد انثى لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتداء من بعض ج
الانهار ذلان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب البلاد ط لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم المهاد من
عند الله ط للابرار الله لان ما بعده حال اخرى قليلا ط عند ربهم ط الحساب تفلحون التفسير انهما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكا

عادل اما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب الى الاسرار بذكرها يدل على التوحيد الكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله فبكت طويلا ثم قالت كل امره عجيب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي فقال ذريني اتعبد ربي
هذه الليلة فقلت اني لاحب قربك واحب هواك فاذنت له فقام الى قربة من ماء في البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع
يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق
السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي ان النبي كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق
السموات والارض الى ان عد ثمانية وعشرين دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من
ترتيل الدلائل لكمال الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى المحسوس كالبصر اذا حدق الى مرئي اصغر
تحديقا نحو حواليه لاشارة بقوله اخلع نعليك يعني المقدستين للتين وصلت بهما الى الشجرة وهو وادي قدس الوحدانية وانما
وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله اسبق وانما قال في تلك السورة
لايات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لايات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب فاول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال
يكون لبا وباقي التفسير قد مر هناك ثم بعد الدلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي ان يكون باللسان وسائر الاركان وابدا
مع الوحي فقوله الذين يذكرون اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال اخرى متعلقة
على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في احوالهم كما قال ص من اجب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاضطجاع وهذا موافق
لمذهب الشافعي في ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وان الاستلقاء يمنع من استعمال الكفر والتدبير بخلاف الاضطجاع
على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى لان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين
وقال ابو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة بعد قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل
الجنان وقد عرفت معنى التفكر في البحث الخامس من تفسير قوله تعلم ادم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله
لقوله تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن الوقوف على كنه الماهيته فانا نشاهد
بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وانتفارها على غناه فالفكر في المخلوق ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان
الفكرة ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن
حصول صورة الشيء في النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شيء الا انه بكل محيط لكنا اذا تفكرنا في مخلوقاته
سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف
اولا ان لها بارا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد فوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما
خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تقدسه عن شبه شيء من هذه المصنوعات فيعلم انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا اخير وجهه فيقول سبحانك اي انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ
من الاستغراق في بحار العظمة وجهه الجلال الى هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم الاجسام محاطة بالطبائع
والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كوة النار ويوصله الى
السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فضحته
في الخزائة نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من ابدرك مرعى الضمان فقد ارد ثم توسل الى المسئول بالايمان بهما وذلك قوله ربنا
انا سمعنا منادي الاية وهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والايات على وجه القفي وعند الله علم باسرار كلامه عن النبي
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعنه
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر على ان يعمل جوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض قيل وهذا اشارة الى لفظ خلق على ما مضى الخلق
والى السموات والارض بتاويل المخلوق وفي كلمة ما ضرب من التعظيم كانه اعظم شانه معقوليه الهم حتى صاروا حائرا في خزانة الخيال و
باطلا نصب على المصدر اي خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اي بالباطل وقالت المعتزلة به دليل على ان كل ما يفعله الله
تعالى فهو لما يفعله لغرض لاحسانه الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له عن العبث كان يخلق شيئا بغير حكمة

فوجه النظم قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل هو اللغو الذاهب الزائل الذي لا يكون لقوة ولا صلابة فيكون بصدد الزوال والاضمحلال والمراد ان خلقهما خلق محكم متقن كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتها في غاية شدة التركيب بصدد البقاء الا انك تنزه عن الاحتياج اليها منزه عن الانتفاع بها ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة البتة في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على ان سبحانه خلق الافلاك والكواكب اودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها تتحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهوا والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لتسويتها فائدة وهو خلاف النص ناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان يكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سئلوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء اظهار المعاني متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدا اي ابعده قيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال الانباري الخزي في اللغة الهلاك يقال خزي اي انقطاع حجته او وقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من امن هو ممن لا يخزى ان لا يكون غيره وهو مؤمن يخزى ايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس يخزى عن سعيد المسيب الثوري ان هذا في حق الكفار الذين ادخلوا النار للخلود وايضا انه يخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزى نفي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التعجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار يخزى بعينه لانه والمقدمات باسرها بينا خلافها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يبقى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخران فبخصوص المحمول بجزئ الموضوع كما تقرر انفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد كانه بين سبب استعاذته بالاخزاء الذي هو التعجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب ان الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الاية الى انه لا امر يومئذ لله وعلى هذا فائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز بنقيض هذا الحكم بخلاف الفساق وايضا دلالة الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالاية الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا منادا ينادي لقوله سمعت حملا يتكلم بكذا فوقوع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به واجعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله لقوله ادع الى سبيل ربك ادعوا الى الله وداعيا الى الله وقيل القران كان نبيه الهداية في قوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لانه لما تصدى قال بافاضع الميت في قبره خاطب الدهر فلم تسمع يقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه له وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام الى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا منادي للايمان ينادي كما يقال جاء منادي للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان امنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي امنوا او بان امنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وبين الايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد الاجمال ثم التفصيل من رفع شان المطلوب والمجمل وكونه اوقع في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد الالحاح ان الله يحب الملحين في الدعا

وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر قبل الاول اربعها ما تقدم منهم والثاني المسانف وقيل الاول ما لا يتعلق به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اى معدودين منهم وانبياءهم او مشاركين لهم في الثواب على مثل اعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اى مساوله في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون تلك التوبة بدلالة التعقيب فاغفر بعد قولهم امنا ثم انزعم اجابتهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وعقيب قولنا امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك وعدك الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمجذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه حمل وقيل على السنة رسلك المتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهل الاخزاك وطلبوا تعجيل النصرة على الاعداء والمراد احفظ علينا اسباب بخاك المتعاقبة وفيه دليل على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاؤ الحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع نعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل وجدوا عاقبة التكليف الجنة والنار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار وكان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة فجعلوه اول دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب لان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا آتنا فاتاه الله بما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الاية انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اى اجابهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من بعض منكم للبعض لان كل عامل فرد من افراد الخاطبين في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض اى بجمع ذكوركم وانا ثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اى من اصله والمراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان مني اى على خلقي وسيرتي قال من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فضل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا واوطانهم مع الرسول او بعده باختيار واخرجوا من ديارهم الجاهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي بريد الذين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم قيل اى قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما ان الواو لا يفيد الترتيب الطبيعي فاقتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت اماراته القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما ما ضمار قد اى قتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اى ثوابا يختص به ويقدر به ويفضله لا يشبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اى ما اختص به بملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا منصوب على المصدر المؤكد اى اثابه اثابة او نثوبا من عنده لان قوله لاكفرن وادخلنهم في معنى كيثيبهم قال الكسائي هو منصوب على الحال اى مثابا وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة وبيعا وصدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات الذي يصح جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكم الله تعالى تقتضي نوط الثواب بالجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل اصلا عن الحسن خبر الله تعالى انه استجاب لهم لانه اتبع ذلك دافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله فالعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في التنعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمع اى لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غر اعداء الله حتى قبضه الله اولة والمراد هو فعل الله سبحانه في عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قبل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون وقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم

على التقطع

والترتيب

في المكاسب والمزارع والمتاجر لان التقلب الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة وفي جنبا وعد الله للمؤمنين من الثواب وهو قليل في نفسه لانه متناه بالنسبة الى ما بين امدي الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الابدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدل وقال لكن الذين اتقوا الاية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد للضيف ويجعل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الوعيد لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء اخر يكون اصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله باقي اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب في هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه قبل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا وعن جابر بن عبد الله انس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله ﷺ لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله ﷺ الى البقيع وكشف له من المدينة الى الارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال الصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم ير قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل كما في الاية والمراد بما انزل اليكم القران وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله من ليس من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان هذا الوعد حيث اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي لكل احد من جزاء الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة لهم بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر بقيد ج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في امر التوحيد العدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدايد الدنيا وافاتها ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد للانسان في تكميل قسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على امر فقد بطر قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظايف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الاية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف جامعة لاداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير التوحيد العدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب اصابكم يوم احد فقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما كثرت غيوب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة فيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الاخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه لكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك الرباط ثلث مرات والله اعلم الناوبل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها وحزونها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروحانية ونواديها لايات لاولي الالباب الذين عبروا بقيد ما الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المرتبة لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسايط والمركبات ويقولون ما خلقت هذا باطلا اي خلقت اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعدل عيانا عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها اكل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان هو هاتف الحق في الغيب بسمع الحقيقة منادي يا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل

ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا
ولو عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الدنية واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة ودنياها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين قتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئاتهم
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد الورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
المحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والغيرة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاحوال
تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب ليكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علما متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله
الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال اذا تجلى الشئ خضع له الاشياء ومن اوتوا
العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل فاتهم
اصبروا على جهاد النفس والرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

الجزء الرابع

مدنیة

سورة النساء

حروفها ۵۰۳۰ کلماتها

۱۳۶۷۴۵ بانها وست مائة

وسبعون

بسم الله الرحمن الرحیم

ع ۱۲

یا ایها الناس اتقوا ربکم الذی خلقکم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا کثیرا ونساء واتقوا الله الذی تساءلون
ای کرده مردمان بپرهیزید پروردگار خودرا که آفرید شمارا از یک نفس و آفرید از آن جفت او و پراکنده کرد ایشانرا از هم و خواستار میشوید از یکدیگر بپرهیزید خدائی را که تمنا میکنید
به والارحام ان الله کان علیکم رقیبا واتوا الیتامی اموالهم ولا تتبدلوا الخبیث بالطیب ولا تاکلوا اموالهم الی اموالکم انه کان
به و حق خویش را و بترسید از قطع ارحام بدرستیکه خدا همیشه بر شما نگاهبان است و بدهید یتیمان را اموالهای ایشان و بدل نکنید بد را بطیب و مخورید اموالهای ایشانرا با اموالهای خود بدرستیکه آن
حوبا کبیرا وان خفتم الا تقسطوا فی الیتامی فانکحوا ما طاب لکم من النساء مثنی وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما
گناهیست بزرگ و اگر بترسید از آنکه عدالت نورزید درباره یتیمان پس نکاح کنید آنچه پاکیزه آید از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسید که عدالت رفتار نکنید پس یکی را و آنچه
ملکت ایمانکم ذلک ادنی الا تعولوا واتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لکم عن شیء منه نفسا فکلوه هنیئا مریئا
در تصرف دارید از کنیزان این نزدیکتر است که میل نکنید و بدهید بزنان مهرهای ایشانرا که در شرع پیش است پس اگر ببخشند از طیب نفس از مهر چیزی را پس بخورید ازآن گوارا
ولا تؤتوا السفهاء اموالکم التی جعل الله لکم قیاما وارزقوهم فیها واکسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا الیتامی حتی اذا بلغوا
و مدهید بسفیهان مالهای خودرا که قرار داده است خدا از برای شما قیام و زندگانی و روزی بدهید ایشانرا از آن مالها و بپوشانید ایشانرا و بگویید با ایشان گفتار خوش آینده و بیازمائید یتیمان را تا آنگاه که چون برسند
النکاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا الیهم اموالهم ولا تاکلوها اسرافا وبدارا ان یکبروا ومن کان غنیا فلیستعفف ومن کان فقیرا
بحد نکاح پس اگر دریابید از ایشان ترقی پس بازپس دهید بایشان مالهاشانرا و مخورید اموال را از روی اسراف و بشتابی که مبادا بزرگ شوند ایشان و هر که صاحب چیزیست پس خویشتن داری کند و هر که بی چیزست
فلیاکل بالمعروف فاذا دفعتم الیهم اموالهم فاشهدوا علیهم وکفی بالله حسیبا للرجال نصیب مما ترک الوالدان والاقربون وللنساء
پس بخورد باندازه پس چون رد کردید بسوی ایشان مالهاشان پس گواه گیرید بر ایشان و بس است خدا حسابرسی مر مردانرا بهره از آنچه گذاشتند پدران و خویشان و مر زنانرا
نصیب مما ترک الوالدان والاقربون مما قل منه او کثر نصیبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربی والیتامی والمساکین فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ولیخش الذین
نصیبی از آنچه گذاشتند پدران و خویشان از آنچه کم شد ازو یا بسیار شد بهره واجب و چون حاضر آیند قسمت را خداوندان خویشی و بی پدران و بینوایان پس بدهید ایشان را ازو و بگویید مر ایشانرا گفتاری خوش و پاکیزه که بترسند از
لو ترکوا من خلفهم ذریة ضعافا خافوا علیهم فلیتقوا الله ولیقولوا قولا سدیدا ان الذین یاکلون اموال الیتامی ظلما انما یاکلون
آنکه اگر واگذارند از عقب خود فرزندان ناتوان که بترسند بر ایشان پس باید که بپرهیزند از خدا و بگویند گفتاری محکم بدرستیکه آنانی که میخورند مالهای یتیمان را ستم کرده
فی بطونهم نارا وسیصلون سعیرا القراءة نشاءلون خفف الشاء عاصم وحمزة وعلی وخلف عباس مخیر الباقون بالتشدید غاما ما
در شکمهای خود آتش را و زود است که درآیند در آتش فروزنده القراءة التفاعل فی السین والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب تمام الا لما الا لحمزة فواحدة بالرفع بدل التوا
بالنصب هنیئا مریئا بالتشدید فیهما بزید وحمزة فی الوقف علی الیاء وقف واذا انفرد هنیئا هنیا هکذا کل القرآن بزید فیهما ابن عامر نافع الباقون
فیاماة ضعفا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلی وخلف لنفسه وقتیبة علی اصله وسیصلون بضم الیاء ابن عامر وابو بکر وحماد المفضل
الباقون بفتحها الوقوف ونشاج لان الجملتین وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والا لما فی ربیاه بالنظر الی اموالکم کبیره ورباع
انما نکم الا تعولوا لابتداء حکم اخر بخلاف لان المشروط خارج عن اصل الموجب مرءا مغروفا النکاح ج اموالهم ج ان یکبروا لابتداء الجملتین
متضادتین فلیستعفف ج بالمعروف للعطف الجملتین واحتمل الموجب بعد وقوع الفاصل علیهم طحینا والاقربون الاول ص وکثرة نهد بر جملتا نصبا مرد
معروفا خافوا علیهم ص سعیرا ۲ النسبة کانت هذه الشرط مشتملة علی انکالیف کثیرة من التعطف علی الاولاد والنساء والایتام

النساء

وايصال حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدين من تحريم المحارم وتحليل غيرها الى غير ذلك من التهاسات ومكارم الاخلاق التي نبّه بها صلاح المعاش والمعاد فتح السورة بمبعثا المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان جنة سورتين صدرها يا ايها الناس اجبها في النصف الاول وهي الرابعة من سورتين والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا في الرابعة من سورة ثم التي في النصف الاول صدرت بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني بمصدر بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة فتبارك عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما العبد الاول وهو انه خلقنا فلانسلم انه علة لوجوب الانتهاء لانكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان الحاكمية هي المعبودية ومن شأن العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما العبد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من اشخاص واحد مع تفاوتهم اشكالا لهم ونبابا بن امزجتهم واختلافا في اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير وتوكان ذلك بالطبيعة او لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا العبد فوائد اخر منها انه يامر عقيبه بالاحسان الى الايامى والنساء وكونهم متفرعين من اصل واحد او بينه واحدة لعون على هذا المعنى ولهذا قال ص فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا تفرعوا من اصل واحد تركوا المفاخرة واظهروا التواضع حسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر المعاد فان اعادة الشيء باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي ص لانه لم يقرأ كتابا واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا آدم ع والنائب في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كما كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف ما روي عن النبي ص ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها فجمع من الطبائعين بالاية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض ليس في الفرض محال والجواب لا نسلم لزوم احداث شيء وصورة واحدة من المادة لجواز ان يتوقف احداث المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي نشأكم وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعثت فيهم رسول الله اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جملتهم المفرع منه وخلق منها اي كما خلق حواء بنت عمران رجالا كثيرا ونساء غيرهم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاستيعاب في الاول والتخصيص الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة لان بثهما من خلق بني آدم من نفس واحدة جميعا منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بث الخلق الاول وتفصيله اركان الاولى عدم دخول الواو والا ان المراد وصفه ثم تعم بالاوصاف الثلثة جميعا من غير ترتيب تنبيها من المنشو والا كان لاتسب بها لكنت بالفاء العطف بالواو وفي الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى فطنة العقل فافهم والله تعالم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكان كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللايق بحال الرجال الانتشار والخروج واثبات حال النساء الاختفاء والخمول انما لزيد الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مشوبتين من نفسهما ثم ان هذا التبعيض محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالكل مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منها اولادها ثم من اولادها جمعا فجمعا وهلم جرا فاضيف الكل اليها على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرء بالنصب فللعطف على اسم الله اي وتقوا الارحام لا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كجاهد وقتادة والنخعي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقليل منصوبا بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرء بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدا واعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله ص فلا يجوز الطعن فيها لما ثبت انه حجة واجتهد كبار النحاة في توجيهها وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي ص لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف بالله ثم قرن به الرحم فان احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم يقتضي النهي عنها لكن لا نسلم انه نهي عنها مطلقا وانما النهي عنها اذا حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها وهذا جار في الحديث الذي ورد بانه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاء والتسائل وهو سؤال البعض البعض اسئلك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى ويتساءل به فتصلوها ولا تقطعوها ان الله كان عليكم رقيبا فلنا انكار الامر فلا نسلم كونه للوجوب سلمنا لكن لا نسلم انه للفور فلان الغرض من الاول الترغيب بذكر النعم واحسان والترتيب في الثاني الترهيب لفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه قادر قاهر فاتقوه ولا تعصوه والا فانه شديد العقاب قال العلماء في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله ص من سئلكم بالله فاعطوه وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله يسع منها ابرار القسم ولا يجنح في الاثم من عظم حق الرحم وتاكد النهي عن قطعها حيث قرنها الله بنفسه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وفي عبد الرحمن عوف سمعت رسول الله ص يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها

النفس الواحدة آدم ع

الجزء الرابع

من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلعم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا ابتنى اصحابنا رحمهم الله على هذا الاصل مسئلتين احديهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي للملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الصبية لذي الرحم المحرم لا يجوز الوجوء بها احترازا عن الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه شيخنا بعد تقديم ما يجب الاشتغال به على الضعفة ومن له رحم قاسية قال واتوا اليتامى اموالهم واصل اليتيم الانفراد ومنه الوحلة البيتة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة بنا ول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال ع لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قبل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما وجه ان يكون بنتا لا يجوز دفع اموالها اليه واذا صار كبيرا جاز يجوز دفع ماله اليه ليتيوت بها فكيف قال واتوا اليتامى اموالهم ففي الجواب طريقان احدهما ان المراد بالبتامى الكبار ايتاء الغوين سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم بالبتم كقوله فالقى السحرة ساجدين اى لان كانوا سحرة قبل السجود وبو كد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال ع استئمار اليتيمة في نفسها ولا استئمار الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان وانس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يبرزوا عنهم اسم اليتامى والصغار وهو فقهاء رواه مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلعم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده قبل لانه كان شريكا ان الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اى لا تعطوا الذين هم يتامى في الحال اموالهم واتوهم من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اى لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو ما لكم من المكاسب وقال ابن الاعرابي لا تتعجلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو ما يبقى لكم من المكاسب وقال ابن قتيبة لا تتناولوا المثوث في الارض فتاكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال عبر عن الاستحباب بالتعجل بمعنى الاستحباب والتاخير بمعنى الاستنكاف اى لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو الاختزال اموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال اكثر المفسرين هذا التبديل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الرديء فاصل الاكل هذا التبدل وانما هو تبديل بدل ان انما في بدل تدخل على الماخوذ وفي تبدل على المعطى وما كان الماخوذ الطيب ان تبدلا ثم وجهه ان لعله بكارم صديقا له فياخذ منه بجفاء مكانه سمينة من مال الضعيف فيكون اكلا في موضع فعل معنى الآية لا تاكلوا اكلا ان يكون مال اليتيم سلقا مع الترام بدله فيكون مستبدلا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق شنوية بين المالين في الحال انه اى الاكل كان حوبا كبيرا دنيا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف لا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل له منها بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مشتغلين عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون ذلك تنفعا عليهم فعلمهم وسمع لهم ليكونوا اجنبا لهم وان خفتم الا تقسطوا افسط الرجل عدل وقسط جار قال الزجاج اصلها جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا اقسط فمعناه ظلم صاحبه في قسط من قولهم قاسطه ففسطه اى غلبه على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اضعف اذا صار ذا ضعف فلزمه العدالة والتسوية وعلم ان قوله ان خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط والمفسرون فيه وجوه الاول ما روي عن عروة انه قال لما شب عائشة سمعها يقول في قوله الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقال يا ابنتي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا ان يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يمنعها ويدفع شره فنزل النزوج عنها فقال ان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله بعد هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية بقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة هي ابنة عمه مثلا وهي تحته فتشركه في ماله حتى في العذق الذي هو من جملة ماله فيعضلها رجاء ان تموت فيرثها فنهوا عن ذلك وقيل كان الرجل يتزوج العشر من النساء فما فوقها فاذا عجز عن نفقتهن وقسم لهن ظلم فيهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الى آخره وهو قول ابن عباس وعبيدة وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقول عن ابن عباس ايضا نزلت الآية المتقدمة في اكل اموال اليتامى الخوف الكبير خاف الاولياء الحوب الحوب فحرموا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج

والثاني

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن ففيلهم ان خفتم قلة العدل في حقوق النساء فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لان من لا يخاف كالبهائم في الجرأة والضعف فقلما يواقعون المنكوحات الا ان من تحرج من بناء وما يتعنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج التارك كانوا لا يحرجون من الزنى ويتحرجون من لابة البهائم ففيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما احل لكم من النساء الرابع روي عن عمر كان الرجل عند النفوة ويكون عنده الابتام فاذا انفق مال نفسه على النفوة اخذ في انفاق اموال البتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا البتامى بما كان اموالهن عندكم لكثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع لينزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرفين اولا وهو الاربع والثلث وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنين وان خفتم فواحدة قال الظاهرية ورد لفظه فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو تم شرط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال لما طاب لكم بعد من باب لانه اراد به الجنس فتوسع فيها لان المرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك وما ذلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله اوما ملكت ايمانكم ولان ما وقع بيانا فان قلت والتيم وما بينهما فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان نهين من محرم نكاحها كما سبق واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر باحة فيؤول المعنى الى قوله اتجن لكم نكاح من شئتم من النساء ولو قال هذا كلام مستدرك لم يكن لهذا الاعتراض وجه لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس ومثل القلب كانت الاية غنية عن التخصيص وانما ولي من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص فجاز ان لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشيء فيما تم بنفسه لا يفيد ذكر ما يفيد قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذ كان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجه التحريم فهو لا اجمال فيه واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه واما اوموه وجوز والى العشرة او عشرين ايضا على قول الكسائي فلم يستبيحوا فوق الاربع الا عشرا فان فوق النحويون على ان بينها عطفا ولذلك ان بينها تقسيم ردي لجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قولهم الكمأة جزء من اجزاء الارض وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ان يذكر بعد الا بالاستغراق والحاق المفرد المتناقض فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر ولبس الاثلثة ثلثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا العدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب يستعمل الا وصفا بخلاف المعدل عنه وقيل ان فيه عدلا عن مكررا من جهة اللفظ لان اصله كان ثلثة ثلثة ثم عدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف لانه يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعد جعله بانه على المعاني ولو قوعه حالا فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد تثنين وثلاثا وثلاثا واربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة من فرة بالتطيب فاختاروا او انكحوا او تزوجوا واحدة ومن فرة بالرفع اراد فتكفيكم واحدة وذروا الجمع ايضا فان الامر كله بيده ومع العدل فيما يحبه ويعلمكم به ثم قال وما ملكت ايمانكم في السوية في السهولة بين الحرة الواحدة وبين فاشيا من الاماء الاهن اقل بعثة واخف مؤنة من الحرائر لان اكثر منهن او اقل عدلا بينهن في القسم بعد اعزالهن ام لم يعزلهن لكان التسوية بينها وبينهن احق بها الشافعي في احد قوليه ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزيادة على احد المتساويين لا خرولنا ان نمنع التسوية فان نور الطيب مثلا للمرء من كل التفاح والوان يحمل ان يكون التسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تحبوا التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار والعبيد لان هذا الخطاب انما يتناول الاشخاص طابت له الحرة فله ان يتزوج على نكاحها والعبد لبس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذا الخطابات ورد مشتملة على شق واحد منبعدان يدخل النقيض تحت اللاحقون السابق ذكرا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا يملك ان يكون لسيده وقال مالك للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف الحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الطلاق في جميع الاعداد الصحة استثنا كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح تخصيصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل يقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحرج مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت انه يجوز له التسوك بالمسواك وبالسبابة كان تصريحا في ان رمي الاحجار بهذه الاشياء لا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها ينبه على حصول الاذن في جميعها ولئن سلمنا ان الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لضعف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه مات عن تسع نسوة فلما امر بامساك اربع وفارق الباقي دل على ان الاذن في الاربع فقط وقد قال من عرب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جواب هذا ان احد هذين الخبرين يجوز ان يكون

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وتوقف بان القران دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا ولنسخ القران بخبر الواحد جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع التسابق الرضاع واقول القران لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيانه المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة يدل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث فانها اجماع نفهمها الامة وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقران لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القران دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث ورباع بالواو فاصله لانا نقول يلزم ح ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية والعرب تأتي بالثلث والاخرين بالتربيع فنذهب معنى بجواز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وذلك ادنى الا تعولوا اي اختيارا الواحدة او الشرى او ان يمين ان لا تميلوا ولا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة رضي الله عنها من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها ومنه المثل عال فانفقر او رجل عائل اي فقير وذلك انه ازاء فلعيالة فلك نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معناه تعيلوا لا معناه تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس لا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله ابنه وان خفتم ان تفتقروا وايضا هب انه ينقل العيال في اختيار الواحدة فكيف يقال عند اختيار الشرى ولا حصر هن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى ان اللغة وانما زعم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور فرارا من الكناية في الكشاف على وجه اخر وهو انه جعل قوله تعالى الا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حد الوزع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتقدير الشافعي ايضا يؤول الى تقديرهم لكن بطريق الكناية كما قررناه وعن الثالث ان الجوار اذا كثرت فلا بد ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال لها ايضا اذ عجز المولى بأعمهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن بالطلاق لتسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكن مظان فلة الولد بالاضافة الى الزوجات والنساء صنفان فمنهن اي منهودهن الخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي النساء من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك الناقة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فنصفتها الى ابلك فتنفع مالك اي تعطيه وقال ابن الاعرابي الناقة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال الفقال يحتمل ان يكون المراد من الابناء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل ان يراد الالزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يلتزموها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي شرعة ودينا فتكون مفعولا لها اوحالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فتكون بمعنى المصدر لان النحلة والنحل بمعنى كالعطاء والعطا او على الحال من المخاطبين اي انتم صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن كأن ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا الا ان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما البدل استحقه الزوج هو لاستباحة الملك والنحلة العطية من غير بدل قال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح في مقابلة الشهوة والنوالة مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحده لانه لا يلبس ان النفس هن وهن النفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق والمذكور وفي قوله طبن بناء الكلام على الابهام ثم التمييز وان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج تحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل المهور وفي هذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه لو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصداق في احادة منها او اكثر من هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور وانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين وذهب عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة وهو عباره عن تحلل

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وفما صفتان للمصدر اي كلا هنيئا مريئا او حال من الضمير المرفوع في كلوه وهو هنيء مريء فدنو نفعه على قوله وكلوه وبيد هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف لشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا ومن ثم كره ان يركب الى فنائه ان لشتا بعطين عينه ودهنه فانما امرؤ اعطى ثم اراد ان يرجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال اذا جاء ت لرد وجهها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطانا ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم ويدفع صدقاتهم خفافا الاحلام وان بلغوا وان التكليف قطعا ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فوردان الاية لو قبل اموالهم واجيب بانه انما احتيج اضافة الاموال الى المخاطبين اجرا للموحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان لو قتل منهم ما كان يقتل نفسه لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقتل بعضكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة اموال السفهاء الى اولياءهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة ادنى سبب وقيل خطاب للاباء هذا هو الله تعالى اذا كان اولاد هم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقية والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب جلد يجب بذله الى من يحفظه على وورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي للمحرم وقد اجمعت الامة على ان لا يحرم عليه ان يهب اولاده الصغار ومن التسوا ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وانتم قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فالمعنى الاوامر بهذا سبحانه لاولياء لا الاباء واقول لا بعد عمل الاية على كلا القولين لان الاضافة في اموالكم لا يعتد الا لاختصاص ما كان اختصاص الملكية واختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انهم النساء والصبيان كن اوامهات او بنات وهو مذهب عمر ويدل عليه ما روي ابو امامة عن النبي ﷺ الا انما خلقت النار للسفيها بقولها ثلثا وان السفهاء النساء الا امرأة اطاعت قيمها وقد جمع فقيل على فعلاء كفقير وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم اولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد جبير اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلطهما على ماله وليصلحا ان المراد بالسفهاء اكل من لا يحسن التدبر في المال ولا يتجر له باصلاح ثمره والتصرف فيه يدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي وبقصده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قياما كم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرء قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان نزل ما لا يحاسبني الله عليه خير لي من احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا توكل ولا تشرب حيث قصدت بها فضيعت وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا حمد الا بمال وقيل لابي لونا لم يحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان ادنيتني فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله ومن الفقر خذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم الكلوم تداوي كل جريح ويطبب بها كل صلب وقال ابو العتاهية اجل قوم حين صرت الى الغنى وكل غنى في العيون جليل اذا مال الدنيا على المرء رغبت اليه وما الناس حيث يميل الا عبيد الغنى لا عبيد تقى عشته بقرى وغذاه قليل وقد اختلف قول الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما الحق من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغنى مفيد والفقير عاجز والقادر افضل من العاجز وهذا ما غلب عليه حب الدنيا وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير هو التارك والغني هو المتلبس وترك الافضل من ملابسته وهذا ما غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر ومن كلفة النفس فوق كفافها فانا بقضي حتى المماة عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال بعد ذلك يمكن من تحصيل المنافع ودفع المضار وهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا ونبه انه المداينة حيث امر بالكتابة والشهادة والرهان المعوضة من اراد الدنيا هذا الغرض فنعم المعونة هي ومن اراد بها التعيش بها فانها من خسة ونذالة ثم انه سبحانه امر بعده بذلك بثلثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واتيانهم بفعل منها كجلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيما كلها الا نفاق بل امر بان يجعلوها مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها فتربح حتى يكون نفقتهم من الارباح لا عن اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الزبد والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقولوا ان رشدت في شغري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غمت في غزلي جعلت لك خطأ وقال ابن زيد ان لم يكن منهم وحبث نفقته عليك فقل غافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امرهم بما يتعلق بالعلم والعمل وقال الفقال ان كان صبيا فانا لولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا ارشد صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما البتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الامر اقفر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واجتبته الحسنة عقلا او شرعا من قول

والمال الوطاء

الجزء الرابع

او عمل فهو معروف وما نفرت منه نفسه فمنكر ثم بين انا نستفهمهم يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصوده وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني وبه دخل وقت مكانه بانسكمال تسع سنين فصار او يبلغ خمس عشرة سنة تامة فهو عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية واما ان كان احتلامها بالحيض او الحبل والطفل الكفار امارة زايدة هي ايناس الشعر الخشن على العانة وامّا الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الاية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن ههنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشري وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لانا لا نوفق على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الرشد بنص القرآن بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسبما يليق بكل ظاهر قوله للتاجر يختبر في البيع والشري بصنوه ثم باستكشاف ذلك البيع والشري منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا يبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك يتم العقد لو اراد وولد الزاوع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرتهن في امر القطن والغزل حفظ الافشة وصنوف الاطعمة عن الرتة والفائدة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال وبعد ذلك يطلق النظر انس رشيد نوعا من الرشد يحتمل الزوال بخلاف الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وفائدتهم ما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يعقل الغبن على حد يعتد به ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عنه وعنون في قوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا بقوله تعالى ان كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرغ على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد استمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالانفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف عند اصحابنا لابي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الاية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانية عشر سنة فاذا زاد على ذلك سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لهذا امر هم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله لاونس عنه رشدا ولم يونس ثم قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير وقد تقدم والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبارة اي عظم منها هم عن الافراط في الانفاق كما نهوا عن بكر الثنايا فيما مر وقوله ومن كان غنيا فليستعفف فلم يمنع منه وليس كرر في السنين فائدة مبتدا غير كان طلبا منه العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي لا ان باخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة عمله كان النهي في الاية عن الاسراف مشعرا بان له ان ياكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا لما روي عن النبي صلعم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال فاضربه قال لما كنت ضاربا منه ولده ولا واق عمر بن الخطاب كتب الى عماره وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد وزعت لكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لابن مسعود وربعها لعثمان لا واني قد انزلت نفسي وايتاكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وايتم قياسا على الشاعي في اخذ الصدقات وجعلها فانه يجب له ذلك لصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد جبير ومجاهد والحاكم ان له ان ياخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الافتراض اتما جاء في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من ابان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا ياخذه لا على سبيل القرض لابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها غاية وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان كل الوصي مال اليتيم ظلم او لا قال وان نقوموا لليتامى بالقسط وهو امتثال عن النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى الاحوط ان يشهد عليه ظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم نظما لامر الوجوب لانا بينا من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس لهم بينة غالبا كالفقير ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيرا للناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا كالشريك يعني اشاروا فيه تهديد للولي لليتيم ان يتصادفوا ولا يتكافوا والباء في بالله زايدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض فالرجال عام ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا

مالا ولم يعطها امرئ ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امرأته وليس عندكما ما انفق علينهن وقد ترك ابو هن ما لا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيا ابنة من المال شيئا فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله ﷺ ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكاء عدوا فقال رسول الله ﷺ انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما ان لا تصرفا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فترك هو نصيبكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي بني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو الحفظ من المالوف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي وما قل منه او كثر بدل لما ترك بتكرير العامل وقوله نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص او تقديره اعني نصيبا مقطوعا مقدرا الا بد لهم ان يحوزوه او على المصدر المؤكد كانه قيل فرض مفروضه اخذ بعض اصحابنا بظاهر هذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال والاولاد البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار نصيبهم غير مذكور وفهمنا الا انا نثبت بالآية استحقاقهم كاصل النصيب ويتعين المقادير من سائر الدلائل واجيب بانه ثم قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وانتم لو اجبتموهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وانه ليس المراد بالاقربين ان له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اذن اقربهم الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه نزلت هذه الآية للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال وان حضر القسمة اولوا القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب انها منسوخة بآية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن بعيد جبرها هاتان حكمهما ولكنها مما يهاون به الناس قال الحسن اذكر كانا الناس وهم يفعلون هذا القربات والبتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا يرحمكم الله وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الوصف يستحب اذا كانت الورثة كبارا واما اذا كانوا صغارا فليس لاحد ان يقول لولي اليتيم لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان بكروا يعرفون حقكم والنصيحة منه ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من ذلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون وحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزها صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما الخشية فغير منصوص عليها قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى جوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وامروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد ابتداء الصواب هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم يا بني ويا ولدي وهذا القول الذي يتقدم وما تاخر من الآيات الواردة في باب الايتام نبههم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك داعيا لهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحنو الى حبا بنائي انهن من الضعاف خافوا ان يرين البؤس بعدي وان يشرن بقائي بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض ويقولون ان دز نبك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم ما لك فلا يزالون يامرونه بالوصية الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم اويخشوا على اولاد المريض جوفهم على اولادهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية هنا للحاضرين عن الرغيب في الوصية والقول السديد ان يقولوا للمريض لا سرف في الوصية فيخفف بالولد مثل قول رسول الله ﷺ لسعد الثلث كثير وكان العشار يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الآية بما قبلها فيكون امر الورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الجوع والعري عن جنيد بن ثابت سئل يوما عن الآية فقال هو الرجل الذي يحضر الموزع يريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده انو الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك لا ينبغي ان يوصي له وعلى هذا يكون نهيا عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم كذا لو عبد في باب مال الناس فقال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين وعلى وجه الظلم من لا يأتي السوء وقضائه لا بالمعروف فيما يأكلون في بطونهم اي ملأ بطونهم نارا اي ما يجر الى النار وكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث اكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من فيه ومن منخريه واذنيه وعينيه ويعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ قال رايت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قراءة بفتح الياء فهو من

صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومنها بالفتح فمعناه الالقاء في النار ولا جل الاحتراق من الاصلاء قد يشتد من التصلية والمعنى واحد
السعير النار وسعرت النار والحرب فتحتها او الهبتها فهي سعير اى مسعورة والتنكير للتعظيم اى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا الخالقها قال المعتزلة
لا يجوز ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من ماله بل لا بد ان يكون مقدارا معتدا به لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في اية الكفرة فمنع كونه
ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقبل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد
فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد في التسبب
فهذا ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى تملك المالك مال اليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه اخر وعلى
السؤال اليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته الناء وبلا ذكر الناء بيتهم
بعد وصفهم بالاشتاح والارواح فخلقوا بالاشتاح من ادم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحي فهو ابو الارواح وخلق من روح
زوجه وهي النفس خلقها من ادنى شعاع من شعاع انوار روح محمد وبث منها رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا
الله الذي تساءلون به اى اتقوه ان تسيء اليه عزه والارحام ولا تقطعوا رحم جمعي بصلة عيني واتوا اليتامى اموالهم تزكية عن افة الحرص
والحسد الذاءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروة وعلو الهمة والغانية ولا تبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن افة الخيانة وتحلية
وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع الوزابل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما
فاتيكم اما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلكم ادنى ان لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم واتوا النساء
صدقاتهن تزكية عن البخل والعند وتحلية بالوفاء والكرم وكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والتشفة هذه كلها اشارات
الى مراتبه بناء على القلوب والنفوس بابناء حقوق تزكيتهم عن آفة وصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم هي عن ابناء النفوس الامارة حظوظها فقال
ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وارزقوهم فيها فقد ما تبتدئ الجوعة واكسوهم ما يستر العورة ومنازعة فاسدة في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله واشكروا نعمه بامتثال اوامره وانواهيه الا تبغي طعامك بذكر الله كما قال اذا اردتم طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اى قلوب الصابرين بانهم
توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن الصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان انستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع
على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جاريا التصرف في مال
سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تاكلوها اسرافا اى فان استمرتا اولياء الطبيعة من المريد بين البالغين رشد التصرف اصحاب
الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخة ولا تجعلوا الشيخوخة ماكلة لكم غنم وغبطة عليهم ان يكبروا فالشيخوخة ومن كان
غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليا كل بالمعروف
فليتمتع باغانته وليجز له بالشيخوخة مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخة فاشهدوا عليهم
الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق واخبروهم عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاولياء بالطبيعة
وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركاتهم وانوارهم نصيبا مفروضا
على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اى في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى فليكونوا اليهم والمنقطعون من انوارهم والمفتقرون الى آثارهم
فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق والارشاد الطريق وتبشيرهم ان الدنيا عند الله وعند اهل الله في الدارين
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين والمبتدئين خافوا عليهم افات المفارقة بسفر او موت فليتقوا الله
اى بوصيتهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى وهذا وتمام الذكر حظوظان يوصلان العبد الى الله ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان

ع ١٣

سيفرماياد شما را خدا در باره فرزندان شما مر پسر را مثل بهره دو دختر پس اگر بود ورثه بالاى دو دختر دو ثلث آنچه گذارده ميت
كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن
بهشتي پس مر او راست نصف ترکه و مر پدر و مادر او راست از براى هر يک از ايشان دو يک ششم از آنچه نهاده است اگر بود ميت را فرزندى پس اگر نبود
له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها
مر او را فرزندى وارث برد او را پدر و مادر پس مر مادر او راست سوم پس اگر باشد مر او را برادران پس مر مادر او راست شش يک پس از وصيتى که بکند
او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما
يا دين پدران شما و فرزندان شما نميدانيد کدام ايشان نزديکتر اند شما را بسود پس قسمت کرده شد اين قسمت از جانب خداى تعالى بدرستى که خداى تعالى

النساء

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ
و مر شماست نصف آنچه گذاشته‌اند زنان شما اگر نبوده باشد از برای ایشان فرزندی پس اگر باشد مر ایشان را فرزندی پس مر شماست چهارم یک از آنچه گذاشته‌اند پس از
وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ
فرموده که بفرمایند بها یا قرضی و از برای ایشان است چهارم یک از آنچه گذاشته‌اید اگر نباشد مر شما را فرزندی پس اگر باشد مر شما را فرزندی پس مر ایشان است هشتم
مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
از آنچه گذاشته‌اید پس از فرموده که فرمایند بان یا قرضی و اگر بوده باشد مردی که میراث برده شود از او کلاله یا زنی و مر او را برادری یا خواهری
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
پس از برای هر یکی از ایشان دو یک شش یک پس اگر بوده باشند بیشتر از این پس ایشان انباز باشند در این ثلث از پس فرموده که بفرمایند بان یا دینی
غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
زکونده رساننده فرموده از نزد خدا و خدا دانست بردبار این است قرارهای خداوندی و هر که پیروی کند خدا و رسول او را در آورد او را در بهشتها
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
از زیر آنها جویها جاویدان در آن و این است بهره بزرگ و هر که نافرمانی کند خدا را و پیغمبر او را و در گذرد از اندازهای او در آورد او را
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً ع ١٤
در آتشی که جاوید باشد در آن و مر او راست عذاب خوار کننده و آنهائی که مرتکب شوند زنا را از زنان شما پس گواه گیرید بر آنها چهار نفر از
مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا
شما پس اگر گواهی دادند پس نگاه دارید آنها را در خانها تا وقتیکه درآید آنها را مرگ و قرار دهد خدا از برای آنها راهی و دانه و مردی که بیایند از
مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ
شما پس آزار کنید هر دو را پس اگر توبه کردند و باز آمدند پس روگردانید از آنها بدرستی که خدا توبه پذیر مهربان جز این نیست که توبه بر آنهائی است که
يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
میکنند بدی را از روی نادانی پس توبه کنند بزودی پس اگروه می پذیرد خدا توبه ایشان را و میباشد خدا دانای بردبار
وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ
و نیست توبه معقول مر آنهارا که میکنند کناهان را تا آنگاه که در رسد یکی از ایشان را مرگ که بگوید من توبه کردم اکنون و نه آنهائی که میمیرند
وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا
و حال آنکه کافر باشند آنگروه مهیا کرده ایم از برای آنها عذابی دردناک ای زمره آنهائی که گرویده اید سزاوار نیست شما را که میراث برید از زنان بناخواه
وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
و نگذارید مر آنها را که ببرید از آنها پاره از آنچه را که داده اید بآنها از مهر مگر آنکه مرتکب شوند بدکاری آشکارا و رفتار کنید با آنها بنیکی
فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
پس اگر بد آید شما را از ایشان پس امید بدارید که بد آید یکی از چیزی و بگرداند خدا در آن منفعت بسیار و اگر اراده کردید که بدل کنید زنی را در جای زنی
وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ
و داده باشید یکی از ایشان را مال بسیار پس فرا نگیرید از آن چیزی را آیا فرا گیرید آنرا بهتان و گناهی هویدا و چگونه فرا گیرید آنرا
وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
و حال آنکه رسید بعضی شما بسوی بعضی و فرا گرفتند از شما عهدی استوار و نکاح نکنید با آنچه را نکاح کردند پدران شما از زنان
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا القراءة وامدّ بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب
مگر آنچه در گذشته بدرستیکه آن میباشد زشت و قبیح و بد راهی است فلا مر وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وخلف
الباقون بالضم موصوف وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا
للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالياء وكاف في سورة الفتح والتغابن والطلاق والذان بتشديد النون
ابن كثير كان قوله هذان وهاتين وان اللذين واشباهه ذكرنا واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب عباس مخيرا الباقون بالتخفيف
كلها بالضم وكذا التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبنية مبنيات بفتح الباء ابن كثير وابو بكر وحماد وفراء ابو جعفر ونافع وابو عمر
وسهل ويعقوب مبنية بالكسر مبنيات بالفتح الباقون كلها بالكسر الوقوف الاتبين ما تركن فلها النصف طيبة اتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد

الجزء الرابع

تلامة الثالث او دين ابناؤكم لا تدرون ايهم ابناؤكم ولا خيار لكون اباؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة ركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

الثلثين واعط

الاثنين وفي ذلك

للابن

للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وابيهم قال وما ابقت السهام فللاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سلمت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن بهم لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل قيل ولد الولد على الولد انما ان كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه يشتمل اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا باخذكما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانها باخذ بكليه الثلثين ولد الصلب كل الميراث في بسائهم التباعا واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين والمرتد ماله في بيت المال سواء اكتسبه في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما اكتسبه في الاسلام يرثه قاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روى ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتج بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث المال وورثة العلم والدين مجاز وعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم وكان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الاعلى وفاطمة والعباس وهو لا كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول عليه الصلوة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وانه يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بهذا الحكم انهم اذا عزموا على التضحية بشيء فجرة العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اما قولهم ان فاطمة رضيت بقول ابيها بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذكرنا فلم قلت ان جميع ما ذكرناه هو الحق بل الحق انه ما ذكرناه انفرادا او لا واما احالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس فان تركه ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب كما في قولهم للقمرين في التثنية القمران والعمران والخافقان والضميران ابوه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من ابويه بتكرير العامل فائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاحتمل ان يقال انهما شريكان فيه ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لاوهم انه السدس لا اوهم فنظم السدس بين عليهما بالتساوي او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدا وما بعد الابوين قد توسط البدل بينهما للتبيين واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر على الانفراد فههنا ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما بنتان او اكثر فالحكم كما ذكرنا والثالث ان يكون معهما بنت واحدة وههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الابوة والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الولد اكثر من نصيبهما قلنا الجواب عن هذا السؤال ان الولد ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال اكثر وابهم كانتهما فلا يبالي الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وابهم ولد الولد ولد في حال الولد اهم عند الوالدين من ابهما لهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فريضة الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه والى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما يبقى الى الام والباقي للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكور والاناث فيكون للابوين كثير يكون بينهما اثلاثا فاذا شيء منه مستحق للباقي التباينهما على قدر الاستحقاق الاول وابهما الزوج انما باخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في انها التتأدى عن ميراث انتهى وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانه اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث نصف السدس اكثر منها للام وخالفه في الزوج والابوين كما انه اذا دفع الى الزوج النصف بقي الى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للاب ضعف حظ الذكر من هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبونها لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الحجب بهما كما في الثلثة على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فاقوى هما فصح ان يقال والاخوة للاخوين واستقرا باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكل الاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسئله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال له الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على ابن عثمان فقال كيف ترد قول الله السدس بالاخوين لبنا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى

للاب الثلثان ان لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب فهذا ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها او دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن دين او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان اوصى الميت بوصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها بعث عليهم في ادائها ولهذا جيء بكلمة او دلالة على التسوية بينهما في الوجوب لان كلما ليس يحصل فيه الامران يجيء بالواو الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذا ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب اقول من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة ايهم اشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا اكثر ام بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه فلا يدرى ان الابن يحتاج الى ان ينفق الاب عليه او الاب يفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان لكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية فهذه ثلثة اقسام الاول قرابة الولاد الفروع والاصول وهو اشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى قوله توصون بها او دين ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما احسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست بزوجته ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله الا على ازواجهم واجيب بانه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلوة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطي بالشبهة وايضا حل الوطي ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلثة لان يكون بينهن الرسول لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة

والخلافة والربوا وقبل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق
وتيم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني منا في عبد شمس وهاشم والحمد الصحيح من الاقوال قولنا بيبكر ان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا آتي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لهذا
بالاضافة فرابة الاصول والفروع كلالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحفون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس فجاز ان تكون
الولادة فاهذا ذهب على الاستفاضة كما قال لبيد تناتج كابرا عن كابر كما نوح ابنوبا على ابنوبابه فانتهى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة
ان امرؤ هلك ليس له ولد فاجتمع عمر بذلك والجواب انه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة
والاخوات كما يكونون لابوين فقد يكونون لاب كما قال وجوا الابوين وابنه انه تقدم ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم ابتدأ ذكر
الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يحمل وصفا للموروث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والولد
ويمكن ان يحمل عليه بدلا للفرد فاي ما ورثتم الملك عن الآباء عمام بل عن الآباء فيعم الكل كلالة وهو ههنا موروث الاوارث وقد يحمل وصفا للوارث
ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتاني النبي فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة او ازاد به انه ليس لي ولد ولا والد
ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث والموروث كانت بمعنى ذي كلالة
كما يقال فلان من فرائبي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجانة والعفافة يقال للرجل هجانه وعفافة كلاهما بالتخفيف اي اصيل ومولد تتم
وان كان رجل يورث فيه اختلاف الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب
كلالة على الحال او على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا لاي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد جبير ان يكون منتصبا
على المفعول من ورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجه المذكور قبل ما السبب انه قال ان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله
اخ فكني عن الرجل ولم يكن ذكر المرأة والجواب انه اذا جاء خبران في معنى واحد جاز اسناد التثنية الى انهما اريد جاز اسناد ما لهما انهما هو قول من كان له
اخ او اخت فليصلها او فليصلهما والترجيح بالتذكير للشرف معارض بانا نثبت للقرب وان قلت فليصلهما جاز انه ولعل التوحيد والتذكير لانه اولى
اما الان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بنا وبلا حد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت
من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي وسعد ابي وقاص وله اخ او اخت من الام ومن قد كل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة للذكر
على الانثى فهذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل هو موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل او الى واحد
من اخيه واخته والمعنى مثل الاول الا انا اذا قلنا السدس لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا الا زاد على الثلث وقد يستدل الاجماع الى هذا بيانا انه قال في آخر السورة قل الله
يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال فهم ههنا اثبت للاخوة والاخوات الستة عند الانفراد والثلث عند الاجتماع
فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم اخ واحد واخت واحدة
والاخوة والاخوات من الاب والام او من الاب هم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية خاصة
كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف تقديره يوصى الميت المذكور اي يوصي اذ علم
ان ثمة موصيا او الضمير فيه وهو راجع الى الرجل يعود الى تقدير اية الموروث والميت اذا علمت ذلك فاعلم ان الكلام اي ان كان الرجل او ارثا ضرار
الورثة بان يوصي بما زاد من الثلث او بالثلث فما دونه وبينه مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه لله وقد يقع بان الدين
الذي كان له على غيره فلا يستوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يعمل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على
قانون العدالة وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر وروي مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في
وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد وعلى انه مفعول
مضاف لانه بمعنى وصاكم الله وصية من الله وهو الثلث فما دونه بشهادة ما على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية والله
عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود
الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها
ويخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما ان الوالد يقبل على ولده ويوبخه في امر مخصوص
ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين
خالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قال

المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والجمع بينهما والتعدي فيها هو الايمان بجميعها وذلك محال فالمراد بتعد اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد بالتعدي في هذه الحدود ولجميعها مما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاتى ما بقي لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي بقيد استدلنا وهاهنا من بعد اللفظ اي من بعض الله في كذا وفي كذا ولكل لا يخلو الا في حق الكافر فيخرج منه ما يخصصه لبل عفى كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية وما هو كذلك كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار وهو جعله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود الموارث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عم طوله والذي في باب تفسير الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الايمان المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللذان في جمع التي وفيه لغات اللاتي بالهمزة واللواتي واللوائي فكانها جمعا الجمع فقد يحذف الياء من الاربعة وقد يسهل همزة اللاتي بين الهمزة والياء لكونها مكسورة كقراءة ورش واللاء بلا ياء من المحيض فقد يقال اللاتي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف الياء والياء معا وقد يقال اللأ كاللاعات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان اللاتي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها مفتقر عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون حض هذا العمل بالفاحشة لان القوى لبدنية نطفية وغضبية وشهوية وقسم الاولى للكفر والبدعة واسماؤها وقسم الثانية الفعل بغير حق ونحوه وقسم الثالثة الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر ومن نسائكم المؤمنات والبيان قوله ان يشهد واعليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وان شهد معهن رجل انباء ادخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا يقع ذلك من الوصف بالرجل لا يمنع عرضي كالحيض ولا مع تخيل عالم كالمنعة ولا يشبهه فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اي ملكة الموت او حتى يأخذهن اقرب الاوان وبسبيلا اي واجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فاذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما كان في النكاح مندوحة عن هذا فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ واللذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يرفعوا ويهما بالرفع الى الامام وقد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مفسرة في الترتيب امر الزانيين او لا مر امر ما مسك النساء في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء والآية الاولى الاولى التثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الآن بخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدها الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الايتين ولا انكار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه يتين في الاصول ان اسناد الشيء الى الجمع قد يكون مجازا بل حقيقة كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكيفية ذلك لا يدل الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الآية لا يصلح لذلك وجمهور المفسرين على الآيتين في الزنا واتفقا منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك ويتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر اخيرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن اصحابنا في حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلا بل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا تكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة وهو وجه حسن بالمساكهن بعد ان حددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال قال الشيخ ابو مسلم الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت مما دام الغاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا بين الثيب والبكر بجلد وينفي صار هذا الحديث بيانا لذلك الآية لا ناسخا لها وقد صح ان الرجم مما نسخ تلاوته وبقي حكمه فعلى هذا يكون الحديث ناسخا لحكم الآية لا لتلاوتها وقد صح ان الرجم مما نسخ تلاوته وبقي حكمه فعلى هذا يكون الحديث ناسخا لحكم الآية لا لتلاوتها فان التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله

فهو جاهل

فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأنه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أنه يكون جاهلاً بكونها معصية لكنه يكون متمكناً من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا أجمعنا على أن اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وإن كان لا يعلم كون يهوديته معصية لأنه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنباً ومعصية وأن النائم والساهي لا يستحق العقاب لأنه آتٍ بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحاً أما المتعمد فإنه لا يكون داخلاً تحت الآية وإنما يعرف حاله بطريق القياس وهو أنه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلأن تكون واجبة على العامد أولى ولأنه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور مقدمات الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وإنما كان ذلك الزمان قريباً لأن الآجال آتية وكل ما هو آتٍ قريب ولأن مدة عمر الإنسان وإن طالت فإنها بالنسبة إلى طرفي الأزل والأبد كأنها كالعدم ولأن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب ومن في من قريب لابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وقوع المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً لما قلنا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب بعيد ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فبين أن وقت الاختصاص هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب مثله قوله إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله أن الأول إعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والإحسان والثاني إخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالأول التوفيق للتوبة والإعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليماً بأنه إنما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيماً يجب في كرمه قبول توبة العبد إذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه لشدة بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الأمواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر إذا دعاه وإنما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية كما لأهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه إذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الأمر إلى حد الإلجاء والإجبار وههنا بحث للأشاعرة وهو أن أهل القيامة لا يشاهدون إلا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ويشاهدون أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضرورياً وبتقدير كونه ضرورياً فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الإله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بأنه كريم وأنه لا تنفعه طاعة العبد ولا تضره ذنبه وأيضاً العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجباً للتكليف والضروري مانعاً من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الأوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الأمر فيجعل المقبول مردوداً والمردود مقبولاً ولا يسأل عما يفعل والقول المحقق فيه أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده حال تبينها وعينها وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لأحد عليه اعتراض أنه لم يعكس الأمر أن لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافياً للتكليف ويكون عين اليقين منافياً له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة والمعنى أنه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الإيمان لا يقبل عند القرب من الموت أو المراد أن الكفار إذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا يقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا في الوعيد نظيره قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة فإن قلت الوعيد المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار والأولون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الأليم فثبت أن حكمهما واحد أجيب بأن أولئك إشارة إلى أقرب المذكورين بعضها أن الكفار أشنع فعلاً من الفساق والطائفة الأولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا على كفرهم ومثله قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً من ههنا شرع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من إيذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الأول قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما أن الوراثة تعود إلى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا أموالهن وهن كارهات لإساءتكم وثانيهما أنها ترجع إلى أعيانهن وكانوا إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثتها كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل إنه خطاب للوارث بأن يترك منعها من التزويج لمن شاءت وأرادت لتبذل له ما ورثته من الميت كما كان

بفعلة اهل الجاهلية وقيل انه نهى للاولياء عن عضل المرأة اولملازواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعرابه كاعراب ولا تضاروهن النصب عطفا على ان ترثوا وكالتاكيد النفي فلما الظاهر انه نهى لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وقد هل مما بعده الا ان يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي يأتيها او الشهود الادبعة هم يأتونها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا بينت فقد ظهرت صارت سببا بالتبيين كقولك آتهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن سببا بالضلال ثم انه استثناء مما ذا قبل من اخذ المال اي لا تحل لهن بحبسها ضرارا للعدا الا اذا زنت فحينئذ تحل لزوجها ان يسلبها الخلع كان الرجل اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها او اخرجها وقيل استثناء من العضل لهن اي حبسهن في بيوت الازواج والازواج الا بعولتهن الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وسكاسكها لخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول الانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فنهاهنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا عسى الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول الولد يحبب مالك كثير المهنى في ضحيتها قال الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عند مكارهكم مقادير فربما جعل الله في تلك المقادير لهن خيرا كثيرا بان تخلص من زوج سيئ العشرة ويجد زوجا اخر او فوقه النوع الرابع من التكاليف ان اردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في ضرارهن اذا ابين بفاحشة بين تحريم الضرار في غيرها لئلا الفاحشة رويدا ان الرجل منهم كان اذا مال الى امرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها فصرفه الى تزويج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روى ان عمر قال في المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع وتلت هذه الاية فقال عمر كل الناس افقه من عمر فرجع عن ذلك وتحمل ان يقال كونها القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض كالوحضة وهو موضع الحال اي في حالتهم ومعنى الاية الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو ضالع كما ان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك فاخذه منه استفهام بطريق الانكار ههنا وهو ان يستقبل الرجل بامر ويخبر بقبحه بروهو يعرف منه لانه ينهى عنه اي يخبر في الحديث اذا واجهت حالك بما ليس به فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له مثل فعلت جبنا وقيل بزعم الخافض اي بهتانا وقيل بمضمر اي تضيفون بهتانا وسبب تسميته هذا الاخذ بهتانا انه تم فرض لها ذلك المهر من اسرته فكانه يقول اتبرئ ذلك الفرض ويكون بهتانا او انه عند العقل يكمل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا ياخذ منها فاذا اخذ منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من غايتهم انهم اذا اردوا اطلاق المرأة وهو بها فاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا امرا مبنيا على هذا الوجه في الاغلب سمي الكلام على ذلك به بالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في زناها من حيث انه مشعر بها فاذا ثبت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله آتيانا كلوا في بطونهم نارا ثم عجب الاخذ منهم فقال كيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد السدي واختاره الزجاج والمفضى به الجماع وقيل الخلوة وقيل لمس الرجل المرأة بيده وقيل الافضاء الجماع اذا الافضاء الساحة وبقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء ان يجامعها او هو قول الكلبي واختاره الفراء وبوافقه مذهب الحنفية ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهو مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب فانما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا لوجوب الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وايضا الافضاء لابد ان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك ان لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الاخر فان قيل على هذا يجب ان يكون للملامسة والاضطجاع في لحاف واحد كذلك في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به قلنا جوابه انه باطل بالاجماع ان القائل قائلان قائل بتفسيره افضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد تاشبه معناه انه الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله وقد اخذن منكم ميثاقا غليظا قال اكثر المفسرين هو قول الرجل عند العقد زوجتك على ان تمسكها بالمعروف او تسرحها باحسان وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود عليها الصداق وقيل هو استشارة في الحديث واستحلالهن فرجهن بكلمة الله وقال الحسن اخذ منكم بسبب قضا بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة باحوال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال ابن عباس ومجاهد المفسر كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج اباءهم فهو اعم ذلك وههنا مسئلة حلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمن تزوجها ابوه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله وانكحوا الايامى منكم ما خلا به ملعوب به خلت الابل المرتبة لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالاتفاق على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم ما خلا به

فانكحوا

سورة النساء

لكم من النساء وبقوله النكاح سببي وكما شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سببا لما يقوله ولد من نكاح كما من سفاح وبان من حلف من اكل ذكر انهم لبسوا من اكل النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي يسمى بالنكاح لكن العقد اشتهر به فلم كان حمل الآية على ما ذكروا اولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطي فالواجب قصره في الوطي مجازا في العقد كما انه في اللغة العكس وهذه المعنى حاصل في الوطي لا في العقد وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما او يجوز استعماله في مفهومه معا فيكون الآية هنا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون هنا عن العقد فقط المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن الضمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه معارض باجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن ما قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير لا تنكحوا نكاح ابائكم فان انكحهم كان بغير ولي وشهود وكان مرتهن ومهرته فهو اعم من مثل هذا النكاح فالآية محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح ابائكم ولكنا لا نسلم ان من يفيد العموم واذا لم تفد العموم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد في صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل على جواز نكاح منكوحة الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فهي من نكاحهن الى غاية فنفي بما هن في هذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مرتهن كانت او غيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقوله وزوجوا بنا نكم الاكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وضع قطرة من الخمر في اناء من الماء فخمرته لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد الحسن في هذه المسئلة فوضع ختم الكلام على قول الشافعي وطي حدث به ووطي رجب به فكيف يشبهها ان اما قوله ثم الآية ما قد سلف فلم يبين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب تحل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بالامر المنهي عنه فكانه قيل انتم مؤاخذون بنكاح ما نكح ابائكم الا ما قد سلف قبل نزول الآية لحرمة فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غيرهم سبوفهم من قوله ولا عيب فيهم بمعنى ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار ويبل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد يجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتهم الاولى وقيل الى ما قد سلف فانكم مقرون عليه فالوا انه اقرهم على ما مضى مدة ثم امر بغيره فيهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وذهب بعضهم هذا القول فالزما احد على نكاح امرأة ابيه وان كان في الجاهلية وردوا نه يعتد بابرهة الى جعل عرس بامرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار وحصول ذلك بسبب امر ينبغي ان تكبه صاحبه هو من الله تعالى في حق العبد دليل على غاية الخزي والخسار فان قيل ما الفرق بين المقت والبغض في العقول وفي النقل وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وما فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى اعلم التاويل الوراثة الدينية اقيمت سبب نسب فسبب هو الاداة بالبرهنة المشابهة والشبه بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لنصرفات لانهم ظاهرا وباطنا مستسلمون لاحكام التسليل والتربية لتوليد استدلال بالنشاة الثانية من صلب لانهم ومن هنا قالت الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد اي انتم اوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم النسبية والذكورة والانوثة في الجد الاجتهادي وحسن الاستعداد وبتوارث ثم العلوم الدينية والدنيوية كقوله تعالى ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا والثلاثة ناهيتان الفاحشة من نسائكم هي المنفوس الاماء ان بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي الغرائب ومن خواصها الخشية والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشرة والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب حتى لو باشرة فان شهدوا بان ظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب في الذان يأتيانها اي النفس الغالبة بيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فاذوهما ظاهرا بالحد وباطنا بالرياضات ونزل الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وبالسر بعد العبر بحالة اي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب فاعل السوء اذا كان بصدد الجهولية بحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية فاتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان يقال من قريب اي قبل ان يموت العبد بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب حيث لا تكون اضطرارية بالكشف الاختيارية بالجذبة او لا تنكحوا ما نكح ابائكم هذا اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها ابائكم العلوية الا ما قد سلف من التبديل الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان تكون الى العالم السفلي بوجه ما فقد سلف والله اعلم

الجزء الخامس

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ

حرام کرده شده بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خالهای شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما

اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

انهائی که شیر داده اند شما را و خواهران رضاعی شما را و مادران زنان شما را و دختران زنهای شما انهائی که در کنارهای شما اند از زنان شما

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

از زنانی که صحبت کرده اید باشان پس اگر نبوده باشید صحبت کرده باشید باشان پس نیست گناهی بر شما و زنان پسران شما انهائی که از صلبهای شما اند و انکه

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت بدرستی که خدا بوده است آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک شده باشید

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

دستهای شما نوشت خدا بر شما و حلال شده بر شما آنچه که غیر از این است که بخواهید بالهای خود زن کنندگان نه زنا کنندگان

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

پس آنچه برخورداری کردید بان پس بدهید شیاز ایشان مزدهای شان را فریضه ای و نیست باکی بر شما در آنچه راضی شدید بان از پس از بار یضه

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

بدرستی که خدا میباشد دانای داور و هر که نتواند از شما از توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از آنچه که مالک شده باشد

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ

دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید انهارا باذن کردن انها و

آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

بدهید انهارا مزدهای شان را بنوع شایسته پارسایان از زنان ان نه زنا کنندگان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوی دار شوند پس اگر کردند زنائی پس

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

پس بر انهاست نصف آنچه که بر زنان ازاد بوداز عذاب این مر انرا است که بترسد رنج را از شما و صبر کردن شما بهتر است مر شما را وخدا امرزنده مهربان است

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ

اراده کرده است خدا که واضح گرداند برای شما و بنماید شما را طریقهای انها را که از پیش شما بودند و ببخشد بر شما و خدا دانای داور است و خدا میخواهد

أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

که قبول کند توبه شما را و میخواهد انانی که متابعت میکنند خواهشهای نفس را که روگردانیدن حق و گردانیدنی بزرگ را اراده کرده است خدا که سبک گرداند از شما

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

و آفریده شده است آدمی ناتوان ای زمره انجنان کسانی که گرویده اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر اینکه

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

سوداگری باشد از جنای طرفین از شما و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا میباشد شما مهربان و هر که مرتکب شود انرا از روی دشمنی و ستمکاری

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

پس زود است که داخل کنیم او را در آتشی عذاب و نیست این بر خدا آسان

القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا أبو جعفر والمحصنات من النساء

علی البناء للفاعل بفتح الصاد حفص مبنيا للمفعول بضمها حمزة وعلي وخلف

وعاصم غير أبو بكر وحماد البناء مبنيا للفاعل أحصن بفتح الهمزة والصاد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص البناء أحصن بضم الهمزة وكسر

الصاد بحاذره بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص البناء بالفتح الوقوف حلتم بهن الأولى لا بد لها الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم

لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلا بكم للعطف سلف بهما للعطف الجزء الخامس بما نكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر المؤكد لا مزيد في معنى الكتابة ويحتمل

مصدر محذوف اي كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعوله لما يجيء من كتاب الله من قرأ واحل بالفتح الحسن الوقف له على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ

واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين بلا وقف محصنين بلا وقف فريضة حكما منبا نكم المؤمنات بما نكم من بعض للعطف

المختلفين اخدان لا وقف من العذاب لمن خشي منكم خير لكم رحيم ويتوب عليكم حكيم عظيما يخفف عنكم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اي يخفف لضعفكم

ضعيفا انفسكم رحيما نارا يسيرا التفسير نسبحانه نص على البحر هو بعشر صنفا من السنوا سبعة من جهة النسب صن الأمهات البنات والاخوات

والعمات الخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات

النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والآباء وهذه في الاية المتقدمة والجمع بين الأختين والمحصنات من النساء وقيل الكرخي الى ان هذه الاية

بجملة لانه اضيف المحرم فيها الى الامهات والبنات المحرم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الآية فلابد من اضمار هذا المحرم الى بعض الافعال التي يمكن بقاء عينها في ذوات الامهات والبنات وليس بعض هذا المعنى اولى من بعض والمعلوم بالتقرير من هذا المحرم ان المراد منه محرم نكاحهن لاستهار وقد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وعنه قوله لا يحل مراسل مسلم الا احدى خصلتين ثالثة فانه لا يشتبه ان المراد لا يحل ازالة بضعها ثم ان قوله عز اسمه المحرم كقول القائل لعبت وطلقت الاجنبات عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه ان المحرم هو الله تعالى كقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وحصل مما في الفصول وحصل ما في المصدر وخطأ لاولئك الخاصة بالذكر لمن عداهم من الامة بالتبعية والاصل في كل حكم هو الاستمرار والثابت بدليل لم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه تعالى حرم على كل احد خاصة وبنته خاصة واعلم ان حرمة الامهات والبنات كانت ثابتة من زمن ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان بل ان زادشت نبي المجوس زعم انه تعالى جعله لآدم ان اكثر المسلمين متفقون على انه كان كذلك اما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان ادم عليه السلام ذلك المصرحون وبعض المسلمين بكره وغلط انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن ابناء ادم وبرد عليه زعم هذا النسخ لا يكون محض ولا ادم وذلك بالاجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الامهات والبنات ان الوطي اذا لاق امهاته فلا يليق بالاصل والجزء والامهات جمع الام والهاء زائدة وزنها فعل واصلها وزنه فعل وقد يجمع جمعه على امات وقد يقال الامهات للاناث والامات لغيره وكل امرأة وجمع نسبك اليها بالولادة من جهة امك بلا جدة او درجات بانات وجمعت اليها او بذكور وهي امك لان لفظ الام حقيقة في البنت ولذلك اذا في الجدة يحتمل ان يكون حقيقة فرع يكون اللفظ متواطئا فيها ان كان موضوعا ابتداء فلا مشتركا بينهما ويكون لابنة نصا في تحريمها او يكون مشتركا بينهما وجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمها ايضا والا فظاهر فان احدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني انه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين كل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان لام حقيقة في الولادة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامرأة ودخل بها لم تحل الجدة قال ابو حنيفة لا يلزم حرمة الشافعي ان وجود هذا النكاح وعدمه بمنزلة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون ظهورها نا محضا الصنف الثاني من المحرمات البنات وزاد بعض كل انثى ترجع نسبتها اليك بالولادة بلا جدة او درجات بانات وبذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزاني تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا لسر عرفا لقوله تعالى الولد للفراش وهذا يقتضي حصر البنتية في الفراش لانها لو كانت بنتا له لاحدثت الميراث وليست له ولانه لا يجب عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن التالي باطل بالاتفاق فكذا المقدم وانما قلنا ان ما ذكرناه ان يثبت كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع في الاولى باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبلت في ذاره الا زنا لم تصر هذه الولد له معللا بانه مخلوق من مائه فطعا منه لان نسبه لا عند الاستلحاق واما العكس فهو ان المشتري اذا تزوج بالمغتصبة وحصل هناك ولد فانه يثبت النسب مع القطع بانه غير مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزاني من الزانية ولو انتسب اليه يجب على القافة منعه الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط ومن الام فقط الصنف الرابع الخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر يرجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت ام ابيك وكل انثى ترجع نسبتها اليك بالولادة فاختها خالتك فقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك لا تحرم اولادها اما واولاد الخالات الصنف السادس بنات الاخ وبنات الاخت اعلم ان الاخت الفول فيها كالقول في بنت الصلب لثامن وتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة سمي المرضعة امهات تحقيقا لشأن كما سمي الزوجات امهات المؤمنين ليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق به بسببه الامومة ويعلم من شبهة الرضعة اما والرضعة اخا انه لو الرضاع مجرى النسب لان المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والثابتة بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صنفا واحدا ينبهها على الباقي منها فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوات ثم انه تعالى اكد هذا البيان بقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا يبين الطيف فاعلم ان كل انثى ارضعت ابنك او ارضعت من ارضعك او ارضعت من ولد من الاباء والامهات وولد المرضعة او الفحل الذي منه اللبن بواسطة او بغير واسطة وبنات من ولدت كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولدت من الابناء او البنات والحاصل ان الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولدها الذكر او الفحل الذي ولدت بلبنه على المرضعة وعمك كل انثى من الرضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة الام كل انثى هي اخت ذكر ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من ارضعتك من الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت انثى ارضعتك امك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها ابن مرضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب او ارضعتها اختك او ارضعت بلبن اخيك وكل حكم بنات الاولاد من ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات اولادها من الرضاع او النسب فالرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه لكن ان كان احدهما المرضع ويجب ان يكون امرأة فلبن الفحل لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى للذي شرب من لبنه وكذا لبن الرجل وان يكون خنثى وعندك ينتشر ومالك واحمد يتعلق بلبن الخنثى المحرم وان يكون محتملا للولادة بان بلغت تسع سنين فان بها اللبن ويتعلق به التحريم وكذا لو بغير بصوفة او اعفرها او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او مخيض او اطعه او ثرده بمرق طعام او عجن به فتوفي وخبزا وخلط بما يحل او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي

ترجمة الرضاع
الرضاع
الرضاع

الجزء الخامس

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ

حرام کرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمه‌های شما و خالهای شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما

اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

انهائی که شیر داده‌اند شما را و خواهران رضاعی شما را و مادران زنان شما را و دختران زنهای شما اند دختر انی که در حجرهای شما اند از زنان شما

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

انزنانی که درحجت کرده اید باشان پس اگر نبوده باشید صحبت کرده با ایشان پس نیست بر شما گناه و زنان پسران شما انچنان پسرانی که از صلبهای شما اند و انکه

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

جمع کنید میان دو خواهر مگر انچه گذشت بدرستی که خدا بیامرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر انچه مالک شده باشد

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

دستهای شما نوشت خدا بر شما و حلال شده بر شما انچه که غیر از این ست که بخواهید بالهای خود زن کنندگان نه زنا کنندگان

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

پس هر چه برخوردار شوید بان پس بدهید بایشان مزدهای ایشان را فریضه ست و نیست باکی بر شما در انچه راضی شوید بان از پس از بار زیدن

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

بدرستی که خدا دانای داناست و هر که نتواند از شما از توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از انچه مالک شده است

أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ

دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید انها را باذن کسان انها و

آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

بدهید انها را مزدهای ایشان را بنوع شایسته پارسایان از زنان ان نه زنا کنندگان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوی داده شوند پس اگر کردند زنایی پس بر

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

پس بر انها ست نصف انچه بر زنان ازاد بوده از عذاب این مر انرا است که بترسد فرا زنا از شما و صبر کردن تا شوهر کنند مر شما را و خدا امرزنده مهربان است

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ

اراده کرده ست خدا که واضح کند از برای شما و بنماید شما را طریقهای انها را که از پیش شما بوده اند و بپذیرد بر شما و خدا داناست و اوراست

أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

که قبول کند توبه شما را و میخواهد انهائی که متابعت میکنند خواهشهای نفس را اکه روگردانیدن حق و گردانیدنی بزرگ را میخواهد

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ

و آفریده شده است آدمی ناتوان ای زمره انچنان سزاوار که گرویده اید مخورید بهای خود را میان خود بطور باطل مگر انکه تجارتی

تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

سود کردنی از رضای طرفین از شما نباشد و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا بشما مهربان و هر که مرتکب شود انرا از روی دشمنی و ستمکاری

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا القراءة والمحصنات كل القرآن بكسر الصاد الا قولوا والمحصنات من النسا

پس زود درست که داخل کنیم او را در اتش غریب و میباشد این بر خدا سهل علی البناء فون بالفتح واحل فتح مبنیا للمفعول به حمزه وعلی وخلف

وعاصم غیر ابو بکر وحماد البناء فون مبنیا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر حفص البناء فون احصن بضم الهمزة وکسر

الصاد اتجارة بالنصب حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر حفص البناء فون بالرفع الوقوف محلم جین الاولی لا بتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح علیکم

لذلک فان جملة الشرط معترضة اصلا بکم للعطف سلفت رحیما للعطف الجزء الخامس ایمانکم لان کتاب الله بحمل ان یکون مصدرا لتحریم لانه فی معنی الکتابة ویحمل

مصدرا محذوف ای کتب الله کتابا والاحسن ان یکون مفعولا لفعل محذوف ای الزموا کتاب الله من قرا واحل بالفتح لان الوقف له علی علیکم للعطف علی کتب ومن قرا

واحل بالضم عطفا علی حرمت فاذا وقف طال الکلام مستانفا حین لا بتداء احکم المتعة بفریضة الفریضة حکما فتیاتکم المؤمنات بایمانکم من بعض لعطف

المختلفین اخذان لذلک من العذاب لعنتم خبر لکم رحیم ویتوب علیکم حکیم عظیما یخفف عنکم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنی ای یخفف لضعفکم

ضعیفا انفسکم رحیما نارا بسیرا التفسیر نزه سبحانه نفسه علی البحر اوبعة عشر صنفا من السوا سبعة من جهة النسب صرا لامهات البنات والاخوات

والعمات الخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخری لا من جهة النسب لامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء وبنات

النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والاباء وهذه فی الایة المتقدمة والجمع بین الاختین والمحصنات من النساء وذهب الکرخی الی ان هذه الایة

بجملة لانه اضيف التحريم فيها الى الامهات والبنات والتحريم لا يمكن اضافته الى الاعيان وانما يمكن اضافته الى الافعال وذلك غير مذكور في الآية فلابد من اضمار هذا التحريم الى بعض الافعال التي يمكن انتفاعها في ذوات الامهات والبنات ولما كان بعض هذا معنى الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من يعلم ان المراد من تحريم نكاحهن لا استيعاب وقد تقدم مرارا ان نكح اذا ذكر وعنه قوله لا يحل ان يتزوج مسلم الا احدى خصلتين ثلث فانه لا يشبه ان المراد لا يحل ان يزوج ثم ان قوله تعالى الشائع كقول القائل رجل وطلقت لاجتماع الخ تحريم في الزمان الماضي ولا يشبه ان يحرم هو الله تعالى كقوله بعثت رمانا في القبور وحصل ما في الصدور وهذا ظاهر لا دليل الخاص بالذات ولم يعدهم من الامة بالبعيدة والاصل في كل حكم هو الاستمرار والتأبيد ما لم ينسخه ناسخ والقرينة تدل على ان المراد انه محرم على كل احد خاصة وبنته خاصة واعلم ان تحريم الامهات والبنات كانت ثابتة من زمان ادم الى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الاديان بل ان زرادشت نبي المجوس يزعم انه يحل الا ان اكثر المسلمين اتفقوا على انه كان كذبا انما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان ادم عليه السلام ثم حرم ذلك المقربون وبعض المسلمين بكره وهو ظاهر انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن ابناء ادم ويدل عليه ان هذا التسلسل لا يكون محض وكذا ادم وذلك بالاجماع باطل فالعلم السابق يحرم الامهات والبنات ان الوطي لا يحل اباحتهن فلا يليق بالاصل والحرم والامهات جمع الام والهاء زائدة وزمام فعل واصله وزنم وقد يجمع جمعه على مات فقيل الامهات للانسان والامات لغيره وكل امرأة وجمع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك بلا جدة او درجتها بانات جعلت اليها او بذكور وقال الاستاذ ان لفظ الام بغير في التي ولدتك اذا في الجدة فيحتمل ان يكون حقيقة وح يكون اللفظ متواطئا فيهما ان كان موضوعا بازاء قدر مشترك بينهما ويكون لابنة نصا في مخرجها او يكون مشتركا بينهما وح يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالابنة نص في مخرجها ايضا والاظهر بيان احدهما ان تحريم الجدات مستفاد من الاجماع والثاني انه تعالى بكلم فيه الابنة مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام ان قلنا ان لام حقيقة في الولادة مجاز في الجدات قال الشافعي اذا تزوج الرجل بامرأة ودخل بها بلزم الحد قال ابو حنيفة لا يلزم تمسكا بالشافعي ان وجوه هذا النكاح وعدمه بمثابة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا الصنف الثاني من المحرمات البنات وبراد بهن كل انثى جمع نسبها اليك بالولادة بدجة او درجتها بانات او بذكور والكلام في ان اطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة او مجاز كما مر في الامهات قال ابو حنيفة لبنت المخلوقة من ماء الزاني تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لانها ليست بنتا لسرعة القولة الولد للفراش وهذا يقتضي حصر البنت في الفراش ولانها لو كانت بنتا له لاخذت الميراث وليست له ولانه لا اجتناء عليها ولوجب عليه نفقتها وحضانتها ولحل الخلوة بها لكن التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم وايضا ان ما حينئذ ما ان يثبت كونها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه او بناء على حكم الشرع والاول باطل على مذهبه طردا وعكسا اما الطرد فهو انه اذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبلت في داره الا ان الولد هذا الولد معلوم انه مخلوق من مائه قطعا مع انه لا يسترق لا عند الاسترقاق واما العكس فهو ان المشرق اذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فانه يثبت نسب القطع بانه مخلوق من مائه والثاني ايضا باطل باجماع المسلمين على انه لا نسب لولد الزاني من الزانية ولو انتسب اليه لحجب عن الصنف الثالث الاخوات ويشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب فقط ومن الام فقط الصنف الرابع الخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الام وهي اخت ابيك وكل انثى رجع نسبها اليك بالولادة فاختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك ولا تحرم اولاد العمات او اولاد الخالات الصنف السادس بنات الاخ وبنات الاخت والقول فيهما كالقول في بنت الصلب لثامن وتاسع قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة يسمى المرضعة امهات تحقيقا لشاهن كما يسمى زوجات الشبيهة امهات محرمات وليس قوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم كقول القائل وامهاتكم اللاتي كسونكم او اطعمنكم والا كان تكرارا لقوله حرمت عليكم امهاتكم بل المراد ان الرضاع هو الذي يستحق به تسبيبا لامومة ويعلم من شبهة المرضعة امها والمرضعة اختا انها اجروا الرضاع مجرى النسب في تحريمها بسبب انتسب سبع اثنتان بالولادة وهما الامهات والبنات والثالثة بطريق الاخوة وهن الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت فذكر من كل واحد من القسمين صنفا واحدا ينبهها على البقية منها فذكر من قسم الولادة الامهات ومن قسم الاخوات ثم انه تعالى اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا يبين الطيف فاعلم ان من ارضاع كل انثى ارضعت بلبنك او ارضعت بلبن من ولد من الابناء او البنات والحفدة من الرضاع كل انثى ارضعتها امك او ارضعت بلبن ابيك او ولد لها الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل انثى من ارضاع من جهة الاب كل انثى ارضعت بلبن واحد من اجدادك او كانت اخت الفحل الذي ارضعت بلبنه ومن جهة الام كل انثى هي اخت تلك التي ارضعت امك بلبنه بواسطة او بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الام كل انثى هي اخت امك من الرضاع او اخت من ارضعتك من الرضاع ومن جهة الاب كل انثى هي اخت التي ارضعت ابا ك من الرضاع او النسب وبنات الاخوة والاخوات من الرضاع كل انثى ولدها من ارضعتك او بنتها او ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن او بنته من الرضاع او النسب ارضعتها امك او ارضعت بلبن اجنبي وكل حكم بنات الاولاد من ارضعته امك او ارضع بلبن ابيك وبنات اولادهما من الرضاع او النسب فحرم الرضاع الحرم فلا يسوغ النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ على بنية فتحرم لو كان احدهما المرضع ويجب ان يكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والانثى للذي شربا منه وكذا لبن الرجل وان يكون خنثى وعندنا يتعلق ومالك احمد يتعلق بلبن الخنثى التحريم وان يكون محتملا للولادة بان بلغت تسع سنين فان بها اللبن ويتعلق بالتحريم وهو الصحيح وان غيره بحقنة او اغذية او اغلاء او اتخذ منه جبن او زبد او محيض او قط او ثرد به طعام او عجن به دقيق وخبز او خلط بمائع حلال او حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي

الحرمة فلا اثر للحضنة ولا بعد الحولين لان الحلال لا يتوصل الى عقد الصحيح المبتدأ لا يدوم ثلاث من حيض صفا القوله تعالى لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان ولما روى عائشة رضي الله عنها عن عندنا وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كما بينه الصنف لغائر قوله وامهات نسائكم وبدخل بنات الحجر من قبل الاب والام الخامس عشر ربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأته او فعيلة من عبره ومعناها مربوبة لان الرجل يربيها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب ومثله هو في حضانته فلان واصله من الحضن لان الصبي هو الابطوفال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعلى انه جعل كونها في بيته له وكونها في حجره شرطا وهو استدلال حسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب فانه اذا دخل حرمت البنت عليه سواء كانت في بيته او لم يكن لما ان شرط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله من خديجة والقاسم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم على رفع الجناح مجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان يكون لجناح هو محرم الدخول وذهب جمع من الصحابة ان المرأة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد ابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات ان عمر ابن عباس وجميعهم انما يحرم انه ذكر جملتين وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها فظاهر على الثانية واذا تعلق باحدى الجملتين فلا احاجة الى تعليقه باخرى واما عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها فباطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى مرجع الاولى الى الثانية ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلا بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلا بامهاتهن كانهن بناتهن لان هذا التفسير منه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا ربائبكم يكون ح مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوف فاصلة كان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوفا على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال الانحاد يقتضي التعليل لا الترخيم ظاهرا ومما يدل على ان الجملة الاولى مستقلة ما روي عن عمر وعن علي وشريح عن ابيه عن جده عن النبي انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالابنة فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يقول بنكاح المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس هو مبتدأ بالكوفة فانقلبوا وذهب اهل البلدة فضاهم مجمعين على خلافه فواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب ذلك الرجل ووقع عليه البناء امره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأة قبل الدخول او ان يتزوج امها فله ذلك وان مات قبل ان يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم كما اقام مقامه في باب المهر والدخول بها كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها او وضع عليها الجناح بمعنى ارخى عليهن الستر والبناء للمفعول وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول في ذلك بمسائل ابو بكر الرازي في اثبات ان الزنى يوجب حرمة المصاهرة قال لما كان الدخول بها اسم لمطلق الوطء من نكاح كان او من سفاح وورد بان تقييدهم قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطء بالحلال الصنف لثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يخرج المتبنى وكان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم ليكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع حكم الابن من النسب فيحرم حليلة على ابيه لقوله تعالى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وظاهر قوله واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فيهما فقد يخصص عموم القرآن بخبر الواحد اتفقوا على ان حرمة الزوج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله واذهبوا الى ابعد الشبهتين قال في الشبهة الحرمات من جهة النسب اظهر من الحرمات اللواتي من جهة الرضاع ومن هن على سبيل التأبيد اتفقوا انهن على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جاز ان يتزوج الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان الحليلة تعتبر اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السبب يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في ازار واحد او تحل كل واحد منهما في قلب صاحبتها بما بينهما من الالفة والمودة وعلى التفاوت يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فثبت انها محرمة بالآية الصنف لثالث عشر وان تجمعوا بين الاختين اي حرم عليكم الجمع بينهما والتأبيد ثبت للمنع بالسبب لا لكسائر ابنائه وبين الخصلة ويمكن ان يقال الواو اثبت للفعل المطلق من غير اعتبار تذكيره وتأنيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احدهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمران مسعود وزيد بن ثابت ابن عمر يحل الجمع بينهما لا طلاق الآية ولان لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز بينهما وبينهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الاشياء الحرمة فلو سلم ان الآية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي الوارد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز لان الوطء احداهما حرم الوطء الثانية عليه لانه لا يحل له ان يطأ هذه الحرة ما لم تزل هذه الحرمة عن الاولى بالبيع او هبة او عتق او كتابة ثم تزوج قال ابو حنيفة فيهما لا يجوز نكاح الاخت عند الاخت لبنا بان كان النكاح الاول كان باطلا بدليل وجوب العقد ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة رجعيا يبطل بدليل لزوم الحد بوطيها واما وجوب العقد ولزوم النفقة فنقول انما حصل النكاح حصل الملك على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح كما استثنينا عليه الا بتين واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء فاذا قال الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب كان الكفار ليسوا بملتزمين في فروع الشرائع لاحكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كافرين بها فاذا اسلموا التزموها فعلى قول الاسلام وما يوجد قول الشافعي

سورة النساء

ما دون ان غيرها والذي سلم على ثمان نسوة فقال اختر منهن اربعا وفارق سائرهن طلق ولم يفصل بين ان يتزوج بهن معا او على التعاقب وفرق الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان يجمعوا غاما فيتناول المؤمن والكافر فيخالف صلبه حيث جعل المهر واجبا على الكافر مخاطبا بالفروع دون ما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير اي شهود او على سبيل الهزل والعضه بعد الاسلام تقرر ذلك النكاح آما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى معفو بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان سر تحريم الله تعالى جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فحرم الجمع بين المرأة وبنت ابنها وبنت ابنها وكذا بين المرأة وبنت اختها وبنت اخيها وكذا بين كل امرأتين سواء كانت العمومة والخؤلة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها لانه لا توجد الحرمة على تقدير كونه كذا احداهما او انما توجد على تقدير كونه ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة بخلاف ما لو اوضحت المرأة كذا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط تحريم الجمع بعبارتين اخريين احديهما تحريم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع بفرض احداهما ذكرا والثانية بحيث لو كانت تلك الموصلة بينهما بين امرأة حرمت عليك الصنف الرابع عشر المحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون المحصنات يعني نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات اذا احصن فروجهن وثالثها الاسلام فاذا احصن فهل بغير اذا اسلمن وزانيها كونها ذات زوج والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن الوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع ومنه حصينة ودرع حصينة ما تمنع صاحبها من الاقران والجراحات والحرة سميت بذلك لمنع الاماء من نفاذ حكم الغرة فيها والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع لزوجته من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى فرق بكسر الصاد الاتي من احصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين من ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شراء الامة وانها تحل وارثها فان كلا منهما لا يوجب الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص الاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفرقة بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العاهرة لكن جعل الله ملككم اياهن اربعا او الاماء اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة ومن خصوا الولي الشهود ونحو ذلك بالقول هو الاول لما روي عن ابي سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللنا هن بهذا كذا ذكره المذكوران وله كتاب الله عليكم قال ازواج بحمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واجعل لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جملته او حفيفة او بسبب النبي كما قلنا في ضم الجمع بين الاختين وغيرها وقد دخل تحت هذه العناية ما لا يحصى منها ان المطلقة ثلثا لا يحل دليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومن الحرمة والمرأة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من زنى بامرأة حرة لم يجز ان ينكحها ابدا بالاتفاق وعند الشافعي رضي الله عنه على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل قوله ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل قوله ثنتى وثلث ورباع ومنها الملاعنة لقوله ثم لا يملكها ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل لكم مما يحرم اراده ان يكون ابتغائكم باموالكم في حال كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فما لا يحل لكم فخير اديانكم كونهم ويجوز ان يكون تبتغوا بدلا من وراء لكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تقدر به حد السرقة بدليل الخلع بالابتغاء بالاموال الدرهم والدرهمان لا يسميان مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأته في نكاح كف دقيق او سويق فقد استحل فقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن لها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان المالية وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والابتراء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة نفسه فان كان تزوجها مهر مثلها او ان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الابتغاء يدل على الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغير جائز ام لا والاية خرج الخطاب مخرج الاغلب لا عم فلا تدل على نفي ما سواه ومما تدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج وهو اصل في شرع من قبلنا البتة الا ان يظهر الناسخ وانما البحث فيها اذا لم يعلم الزوج بها شيئا فاذا اراد الزوج بها شيئا فاذا هل معك شيء من القرآن فان نعم سورة كذا وكذا فقال قد زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز اعتق الامة صداقها لاسيما وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه من خواصه ممنوع فما استمتعتم به منهن الى المنكوحات من الجماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فاتوهن اجورهن اي عليه فيسقط الواجب بالعلم به ويجوز ان يراد بها النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء لاستمتاع ويكون وجوع الضمير اليه على اللفظ وفي فاتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء المفروض مصدره وكذا اي فرض

Marfat.com

ولد فرضه ولا يحق ان استمتع بها لدخول بها بتمام المهر ان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علمائنا الامتاع في الآية في النكاح مؤبد قبل المراد بها حكم المتعة وهو ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم ليجامعها فسميت متعة لاستمتاع بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وانفقوا على انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون منهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن عباس وعمران بن الحصين قال عمادة سئل ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما يقال قلت فهل لها عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل بينهما توارث قال لا فهذا اخوى عنه ان الناس لما ذكروا الاستمتاع في المتعة قال قائلهم الله اني فما افتيت بايا حتها على الاطلاق لكني قلت هذا محل المضطر كاكل المنتة والدم ولحم الخنزير وروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن الحصين فانه قال نزلت اية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها اية تنسخها وامرنا بها رسول الله ومتعنا معه ثم لم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد ان عمر نهى عنهما وروى محمد بن جرير الطبري بسنده عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطء لا يحل الا في الزوجية او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة له ولا زوجته ولا تحصل التوارث ولا تثبت النسب ولا توجب العدة عليها بالاشهر والتوالي باطلة بيسرها بالاتفاق وروى عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ولم ينكروا عليه احد منهم فلو سكتوا لعلمهم بحرمتها فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وهو منها محال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة وذلك محال منهم وما روى عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح بامرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعلة ذكر ذلك على سبيل التهديد السياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال من منع منا الوكوة فانا اخذ شاته وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر وروى الربيع بن حبيب الجهني عن ابيه قال عدت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسندظهره الى الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما اتيتموهن شيئا اتفاقا لون بابا حة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال بنا ول الاستمتاع بالمرأة على سبيل التابيد على سبيل التوقيت بدليل الاية فقصروه على نكاح المتعة لما روى ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان اجماعا واما امر بايتاء الاجور لجزاء الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد ايضا قال في اول السورة فانكحوهن فانسب ان يحمل هذا الامر على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى وما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان الشيء هي عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر واكثر الروايات انه اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وفي ذلك ان اصحابه شكوا اليه يوما طول العزوبة فقال استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لقول احد من المفسرين الا الذين اراد وا ازالة التناقض عن هذه الروايات نهى عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن لنهيه يقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين وجيء بان المراد من قوله انا انهى عنها انه قد ثبت عندكم نهي في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك وكان اجماعا وكذا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا الاية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدارا بمقدار معين فلا حرج ان يحط عنه شيئا او يبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان هب المرأة للزوج مهرها او يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاقي الزيادة بالصداق جائز لان التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو لحقت فاما ان ترفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقدان مع بقاء العقد الاول وهو يحصيل الحاصل والذين حملوا الاية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المرأة بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها انت بريئة في الايام او زيدي في الاجر وهي في الحال زادت ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا اي فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لا تزيدوه فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال علي الامر اذا غلبني فكأن من عجز عن المحصنات فيهن الحرائر المعروفات لم يقدر على نكاح الحرة فليتزوج من الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اجنبية فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه او الفتيات المملوكات يقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي فان الله تعالى شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنتان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة سادتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في اخر الاية والثالثة في المنكوحة وهو ان يكون الامة مسلمة وصح ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالعبد الاول مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات عبدهم والمراد بالفتوة الذين هم في صف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة العبد الاول فهي ان المولى تابع للام في الحرية والرق فيتعلق الولد فيها على ملك الكافر لان هذا العبد لقاء اكثر لانه لان الولد اذا رق للكافر يتبع عليه في الحال واما فائدة

الجد الثاني فالحد من اجتماع النقيضين بين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد الحسن مذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول العبد والقن سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يجعل النكاح الابنة على الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فلان يتكح امة اولا امة لو كانت كتابية جاز له نكاحها ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فيحمل التنبيه على الابنة على الفضل لا على الوجوب فيا سا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحر ايضا بالمؤمنة واجيب بالفرق وهو اجتماع النقيضين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا مثلث في الابنة دلالة على الجواز عن نكاح الاماء وان كان قد عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لتباعد الولد الام في الرق لان امهاتهم مبتذلة لخواجة وكاجة وغيرها فتعوت بسبب ذلك فجوز او فتحة ولها المولى عليها من حق الاستخدام فلا يخلص لحقه الزوج وكان السيد قد يبيعها فيصير مطلقة عند من يقول بذلك لان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على تسليمها من وجها ولا على ابرائه والله اعلم بالبيان كم قال الزجاج اي اعملوا على العلم في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم اولاد ادم ولا يدخل كم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المفاصل فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت اليه وهو بين ما كانوا عليه في الجاهلية من التحرز بالانساب والاحساب وبين نكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوقف على الاذن ولان التزوج بها يعطل عليه اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر ان النبي ﷺ اذا تزوج العبد بغير اذن سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالآية على ان المهر البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة لان الاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعدها لعلل الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه بحيث لم يحنث في يمينه فعندنا والرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان نظم الآية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج نفسها واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضى المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الآية دليل عليه وان اهلهن عبارة عمن يعقد على النكاح من هو المولى ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يختص منه مولاه العاهر هي التي تنكح نفسها اذ لو لم يكن لها عبارة في نكاح مملوكها ضرورة انه لا قابل بالعرف فلان الانصاف ان استدلال الشافعي لا يتم فانا بينا بالكتاب والسنة والاجماع ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انه ثبت ان سلمنا ان ذلك من حيث هو لكنه كقول الحالف لا كلم الآن شابا فكلمه وقد صار شيخا ثم كلمه بحيث لم يحنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وانهن اجورهن اي مهورهن فيه دلالة على وجوب مهورهن سمي لها المهر والمهر فيه في قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المتعارف وهو المثل والمراد بغير مطل وضرار واحوجاج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن كان المهر نفقة فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تقرير ان كونها اجرا لا يقدح في وجهي نفقتها وكفاها كما في حق الحرة اذا حصلت الخلية من المولى بينها وبينها على العادة وعن بعض الصحابة ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان الموالي اذا اجروها للخدمة كان هو المستحق للاجرة دونها واحتجوا في المهر بقوله وانهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها للمولى كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي كون المملوك مالكا لشيء اصلا وكان منافعها كانت مملوكة للسيد فاباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الآية فلو حملنا لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها تملك المهر فلذلك اضيف الاجور اليهن ولم يقل وانهن مالهن بوجب كون المهر ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه قال العبد ما يملكه لمولاه او المراد وانهن المهر فحذف المضاف فقال ابن عباس اذا عفا فهو لها من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي وجوب نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه لا يجوز فالآية محمولة على الندب او الاستحباب غير مستحسنات قال اكثر المفسرين المحصنات هي التي تواجب نفسها اي جعل ازارها وقيل المحصنات الحرائر هي التي لها صيت وصون وكان اهل الجاهلية يفصلون بين العفيفة وما كانوا يحكمون على ان الحد يكون انانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم ذكرها الله تعالى بالذكر مخصصا على حرمتها معاوا لاخدان جمع خدن كالاذناب جمع ذنب والخدن الذي يخادنك اي يكون معك في كلامك وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعذر كرها ان الايمان هي في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله وعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يريد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار على الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب عليهن جلد وهذا فاسد واجيب بان الامة محصنة كانت او لم تكن وقد علق ذلك الآية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب فانحنا ان العبد يسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد بها تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يختلف عند التزوج فهذا اذا زنت فقد وجب فيها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون حد التزوج هذا القدر والى هذا اعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الآية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والعقل جعلوا الآية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحدود كان من الامور ما لا يجب في ذلك فيه كالصلوة والصوم وغيرهما فذلك اشاره الى نكاح الاماء بالاتفاق ولم يجيء لعنت منكم وقد عرفت فيها ان معنى الوقوع

في مرتبتان والمفسر ههنا فوله ان احدهما ان الشبق الشديد الغلمة العظيمة يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب لا يتم في الاخرة والثاني ان الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كما وجاع الوركين والظهر والوسواس كما حكينا فاما الرحم للنساء والاول البنوبيان القران وعليه اكثر العلماء وان تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرطه المبيح متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن البيهقي الحر هو صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور رحيم تاكيد لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين ايتمام اللام مقام ان في قولك اردت بان تفعل وقيل زيدت اللام وقد ان وذلك لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب وقيل في الابتداء اضمار الاصل يريد الله لنزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خير عنكم من فصل الحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم من اهل الدين لكل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شان النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المختار من كان قبلكم من اهل الحق ليقتدي بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما ارادوا منا نفس الطاعة فلاجرم بينها واراح الشبهة عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير يفرط في الابتداء شبه الله بانه يريد هو الله يخلق التوبة فينا فيرد عليه فاذا اراد التوبة منا وجب ان يحصل التوبة لكلنا وليس كل واحد يريد المراد التوبة في باب نكاح الاماء وسائر المنهيات المذكورة في هذه الاية وقد حصلت هذه التوبة وكذا الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقال المعتزلة يريدان نفعلوا ما تستوجبوا به ان نتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان يميلوا عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب بنات الاخ وبنات الاخت فلما حرم الله فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكم بنات الاخ والاخت فرد الله قولهم يريد الله ان يخفف عنكم ربما مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم بان اباح نكاح الامة وغيره من الرخص خلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر واشد احتياجا الى التعاون والتعهد والاعتذار والادوية والمساكن والملابس التظاهر والمعاملات الى غير ذلك من امور ذات واما ضعف عزائمهم ورقة غالبة وهذا لا يصير علة لاباحة الطاعات وعن الشهوات ولاستماع الشناعة بسبب ما لبس الشيطان من يتبع ارم فظ الاناث هم من قبل النساء الغداة على ثمانية وتسعين وذهبت حكة عينه وانا اعشو بالاخرى ان خوفها الخاف على النساء عن عباس رضي الله عنه في بعوله النساء هو خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان اجتنبوا كبائرها تهون عنا ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وما كان الله ليعذبكم وانتم شاكرون عليم بما تضمرونه من نياتكم وما تعلنونه من اعمالكم ان الله لا يخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتداء النكاح بالاموال امر بايتاء المهر والنفقة بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه قد مر تفسيره في قبيل قوله تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في اخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غيرها كذلك من الهبة المستفادة بجهة الهبة والارث واخذ الصداق والمهور وشرح الجبائي ان هذا لا يدل الا على اكل المال بالتجارة ويدخل تحت هذه النهي اكل مال الغير بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان نفسه بالباطل كما ان قوله ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة هذه الاية تدل على بطلان قول الشافعي في بيع الكالئ بالكالئ وقال القاضي ان صرف الوكيل اذا صرف على خلاف قول المالك فذلك غير منعقد بالاجماع فانصرفا والوقع على خلاف قول المالك الحقيقي وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تتبعوا الذين هم بين قوله لا تتبعوا الحي واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا الاول وقال ابو حنيفة هذا يدل على ان المحلل غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان الراضي المذكور في الاية لم يحصل وقال الشافعي ان هذا الراضي يقتضي الحل الا انا نثبت ذلك بدليل اخر يعين الجبار لقوله صلى الله عليه وسلم المتباعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين كنفس واحدة او كما يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين ما يعتريه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه سهلا عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب عبد الله ان رسول الله قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله خيبر فقال لرجل ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراح فقيل لرسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال الى النار فكاد بعض المسلمين يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل انه لم يمت ولكن به جراحا شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله من تردى في جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجاء بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمر بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله يقول ولا تقتلوا انفسكم فضحك رسول الله ولم يقل شيئا وقيل معناه لا يقتل بعضكم بعضا ثم استحقوا به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولا جل رحمته بكم عما نهاكم عنه عاجلا واجلا وقيل من يحمله نهيه على ما امركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم ومحصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك العدوان والظلم الاخطاء والقضاء هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعلى هذا امر غابد الكل مما نهى الله عنه من اول السورة وينكر النار للتعظيم او للنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل علا وفوق المتعارف كقوله وهو اهون عليه الافلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

سورة النساء

التاء بدل من عليكم امهاتكم الآية كلها اشارات الى ما هي التعلق ومنع التصرف في الاتجاهات السفليات والميل الدائم من اوصاف الانسان وصفات الحيوان ان الله كان عفوا غفورا بانواع عفوه غفرانه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس المحسوسات عند الضرورات بالامر بالطبع رحيما بالمؤمنين بما اعفو عنهم اليه من التصرفات بعد الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هي الدنيا التي تصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم بازن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا محصنين حراير من الدنيا وما فيها غير مسافحين في الطلب مباه وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضرورات فاعطوا حقوق تلك الخطوط بالطاعة والشكر والذكر ان الله تعالى احب زاهد قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب زاهد فراشه فقال ومن لم يستطع اي من لم يقدر ان ينكح عجز الدنيا الصالحة باسرها او يجعلها منكوحة له ويحصنها بنصرف شرايع الاسلام بحيث كان لها تصرف في قلبه بوجه ما فلينصرف في الفداء الذي ملكت ايمانكم من قلبه من الدنيا ولم تملك قلبه تماما موه بجدته وهي مؤمنة له بالجدة كما قال حكاية عن النبي عليه السلام اني اجد نفس الرحمن من جانب اليمن واستحث من خدمك محصنا بالصدق الفقر عنها لحاف بالتنبيه والاسراف لا متخذات اخدان من النفس والهوى فما احصن بالاخلاص في العطاء والمنع والاخذ والدفع فان بين بفاحشة غلبات شهواتها على القلب فليتبدل نصف ما ملكت يمينه من الدنيا في الله سبحانه وغيره فهي حدها كما ان حد عجز الدنيا اذا احصنها ذو طول من رجال فانت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالتبدل في الله كما كان حال سلمان اذ عرض عليه بالعشي الصافنات بالجياد الما شغلته عن الصلوة وانت بفاحشة حب الخلوق سحتا بالسوق والاعناق ذلك التصرف في قدر من الدنيا لمن خشي ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهي وان تصبروا عن التصرف في الدنيا ما طالب الدنيا بالكلية خير لكم كما قاله ان تبرؤها يبرهبا الله ان يخفف عنكم فلكم المؤنة ولغيركم المؤنة قال ابو هريرة اني ذاهب الى ربي واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سبحانه اتانا والمعونة هي الجذبة التي تواتي عمل الثقلين فلا جرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى وكلمة التقرب كناية عن زوال البعد بتقرب اي بالتوافق بحيث اجتمعا والفرق بين النبي والولي ان النبي مستقل بنفسه الولي لا يمكنه السير الا في متابعة النبي وبالجملة وخلق الانسان ضعيفا وهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان لسعيهما الى الابد لضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله والانسان اقوى في حمل الامانة من سائر المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر اصبر يحبهم في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجد وكان ابو الحسن الخرقاني يقول لولا الوسائل ابو وغيره الانسان يصبر عن الله لحد الجنة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلي كما انه كان بغان على قلبه كان يقول كلمتين باحمراء وكان الشبلي يقول لا معمل فرارا ولا منك فرارا والمستغاث بك عند نزول ضعف الانسان سبب كماله وسعادته فسعادته بضعف صفات البهيمة وسعادته بتشبه بسبحان الملك القدوس ليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء في الحديث اوتينا ما لم يؤت احد من العالمين

سورة النساء

يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت

إِنَّمَا لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ

دستهای بد پرستی که خدا دوست ندارد از آنها که بسیار دارند و فخر کنند مردمرا بخل کردن وپوشانند آنچه راکه داده

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

خدا از فضل او و آماده کرده ایم ما برای کافران عذابی خوار کننده و آنانکه خرج میکنند مالهای خود را بجهت نمودن بمردم و نمیگروند بخدا

وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وبروز واپسین و هر که بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشیست و چه میشد بر ایشان اگر گرویدندی بخدا و روزی واپسین

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ

وخرج کردندی از آنچه روزی کرده ایشان را خدا و بود بآنچه خدا بایشان داناست بدرستی که خدا ستم نکند مقدار ذره و اگر بیاشد حسنه را بیفزاید بران و دهد

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

از نزد او مزدی بزرگ پس چگونه باشد چون بیاوریم از هر امتی گواهی بآنچه کرده و بیاوریم ترا گواه بر اینان آنروز دوست دارند آنانکه

وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ

کافر شدند و نافرمانی کردند رسول را که ای کاش برابر شدندی با زمین و نتوانند پوشانید از خدا سخنی و ای آنانکه گرویده اید نزدیک نشوید بنماز

وَأَنْتُمْ جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ

و شما جنب مگر راه روان تا غسل کنید و اگر باشید بیمار یا بر سفر یا آید یکی از شما از قضای حاجت

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝

یا نزدیکی کنید با زنان و نیابید آب پس تیمم کنید بخاک پاک و مسح کنید بروی خود و دستهای خود بدرستی که خدا هست بخشاینده آمرزگار

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ

آیا ندیدی بسوی آنانکه داده شدند بهره از کتاب میخرند گمراهی را و میخواهند که شما گم کنید راه راست و خدا داناتر است بدشمنان شما

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

و بس است خدا دوست و بس است خدا یاور از آنانکه یهود شدند تحریف میکنند سخنان را از جایگاه آن و میگویند شنیدیم و نافرمانی کردیم

وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا

و بشنو نه شنوا باد و گویند گوش دار ما را تا بفهمیم و طعنه زدن در دین و اگر ایشان گفتندی شنیدیم و فرمان بردیم و بشنو و نگاه دار ما را

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

تا نگاه دارد ما را بهتر بود ایشان را و راست تر و لیکن لعنت کرد ایشان را خدا بکفر ایشان پس نگروند مگر اندکی ای آنانکه داده شدند

آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ

بگروید بآنچه فرستادیم تصدیق کننده آنچه با شماست پیش از آنکه محو کنیم روهای را پس برگردانیم آنها را بر پشتهای ایشان یا لعنت کنیم ایشان را چنانکه لعنت کردیم اصحاب سبت را

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

و بود فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نیامرزد که شرک آورده شود باو و بیامرزد آنچه فروتر است از آن مر هر که را خواهد و هر که

فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝

شرک آرد بخدا بدرستی که افترا کرد گناهی بزرگ آیا ندیدی بسوی آنانکه پاک میدارند نفسهای خود را بلکه خدا پاک میدارد هر که را خواهد و ستم نکنند مقدار رشته

انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ

نگاه کن چگونه افترا میکنند بر خدا دروغ و بس است بآن گناهی آشکارا آیا ندیدی بسوی آنانکه داده شدند بهره از کتاب

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ

میگروند بجبت و طاغوت و میگویند مر آنانکه کافر شدند این گروه راه یافته تر از آنانکه گرویده اند راه راست اینان آنانند که لعنت کرد ایشان را خدا

وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ

و هر که را لعنت کند خدا هرگز نیابی مر او را یاوری آیا مر ایشان را بهره ایست از پادشاهی پس آنگاه ندهند مردمان را مقدار خرمای هسته

عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ

یا حسد میبرند مردمان را بر آنچه داده است ایشان را خدا از فضل خود پس بتحقیق که دادیم بآل ابراهیم کتاب و حکمت و دادیم ایشان را پادشاهی بزرگ پس از ایشان کسی گروید

وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

بآن و از ایشان کسی باز ایستاد از آن و بس است دوزخ آتش افروخته بدرستی که آنانکه کافر شدند بآیتهای ما زود باشد که درآریم ایشان را در آتش هر گاه که بپزد پوستهای ایشان

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

بدل کنیم ایشان را پوستهای دیگر تا بچشند عذاب را بدرستی که خدا هست غالب و حکیم و آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته

هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص او كتاب او سنة وقيل كل جريمة توذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل الكبيرة مع الاصرار والصغيرة مع الاصرار والمداومة على نوع واحد من الصغائر والاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالاية على ان الوعيد لاهل الكبائر لا تدل على انه ان لم يعذب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب ان استثناء بعض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله بعد فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته واداء الامانة واجب امنه او لم يامنه سلمنا ان الاية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيأتيه انه يكون عاصيا فنقول الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قال المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله هو فضل واحسان وبفعل الاجتناب عن الكبائر لا يأتي بالطاعات لان ترك الواجب طاعة كبيرة وعندكم مخالفة من فتح الميم اذا دخل مكانا للدخول من فتحها اذا ادخال وصفه بالكرم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلافا لخالد الذين يجرون على وجوههم الى جهنم وهو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حتم عليهم تهذيب الاخلاق في الباطن ونقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولم يتم ذلك الا بالرضاء بالقضاء وبتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال المعتزلة النهي قول القائل ليته كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون وهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم قرأ بتلك الاستعاذات ما نفسانية نظرية كالذكاء والحدث وحصول المعارف والحقايق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والوجاهة الناشئة من القبول وكونه محبوبا للخالق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها ما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق بوجه يحصل الموجبات وتوفيق الاسباب فاي سبب يكون للسعي والجد مشكورا فيه والفوز بالبغية والظفر بالطلبة غير مشكور فيه وان كان كذلك فما الفائدة في الحسد بغير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور وعلى كل احد ان يرضى بما قسم له عالما بان ما قسم له هو خيره ولو كان خلافه لكان هو الاصلح كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من شغله ثنائي وصبره على بلائي وشكره نعمائي كتبته صديقا بعثته يوم القيمة مع الصديقين ومن مرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سواي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجته فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعاشي ومعادي وعن الحسن لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال ما سببه ثم قيل ومن جاهد قال ام سلمة يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون لنا نصف ما على الرجال في ذنوبنا فنزلت فلن نحن نرجو لان نضعف احد على طلب المعاش فنزلت وقيل انث واقدة النساء الى الرسول وقلن ترى الرجال غزوا ونحن لا نغزو ولنا على النصف من ميراث الرجال فنزلت الاية فقالت ان كنا لنرجو ان نكون رجالا فنغزو ونجاهد فقد سبقنا الرجال بالجهاد فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فقال ان للمحامل منكم اجر الصائم القائم واذا ضرب بها المطلوم بدا حد ما لها من لاجر واذا وضعت كان لها بكل مصة اجر احيا نفسا للرجال نصيب مما اكتسبوا من يغم للنبا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضوا بما قسم لهم وكذا للنساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وتخصيصه لا يضيع ما لك ينبغي ما لغيرك او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن والقيام بمصالح البيت واسئلوا الله من فضله فعنده من خزائن الانعام ما لا ينفده مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب والوفق للمطلوب قوله سبحانه وتعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ممكن بنفسه بحيث يكون لوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة يرثونه ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك ويبتدأ بقوله والذين عقدت ايمانكم على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي موروثا واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل لمحذوف والتقدير ولكل احد جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول الوالدان والاقربون لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمة في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصاله لانه مولاه في انعامه عليه وهذا كما ان اسم الطالب يعم الطالب للدين لان له اللزوم والمطالبة بتعجيز وبين المطلوب عنهما بكون الدين لازما ومنها الحليف كان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنها المولى الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد ههنا لانه ذكر بعقبه ما لا يليق بها كقولهم انا اولى بالمؤمنين من ثمات وترك ما لا فانه للمولى العصبة ومن ترك كلا فانا ولينا فقوله والذين عقدت ايمانكم فانه ان يكون مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه بما توسط الفاء بين الفعل ومفعوله مفسرا لبذا ناب لابتلاء منها واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع اليمين اليد والحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يقول لصاحبه دمي دمك وهدمي هدمك ترثني وارثك وحربي حربك وسلمي سلمك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله

واحدا ان الواحد منهم كان يجعل انسانا اجنبيا ابنا لهم لا دعيا وكان النبي يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمواخاة فنسخ وقيل معنى
من زعم انها غير منسوخة وقولوا الذين معطوف على ما قبله والمعنى ان قاربهم الذين عقدتم ايمانكم فلا ترثوهم واجعلوا لهم فلا تدعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في قولهم للموالي قال ابو علي الجبائي والمراد بالذين عاقدتم الزوج والزوجة بعد ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء المراد بايتائهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
وان حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا ميراث للمولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا العبد فجعل رسول الله ﷺ ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار للبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وعاقده على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وصرت بهذا الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا يصح عند
ابي حنيفة ايقاظ الايمان العرب والعجم لوحاوه عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة بكل
ما علموه ومنه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يستدل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون بقال هذا بتلك المرأة وقوامها بناء مبالغة للذي يقوم بامرها وهم يحفظها كالحاكم يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجل
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء فدل وهذه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالغلبة والاستظالة والقهر وذكر في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والقرءة والرمي منهم الا بنيا
والعلماء والحكماء ومنهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والتغلب وهي الامراء ومنهم الصلوة وامهم اهل الحجا والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود العظام
بالاتفاق وفي الاكتفاء عند الشافعي وزيادة انهم في الميراث والتعصيب وهو الحالة بحمل الذكر في الفضل الخطاء والعشيرة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة و
عدة الازواج والبهم الاستدلال بكل ذلك بدل على فضلهم وخاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب جار في ذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم مهورهن فقد قال ان سعد الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله ﷺ وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله ﷺ لتقتص منه وكانت فنزلت اية القصاص فاصرفهما وقال النبي ﷺ ارجعوا هذا جبريل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي ﷺ اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فيما قال العلماء لان القصاص بين الرجال والنساء فيما دون النفس ولو سلمنا
ولكن يجب العفو قبل القصاص لان في الجرح القتل اما في اللطم ونحوها فلا ثم منهم من نقص الصداق منهن بانهن قاصرات عقلا ودينا
حافظات للغيب بما يجب ان يحفظ للزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة وموجب حفظ غيبة الزوج ان يحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسببها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان يحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا يليق شرعا وعرفا عن النبي ﷺ خير النساء امرأة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ولا يخفى ما في قوله بما حفظ الله موصولا وائدا والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى لهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فالمحفوظ لا يليق بهن حفظ الغيب الا
بتوفيق الله اياهن حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنبعة لهم ومصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها مأمورة
ومأمونة بتكليف الله وبحمله في حفظ اوامره والا لما اطاعت فيجازى ذكر غير الصالحات منهن فقال اللاتي تخافون نشوزهن بالقرائن والامارات نشوز هن عصيانهن
والترفع عليكم بالخلق من نشز البئر ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة وعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لك علي حقا وارجو عما ان علي لك حقا او تطيع
عليك فوضع نحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف قيل هو ان يولي ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي يهجرهن التي
يبتن فيها اي لا يباشرهن وهن في بيوتهن في بعض الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجرة الكلام على ثلث فانه في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال نشوزها فيباح الضرب وقال قوله واضربوهن والاولى ان يترك الضرب
لما روي انه قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله ﷺ فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن وتخلقن في غير حقهن فطاف بال رسول الله نساء كثير
تشكون ازواجهن فقال رسول الله ﷺ لقد طاف بال محمد نساء كثير تشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيارهم لم يضربوا
واذا ضربها وجب لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي به موضع واحد يتقي بالوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد منهم من كره الضرب بالسياط وكره بالعصى وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب لهذا قال علي ارفق بالعظم
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت فهجر فضربا فان ابت ضربها فان لم ينفع بالضرب بعث الحكمين وقال اعتزلوا هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقد رعى النبي ﷺ على صعوبة حبشيا وهاجر اهل مكة فاذا بعثوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ وجعلوا
مما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا لا بالجنة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وارفقوا بهن روي انا مسعود
الانصاري فرسوطه ليضرب غلاما له فسمعه رسول الله ﷺ فصاح به يا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط وقال الغلام وجه لوجه الله وكبر اسلفا

تعضوه

سورة النساء

تعصونه فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو وادع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكيف لا تكلفون من هو منكم فلعلهن بعد ذلك على فلان او انه مع علو شانه وكبريائه يكلف من يعبده بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم اجدر بان لا تفتشوا عما في قلوبنا من الحب والبغض اذا صلح حالها في الظاهر او الهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر بالنسبة اليهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا الحاكم فقال وان خفتم قال ابن عباس اي علمتم وذلك لان ما على الناشز حينئذ من اثار الوعظ والهجران والضرب اعتبر في جانبها الرجاء بانه اذا علم الشقاق وقطعا فلا حاجة الى الحكمين وأجيب بان الشقاق معلوم لانا لا نعلم ان سبب الشقاق منه او منها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى وقول المراد اذا الشقاق في الاستقبال ومن شقاق بينهما شقاقا فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على حذف البين مسندا فاسند اليه ضمير الزوجين بدل عليهما تقدم الكلام او ذكر الرجال والنساء بعثوا حكما من اهله وجلا مفعولا وضمن بعث معنى يصلح لحكومة الاصلاح بينهما وهديت الى المضمر من البعث ولا بد فيه من العقل والبلوغ والجبر والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب يعرفون بواطن احوالهما ويسكن اليهما نفوس الزوجين فيبين ان لهما في ضمائرهما من الحب والبغض واداة العصمة والفرقة وموجبا كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فتعرفا ما تخفيه وظاهره رغبتهما واذا اجتمعا لم يتفاحدهما على الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فلهذا سماهما قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان لا يصنع حق الزوج والمال الى الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم وقيل الصحيح الامة لانه يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين لما روي ان عليا بعث حكمين من تحكيم فقال لهما انكما ان رايتما ان تجمعا او ان رايتما ان تفرقا فقالت نعم ما عليكما ان رايتما ان تجمعا او ان رايتما ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع والمرأة الاخر ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بغيتهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم ينفذا عليهما شيئا اديا لفاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه وبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وقيل الاول للزوجين والثاني للحكمين حتى ينفذا على ما هو خير في الحال ان يريدا الزوجان اصلاحا يبد الله الزوجين بالشقاق وقال الثالث ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوج اخيرا يوفق الله بين الحكمين حتى ينفقا على ما هو خير في الحال وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما فيه وقيل ان يرد الزوجان بالشقاق وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوج اخيرا يوفق الله بين الحكمين حتى ينفقا على كلمة واحدة وفصل العرض والتوفيق جعل الاستئناف موافقا للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه وعد لا يهم شيئا من الاغراض الا يوفق الله بينهم وقيل ان الله كان عليما خبيرا يعلم ما بين المختلفين وبين المعترضين بما يقتضي علمه وازاحته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف طريق الحق ووعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله واشرك به شيئا اخف فقد حبط عمله وصل سعيه بالوالدين احسانا تفعلوه واحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى والبتامى قد مضى تفسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان خاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره عنك لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه الاولين الجوار اربعون دارا وعن الزهري انه اراد اربعين من كل جانب وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب الجار الجنب الاجنبي والصاحب بالجنب الرفيق في السفر وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها بكونها معك وبضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي بن ابيطالب انه كان اخر كلام رسول الله وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مسحت يدي بالحائط فوق ظافهم ولا يوذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم وكل ذلك في الحاهلية يسيئون الى المملوك بتكليفهم الاباء الشاق وهو الكسب بغير تجمل وينصح على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل ما يوذي نفسه فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب كان مختالا اخوذا بنفسه جموحا بتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ثم ذكر ما لبخل من الصفات الذميمة فقال الذين يبخلون بما عندهم من المال ويحثون غيرهم على البخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله من العلم والمال وقيل هم اليهود كانوا يقولون لمن عندهم من الانصار لا تنفقوا اموالكم على محمد فانا نخشى عليكم الفقر ولا تنفقوا منها فيستغني عنكم ويكتمون صفة محمد في كتبهم وقيل هم المنافقون كانوا يبخلون بالنفقة في سبيل الله ويثبطون غيرهم عنها واعتدنا هيانا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافرو النعم لان الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا يأتون

الجزء الخامس

رجا الامن لانصابها لطونهم ونبتعثون لهم بقولون لانتفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر والانذرون ما يكون وبالها نهم كمنوا سفه مجدتم بذلوها للناس ثم ذامهم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رياء فخارا ولبقاء ما اسماهم وما اجودهم الا انتفاء وجه الله ومثل هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الاخر ولا انفق في الله او للاخرة ومن يكن الشيطان كرينا في الدنيا امرا بالبخل والفحشاء فساء قرينا في الاخرة بعذب به في النار ثم استهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم لو آمنوا وما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك كما يقال للمنعم ما ضرك لو عوقبت والمعاقب ما كان يروك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب ودرج عن رؤاي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الايمان بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان لاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي والتقليد لو كانوا غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرزة ماذا عليها لو كان رجلا وللفيل ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال إن الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن عباس انها رأس النملة في الارض تدفعها ثم تفتحها ثم قال لكل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما قدر مثقال ذرة وفي الظلم رأسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذا الاية مما يتمسك به المعتزلة في انه يقع عرضا في لاعمال العباد والا كان ظلم منسوبا اليه فيجب ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا كان مضرفا في ملكه كيف شاء فكيف يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب بهذه على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شر فطرة من الخير لو كان يزيل لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي علم وعمد الغساق بان عقاب شر يجوعة من الخير لو كان ذميما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم ثم قال وإن تك حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو وبالتقاء الساكنين لاجل التخفيف وكثرة الاستعمال من قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن قرأ بالنصب فلنا بليث في خبر المنفي لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال يؤتي يوم القيامة بالعبد يوم القيامة وينادي مناد على رؤس الاولين والاخرين هذا فلان ابن فلان من كان له على حق فليات الى حقه ثم يقال للمعطشوه وحقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعمال الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضله ورحمته ومصداق ذلك في كتاب الله وإن تك حسنة يضاعفها قال الحسن لو عاينا المضاعفة احببنا عند العلماء ما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان هذا يكون مقدارا ومعلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كمها الا الله تعالى وعن ابن ان رسول الله ﷺ قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما فالمراد من لدنه ليس عندنا الا ان لدنا اكثر تمكنا يقول للرجل عندك مال ان كان المال بلدا لاخر لا يقول له ذلك المال الا اذا كان بحضرته والمغايرة حاصلة المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجور ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى السعادات الروحانية والله اعلم الثاني وبالجملة الكفار مندرجة تحت ثلث احديها اتباع الهوى وبئسما منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وخطوط النفس بترك الطاعات وتلبيها حب الدنيا وينشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثتها دعوة غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان الدين ليس بالتمني فقال لا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال الحجة بكذا في الله بنصيب مما جدوا في طلبه للناس وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب على قدر همتهم في الطلب سئلوا الله من فضله منه معنيان سلوه من فضل الخاص وهو العلم اللدني وعلماء ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما او سلوه منه ولا تسئلوا منه غيره وكيل جعلنا موالي لكل طائفة مما ترك الوالدان والاقربون فما ترك الوالدان والاقربون ايها الورثة وايرثوه طلبه لعدم الاستعداد والمشيئة والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الذي قدرلهم او جازاتموهم على النساء مصالح دينهم ودنياهم بفضل الله وهو استعداد الخلافة والولاية وبما انفقوا من اموالهم اي بجزيهم عن الدنيا ونفريدهم للمولى فالصالحات التي يصلح بها الكمال فالنساء مطيعات لله لهن قلوب حافظات لوداد الغيب بما حفظ الله عليهن حفاظ الغيب باسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤوس الوداد كما قيل شعر

فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المرور

فعظوهن بالسان وخوفوهن بالهجران لنادر السكران واضربوهن بسوط الانقطاع فرقي الاخوان كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا فانون ربانيا بالكمال اذا راوا من اهل الارادة اذا دارت المدارة عربدة من غلبات الاحوال وان خفتم شقاقا بين الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا منوسطين من المشايخ الكاملين من المسالكين المحبين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما بما يراه اصلاحا بينهما بوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى تخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين عرفا احسانا بلا شائبة ورياء وقد فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يوم مند وجدلا والله ولي التوفيق

پس چگونه است حال چون بياوريم از هر طائفه گواهي وبياوريم تو را بر اينگروه

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين

دوست دارند آنان كه كافر شدند كردند بپيغمبر كه درست كرده شدندي باايشان زمين ونپنهان ندارند از خدا سخني را اي زمرة ايمان آورده

امنوا

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْتُمْ سُكٰرٰى حَتّٰى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا اِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتّٰى تَغْتَسِلُوا
گرویده اید نزدیک مشوید نماز را وحال آنکه شما مستانید تا بدانید آنچه را که میگویید ونه در جنابت مگر گذرکنندگان راه تا وقتی که غسل کنید

وَاِنْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَوْ عَلٰى سَفَرٍ اَوْ جَآءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَآئِطِ اَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا
واگر بوده باشید ناخوشان یا در سفر یا بیاید یکی از شما از قضاء حاجة یا که مباشرة کنید زنان را پس نیابید آبی را پس تیمم

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَاَيْدِيكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا
خاک را پاکیزه پس مسح کنید روهای خودتان ودستهای خود را بدرستی که خدا میشد درگذرنده آمرزنده آیا ندیدی تو بسوی آنانی را که داده شده بهره را

مِنَ الْكِتٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلٰلَةَ وَيُرِيدُونَ اَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَآئِكُمْ وَكَفٰى بِاللّٰهِ
از کتاب که میخرند ضلالت را ومیخواهند که گمراه کنید راه را وخدا داناتر است بدشمنان شما وبس است خدا دوستی

وَلِيًّا وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ
ویاری از آنان که یهود شدند کسانند که تغییر دهند کلمات را از جای خود ومیگویند که شنیدیم فرمانرا وسر پیچیدیم وبشنو نه شنوده

وَرَاعِنَا لَيًّا بِاَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ وَلَوْ اَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ
ومراعنا بپیچ برای پیچیدن زبانهای ایشان وطعن در دین واگر چنانچه ایشان گفتندی شنیدیم واطاعت کردیم وبشنو ونظر نمای ما را تا بهتر میشد

خَيْرًا لَهُمْ وَاَقْوَمَ وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ اِلَّا قَلِيلًا يٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ
بهتر از برای ایشان ودرستتر ولکن دور کرد ایشان را خدا بکفرشان پس نمیگروند مگر کمی ای زمرهٔ آنهائی که داده شده اید کتاب را

اٰمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلٰٓى اَدْبَارِهَآ اَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ
بگروید بآنچه فرو فرستادیم تصدیق کننده مر آنرا که با شماست پیش از آنکه محو کنیم رویها را پس برگردانیم آنها را بر پشتها یا که دور کنیم آنها را از رحمت خود چنانچه دور کردیم

اَصْحٰبَ السَّبْتِ وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ
اصحاب سبت را ومیشد فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نمیآمرزد که انباز قرار دهند مر او را ومیآمرزد آنچه را که غیر از این است از برای کسی که خواهد

وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَرٰٓى اِثْمًا عَظِيمًا اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ اَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّى مَنْ يَّشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
وهر که شرک آورد وبسخدا پس بتحقیق که ذرا کرده گناهی بزرگ را آیا ندیدی تو بآنهائی که پاک میشمارند نفسهای خود را بلکه خدا پاک کند هر که را خواهد وستم کرده نشوند

فَتِيلًا اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَكَفٰى بِهٖٓ اِثْمًا مُّبِينًا اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتٰبِ
بمقدار رشتهٔ خرما نگاه کن چگونه میبندند بر خدا دروغرا وبس است باو گناهی هویدا آیا ندیدی آنهارا که داده شده بهره از کتاب را

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰٓؤُلَآءِ اَهْدٰى مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا سَبِيلًا اُولٰٓئِكَ
گرویده میشوند بجبت وطاغوت ومیگویند مر آنهارا که کافر شدند که اینان راست تر از آنان در راه کردیدند راه یافته

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَمَنْ يَّلْعَنِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهٗ نَصِيرًا اَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَاِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا
آنانند که لعنت کرد ایشان را خدا واز آنکه لعنت کند خدا پس هرگز نیابی از برای او یاوری یا مر آنهارا بهره از پادشاهی پس در آنوقت ندهند بمردمان بقدار

اَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلٰى مَآ اٰتٰىهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ فَقَدْ اٰتَيْنَآ اٰلَ اِبْرٰهِيمَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَاٰتَيْنٰهُمْ مُّلْكًا
یا حسد برند بمردمان بر آنچه که داده است آنانرا خدا از فضل خود پس بتحقیق که دادیم آل ابراهیم را کتاب را ودانش را ودادیم آنهارا پادشاهی

عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ بِهٖ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفٰى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ
بزرگ را پس از ایشان کسی است که گرویده باو از آنان کسی است که باز ایستاده از آن ودر بس است بجهنم آتش فروخته بدرستی آنهائی که کافر شدند بآیات ما زود باشد که درآوریم ایشان

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا
در آتشی که هرچند بسوزد پوستهاشان بدل کنیم پوستهای دیگر غیر از آن تا بچشند عذاب را بدرستی خدا میباشد غالب باحکمت وآنانرا که گرویدند

وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَآ اَبَدًا لَهُمْ فِيهَآ اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وکردند شایسته زود باشد که داخل کنیم آنهارا در بهشتها که روان است از زیر آنها جویها جاویدان در آن همیشه مر آنهارا در آنجا زنانی پاکیزه

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝ القراءة نشوى بادغام تاء التفعل في الثلثين ابو جعفر ونافع وابن عامر نشوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلى

ودرآوریمشان در سایه گسترده وقف النافون نشوى مبتدأ للمفعول من النشوة لستم من اللمس وكذلك في الباقي حمزة وعلى وخلف المفضل الباقون

لستم من الملامسة فيقفون بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز

الضم كراهة الانتقال من الكسرة الى الضمة بخلاف منا بارنظروا وبرجاد خلوا وجيئة اجئت وعذاب اركض واشباهه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة

وعلى خلافه هشام وابو عمر والوقوف شهادة لا ارضخ حدها نغسلوا وايديكم عفوا السبيل ما بعدانكم مضيرا في الدين اوم لا فصال لكن قليلا السبب مفعوله لمزيتا عظيما يكون نفسهم قليلا الكذب طيبا سبيلا وبع الجر لغيم الله بصيرا لان ام يعني همزة الاستفهام للانكار وتقرير للعطف مر فضله لشا هي الاستفهام مع صعب لقاء عظيما صدعنه سعيرا نارا العذاب حكيما ابدا مطهرة لا استبشانا فاعل على انه من تمام المفعول ظليلا النفسهم سبحانه لنا او عدا الظالمين بعوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعدا المطيعين بقوله وان تك حسنة نضاعفها اذا دان بيان ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون لا لزام ثم والتبكيت اعظم دوى الزنج قال ابن مسعود اول القرآن على قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن مسعود فقمت سوى النساء فلما انتهيت الى هذه الآية قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انما بكاء فرح لما شرفه الله تعالى بكرامة قبول الشهادة على الخلايق والمعنى كيف صنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كابي لهب وغيره اذا جينا من كل امة بنبي يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف الله بقوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد قيل عصوا والظاهر ان الواو للعطف وح تقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جايز فاما ان يحمل الكفر بنوع منه وهو الكفر بالله او بقال الله عام وافرد ذكر منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشان المجرور او يحمل عصيان الرسول على العاصي المغايرة للكفر فيكون في الآية دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع ومعنى لو تسوى لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا والارض سواء او يصيرون ترابا يودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا والحال انهم لم يكتموا ولا يودون الفتهم ان الله تعظيم لاهل الاسلام دون اهل الشرك فانهم قالوا تعالوا فلنجحد ونقولون والله ربنا ما كنا مشركين وجدان يغفر الله لهم فختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكتمون منا يودون انهم كانوا تولوا يوم بدر ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قدروا ونحن نشهد ثم اتبع وصف يوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المجبات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله في اول البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن ايه يذهب اليه شافعي وابو حنيفة لا احذف المضاف اي لا تقربوا موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الآية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالة السكر وذلك ان جماعة من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فمنعوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه وكان الماء فيه ولوضع الاحتلام فيه المغتسل على القول الثاني المنهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما يقولون ومعنى قربان الصلوة فعلها او القيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به هذا القول المسافر اي لا تقربوا الصلوة في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون لا تقربوها جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافر لما يجيء من تفصيل منها وهو انه اذا جنب ثم لم يجد الماء فانه يتمم ويصلي مع الجنابة ويريد عليه بعد ان الجنب المقيم اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة للتيمم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر او لان سكارى جمع سكران وقوله وانتم سكارى فعل النصب على الحال لهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجتناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا انما هو سكر النوم وبواقيه الاشتغال فان النوم عادة ومن ابتدا الطريق ومنه سكر الليل سد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو عند النوم بمثل مجاري الروح ان الجزء الغالبة فيفسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله تعالى وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى جمع المضروبين على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول يمنع ان لا يكون مرادا من الآية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الآية بانها انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر يوهم جواز هذا السكر لكنه تقرر حرم الخمر في آية المايدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الآية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب الخمل انفهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا بكذا بان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلما يقولون الى ان نزلت آية المايدة فقالوا انتهينا يا رب ويحتمل ان النهي عن مباشر الاصل في وقت ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا اباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك فهم الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث مخصوصا اولا من بين هم مرضاهم وسفرهم لانهم المتعودون في استعمال الماء في الوضوء لكثرة المرض والسفر غلبتهم على سايرا لاسباب الموجبة للرخصة والمعنى ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك نبههم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء

لبس بدا في حكم المريض لانهم فرخصة وان وجدوا ماء ثم عم كل من وجب عليه الظهر واعوزه الماء لخوف سبع وعدو او عدم الزاد استفاء او الحصاني مكان لا ماء فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذور اكبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب حاذق لوجوده الا ان يتأذى ولا يخاف دوى ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسئل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فضمع النبي ﷺ فقال قتلوه قتلهم الله وذا دوه بحوله لهم يجمع انواع المرض الذي يخاف الموت او الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسيره قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر بعد الطويل والقصير عن مسافة القصر وما دونها الاطلاق قوله او على سفر قرأ الجمهور الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه غيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يتباعد فيه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحدوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر اما اللمس والملامسة فتقدم قول ان اصلهما ان المراد به الجماع البشرة بالبشرة بجماع او بغيره كناية وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي والبه هب الشافعي وتابعه المالكية بل الجماع وهو قول ابن عباس والحسن مجاهد قتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فجعل ذلك دون الخلوة وقد ثبت ان ابن عباس والحسن يكرهان بعد ان يكني بعبر عن الجماع بالملامسة وايضا لتشمل الآية الحدث الاصغر والاكبر فهو على مذهب الشافعي قال بعض اهل اللغة امنا بينهما فرق دون اللمس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه بينهما فرق وضوهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب لقول ولم تجدوا ولم يجد ذكره تعالى واجيب بانه تبنى الكلام على المجاز لما ان الغرض كانه طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم وهو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة انه يستعمله ويصير ثم يتيمم ليكون عاملا بقطع الآية والتيمم في اللغة القصد الصعيد التراب يفعل بفتح فاعل وقال الشافعي الزجاج انه وجه الارض ترابا كان او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان غبار الارض على ثوب المتيمم يدا عليه صح ذلك كانها وقال الشافعي لا بد من تراب يتحقق مفهوم الصاعد فيه وليمسح بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسه من الدهن لا معنى لتبعيض ولان التعبد وصف بالطيب فهو مسح الوجه والبلد الذي يحمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه خصص التراب بالصفة فقال جعلت الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه والبدين على ما بن عباس اختصاص المسح بالجهة وظاهر الكتاب وقريب منه مذهب مالك ان المسح يكتفي فيه بادنى ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الابطين الا ان اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير كان من كان عادته العفو عن المذنبين كان اولى بالترخيص للعاجزين عن غالبة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله ﷺ على التماسه واقام الناس معه ليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله ﷺ واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله والناس معه وليسوا على ماء وليست معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله ﷺ على فخذي فنام رسول الله ﷺ حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير ما هو باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عاد الى ذكر طرف من اثار المنافقين من اليهود لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد ﷺ فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب انهم عرفوا الامر بجميعا يشترون الضلالة يختارونها على الهدى ما اشتروا شيئا فضلا ثم واختاره قالوا لو لم يختاروا والمراد تكذيبهم الرسول ﷺ لاعراضهم الفاسد مما عندهم شوقا حب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه والاصح ان جمع بين هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في خمسة من احبار اليهود كانوا يأتون رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيتحاكمون عن الاسلام وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم ليضيروا اليهودية فكانهم اشتروا بها لهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه لا يخفى ما في صدورهم من الحقد والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تشتغلوا بهم في امركم واحذروهم وكفى بالله وليا مولينا لامور العبد وكفى بالله نصيرا فتقوا به لا بغيره ونصرته دونهم وكونه كافيا لنبيه شاهدا بها في القلب واكثر ما جاء الغرور في القرآن بالباء فاما ان الكفاية من الله لمن استكفاه الكفاية من غيره فكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل قالت الباء وهي لا تقتضي ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله مع تعيين واسطة وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى اخر الآية معترضة بين البيان والمبين لاعدائكم والجملة اما بينهما معترضة ان اما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا اما كلام مستانف على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حرف واقل ما يجوز ان يكون كل كلمة يجوز ذكرها ومعنى هذا التحريف استبدال لفظة مكان لفظ لوضعهم ادم طوالا مكان اسمر بعيد وجعلهم الحد بدل الرجم واخبرهم عن الدلالة على الاباحة والاذن وما في المائدة فقبل امر بعد النهي

نظر الا ان الكلم كانت له مواضع هو فيها بان يكون بحيث اخر فوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له وقيل المراد بالتحريف افناء النسخ الباطلة والتاويلات الفاسدة كما يفعله فى زماننا اهل البدعة وجعل بعض العلماء هذا القول صحيحا لا سبيعا لتحريف المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر غير مسموعة وقيل كانوا يدخلون على النبى فيسئلونه عن امر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهلهم انهم كان اذا امرهم بشئ قالوا فى الظاهر سمعنا وفى الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد والمرود والكفر والجحود ومنها قولهم للنبى اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين اما احتمال المدح فلقولك العرب اسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا ونصحا واما احتمال الذم فبان يكون معنا اسمع منا مدعوا علينا بان لا سمعت لان من كان صمانه لا يسمع فلا يسمع اوبان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اى غير مسمع جوابا بوفق فعلا وبان يراد اسمع غير مسمع كلاما ترتضيه على هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبوه سمعك عنه ومنها قولهم لدرعنا وقد رعنا حتى لا ننظر فى البقرة وانما جاؤا بهذا القول المحتمل ذى الوجهين بعد بهتهم بالعصيان على وجه كان المواجهة بالعصيان هو خطابا فى العرف من المواجهة بالسب وعاد السؤ لهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاوزاعة والثانى كتابا بالسنتهم مفعولا لاجله او مصدرا لمحذوف او بقولون لا نه فى معنى الذى بهتهم وصبنه واو بدل لو يث فغايث وادغمت والمعنى يقولون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يصفونه عنا موضع النظر ونا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يقولون بالسنتهم ما تضمره من الشتم الى ما يظهره من التوقير نفاقا او لعلمهم كانوا يقولون شاقهم والسنتهم عند ذكرهم هذا الكلام سخرية وطعنا على عادة المستهزئين بخبث الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا فى الدين وتنبه بذلك على ما كانوا يقولونه فيما بينهم انا نشتمه ولا يعرف ولو كان بنبا لعرف باظهار ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا فى الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار على الغيب معجزة ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا لقولهم سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الاثابة وتبلهم البيان كما ان بعد ان يقال لمعرض غير مسمع وانظرنا مكان راعنا الكاذب قولهم ذلك خيرا لهم واقوم اعدل واشد من قولهم وضح موجبه اى مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اى بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله دون التوحيد وبعض الانبياء دون سائرهم او الا قليلا منهم امنوا لان فعيلا قد يراد به الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد به الغلبة العدم توجههم عن كفر الجحود والطعن بقولهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب لا بد من الطمس المحو فقال الطبرسى طمست الكتاب محوته وهو الا بد حقيقة او مجازا فولان والطمس على الاول محو تخطيط سوادها واشكالها من عين حاجب انفه ثم والقفاء فى غيرها على ادبارها اما للتشبيه فيجعل الوجوه بسبب هذا الطمس على هيئة اقفاءها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس التى تحاط فاذا زالت ومحيت لم يبق فرق بينها وبين القفا واما للتعقيب على ان العقوبة شيئان احدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف الاقفاء الى قدام وانما يكون هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال فى حق اهل النار واما من اوتى كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى القفا فيدل ذلك الكتابة وتقرأ من هنا ان ما المعنى على القول الثانى عن الحسن يطمسها بالهدى ويردها بالخذلان على ادبارها اى على ضلالا نها وشبهها لها وذلك ان الموجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذلك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن زيد نردهم الى حيث جاؤا منه وهى اذ نعاس الشام برد اجلاء بنى قريظة والنظير الطمس على هذا اماته بقبيح الوجوه واما ازالة اثارهم عن ديارهم قيل الطمس القلب والتغيير المراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اموالهم وروحانيتهم ونكسوهم صغار هم وادبارهم والضمير فى قوله ونلعنهم اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء او الاصحاب لان الوجوه لا تلعن من قبل ان نطمس وجوها ثم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل فان وقوع الوعيد فى الجواب انما يشترط بعدم ايمان جميعهم ولكن قد امن ناس من هؤلاء انهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكى انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن سلام رسول الله قبل ان يأتى اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهى فى قفاى وايقنت انه قد حل الوعيد هو الطمس بعينه بل اباه او اللعن فان كان الطمس بتبديل احوالهم ونسائهم او اجلائهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو مشترك بين هذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير الخاطبين من ابناء جنسهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيمة وقيل ان قوله امنوا تكليف موجه عليهم جميعا ثم حتوفهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها رافعا فى الاخرة فالتقدير امنوا من قبل ان يجىء الوقت الذى نطمس فيه وجوهكم وهو وقت بعد الموت وكان امر الله مفعولا لا تنكروا الحكم ولا تبعدوا عليه شيئا بل ان يفعله وهذا كما يقال فى الشئ انه لا بد كائن فحقق هذا الامر مفعول ان لم يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد بالامر الشان والفعل الذى تعلق ارادته به لا الامر الذى هو احد اقسام الكلام فلا يصح استدلال المجبرة بالاية على ان كلامه تعالى مفعول اى مخلوق ثم بين ان مثل هذا التهديد بدل من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به لا بد ولا ترجى ان الهود ليسوا مشركا فى عرف الشرع لا فضالهم بقصدهم ولا عتقادهم على ان فاعل الشرك مغفور له الهود غير مغفور له بالاجماع ومن هنا قال الشافعى المسلم لا يقتل بالذمى لان الذمى مشرك والمشرك مباح الدم هو الله لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهى عن قتله ترك العمل بهذا الدليل فى النهى ينبغى معه ويبرد سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الاشاعرة الا على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثانى فى من تاب كما ان الاول مخصص بالاجماع على من لم يتب ولو اوقفه قولهم ان الامر لا يبدل الدنيا ويبدل الغطاء ولن يشاء والحق لا يبدل الدنيا ولن لا يشاء اهلها ويبدل الغطاء ولن يشاء اهلها والمشية يكون مصداق

الفعلين

النساء

الغفلين المنفي والمثبت جميعا لانه ان شاء لم يتب المشرك فلا يغفر به على الغفران وان شاء تاب صاحب الكبيرة فيتوجب الغفران وقد قالوا الواحدة في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله اذا قام احدنا عن كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى ترك هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس بمحضر عمران لا رجوكما لا ينفع مع الشرك عمل كما لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد عدوه الاعظم ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه ثم كتبوا الى النبي ﷺ فدعاهم الى الدخول في الاسلام الا وفيهم والذين لا يدعون مع الله الها آخر فقالوا لقد ارتكبنا كل ما في الاية فنزل فقالوا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقالوا لعلنا لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به فقالوا لعلنا نحن لا نشرك بالله فقد فرغنا خلنا ان لا نكون من اهل مشيئة فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وافعل مما عظما لا نراد عما لا يصح كون نزوله عن ابن عباس في واية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي ﷺ فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فانزل ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم وبل يغفر به كل من دنى نفسه وصفها بنكاء العمل او بقبول الطاعة والوقوف عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي الحق بعينها كما اخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى بالمرء اثما الحجر على بدوه تزكيته لمرو يصديقا لقوله وكانوا يطلمون فتيلا هو ما فتل بين اصبعيك من الوسخ وبفتيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والقمير للذين يزكون اي يعابون على تزكيتهم انفسهم حوجى انامهم او ابن لبنا اي يثابون على نكاهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي ﷺ عن فريتهم وادعاء ذكاء هم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب كفى بهذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم قال المفسرون خرج كعب الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فقال كعب على ابي سفيان والاخوين في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب لا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان ردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وامنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ابعثوا الي منكم ثلثين ومنا ثلثون فلصق اكبادنا بالكعبة فنعاهد عند البيت ليجتمعن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب تعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا وافرب الى الحق ايانا ام محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجعوا الى قومهم انه قد نزل فيهم ان محمدا نعم انه لنذير بنكاكذب كذا قال لا صدق والله ما حملنا على ذلك الا بغضه وحسده وقد روي عن الطاغوت في تفسيره انها الكهنة والجبت في الصحاح انه كلمة يقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حروف ذولقي وحكى الفقال عن بعضهم ان اصله جابس فابدلت السين تاء والجبس هو الجبان الرذل وقال الكلبي والجبت في الاية هو حيي بن الاخطب والطاغوت كعب الاشرف وكانت اليهود جعلوا لهما ضربا من الاسم يسمونهما في اعوأ الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله اولئك الذين لعنهم الله وبالحري ان يجعلوا من هو اضل من النعام واقل من الانعام حيث ضلوا بمعبوديه الاصنام اهدى سبيلا واقصد طريقا لانام اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ومعينا يلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار وعد النبوة والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم الى يوم القيامة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب يغرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد الذين هما شر الخصال لان البخل يمنع ما اولى بهم من النعم والحاسد يتمنى ان تزول عن غيره اما اولى من الفضيلة وام فيل انهما متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للكفرة انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امن ذلك بل يحسبون من قولهم لهم بنصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا بأقل القليل وفيل الميم زائدة والنقير الحفرة في ظهر النواة والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل لهم نصيب الملك يعني الا بانهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في اخر الزمان ويخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدمون على دفع بنوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدمون على النفي والاثبات قال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين واموال كانوا في غرف ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء بأقل القليل فنزل الاية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار عليهم لانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخيل والملك لا يجتمعان كما قيل البيت بسعيد المخرف لا تستعبدا لاحسا والبخيل بتقتر الطباع عن الانفاق فلا يتيسر لهما استيلاء المملكة وان اجتمعا بالندرة فسوف يضمحل وانما لم تدخل الفاء عليه وذلك ان ما بعد الفاء تابع لما قبلها وما قبلها مرتبط بسبب بط العاطف بعض الكلام ببعض فيخرج بتصدره كانه معتمد فتمنع الفاء وارتفاع العمل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا الاعمال ليس بموضع النقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها نبت الخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يفعلون انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك وبوادر الملك القليل كالملوك الدنيا والباطن كالعلماء الربانيين او كلاهما كالانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضرب عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

قال الفراء فوهما اسم الصنمين وقيل اسم شيطانين وقيل اسم الشيطان وقيل اسم الصنم وقيل اسم الكاهن

منها مانالك لعلا الشيخ لغلبة عليهم حتى لا ينشأ هذه منهم بدل نفيرها اخبر عنه علام الغيوب او اطلع نفيرا الاصم فلعل المراد لانهم لا يبذلون نفسا لنبي فما يملكونه كنفسه النفيرا او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان مجملها واما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهو منقطعة والمقدير بل أيحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النساس ومعنى الهمزة انكار الحسد واستقباحه المراد بالفضل اما العلم الله من اشرف المناصب هو النبوة والخاتمية وقد كان ينضم اليها كل يوم من النصر والعزة والاستيلاء والاستعلاء والفضل محسوس بكل وان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما هو اعظم شان محمد فقال فقد اتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب اي هو بيان الشرائع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بما ينفعهم صلاح الدارين واتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان فليس ببدع ان يؤتى انسانا ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا النساء النبي فقيل لهم كيف استكثروا تسع وكان لداود مائة لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من آل ابرهيم من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته وهم اليهود من امن برسول الله وصنهم من انكر بنوته ومن آل ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر والمختار ان اولئك الانبياء جرت عادة امهم منهم ان بعضهم امن بهم وبعضهم بغوا على كفرهم فتنة يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين كفروا بآياتنا وبدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه وملائكته والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا فيها او يلفوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروا فائدة العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولددا وهيهنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ايقانهم في النار ابتداء من غير ان يحرز جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالم اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لله عليهم بادخالهم النار وسؤال اخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب بجعل النضج غير نضج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ثم قول اهل اللغة بدل الشيء بغيره وان لم يأت بيدل ابدا لكن الشيء يغيره فالبدل بغير الصفة او الذات والا بدال بغير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا البدل هو تغيير الذات فلما قرر البدل بالابدال ولعلها حملها على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات فما ادري بدلها هنا في الابر مغايرة الذات لان الصفات اللهم الا ان يقال بعضه يقبل صحيح منكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد ليس جزءا من ماهيته وانما هو سبب لوصول العذاب اليه وقال المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا اخر اي كلما ظنوا انه احرقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا انهم الان يحترقوا ويجدوا وقال الكسائي يخرج من لحم الكافر جلدا خر وهذا التاويل بعد كان لحم مشاه فعند فناده لابد من طريان اخر فيبدل الجلد بعد ان كان اول السؤال وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه زال الظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليبدلوا العذاب لبادوم لهم ذوقوا ولا ينقطع كقولك للعزيز اعز الله اي ادامك على عزك وذلك بينا ولبدلوا هذه الجلود الجديدة العذاب المراد بالذوق ان احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء ما يريده بالجبر من حكما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين امنوا الاية قال الواحدي الظليل ليس بمبني على الفعل حتى يقال انه يجيء فاعل اوه فعول بل هو مبالغة في نعت الظل مثل ليل ليل وقد ذكرنا من لفظ كهولهم لبيل ليل فان قيل اذا لم يكن في الجنة شمس فمن اين تجيء فيها فاية وصفها بالظل وابقاء المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فمتى وصف هواء الجنة بذلك الجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى يوجد ضوء ان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فيئا اي منبسطا لا حر فيه اي لا فرج لا نقطاع الاعضاء ولا ما لا يحتمل الشمس سمسما لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا ناسب ان موعودا لهم انا دل لو تسوى بهم الارض اي يتمنون بان يكونوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كالبهائم او ان من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن الوصال فلا يقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان السكارى يفرح زائلة وكاجنبا بالا لتفات الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة وتشتد من الحالة الاولى الشعور ومن الثانية حالة العبور في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل فهذا القدر من الالتفات من المحظورات الى اما حمله الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في نشاة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في فضاء شهوة من الشهوات او لمستم عجوزا الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا فاقصدوا كوافي تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا اي يجيء ذاب علماء السوء قريب من باب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه بادلوها على حسب اديانهم يقولون سمعنا ما في القرآن بالمقال وعصينا بالفعال او بتركه على ارباب المقامات والاحوال يقولون نسمع غير مسمع وراعنا بما طبعوهم بكلام ذي وجهين كتابا لسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا العلم الكتاب ظاهرا وهم يوتوا علم باطن الكتاب ينوابما نزلنا على الاولنا من علم باطن القرآن مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم الظاهر لا يهتدون اهل العلم الظاهر ولكن اهل العلم الظاهر يصعب عليهم يصلوا علوم الانبياء علوم الاولنا لانه لا يناسب عقولهم وقبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ظاهرين الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى بؤسها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ المعنى اصعب من مسخ الصورة لان مسخ الدنيا هو ان من فضوح الاخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به للشرك ثلثة مراتب وكذا للغفرة فمن رد على الانبياء وهو للعلو في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد هو اظهارها والعبودية في انبائنا او توبيخ مصدق بالسرة العلانية وشرك خفي بالاد منها للهوى هو منوب بالعبودية بالالتفات الجهر اليه فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد المواحد متزلزل خفي للاخص هو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فنا التاسية

في فنا ما للاهوتية

فی بناء الامة هو منبه الم تر الی الذین یزکون انفسهم من اهل العلوم الظن تعلموا العلم لبناء هواه العلماء اولیاء وابناء السفها فحصل لهم صفات ومنها حزی ضل المنافقا
والمراءاة والکبر والعجب والحسد والریا وحب الجاه والریاسة وغلبة الاقران والاعداء بل الله یزکی من یشاء یسلم نفوسهم الی اذناب الله من کبر من العلماء الراسخین
والمشائخ المحققین کما یسلم الجلد الی الدباغ لیجعله دباغا فاذا سلموا انفسهم الیهم وصبروا علی قهرهم ذاقوا اثر الزکاء منهم ولن یضیع سعیهم یوصون بالجد بحث
النفس الامارة وظاهوت الهوی یقولون للذین کفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدی من الذین امنوا بکلما امر الله به ورسوله
ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد اتینا آل ابراهیم یعنی اهل الخلة والمحبة الکتاب والحکمة العلم الظاهر والعلم الباطن واتیناهم ملکا عظیما هو معرفة الله ثم
فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلین ومنهم مدبرین وکفی بجهنم نفسهم الحاسدة سعیرا تحرق حسناتهم فان الحسد یاکل الحسنات کما تاکل النار
الحطب ان الذین کفروا بایاتنا ما دلیناهم الذین هم مظاهر ایات الحق وحجج الله علی الخلق سوف نصلیهم نار الحسد الغضب الکبر العجب کلما نضجت جلودهم ای انقطع
بعض امانی نفوسهم الامارة ومقتضیاتها هو اهانها کلا یخفی حسن استعانة الجلود لآثار الشیء من حیث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غیرها لیذوقوا العذاب
فان دواعی الحرص والغضب والشهوة لا ینبغی ما دامت النفس علی صفة الامارة فلن تزال اسیرة بید الشهوات ذائقة لعذاب المتعلقات والذین امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم ای یجذبهم بجذبات العنایة الی الجنات الوصلة تجری من تحتها الانهار من فاء الحکمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الکشوف
کلما رزقنا من ثمرة من ثمرات صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخیال وندخلهم ظلا ظلیلا هو ظل سمس عالم الوجود یوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ

بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان ان وچون داوری کنید میان مردمان که داوری کنید بعدالت بدرستی که خدا

نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

خوبست آنچه که پند دهد شما را بان بدرستی که خدا هست شنونده بینا ای زمره آمانان که گرویده اید فرمان برید خدا را وبپروی کنید پیغمبر را

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

وصاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس باز گردید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز

الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

واپسین این بهتر است و نیکوتر عاقبت ایا ندیدی انهارا که گمان میکنند که انها ایمان اورده اند بانچه فرستاده شد بسوی تو و بانچه فرستاده شد

يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت وحال انکه مامور اند که کافر شوند بان ومیخواهد شیطان که گمراه کند انها را گمراهی دور

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ

وچون گفته شد انها را که روآرید بسوی انچه فرو فرستاد خدا وبسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه است

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا

وچون رسید بانها مصیبتی بجهة انچه پیش فرستاده دستهای انها پس آیند تورا سوگند خوران بخدا که اراده نکرده ایم بانچه کردیم نیکوئی وموافقت کردنرا

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا

انها انانند که میداند خدا انچه در دلهای انهاست پس روگردان از انها وپند ده انهارا وبگو مر انها را در نفسشان گفتاری رسا وفرستادیم

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ

هیچ پیغمبری مگر از برای انکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا واگر که انان چون ستم کردند نفسهای خودرا آمدندی پس طلب آمرزش کردندی خدا را وطلب آمرزش کردی برای

الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

پیغمبر هرآینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم پروردگارت که نگروند تا که حاکم سازند تورا در انچه منازعه دارند در میان خود پس

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا

در نفس خویشان تنگی از انچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی واگر چنانچه نوشته بودیم برانها اینکه بکشید نفسهای خودرا یا که بیرون روید

مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا

از خانهای خود نمیکردند انرا مگر کمی از انها واگر که بیان کردندی انچه را که پند داده شوند بان هرآینه بهتر است انهارا و سخت تر است مایوس

وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

وانگاه هرآینه دادیم انهارا از نزد خود مزدی بزرگ وهرآینه هدایت کردیم انهارا براهی راست وهرکه ببردی خدا را

وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وپیغمبر را پس انگروه با انهاست که انعام فرموده خدا بر انهان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا

وبسکو کاران وخوبند ایشان رفیقی چند ازجهة رفاقت بین زیادتی ست از خدا وبس ست بخدا دانای

القراءة انا فتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب بالنون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او آخر ما قبلها بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة بالنون بالضم الاقبلا بالنصب عامر على اصل الاستثناء ومعنى الاول فعلوا او ابوا الا قليلا بالنون بالرفع على البدل هو اكثر الوقوف الى هاهنا لان التقدير ما يركدان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل بعظكم به بضم الهاء ممكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب اليوم الآخر ويدان يكفروا به بعيدا صلة ضلالا بعيدا مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون فقبل على ان بعده ابتداء الضم الاول يحلفون بالنون يحلفون ونوفقا بليغا ما بين الله شيئا فليلا منهم يقبضنا عظما لان ما بعده من تمة جواب لو وسبيلهما والصالحين لانقطاع النظم مع انتفاء المعنى رفيقا ما من الله عليما النصب لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر امانكالهم فيما حكى عن اهل الكتاب ايتهم كتموا الحق قالوا لليذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا من هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب او الديانات ومن باب الدنيا والمعاملات وايتهم قد وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ان عثمن بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلعم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلعم المفتاح فبخل انه مع عثمان فطلب منه قهرا فابى فقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي عليه يده واخذ منه المفتاح ففتح الباب فدخل رسول الله صلعم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سئله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي ان يدفعه الى العباس ثم قال ايا عثمن خذ المفتاح على ان لك العباس معك يصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلعم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمن ايا علي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك فقرا عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبرئيل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خلفها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ان عثمن هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في يديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصيتها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فالصلاة امانة مع الوقت وفي كلها امر ونهي عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلاة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال لهذا امانة جعلتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب كذا الصوم وسائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق يدخل فيه رد الودايع ترك التطفيف وستر عيوب الناس وافشاء اسرارهم وبالجملة عدل الانسان مع الخلق والعلماء مع العوام بان يرشدهم الى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويمنعهم عن الضلالات والباطل والاخلاق غير الفاضلة وتشتمل امانة الزوجة لزوجها قالوه في قضاء امانة الزوج لزوجته ايفاء حقوقها وحفظ ظواهرها وامانة السيد لمملوكه بالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب يدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يحملها ما لا طاقة لها به والامانة هو انفع واصلح في الدين وفي الدنيا وكل ما هو فيها بسبب اللذات الفانية في البقعات الدائمة وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب ان يخبر انه عليكم امر يا سبحانه وحقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال وان حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم يضيح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والفتيا وقد عد العلماء من شرط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة وتكافا واهلية الاجتهاد وبان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منها العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف القياس ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه صحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما يدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مداركها ضابطها وكفى بما في هذا المنصب الخطير انه منصب رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان ينبا وبابائهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عرف النبي صلعم انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجاير وعنه صلعم ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجتمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاقهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله يعظكم به بخصوصه بالمدح محذوف ما موصولة او نكرة موصوفة والتقدير نعم الشيء يعظكم به وذلك المامور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اعث الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك حق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر طاعة ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المامور به كالايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعندنا الاشاعرة الامر قد يجرد عن الارادة للدلائل يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا يامر الا بما يريده الحلاوي بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة

على اكثر علماء اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة والقياس لانها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول لان الكتاب والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشباههما الاجماع بقوله واولى الامر لانه نفى امرهما عنهم على سبيل الجزم ويجب ان يكون معصوما لانه احتمل اقدامه على الخطا والخطا منهى عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهى في الفعل الواحد انه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون او على ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون وعلى ما روى عن سعيد بن جبير وابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الاية او على ما روى عن ابن عباس والحسن مجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفسرون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني اما ما زعمه الشيعة فلانا نعلم بالضرورة انا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفتاء منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صار ظاهرا بين بره وعدله بعض ما هذا الايجاب مشروطا وظاهر الاية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون للفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد لفظ اولى الامر يجمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول على هذا ينبغي ان يقال فردوه الى الامام واما سائر الامة فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب ذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع انما يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر بالتحاجج تقدم بخلاف حكم المنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الاية يقتضي الاطلاق واذا بلغت ان حمل الاية على هذه الوجوه غير مناسب يجب ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد اصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله اولي الامر اجتمعت الامة عليهم هو المدعى واما القياس على ذلك قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد من رده الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والا كان تكرارا لما تقدم ولا نفوض علم الله ورسوله الى السكوت عنه لان الواقعة بما كانت لا يحتمل الاهمال بل تفتقر الى قطع فارة الشغب والخصومة فيها بنفي او اثبات ولا الاحالة على الاجتهاد على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذا المراد رد هذه الاحكام المنصوصة في الوقايع المشابهة لها وهذا معنى القياس فحاصل الاية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة فان يشتبه لها وجها من نظائرها لما اشتباهها اما احسن هذا الترتيب ثم في اطلاق الاية دلالة على ان الكتاب والسنة متفقان على القياس حجة واما خفيا وانه لا يجوز معارضة النص لاجتهاده بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب بعينه في قضية معاذ واستحسنه رسول الله ﷺ وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس ينجر عقل الانسان الذي هو عرضة الخطأ والنسيان فقد اجمع العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله اذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس هو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فسحق اللعين الى يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وفيه ما فيه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فيحمل هنا يدل على الوجوب ظاهر الا ان يصرفه الا دليل لانه خص هذا الامر بالذين آمنوا بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وهو بعيد والظاهر انه يدل على جميع الاوامر كما ان قوله فردوه وحده وايضا مجرد التدبير وهو اولوية الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للاية من فائدة خاصة فحمل على المتيقن والمتيقن من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن عبثا كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملنا على العموم كانت الاية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو بكونه الها والا لعمت جميع ما يتناوله لفظ الطاعة والمعصية من الخلق فيدخل فيه الظلمة والفسقة فيلزم اطلاق الوجوب عليهم وانه لا يشترط انتفاء المعصية من اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء فردوه ان القياس يجوز اجراؤه في الحدود والكفارات وايضا المراد بالتنازع قال الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كان كل واحد منهما ينزع الحق الى جانبه ذلك الرد والمراجعة اليه خيرا لكم واحسن تأويلا اي عاقبة من الشيء اذا رجع وقبل الرد الى الكتاب والسنة خير لكم وانتم ان انه ثم لما اوجب على المكلفين طاعة الله وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر الى الذين يزعمون الاية قال الليث يقولون نعم فلان معناه لا يعرفه انه صدق او كذب ومنه نعوا مطيتهم الكذب قال ابن الاعرابي الزعم لا يستعمل في القول الحقيق لكن المراد في الاية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا اظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله ثم يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بهذا النوع اما سبب النزول فيه وجوه والذي عليه اكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي ﷺ فدعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وذلك ان يهوديا كان محقا وكان المنافق لا يرضى الا بالحق لعلمه ان النبي ﷺ لا يقضي الا بالحق لان المنافق كان يظلم فلما رجعا من عنده اتى المنافق عمر فقال ظلمني اليهودي فدعوته الى النبي ﷺ فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر بيته فاخذ السيف ثم خرج فضرب المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فهرب اليهودي وقال يا رسول الله ﷺ قد علمت ان عمر لم يكن ليجترئ على قتل رجل قد اظهر الاسلام فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية فهدر دم المنافق وبطل قضية الطاغوت وقيل كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي انطلق بنا الى محمد وقال المنافق بل بيننا كعب بن الاشرف فلما ابى اليهودي الا محمدا عرف انه لا يأخذ الرشوة وعرف انه يقضي بالحق فانطلقا اليه فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده اتى المنافق عمر فقال انطلقنا الى محمد فقضى لليهودي فلم يرض بقضائه فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر بيته فاخذ السيف ثم خرج فضرب المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فهرب اليهودي وقال يا رسول الله ﷺ قد علمت ان عمر لم يكن ليجترئ على قتل رجل قد اظهر الاسلام فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية فهدر دم المنافق وبطل قضية الطاغوت قبل ان

عمر فقال اليهودي اختصمنا انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وهرب اليهودي فنزلت
الآية وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر
وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقال بنوا النضير كنا وصالحنا انتما
علينا ستين وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال
لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه
الآية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي مناديا فنادى الا ان كاهن اسلم قد اسلم وعلى [كاهن اسلم الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي]
هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم
يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون بالقداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم
ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم شككا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي
ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب
فان للقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم واردته منهم بل التعجب اولى من هذا التعجب وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان
احدهما وهو قول الحسن واختيار الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك
يعني انهم اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق وجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم
الى الطاغوت وانهم يصدون ثم ليتبعها ما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والآخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت
نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك
الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل هي قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج
وقال الجبائي هي ما امر الله رسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما
كان منا من مواسات الكفار الا الاصلاح الخالص قال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند
التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم وايتلافا بينهم فانهم لا يقدمون
عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويبينوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط
يامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ويتلك من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظمه لا يقدر احد على معرفته الا هو
ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم
بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم يزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الآية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلا يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم
عن دنس النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح
بين الملاء تقريع وفي السر نفع والجمع قولا يؤثرهم وقيل القول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني عزيز المعاني يدخل الاذن
بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول اكد النفي على ان من صلة
لتاكيد النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الآية من اقوى الدلائل على بطلان
مذهب المجبرة لكونها مصرحة بان معصية الناس غير مراد لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله تعالى على ان قوله
باذن الله يشير الى توفيقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول قيل في الآية دلالة على انه لا
رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون عن المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع
اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذنبهم وقصدوا رسوله واستغفر لهم الرسول

النساء

انتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من اتاه زيد فضانه لوجدوا الله تواباً رحيماً وقد بقل ما استغفر لهم لما فى الآية فان من الخطاب الى ذكر الرسول تنبيه على ان شفاعته من اسعد الوسائل من الله عز وجل فان قلت لا يدل هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت فى نوم من المنافقين اصطلحوا على كيد فى خود رسول الله ﷺ فدخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبريل فاخبره بذلك فقال ان قوما دخلوا عليك بريد امر الا بنا لونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى استغفر لهم فلم يقوموا فقال لا يقومون فلم يفعلوا فقال قم يا فلان حتى قام اثنى عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كما عرفنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا اذا كنت فى بدء الامر فرارا الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عنى فلا وربك لا يؤمنون عن عطا ومجاهد والشعبى الخامس تمام خصلة اليهود فى المنافقين وعن الزهرى عن عروة بن الزبير انها نزلت فى شان الزبير وخاصم رجلا من الانصار فى شراج من الحرة والشريج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى فقال ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعنى الجدار الذى يحبس بالمزرعة وهو صغير عن الجدار والسوق حقك ثم ارسل الى جارك واعلم ان الحكم فى هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باول الماء وحقه تمام الشفى والرسول انما امر الزبير فى السقى على وجه المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم ير فيه حق فاستوفى من الزبير حقه بعد ما امره بالسقى فاحفظ هذا فانه مما يحتاج اليه فى فقه قضايا رسول الله ﷺ وفى قوله فلا وربك فوائد الاول ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثانى انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يعيد ما مر سبق والتقدير ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يحاكمون الى الطاغوت حكمك ثم استونف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثانى انها لتوكيد النفى الذى فى الجواب فى هذا الوجه لا يتم بها اذا كان الجواب مثبتا وعنى بحرج اختلف فى اختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق او الشك لان الشاك يضيق صدره عن ان يتبين الحق ويسلموا تسليما اى ينقادوا ويسلم الامر لله اى يستسلم خاضعا لحكمه ومن المعلوم بمن يمسك بالابرة فى انه لا يحصل الايمان الا بالتسليم وهذا يدل على ان الرضا بالحكم شرط فى كل امر دينى ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور فاذن الحكم غير كاف والتقليد فى جميع الاحكام غير مرضى واعلم ان الرضا بحكم الرسول قد يكون رضا فى الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت وهو الحرج بان ما حكم به الرسول ﷺ هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد عن ذلك على سبيل العناد او يتوقف فى ذلك لعدم الحرج اشارة الانقياد فى الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد فى الظاهر وفى الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطا فى القضاء والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لان الكتاب فى النص حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصى بقضاء الله ثم لزم التناقض لانا لو بينا بعضها واجب فالرضاء بالمعاصى واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا فى نهيها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال والجواب ان المراد من قضاء الله التكوين والايجاد فالرضا بقضائه ان تعتقد كونها لكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به وبناء على الشق الاول ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روى ان حاطبا لما احفظ رسول الله ﷺ فاستوعبا الذى حفظه فى صحيح الحكم حرجا على المغداد فقال الزبير كان القضاء فقال لحاطب فتق كان ابن عمته ولوى يده ثم غضب يهودى كان مع المقداد وقال قال الله هؤلاء يشهدون انك رسول الله ثم يتهمونك فى قضائك بينهم وايم الله لقد اذينا اذى مرة فى خروجه موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس فاو الله ان الله لم يعلم منا الصدق لنوامر نا محمد ان اقتل نفسى لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله ﷺ ان من امتى رجالا الايمان ثابت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وروى عن عمر بن الخطاب انه قال لقد امرنا ربنا ففعلنا والحمد لله الذى جعل بناء ذلك ونزلت الآية فى قضية فى قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والاول اولى لان كتبنا الفعل والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين اسهل من اداء وسعة وخ بصعب الامر عليهم وتنكشف كعزهم فاذا لم يفعلوا هم ذلك بل كلفنا هم اشياء السهلة فلم يفعلوا كان النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسعى التكليف وعظا لانه ذكر بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اى انفع وافضل من غيره او خيرا لدينهم والاخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا ابعث الى اثباتهم على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها وكانه خود الحق ثابت فى الباطل زايل ذاهب الاثر فاذا حصل بطلب ثبات ردوا ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير فى نفسه فهو يستعقب للخير فقال واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولو اثبنا اجرا عظيما ولو اجزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما اذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نوتيهم من لدنا اجرا عظيما وفى ايراد صيغة التعظيم فى اتينا ولدنا وفى قوله من لدنا وفى وصف الاجر بالعظم وفى تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق المؤدى من عرصة القيمة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد استيفاء الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الايمان غاية فى جميع المكلفين الا ان المعتبرين ذكروا فى سبب نزولها وجوها قال الكلبى نزلت فى ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف فى وجهه الحزن فقال له ما ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك هناك لانى اعرف انك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت فى رجل من الانصار قال النخعى اذا جئنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما نهدا بنعمة حتى نراك ثم ذكرت درجتك فى الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل

الله هذه الآية فلما أتى النبي الى الانصار دعاه وهو في حديقة فاخبره بقول النبي فقال اللهم اعني حتى لا ادعى شيئا بعدك ففي مكانه وقال السكان ناسا من الانصار فقالوا يا رسول الله ان الله سيكرم الجنة في اعلاها وعن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا رأوا الزيادة والنقاوة فزدوا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع فيه بل يتعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة بل اخوانا على سرر متقابلين ثم انهم ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والاشك في تغايرها فما منزلة كانت ومتباينة والمراد بالمذكورين لا يمتنع كون كل منقدم موصوفا بما يتلوه فان يكون النبي صديقا وشهيدا وصالحا او الصديق شهيدا وصالحا وقد فسر النبي في اوائل البقرة واما الصديق فقيل لغة الصدق وهو من غلب عليه افعاله الصدق من الخصلة مرضية في جميع الاديان ومحققة للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى بها منقصة ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بنقيضه مذمة ان الكفر ليس سوى التكذيب وذكر المفسرون اكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق في كل الدين لا يتخالجه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال لزوم هؤلاء افاضل اصحاب النبي وخصصه بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فضائل في ذلك فقد كان الناس كابي بكر وعلي وامثالهما ولا واسطة بين الصديق والبينة ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين في صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان رتبت من الصديقين وصلت الى النبوة وان تزلت صرت الى النبوة وصلت اليهم واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والقوة بعد ان يدخل كل هذه الامة في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة يجب ان يحفظ عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب حسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين بر الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفيق في اللغة اسم الجانب والطافة الفعل سمي الصاحب مرافقا لارتفاق كل به ونصيب من الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض فذكروا الانسان مع غيره ولا يكون منفعا فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك سبيلا او الفضل صفته ومن الله خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره فاكتفى لمعرفة ذلك باشارته الى الاجر العظيم من موافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شيء تفضل الله به عليهم تبعا لثواب هم الواجب على الله واذا ارادان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار وطرق التمكن لم يمكن المكلف من فعل الطاعة فضلا ذلك بمنزلة من وهب عبدا فاباعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب قال اهل السنة اشارة الى الجميع ما نظام ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله تفضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية وبها يتم الوجوب عنده عن استحقاق الذم عند الترك وانه خلق الاعضاء وبها يتم كل ما فرض من الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا يعد ولا يحصى يمتنع كونها موجبة الثواب في المستقبل معنى الا بان ذلك الثواب بكمال وجه كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به لورود ذلك الثواب المذكور هو من الله لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وبمن يرغب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن النقصان به الدليل الوجودي انا نعلم ان الله تعالى كما ان وجود الظل امارة من الشمس فلا جرم اذا بحلت شمس الوجود بنور ظلال وجود النفس والقلب الروح بقول بلى العزة ان الله تارك لكم لتوجدوا لا ما تأبى الى آخرها فتلك اشد الظلال واضمحلالا لاعتبار واتحت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله وله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اذا حكم بعدم بقاء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس ان تحكما بانا بالطريقة فبراءة القلب شواهد اللقاء وبلاقم الروح عقبة الفناء والسر وارد سلطان البقاء انا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا على الحقيقة وطاعة القلب ان يجد الله وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد من الحق في الباطن كما قال لم اوامر بصقل مرآة قلبك بالرياضة ولوائك المنصور وانت الامير يعني مشايخكم ومن بيده امرهم بينكم كما تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس القلب الروح والسر فردوه الى الكتاب السنة او ردوه منازعة القلب فيما يحكم به الكتاب السنة تزاحما من فضول الفهم والذائقة فردوه الى الله لمرآة القلوب بشواهد الغيوب والى الرسول وارد الحق بصدق النية وصفاء الطوية وذلك الايمان الايقاني بر يشهد النور الرباني فخير من فعل الكتاب السنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن خذلان اهل الضلال المحاكمين الى الطاغوت الهوى والخيال من اهل البدع والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية اخبر انهم مصبغة ملامة من الخالق وسياسة من السلطان فلا ورب لا يؤمنون فيه ان الايمان الحقيقي ليس مجرد التصديق والاقرار ولكنه سيف على محل الاعتبار وهو بحكم الشرع لا الطبع النبوة لا الطبع والمولى لا الهوى وادار الحق الامور الخلق فيما اختلفوا فيه من ارائهم ويخبر عن عقولهم ثم لا يجدوا في قراءة انفسهم صون كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والتصديق الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الجنة الاكبر الصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان

يا ايها الذين

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم
ای گروه ایمانیان بگیرید اسلحه خود را پس بیرون شوید از دشمن یا متفرق شوید بسوی او همگی و بدرستی از شما آنچه هست که باز ماند و مردم را پس از رسیدن
مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن
داهیه گوید که انعام فرموده است خدا بر من چون نبودم من با ایشان حاضر و شهید و بدرستی آنچه اگر برسد شما را بخشش از جانب پروردگار هر آینه گوید چنانکه گویا نبود
بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة
میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنهائی که میخرند زندگانی
الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وما لكم
دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا مغلوب شود پس زود باشد که بدهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را
لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
که جهاد نکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهائید که میگویند پروردگار ما
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين
برون ما را از این دیه ستمکار اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود کارگذاری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری آنهائی که
آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان
ایمان آوردند جهاد کنند در راه خدا و آنهائی که کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را
إن كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
بدرستی که کید و حیله شیطان بوده است ضعیف آیا ندیدی آنها را که گفته شد بآنها که باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را
فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت
پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون بترسید از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی
علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
بر ما جنگ کردن را چرا نه پس انداختی ما را تا زمانی نزدیک بگو که بهره دنیا کم است و آسایش آخرت بهتر است مر آنرا که پرهیز کرد و ستم کرده نشوید بمقدار
أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
هر جا که باشید درمیابد شما را مرگ و اگرچه بوده باشید در قصرهای بلند و میرسد بایشان نیکی گویند این از نزد خدا است
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون
و اگر برسد آنها را بدی گویند که این از نزد تو است بگو همه از نزد خدا است پس چه است مر آنگروه را که نزدیک نیستند که
يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك
درک کنند حکایتی را هر چه رسید بتو از نیکوئی پس از خدا است و هر چه رسید تو را از بدی پس از خودت و فرستادیم تو را
للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم
از برای مردم پیغمبر و بس است بخدا گواهی هر که پیروی کند رسول را پس تحقیق که اطاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم تو را بر آنها
حفيظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله
نگاهبان و میگویند کار بطاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو بامشب کرد و بهم از ایشان بجز آنرا که میگوئی و خدا
يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
مینویسد آنچه بشب میسازند پس روگردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است بخدا کارگذاری

القراءة ليبطئن بضمه مثل فليبثبثن وليبوئنهم بالهمز يزيد والثموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الغوثانية ابن كثير وحفص والمفضل ويعمل ويعقوب لبانون بناء الغيبة بغلب فسوف وبابه بخوان تجب تجب ممن يتعلمدغما ابو بكر وحمزة غير خلف وعلي وهشام ولا يظلمون بالمناء والخفاية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام وبزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان لبانون بناء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا عظيما بالآخرة عظيما أهلها ولبا كلا للمتفضيل بين الدعوان بصرفه نسبيل الله للفصل بين الفصحين بالمدغما فين ولبا الشيطان لالتقاء الابتداء وتفخيم الفاء واللام ضعيفا لوكوة لان جواب فلما منتظر ولكن التعجب في قوله لم لم ترد فع على قوله إذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع تمام المعنى القتال لان لولا أي هلا استفهام اخرج مع اتحاد المعمول قريب قليل للوصف للفضل بين وصف الذين فتيلا مشددة للعدول لفظا ومعنى من عند الله حاضر بين النقيضين من عندك من عند الله حديثا من الله فضلا بين النقيضين من نفسك سوء شهيدا اطاع الله للعطف مع ابتداء الشرط خفيا لا يبيتون

الفعل بعدها طاعة لابتداء الشرط مع ان المحفوظ من بيان نفاقهم لانهم بعد يقولون ليثبطون لاختلاف الجملتين مع الاشعار اى ذا كتب الله ما يثبتونه فاعرض وكانهم على الله تعالى المفسر انه سيجازيهم غدا بعد الرجعة فى طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد الذى هو اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التى نهاهم ان يثبطوا عنها ثبطوه الذين نفاق يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالامر والامر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز عمن يخاف كانه جعل الحذر الذى يتقى به نفسه بعضهم بجامد وصرد المعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقى به ويحذر فان قيل اى فائدة فى هذا الامر بالحذر لا يغنى عن القدر والحذر لا يعصم من المقدور وكلاهما امر من عالم الاسرار والوسائط بالربط وكلا بين ان الكل يقع على ما قدر من اشتغل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن اهمل وجد فان عدم السلاح كان به بقدر وهكذا سائر جميع التكاليف اذا عرفت هذا فانفروا الى قتال عدوكم انفروا لذلك فان واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبية تصغير ثلة فاء عن الياء المحذوفة والتركيب دال على الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض لكونه مجتمع الماء وثبت الشيء جمعته وانفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قاله الشاعر اطاروا اليكم زحفا وزحفا ثناء والغرض النهى عن التخاذل والفشل الى الله الملكم وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هى الداخلة فى خبر ان والثانية هى الداخلة فى جواب القسم وتقدير الكلام لمن خلفه بالله ليبطئن وهو اما منعد بسبب التشديد بهمزة او المفعول محذوف اى ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دين المنافقين عبد الله بن ابى بطئ الناس يوم احد وما لا زم فقد جاء بطاء بالتشديد بمعنى ابطاء كعتم بمعنى اعتم اى ابطاء اى ليتثاقلن ولن يتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى او نحو قوله ان منكم لمن ليبطئن من قتل او هزم فان فتح الله علينا كما كن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن يا ليتنى كنت بقربكم وبينه موزونة اعتراض بين الفعل الذى هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتنى للتنادى محذوف اى يا هؤلاء ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما فاعتراض المنادى كثير معهم فافوز منصوبا بإضمار اى ليت لى كونا معهم فافوز والخطاب فى قوله وان منكم للمذكور بعد قوله يا ايها الذين امنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل كافرا او منعدا يا كان منافقا فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب لاختلاط اولانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد بايها الذين المؤمنون فى زعمه وقوله كقوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض فى البين ان المنافقين كانوا يعادون المؤمنين ويعيبون فيهم فى ظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل فى بواطن وفى الجمع من المغايرة ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل فقوله يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب فى الجهاد بقوله فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومعناه يشترون او يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حتى الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثانى فهم المؤمنون الذين ركنوا الى الدنيا لاجل الاخرة والمراد ان بطاء اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد الموصوفون على التقديرين الاولين لكن الاستدراك اذا اريد بيذل هذه الحياة الدنيا فى سبيل الله بخلن بنفسه فاشتراها فاعرض نفسه لسعادة الاخرة لبعده على يد لها فى سبيل الله او لعله اريد به اشتغل بالقتال اترك وترجيح الفانى على الباقى او المراد انهم كانوا مرجوحين الحياة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم فاما لوا انكم تستولون على الاعداء وتفوزون بالاموال فمن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب وعدا لاجل العظيم على تقديرى المغلوبية والغالبية لبعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد ولا يكون المجاهد على حالة من حالة على اى تقدير كان فيقاتل ولا يجبن ثم زاد فى تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم فى ترك القتال فلا وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله والمستضعفين اما مجرور اى وفى خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اى واخص من سبيل الله الذى هو عام فى كل خير خلاص المستضعفين وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون الاعنات والضعف عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح والولدان جمع لذكران فى جرب قليل لوجال الا لمعان الاحرار والحرائر والولدان يا العبيد والاماء الان العبد والامة يقالان لهما الوليد والوليدة وجمعهما الوئد الذان والوئد بدالا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالابناء والاخوة مع ارادة الاناث والاخوة ايضا ومن ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين من الولدان والنساء انا الظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية فى الاعراب فى مذكر الاسناد الى اهل والاهل يذكر ويؤنث ولوانث الاناث الموصوف بل لجواز فانثث الاهل جاز وانما اشرك الولدان فى الدعاء وان كانوا غير مكلفين كان المشركين كانوا يؤذونهم ارغاما لابائهم لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل نوح وليس ودت السنة بانوجهم فى الاستسقاء واجعل كنا من ذنك وكيتا اى كوانت لنا وليتا وناصرا وذل علينا وجلا بوا لينا وبقوم بمضا لحنا فاستجاب الله دعائهم لابن البنى الما فتح مكة جعل عتاب ابن اسيد امير اهلها وكان الولى هو الرسول وكان النصير عتاب بن اسيد كما اراد وقال ابن عباس كان بمكة من المستضعفين من كان يفتن حتى كانوا اعز اهلها من الظلمة ثم سمع المؤمنين فجتمعا بان اخرجهم انهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان وان كيده وهو شئ واضعفه الكيد المستتبع فى نفسه الحال على جهة الاحتيال فاذا ذا حال كان ان يعلم انه مذكان كيدهم بالضعف والذلة الا ترى ان اهل الجبل الذين يبنون كوخهم الجبل على وجه الدهر وان كانوا اقوياء جبابرة فى غاية الجهل والفظاظة واما الملوك والجبابرة فاذا ما نوا افتقر اليهم ولا يبقى فى الدنيا سلطانهم ولا ظلمهم فقوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم هم عبد الرحمن بن عوف واصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد ابن ابى وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله ائذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فانى لم اومر بقتالهم فلما حولوا الى المدينة امرهم الله بقتال المشركين كرههم بعضهم وشق عليهم الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نشهد الله من

النساء

المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين خلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت وقد تقدم للقول الاول ما ان رغبتهم في القتال ولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين انهم كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فعجزوا حينئذ اصحاب القول الثاني انهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله تعالى بقولهم لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحياة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو الذي حكي عنهم بالخشية والاعتراض محمول على بعض التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر لهم ذلك على قلبهم امر هذه الحياة والاولى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شانهم بلا اختلاف وفي الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مفوضا على الجهاد وهو انهم ترتيب مطابق لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب في القتال في سبيل الله وان في اذا فجائية للمفاجاة وهو مجاز عن الظرفية والعامل في اذا معنى المفاجاة اي ففاجاء وقت خشية فريق وزمان كخشية القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز او التقدير يخشون الناس مشبهين باهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة انتصب خشية على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان يجعل الخشية خاشية وفلان خشية مثل جدجده بمعنى يكون المعنى خشية مثل خشية الله وخشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكان الزمخشري للشان هنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها تبقى لواو او الم اراد ان كل حوبين فان احدهما بالنسبة الى الاخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فيتميز في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فينفي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه شاكا فيه ولكن يوجب بقاء الابهام في هذين القسمين على المخاطبين او هذا نظير قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية للمومنين فهم امنا فالواو ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحياة واستزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول وزعواه وبعضهم لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا ثم ازال الشبهة واذاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هناك نارا واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واما ترجيح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الاخرة موبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم يكفي التفريق الحاصل بينهم بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من الظهور ومنه برجت المراة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجبناء موت مستعقب للستعار الابدي واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من التعرف مقدم الرسول فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا من قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون هذا بنا اعظم شوما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقولهم وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شوم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقال لقوم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة الفشل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وكلا هذين القسمين فهو حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب وامثالها وان كان منتفعا به في الاخرة فهو طاعة فالحسنة نعم الحسنات والسيئة نعم السيئات فلا جرم اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من استنادها الى الواجب بالذات ولهذا فهم من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قال المعتزلة بل هذا الاية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بخلق الله تعالى لم يتوجه التعجب في هذه الاية لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسال عما يفعل وانتم المعارضة بالعلم والداعي وقالت المعتزلة انهم الحديث بفعل بمعنى مفعول والمراد به الاذان المذكور في هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثا والجواب بعد تسليم ما ذكروا انه لا نزاع في حدوث الاعراض انما النزاع في الكلام فمن اين لهم ان المراد من الحديث القرآن قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله وما اصابك ايها الانسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصح اضافتها اليه اما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لانه تعالى لا يامر بها ولا يريدها ولا يامر بها ولا يرغب فيها وقال في الكشاف فما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا واستنانا وامتنانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومضرة فمن عندك لانك استوجبتها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب بعفو الله اكثر منه وقال الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باسرها بمعنى فرض فانها من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يطلق بعض الظاهريين ان

اضافة المشتق الى الله تعالى خروج عن قانون الادب فبين في الآية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة يخص الكفر الذي هو افحش القبائح فان ذلك بخلق الله تعالى والوجه
فيه ان يقال الكلام استفهامي على سبيل الانكار ليفيد ان شيئا من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيته وبوحي منه فرقي في نفسك
بصريح الاستفهام وما يدل دلالة ظاهرة على ان المراد من هذه الآية ما سنذكره جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وارسلناك للناس رسولا اي لتبلغ ذلك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فما تحصيل الهداية فليس اليك
بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال لكن اي حال كونك مرسلا للناس منفردا رسولا لا منعانق بارسلناك والا لقيل الى الناس فاصل النظم
وارسلناك رسولا للناس فلا بد للمتقدم من خاصية هو التخصيص اعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه على بقائه حقيقة او عرفا لاعلاء مطلق وبعد تقديم هذا
المقدمة فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصته معينة من الافراد فيلزم اختصاص
ارسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون مناقضا لما في الآيات الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله
بعثنا الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص ارساله بالانس دون الجن كان ثبوت الحكم لحقيقة الانس يوسطة
التعليم ينفي الحكم عما يقابلها عرفا وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عدا هاتين الحقيقتين فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه تعالى
مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل
موجبة كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من ان الله تعالى بعث نبيا من البشر جزئيا هو انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى
هذا يكون الجن مستثنى عنهم بالنسبة الى هذه الآية فلا تدل دليل اخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافيا لذلك لان هذه الآية لان التعليم قد
استوفى حظه من التخاصه من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد فرد من افراد الناس رسولا وجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان الطاعة
الرسول لكونه رسولا فيما هو رسولا لا يكون الا طاعة لله فالمعقول في هذه الآية ان الشيخ كان يقول من اجنبي فقد اجب الله ومن اطاعه فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد غلا في الرجل الشرك هو نهانا ان نعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وهي من اقوى الدلائل
على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة الله ومن يتولى قبل هو المتولي بالقبائح اي حملك يا محمد
على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقبل هو التولي بالقلب ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي
فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عن ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ بآية الجهاد ثم حكى بعض
المنافقين بقوله ويقولون اي حين ما امرهم لبعض طاعة اي امرنا وشأننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز لكن اطعناك طاعة ولكن الرفع بدل على
ثبات الطاعة واستمرارها فلذلك لم يقل فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي بون خلاف ما امرت به وضمنت من الطاعة قال
الزجاج كلام يفكر فيه كثيرا ويناظر في قضاياه كثيرا وقيل هذا امر بيت في اشتقاقه وجهان الاول ان اصل الادغام المفكر ان يطلب
في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والتأمل اقل فلاجرم سمي الفكر المتقن تبييتا الثاني قال الاخفش اذا اراد العرب فرض الشعر
بالقوافي قالت الشعراء فيه فسمي الفكر المبلغ تبييتا فاشتقاقه من بيات الشعر ثم انه خص طائفة من المنافقين بالتبييت وذكر في التخصيص
وجهين احدهما ان ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا فاضحهم والبهم
في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في علم الانكار
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه ويكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله شفاء
فان الله يقيم لك منهم ان قووا امر الاسلام وعزنا نضاده قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ بآية الجهاد والاكثرون على ان التسخ مطلق فلا حاجة
الى التزام النسخ والله تعالى اعلم الثاني بل عظهم واحذرهم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جاهدوا بالوباء ضاف من عالم التفرقة وهو عالم الجسمانية او انفروا
جميعا من عالم الجهنمية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم ايها الصادقون لمن ليبطئن من المدعين لمتابعتك سلبوا في السير لها غين بالاسم
الثاني لبين على الوجه مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومراتبه عند الخواص وقبول عند العوام يشهون الجهوة الدنيا
يشتهون حظوظ النفس يحبون الرتبة فيقتل نفسه ليصدق او يقلب عليها بالظفر فيسلم على مذلة والمستضعفين من الرجال اي الارواح الضعيفة
استضعفها النفوس باستيلائها عليها والنساء اي القلوب فان القلب للروح كالزوجة للروح لتصرف الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة
والولدان الصفات الحميدة والمتولدة بين الروح والقلب هذه القرية فرها البلد الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا شجاعا مربيا
الم تر الى الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم الاعضا بحبل اهل الملامة واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فانكم تسلم اهل الغرام فانفعوا
بلذاذ السلام والسلام لارباب العزام من اصل الملام اذا فريق منهم يخشون الناس يخافون لومة الناس لو كان من شرههم ان لا يخافوا لومة لائم
ولا ينالوا موانعة نائم ينفعوا عن فرجهم كالهائم وضلوا عن ظرفهم كالبهائم لولا اخرتنا الى اجل قريب يفوت بالاجال فان لنا كل لحظة مؤنة في
ترك حظه يا ايها الطالبون في تبطل الذين غلبت عليكم حب الدنيا فاعلموا عن طلب المولى انتم بكونوا بالذكر كم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل
ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة اجسامكم وان تضربهم بضع لاهل البطالة من فوحات عنبته يقولوا هذا من عند الله لا يرد

المستفضي بالفواتح

للشيخ

للشيخ فيما علمهم حفاظا لنفسهم سبتة في الجاهلية ان يقولوا للشيخ هذا من عندك اي بسببك وسعيك قل كل من عند الله البسط والفرح والنصر
ما اصابك من فتح وهو هبة من الله فضلا وكرما وما اصابك من سيئة بلاء وعناء فمن شؤم صفات نفسك الامارة والتحقيق بينهما ان هذا عطاء
ارجع مرآة القلب والخالق وهذا ان من الله تم والكسبي الفعل وهما ان من العبد ان كان العبد وكسبه فعله كلما مخلوقة خلقها الله ثم في فهم وآثار
للناس سوء يعتقدون بهذا ويلتعنون خطاك ويقولون اذا كانوا طاعتين في صحبتك بعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويصعون بازائهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الواعية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت عليهم رياح الهوى عادا الطبع المشوم الى اصله وهكذا حال
اكثر زهاد هذا الزمان الى مشاربهم والله تكتب اي يغير عليهم ما يلتبسون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
ونوكل على الله فلعل أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
الله يصلح بالهم پاس تدبر نكنند قرآنرا واگر ميبود از نزد غير خدا هر آينه يافتندر ان اختلاف بسيار
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
واگر ايشان فرا از سود يا ترس افشا كردندرا واگر برگردانيدندي بسوي پيغمبر وبسوي صاحبان فرمان از ايشان
لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا
هر آينه ميدانستند ازانها كه ميجويند ازا ايشان واگر نبود زيادتي خدا برشما واو رحمتش هر آينه متابعت كرديد شيطانرا مگر كمي
فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا
پس جهاد كن در راه خدا مؤاخذه نميشوي مگر بفعل نفس خود وميل ده كروندگانرا اميد هست كه خدا نگاهدارد نهيب انهارا از كافران
وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
وخدا سخت تر هيبتش وسخت تر ست عقوبت او هركه وسطه خود وسطه نيكوئي ميباشد مراورا بهره ازان وهركه وسطه شود
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
وسطه بدي ميشود مراورا بعقوبتي از ان ومي شود خدا بر هر چيزي توانا وچون دعوت كرده شويد بدعوتي پس دعوت
بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ
بهتر ازان يا همانرا برگردانيد بدرستي كه خدا بر هر چيزي نگاهبان است خداوندي كه نيست خدائي بجز او هر آينه گرد آورد شما را روز
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا
قيامت كه شكي نيست دران وكيست راستگوتر از خدا حكايت چيست شما را در منافقان گروه گروه وخدا نگون كرد ايشانرا بآنچه
كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا
كسب كردند آيا ميخواهيد كه هدايت كنيد انرا كه گمراه كرد خدا وهر كرا گمراه كند خدا پس نيابي از براي او راهي دوست دارند كفر شما را چنانچه
كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
كافر شدند پس بوديد شما يكسان پس فرا گيريد ازانها ودوستان نادوري جوئيد از ايشان تا دوري جويند از وطن در راه خدا پس اگر برگشتند پس گيريدشان وبكشيدشان
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
هرجا كه يافتيد ايشانرا وفرا گيريد ازانها دوستي ونه ياوري مگر انها كه پيوندند بسوي گروهي كه ميان شما وميان ايشان
مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
پيوندي يا كه آمدند شما را تنگ شده سينهاي ايشان كه كارزار كنند شما با كارزار كنند قوم خود را واگر ميخواست خدا هر آينه مسلط كرده ي انهارا بر شما
فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
پس هر آينه كارزار كردند شما پس اگر كناره گيرند شما پس كارزار نكنند شما را وافكنند بسوي شما خيار را پس قرار نداده است خدا براي شما بر ايشان راهي
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ
زود باشد كه بيابيد ديگرانرا كه ميخواهند كه ايمن سازند شما را وايمن سوده گردانند قوم خود را هر چند برگردانيده شوند بسوي فتنه نگون سار شدند دران پس اگر
لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ
كناره نكنند شما را وبيفكنند بسوي شما اختيار را وباز دارند دستهاي خود را پس بگيريدشان وبكشيدشان هرجا كه يافتيد انها را واگردانيده
جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا القراءة ومن صدق وكل ساكن بعدها ذال باشمام الزاي على ودوبس وحمزة غير العجلي
قرار داديم از براي شما بر ايشان حجتي هويدا حصرت صدورهم وبابدغامها ابو عمر وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وفرا سهل ويعقوب المفضل
حصرت صدورهم بالنصب بتنوين الوقف القراء لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذا عطفوا عليه منهم قليلا وفي سبيل الله لان قوله لا يكلفك يحتم

الشيطان والحال اني قايل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله وحرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان تخلف
ما اريد كفرت ان تنكل نصب بها الابتداء شرط اخرج مع واو العطف كقول منها معينا نصف الجزء ردوها حسبتا الا هكذا وبه بهت جدتا كسوا من اضل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم فضربا وبقتلوهم فقاتلوكم السلم لان ما بعده جواب فان سبلا موهم اركسوا فيها ثقفتموهم
صبتا التفسير لما حكى عن المنافقين فاحكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير حق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قولهم اكتم لا يدبروا اعجازا مورقد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد ﷺ والا انقطع النظم ولانه القرآن على صدق النبي من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطاون في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يتصل باخبار الله تعالى بطريق صدقه وظهور
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد بحاويه ومعانيه وبلاغته مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لوقع
من تناقض واضطراب الذي نظن بهذا المناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله فيومئذ لا يسئلهم انس ولا جان وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها
ليس بذلك عند التدبر وملاحظة شرط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكون كل واحد من اجزائه وابعاضه بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة وغاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا اشتمل على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه فوق بعض وبعضه يحتمل ذلك ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله ثم ذكر في الاية دلائل وجوب النظر والاستدلال احدها التدبر فيها اليه سبيل
وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلام غير متفاوت وكامل
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير مطابق للاغراض المقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظر الاعجب
ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انهم اذا جاءهم الخبر بامن من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوا به وافشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الاشاء من الضرر من جهة انا لا نجاف لا ينفك عن الكذب وعن جهة ان ذلك
لو بلغ اذان كافرا بجانب الامن ولم يقع اورث شبهة لضعفة المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يرجفون ان الرسول ان كان في جانب الخوف حصل مضطرا
في الضعفة ومعطيا في الجزية وايقن اليهود عن الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك كانوا يوقون مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال او يحصل
وفي معنى الاية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله ﷺ والى اولي الامر منهم كبار الصحابة الذين يعرفون البصائر بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه علموا تدبيرها
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب مكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لكل استخراج المعاني في التدبير الثاني كانوا يفهمون من رسول الله ﷺ واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فنعوا اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره كيف
يدبرونها يأتون ويذرون فيه اثنان كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
سمعوه من الرسول واولي الامر فعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المدبرون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الاية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقايع الى اولي الامر من المستنبطين فرقاية النفر
لا تكون استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الامر بل هم المدبرون كما في القول الثالث
سلمنا لكن الاية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقايع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقايع الشرعية فان منع احد الباب على ان
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقوله الاكثرون لان الاصل في المنافع الاباحة فالمحرم وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المدبرين ليس اولى من العكس ولو كان المراد ذلك لكان الاولى ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامر او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحرب فاذا عرف احكام الحرب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقايع اذ قايل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث سلمنا
ان ذلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه متى غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا يسمى فهم الظن وواقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كما تقدم قال عليه السلام غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في دفعهم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا ما افقر فذكره المفسرون في ازالة التناقض وجوهها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

الثاني

اذا عوابه كانه تم كما اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه غايد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الآية
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى ان ما يعلم بالاستنباط قالا فيعلمه والاكثر يعلمهم وصرف الاستثناء الى ما ذكر يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بتنظر وبحث وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر وبعضهم والا البالغ في البلادة
والا نقصان الاستنباط وحمل على مجرد نشر الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما رجحوا
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حقه الذي لا ان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص وهو وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد بالفضل القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان دلائل القليل بعثة محمد
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل بشر بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابن سلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرهم ثم ومعونتهم اللذان سماهما المنافقون بقولهم فازوا فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التابع لايمانكم لاتبعكم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والغرائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كون الحق محصورا للعدة في الدنيا قلة الاتباع والظفر بل الظفر قد يكون
حقا مع الاقلية والانقطاع النصر والغلبة بدليل على كون الباطل الامر كون حقا والباطل مبنيا على الدليل وهذا الحسن الوجوه وقوله فقال قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب الآية كانه تم قال ان ارتدت لفوز فقاتل وقيل انه متصل بما قبله ما ذكر من فصل المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا ادبت فرضك لم تكلف فرض غيرك وتعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث
والاغراء عليه فاذا فعل الامرين فقد خرج عن عهدة التكليف ليس عليه من كون غيره نار كاشيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات انما يتعين
على الظن انه مفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الوجوب عليه محال لانه واجب الطاعة واطاعة الكريم اجابة فلزم الجهاد وان كان وحده ثم لا يجب انه يفر فالى بلد الصغرى لا حرج وحده يخرج ويبعث
سبعون راكبا ولو لم يبعث احد لخرج وحده ثم انه تم كف بأس المشركين والنفي الوقوع بقلوب الكفار بسببها واصحابه حتى ندموا وتركوا الجري في تلك السنة وفي الآية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تم لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل افتكه ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف كان
كلمة الله وانه لا يحدث شيئا الا بقضاء الله سهل عليه الهوان وكان معجزا عن نقمة الموت الله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الاعذاب الله
فهم وعذاب غيره غير وايم وعذاب غير الله تخلصا لله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الاعضاء والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذا طرف من الغرض والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه مطلع
لعرض من نفسه وذلك انه قبل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق واللطف الهندي بدعاء مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند ما كان يحصل له عذر الجهاد فرأيت وفضل الواحد كما عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بفنا ل الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الحسنة ما يرجى به
الله المسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال للملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي فيها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب له خيرا يتبغي بها وجه الله ولم يوخذ عليها اجرة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك ودليل هذا الوجه لنظم الآية من الترغيب على الجهاد بعثا على الفعل
الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل بفتح الكاف النصيب بضمها لا خلاف اللغتين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه عتيا الا
ترى انه يقال لكفل البعير اذا كان حول سنامه كساء وكبة الكفل الصنم من كان الغرم عائدا عليه النقيض من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يعود
عليه بكون له نصيب في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقتدرا اي مقتدرا وحفيظا والشفاعة
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق حاله ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم انهم بان لا عذروا بالمسالمة او يلقوا في المبارزة بالسلم فالوهم بالاكرام وابهم السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية نوع
من الجزوة ويجيء الناقص من باب التفعيل على تفعله مثل تسلية وتعزية لكنا ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب يقول عند التلاقي حياك الله دعاء له
بالجزوة فاجابهم الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن كان الجزوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل لعل المجزوء خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله
فالابتداء باولى وكان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمنين في اثنا موضعا في الاذن لهذا استنى نفسه بالسلم وعلى لسان نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد على لسان جبريل تنزل الملائكة بالروح بامرهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيبهم ما نالهم موسى وعيسى فقال اللهم لا تهلكهم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا ان جعلت جبريل خليفة لك فنزل الى
امتك كل ليلة قدر وبيانهم السلام فوصلى الله وسلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وصلى الله على لسان محمد وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

واسمعهم بالسلم عليك وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أمرك المؤمنين بالسلام عليك وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وسلم عليك على لسان ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم فبلغان ملك الموت يسلم فإذن المسلم السلام يقول السلم ويقول أجبني فإني مشتاق إليك واشتاقتا الجنان والحور العين إليك فإذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا بأس هذه بشارة عزمن وجل في بشرني وجل هديته لك وسلم عليك من الأول والآخر فإذا هو بالجنة وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقالوا لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان أهل الجنة يحيتهم يوم يلقونه سلام وسلم عليك على لسان الملائكة إلى الأبد سلام قولا من رب رحيم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى وإذا أكرم بحيي وعده بالسلم في مواطن ثلاثة لا يشذ الا وقت خاجة إلى السلم فقال سلام عليكم طبتم وقال سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويوم يبعث حيا وإلى ذكر بعظيم محمدته فقال الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام فلما سمعت بقدوم رسول الله دخلت في نخل لي فسمعت خبره فلما سمعت الناس قال يا أيها الناس أفشوا السلم وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية الفضاء وضع اليد على أنفه وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحيتهم مملوك أنعم صباحا فنسخان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلم عليك ورحمة الله وبركاته في هذا دليل على أن هذا الدين أشرف الأديان وأكملها وما بدل على فضيلة السلام غفلا أن الوعد بالنفع فلا يفيد الا الثناء على الوفاء به وقد لا يفي وأما الوعد بإزالة الضرر فإنه تعالى كما لا محالة والسلام بدل عليهم فهو أفضل أنواع التحية قال بعض العلماء من دخل بيتا يجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال أفشوا السلم والأمر للوجوب ولأن السلم شعار بالسلامة وإزالة الضرر وهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولأنه من شعائر الإسلام وإظهار شعائر الإسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي أكثر العلماء أن السلم سنة وأما الجواب فواجب بالإجماع لأن ترك الجواب إهانة وإلاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله فحيوا بأحسن منها أو ردوها أي أجيبوها بمثلها ورد السلام فرض وبعضها أشار قال هذه السنة وإما الخيار بين الزيادة ومركها ورد الجواب فرض على الكفاية إذا قام به بعض سقط عن الباقين والأولى أن يقوم به الكل إكراما للإكرام الأحسن أن يدخل حرف العطف فقال عليكم السلام وهو واجب على الفور بقدر ما يعد جوابا بين الإيجاب والقبول في العقود فإن أخر عن ذلك كان ابتداء سلم لا جوابا وإذا ورد عليه سلام في كتاب يجوابه بالكتابة أيضا وجب لقوله وإذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر أقرئ فلانا السلم وجب عليه أن يقول العلماء المبتدي يقول السلم عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فإن خالف فله أن يبتدئ فليكن الاختتام بما شاء ويجوز سلم عليكم بإفراد الواو لأنه أول من المعرف لأن المنكر في القرآن أكثر وإن المنكرات ورد ذكرها في القرآن والمؤمنين في المعرفات ورد في بشارتهم الإنسان على نفسه فإن موسى سلم على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلم علي يوم ولدت وإنما المعرف يدل على أصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة أن يسلم الراكب لوفادته هيبته على الماشي والراكب الفارس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر أخبارها للجماعة والقيام لأنه الواصل على القاعد ولأن القائم أهيب ومن السنة الجهر بالسلام لأنه نوى في أدخال السرور في القلب منها الابتداء به إظهارا للتواضع ومنها الإفشاء والتعميم لأن التخصيص يجانس المصانعة عند السلم غادة البيع قال إذا تصانع المسلمان خانت نوبتهما كما تخان ورق التجر ومن استقبله رجل واحد فليقل سلام عليكم ولمقصد الرجل والملكين لأنه إذا سلم عليهما رد السلم عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كأنه سلم من الله على نفسه وسلم على من فيه من موضع الجواب والملك السلام بركة اسم السلم من أبنية المبالغة من الثناء الطيب والموذيات ولو قال السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة أن يكون المبتدأ بالسلام على الطهارة وكذا المجيب وعن ابن واحد سلم على رسول الله وهو يقضي الحاجة فقام ولم يجبه ثم رد الجواب إذا دخل المجلس والإمام يخطب فلا ينبغي أن يسلم لاشتغال الناس بالاستماع فإن سلم ورد بعضهم فلا بأس ولو اقتصر على الإشارة كان أحسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزينين سلم عليهم فإن لم يكونوا متزينين لم يسلم عليهم والأولى أن يسلم على القارئ كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب كذا القول فيمن كان مشتغلا برؤية الحديث ومذاكرة العلم وبالأذان والإقامة ولا يسلم على المشغول بالأكل هكذا أطلق وحمله بعضهم على ما إذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال أبو يوسف ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو مشتغل بشغل مباح ومعاملة وإذا دخل الرجل بيته سلم على أهله فإن خرج أجنبية هناك لم يسلم عليها وإذا سلم الأجنبية عليه كان بخانة في رد الجواب عليها منهاوا فتنة لم يحل له بل الأولى أن لا يفعل وجئت فلما لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لأنه إنما يفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النخعي أنه قال لا يبدأ اليهودي بالسلم وعن أبي حنيفة أنه قال لا يبدأ بسلام في كتاب لأني عزمه وعن أبي يوسف لا نسلم عليهم ولا نعادهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس في الدعاء له بالصحة في دنياه وينقص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم إذا دعتنا إلى ذلك حاجة أما إذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغي أن يقول وعليك لما روى

ان ابتدئ بقول للمسلمين السلام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر عليك السلام ولا يقول ورحمة الله وانها استغفر وعن الشعبي انه قال لنصراني اسلم عليك السلم ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس ورحمة الله بعيش واعلم ان من ذهب الى حنيفة ان من وهب لغيره شيئا ورحم محرم فله الرجوع فيما لم يثب منها فاذا اثاب منها فلا رجوع له منها وقال الشافعي له الرجوع في كل الموهوب له الرجوع في كل الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالاية وذلك ان الصحبة تشمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يعوض فلا يلزم الا الاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول على الندب لانه لو اثيب بما هو اقل قيمة سقط مكنة الرد بالاجماع مع ان ظاهر الامر يقتضي الايجاب بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة ثم يرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده وانه كان على كل شيء حبسا بها سبكه على محافظة حقوق الصحبة وعنهما ان تكون واحد حذر من مخالفته ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم الاول والثاني عدل كانه قيل يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامه واكرموه وعاملوه معه بناء على الظاهر فان البواطن امرها يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما يتكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيمة الذي يجمع فيه الاولون والاخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليضمنكم اليه يجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيمة والقيام كالطلابة والطلاب وهي بناءهم من القبور او بناءهم للحساب فالقيام يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال الواجب اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب بجر منفعة او دفع مضرة وهو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب اصلح على حنكم من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية ضمان منها ما العلم بصحة النبوة محتاج الى العلم بصحة كل ما نقله والعالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يتبع اثباته بالقرآن والخبر الا ترى ان الدور وامثاله غير لازم في الكتاب الحشر والنشر انه يمكن اثباته بالقرآن والحديث فاعلم ثم عاد الى احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل معنوي مثل مالك قائما اي ما تصنع وفئتين نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لا تختلفون في كفرهم ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال في ذلك انها نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فاسلموا واصابوا بالمدينة وحماها فقالوا يا رسول الله ﷺ ارزقنا ان نخرج الى الصحراء فاذن لثمانية نفر منهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال بعضهم هاجروا فنابذهم فنابذوه هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك وما خرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن يمان بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد فقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بان سوق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يابى ذلك لان الهجرة يكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى بلدانهم وقيل هم الغريون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي ﷺ وقال ابن يمان في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقون ان اظهروا الكفر بما يضمرونه كانوا على ما اظهروا والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا وبقال للروث ركس لانه رد الى حالة خبيثة وهي حال النجاسة ويسمى جميعا ايضا لذلك والمراد رد هم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا عليه من النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى مقتضى ارادته ومشيته وهذا ظاهر في المعتزلة والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم بنفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فاما لما رضوا بضلال الله حكم بضلالهم كما يقال فلان يكفر فلانا اي بنسبه الى الكفر ويحكم عليه بالكفر والمراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو مفسر بمنع الالطاف ثم ذكرانهم بالغوا في الكفر الى ان تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثل قوله انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد ونية وعن الحسن ان حكم الاية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام فابى قال المحققون الهجرة في سبيل الله يشمل الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله ﷺ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا ولا نصيرا شيئا من مهماتكم ولا تصيروا نصيرا على اعدائكم بل حاربوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون اي ينتهون ويتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهدكم من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال الفقال وقد يدخل في الاية ان يفصل قوم حضروا الرسول ليعقدوا عليهم ذلك المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليهم لانهم لا يسلمون وذلك انهم واعوا وفدوا جوه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه على ان من وصل الى هلال ولجاء اليه فله من

الجوار مثل الذي فعلوا به قال ابن عباس هم بنو بكر بن يديناة كانوا في الصلح وذلك انهم قاتلوا هم خزاعة عند وهنا نكثوه وهي انه ثم رفع السيف عن الناجا الى الكفار المصالحين فلان يدفع النار عن الناجا الى مجنة الله ومجنة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال فلان واصلة اذا انتهت اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله او جاؤكم وفي العطف بها احتمالان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم جاؤكم مستكين عن القتال لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدا والى الذين لا يقاتلونكم وهذا اسب بقوله صفتهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم الى اخر الاية ادل بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لمعنى التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال بمعنى حصرت صدورهم الخ حال بعد حال والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدلالة قراءة من قرأ حصرة وجعل المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم قوما حصرة وقيل هو بدل من جاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هو لا يخلو ان من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار ونسخ حكمهم بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان سالم لنا لم يسلم انه ثم لما اوجب الحجة على كل من اسلم استثنى من له عندنا وميثاق بقتال احد هذين الفريقين من قصدوا الرسول بالهجرة والنصرة الا انه كان في قلوبهم كفار غالبون نصاروا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وافوا عندهم الى ان يحكم الخلاص والثانية منصرفا الى الرسول لا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار لانضمامه الى قلوبهم او لانه يبقى اولاده واذا جاءه بليتهم يخاف ان قاتلوا قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد منهم الهجرة وقتال الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم لبذل وجوههم ان اقدموا على قتالهم على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قد قذف الرعب في قلوبهم لسلطهم عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرار او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا يبنى عن ان فعله الظلم وهو صحيح عندنا لا يدل على انه يفعل الظلم واذا دوا النزاع فيه فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم وألقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من بعد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا واما منوا المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا وانكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين وكسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في حفر منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي لم يلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم عن قتالكم ويقفوا حيث ثقفتموهم حيث ما كنتم منهم قال الاكثرون وهذا يدل على انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم الشرط ابدا فقوله سلطانا مبينا حجة واضحة لانكشاف حالهم

ع ١٠

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

ع ١١

يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي

النساء ٤

أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان که آیا نبود زمین خدا باوسعت پس سفر کنید
فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
در آن پس ایشان را جایگاه انها دوزخست و بد جای بازگشتنست بجز ناتوانان از مردان وزنان واطفال
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا
که راه نبرند حیله را وراه نبرند طریق پس ایشان را امیدست که خدا درگذرد از ایشان وبیامرزد خدا درگذرنده
غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا
امرزنده وهر که سفر کند در راه خدا میابد در زمین زحمت بسیاری وفراخی وهر که بیرون رود از خانه اش سفر کننده
إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وإذا ضربتم
بسوی خدا وپیغمبرش پس درسد مرا ورا مرگ پس بحقیقت که واجب شد مزدش بر خدا وبیامرزنده مهربان وچون قدم زدید
في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن
در زمین پس نیست بر شما گناهی که کم کردانید از نماز اگر بترسید که بفتنه اندازند شما را انان که کافر شدند بدرستی که
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين
کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا هو سلام مقصودا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلی وخلف الباقون غیر ابو عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف
غيرا لنسب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفاهم مشددة التاء اليزيدي وابن فليح الوقوف الاختيار بعد قوا للابتداء حكم آخر مؤمنة
لذلك مؤمنة صفة تابعة على الاحتمال كون توبة مصدر الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا لهمن الله حكيما عليما مؤمنا لان ما بعده بصلح حالا واستثنى ما الذين
لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة تثبتوا جيدوا بفهم الاول رجيه الحسنى عظيما لان ما بعده بدل رحيما فيم كنتم في الأرض قالوا كنا
الاستفهام بجوابه جهنم مصيرا للاستثناء سبيلا عنهم عفوا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرع تغلب في حال المسافر كفروا مبينا التفسير لما
لم يكن بد في مجاهدة الكفار من ان يقتلوهن اراد الرجل رجلا بظنه كافرا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة ومثالها في هذه
الآية وما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله يوم احد فاخطأ خطاء المسلمون ظنوا اباه اليمان واحد من الكفار فسبوا
باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك وقع حذيفة
عنده وزالت الابة وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله
فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه ندم ابو الدرداء واقلع عليه كثيرا المفسرون ذكروا لكل ان عياش
بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فقدم بها ثم الى اطام من اطامها فحصن ابو جهل فخرج عليه
امه جوعا شديدا واسمت لا تاكل ولا تشرب الا بؤوبها اسفت حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه
فاتبأ وهو في الاطم فقال انزل فان امك لم تؤوها سفت بيت بعدك وحلفت لا تاكل طعاما ولا تشرب حتى ترجع اليها ولم يزل يقتل ضرا ابو جهل فانزل اليه
والعارب يقول ليس محمد يحثك على صلة الرحم انضرب وبراقك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة اوثقاه بنسعة وجلده كل
منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم مر به كوه موثقا في الشمس فاعطاهم بعض الذي اراد وافتنا
الحارث بن يزيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة لقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته وقال
له فذا الحي يعني يا جهل من بيت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله وهاجر الى المدينة واسلم اخوه
بعده وهاجر وليس عياش بمؤمنة حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينما هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن يزيد فلما راه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شئ
صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله فقال كان من امر الحارث ما علمت وانا لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي
ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما اتاه من دبر وعهد اليه وما كان له في شئ من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من
اول زمان التكليف لا خطا الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له اولا وفي حال الخطا او الا قتل خطا قال ابو هاشم وهو احد وسئا
المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيقتله مؤمنا الا ان يقتله خطا فيقتله مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة عليه عتق رقبة اي
فتلزمه مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كالمان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرمها وحق الوجه اكرم موضع منه وعتر
عن النفس بالرقبة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية
وهي محذوفة بدلا للنفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فاذا عفا

ولما كد هذه المعاني فقل عمر بن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد اذا عزم عليه وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله
بعضهم على التغليظ والتشديد لان الانكال انما يحسن بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم نالع في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال
اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهملوا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو والسلم بمعنى الاستسلام وقيل الانقياد
يعني سلام اهل الاسلام قالوا السبب بعث رسول الله ﷺ اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن يحنك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنمه كان معه فلما قدم على رسول الله ﷺ اخبره فقال قتلت رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله ﷺ انما قالها تعوذا من القتل فقال افلا شققت عن قلبه اذا خاصمك يوم القيمة يرد هذا على المقتول ما يرد هو يقول لا اله الا الله
حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فتزلت الآية وقد روى لكلية وفاده مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي ﷺ خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فحمل
منهم رجل فيتعاور جلا من المسلمين اراد متاعه فلما غشيه بالسيف قال اني مسلم فكفر به ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان ثقيلا فرفع ذلك
الى النبي ﷺ فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله ﷺ انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب فلا تكشف
اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن لتعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث الا قليلا ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنبه فقال ثم
غاروا لحفرة له فاما مكفوا وقد وه فاصبح الى جنبه قبرين او ثلثة فلما راوا ان الارض لا تقبله القوا عليه الجحارة قال الحسن اتت الارض
من هو شر منه ولكن غط القوم ان لا يعودوا وعن سعيد جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فهزم برجل في عنقه له فارا وقاتله فقال لا اله الا الله
فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال وقد قالها هل وفاله فما قدروا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فقال له ما قال فقال لا منامن
بين هذه الوجوه ان كان سنانه عند قوله لا اله الا الله فلعله انما صدق وقوعها باسرها فكان كل جزء منها تزلت في اعتقاده وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله ﷺ اذا اشرع احدكم الرمح
الى الرجل فان كان سنانه عند قوله لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبته لا تقبل وهذه الآية وقال ابو حنيفة
اسلام المكره يصح لاطلاق الآية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله
رفع القلم عن ثلث حتى يبلغ وقال كما لفقهاء لو قال اليهودي انا مؤمن ومسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام
هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب الى صدهم ومنهم من يقول ان محمد الذي هو
لرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو عليه الان هو الذي ومن هنا يعلم ان المسلم
حق يتمنون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء بقال ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر ومنه عرض الاعراض
زائل غير باق ومنه العرض لقابل الجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين تبتغون تريدون عند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تقتلكم عن قتل رجل يظهر الاسلام
متعوذا به لنا خذوا اموالنا ودمائه ونيل بها ما اعد لعباده من حسن الثواب الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في رجل الشبه فقال لا كثرون بل انتم اولا تم
في الاسلام سمعتم منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاستمرار
بالايمان وان صح ما علمانيه نعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما تفعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمانكم هو لاء لانا
امنا بالاخبار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم
كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان غالبا كان غالبا فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم
في اوائل الاسلام انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام من الله عليكم بقوته ودليل الميل تزايد وتزايد الايمان فكذا هؤلاء قد حدث فيهم ميل
ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم اعترافهم الى ان يتكامل ايمانهم فمنه قبل ان نزوله من الله عليكم منقطع عما نقدم وذلك ان القوم لما نهاهم عن قتل
من تكلم بكلمة لا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبين مبالغة في الحذر وحذر عن الاقدام خلافا للاظهار
فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه لما علم الله منهم على ما صدر منهم وبذلك عنهم كان مظنة ان يقع في قلوبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد
فذكر من فضل المجاهد ما يرجح علمهم ويزهد رغبتهم او نقول لما نهاهم عما هجموا عليه من قبيلة الجهاد ليبلغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل قال
لا يستوي القاعدون عن غزو بدون ثابت فلا كمن عندا لبيعة حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر
اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم تكيف انا اعمى لا ابصر فانزل الله تعالى في مجلسه لوحي فانكا على فخذي فوالذي نفسي بيده لثقل علي حتى خشيت
ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها وفاه الجحاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان
في البدن كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من فقر غير بالنصب على الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرا بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في نفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء
والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولي الضرر بساوون المجاهدين بالميل لولا قوله عندا نفسه من بعض عروا نه لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وقيل اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدكما كان يعمله في الصحة ان يمرضا

ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال ذكر الواحدي معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لان نية المؤمن
من وامد على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حيوته قيل انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبايع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر فائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فهي مذكرها تنبيها من التفاوت ليهتز القاعد
للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
بدل على تفضيل ما او نزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولوا
الضرر وقوله ثانيا على القاعدين للاستغراق على الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنتها الله يشمل الكثرة بالنوع
وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون بما اشتهر من وقايعه اياه وشجاعته وحماسته واجاب اهل السنة بان جهاد
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر وحين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام
في ذلك الوقت قويا والحق انه لا يدل الآية الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا فقد
من الآية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة للثواب لكن لذاته بل بجعل الشارع ذلك
العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله فضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفيهم
وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين
في قتال فقتلوا معهم فنزلت الآية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفيهم
تقبض ارواحهم عند الموت لا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة
الا انه لم يتلبس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب
على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفها فصح وقوعها حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم
وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان خرج
الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني فاولئك فيكون قالوا حالا من الملائكة يتعلق به الثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك
بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضا بالسكنى في دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا
لم يجيبوا عن قولهم كانوا كذا ولم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا
في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قائلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اراد انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فسلم عد الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لولم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجملة نكرة لان
المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون
في الواقع كذلك لا سيما الطبع يميل الى الوطن ويشق عليه الفراق عن الاوطان والمال فلعل حب الوطن يحمله على ان يدعي غير سد بدعوى فيهام هذا الاحتمال الى تحصيل الجزم
بالعفو وهذا من جانب العبد واما من الرب فمعنى الاطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه ورد على لفظ العفو انه لا يتقرر الا مع الذنب لا ينبغي
العجز وجوابه ايضا يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة وانه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادته
في خلقه وايهم لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا قاله

لاشتغاله اخر عن العفو والمغفرة مطمع غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم آية ان الذين توفاهم الملائكة الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اي مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلده فاذا استقام امره في بلدة
اخرى رغمت انوف اهل بلده بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه فالمانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويكون سببا لسعة عيشك وانما قدم في الآية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بذلك من حيث انه سبب رغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد مهاجرا الى الله ورسوله فربما
كل غرض يبني من طلب علم او حج او فرار الى بلدة يطيع الله فيها او قناعة او زهد في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى
ان لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال بعضهم يقال اجر قصده واجر العمل الذي اتى به من ذلك العمل واما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعل من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الآية فائدة الترغيب وايضا لا يكون الآية جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت
المعتزلة في الآية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب للسقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يدلان
لما قلنا فجوابنا انا لا ننازع في ان الثواب يجب البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالآية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان سهم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال
اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلاة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة يقال قصر صلاته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف لانه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلاة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين وتبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلاة الحضر اربعا وصلاة السفر ركعتين وصلاة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعن بعضهم ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلاة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي قوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى به ركعتين على تمام اوصافهما وانما ذلك بالتجوز والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلاة
ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلاة يجيء بعد ذلك فيحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار واولى واما تقييد القصر بحال الخوف فلان الآية نزلت على غالب
اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل
محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين
فسدت صلاته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين ولقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت
الصلاة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه واجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال وجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلاة فلم يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارضه الآية لان تقرير الصلاة
على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهرية زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

النساء

انس بن مالك المعتمر هم فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد جبير الكوفي الى الحدائق هو ثلثة ايام وهو قول ابي حنيفة فيتخير على قدر جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روي عن ابن عباس ان البريد قال ابا اهل مكة لا تقصروا في اقل من اربعة برد من مكة الى عسفان والمراد بالبريد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال بالميل الهاشمي جد رسول الله ﷺ وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال بدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب لتسلقي في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا فتوا موجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا بهذا ان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديمة فكونوا على حذر منهم التأويل ليس لو من الروح ان يقصد قتل مؤمن الغلب الا ان يكون مثل خطاء لان الروح اذا خلص عن حجب ظلمانية الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فينور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة فتمون عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحلى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كما طمئن القلب به ففي بعض الاحوال يبادر الروح بوارد روحاني فلسوء باني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخبر موسى القلب صعقا منيبا بطوة تجلى الروح القدسي الرباني وتجعل جبل النفس دكا وكان ذلك روح فلسوء باني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخبر موسى القلب صعقا منيبا بطوة تجلى الروح القدسي الرباني وتجعل جبل النفس دكا وكان ذلك خطأ لانه ما كان مقصودا بالتجلي في هذا التجلي وكان المقصود منه ورؤيته ونقل النفس الكافرة من قتل موسى اي قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي السر المحرر عن رق المخلوقات رقبة مسلمة الى اهله يعني تسلم العاقلة قوة الله تعالى رقبة القلب الى اهل القلب ثم الاوصاف الحميدة الروحانية من حيال كمال الطاف البصيرة الاوصاف منها اخلاقا ربانية الآن يتصدق الاوصاف هذه الدنيا عما كبين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالخطأ من قوم عدو لكم اي من صفات النفس وهو مؤمن اي هذه الصفة فدامت بانوار الروح القدسي وتوابعها من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة القلب محررة عن رق حب الدنيا وولاية لاهل الغفلة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس ومبتدعاتها قبول احكام الشرع ظاهرا وقول المحاربة مع القلب اوصافه فدية مسلمة على عاقلة الرحمة الى اهل تلك الصفة المقبولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربي وتحرير رقبة الروح بتصيرها محررة عن رق الكونين من ان يجدد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون زمامهم فلا تحرك تتحرون من ما سوى الله فصيام شهرين متتابعين اي بغلبة الاستغراق عن مشارب العالمين على التتابع والدوام مراقبا قلبه لا يبدله شيئا من الدنيا والاخرة مراعيا وقته فلو افطر بادنى شيء من المشارب كلها بسبب افطار الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله ثم قال قائلهم لقد صمت طرفي عن نهود سواكم وحقك لما اعتراه نواكم بعيد فوم جبن تبدلا هذا لهم وتبدلوا اهلا لقصب جهنم اكم توبة من الله جدته منه ومن قبل مؤمنا متعمدا اي النفس الكافرة اذا تلك قلبا سوسنا لعداوة الاصلية بينهما فيموتها احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفر عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيخوخة فتبينوا عن حال المريد في الرقي والقبول ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اي الصلح والاستسلام لست مؤمنا فان الضعيف اذا زين فكذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة وقيد الارادة من الله عليكم بصحبة المشايخ ومنوا لهم انكم ان الذين توفيهم الملائكة هم العوام الذين ظلموا انفسهم بترك سيرتها فيهم كنتم اي بغفلة كنتم تضيعوا اعماركم وتبطلوا استعداداتكم الفطرية في اي واد من اودية الهوى تهيمون وفي اي روضة من رياض الدنيا ترتعون الكتم تؤثرون الفاني على الباقي وتلتمسون الشراب لطهور والشاء مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة الهوى الم تكن ارض الله اي ارض القلب واسعة فتخرجوا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا تستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة العيال وضعف الحال ولا تهتدون سبيلا الى صاحب الاية وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون فهم المجاهدون الجهاد الاكبر قد مروا من بداية البشرية في طلب حضرة الربوبية بجذبة في ارض الانسانية مراغما كثيرا ومنازل مثل القلب والروح والسر والخفي في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعها ارضي ولا سمائي وانما يسعها قلب عبدي المؤمن فافهم يا بصير النظر كثير الفكر قليل العثرات الله اجل واكبر

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

وچون باشي تو با ايشان پس بپاداري مرايشان را نماز پس بايد بايستد گروهي از ايشان نماز با تو ودر نماز بايد كه فرا گيرند اسلحه خود را پس چون بسجود روند بايد كه

مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

از عقب شما و بيايد گروهي ديگر كه نماز نكرده اند پس نماز كنند با تو وفرا گيرند آلات حرب واسلحه خود را ودوست دارند كافران

لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ

گر بخبر باشيد شما از اسلحه خودتان و امتعه خود پس روا دارند برشما روا ورد يكمرتبه ودنيت باكي برشما اگر هست رنجي از باران

أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ

يا بيمار باشيد شما كه بگذاريد سلاحهاي خود را وبگيريد اسلحه خود را بدرستيكه كه خدا مهيا كرده از براي كافران عذابي خوار كننده پس چون تمام كرديد نماز را

فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا

پس ياد كنيد خدا را در حال قيام وقعود وبر پهلوهاي خود پس چون ايمن شديد پس برپاداريد نماز را بدرستيكه نماز

مؤنثا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
در زمان دست مشوید در جستن قوم اگر رنجیده ور سیده کان پس ایشان هم رنج دارند چنانچه شما رنج دارید و امید دارید از خدا آنچه
يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا
کامید ندارند و میشاید خدا دانای محکم کار بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه که نمود ترا خدا و مباش
ع ۱۳ للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
مر خیانت کنندگان را دشمن وطلب آمرزش کن خدا بدرستی که خدا میباشد آمرزنده مهربان وخصومت مکن ازبهر آنان که خیانت میکنند بنفسهای خود را
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما
بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا وحال آنکه او با ایشان است چون تدبیر کنند از آنچه
لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله
خوش آیند نیست از گفته و میباشد خدا بآنچه میکنند محیط هنیکشا اینکه و امید که خصومت کرد بدید از ایشان در زندگانی دنیا پس کیست که خصومت کند خدا را
عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
از ایشان در روز قیامت یا کیست برایشان کارگذار و هر که بکند بدی یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا یابد خدا را آمرزنده
رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما
مهربان و هر که کند گناهی پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و میباشد خدا دانای داور و هر که کند گناهی یا صغیره را
ع ۱۴ ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
پس نسبت دهد بآن بیچیزی پس تحقیق متحمل شده است بهتانی را و گناهی هویدا و اگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب
از ایشان که گمراه کنند تورا و از راه ببرند بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند تورا هیچ چیز و فرو فرستاد خدا بر تو کتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما القراءة عوا سلحتهم وامتعتكم عباس بجذف
و پیغمبری را و آموخت تو را آنچه را که نبودی دانای آن و میباشد فضل خدا بر تو بزرگ باختلاس اطمانینم و بابه بغیر همزة ابو عمرو و یزید
والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف بابا بالتشديد يزيد والثموني وحمزة في الوقف اوفون وذانكم وسلحهم لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى واحاذ اسلحتكم حذركم مهينا وعلى جنوبكم للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة لاحتمال فان وكان موقوتا القوم كما تالمون لاحتمال الواو
الاستيناف والحال لما لا يرجون حكيما الا لان ما بعده استيناف خصيما للعطف واستغفر الله رحيما لابه مع العطف تنفيط ابتغاء لاحتمال
الوصف من القول محيطا وكيلا رحيما على نفسه حكيما مبينا يضلوك من شيء تعلم عظيما التفسير قال ابو يوسف في الحسن وبه صلوة الخوف وكانت
خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله ثم واذا كنت فيهم وكان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف القياس جوزنا ذلك لحق النبي لفضيلة الصلوة
خلفه ينبغي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان امته الائمة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لما وجب كون
الرسول له مخصوصا بها دون امته ذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الاية عن
عباس قال الخرج رسول الله في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله الظهر فرادوه بركبهم ويجدوه واصحابه غارون وبعضهم لبعض كان هذا
فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تلوا عقوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاسعدوا حتى تغيروا
عليهم بها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى اخر الاية اخرج صلوة الخوف هو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي بهم الامام
وكعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبيدا الله ومجاهد وقال
الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم يذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم
مرة اخرى ركعتين كما فعل بالتي لبطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل فان الصلوة الثانية فاقلة للامام لا محالة وفي جواز
ذلك اختلاف بين العلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الا عند الركوع الركعة الاولى فاذا قام الى
الثانية حرست فرقة اما صف وفرقة من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة من الصف الثاني فاذا فرغ الامام منها بجذة الفرقة الحارسة
ولحقت بوجه امكنها واذا يجعل الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى عليه اولى فاذا فرغ
الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد فيسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا الخلاف عن الامام بادكان للمجاهدين وجه
بينهما واحتمل الحاجة الخوف ظهر العدو بمثله صلى رسول الله بعسفان واما ان لم يكن العدو في جهة القبلة او كانوا بجهة منهم شيء من انقطاع
المسلمين صلى الامام في الشاهد كما يصح والنافلة المفروضة بكل فرقة ركعة وذلك ان يجاوز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو

النساء

يصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفرد وأتمها وسلموا وانصرفوا الى مكان اخوانهم في الصف ويجيء الطائفة الاخرى فيصلي بهم الامام ركعة في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية وجلسوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح بن خوات عن سهل وقال ابو حنيفة وروي عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الصلوة وينصرفون الى وجه العدو تم يعود الطائفة الاولى فيقضون بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو تم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واذا الثانية فلم يدركوا اول الصلوة ويسبون بما يقضون كالمسبوق في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى بهذه الصلوة في وقتين مختلفين بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان ايهما افضل والاشد موافقة لظاهر الآية اي هذه الامام فقال الواحد وثلاث طائفة اخرى لم يصلوا بدل على ان الطائفة الاولى قد صلت معه اثنتان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تأتي في الاولى بعد الصلوة وما فرغوا منها واتجهوا حولها صلوا معه ظاهر بدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام وقال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجد وا تبتكم سوا من وراءكم بدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم تكون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من وراءكم لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية او بعض سجدوا واصلوا وهو لا يفيد اشكال ايهما الذي اختاره الشافعي احوط للامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون ولهذا منها ما في غيرها من زيادة الذهاب ورجوع وكثرة الانفعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن والانتظار الامام بالطائفة الثانية مرتين ان كانت الصلوة مغربا يصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية يصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يصلي بهم اربع فرق ان تمسنا الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع للشرع غير بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فصلى بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز ولكن كان اصحاب النبي لا يحبون ذلك بل يفضلون الجماعة ويثنون من يفضلها على غيرها من عبادة الله تعالى بينهم هكذا يجوز احداث الطائفتين بفضيلة التكبير مع الاخرى بفضيلة التسليم معنى الخطاب في قوله واذا كنت فيهم اي واذا كنت انت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم ومعنى قمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك وفضل بهم ولتأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فيأخذوا سلاحهم فالاستغناء عن الصلوة كالتسبب والجنح ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك ادنى الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم وكانه جعل الحذر والتيقظ الذي يستعملها الغازي فيه حاجزا لها لغير الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة واما امر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قد علم بتيقظ اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل بتيقظهم بتمامها للخبر واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من تركهم وسجودهم الاولين فربما يتهزمون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير فصار فرضا واحدا ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابه بلل المطر فيسود وبفسد حد نه وجد نه او ثقل على المرء اذا كان محموما وحين كان الوجل مرضا يثقل عليه حمل السلاح ولكنه اعاد الامر باخذ الحذر لئلا ان الغفلة عن كيد العدو لا يجوز بحال قال ابو علي الجبائي اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب ان ظهر الامر للوجوب ورخص في رفع الجناح عند العذر ينفي عن وجوب الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط لا يحمل سلاحا ثقيلا بحيث ان امكنه ولا يحمل الرمح الا فطر فوا الصف وبالجملة لا يتأذى بسلاحه احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي ان يأتي بصلوة الخوف على صفة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الامر دل على وجوب الحذر عند العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الامر للوجوب في العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا نقول انها اسباب لكون العبد قادرا على تحصيلها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه تعالى انما امرهم بالحذر لكون الكفار متحذرين وكان كما اخبر فاذا قضيتم الصلوة فقد قولان الاول فاذا فرغتم من صلوة الخوف فاطلبوا الله بالذكر في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب يجدد بكم الله واطلبوا الخشوع والتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا اتما ما امرتم به من المسابقة والمقارعة وبعود الجانبين على الركب حال شدتكم بالروح وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة فصلوا فاذا اديتم قضاء الصلوة فاعلم ان الآية مسبوقة بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد به فاذا صرتم مقيمين فاتموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون الغلبة فاتموا الصلوة التي كنتم تقصرونها من غير تغيير شيء من هيئاتها لان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة بأوقات لا يجوز اخراج جميعها عنها ولو في حالة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على المحارب حال المسابقة والمقارعة لاضطراب المعركة اذا حضر فيها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن وان قاتل الصلوة الخمس مشغولة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى بجر ان تكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار وهي زائدة على الثلث ولو كان الواجب ربعا لم يوجد لها وسطى فاذا هي خمس وسوف يجيء بيان الخوف الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

الطول الشعر وسنشرحها ان شاء الله تعالى فمنها قال المحققون ان للانسان عمرا يترتب من اول النمو الى تمام ستين الى سبعين سنة وهو الوقوف وهو ان ينتهي ذلك الشخص على صفة كما لم من غير زيادة ولا نقصان وستين الكهولة وتظهر فيها نقصان خفي في الانسان وستين الشيخوخة وتظهر فيها نقصانات جلية ومنها ان يموت في الهلاك واما المرتبة الخامسة فهي اثنان واثنان الى ان يتدرس ويتطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشعر اذا ظهر سلطانه من الشرف لا يزال يزداد ضياء الى الطلوع فيها يزداد نقاء عما شابه بعد شيبي الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الاختطاط وضعف النور والحمرة ثم يصير ظل كلبي مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير كظل كلبي مثليه ثم اذا مال الى ان يقرب من بيني آثارها في اواخر المغرب هو الشفق ثم يمحي حتى كان لم تغن بالامس فلم نجد فطنة فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا الله فلما وجدنا جميع الاشياء موافقة لاسنان الانسان فلهذا نعتنا ودللنا بالاسنان على المعبود الخوض جده ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال المعترض لهم بما يقتلهم ثم الرحمة الجنة بقوله ان تكونوا تألمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد وهم لا رجاء لهم بل يكون رجاء المعاقبة لهم اولى بالصبر على القتال الجنة منهم وتحمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم بعيدون من الالم العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه والهم يعبدون الاصنام التي لا حجر من حجر ولا اشر من بحيرة وهبري ان هذا في بدر الصغرى كان لهم جراح فنهوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما ابتدأ بحرقته الكلام وهو حديث المنافقين وبيان الاحكام المذكورة كلها بالوحي الله نعم وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم وضبان كفر الكافر لا يبيح المسامحة في النظر لان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم لله وعليه بما انزله نعم على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق واحد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمس الدرع عند طعمة فلم يوجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال فيها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم يفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وهمّ قوم ان يقطع يده فانزل الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا في الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين لانا طلعوا من الرسول على ضد الباطل لما خاف السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله ليس منقولا بالهمزة على وزنه البصر لان حكم الحادثة لا يدرك ببصر ولا بصر القلب لانه تقتضي ثلثة مفاعيل ليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد المحذوف فهو اذن يتعدى الى مفعولين معناه بما علمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولرأي منا ظن تكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه كان يحكم بالوحي المعروف لا باجتهاد اما كان جائزا له وحي يجب بكون حال الامة كذلك لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص لانه امر فيه بالنظر والعمل بغلبة الظن وكان حكم الصور المسكوت عنها مثل حكم الصور المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن لاجل ان اي جاهم زيد بن طعمة خصما محاصما واصله من الخصم بالضم والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو كان الرسول اذا ذكر خاصم لاجل الخائن وبذب الالم ما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوما من المسلمين اتوا النبي عليه السلام فشهدوا بالهودي هو يوسف فلما نظر الوحي لعله امر بالاستغفار لانه قال طبعه الى قبضه طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبرأ طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على صدق الحال لعله المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاجتناب كالخيانة يقال خانه واختانه وتخاون خائن نفسه لانه يجرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البناء ان على المبالغة والعصيان لطعمة ولكل من خان خيانة فلا يجادل عنه لان الله لا يحبه ابدا كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة ورد كوبا لا ثم ورد كوبا انه هرب الى مكة وانه نقب حائطا بمكة ليسرق اهلها فسقط الحائط عليه ففتلته ومن كانت تلك خاتمته امر لا يشك في خاله وقال العقلاء اذا عمرت من جل على ستين فاعلم انها الخوان ومن عمر اثنا سبعين فقد اتاه سبعات منكرة فجائتا ومن بلغ هذه اوان سرقته سرقة فاعف عنه فقال كذب ان الله لا يؤاخذ عبدا في اول سرقة في الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض التسخط من الله يستخفون من الناس حياء منهم وخوفا من مضرتهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون عنه لان الاستخفاء لا يتم الا استحيا وهو معهم بالعلم والقدرة وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصي اذا تبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي باليهودي بالدرع في دار زيد ليسرق وينفي عن نفسه وتبيتهم الليل هو مضغ في النفس قوله ليس منها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز او علمهم اجتمعوا في الليل وتشاوروا كيف يكتمون الكذب ثم كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعدان بينه هنا انتم هؤلاء كما للتنبيه انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم عنهم جملة موضحة للاولى كما قال المستخبر انت عالم بجودة بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم موصوفين كانوا

سورة النساء

يذنبون عن طمع ورغبة لانهم في الظاهر مسلمون المعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وغوصتم في الذب عنه فمن يجادل عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه ام تكون عليهم وكيلا فيدفعها عنهم وهذا استفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والمقصود بعد ذكر التوبة ومن يعمل سوءا ايضا منعطف بالسوء على غيره كالفعل على نقيضه والهاء في به كالخلف الكاذب فيما تحصن منتعدى الى الغير باسم السوء كان ايضا القصد الى الغير هو حاصل بجلاف الذي يعود وباله اليه علم ان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه لذلك باخلاف الاية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا وقتلا عمدا وغصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجدني الله غفورا رحيما اي لم يخلف هذا الرابط لان الكلام عليه لانه لا معنى للمن يجيب الاستغفار والا اذا كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعيد لتعطفه على الاستغفار والتوبة لبعد ان يجتمع العلم بما يكون ضررا عاجلا لفاعليه من ضرر والتوبة ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع ضرة ولذلك لم يجز وصف الباري تعالى بذلك والمفتعل منه يجيء لغلبة في الاستغفار وكانه قال لان الذنب الذي يذنبه انما يعود وباله وضرره اليك الى قاتي منه عن النفع والشر ولا ينافي من قبول التوبة وكان الله عليما بقبح الظلم حكيما يقبح حكمه ان يجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او كبيرة وقيل الخطيئة الذنب الفاسد على فاعله والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينفع فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم رمى به بريئا جعل المكسوب او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة قد تقع الذنب وبذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه يكسب الاثم ويرمي به بريئا فهو جامع بين الامرين فلا جرم يلحقه الزلم في النارين ولولا فضل الله عليك ورحمته واولا ما خصك الله به من الفضل وهو النبوة وبالرحمة لهمت طائفة منهم وهم بنو ظفر طائفة من الناس وهي الطائفة التي عرفت حالها في السرقة ان يضلوك عن القضاء الحق والحكم العدل فما يضلون الا انفسهم لان وبال ما يفعلون عليهم لانهم يسببون لعقابهم بشهادتهم بالزور والبهتان لان وبال ذلك عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما تحكم بظاهر الحال وما امرت الا بذلك والاحكام على الظواهر وهو وعد بالعصمة لما هموا به من الفتك به فكفاه الله شرهم وانزل عليه القرآن والسنة والحكمة اي ما امرك بتبليغ الشرائع الا لحكمة وهي ان يكلف الخلق بما يليق بحكمته ان لا يعتصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وعلى الاول يكون المراد انه اوجب الكتاب الحكمة ببناء احكام الشرع على الفهم فكيف يضرك بناء الامر عليه فكيف فعل بك ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين بنبه بعضهم على ان هذا يدل على ان الله تعالى علمه اشياء كثيرة حتى يقال انه علمه جميع ما لم يكن يعلم من اخبار الاولين بنبه بعضهم على ان هذا يدل على ان الله تعالى علمه اشياء كثيرة حتى يقال انه علمه جميع ما لم يكن يعلم من اخبار الاولين ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب الحكمة واطلعك على اسرارهما وافضل على ما كنت جاهلا به عالما بشيء منها الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من جمل المنافقين وجوه كيدهم ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسرها قليلا الثالث وقيل الصلوة صورة جذبة الحق ومعراج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوبا للعناية على الدوام وانما كنت بنهم تأمنت لهم الصلوة اي اردت امامتهم لهم لان النظر الى عباده كالصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء والمنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا ليعط طائفة من بقية القوم اسلحتهم من الطاعات والعبادات وما يعد النفس والشيطان فاذا سجدوا اي فرغوا من معك وتولوا مقامك الذي هو لاء القوم من ورائكم في البادية والمقام والمنابع يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيا وبه لحوائجكم الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في العشية فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو اداب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة ودا الذين كفروا لهم عدة النفس وصفاتها لو تغفلون عن اسلحتكم واركان شريعتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني لشغال الدنيا وضرورياتها حوائج الانسان يطرأ عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة والاركان بالكلية فتسقط عنكم الفريضة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او مرض ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراعاة الاحوال وحفظ القلب في حضور مع الله وخلو السر عن الالتفات بغير الله ورعاية التسليم والتفويض الى الله والاستمداد من هم اعاظم المتقين والاتقياء الى ولاية النبوة ان الله اعد بهذه الامة للكافرين من كفار النفس الشيطان عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم اذا كنتم في الاول على المؤمنين كتابا موقوتا موقتا الى الابد كالمنار البه بقولها ربنا ظلمنا انفسنا لك اي بابا من العلم الى الحدوث ليغفر لك الله بما فتح عليك مما تقدم في الاول من ذنبك ان لم نكن مصليا وما تأخر من ذنبك بان لا تكون مصليا ويتم نعمته عليك بان يصل سيرك الى علم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنى وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد يهديك صراطا مستقيما من الازل الى الابد ومن لا بداية الى لا نهاية ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بفناء النفس صفاتها فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله في العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفس الدنية لا تجاوز حضورها الدنية المجاورة الفانية بما اراك الله حين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهٖ مَا تَوَلّٰى وَنُصْلِهٖ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيْرًا ۝ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ

بعد ظاهر شد مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مومنان را باز گردانیم او را آنچه متولی شود و داخل کنیم او را در جهنم و بد جایگاهی هست بدرستی که خدا نیامرزد

اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ ۚ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۝ اِنْ يَّدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖٓ

که شرک آورده شود به میامرزد آنچه را که غیر از آن است مر آنرا که خواهد و هر که شرک آورد بخدا پس تحقیق که گمراهی دور

اِلَّآ اِنٰثًا ۚ وَاِنْ يَّدْعُوْنَ اِلَّا شَيْطٰنًا مَّرِيْدًا ۝ لَّعَنَهُ اللّٰهُ ۘ وَقَالَ لَاَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا مَّفْرُوْضًا ۝ وَّلَاُضِلَّنَّهُمْ

نمیخوانند غیر از خدا مگر مادهائی و نمیخوانند مگر شیطان متواتر کار را دور کرده او را خدا و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین سازم و هر آینه از راه برم ایشان

وَلَاُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ اٰذَانَ الْاَنْعَامِ وَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ ۭ وَمَنْ يَّتَّخِذِ الشَّيْطٰنَ وَلِيًّا مِّنْ دُوْنِ

و در آرزو دارم ایشان را و بفرمایم ایشان را تا ببرند گوشهای چارپایان را و بفرمایم ایشان را تا تغییر دهند آفریدهای خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر

اللّٰهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِيْنًا ۝ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيْهِمْ ۭ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ اِلَّا غُرُوْرًا ۝ اُولٰٓئِكَ مَاْوٰىهُمْ

خدا پس تحقیق زیان کرده است زیانی هویدا وعده دهد ایشان را و آرزو داند ایشان را و وعده ندهد ایشان را دیو مگر از روی فریب آنگروه جای ایشان در

جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُوْنَ عَنْهَا مَحِيْصًا ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا

جهنم است و نمییابند از جهنم نجاتی و آنان که گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که درآریم ایشان را در بهشتها که روان است زیر آن

الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا ۭ وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا ۭ وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيْلًا ۝ لَيْسَ بِاَمَانِيِّكُمْ وَلَآ اَمَانِيِّ اَهْلِ الْكِتٰبِ ۭ

جویها جاویدان در آن همیشه وعده بهشت خدا برقرار و کیست راستگوتر از خدا در گفتار نیست کار بآرزوی شما و نه بآرزوی اهل کتاب

مَنْ يَّعْمَلْ سُوْۗءًا يُّجْزَ بِهٖ ۙ وَلَا يَجِدْ لَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا ۝ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ مِنْ ذَكَرٍ

هر که کند بدی سزا داده شود بآن و نیابد برای خود غیر از خدا دوستی نه یاوری سزا و هر که کند از کردار شایسته از مرد

اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰۗىِٕكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُوْنَ نَقِيْرًا ۝ وَمَنْ اَحْسَنُ دِيْنًا مِّمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ

یا زن و حال آنکه او مومن باشد پس آنگروه داخل شوند در جهنم و ستم کرده نشوند مقدار شکاف هسته خرما و کیست نیکوتر دینش از آنکه تسلیم کند روی خود را

لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَّاتَّبَعَ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۭ وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا ۝ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۭ

از برای خدا او نیکوکار است و پیروی کرد ملت ابراهیم را که پاک و فراگرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است

وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًا ۝

القراءة بتنيه بالنباء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل النباقون بالنون نوله ونصله مثل بودة

و پیشه خدا بهر چیزی احاطه کننده

يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم حمزة المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد

الاخرون بالعكس ابو هشام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الموقون بين الناس عظيما جهنم شيئا لمن يشاء بعدا انانا الا بناء التي مع واو العطف مريدا لان ما بعده وصفه لعنه الله لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروض للعطف خلق

الله مبتكل لاصبرن بعدهم وصف اللخمان ويمنينهم عزوني محيصا ابدا حقا مثلا الكتاب بجزبه للعطف نصيبا بغير حنيفا خليلا وفي الارض

محيطا التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتمنون حيث يقولون ما لا يرضى من القول النحوي سر بين اثنين وكذا النجوى يقال نجوته نجوا اي سارزته

وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاثنان نزلت في تناجاه بعض قوم ذلك الشارق بعضا الا انها في المعنى عامة وقد

انه لا خير فيما يتناجى به الناس يخوضون فيه من الحديث الا من امر في محل من وجوه مبتدئه على معنى النجوى فان كان النجوى استثناء ان يكون من في موضع

النصب لانه استثناء النبي من خلاف جنسه كقولهم ما زادوهم الا زادوهم معناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وفي موضع الرفع كقولهم ما الا بعاقر الا بعلها

وابو عبيد جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقول الاخير في قيامهم الا قيام زيد اي في قيام زيد وعلى

هذا يكون الاستثناء من جملة ان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واسأل القرية ومن كثيرا ومن نجوى كان محله اما مجرور ان من كثير او منصوب كما لو قلت لا اخير في جماعتهم

من القوم الا نفيان ان شئت نفيان بدل الجماعة وان شئت نفيا بعد القوم وانما قال لا اخير في كثير مع انه يصدق الحكم كلها بدليل قوله كلام ابن آدم

كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه بالقلوب ليكون داخلا في الاعتراف به ولم يخرج عنه الخطأ والنسيان وما

استكرهوا عليه واعلم ان قول الخبر اما ان يتعلق بابطال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخبرات الجسمانية مثل الامر بالصدقة والانكاء

من الخبرات الروحانية بكمال القوة النظرية او العملية مثل الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الآية مشتملة على جوامع الخيرات

ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر فربما لا يقع في خبر القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كما لا يكون من زنى انكر الزنا

الناس بالبر وتنسون انفسكم ايم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله منون

وتنبيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يأمر فغير عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال والمراد بقوله من امر

من فعل لان الامر بالفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد نبين له بما اظهر الله من امره فادله على صخرة بنوة

مجملة فعادى الرسول الظاهر الخلاف واتدل على عقيبه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين وسبيلهم ومعنى تولية ما تولى يجعله والبناء لما اختاره لنفسه ونحمله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ بآية السيف لانه استيفاء فى حق المرتد الظاهر المراد به الطبع والخذلان وتصليه جهنم تلزمه اياها وساءت مصيرا انتصب مصيرا على التمييز من المضمر المبهم فى ساءت لانه يعود الى ما فى الذهن لا الى المذكور يحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فى كتاب الله ذاله على ان الاجماع حجة نفر القرآن ثلثمائة نفر فخر على وجهه الآية وجه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين مشاقة الرسول وترتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب تكملة الآية الرسول فى الآية دلالة على وجوب عصمة النبى وعلى وجوب الاقتداء بأقواله والاوجب المشاقة فى بعض من الامور وهى منهى عنها فى الكل قبل فى الآية دلالة على ان الاجماع لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا معنى لتبيين العلم لكن ترتب الوعيد على المخالفة بعد تبيين الدليل يكون تبيينا للدليل فيكون الدليل معتبرا فى صحة الدين وقول الموقوف على النظر هو معرفة وجوب النظر لذاته وصحة نبوة النبى والبواقى يكفى فى اعتقادها اخبار الصادق بعد دليل فلا حكم الاعن دليل ثم انه كرر فى السورة قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به للتأكيد ومثل لنفسه طعنا واشراكا بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا يضل من يعبد الصانع وحده ونبذ المطلوب بكل ما كان يخطر ببال من نفسه ابعد ثم ابعد ثم اوضح هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اى ما يعبدون من دونه الا اناثا اى اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى وقالوا انها بنات الله والعزى تأنيث الاعز قال الحسن لم يكن حى من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بنى فلان وبيوتها فزاده عائشة الا اوثانا وقراءة ابن عباس الا أثنا جمع وثن مثل اسد واسد الا ان الواو ابدلت همزة كأجوه وقيل المراد الاموات لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث تقول هذه الاحجار اعجبتنى كما تقول هذه المرأة اعجبتنى وكان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحى وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هن بنات الله وقيل ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا فى العصيان مجردا عن الطاعة بقال تمرد مرد اذا تجرد ومنه الامرد الذى لا لحية له لانه يتجرد عن الشعر قال المفسرون كان فى كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة بكلهم وقالت المعتزلة جعلت طاعتهم للشيطان عبادة له لانهم يجتنبون هو الذى اغراهم على عبادتها فاظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصف بقوله لعنه الله وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اى شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع هو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال المراد بلعنة الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم اثبت اللص اى لا تعلمنا ان نستحقه بر ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا اى جزءا مفروضا لنفسى واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانها قاطع الاعذار وقد فرضتهم لهن فريضة جعلتهم لهن قطعة من المال من فرضت الجدى ذرته المقطوع المعين من الحيوان كل الفرض تسعمائة وتسعة وتسعين وذلك لما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك قال اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث فههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر اما اذا ضم الملائكة اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا وكأصنامهم يعنى عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثانى ان الاضلال ليس عبادة عن خلق الكفر فى الضال فان الشيطان بالاتفاق لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة علينا ان كلامه فى هذه المسئلة مضطرب جدا فانه يميل الى القدر المحض وهو قوله لاغوينهم اجمعين واحيانا الى الجبر المحض كقوله بما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال وانتظام الاحوال فلا يكاد يفهم على التوثير والاقبال على شهوة زاد الاخرة حتى يصير قلبه كالجحار او اشد منه وكأمرهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اى صارم والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن عناها الخامس كراهة ان يقع عليها انتفاعهم بها وسيموها بالحرم وقال بعضهم كانوا يقطعون آذان الانعام تسكا فى عبادة الاوثان منهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه تغيير لخلق الله وقيل فليبتكن صيغة غائبين والكلام لجواب القسم اخرى فوالله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت الواو لالتقاء الساكنين واكتفاء بالضمة والتاء للتشبيب الاذان بلادنم ما يتلوها وما بعدها والجملة كالتفسير لقوله وكلامهم وشبه فى الاعراض قولهم فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير ما المعنوى وانما الحسى من الاول قول سعيد بن المسيب بعتيق جبير الحسن والضحاك ومجاهد التخنث وفساده والسكة التغيير دين الله بتبديل الحرام حلالا وبالعكس وبابطال الاستعداد الفطرى فطرة الله التى فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن اثناث قال الحسن المراد فاركوا ابن مسعود عن النبى لعن الله الواشمات والواشرات المتنمصات وذلك ان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا اما وشم اليد فهو ان يعزها بالابرة ثم يذر عليها البنل او النورة حتى يخضر او يزرق واما النمص فهو نتف شعر الحاجب وغيرها وقال النضر بن شميل هو شبيه بالعكر وهو صالح لتغيير خلق الله هو الخصاء وقطع الاذان وقيل العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مكروه عند عامة العلماء واما فى بنى آدم فمحظور وعند ابى حنيفة يكره الخصاء وامساكهم واستخدامهم لانا لرغبة فيهم دعوا الى خصائهم وقال ابن يد هو التخنث وتشبه الذكر بالانثى وعلى هذا لا يبعد ان يدخل فى الآية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق

الثمرة لغرض مستحبين للناس ينتفعون بها فعبثا خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان امما يكون على ثلثة اوجه النشوز والنقصان والبطلان فادعى الشيطان لعنه الله فناء اكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله لامنينهم وهو الضرر من جانب النشوز لان صاحب الامنية ينشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوصايل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الراي ضعيف العزم في طلب الاخرة لقوله وكلامرهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن استعداد ابديته فلا يزال يتمنى ويريد ويكون الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الاخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امر الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته اشرف المطالب بسبب اشتغاله باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول للشخص انه سيطول عمره ويتهنا بالدنيا مغتبطا ويشتغل على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما بقيت لي كما بقيت لغيري ما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال ماموله على احسن الوجوه فلا بد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان اللذات اشهى كان الالف معه اشد وابقى كانت مفارقته الم وابكى وابقى لعل الشيطان يعدهم انه لا نهاية ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب يجب ان يهتدوا في سبيل فناء اللذات العاجلة وغفلوا عن فرصة الجنوح الزايلة فلذلك قيل اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا وقيل معنيان احدهما لا يبغون عنها حولا من دورها والثاني الخلود بمعنى الدوام للكفار واوطول المكث للعصاة ثم اردف الوعيد بالوعد على سنة المعهودة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لولا ان الخلود والدوام لزم التكرار في قوله خالدين فيها ابدا مفيد للتاييد وعدا الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعدهم ثم مضمونه هو مضمون وعدا الله واما حقا مضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون مضمونا فهما متغايران تغاير الجنس النوع ومن اصدق من الله قيلا تاكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفي هذا التاكيد ثلث معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء اماانيه الفارغة والتنبيه على ان قول الصادقين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه وافضل مصدقا قال قولا وعن ابن السكيت ان الفيل والقال اسما لاحاديث تقع في الخير والشر وقيل القال في الشر والقيل في الخير وقال محمد بن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التوراة والانجيل واهل القرآن كل صنف بقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب الى قال مسروق وقتاده احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم بنبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون بل نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم ايضا الله عز اسمه المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وهو قوله ومن احسن دينا الاية وقيل الخطاب في اماانيكم للمسلمين واما انيتهم ان لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان عشرنا لكنهم يصفون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واما انيتهم ان يغفر لهم وان لم يكتبوا الكبائر واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك اماانيهم وقالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس ضمير يعود الى بعض ما دل عليه امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وقد ان قوما يتمنون المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور ومن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا من هنا استدلت المعتزلة بالاية على القطع بوعيد الفساق وبنفي الشفاعة واجيبوا بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر لا انه مخصوص حتى المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤهم الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روى انه لما نزلت الاية قال ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الاية فقال غفر الله لك الا تكرث الست تمرض الست يصيبك اللاواء فهو ما يجزون عن عايشة ان رجلا قرا هذه الاية فقال اجزي بكل ما عمل لقد هلكنا فبلغ النبي كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية لنا شيئا فقال اما تسرون انا نرى اخانا لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي يشاكها في قدمه سلمنا ان الجزاء ما تصل اليه الاخرة لكن روي عن ابن عباس لما نزلت الاية شق على المسلمين وقالوا يا رسول الله وايانا لم يعمل سوءا كيف الجزاء فقال امرتم وعدل على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية واحدة عفو بواحدة فمن جوزي بالسيئة فقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات وقيل لئن غلب احاده اعشاره وايهة المؤمن الله اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو من المؤمنين قد يعمل الصالحات ويوجب القطع بانه يدخل الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن واجيب بمنع قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واحدى بنفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة المذنبة والانبياء باذن الله صدقا انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اذ قد يعمل بعض الصالحات كلا لا يستمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه لاجمار لا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في قوله من ذكر او انثى بيان الابهام وفي بعمل الضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكر عند الفريقين يغني عن ذكره عند الاخر والمسيء مستغن عن هذا الفيد فمن المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه وانما نقصان الفضل في الثواب كان محتملا زيد للدلالة

الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبيّن الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد لله واليه
الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد
الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والبراءة
من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا عليه السلام انما دعا الخلق الى ما يشبه
دين ابيه ابراهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن
الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرفه بقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم
من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه
في خلال قلبه ولما اطلع الله تعالى ابراهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس
وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته
الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلة عباده عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال تخلقوا باخلاق الله
فلما بلغ ابراهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل
فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما امر به ونهي عنه فكانه سايره ووافق اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل
اسباب النزول فعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابزى دخل ابراهيم فجاءه فرأى ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابراهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم فقال له ملك الموت
ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابراهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب
الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة
فقال الخليل لو كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريده للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا ببطحاء
فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا لنستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة
فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى تكون فامرت الخبازين
فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله
فيومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك
مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود
امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابراهيم
في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال
جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي قلت وقد ذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالانوار
القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا لله ولا يسكن الا لله فهذا الشخص
يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله دخلت وتخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن عليه لمثل
ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا للحاجة اليه ولا لاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان فهو تعالى مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا
تحت ملكه وملكه وهذا ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم اسلمت لرب العالمين
وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول
بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بجودته يدل على القدرة وبما فيه من الاحكام
والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني وقال بعضهم الاحاطة ابقيت ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها ولا يلزم التكرار لان الاول لا يفيد الا انه مالك لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان فرضت خارج السموات
والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه وابداعه التاويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى الا الالهام من امر
بالخيرات وهو الله بالوحي او بالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بالهداية يتبع الهوى و
تسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك
به ولو كان معفوا لم يشرك بالله لان فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات بهيمية ولهذا

الشيطان وان يدعوا الا شيطانا مريدا هي الدنيا كما قال ان هي الا حياتنا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والمتعلم لغرضها لعنهم الله وكل
للنار وكا ضليتهم لكبعدهم الله فانه نهرت وليس اليه من الضلالة شيء كما قال بعثت مبلغا وليس الى من الهداية شيء وعدا الله حقا وموفوه هو كما الى الجنة وكا
اماني لكن اماني تعني عوام الخلق الذين يمنون وكا يتمنون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وكا اماني اهل الكتاب
علماء السوء الذين يغرقون العوام بالرجاء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس يمنى يمنعه من غيره ان ينتفع في عدة من غيره ان يتمنى بعمله
من يعمل سوءا يجز به في الحال باظهار الذين على مرآة قلبه كما قال ما اذنب عبد ذنبا فنكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد فلا يجد له من هو دون الله وليا
يجهه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة وكا نصير يبصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من قلب ذكر نفس او من قلب انثى نفس من محمد صلى الله عليه وسلم متوجه
ووجهه وقلبه نفسه شيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن اسلام نفسه يهول يوم القيامة امتي حين يهول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يمحضه من اهل
المشاهدة بعبد الله كانه يراه بل يراه وكا نرا حسن الدين حنفا العظيم الى ان بلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذ ابراهيم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
قيل لمجنون بن عامر لما اسمك قال ليلى وقيل لمحمد ما اسمك قال الحبيب كان محمد حبيبا خليلا اي فقيرا من الحلة الحاجة لانه افتقر الى الكلية الى الله في كل احواله
والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب الخليل اتخذ الاله عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين واتخذ نفسه عدوا لله وقال لبث ربه يحلم فيحلم فيحلم محمدا
وهذا مقام الفناء في الفناء بل البقاء بعد ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك
الفناء فلا يوم يهول بالرب عن الرب وفتوى يمحوها هذه

ع ١ في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
درباره زنان بگو خدا فتوى ميدهد شما را در ايشان و آنچه خوانده ميشود بر شما در قرآن در باره يتيمان از زنان ان زنانيكه ندا داده نشده ايشانرا آنچه واجب شده
لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
براى ايشان و ميخواهيد كه نكاح كنيد ايشانرا و ناتوانان از اطفال و آنكه هستند كه بپاداريد براى يتيمان بعدالت و آنچه بجاى آريد از خوبى
فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
پس بدرستى كه خدا ايشان را داناست و اگر زنى بترسد از شوهرش بلند پروازى يا روگردانيدنى پس نيست باكى بر ايشان كه اصلاح كنند در ميان خود صلحى
والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا
وصلح بهتر است و حاضر كرده شده شد نفسها را بخل كردن و اگر نيكى كنيد و پرهيزيد پس بدرستى كه خدا بآنچه ميكنيد باخبر است و هرگز نتوانيد
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا
كه عدالت كنيد در ميان زنان و هرچند حريص باشيد پس و مگرديد كه ميل كنيد بسوى يكى از ايشان پس واگذاريد زن را مانند آويخته و اگر در ميان ايشان اصلاح كنيد و پرهيزيد
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
پس بدرستى كه خدا آمرزنده مهربان است و اگر از همديگر جدا شوند بى نياز كرداند خدا هر يكرا از وسعت خود و هست خدا وسعت دهنده حكمت دار
ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان
و مر خداراست هر چه در آسمانها و آنچه در زمين است و بتحقيق كه وصيت كرديم آنانرا كه داده شدند كتاب را از پيش شما و شمارا كه
اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله
بپرهيزيد خدارا و اگر كافر شويد پس بدرستيكه مر خداراست آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمين است و هست خدا بى نياز ستوده و مر خداراست
ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت
آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمين است و بس است بخدا كارگذار اگر بخواهد ببرد شما را اى زمره مردمان و بيارد
باخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
ديگرانرا و هست خدا بر اين توانا هر كه بخواهد بهره دنيا پس نزد خداست بهره دنيا و آخرت
ع ٢ وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
و هست خدا شنونده بينا اى زمره آنانكه ايمان آورده ايد بپاشيد بپاداريد بعدالت گواهان از براى خدا اگرچه بر ضرر خودتان
او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان
يا پدر و مادر و خويشان اگر باشد دولتمند يا فقير پس خدا سزاوارتر است بايشان پس پيروى مكنيد خواهش را كه عدالت نكنيد و اگر
تلوا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب
زبان پيچيد يا اعراض كنيد پس بدرستيكه خدا بآنچه ميكنيد باخبر است اى كروه آنانكه ايمان آورده ايد بخدا و برسول او قرآن
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
كه فرو فرستاده بر پيغمبر او و كتابى كه فرو فرستاده پيش ازين و هر كه كافر شود بخدا و فرشتگان او و كتابهاى او و پيغمبران او را

وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا ثُمَّ اٰمَنُوْا ثُمَّ كَفَرُوْا ثُمَّ ازْدَادُوْا كُفْرًا

روز واپسین پس تحقیق که گمراه شده است گمراهی دوری بدرستی که آنانی که ایمان آوردند پس کافر شدند باز ایمان آوردند پس کافر شدند پس افزودند در کفر

لَّمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيْلًا ۝ بَشِّرِ الْمُنٰفِقِيْنَ بِاَنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا ۝ الَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ

نیست خدا که بیامرزد آنها را و نه اینکه بنماید شان راهی بشارت ده منافقان را باینکه مر آنهاست عذاب دردناک آنان که فرا گیرند

الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَيَبْتَغُوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيْعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ

کافران را دوستان از غیر مؤمنان آیا خواهش میکنند نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خداراست همه وبتحقیق فرستاد

عَلَيْكُمْ فِى الْكِتٰبِ اَنْ اِذَا سَمِعْتُمْ اٰيٰتِ اللّٰهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَاُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوْا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا

بر شما در کتاب که اگر شنیدید که آیات خدارا کافر شوند بان و مسخره کنند مان پس مشینید با ایشان تا فرو روند

فِىْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖٓ اِنَّكُمْ اِذًا مِّثْلُهُمْ اِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكٰفِرِيْنَ فِىْ جَهَنَّمَ جَمِيْعًا ۝ الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُوْنَ

در حدیثی غیر آن بدرستیکه شما آنگاه مانند باشید بدرستیکه خدا گردآورنده منافقان و کافران در جهنم همه آنان که انتظار کشند

بِكُمْ فَاِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّٰهِ قَالُوْٓا اَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَاِنْ كَانَ لِلْكٰفِرِيْنَ نَصِيْبٌ قَالُوْٓا اَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

بشما پس اگر بعد برسد شما را گشایشی از جانب خدا گویند آیا نبودیم با شما و اگر بهره باشد مر کافران را بهره گویند آیا نه دست یافتیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۭ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۭ وَلَنْ يَّجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكٰفِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًا ۝

ومنع میکردیم شما را از مؤمنان پس خدا حکم کند در میان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مؤمنان راهی

القراءة بضم الاصلاح غاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون بفتحها والخاء من المصلحين وادغام التاء في الصاد ان تشاحبث كان بغير هبل الاعشى واوهنه وورش

من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف ان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون كلاهما على ما علم ليتم ما علم من التنزيل والاثر الا قل ذلك مثلا مبتدأ

عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوتوءد النساء نهين للعطف على الله والمسلوا بفتحكم الولدان للعطف بثم اي في بناءي النساء وفي المستضعفين

وفي ليتموا بالنصب على اضمار ان بعد حتى وبالجزم على كي لا يتموا ومافي الارض كلا باجزين بالهمز والاخرون بغير همز

والاجزين لابتداء الشرط مع انتفاء المعنى ان هذا والذلك جزاء من قبل بعيدا سبيلا الا الذين صفة المنافقين وان كان يحمل النصب والرفع على

الذم المؤمنين جميعا غير لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لان ما بعده صفة المنافقين لكم كالابتداء والشرط مع انه بيان لما نص معكم لترجيح جانب

العطف وانما بنيا النفاق في يضيف لان قالوا جواب ان المؤمنين القيمة احسن الغير نبيان اللايقة بالمدعوة الى الذين الخوف والبعث على ترك

التكاليف هو ما عليه القرآن من اقتران الوعد بها بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب فصم الايات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء

طلب الفتوى يقال استفتيته فافتاني كذا ونبيا وتنوى فيها اسمان بوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من العلم وهو الشباب الذي

قوي وكمل كانه قوي ببنائه فيها اشكل فيه وصار نبيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء انما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا في تعيينها

انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في نوع منهم وقيل انها في الاوصياء ومعنى

ان تكون عند الرجل فان كانت حملا ومال اليها تزوج بها واكل مالها وان كانت بنتا منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله ما يتلى عليكم في يتامى النساء

احد هذا انه رفع بالابتداء معطوف على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر

في يفتيكم وجاز بلا تاكيد لما فصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى البنائي كقولك اعجبني زيد وكرمه وذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى

كما سلف او السورة جعل لالة الكتاب على هذا الحكم انشاء من الكتاب تارة بانها وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب

اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الايات وان المحل لها ويقتضيها من غاية حقوق البنائي ظالم منها وان بنا عظم الله ونظم في تعظيم القرآن قوله وانه

في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وتا لتها انها مجرور على القسم لمعنى التعظيم ايضا كانه قيل قال الله يفتيكم فيهن وحق المتلو وايهما ان يكون مجرورا على

معطوف على الجر وفي فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا لعدم اعادة الخافض ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتي الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء

انما يكون في المسائل وقوله في بنائي النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن او بدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة

في بنائي النساء قال الكوفيون هذا اضافة الصفة الى الموصوف واصله في النساء البنائي وقال البصريون هذا على ما اول جرد فطبقة وسمي عامة وجوز

بعضهم ان يكون المراد بالنساء انهات البنائي كما في قصة ام كحذر معنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انهن كن

في بنائي الصغار وما لا يرغب فيه من اكبت لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا بحمل الشهوة والنقص اي ترغبون ان تنكحوهن

لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة وردوا باحتمال ان يكون المراد ترغبون ان تنكحوهن

اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة وبعث معها الى المنزل فجاؤا الى الرسول فقال فانها

انا عنها ووصى ابيها فقال الفتح انما صغيرة وانها لا ترغب الا بانها وفرق بينهما وبين ابن عمر لانه لبنى الابناء اكثر من بنى عمومة الاولياء فى نكاح البنت وذلك لا يدل على الجواز والمستضعفين من اولى الذين نزلت فى ميراثهما الصغار والخطاب ان تقوموا للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم قبل وبجوز ان يكون وان تقوموا منصوبا اى بامركم ان تقوموا ومن جملة ما امرهم الله تعالى به فيهم بره فى النساء الكن لم يتقدم ذكره فوله وان امرأة خافت نفاع المرأة بفعل بفتحه خافت اى علمت وقيل ظنت والظن انسب على معناه الا صلى الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول الرجل لامرأته انك فى شهر او سنة ترانى اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه بتبع نشوز الرجل ان يعرض عنها ويهجرها ويترك مجامعتها وسبى عشرها عن عائشة انها نزلت فى المرأة تكون عند الرجل فيريد الرجل ان يستبدل بها غيرها فتقول امسكنى واترج بغيرى وانت فى حل من النفقة والقسم كما تعلت سودة بنت زمعة حين كبرت ان يفارقها رسول الله وعرف مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسم او عن بعضها او على ان تخفف عنه بعض النفقة فان هذه الامور هى التى تفعل المرأة عادة طلبا لها من الزوج شبه ام ابى اما الوطى فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطى والصلح خير من الفرقة ومن النشوز والاعراض فالام للعهد او هو خير من الخصومة فى كل شئ فالام للاستغراق وبه يمتنك اصحابنا فى تجويز فدية فى جواز الصلح على الانكار والصلح خير من الخيران كما ان الخصومة شر من الشر ود والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا ترى اعراض مؤكد المطلوب محصل المخصوص والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا يسأل الامر مطركثير جعلا الشح كالامر الحاضر المنعوس لا هنا جيلت على ذلك ثم يحمل ان يكون هذا اغراء لها بالمرأة اى الشح يبذل نصيبها او حقها او بالزوج انه شح بانه ينقضى عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا فى الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كالاحسان منه فكذلك منه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وختم هذه الخصوصة راسا فقال وان تحسنوا اى بالافادة على نسائكم وان تكرهوهن واجتنبتم عن ترك النشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه بحذر عن الظلم وقيل الغير هما ان يحسنوا فى المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحدة منهما بحكى ان عمران بن حطان الخارجى كان من ادم بنى ادم وامرأته من اجملهم فاجاء النهر وما نظرها فى وجهها ثم قال الحمد لله فقال قائل فقال ما ذلك فقال حمدت الله على اتى واياك من اهل الجنة الا ان نفسك مثلى فتكون وزوجك مثل فضربت ولن تستطيعوا ان تعدلوا الن تقدروا على التسوية بين النساء فى قبل الجماع وكونه ضخما واذا لم تقدروا عليها بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين بهذا فنفى هذا سبب هذه المغفرة من ان تكليفها الا بطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا كل الميل اى لا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها ونفقتها وسائر حقوقها وخطوظها من غير رضاها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على فراش غير ذات بعل ولا مطلقة والغرض النهى عن الميل الكلى مع جواز التفاوت فى العدل الكلى فتائج الميل القليلى واما الميل القليلى فمعفو بالكلية وبالبعض كان القلب ليس فى قدرة الانسان واما هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عز اسمه كان يقسم بين نسائه ويعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تاخذنى فيما تملك ولا املك يعنى المحبة لان عائشة كانت احب اليه منهن وكان له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه ماثل وان تصلحوا ما مضى من ظلمكم ونذاركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يعن الله كلا من زوجه وعيشه اهنا من عيشته وسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا من الرزق والفضل والرحمة والعلم اى كمال يغنى هذا الطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ فالكلى فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف او تسريحها باحسان ثم قال لله ما فى السموات وما فى الارض وهو كالتفسير لسعة ملكه وصلكه وبيان لذى امر به من العدل والاحسان الى النساء والتشوا لبس لبحر او تقفا وا غنا بعضهم بفائدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن لدربه وغناه ثم بين ان الامر بتقوى الله شرع قبلهم لعلهم نبهوا ونبه بذلك ان استغنائه تعالى بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اى جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقولنا انا كم عطف على الذين ومعنى ان تتقوا ان يكون ان المفسرة لان التوصية فيها معنى القول اى ان تكفروا عطف على اتقوا اى امرناهم وامرناكم بالتقوى قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا فى خلقه غير معصى يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض كفى به غنيا عن عبادتكم وغيرها من موجوداته وبعبده ويشهد له ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا فى قائم وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض تاكيدا وكفى بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى ونوكيلا الاستغناء عن طاعات المطيعين وستنا ثلة لمذنبين ثم نادى فى هذا المعنى بقوله ان يشا يذهبكم بعتنكم ايها الناس ويات باخرين بوجد خلقا اخرين غيركم او من جنس الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك لا يزال كذلك وفى الاية من التخويف والتهديد والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب كله عذاب الجنة من العرب والمراد باخرين ناس هو الذين رضى الله ما نزلت فيهم سهلان وقال النخعى هم اهل هذا البناء فارس ثم ترغب الانسان فيما عند الله من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة فعنده ان يطلب الاخس والفانى معه ان اذا طلب الاشرف بعمل الاخس فالتقدير عند الله ثواب الدنيا والاخرة لمن اراده لفضل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال الجاهلين بصيرا بطالبها

بان تتقوا الله فضل الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالتقدم والتاخير

بصيرة بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم بيّن أن كمال سعادة الإنسان في أن يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن الجور شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجهه ولأجل مرضاته كما أمرتم بإقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالا على أنفسكم أو الوالدين والأقربين لأن ما يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره وفي كلام الحكماء إذا كان الكذب ينجي فالصدق أنجى والمراد
الإقرار على نفسه كأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها وأن يقول أشهد أن لفلان علي أو على والدي كذا أو على أقاربي كذا وإنما قدم الأمر بالقيام بالقسط على
الأمر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لأن شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية قوانين العدل في تلك المخلوقات فالأول مقدم على الثاني وأما في حق العباد فالعدل مقدم على الشهادة فتقدم الشرط
على المشروط إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني أو ترحما على الفقير فالله أولى بأمورهما ومصالحهما وكان حق التسوية
أن لو قيل فالله أولى به أي بأحدهما إلا أنه ثنى الضمير ليعود إلى الجنسين كأنه قيل فالله أولى بجنسي الفقير والغني أي بالأغنياء والفقراء أو بالنظر لهما
وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم إلى النبي ﷺ غني وفقير وكان ميله إلى الفقير يرى أن الفقير لا يظلم
الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فأنزل الآية وقوله أن تعدلوا يحتمل أن يكون من العدل ومن العدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
أن تعدلوا بين الناس وإرادة أن تعدلوا عن الحق واحتمال الآخر هو أن يراد اتركوا الهوى لأجل أن تعدلوا أي حتى تتصفوا بصفة العدالة لأن العدالة
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك أحد النقيضين فقد حصل له الآخر وإن تلووا أو تلوا من لوى يلوي إذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى
وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم أو إن وليتم إقامة الشهادة أو تركتموها واعلم أن الإنسان
لا يكون قائما بالقسط إلا إذا كان راسخ القدم في الإيمان فلهذا أردفه بما ذكر بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالأمر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الأول يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل أي دوموا على الإيمان واثبتوا الثاني يا أيها الذين آمنوا
تقليدا آمنوا استدلالا الثالث يا أيها الذين آمنوا استدلالا إجماليا آمنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا أيها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بأن كنه الله تعالى وعظمته وكذلك أحوال الملائكة وأسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي إليها عقولكم الخامس قال الكلبي إن عبد الله بن سلام وأسدا
وأسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب قالوا يا رسول الله ﷺ إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فأنزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل إن المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والإنجيل
آمنوا بمحمد ﷺ والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لأن طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وأنه حاصل في الكل أو الخطاب لليهود والنصارى
أو يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون أو يا أيها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي أنزل من قبل
جنسه فإن قيل لم ذكر في مراتب الإيمان أمورا ثلاثة الإيمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر أمورا خمسة أجيب بأن الإيمان بالثلاثة يلزم الإيمان
بالملائكة وباليوم الآخر لكنه ربما ادعى الإنسان أنه يؤمن بالثلاثة ثم إنه ينكر الملائكة واليوم الآخر لتأويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على أن منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فإن قيل لم قدم في مراتب الإيمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الأمر الجواب أن الكتب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق إلى الخلق وأما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب وبوجه آخر الرسول الأول هو نبينا محمد ﷺ والرسل عام لم يعم
فلما خص ذكره أولا للتشريف جعل ذكره تاليا لذكر الله لمزيد التشريف ولبيان أفضليته ثم لما رغب في الإيمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الإيمان فقال إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الإيمان مرات وأطوارا فالانتقال
وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتحيرهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد ﷺ وقيل هم المنافقون أظهروا الإسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من أهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الإيمان تارة والكفر أخرى على ما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم إنهم بالغوا في ذلك وازدادوا إلى حد الاستهزاء والسخرية بالإسلام وفي الآية دلالة على أنه قد يحصل الكفر بعد الإيمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي أن شرط صحة الإسلام أن يموت الشخص على الإسلام وقد يجيبون عن ذلك بأنا نحمل الإيمان على إظهار الإيمان وفيها أن الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب أن يكون الإيمان كذلك لأنهما ضدان متنافيان فإذا قبل أحدهما التفاوت فكذا الآخر وكيف يزداد كفرهم من وجوه أحدها أنهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب ذنوب أصابوها حال كفرهم وعلى هذا فإصابة الطاعات وقت الإيمان يكون زيادة الإيمان وثالثها استهزاؤهم بالدين أما قوله تعالى
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اللام بعد نفي التأكيد هذا لا يليق بالموضع لأن اللائق به تأكيد النفي بأن نفي التأكيد إذا ذكر على سبيل التهكم أفاد تأكيد
النفي ثم أورد عليه أن الكفر قبل التوبة غير مغفور على الإطلاق فيتضح الشرائط المذكورة في الآية وبعد التوبة مغفور ولو بعد ألف مرة فكيف يصح
النفي وأجيب بأن اللام في الذين للعهد والمراد قوم علم الله منهم أنهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم إخبار عن موتهم
على الكفر أو اللام للاستغراق في نوع الكلام على الغالب المعتاد وهو أن من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإيمان في قلبه

رفع واحتشام فالظاهر من حالهم انهم يموتون على الكفر فليس المراد انهم لو اتوا بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كالقاصد
يثوب ثم يرجع ثم يثوب ثم يرجع فانه لا يرجع منه البتة والغالب انه يموت على الفسق ولا يهديهم سبيلا اى الى الايمان عند الاشارة وعند الغيرة
الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف فيئسنا من ايمانهم بحسب ما علمنا من حالهم ويتبعون عندهم الغيرة كان المنافقون يوادون
اليهود اعتقادا وانهم ان مرمحمد لا يذهب بيوتهم ويحصل لهم مرض وغلبة محبب الله اليهم بقوله فان العزة لله جميعا وغزة الله بستلزم غزة الرسول
والمؤمنين كقوله وتله العزة ولرسوله وللمؤمنين وجميعا حال من العزة اى مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا يمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
فيستهزؤن به وبمن اظهرهم المسلمون ولا يدعون لهم بالانكار عليهم ظاهرا فنزلت اذا رأيت الذين يخوضون في ايتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وكانوا جيرانا لليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمجالسهم بعض المنافقين فنزل الله تعالى في هؤلاء المنافقين فقد نزل عليكم في الكتاب يعني بمكة
الانعام ان اذا سمعتم ايات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى انه اذا سمعتم ايات الله حال كونها يكفر بها ويستهزء بها وقال الكسائي المعنى
اذا سمعتم الكفر بايات الله ويستهزأ بها والاستهزاء بها ولكن ارفع بفعل التسامع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع
على الايات ممكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم ايها المنافقون اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر وان ههنا ما صلة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل اى اذن تكونون مثلهم وافرد مثلهم لان الخطاب في معنى المصدر كانوا من قبل مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم والمعنى انكم
المسلمون بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكمكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبارهم اليهود الخائضين كان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة في اول
ضعف الاسلام ولم يرد النهي عن مجالسة هؤلاء المنافقين كانت في وقت الاخبتا وقوة الاسلام وبعد وعدوا النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي
بالكفر فهو كافر وان لم يعمل بمقتضاه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بدلا لان يكفر بها ويستهزأ بها واذا جامع التنوين
لانه بعد ذا جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا كذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم
القيمة ومثل قوله المرجع من احبار اليهود يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يحل لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهر على اليهود قالوا الم نكن معكم
فاظهروا لنا ما في انفسكم وان كان للكافرين اى لليهود نصيب سيلا ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق الشديد والاستحواذ
الغلبة وهذا جاء بالواو وعلى اصله كما جاء استروح واستصوب في الاية وجها الا قال الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم يفعل شيئا من ذلك و
نمنعكم من المؤمنين ان بتطناهم عنكم فنحن اصلنا لنا اصلنا اصلنا الثاني ان اولئك الكفار كانوا قد هموا بالتحول في الاسلام ثم ان المنافقين قررهم
واطمعوهم انه شبه ضعف محمد ويقوى امركم فالمراد انا غلبنا كم على رايكم في التحول في الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى فصل الحكم فادفعوا
الينا نصيبا ما وحظنا وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تنبيه للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشان الكافرين وتوهين
لامرهم وكان ظفر المسلمين امرا عظيما يفتح له ابواب السماء حين نزل على اولياء الله وظفر الكافر بحظ دنيئ ينقضي ولا يبقى منه الا اللوم في الدنيا والعقاب
في الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اى بين المؤمن والمنافق والغرض انه يقال ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس المراد في الدنيا ولكن بالحجة اى حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وهذا
عام في الكل والشافعي بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم ولحقه الى دار الحرب لم يملكه بدليل انه لو اشترى هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له
ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله تعالم التاويل النفس للروح كالمرة للزوج وبنات النفس صفات النقوص وما كتب لها
اوجب الله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها قال ابن الاشاذ بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح قال الزوج
يشح بزلتك حقوق الله والنفس تشح بحظوظها فلا تمنعوا كل الميل فترفض حقوق النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان
تتقوا اى الزوج والنفس الزوج بحتنب بجذبه روح نفسك تعالى ابتغ عن الله في عالم هويته فيستغني عزمركب النفس بالوصول الى المفصود والنفس
بجذبه عن الروح بجذبه ارجعي الى ربك الى سعة غنى الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا اشتروا للايمان ثلثة ارباب اما اللوم
ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث الجنة والنار والقدر وهذا ايمان عيني وايمان الخواص وهو ان تعلم ان الحق للعبد بصفة من صفاته
خضع بجميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان الاخص وهو بعد دفع الحجاب انا نبذ حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال فاثنى
لله الاين وتبقى في العين هذا ايمان عيني ان الذين امنوا اى بالقلب ثم كفروا اذ لم يكن القلب اصلا ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم
مشرقة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعراض اذ لم يكن الله في الازل غافرا لهم يكون عند الموت ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان الكل
لا يخطئ المنافقين اى بشرهم بان ضلالهم من جوهر الكفار وهذا اتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
البلاء لهم ههنا ينجح بغارة ارواحهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون بدرستيكه منافقان فريب دهند خدارا وحال اكراد وفريب
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس لا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

ع ١٢

هؤلاء

هٰٓؤُلَآءِ وَلَآ اِلٰى هٰٓؤُلَآءِ وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهٗ سَبِيْلًا ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ

ایمان نہ بسوی ایکروہ و ہر کرا کہ گمراہ کند خدا پس نیابی از برای او راہی اے گروہ ایمان کہ گردیدہ اید فرا گیرند کافرانرا دوستان از غیر

الْمُؤْمِنِيْنَ ۭ اَتُرِيْدُوْنَ اَنْ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ۝ اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ۚ وَلَنْ تَجِدَ

مؤمنان ایا میخواہید کہ قرار دہید از برای خدا بر شما تسلطی ہویدا عدرستی کہ منافقان در پلہ پایین از آتش اند و ہیچ یار

لَهُمْ نَصِيْرًا ۝ اِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا وَاَصْلَحُوْا وَاعْتَصَمُوْا بِاللّٰهِ وَاَخْلَصُوْا دِيْنَهُمْ لِلّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۭ وَسَوْفَ

از برای ایشان یاوری بجز آنہا کہ توبہ کردند و نیکوئی کردند و چنگ زدند بخدا و پاک کردند دین خویش را از برای خدا پس آنہا با مومنانند و زود است

يُؤْتِ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ اَجْرًا عَظِيْمًا ۝ مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَاٰمَنْتُمْ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ شَاكِرًا عَلِيْمًا ۝ لَا يُحِبُّ

میدہد خدا کردند کارا مزدی بزرگ چہ میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید و گرویدید و میشناسد خدا شناسی پذیرندہ داناست دوست ندارد

اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْۗءِ مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظُلِمَ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا ۝ اِنْ تُبْدُوْا خَيْرًا اَوْ تُخْفُوْهُ اَوْ تَعْفُوْا عَنْ سُوْۗءٍ

خدا اشکار کردن سخنان را از کسی کہ ستم کردہ شدہ و میشناسد خدا شنوندہ دانا اگر ظاہر کنید نیکی را یا پنہان کنید آنرا یا عفو کند از بدی

فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيْرًا ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَيُرِيْدُوْنَ اَنْ يُّفَرِّقُوْا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَيَقُوْلُوْنَ

پس بدرستی کہ خدا میشد از کردہ تواناست بدرستی کہ آنہا کہ کافر میشوند بخدا و پیغمبرانش و میخواہند کہ جدائی اندازند در میان خدا و پیغمبرانش و گویند

نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَّنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ۙ وَّيُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّتَّخِذُوْا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ۝ اُولٰۗىِٕكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ حَقًّا ۚ وَاَعْتَدْنَا

گرویدیم ببارہ و کافر شویم ببارہ و میخواہند کہ درپیش گیرند در این میانہ راہیرا اگردہ شایستند کافران برستی و مہیا کردیم

لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَلَمْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ اُولٰۗىِٕكَ سَوْفَ يُؤْتِيْهِمْ

از برای کافران عذابی خوار کنندہ و آنان کہ گرویدند بخدا و پیغمبرانش و جدائی نیفکندند در میان ہیچیک از آنہا آنگروہ زود است کہ بدہد

اُجُوْرَهُمْ ۭ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ۝ القراءة فی الدرك وبكون الواو وحمزة وعلی وخلف وعاصم غير الاعشی البانون بالفتح يؤتيهم بالياء حفص

مزدہاشان را و میشد خدا امرزندہ مہربان وعباس البانون بالنون الوقوف خادم لعطف المختلفين كسائی لانہا ون منفصلہ فليلا وقف

بناء علی ان مذبذبين نصب علی الذم والاضمار بخالای ہرا ون مذبذبين بين ذلك قد فصل علی تقديرہ الابتداء ای لا اعلم الی ہؤلاء ولا الی ہؤلاء والاوجہ ان يبنی الذبذبة

ای کائنة منسوبين الی ہؤلاء ہؤلاء الثانية سبيلا صفة دون المؤمنين مبتدا من النار لابتداء النفی مع العطف بصير للاستثناء مع المؤمنين عظيما وانتم

علما الجزء السادس ظلما قليلا بعض للعطف سبيلا لان ما بعده خبران وقيل ان الخبر محذوف ای هلكوا وما شاكلوه مستانف حقا لاحتمال ما بعده

العطف والاستيناف ہہنا اجورهم رحيما التفسير قال الزجاج ای يجاوزون وسوف الله ای يظهرون له الايمان ويبطنون الكفر كقولهم ان الذين يبايعونك

ايمانہا يعوذون الله وهو خادعہم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنا خدع منه اذا غلبه وكنا خدع منه قال ابن عباس يعطيہم نورا كما يعطی المؤمنين فاذا وصلوا

الی الصراط انطفی نورهم وبقی نور المؤمنين فہناك يقولون انظرونا نقتبس من نوركم وبانی تفسير المخادعة متقدم فی اول البقرة كسالی جمع كسلان كسكارى

فی سكران ای يقومون مثاقلين مبطلين مثاقيل كما مری من يفعل شيئا فاكره لا عن طيب نفس وعقيدة وهو معنی الكسل الشبيه فی ذلك

انہم يلتمسون بہا فی الحال لا يرجون من فعلہا ثوابا ولا يخافون من تركہا عقابا يراؤن الناس ای يفعلون ذلك لاجل الرياء والتصنع

ومعنی المفاعلة فی الرياء ان المرائی يری الناس عمله وہم يرونه استحسانا ذلك الفعل او فاعله ہہنا محذوف يدل عليه التشديد كقولك نافقهم ولا يذكرون الله

ای ولا يصلون الا قليلا اذ لم يكن معہم احد من الاجانب لا يصلون واذا كانوا مع الناس وقتوا الصلوة بتكاسلون حتی يضيعوا غائبين عن

اعين الناس فان لم يجدوا منه وشح يصلون وقيل انہم فی صلوتہم لا يذكرون الله الا قليلا وهو الذی يظهر مثل التكبيرة فاما الذكر الخفی وهو القراءة

والتسبيحات فہم لا يذكرون بہا وقيل انہم لا يذكرون الله فی جميع الاوقات الا ذكرا قليلا فی البتة كما مری من بعض المنافقين لو صحت انا ما ولينا

ما ذرته الله فكثيرا قليلا ما قبل الله فقليله كثير ومعنی مذبذبين بين ذلك يہم الشيطان والہوی وحقيقة المذبذب الذی يذب عن كلا الجانبين ای يذاد ويدفع

الاتان الذبذبة فيہا تكرير ليس فی الذب كان المعنی كلما مال الی الجانب ذب عنه وقراءة ابن عباس مذبذبين بالكسر ای يذبذبون قلوبہم او دينہم او ذواتہم

وعن ابی جعفر مذبذبين بالالف غير المعجمة والمعنی اخذہم تارة فی تبة والذبة الطريقة ومعنی بين ذلك ای بين الكفر والايمان لان ذكر الكافرين والمؤمنين

يدل علی الكفر والايمان وذلك قد يشار به الی اثنين كقوله عوان بين ذلك واعلم ان السبب فی التذبذب هو ان الفعل يتوقف علی الداعی فاذا كان الداعی

الی الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم والهاسبالة منقرة لزم وقوع التغير فی الميل والرغبة واذا تعارضت الدواعی واصطرف فی النفس

فی الحيرة والتردد اما من كان مطلوبه فی فعله انتہاء الخيرات الباقية والكمالات الروحانية فان تلك المطالب موانية برية عن التغير والزوال

لا جرم كان ہذا الانسان ثابتا فی ايمانه راسخا فی ايقانه وہذا المعنی وصف اہل الايمان بالثبات بقوله يثبت الله الذين اٰمنوا الا يذكر الله تطمئن القلوب

بالاجرام النفس المطمئنة بل انه تعالی وصفہم بما هو اشرف من ذلك وهو طمانينة القلوب وطمانينة الكفار وغيرها بقولنا انما توجب الدم لانہم علموا

الجزء الثاني

عن الكفر الى ما هو خبث وهو طرق النفاق ولهذا ورد نهيهم عن اتباع آثارهم او ورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اى لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم وفعالهم ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان تولي المنافق منافق لا محالة وقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اى في الطبقة الاخيرة من النار وقد ورد ومع ذلك وصف بالاسفل وكان النار دركات لها فيض درجات الجنة مبين ان المنافق في غاية البعد منها بالطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان لذلك الاسفل اشد العذاب قد ذكر من قاتل دخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل انها النار سبع دركات سميت بذلك لان بعضها مشاهد بعضها فوق بعض قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفهر وفواس جمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتجوا بهذا على اثبات الشفاعة في حق الفساق من اهل العدالة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل فيه الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم الثابتين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبا بحذ المنافق وقطع المضار تعين عن التوبة واصلاح العمل ربما اذا كان مطلوبا برضاء الله وسعادة الاخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم ينفعها وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل هم مؤمنون لتشريفهم بالمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعدا لشرائط يتبع لهم ثم بين وعد المؤمنين بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين الثابتين بالتوبة ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما يرجع على المكلفين فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم واتقيتم لان تعذيب المملوك بعض الوعيد انما يكون للمنتفع من العبث او لدرك الثار او لطلب المنافع ودفع المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال انما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى من امتثال واطاع فكيف يليق بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم خلق احدا للغرض التعذيب وان فاعل الشكر والايمان هو العبد والالطاف التقريبية وما يفعل الله بعذابكم ان خلق الشكر والايمان منكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب سلمنا انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب لكن لا بالذات بل لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق وايضا انتهاء الكل الى الله تعالى وخلقه تكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة وقول المعتزلة الى انه لا يعذبكم ان تنتم منطق اللطف هذا كلامهم في غاية التحقيق الى الكشاف انما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى نظره الى معرفة المنعم امن واقر ان لم يكن اقر واذعن للرب فالسؤال ان كانت للترتيب فلعدا انما قدم الشكر في هذه الاية خلاف اكثر الايات التي قدم الايمان فيها على العمل الصالح لان الاية مسوقة في عرض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وتعالهم التي يصدهم عنهم غير مطلع عليها للعقول واللسان فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى من خلق الاجلة حتى يكون فاعلا مواليا على الحج السداد وسنن الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر منجزاء الشكر شكرا وهذه تبشير على العمل القليل ثوابا كثيرا عظيما بالكيات والجزئيات من غير غلط ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه انما هتك ستر المنافقين في فضيحتهم وكان هتك الستر منافيا للكرم والرحمة ظاهرا نكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الاية يعني انه لا يحب ظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صاحبه في المناهج فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه وعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادته وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وهو سبحانه يقال انه اراده ومن احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين واجب في الطعن والاقامة انما قوله الا من ظلم فالاستثناء منه منفصل او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا الجهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهرة لا يحب الله المجاهرة بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني تعني لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته ودعا فيه على الظالم قال ابن عباس له ان يجهر ظلامة بدعوة صوته بالدعاء على من ظلمه قال مجاهد له ان يجهر بظلم الظالم قال الاصم لا يحبون اظهار الاحوال المشوهة المكونة حذرا من العقوبة والتوبيخ لكن لهم اظهار ظلامة بان يذكروا مثله وغصبه قال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد ان ضيفا نضيفوه فما قاسوا قدره فاشتكاهم فنزلت الاية رخصة فان يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه كلام منقطع عما قبله اى لكن من ظلم فله ذلك وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فلينته فلا يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ما يعظم النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى ما يعظم فيه الضرر وعلى هذين يدور الغالب مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن او يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فغلبكم ان تفعلوا يستتبعه الله ويدل على العفو لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال ابن كيسان معناه ان الله قادر على عفو ذنوبك منك على عفوك صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتم رجل فسكت مرارا ثم رد عليه فقام النبي ﷺ فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في ذاهبي اليهود والنصارى وباطلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء دون بعض فسلكهم في مسلك من لا يقر بوحدانيته ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي مسلك من يقر بالوحدانية ويكفر بالنبوات وهم الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان به والكفر بالرسل فذلك ان اليهود لما منعوا عيسى والنصارى كفروا بعيسى والانجيل ومحمد

والفرقان

وهو الاصل

والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والاصنام وكفروا بمحمد والقرآن فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض وأرادوا أن يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان
بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اى واسطة اوكذلك اى كالطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء
وانكارهم يستلزم تكذيب الله إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجزة
ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح في كل نبي فيلزم هيهنا تكذيب الكل الانبياء ولكن ليس
هذا توجيه البعض الالزام على انسان لزوم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر عنهم فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى
تفكر وتأمل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد ذاهب حقا اى
احق ذلك حقا وهذا المعنى احبا واحقا ومثل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدي فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه وأجيب بان الحق ههنا الكامل
الراسخ الثابت ثم ختم التوقع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احد في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف نؤتيهم الوعد
لا التأخير المجرد ولهذا قال سيبويه لو فعل ينفي سوف فعل لانتفى ان ايتاء الاجور كان لا محالة وان تأخر اثنا وبل ان المنافقين يخادعون الله في الدنيا
لانا لله خادعهم في الآخرة حين دعوا الى السجود فلم يستطيعوا وهم شاهدوه ثم اخطأهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم اتفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
من العوام ولا من الخواص بالتحدث بالنفس من الخواطر ولا من الخواطر الاخص لا من حكم اما بتقاضي دواعي البشرية من غير اختيار واما بابتلاء من اضطرار وما يحب
الله الجهر بالسوء من القول بافشاء سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او بكشف قناع من مكنونات الغيب ومصونات غيب الغيب لامن ظلم
بغلبات الاحوال وغائلات سورات الجلال والجمال فاضطر الى المقال فمقال بالتلبس الباقي لا بالتلبس الفاني انا الحق وسبحاني ان بندرا خبرا ما كوشفهم
به من الطاف الحق تنبيها للخلوة افادة بالحق او بخفوه صيانة لقلوبكم عن انانية الشوائب نظاما عن المشارب او تعفوا عن سوء ما ادعوا البشرية
النفس الامارة او تخفوه اعلان فاحبب الله اظهاره سوءا فان الله كان عفوا فتكون عفوا مخالفا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى
ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فهو يزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيها
بحيث يوجد جزء منه فيجعل في شيء اخر عنه فيما ذكرنا اعلم يعنى اهل كتاب كه فرود آورى برايشان كتابى را از آسمان پس بدرستى كه خواستند موسى را
مِن ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ
بزرگتر ازين پس گفتند كه بنماى بما خدا را آشكارا پس گرفت آنها را صاعقه بسزاى ايشان پس فرا خويش كردند گوساله را از پس آن كه آمدش ايشان را معجزات
فَعَفَوْنَا عَن ذٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا
پس درگذشتيم از اين وداديم ما موسى را پادشاهى هويدا وبالا كرديم در فوق آنها كوه طور را بجهة پيمان آنها وگفتيم بآنها كه در آييد از دري
سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم
سجده كنان وگفتيم مر آنها را كه تعدى مكنيد ورماهى گرفتن در روز شنبه وگرفتيم از ايشان پيمانى درشت پس بجهة شكستن آنها پيمان خود را وكافر شدن آنها
بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
بآيات خدا وكشتن آنها پيغمبران را بدون سزاوارى وگفتن آنها كه دلهاى ما در پرده است بلكه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه كفرشان پس ايمان نياورند
إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
مگر كمى وبجهة كفرشان وگفتارشان بر مريم بهتانى بزرگ را وگفتارشان كه كشتيم مسيح را عيسى پسر مريم پيغمبر
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ
خدا ونكشتند او را وبدار نكشيدند او را ولكن مشتبه شد بآنها وبدرستى كه آنها كه خلاف كردند در او هر آينه در گمانند از آن هيئت آنها را بآن دانشى
إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
بجز پيروى كردن گمان ونكشتند او را درواقع بلكه بالا برد او را خدا بسوى خود ومى باشد خدا غالب وبا حكمت وهيچ از اهل كتاب
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
مگر كه ايمان آورد بآن پيش از مرگش ودر روز قيامت مى باشد بر ايشان گواه پس بجهة ظلم از آنها كه يهود شدند حرام كرديم بر ايشان
طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ
پاكيزهاى كه حلال بود مر آنها را وبجهة باز داشتن آنها از راه خدا بسيار را وگرفتن آنها ربا را وحال آنكه باز داشته شدند از آن وخوردن آنها مال هاى مردم
بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
بباطل وحياكرديم از جهة كافران از ايشان عذابى دردناك ليكن استواران در علم از آنها ومؤمنان كه ايمان آرند بآنچه
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فرو آورده شد بسوى تو وآنچه فرو آورده شد پيش از تو ومپاى نمازدارندگان را بر پا وزكوة دهندگان را وايمان آرندگان بخدا وروز

اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما ﴿١٥٢﴾ انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم
اکنون هر زود دستکه بدهیم مزدی بزرگ ﴿١٥٢﴾ بدرستی که وحی نمودیم بسوی تو چنانکه وحی نمودیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی نمودیم بسوی ابراهیم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا
و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴿١٦٤﴾ رسلا
و پیغمبران که حکایت کردیم انهارا بر تو از پیش و پیغمبران را که حکایت نکردیم انهارا بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتن گو کردنی ﴿١٦٤﴾ پیغمبران
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴿١٦٥﴾ لكن الله
مژده دهندگان و ترسانندگان تا نباشد مر مردم را بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب بستوار ﴿١٦٥﴾ لکن خدا
يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ﴿١٦٦﴾ ان الذين كفروا وصدوا
گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است بخدا گواهی ﴿١٦٦﴾ بدرستی که انها که کافر شدند و باز داشتند
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴿١٦٧﴾ ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دور ﴿١٦٧﴾ بدرستی که انها که کافر شدند و ستم کردند نیست خدا که بیامرزد مر انهارا و نه راه نماید مر انهارا
طريقا ﴿١٦٨﴾ الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴿١٦٩﴾ القراءة لا تغدوا بالتاء مع سكون
راهی را ﴿١٦٨﴾ مگر راه دوزخ جاویدان درآن همیشه و میباشد این بر خدا سان ﴿١٦٩﴾ العین ابو جعفر و نافع غیر ورش و قراءة ورش
صفو خمر العين مشددة بل طبع بالادغام على وهشام وابو عمرو عن حمزة بل فعه مظهرا وبابه الحلواني عن هشام وسوف يؤتيهم حمزة وخلف وشعبة بالنون
بالنون و زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف البانون بالفتح الوتون بظلم لان ثم لترتيب الاخبار مع ان مراد الكلام مجرد عن ذلك لان التقدير وقد
ابنا مبينا غليظا غلظ قليلا للعطف عظيما لان التقدير قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبهتهم من القتل لاحتمال الامرين
والحال بغتة للقهر نفى الفضل باثبات الوقع البتة حكيما قبل هو لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للاه وكان قولهم فبظلم راجع الى قولهم
بنيا نقضهم وقولهم متعلق بكل حرمنا كثيرا بالباطل انها والبوم الاخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل وسلطانا للتقدير وخذا بنيا للتخصيص
ذا وربابناء الزبور بتوراة لان التقدير وصفنا وسلا عليك تكليما لاحتمال البدل والنصب على المدح الرسل حكيما تعلما لاحتمال ما بعده الاستيناف
والحال يشهد ان شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا التفسير هذا نوع تازه من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فاتنا بكتاب من السماء جملة
كما جاء موسى بالالواح وقيل انهم حرفوا ان بين لعلهم كتاب الى فلان وكتاب الى فلان بانه رسول الله وقيل كانوا يامغانيه حين ينزل فاستكبروا ما سئلوا
فقد سئلوا ممتنى سئل اباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب كان
التنزيل امرا ممكنا في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة او ممتنعة في الدنيا عند عبرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجهان
احدهما ان البينات الصاعقة لانها تدل على قدرة الله تم وعلى علمه وعلى قدمه على كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى في نعوت النبوة
وثانيهما انها انزلت الصاعقة واحيوا بعد اماتتهم منا لهم انها الا يات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها وتحوي الكلام ان هؤلاء يطلبون منك
يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فما علم انهم لا يطلبونه منك الاعناد ولجاجا فان موسى قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات القاهرة
ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وامتلوا على عباده العجل وكل ذلك يدل على انهم مجبولون على اللجاج والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك جهلهم تسلطا
عبدة العجل واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا وهو انا مرهم بقتل انفسهم والمراد توبة امرء وكمال حاله وانكسار خصومه فيه لشدة البلية
ان هؤلاء الكفار الذين بقوا بعدك ونرفانه لا يخرج نسلهم على علمهم وبغيهم ثم حكى غيرهم سائر جهلهم لانهم واصلوا رهم على انا بطلبهم منها انه ثم رفع الطور
بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها فصد وجههم الباب باب بيت المقدس ومنها فصد اعتدائهم في السبت باصطيادا السمك وقد جميع هذه
القصص في سورة البقرة وقيل اقاتلوا بعد وههنا ليس بمعنى الاعتداء وانما هو بمعنى الحضر المراد بها النهي عن العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن
العمل في هذا اليوم واتعدوا في شانكم فاخذ الوا قال واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التوكيد على ان يتمسكوا بالتوراة ويعملوا
بها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا اوعية للعلم وتلبيها حال انه تم ختم عليها فلم
لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبنا في اكنة وذلك بحسب نفسه كما مر في سورة البقرة قليلا يؤمنون الا ايمانا قليلا
وهو ايمانهم بموسى وانتوريته على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء قولهم في الحقيقة بمعنى العدم وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما فانكارهم قدرة الله تم على خلق الولد من غير اب كذا انكارهم بنوته على كفرهم بنبوتهم مريم بهتان عظيم لانه ظلم عند وكادة على من
الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقولهم ان رسولكم

الذي ارسل اليكم محمدا او انه تم جعل الذكر الحسن وكان الفيء الذي كانوا يطلبونه على من الشاحوا بن الساحر والفاعل بن الفاعل وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه اي المقول لهم لدلالة ذكر قتلنا على المقول ويكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه لا يجوز ان يكون
في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله فالله تعالى القى شبهه على وجه احد اصحابه فقتلوه
وصلبوه ورفع الله عيسى بن مريم الى السماء فلما ان قتلوه وصلبوه وليتوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة للناس
وقيل ان اليهود لما عزموا على انه في الليلة التي يخرج فيها بالغد مع اصحابه بقتله دخل بيتا له وظن انوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه اخرج الله تعالى عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل كلموا عيسى ع
رجلا بحيرة صعد عيسى في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على ذلك الرجل فقتلوه وهو يقول انا لست عيسى فجلدوه رهطا من اليهود وسبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم انا فالقى الله شبه عيسى عليه فخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجلا يدعى انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبه عيسى عليه
فقتل وصلب ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قبل ان المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه ونظروا الى بدنه قالوا ان كان هذا عيسى فان صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فان عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم بأسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كارمرة النصارى تقول انه قتل
والملكانية والبعقوبية تقول انه صلب من حيث ناسوته لا من حيث لاهوته وهو مذهب من قول الحكماء ان القتل والموت يرد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا الفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قد تبعته علوية مشرقة فربته من عالم الارواح فلم يظلم
فانها يسبب القتل تخرب ليدن وذلك الملكانية القتل والصلب يصل الى اللاهوت بالاحساس الشعور لا بالمباشرة وقالت البعقوبية القتل
والصلب وقعا للمسيح الذي هو جوهر مولد من جوهرين والشك في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق على الظن ولهذا ذم في قوله
ما لهم من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح وكان العلم بوجوب العمل ظنيا ثم قال وما
قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم يقين القتل اي قتلا يقينيا اي مستفيضين واليقين عقد جازم مطابق ثابت لدليل ويحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا
تاكيد لقوله وما قتلوه اي حق انتفاء قتله حقا وهذا اولى لقوله تلك رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا بالغت فيه علما فيكون نفيا لكمالهم
في علمهم العلم او لا نفيا كليا ثم بينه بقوله وكان الله عزيزا حكيما اي ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته سهل وان منعه من الحكم والفوائد ما لا يحيط بها
الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الى لا ليؤمنن به قبل موته فقوله الا ليؤمنن به قبل موته مقحمة فصيحة والغرض صفة لموصوف محذوف اي ان هي الا نابئة العقيدة
وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته ولا نعلم الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى احد عن شهر بن حوشب قال الحجاج اينا
قراءتها الا نحائج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اتى اولى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره
الموت ضربنا الملائكة وجوهه وادبارهم وقالوا يا عدو الله انك على نبينا فكذبت به ويقولون انت عبد بني ويقول للنصراني انك على نبينا فيعترف انه الله اولا
الله فيؤمن بانه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال فان كان متكئا فسنوى جالسا فنظر الي وقال ان من قبلك قبلك فضرب عنقه قال فاخذ تك
الارض فقبضته ثم قال لقد اخذتها من عين صافية ومن معدنها وعن ابن عباس انه قرئ كل فقال لعكرمة ان ناسا رجل فضرب عنقه قال لا يخرج نفسه
حتى يخرج بها شقيقه قال ان خرج من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به وقال هذا الاخبار والوعيد والزام
الحجة والبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه ان لم يكن بد من الايمان به فلان يؤمن به طال التكليف ليقع معتدا به اولى وقيل الضمير
في به وفي موته لعيسى فالمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله وذلك انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ويقع الامن حتى ترتع الاسود والنمور مع الابل والبقر والذئاب مع الغنم و
يلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف
او بحيث لا يعرفها ذلك مع بقاء التكليف على وجه يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا او لا بنبي بعد محمد او غير نبي وعلى الاول اخبر بانه كان
نبيا الى ان بعث محمد ثم بعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم غرابة فلا يبعد ان يصير بعد نزوله شفعا لمحمد قال في الكشاف ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا يؤمن به عند اتاته ثم يجيء به في ذلك الزمان بعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حينئذ فينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى
الله ثم قيل الى محمد ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا بتصديقهم على اليهود بانهم كذبوه على النصارى بانهم دعوه ابن الله وكل كل نبي شاهد على امته بنحو
فبظلم التنوين للتعظيم يعني بأي ظلم من الذين هادوا الذوب هو ان الظلم على الخلق وهو قوله منظلم والاعراض عن دين الحق وهو قوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا وفي هذا الفصل اخذ الوثوا بعد النهي عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشى على التحريف هذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فحرم عليهم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية واما في الاخرة فقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما واعلم ان في متعلق قوله منهم قولين احدهما ان تقديره وما عطف عليه وقوله لكن الراسخون

محذوف والتقدير بنقضهم وبكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استأنف فقيل فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوف الثاني بعد الثاني يتعلق الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبنقضهم قاله الزجاج ورجح الاول بان حذف المتعلق الحكم ليذهب اوهام كل مذهب ولان تخريج الطيبات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظام تلك وجعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا يأباه الاشكال الماضي والكفر بآيات الله ثلثمائة وتسعون من عطف الخاص على العام والاول او على الثاني عطف التفسير على نفسه فقد اجاب عنه بالكشاف بانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ثم عطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتانهم مرجوح وانتخادهم بقتل جليتي غائبنا هم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طائفة المؤمنين المحققين منهم فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وتقن واستبصر حتى جعل الله المعان بالاستدلال الصحيح دون التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكل تشكل اما المستدل فانه لا يشكل البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار والراسخون مبتدا وبؤمنون خبره او قوله المقيمين الصلوة فضلا قول الاول ردي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وسيصلحها العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة ورفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني القوم الطيبون في المحل والمحسنون في السذاجة بتقليل الاجر اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو قوله اولئك الى آخره منتظر والجواب ان الخبر يوشكون ولو سلمنا الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدا وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانهم يجمل شرع واحد منهم من الصلوة وان تنوعت الى تهجد وفعل الخيرات واقام الصلوة وهو الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء قد قسموا اقسام العلم باحكام الله وتكاثروا في شرحها وتعدادها بيان الله وصفاته الواجبة والممتنعة والجائزة المبدا والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل بما علموا هم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله ما حاصل العلم وغاية الحكماء وزلفى الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستغاث ثم انه تعالى عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا اليك الآية لانه مبدا بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لانه المقصود من بعد بذكر هؤلاء الانبياء ثم كما فواتح سلام عن واحد منهم ما اوتي كتابا مثل التوراة دفعة واحدة ثم ذكر الانبياء بقوله وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه نازل على داود جملة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود وهو مجملة واحدة من غير انضمام آية اليها يقال زبرت الكتاب اذا كتبته والزبر الكتابة والزبور الكتاب بمعنى المزبور كالنقض بمعنى المنقوض وهو الكتاب كقعدد وندد ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء في القرآن والاكثرون عنهم مذكورون على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايهام من تمام الجواب والمراد انه تعالى بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام بشرف التكليم ومعلوم بالزام منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التوراة عليه دفعة وانزال غيرها على غيره مفترقا ارسلنا رسلا مبشرين ومنذرين بعد الرسل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات وفعل المعاصي وفي جواب المعتزلة بان الرسول منهيون عن الغفلة والغفلة على التظر وكانا رسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادته تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع المغتربة قلنا لو في الآية ردا على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض وايضا قالوا الآية تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قولنا اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد اجيب بانه يشبه الحجة وليس حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مسند كان لكن لا بدا به وفي ذلك المسند وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لانزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يقتضي ان هذا القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون يشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك ثم فسر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل اذا صنف كتابا واستحسن في بابه انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اخذ جملة علومه التي سبيل له الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وانزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم بمن يرتاب عليه حافظه من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لك لا بالسنتهم بل بالقول فتشهادتهم ليستتبع شهادتهم ومن صدق من رتبة العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن دفعة كما انزلت التوراة على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هارون وداود فقد ضلوا ضلالا بعيدا لان غاية

الضلال ان ينضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان بعثه وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق
الا النار جهنم الموصل اليها ثم وكان ذلك على الله يسيرا لانه لا صارف عن ذلك ولا يتعذر عليه بقيا الا الم اليه شيئا بعد شيء الى خبر انها نه والام في الذين اما لقوم معهودين علم الله منهم انهم يموتون على
الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضمر شرط عدم التوبة وحمل المغفرة على قوله ظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة
في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة التأويل اذ نيا الله جهرة لعل ضربة موسى بلن ترانى كانت بقوم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادبهم هذا السؤال لتسكين
مطمعوا في مطلوب لم يعط بل منعوا بالحالة بل بهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره وكما زاد عنادهم زاد ملاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور
فوقهم وغير ذلك فان اهل الاشارة اذا كتاب المحظوظات توجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لاذراجهم الطيبين قبل التلوث بعد المخالفات ولا اسرف
في المباحات كمستبيع حرمان المباحات والقرابات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدم الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا مكان العلوم فاضلت
علومهم الكسبية بالعلوم العطائية واللدنية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اى كما اوحينا اليك من سرنا وحينا الى عبده
ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اى ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك الان في القرآن مفصلا انزله بعلمه الخاص متضمنا
علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على ذلك الخلوة وان لم يكونوا معك في الخلوة وكفى يا ايها الناس قد جاءكم
بالله شهيدا على ما جرى فكان ما كان سرا لا يوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر اى كروه مردمان بدرستى كه امد شما
الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما
پيغمبر برستى از پروردگار شما پس بگرويد كه بهتر است مر شما را واگر كافر شويد پس برستى كه مر خداراست ملكى كه در آسمانها و زمين است و ميشناسد خدا او را
حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن
حكيم است اى اهل كتاب غلو مكنيد در دين خود و مگوييد بر خدا مگر برستى كه مسيح عيسى پسر
مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم
مريم فرستاده خدا و كلمه او است كه افكند او را بسوى مريم و باد است از قبل او پس بگرويد بخدا و رسول او و مگوييد كه خدا سه است باز ايستيد بهتر است
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
جز اين نيست كه خدا خداى يكانه است منزه است او از اينكه بود مر او را فرزندى مر اوراست آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است و بس است بخدا كارگذارى
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ع ۳
سر بيچد هرگز مسيح از اينكه بود بنده از براى خدا و نه فرشتگان مقرب و هر كه سر بيچد از بندگى او و تكبر كند در عبادت
فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
پس زود است كه گرد آورد ايشان را بسوى خود همه پس اما آنها كه گرويدند و كردند كارهاى شايسته پس تمام دهد ايشان را مزدهاى ايشان و زيادت دهد ايشان را از فضل
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
و اما آنانكه سر بيچيدند از عبادت و بزرگى كردند پس عذاب كند ايشان را عذابى دردناك و نيابند از براى خود از غير خدا دوستى و نه يارى
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا
اى كروه مردمان بدرستى كه آمد شما را دليلى از پروردگار شما و فرستاديم بسوى شما نورى تابنده پس اما آنانكه گرويدند بخدا و چنگ زدند
به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم
باو پس زود است كه در آرد ايشان را در رحمت خود و زيادتى و راه نمايد ايشان را بسوى خود راهى راست فتوى مى پرسند از تو بگو كه خدا فتوى ميدهد شما را
في الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن
در باب كلاله اگر مردى مرد و نباشد مر او را فرزندى و مر او را خواهرى پس مر اوراست نصف آنچه نهاد و او ارث برد از ان خواهر اگر نباشد
لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
مر او را فرزندى پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ايشان راست دو ثلث از آنچه نهاده و اگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس از براى مرد است مانند
حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم القراءة بتشديد الضاد وتخفيفها
نصيب دو زن ظاهر ميكند خدا از براى شما كه گمراه نشويد و خدا بهر چيزى داناست الوقوف خبيرا لكم والارض حكيما الا الحق وكلمته القاها
مع اتحاد المضمون ودرج منه لعطف المختلفين ولكن فائدة تعقيبه بوجوب تحصيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خبر انكم الله واحد ولد الكلام المنفي مطلق
الولد ولو وصفا اى هم ان المنفي وله موصوف بادلة ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا المقرون جميعا من فضله اليها ولا نصيرا صيبا وفضل للعطف
مستقيما يستفتونك لكلالة ترك لان ما بعده مبتدأ ولكن الكلام منحل اليها ولد لان جملة الشرط يعود الى قوله فلها نصف ما ترك يدنيها عارض ما

ترك الابتداء حكم جامع للصفتين الا انه بين ان تضلوا علم التفسير لما بين نساطر بقرة اليعقوبية واجاب عن شبههم عم الخطاب فقال يا اهل الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اى بالقرآن والقرآن محق بكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله فالاعراض عن عبده وهو الحق الذى يشهد له العقول السليمة فامنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر كذا فى انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه تجلهم على امر مجمل فحثهم على ان يقصدوا وأتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احد غايتيه من الكفر بل الغاية كلها له وقيل انه منصوب على خبر تكن اى يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان لله غنى عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على ازالة العذاب لان الكل محتاج
مقهور وشجرة اولى عبيد اخر بعبيد وتمرة عبيد كم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع اجر المحسن ولا يهمل جزاء المسئ ثم لما اجاب عن شبه النصارى
النصارى ومنعهم عن الغلو فى الدين وهو الافراط وشان المسيح الى ان اعتقدوه الها لا بنيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذى يليق
وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول فى بدن انسان والاتحاد زوجة والاتخاذ ولدا نما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة اب لا نطفة ألقاها اى الكلمة الى مريم اى وصلها اليها وحصلها فيها وروح منه اى انه ظاهر لطيف منبعث من الروح كما يقال هذا نعمة من الله وتراب
بذلك لانه سبب جنوة الارواح او كاملها كما يسمى القرآن دعاء فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اى رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه ولا شك ان وجود النبى رحمة للامة قال نعم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو الذى يعيش ان النفخ من جبريل
كان بامر الله ثم هو منه والتنكير للتعظيم اى روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فامنوا بالله ورسله
اى امنوا به كما تأمنون بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هى خبر مبتدأ محذوف اى الله ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد فانه ثلثة بالاقانيم
وبهذا لا فانهم فسروا الاب بانه الوجود والابن بالوجود وروح القدس وربما يقولون الوجود الذات والوجود العلم والوجود الحيوة او الالهية ثلثة ان كان فى اعتقادهم
انها ذوات فانها بانفسها الاب والام والابن لعل القولين يرجعان الى واحد كما تقدم اذا جوزوا على الصفات الانتقال الحلول فى عيسى وفى مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها ولهذا لزم الكفر بالشرك والا فجزء اثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمان قديمة انتهوا عن التثليث وا
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحانه تنزيها وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى
اتصال الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب كما فى السموات وما فى الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح فى المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا وان كان كائنا فى تدبيره المخاوف فى حفظ
المحدثات فلا حاجة معه الى قبول بانيا ثالث الخ وقيل مستقل ومشارك قال الكلبى ان وفد نجران قالوا يا محمد ما تعيب صاحبنا قال وما هو قالوا عيسى
قال اى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
والمحققون ان الشبهة التى عليها يقولون فى دعوى انه ابن الله هى انه كان يخبر عن المغيبات وبانى بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم ان يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله ثم ان الملائكة المقربين اعلا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حملة العرش
مع عظمته عن اثنين منهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله ثم فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اى يمتنع ويأنف والاستكبار ابلغ من الاستنكاف
من نكف اللبن اذا قطعه انكفه انا نحيته عن خلقه ناصبعك ونكف عن الشئ اى عدل والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الاية وقد تقدم الا
نهاد والجواب عنها والبحث عليها فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا الا قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير فى يكون او فى عبدا بجعله الموصوف به بتكون المعنى ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف
ان يعبد والله هو والملائكة المقربون اعلا منه فكيف يستنكفون عن العبودية له ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر عنها اى يمتنع ويأنف والاستكبار ابلغ
لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر سيحشرهم اليه اى يجمعهم يوم القيمة الى حيث لا يملك احد لنفسه شيئا ثم انه ثم لم يذكر ما فعل بهم
بل ذكر ما لا يؤل المؤمنين المطيعين فيشمل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد وجاء الكشاف بان هذا كقولك
جمع الامام الخوارج فمنهم من يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه بكلابه فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثانى كما
حذف احدهما فى التفصيل فى قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به اى قدم ثواب المؤمنين موطنة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يستبعد
بالحشر اذا اى اجود العالمين وسيعاقبهم ثم ذلك بما يصيبهم من العذاب قول لو جعل الضمير فى قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس حكما يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز فى القرآن كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى ذكر الحظاب بقوله انا انتم
الناس قد جاءتكم برهان لانه يحتمل ان يراد بالبرهان القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد لانه تقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال
الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلوب فاما الذين امنوا بالله فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او بالقرآن بثبتهم على الايمان ويعصمهم عن بيع الشيطان فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اى الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيفى والتنكير لتعظيم الصراط مستقيما اليه يحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل الجنة ويدل له قوله الا ان الجنة الدائمة ثم انه يحتمل انه ختم السورة بمجموع ما بدأها به وهو احكام الحوادث ذلك يفتوك

سورة النساء

الاية فقال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف في هذه وهذا يسمى ان الصيف عن جابر قال اشتكيت فدخل علي رسول الله ﷺ وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله امرها اخواتي بالثلثين قال فاحبس فقلت الشطر قال احبس ثم خرج وتركني فدخل ثم دخل فقال يا جابر اني لا ارى ستموت في وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعله اخواتك الثلثين وذكر انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله ﷺ في ظل بوذنكر عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اخوات فكم اعطي هن ايتان ما ترك فنزلت هذا وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من لا والد له والولد وعلى الموروث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك او يقع امرؤ بعضه بفتح هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد اعلم ان ظاهر الاية مطلق ولا بد من تقييده بثلثة الاول ان الولد مطلق واراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت اما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت بالعصوبة الثاني ان ظاهر الاية يقتضي انه وان لم يكن للميت ولد فان لاخت اخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد ان لاخت لا ترث مع الولد بالاجماع الثالث قوله ولها اخ اراد لاخت من الاب والام او من الاب وان كان الاخت من الام والاخ من الام وكم حكمهما في قول الستوذ بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق مالها ان فقد والامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب فاما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب يسقط الاخ لقوله ﷺ الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر لاب ولا من الاخ ثم قال وان كانتا يعني من يرث بالاخوة اثنتين فاكثر ثنى باعتبار الخبر كهو لهم من كانت امات وكذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة والاخوات لكنه غلب جانب الذكور وروى ان الصديق قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض اوكلها في الولد والوالد ثانيتها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال في الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني في صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حفظا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كما علم كما انه ابتدأها بكمال القدرة فيهما بهم الالهية وحصل الترتيب والترغيب للعالم والمطيع الله المستعان التاويل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني ان تؤمنوا بكم ما لم يرد ان تكفروا فالكل له لا تغلوا في دينكم لا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فان اليهود فرطوا في شانه فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى افرطوا في حبه فجعلوه ابن الله وكل كلا قبله سبحانه يشعر قوم بترك احترامه وطلب الزيادة في اعظامه حتى يتجاوز فيه ما ليس يرضى به كالخوارج والغلاة من الشيعة ولهذا قال رسول الله ﷺ لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم وروح منه لانه يكون بامر من غير واسطة اب كما ان الروح يكون كذلك الروح من امر ربي ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيي الاحياء الميتة اذا نفخ فيها وهذا الاستعداد الروحاني الكلي هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان فمخلص جوهره وخالصه بعد موته يشهد انه عبد الله ويقر بانه كلمة الله ثم بانفاسه القلوب الميتة وينفخ بها ارواحا ويعود بعضها عيسى فيكون في قومه كالنبي في امته ولا تقولوا ثلثة يعني نحن نقول الله واحد ونوحده عن ان يكون احد الثلثة فينكشف لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد من حيث انه لا يليق له الوجود الحقيقي القائم اولا واخرا وظاهرا وباطنا كل شيء هالك الا وجهه وكفى بالله وكيلا لكل هالك لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله لان العبد نعت وهي حقيقة الامكان الذاتي فاجبه له ولهذا نطق في المهد بقوله اني عبد الله وكذا الملائكة المقربون انما ذكرهم لان بعضهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله فنبه بقوله ان يكونوا مركوزا في جبلة الانسان من الخلق عيسى انفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه من ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى وضربها انفرى لاجله نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه برهان لسانه وما ينطق عن الهوى وبرهان يده يصفق في البحر فاكلوا من تلك وهم الفتحي ركوه والبرنس تقوركما هو في العجين يخبز برهانا نفله نفل على كرم الله وجهه وهي رصافة باذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وبرهان اصبعه اشار بها الى الغمر فانشق فلقتين وقد روي الماء من بين اصابعه حتى شرب ودفع منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصدأ ويصدأ اذا بزكا بزا الرجل لم تشرح للصدأ وبرهان قلبه بنام عيناي ولا ينام قلبي تزكى الا اسري بعبدك اللهم ذدنا الانس من هذا البرهان

قد تم الجلد الثاني والثلاثون من الربعة الثانية من التفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

يسر الروح الامين على تلبيك وبرهان كلمة سبحان والانفاس من انوار القرآن يا رب انت الرؤف المنان

الحمد لله على ما وفق له والصلاة على محمد وآله كتب المصنف في نسخة علقها لنفسه الحسين بن محمد الحسين الشهير بنقطا النيسابوري ببلدة الهند في دار ملكها المدعو بدلت اباد في اوائل صفر سنة ثلاث عشر وسبعمائة

قرض ۲۹۷۵۱۴۳

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

لائبریری

جامعہ عثمانیہ

۱۔ لائبریری کے اوقات صبح ۹ بجے سے شام ۵ بجے تک ہیں۔

۲۔ اساتذہ جامعہ عثمانیہ کے علاوہ دوسرے لوگوں کو لائبریری کی رکنیت نہیں دی جاتی۔

۳۔ طلبہ کو لائبریری کی رکنیت کے لئے ۱۰ روپے بطور زرِ ضمانت جمع کرنے ہوں گے۔

۴۔ مستعار کتاب کی واپسی کی آخری تاریخ ۱۵ دن ہے۔

۵۔ ہر کتاب کے ساتھ ایک کارڈ ہوگا جس پر مستعار لینے والے کا نام اور تاریخ درج کی جائے گی۔

۶۔ کتاب کی واپسی پر کارڈ پھاڑ دیا جائے گا۔

۷۔ کتاب کی گمشدگی یا نقصان کی صورت میں اس کی قیمت کا تخمینہ لگا کر وصول کیا جائے گا۔

۸۔ کتاب کی واپسی میں تاخیر کی صورت میں فی کتاب یومیہ ۱ آنہ جرمانہ ہوگا۔

۹۔ حاضر کتب کا اجرا نہیں ہوگا۔

۱۰۔ لائبریری میں خاموشی لازم ہے۔